الجزء الثامن عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير
أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان
للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدّست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجلّ التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفراينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٨ هجريه

﴿ تفسير سورة قد أفلح المؤمنون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال أبو جعفر يعنى جل ثناؤه بقوله قد أفلح المؤمنون قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأقروا بما جاءهم به من عند الله وعملوا بما دعاهم اليه مما سمى فى هذه الآيات الخلود فى جنات ربهم وفازوا بطلبتهم لديه كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله قد أفلح المؤمنون قال قال كعب لم يخلق الله بيده الا ثلاثة خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون لما علمت فيها من الكرامة حدثنا سهل بن موسى الرازى قال ثنا يحيى بن الضريس عن عمرو بن أبى قيس عن عبد العزيز بن رفيع عن مجاهد قال لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة نظر اليها فقال قد أفلح المؤمنون ، قال ثنا حفص بن عمر عن أبى خلدة عن أبى العالية قال لما خلق الله الجنة قال قد أفلح المؤمنون فأنزل الله به قرآنا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة قال لم يخلق الله شيأ بيده غير أربعة أشياء خلق آدم بيده وكتب الالواح بيده والتوراة بيده وغرس عدنا بيده ثم قال قد أفلح المؤمنون وقوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون يقول تعالى ذكره الذين هم فى صلاتهم اذا قاموا فيها خاشعون وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها وقيل انها نزلت من أجل أن القوم كانوا

يرفعون

﴿سورة المؤمنين مكية وحروفها ٤٨٤٠ كلمها ١٨٤٠ آياتها ١١٨﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا

يرفعون أبصارهم فيها الى السماء قبل نزولها فنهوا بهذه الآية عن ذلك ذكر الرواية بذلك حدثنا
ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت خالدا عن محمد بن سيرين قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى نظر الى السماء فأنزلت هذه الآية الذين هم في صلاتهم
خاشعون قال فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة
عن أبي جعفر عن الحجاج الصواف عن ابن سيرين قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرفعون أبصارهم في الصلاة الى السماء حتى نزلت قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
فقالوا بعد ذلك برؤسهم هكذا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب
عن محمد قال نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت آية
ان لم تكن الذين هم في صلاتهم خاشعون فلا أدري أية آية هي قال فطأطأ قال وقال محمد وكانوا
يقولون لا يجاوز بصره مصلاه فان كان قد استعاد النظر فليغمض حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنا هشيم عن ابن عون عن محمد نحوه واختلف أهل التأويل في الذي عني به في هذا
الموضع من الخشوع فقال بعضهم عني به سكون الاطراف في الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد الذين هم في صلاتهم
خاشعون قال السكون فيها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري
الذين هم في صلاتهم خاشعون قال سكون المرء في صلاته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا معمر عن الزهري مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن
أبي سفيان الشيباني عن رجل عن علي قال سئل عن قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون قال
لا تلتفت في صلاتك حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي قال قال ضمرة بن ربيعة عن أبي شوذب
عن الحسن في قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون قال كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك البصر
وخفضوا به الجناح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة
عن ابراهيم في قوله خاشعون قال الخشوع في القلب وقال ساكنون * قال ثنا الحسن قال
ثني خالد بن عبد الله عن المسعودي عن أبي سنان عن رجل من قومه عن علي رضي الله عنه قال
الخشوع في القلب وأن تلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج
عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح في قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون قال التخشع في الصلاة
وقال لي غير عطاء كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووجاهه
حتى نزلت قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فما رؤي بعد ذلك ينظر الا الى الارض
* وقال آخرون عني به الخوف في هذا الموضع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن الذين هم في صلاتهم خاشعون قال خائفون حدثنا
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر في قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون قال
الحسن خائفون وقال قتادة الخشوع في القلب حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني
معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون يقول خائفون ساكنون
وقد بينا فيما مضى قبل من كتابنا أن الخشوع التذلل والخضوع بما أغنى عن اعادته في هذا
الموضع واذ كان ذلك كذلك ولم يكن الله تعالى ذكر دل على أن مراده من ذلك معنى دون معنى
في عقل ولا خبر كان معلوما أن معنى مراده من ذلك العموم واذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام
ما وصفت قبل من أنه والذين هم في صلاتهم متذللون لله بادامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته واذا

من قومه ماهذا الا بشر مثلكم يريد
أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل
ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا
الاولين ان هو الا رجل به جنة
فتربصوا به حتى حين قال رب
انصرني بما كذبون فأوحينا اليه
أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا
فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك
فيها من كل زوجين اثنين وأهلك
الا من سبق عليه القول منهم ولا
تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون فاذا استويت أنت ومن
معك على الفلك فقل الحمد لله الذي
نجانا من القوم الظالمين وقل رب
أنزلني منزلا مباركا وأنت خير
المنزلين ان في ذلك لآيات وان كنا
لمبتلين ﴾ ۞ القراآت لأماناتهم على
التوحيد ابن كثير على صلاتهم
موحدة حمزة وعلي وخلف وعظاما
العظم موحدين على ارادة الجنس
أو على وضع الواحد مكان الجمع
لعدم اللبس ابن عامر وأبو بكر
وحماد وجبلة الاول موحدا
والثاني مجموعا زيد عن يعقوب
وروى القطعي عن أبي زيد بالعكس
فيهما الباقون مجموعين سيناء بكسر
السين أبو عمرو وأبو جعفر ونافع
وابن كثير الآخرون بفتحها
تنبت من الانبات ابن كثير وأبو عمرو
ويعقوب غير روح الآخرون
بفتح التاء وضم الباء من النبات
نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر
وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد
بالتاء الفوقانية يزيد الباقون
بضم النون منزلا بفتح الميم وكسر
الزاء أبو بكر وحماد الآخرون
بضم الميم وفتح الزاء ۞ الوقوف

المؤمنون ○ لا خاشعون ○ لا معرضون ○ لا فاعلون ○ لا حافظون ○ ملومين ○ لا لاعتراض الاستثناء بين الاوصاف ولاستحقاق الشرط الابتداء ولطول الكلام والا فالآيتان من أوصاف المؤمنين أيضا العادون ○ ج راعون ○ لا يحافظون ○ م والا لأوهم تخصيص الارث بالمذكورين فى الآيتين فقط الوارثون ○ لا الفردوس ط خالدون ○ طين ج ○ للعدول عن المظهر الى كناية عن غير مذكور فان المراد من الانسان آدم ومن الهاء فى جعلناه جنس ولده مع عطف ظاهر مكين ○ ج للعطف لحما صلى وقد قيل للابتداء بانشاء (٤) نفخ الروح تعظيما آخر ط الخالقين ○ ط لأن ثم لترتيب الاخبار فان بين الاحياء والافناء مهلة لميتون ○ ط لذلك لقادرون ○ للآية مع اتصال المعنى بلفظ الفاء وأعناب م لئلا يوهم أن الجار والمجرور وصف أعناب تأكلون ○ لا لأن شجرة مفعول أنشأنا للآكلين ○ لعبرة ط لان الجملة بعدها ليست بصفة لها تأكلون ○ لا تحملون ○ ط غيره ط تتقون ○ مثلكم لا لأن قوله يريد صفة بشر عليكم ط ملائكة ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول الاولين ج ○ للآية مع اجتناب الابتداء بقول الكفار مع اتحاد مقصود الكلام حين ○ كذبون ○ التنور ○ لا لأن ما بعده جواب فاذا منهم ج لعطف المتفقتين مع اعتراض الاستثناء ظلموا ج للابتداء بان مع احتمال اضمار اللام والفاء للتعليل مغرقون ○ الظالمين ○ المنزلين ○ لمبتلين ○ ❁ التفسير لما انجر الكلام فى السورة المتقدمة الى الختم بالصلاة والزكاة بدأ فى هذه السورة بذكر فضائلهما وفضائل ما ينخرط فى سلكهما من مكارم الاخلاق ومحاسن العادات وقد نقضة لما لانها تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهى اخبار بثبوت الفلاح لهم وقد مر معنى الايمان والاختلاف فيه بين الاقوام فى أول البقرة وأما الخشوع فمنهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والنظر الى موضع السجود والتوقى عن كف الثوب أى جمعه والعبث بجسده وثيابه والتمطى والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل بأن يضع وسط الثوب على رأسه أو على عاتقه ويرسل طرفيه والاحتراز عن الفرقعة والتشبيك وتقليب الحصى والاختصار وهو أن يمسك بيده عصا أو سوطا ونحوهما قال الحسن وابن سيرين كان المسلمون يرفعون أبصارهم الى السماء فى صلاتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فلما نزلت هذه

تذلل لله فيها العبد ورؤيت ذلة خضوعه فى سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها

وقوله والذين هم عن اللغو معرضون يقول تعالى ذكره والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذين هم عن اللغو معرضون يقول الباطل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن عن اللغو معرضون قال عن المعاصى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الحسن مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين هم عن اللغو معرضون قال النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته ممن آمن به واتبعه وصدقه كانوا عن اللغو معرضين ❁ القول فى تأويل قوله ﴿والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ يقول تعالى ذكره والذين هم لزكاة أموالهم التى فرضها الله عليهم فيها مؤدون وفعلهم الذى وصفوا به هو أداؤهموها وقوله والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم يقول والذين هم لفروج أنفسهم وعنى بالفروج فى هذا الموضع فروج الرجال وذلك أقبالهم حافظون يحفظونها من اعمالها فى شئ من الفروج إلا على أزواجهم يقول إلا من أزواجهم اللاتى أحلهن الله للرجال بالنكاح أو ما ملكت أيمانهم يعنى بذلك إماءهم وما التى فى قوله أو ما ملكت أيمانهم فى محل خفض عطفا على الأزواج فانهم غير ملومين يقول فان من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه وحفظه عن غيره من الخلق فانه غير موبخ على ذلك ولا مذموم ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين يقول رضى الله لهم اتيانهم أزواجهم وما ملكت أيمانهم وقوله فمن ابتغى وراء ذلك يقول فمن التمس لفرجه منكحا سوى زوجته وملك يمينه فأولئك هم العادون يقول فهم العادون حدود الله المجاوزون ما أحل الله لهم الى ما حرم عليهم * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال نهاهم الله نهيا شديدا فقال فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون فسمى الزانى من العادين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأولئك هم العادون

الآية طأطأ وكان لا يجاوز بصره مصلاه وهذا الخشوع واجب عند المحققين نقل الامام الغزالي عن أبي طالب المكي عن بشر الحافي من لم يخشع فسدت صلاته وعن الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروي عنه ص مرفوعا ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها وعشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وادعى عبد الواحد بن زيد اجماع العلماء على أنه ليس للعبد الا ما عقل من صلاته ومما يدل على صحة هذا القول قوله سبحانه أفلا يتدبرون القرآن والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وكذا قوله وأقم الصلاة لذكري

والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال ولا تكن من الغافلين وقوله حتى تعلموا ما تقولون نهي للسكران الآن المستغرق في هموم الدنيا بمنزلته وقوله صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه ولا مناجاة مع الغفلة أصلا بخلاف سائر أركان الاسلام فان المقصود منها يحصل مع الغفلة فان الغرض من الزكاة كسر الحرص واغناء الفقير وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة النفس التي هي عدو الله وكذا الحج فان أفعاله شاقة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلاء وان لم يكن القلب حاضرا والمتكلمون أيضا اتفقوا على أنه لابد من الحضور والخشوع قالوا لان السجود لله تعالى طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما يماثل الآخر في ذاته ولوازمه فلابد من مميز وما ذاك الا القصد والارادة ولابد فيهما من الحضور وأما الفقهاء فالاكثرون منهم لا يوجبون ذلك فيقال لهم هبوا أنه ليس من شرط الاجزاء وهو عدم وجوب القضاء أليس هو من شرط القبول الذي يترتب عليه الثواب فمن استعار ثوبا ثم رده على أحسن الوجوه فقد خرج عن العهدة وكذا ان رده على وجه الاهانة والاستخفاف الا أنه يستحق المدح في الصورة الاولى والذم في الصورة الثانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب أنت * قلت لا ريب أن الاحتياط انما هو في رعاية جانب الخشوع كما حكي عن بعض العلماء أنه اختار الامامة فقيل له في ذلك فقال أخاف ان تركت الفاتحة أن يعاتبني الشافعي وان قرأت مع الامام أن يعاتبني أبو حنيفة فاخترت الامامة طلبا للخلاص عن هذا الخلاف قال علماء المعاني سبب اضافة الصلاة اليهم هو أن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته وأما

قال الذين يتعدون الحلال الى الحرام حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن في قوله فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون قال من زنى فهو عاد ۞ القول في تأويل قوله ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون ﴾ يقول تعالى ذكره والذين هم لأماناتهم التي ائتمنوا عليها وعهدهم وهو عقودهم التي عاقدوا الناس راعون يقول حافظون لا يضيعون ولكنهم يوفون بذلك كله واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار الا ابن كثير والذين هم لاماناتهم على الجمع وقرأ ذلك ابن كثير لأمانتهم على الواحدة والصواب من القراءة في ذلك عندنا لأماناتهم لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله والذين هم على صلواتهم يحافظون يقول والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق والذين هم على صلواتهم يحافظون قال على وقتها حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق والذين هم على صلواتهم يحافظون قال على ميقاتها حدثنا ابن عبد الرحمن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال أخبرنا ابن زحر عن الأعمش عن مسلم بن صبيح قال الذين هم على صلواتهم يحافظون قال أقام الصلاة لوقتها * وقال آخرون بل معنى ذلك على صلواتهم دائمون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم على صلواتهم يحافظون قال دائمون قال يعني بها المكتوبة وقوله أولئك هم الوارثون يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة * وبنحو الذي قلنا في ذلك روي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأوله أهل التأويل ذكر الرواية بذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في قوله أولئك هم الوارثون قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم التي أعدت لهم لو أطاعوا الله حدثني ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الأعمش عن أبي هريرة أولئك هم الوارثون قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم الذين أعدت لهم لو أطاعوا الله حدثنا

المصلي له فتعالى عن ذلك ولما كان اللغو هو الساقط من القول أو الفعل احتمل أن يقع في الصلاة وأيضا كان الاعراض عنه من باب التروك كما أن الخشوع وهو استعمال الآداب ومالا يصح ولا تكمل الصلاة الا به كان من باب الافعال وعلى الفعل والترك بناء قاعدة التكليف فلا جرم جعلهما قرينين فقال (والذين هم عن اللغو معرضون) واللغو على ماقلنا يشمل كل ما كان حراما أو مكروها أو مباحا لا ضرورة اليه ولا حاجة قولا أو فعلا فمن الحرام قوله تعالى حكاية عن الكفار لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فان ذلك اللغو كفر والكفر حرام ومن المباح قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولو لم يكن (٦) مباحا لم يناسبه عدم المؤاخذة والاعراض عن اللغو هو بأن لا يفعله ولا يرضى به ولا يخالط من يأتيه كما قال عز من قائل وإذا مروا باللغو مروا كراما ثم وصفهم بفعل الزكاة وهو مناسب للصلاة وليس المراد بالزكاة ههنا عين القدر المخرج من النصاب لان الخلق لا قدرة لهم على فعلها فلا يصح المعنى الا بتقدير مضاف أي لاداء الزكاة فاعلون بل المراد فعل المزكي الذي هو التزكية فقوله للمزكي فاعل الزكاة كقولك للضارب فاعل الضرب وعن أبي مسلم أنه حمل الزكاة ههنا على كل فعل محمود مرضي كقوله قد أفلح من تزكى والاول أقرب لانه مناسب لعرف الشرع الصفة الرابعة قوله (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم) قال الفراء على بمعنى عن وقال غيره هو في موضع الحال أي الاوالين أو قوامين على أزواجهم نظيره قولهم كان زياد على البصرة أي واليا عليها والمعنى أنهم مستمرون على حفظ الفروج في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق الجار بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل من يباشرونه الا على أزواجهم فانهم غير ملومين عليهن وجوز في الكشاف أن يكون صلة لحافظين من قولهم احفظ على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي أي لا تسلط على فرسي وانما لم يقل أو من ملكت لانه اجتمع في السرية وصفان الانوثة التي هي سبب الحسن نقصان العقل وكونها بحيث تباع وتشترى كسائر السلع (فمن ابتغى) حدا (وراء ذلك) الحد الذي شرع وهو اباحة أربع من الحرائر وماشاء من الاماء وكني به حدا فسيحا (فأولئك هم) الكاملون في العدوان المتناهون فيه قيل لا دليل فيه على تحريم نكاح المتعة لانها من جملة الازواج اذا صح النكاح ومنع من أنها من الازواج ولو كانت زوجة لورث منها الزوج لقوله ولكم نصف ماترك أزواجكم ولورثت منه لقوله ولهن الربع ثم الآية من العمومات التي دخلها التخصيص بدلائل أخر فيخرج منها الغلام بل الوطء في الدبر على الاطلاق لانه ليس

القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال الوارثون الجنة أورثتموها والجنة التي نورث من عبادنا هن سواء قال ابن جريج قال مجاهد يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره ومنزل الذين من أهل النار هم يرثون أهل النار فلهم منزلان في الجنة وأهلان وذلك أنه منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبني منزله الذي في الجنة ويهدم منزله الذي في النار وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبني منزله الذي في النار قال ابن جريج عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد انه قال مثل ذلك ۞ القول في تأويل قوله (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) يقول تعالى ذكره الذين يرثون البستان ذا الكرم وهو الفردوس عند العرب وكان مجاهد يقول هو بالرومية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله الذين يرثون الفردوس قال الفردوس بستان بالرومية * قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال عدن حديقة في الجنة قصرها فيها عدنها خلقها بيده تفتح كل فجر فينظر فيها ثم يقول قد أفلح المؤمنون قال هي الفردوس أيضا تلك الحديقة قال مجاهد غرسها الله بيده فلما بلغت قال قد أفلح المؤمنون ثم أمر بها تغلق فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرب ثم تفتح كل سحر فينظر فيها فيقول قد أفلح المؤمنون ثم تغلق الى مثلها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قتل حارثة بن سراقة يوم بدر فقالت أمه يا رسول الله ان كان ابني من أهل الجنة لم أبك عليه وان كان من أهل النار بالغت في البكاء قال يا أم حارثة انها جنتان في جنة وان ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة عن كعب قال خلق الله بيده جنة الفردوس غرسها بيده ثم قال تكلمي قالت قد أفلح المؤمنون * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن حسام بن مصك عن قتادة أيضا مثله غير أنه قال تكلمي قالت طوبى للمتقين * قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي داود نفيع قال لما خلقها الله قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها تكلمي فقالت طوبى لمن رضيت عنه وقوله هم فيها خالدون يعني ماكثون فيها يقول هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون يعني ماكثون فيها أبدا لا يتحولون عنها ۞ القول في تأويل قوله (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين أسللناه منه فالسلالة هي المستلة من كل تربة ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الارض * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنى بالانسان في هذا الموضع فقال بعضهم عني به آدم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة من طين قال استل آدم من الطين حدثنا

موضع حرث وكذا الزوجة والامة فى أحوال الحيض والعدة والاحرام ونحوها وقال أبو حنيفة الاستثناء من النفى ليس باثبات فقوله لاصلاة الا بطهور ولانكاح الا بولى لا يقتضى حصول الصلاة والنكاح بمجرد حصول الطهور والولى ولا تخصيص عنده فى الآية والمعنى أنه يجب حفظ الفروج عن الكل الا فى هاتين الصورتين فانى ما ذكرت حكمهما لا بالنفى ولا بالاثبات هكذا نقله الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الصفة الخامسة رعاية الامانة والعهد والمراد بهما الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه لتمكن رعايتهما والراعى القائم على الشئ بحفظ واصلاح كراعى الغنم وراعى الرعية ويحتمل العموم فى كل ما ائتمنوا عليه (٧) وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الناس كالعبادات والمعاملات والودائع والقصود والنيات والعقود والنذور والطلاق والعتاق وغيرها وقد مر فى تفسير قوله ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقوله ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ويحتمل الخصوص فيما تحملوه من أمانات الناس وعهودهم الصفة السادسة محافظة الصلاة كما مرّ فى قوله حافظوا على الصلوات وذلك فى البقرة وصفوا أولا بالخشوع فى صلاتهم وآخرا بالمداومة عليها وبمراقبة أعدادها وأوقاتها فرائض كانت أو سننا رواتب أو غيرها فالمحافظة أعم من الخشوع وأشمل ومن هنا يعرف فضيلة الصلاة اذ وقع الافتتاح بها والاختتام عليها وان اختلاف الاعتبارات والعبارتان (أولئك هم الوارثون) الأحقاء بأن يسموا ورّاثا دون من عداهم ممن يرث مالا فانيا أو متاعا قليلا أو ممن يدخل الجنة سواهم كالاطفال والمجانين والفساق بعد العفو وكالولدان والحور ثم بين المورث بقوله (الذين يرثون الفردوس) وقد سبق معنى هذه الوراثة فى الاعراف فى قوله ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها قال الفقهاء لا فرق فى الميراث بين ما ملكه الميت وبين ما يقدر ملكه فيه ولذلك قالوا الدية انها ميراث المقتول وكل من فى الجنة فله مسكن مفروض فى النار على تقدير كفره وكل من فى النار فله مسكن مفروض فى الجنة على تقدير ايمانه كما ورد فى الحديث فاذا تبادل المسكنان كان جميع أهل الجنة وارثين ولكن كل الفردوس لا يكون ميراثا بل بعضه ميراث وبعضه بالاستحقاق الا أنه يصدق بالجملة أنهم ورثوا الفردوس أى الجنة ولهذا أنث الضمير فى قوله (هم فيها خالدون) وقيل ان الجنة كانت مسكن أبينا آدم عليه السلام فاذا انتقلت الى أولاده كان شبيها بالميراث والفردوس بلسان الحبشة أو الروم هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روى أن الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله من سلالة من طين قال استل آدم من طين وخلقت ذريته من ماء مهين * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد خلقنا ولد آدم وهو الانسان الذى ذكر فى هذا الموضع من سلالة وهى النطفة التى استلت من ظهر الفحل من طين وهو آدم الذى خلق من طين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبى يحيى عن ابن عباس من سلالة من طين قال صفوة الماء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله من سلالة من منى آدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم وهى صفوة مائه وآدم هو الطين لانه خلق منه وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لدلالة قوله ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين على أن ذلك كذلك لانه معلوم أنه لم يصر فى قرار مكين الا بعد خلقه فى صلب الفحل ومن بعد تحوّله من صلبه صار فى قرار مكين والعرب تسمى ولد الرجل ونطفته سليله وسلالته لأنهما مسلولان منه ومن السلالة قول بعضهم

(١) حملت به عصب الأديم غضنفرا * سلالة فرج كان غير حصين

وقول الآخر

وهل كنت الا مهرة عربية * سلالة أفراس تجللها بغل

فمن قال سلالة جمعها سلالات وربما جمعوها سلائل وليس بالكثير لان السلائل جمع للسليل ومنه قول بعضهم

اذا أنتجت منها المهارى تشابهت * على القود إلا بالانوف سلائله

وقول الراجز * يقذفن فى أسلابها بالسلائل *

القول فى تأويل قوله تعالى (ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) يعنى تعالى ذكره بقوله ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم جعلنا الانسان الذى جعلناه من سلالة من طين نطفة فى قرار مكين وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ووصفه بأنه مكين لأنه مكن لذلك وهيئ له ليستقر فيه الى بلوغ أمره الذى جعله له قرارا وقوله ثم خلقنا النطفة

(١) الذى فى اللسان فجاءت به الخ فتنبه كتبه مصححه

علقة يقول ثم صيرنا النطفة التى جعلناها فى قرار مكين علقة وهى القطعة من الدم فخلقنا العلقة مضغة يقول فجعلنا ذلك الدم مضغة وهى القطعة من اللحم وقوله فخلقنا المضغة عظاما يقول فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم فخلقنا المضغة عظاما على الجماع وكان عاصم وعبد الله بن عامر يقرآن ذلك عظاما فى الحرفين جميعا على التوحيد والقراءة التى نختار فى ذلك الجماع لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله فكسونا العظام لحما يقول فألبسنا العظام لحما وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ثم خلقنا النطفة عظما وعصبا فكسوناه لحما وقوله ثم أنشأناه خلقا آخر يقول ثم أنشأنا هذا الانسان خلقا آخر وهذه الهاء التى فى أنشأناه عائدة على الانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان وقد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة جعل ذلك كله كالشئ الواحد فقيل ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ثم أنشأناه خلقا آخر فقال بعضهم انشاؤه اياه خلقا آخر نفخه الروح فيه فيصير حينئذ انسانا وكان قبل ذلك صورة ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ الروح فيه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ثم أنشأناه خلقا آخر قال الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن عكرمة فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ الروح فيه حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سلمة عن داود بن أبى هند عن الشعبى ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ فيه الروح ۞ قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ فيه الروح فهو الخلق الآخر الذى ذكر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم أنشأناه خلقا يعنى الروح تنفخ فيه بعد الخلق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال الروح الذى جعله فيه ۞ وقال آخرون انشاؤه خلقا آخر تصريفه اياه فى الاحوال بعد الولادة فى الطفولة والكهولة والاغتذاء ونبات الشعر والسن ونحو ذلك من أحوال الاحياء فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنا أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أنشأناه

وروى أبو موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الفردوس مقصورة الرحمن فيها الانهار والاشجار وعن أبى أمامة مرفوعا سلوا الله الفردوس فانها أعلى الجنان وان أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحسن العبد الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حافظت علىّ وتشفع لصاحبها فاذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتنى وتلف كما يلف الثوب ويضرب بها على وجه صاحبها قالت العلماء أما كلام الجنة فالمراد به

أنها أعدت للمتقين كقوله قالتا أتينا طائعين وكذا الكلام فى كلام طوبى وأما أنه تعالى خلق الجنة بيده فالمراد تولى خلقها وايجادها من غير واسطة وأما حديث الصلاة فلا ريب أنها حركات وسكنات ولا يصح عليها التكلم فالمراد به ضرب المثل كقولك للمنعم عليك ان احسانك الىّ ينطق بالشكر ولما حث عباده على العبادات ووعدهم الفردوس على مواظبتها عاد الى تقرير المبدا والمعاد ليتمكن ذلك فى نفوس المكلفين وهو ثلاثة أنواع الاول الاستدلال بأطوار خلق الانسان والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وهذا البناء للقلة ولما يسقط عن الشئ كالقلامة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد آدم لانه استل من الطين والكناية فى جعلناه راجعة الى الانسان الذى هو ولد آدم أى جعلنا جوهره نطفة وقال آخرون الانسان ههنا هو ولد آدم والطين اسم آدم والسلالة هى الاجزاء الكلية المبثوثة فى أعضائه التى تجتمع منيا فى أوعيته ويحتمل أن يقال ان كل نسل آدم حاله كذلك لان غذاءه ينتهى الى النبات المتولد من صفو الارض والماء المسمى بالسلالة ثم ان تلك السلالة تصير منيا

وعلى هذا فكلتا الفظى من للابتداء قال فى الكشاف الاولى للابتداء والثانية للبيان وهو موجه على التفسير الاول فقط والقرار المستقر أراد به الرحم وانما وصفت بالمكين لمكانتها فى نفسها فانها مكنت حيث هى وأحرزت أو على الاسناد المجازى باعتبار المستقر فيها كقولك طريق سائر وترتيب الاطوار كما مر فى أول الحج ومعنى ثم فى بعض هذه المعطوفات تراخى الرتبة ولاسيما فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر أى خلقا مباينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا الى غير ذلك من دقائق اللطف وغرائب الصنع وذلك بعد استكماله ثلاثة أربعينات

خلقا

خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين يقول خرج من بطن أمه بعدما خلق فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل ثم كان من خلقه أن دل على ثدي أمه ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه الى أن قعد الى أن حبا الى أن قام على رجليه الى أن مشى الى أن فطم فعلم كيف يشرب و يأكل من الطعام الى أن بلغ الحلم الى أن بلغ أن يتقلب في البلاد حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم أنشأناه خلقا آخر قال يقول بعضهم هو نبات الشعر وبعضهم يقول هو نفخ الروح حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك ثم أنشأناه خلقا آخر قال يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره * وقال آخرون بل عنى بانشائه خلقا آخر سوّى شبابه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال حين استوى شبابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد حين استوى به الشباب وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك نفخ الروح فيه وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحوّل خلقا آخر انسانا وكان قبل ذلك بالاحوال التي وصفه الله أنه كان بها من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه يتحوّل عن تلك المعاني كلها الى معنى الانسانية كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها انسانا وخلقا آخر غير الطين الذي خلق منه وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فتبارك الله أحسن الصانعين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد فتبارك الله أحسن الخالقين قال يصنعون و يصنع الله والله خير الصانعين * وقال آخرون انما قيل فتبارك الله أحسن الخالقين لان عيسى بن مريم كان يخلق فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج في قوله فتبارك الله أحسن الخالقين قال عيسى بن مريم يخلق وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد لأن العرب تسمي كل صانع خالقا ومنه قول زهير

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفري

ويروى ولأنت تخلق ما فريت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفري

۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) يقول تعالى

ومن هنا ذهب أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده الى أنه يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة وروى العوفي عن ابن عباس أن ذلك تصريف الله في أطواره بعد الولادة من الطفولية وما بعدها الى استواء الشباب وخلق الفهم والعقل فيه يؤيده قوله (ثم انكم بعد ذلك لميتون) ويروى هذا القول أيضا عن مجاهد وابن عمر (فتبارك الله) كثر خيره و بركته أو هو وصف له بالدوام والبقاء أو بالتعالي لان البركة يرجع معناها الى الامتداد وكل ما زاد على الشيء فقد علاه ومعنى (أحسن الخالقين) أحسن المقدّرين تقديرا فحذف المميز للعلم به قالت المعتزلة في الآية دلالة على أن كل ما يفعله الله فهو حسن وحكمة فلا يكون خالقا للكفر (٩) والمعاصي وأجيب بأن الحسن ههنا بمعنى الاحكام والاتقان في التركيب والتأليف و بأنه لا يقبح منه شيء لانه تعالى يتصرف في ملكه قالوا لولا أن غيره تعالى خالق لم تحسن هذه الاضافة فيعلم منه أن العبد خالق أفعاله وعورض بقوله الله خالق كل شيء وأجيب بأن المراد أنه أحسن الخالقين في زعمكم واعتقادكم و بعضهم أجاب بأن وجه حسن الاضافة هو أنه تعالى وصف عيسى بأنه يخلق من الطين كهيئة الطير ولا يخفى ضعف هذا الجواب من أنه يلزم اطلاق الجمع على الواحد ومن حيث انه يلزم اطلاق الخالق على المصوّرين والحق أن الخلق لو كان بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد لا يلزم منه شيء من هذه الاشكالات روى أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يوحى اليه فأنا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح وروى عن عمر أيضا سبق لسانه بقوله فتبارك الله أحسن الخالقين قبل أن ينزل واعلم أن هذا غير مستبعد ولا قادح في اعجاز القرآن لأنه ليس بمقدار سورة الكوثر التي وقع فيها أقل التحدي به * سؤال ما الحكمة في الموت وهلا وصل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة ليكون في الانعام أبلغ * جواب لو كان كذلك لكان الآتي بالطاعة آتيا بها لمحض الجنة والثواب فلا جرم أوقع الله تعالى الاماتة والاعادة في البين لتكون الطاعات أدخل في الاخلاص وأبعد عن صورة المبايعة وليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر فتعرف تلك بدليل آخر ويمكن ان يقال بل الآية تتضمنها فانها أيضا من جنس الاعادة ۞ النوع الثاني الاستدلال بخلق السموات قال الخليل والفراء والزجاج سميت السموات طرائق لأنها طورق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وقال علي بن عيسى لانها

طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) أى عن السموات وحفظها أن لا تقع على الارض قاله سفيان بن عيينة وعن الحسن أراد بالخلق الناس أى ما كنا (غافلين) عن مصالحهم فخلقنا الطرائق فوقهم لينزل منها عليهم البركات والارزاق ولينتفعوا بغير ذلك من منافعها ويحتمل أن يريد بالاول كمال قدرته وبالثانى كمال علمه بأحوال مخلوقاته وفيه نوع من الزجر ويمكن أن يراد خلقنا السموات وما كنا عن خلقها ذاهلين فلهذا لم تخرج عن التقدير الذى أردنا كونها عليه نظيره ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ۞ النوع الثالث الاستدلال بنزول الامطار (١٠) واخراج النبات وانشاء الحيوانات ونزول المطر عند الظاهرين من أهل الشرع لا يبعد أن يكون من نفس السماء وعند أرباب المعقول منهم يراد به انزاله من جهة السماء قالوا انه سبحانه يصعد الأجزاء المائية من البحر بواسطة التبخير فتصير فى الجو صافية عذبة زائلة عنها ملوحة البحر ثم ينزلها بواسطة السحب وقد سلف فى أول البقرة تفصيل ذلك ومعنى (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضار ويصلون الى المنافع أو بمقدار يوافق حاجاتهم ومعنى اسكان ماء المطر فى الارض جعله مددا للينابيع والآبار وقيل أراد اثباته فى الارض على ما روى عن ابن عباس ان الانهار خمسة سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة واستودعها الجبال وأجراها فى الارض (وانا على ذهاب به لقادرون) أى كما قدرنا على انزاله فنحن قادرون على أن نذهب به بوجه من الوجوه ولهذا التنكير حسن موقع لا يخفى اذ فيه ايذان على أن الذاهب به قادر على أى وجه أراد وفيه تحذير من كفران نعمة الماء وتخويف من نفاده اذا لم يشكر ثم لما نبه على عظم نعمته بخلق الماء بين المنافع الحاصلة بسببه وخص منها النخل والاعناب وشجرة الزيتون لانها أكرم الشجر وأعمها نفعا ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع لامرين التفكه والتطعم وجوز فى الكشاف أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة كذا كأنه قال ومن هذه الجنان وجوه أرزاقكم ومعايشكم ووصف الزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا قال جار الله طور سيناء وطور سينين اما أن يكون الطور فيه مضافا الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما أن يكون المجموع اسما للجبل وهو جبل فلسطين على قول والطور الذى منه نودى موسى من قرأ سيناء بفتح السين فهو كصحراء ومن قرأ بكسرها فمنع صرفه للعلمية والعجمة أو التأنيث بتأويل البقعة ولا يكون ألفه حينئذ للتأنيث كعلباء وحرباء قال

ذكره ثم انكم أيها الناس من بعد انشائكم خلقا آخر وتصييرنا كم انسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم ثم انكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا مبعوثون من التراب خلقا جديدا كما بدأنا كم أول مرة وانما قيل ثم انكم بعد ذلك لميتون لانه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن وكذلك تقول العرب لمن لم يمت هو مائت وميت عن قليل ولا يقولون لمن قد مات مائت وكذلك هو طمع فيما عندك اذا وصف بالطمع فاذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غدا وكذلك ذلك فى كل ما كان نظير الماذكرناه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات بعضهن فوق بعض والعرب تسمى كل شئ فوق شئ طريقة وانما قيل للسموات السبع سبع طرائق لان بعضهن فوق بعض فكل سماء منهن طريقة ❊ وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال الطرائق السموات وقوله وما كنا عن الخلق غافلين يقول وما كنا فى خلقنا السموات السبع فوقكم عن خلقنا الذى تحتها غافلين بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون﴾ يقول تعالى ذكره وأنزلنا من السماء ما فى الارض من ماء فأسكناه فيها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض ماء هو من السماء وقوله وانا على ذهاب به لقادرون يقول جل ثناؤه وانا على الماء الذى أسكناه فى الارض لقادرون أن نذهب به فتهلكوا أيها الناس عطشا وتخرب أرضوكم فلا تنبت زرعا ولا غرسا وتهلك مواشيكم يقول فمن نعمتى عليكم تركى ذلك لكم فى الارض جاريا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون﴾ يقول تعالى ذكره فأحدثنا لكم بالماء الذى أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعناب لكم فيها يقول لكم فى الجنات فواكه كثيرة ومنها تأكلون يقول ومن الفواكه تأكلون وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والاعناب وخص جل ثناؤه الجنات التى ذكرها فى هذا الموضع فوصفها بأنها من نخيل وأعناب دون وصفها بسائر ثمار الارض لان هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها فكانت النخيل لأهل المدينة والأعناب لأهل الطائف فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من ثمارها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾ يقول تعالى ذكره وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء

وشجرة

في الكشاف بالدهن في موضع الحال والباء للمصاحبة دون التعدية لان نبات الدهن أو انباته لا يكاد يستعمل فالمعنى تنبت الشجرة وفيها الدهن أو تنبت الشجرة زيتونها وفيه الزيت ويجوز أن يكون أنبت بمعنى نبت أيضا والصبغ الادام لانه يصبغ الخبز قلت لا يبعد أن يريد بالصبغ نفس ثمر الزيتون لا الزيت وكذا يحتمل أن تكون الباء في بالدهن للتعدية الا أن يكون الانبات متعديا قال المفسرون انما أضافها الله تعالى الى هذا الجبل لانها منه تشعبت في البلاد وتفرقت أولان معظمها هنالك قوله (وان لكم في الانعام لعبرة) قد مر في النحل ولعل القصد بالانعام ههنا الابل خاصة لانها هي المحمول عليها في العادة ولانه قرنها بالفلك وهي سفائن البر كما أن الفلك سفائن البحر

وشجرة منصوبة عطفا على الجنات و يعني بها شجرة الزيتون وقوله تخرج من طور سيناء يقول تخرج من جبل ينبت الاشجار وقد بينت معنى الطور فيما مضى بشواهده واختلاف المختلفين بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله سيناء فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة سيناء بكسر السين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة سيناء بفتح السين وهما جميعا مجمعون على مدها والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * واختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه المبارك كأن معنى الكلام عنده وشجرة تخرج من جبل مبارك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله طور سيناء قال المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وشجرة تخرج من طور سيناء قال هو جبل بالشام مبارك * وقال آخرون معناه حسن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله طور سيناء قال هو جبل حسن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله من طور سيناء الطور الجبل بالنبطية وسيناء حسنه بالنبطية * وقال آخرون هو اسم جبل معروف ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله من طور سيناء قال الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله طور سيناء قال هو جبل الطور الذي بالشام جبل ببيت المقدس قال ممدود هو بين مصر و بين أيلة * وقال آخرون معناه أنه جبل ذو شجر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عمن قاله * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان سيناء اسم أضيف اليه الطور يعرف به كما قيل جبلا طيء فأضيفا الى طيء ولو كان القول في ذلك كما قال من قال معناه جبل مبارك أو كما قال من قال معناه حسن لكان الطور منونا وكان قوله سيناء من نعته على أن سيناء بمعنى مبارك وحسن غير معروف في كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجبل ولكن القول في ذلك ان شاء الله كما قال ابن عباس من أنه جبل عرف بذلك وأنه الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم وهو مع ذلك مبارك لا أن معنى سيناء معنى مبارك وقوله تنبت بالدهن اختلفت القراء في قراءة قوله

وانما قال في هذه السورة (فواكه كثيرة) بالجمع بخلاف ما في الزخرف لتناسب قوله هنا منافع كثيرة ولتناسب قوله جنات كما قال هنالك فاكهة على التوحيد لتناسب قوله وتلك الجنة وانما قال هنا في الموضعين (ومنها تأكلون) بزيادة الواو وخلاف الزخرف لأن تقدير الآية منها تدخرون ومنها تأكلون ومنها تبيعون ومنها ومنها وليس كذلك فاكهة الجنة فانها للاكل فحسب فافهم واعلم أنه لما انجر الكلام الى ذكر الفلك أتبعه قصة نوح لانه أول من ألهم صنعتها وفيه أيضا تمزيج القصص بدلائل التوحيد على عادة القرآن لاجل الاعتبار والتنشيط وقوله (مالكم من اله غيره) جملة مستأنفة تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة ومعنى (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن تتركوا عبادة من هو لوجوب وجوده مستحق العبادة ثم تذهبوا فتعبدوا ما ليس بهذه الصفة بل هو في أخس مراتب الامكان وهي الجمادية ثم حكى الله سبحانه عنهم شبها الاولى قولهم (ماهذا الا بشر مثلكم) انكار كون الرسول من جنس البشر أو انكار كونه مثلهم في الاسباب الدنيوية من المال والجاه والجمال كأنهم ظنوا أن القرب من الله يوجب المزية في هذه الامور ويتأكد هذا الاحتمال بالشبهة الثانية وهي قوله (يريد أن يتفضل عليكم) أي يتكلف طلب الفضل والرياسة عليكم نظيره وتكون لكما الكبرياء في الارض ويتأكد الاحتمال الاول بالشبهة الثالثة وهي قوله ولو شاء الله لأنزل ملائكة لعلو شأنهم ووفور علمهم وكمال قوتهم وقد حكى هذه الشبهة عن أقوام آخرين في حم السجدة قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة خص هذه السورة باسم الله على الاصل ولتقدم ذكر الله وخص تلك السورة باسم الرب لتقدم ذكر الرب في قوله ذلك رب العالمين وهم من جملة العالمين قالوه اما اعتقادا واما استهزاء الشبهة الرابعة الاعتصام بحبل التقليد (ما سمعنا بهذا) أي بمثل هذا الكلام أو بمثل هذا المدعى فيجوز أن يكونوا

صادقين فى ذلك للفطرة المتداولة ويجوز أن يكونوا تجاهلوا وتكذبوا لانهماكهم فى الغى وتشمرهم لدفع الحق واخفام النبى صلى الله عليه وسلم بأى وجه يمكنهم يؤيده الشبهة الخامسة وهى نسبتهم اياه الى الجنون مع علمهم ظاهرا بأنه أرجح الناس عقلا ورزانة قال جار الله الجنة الجنون أو الجن أى به جن يخبلونه وهذا بناء على زعم العوام أن المجنون ضرب به الجن ثم رتبوا على هذه الشبهة قولهم (فتربصوا به حتى حين) أى اصبروا عليه الى أن ينكشف جنونه و يفيق أو الى أن يموت أو يقتل وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام فانه عليه السلام كان يفعل أفعالا على خلاف عاداتهم وكان رؤساؤهم يقولون للعوام (١٣) انه مجنون لينفروهم عنه وليلبسوا عليهم أمره و يحتمل أن يكون هذا كلاما مستأنفا وهو أن يقولوا لقومهم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله ينصره و يقوى أمره فنحن حينئذ نتبعه وان كان كاذبا فالله يخذله و يبطل أمره فحينئذ نستريح منه واعلم أنه سبحانه لم يذكر جواب شبهاتهم لركاكتها ولانه قد علم فى هذا الكتاب الكريم أجوبتها غير مرة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون واذا بطل طريقة التقليد صار حديث التربص ضائعا بل يجب قبول قول من يدعى النبوة بعد ظهور المعجزة من غير توقف ثم حكى أن نوحا عليه السلام لما علم اصرارهم على الكفر (قال رب انصرنى) أى أهلكهم بسبب تكذيبهم اياى ففى نصرته اهلاكهم أو انصرنى بدل تكذيبهم اياى كقولك هذا بذاك والمراد بدلنى من غم التكذيب سلوة النصرة أو انصرنى بانجاز ما كذبونى فيه وهو وعد العذاب فى قوله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم و باقى القصة الى قوله انهم مغرقون قد مر تفسير مثلها فى سورة هود ومعنى فاسلك أدخل فيها وقد مر فى أول الحجر فى قوله كذلك نسلكه و (سبق عليه القول) نقيض سبقت لهم منا الحسنى لان على تستعمل فى الضار كما أن اللام تستعمل فى النافع وقد جاء زيادة منهم ههنا على الاصل وحذفت فى هود لحسن عطف ومن آمن من غير التباس و بشاعة قيل فى قوله بأعيننا على الجمع فساد قول المشبهة ان الله خلق آدم على صورته أما قوله (فاذا استويت) أى ركبت واستوليت (أنت ومن معك على الفلك فقل) لم يقل فقولوا لان أول الكلام مبنى على خطاب نوح ولان قول النبى قول الأمة مع ما فيه من الاشعار بفضله ومن اظهار الكبرياء وان كل أحد لا يليق لخطاب رب

تنبت فقرأته عامة قراء الامصار تنبت بفتح التاء بمعنى تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن وقرأه بعض قراء البصرة تنبت بضم التاء بمعنى تنبت الدهن تخرجه وذكر أنها فى قراءة عبد الله تخرج الدهن وقالوا الباء فى هذا الموضع زائدة كما قيل أخذت ثوبه وأخذت بثوبه وكما قال الراجز

نحن بنو جعدة أرباب الفلج * نضرب بالبيض ونرجو بالفرج

بمعنى ونرجو الفرج والقول عندى فى ذلك أنهما لغتان نبت وأنبت ومن أنبت قول زهير

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

و يروى نبت وهو كقوله فأسر بأهلك وفاسر غير أن ذلك وان كان كذلك فان القراءة التى لا أختار غيرها فى ذلك قراءة من قرأ تنبت بفتح التاء لاجماع الحجة من القراء عليها ومعنى ذلك تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تنبت بالدهن قال بثمره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والدهن الذى هو من ثمر الزيت كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تنبت بالدهن يقول هو الزيت يؤكل و يدهن به وقوله وصبغ للآكلين يقول تنبت بالدهن و بصبغ للآكلين يصطبغ بالزيت الذين يأكلونه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وصبغ للآكلين قال هذا الزيتون صبغ للآكلين يأتدمون به و يصطبغون به قال أبو جعفر فالصبغ عطف على الدهن ۞ القول فى تأويل قوله (وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون) يقول تعالى ذكره وان لكم أيها الناس فى الأنعام لعبرة تعتبرون بها فتعرفون بها أيادى الله عندكم وقدرته على ما يشاء وأنه الذى لا يمتنع عليه شىء أراده ولا يعجزه شىء شاءه نسقيكم مما فى بطونها من اللبن الخارج من بين الفرث والدم ولكم مع ذلك فيها يعنى فى الانعام منافع كثيرة وذلك كالابل التى يحمل عليها و يركب ظهورها و يشرب درها ومنها تأكلون يعنى من لحومها تأكلون وقوله وعليها وعلى الفلك تحملون يقول وعلى الانعام وعلى السفن تحملون على هذه فى البر وعلى هذه فى البحر ۞ القول فى تأويل قوله (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا نوحا الى قومه داعيهم الى طاعتنا وتوحيدنا والبراءة من كل معبود سوانا فقال لهم نوح يا قوم اعبدوا الله يقول قال لهم ذلوا يا قوم لله بالطاعة ما لكم من اله غيره يقول ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره أفلا تتقون

يقول

العزة وفى الامر بالحمد على هلاكهم تقبيح صورة الظلمة كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وانما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة من الغرق جزما لانه كان عرفه أن ذلك سبب نجاتهم من الاشتراك مع الظلمة فى حكم الاهلاك ثم أمره أن يسأل ماهو أهم وأنفع أن ينزله فى السفينة بدليل عطف وقل على جزاء فاذا استويت أو ينزله فى الارض عند خروجه من السفينة لانه لا يبعد أن يدعو عند ركوب السفينة بما يتعلق بالخروج منها (منزلا) أى انزالا أو موضع انزال يبارك له فيه بزيادة اعطاء خير الدارين وقد أمره أن يشفع بالدعاء الثناء المطابق للمسئلة وهو قوله (وأنت خير المنزلين) أى انزالا وذلك أنه أقدر (١٣) على الحفظ وأعلم بحال النازل بل كل منزل فانه

يقول أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحل بكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماهذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين﴾ يقول تعالى ذكره فقالت جماعة أشراف قوم نوح الذين جحدوا توحيد الله وكذبوه لقومهم مانوح أيها القوم الابشر مثلكم انما هو انسان مثلكم وكبعضكم يريد أن يتفضل عليكم يقول يريد أن يصير له الفضل عليكم فيكون متبوعا وأنتم له تبع ولو شاء الله لأنزل ملائكة يقول ولو شاء الله أن لا نعبد شيأ سواه لأنزل ملائكة يقول لأرسل بالدعاء الى مايدعوكم اليه نوح ملائكة تؤدى اليكم رسالته وقوله ماسمعنا بهذا الذى يدعونا اليه نوح من أنه لااله لنا غير الله فى القرون الماضية وهى آباؤهم الأولون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون﴾ يعنى تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملا الذين كفروا من قوم نوح ان هو الارجل به جنة مانوح الارجل به جنون وقد يقال أيضا للجن جنة فيتفق الاسم والمصدر وهو من قوله ان هو كناية اسم نوح وقوله فتربصوا به حتى حين يقول فتلبثوا به وتنظروا به حتى حين يقول الى وقت ما ولم يعنوا بذلك وقتا معلوما انما هو كقول القائل دعه الى يوم ما أو الى وقت ما وقوله قال رب انصرنى بما كذبون يقول قال نوح داعيا ربه مستنصرا به على قومه لما طال أمره وأمرهم وتمادوا فى غيهم رب انصرنى على قومى بما كذبون يعنى بتكذيبهم اياى فيما بلغتهم من رسالتك ودعوتهم اليه من توحيدك وقوله فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا يقول فقلنا له حين استنصرنا على كفرة قومه اصنع الفلك وهى السفينة بأعيننا يقول بمرأى منا ومنظر ووحينا يقول وبتعليمنا اياك صنعتها فاذا جاء أمرنا يقول فاذا جاء قضاؤنا فى قومك بعذابهم وهلاكهم وفار التنور وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين فى صفة فور التنور والصواب عندنا من القول فيه بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع فاسلك فيها من كل زوجين اثنين يقول فأدخل فى الفلك واحمل والهاء والالف فى قوله فيها من ذكر الفلك من كل زوجين اثنين يقال سلكته فى كذا وأسلكته فيه ومن سلكته قول الشاعر

وكنت لزاز خصمك لم أعرّد * وقد سلكوك فى يوم عصيب

و بعضهم يقول أسلكت بالالف ومنه قول الهذلى

حتى اذا أسلكوهم فى قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

لا يقدر على ايصال الخير الى النازل الا باقداره وتمكينه والفاء تلك الداعية فى قلبه (ان فى ذلك) الذى ذكر من القصة (لآيات) لعبرا ودلالات لمن اعتبر واذكر فان اظهار تلك المياه العظيمة والذهاب بها الى مقارها لا يقدر عليها الا القدير الخبير (وان كنا) هى المخففة من الثقيلة واللام فى (لمبتلين) هى الفارقة والمعنى وان الشأن والقصة كنا مبتلين أى مصيبين قوم نوح ببلاء الغرق أو مختبرين بهذه الآيات من يخلفهم لننظر من يعتبر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر وقيل المراد كما يعاقب بالغرق من كفر فقد يمتحن به من لم يكفر على وجه المصلحة لا التعذيب فليس الغرق كله على وجه واحد ۞ التأويل الفلاح الظفر والفوز والبقاء أى ظفر المؤمنون بالايمان الحقيقى المقيد بجميع الشرائط بنفوسهم ببذلها فى الله وفازوا بالوصول الى الله وبقوا به بعد أن فنوا فيه الخشوع فى الظاهر انتكاس الرأس وغض العين واستماع الاذن وقراءة اللسان ووضع اليمين على الشمال كالعبيد واعتدال الظهر فى القيام وانحناؤه فى الركوع وثبات القدمين

والخشوع فى الباطن سكون النفس عن الخواطر والهواجس وحضور القلب لمعانى القراءة والاذكار ومراقبة السر بترك الالتفات الى المكونات واستغراق الروح فى بحر المحبة وذوبانه عند تجلى صفات الجمال والجلال واللغو كل مايشغلك عن الله والزكاة تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة بل عن حب الدنيا لانه رأس كل خطيئة الاعلى أزواجهم فى كلمة على دلالة على أنهم يجب أن يستولوا على الازواج لا بالعكس والا كن عدوا لهم كقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وعلامة الاستيلاء على الازواج أن يبتغى بالنكاح النسل ورعاية السنة فى أوانها لاحظ النفس والا كان متجاوزا طريق الكمال لامانتهم يعنى التى حملها الانسان وعهدهم هو عهد الميثاق

في الازل يحافظون الفرق بين المحافظة والخشوع أن الخشوع معتبر في نفس الصلاة والمحافظة معتبرة فيها وفيما قبلها من الشرائط وفيما بعدها وهو أن لا يفعل ما يحبطها او يضيعها الوارثون لانهم أحياء القلوب وقد نالوا من المراتب ما خلفتها أموات القلوب من سلالة لانه سل من جميع أجزاء الارض فجاء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف أجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين ففيه حرص الفأرة والنملة وشهوة الحمار والعصفور وغضب الفهد والاسد وكبر النمر وبخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من الصفات الذميمة وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء الكلب وبكور الغراب وهمة البازي ونحوها من الاخلاق الحميدة فتبارك الله أحسن الخالقين لانه خلق أحسن المخلوقين أما من حيث الصورة فلانه تعالى خلق من نطفة متشابهة الاجزاء بدنا مختلف الابعاض والاعضاء كاللحم والشحم والعظم والشعر والظفر والعصب والعروق والمخ والانف والفم واليد والرجل وغيرها مما يشهد لبعضها علم التشريح وأما من حيث المعنى فلانه خلق الانسان مستعدا لحمل الامانة التي أبى حملها السموات والارض والجبال وسيجيء تحقيق ذلك في موضعه ثم انكم بعد ذلك لميتون الى قوله تبعثون فيه أن الانسان قابل لموت القلب ولموت النفس ولحشرهما وفي موت أحدهما حياة الآخر وحشره وموت القلب عبارة عن انغماسه وتستره في حجب الغواشي الآتية عليه من طرق الحواس الظاهرة وحاستي الوهم والخيال فلذلك قال ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق هي الاغشية والحجب من الجهات المذكورة وما كنا عن مصالح الخلق غافلين فلا نترك العبد في تلك الحجب بدليل قوله وأنزلنا من السماء سماء العناية ماء الرحمة بقدر استعداد السالك فأسكناه في أرض وجوده فأنشأنا لكم به جنات من نخيل المعارف وأعناب الكشوف وشجرة الخفي الذي يخرج من فان
طور سيناء الروح بتأثير تجلي أنوار الصفات تنبت بدهن حسن الاستعداد لقبول الفيض الالهي بلا واسطة لانه سر بين الله وبين الروح وصبغ لآكل الكونين بقوة الهمة ثم أخبر عن نعم الغالب أن فيها منافع لانها آلة تحصيل الكمال وعليها وعلى فلك الشريعة في سفر السير الى الله تحملون وتأويل قصة نوح قد مر في سورة هود والله أعلم ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاسلك فيها من كل زوجين اثنين يقول لنوح اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين وأهلك وهم ولده ونساؤهم الا من سبق عليه القول من الله بأنه هالك فيمن يهلك من قومك فلا تحمله معك وهو يام الذي غرق ويعني بقوله منهم من أهلك والهاء والميم في قوله منهم من ذكر الأهل وقوله ولا تخاطبني الآية يقول ولا تسألني في الذين كفروا بالله أن أنجيهم انهم مغرقون يقول فاني قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فاذا اعتدلت في السفينة أنت ومن معك ممن حملته معك من أهلك راكبا فيها عاليا فوقها فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين يعني من المشركين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام وقل اذا سلمك الله وأخرجك من الفلك فنزلت عنها رب أنزلني منزلا من الارض مباركا وأنت خير من أنزل عباده المنازل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله منزلا مباركا قال لنوح حين نزل من السفينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار رب أنزلني منزلا مباركا بضم الميم وفتح الزاي بمعنى أنزلني انزالا مباركا وقرأه عاصم منزلا بفتح الميم وكسر الزاي بمعنى أنزلني مكانا مباركا وموضعا وقوله ان في ذلك لآيات يقول تعالى ذكره ان فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد من اهلاكناهم اذ كذبوا رسلنا وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والأصنام لعبرا لقومك من مشركي قريش وعظات وحججا لنا عليهم يستدلون بها على سنتنا في أمثالهم فينزجروا عن كفرهم ويرتدعوا عن تكذيبك حذرا أن يصيبهم مثل الذي أصابهم من العذاب وقوله وان كنا لمبتلين يقول تعالى ذكره وكنا مختبريهم بتذكيرنا اياهم بآياتنا لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون﴾ يقول تعالى ذكره ثم أحدثنا من بعد مهلك قوم نوح قرنا آخرين فأوجدناهم فأرسلنا فيهم رسولا منهم داعيا لهم أن اعبدوا الله يا قوم وأطيعوه دون الآلهة والاصنام

مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون
هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال
رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم
قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم
أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى (١٥) فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين

فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) ۞ القراآت هيهات هيهات بكسر التاء فيهما يزيد والوقف بالتاء لا غير وهو الصحيح عنه وروى ابن وردان عنه بالكسر والتنوين فيهما الباقون بفتح التاء فيهما في الحالين الا الكسائي فانه يقف بالهاء تترا بالتنوين ابن كثير وأبو عمرو ويزيد والوقف بالألف لا غير الباقون بالياء في الحالين وأن هذه بفتح الهمزة وسكون النون ابن عامر وان بالكسر والتشديد عاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون وأن بالفتح والتشديد زبرا بفتح الباء عباس الآخرون بضمها ۞ الوقوف آخرين ه ج للآية مع الفاء

واتصال المعنى غيره ط يتقون ه الدنيا لا لأن ما بعده مقول القول مثلكم لا لأن ما بعده صفة بشر تشربون ه لخاسرون ه
مخرجون ه لما توعدون ه بمبعوثين ه لان الكل مقول الكفار وباب رخصة الضرورة وجواز اتيان الآية مفتوح بمؤمنين ه
ط بما كذبون ه نادمين ج ه للآية مع حسن الوصل تصديقا لقوله عما غثاء ط تفخيما للكلمة التبعيدية بالابتداء مع فاء التعقيب
الظالمين ه آخرين ه ط لان الجملة ليست بصفة لها الان العجز عن سبق الاجل لا يختص بهم يستأخرون ه ط لان ثم لترتيب الاخبار
تترا ط منونا قرئ أولا للابتداء بكلما أحاديث ج لما ذكر في غثاء لا يؤمنون ه مبين ه لا لتعلق الجار عالين ه ج للآية مع

فان العبادة لا تنبغي إلا له ما لكم من إله غيره يقول ما لكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه أفلا تتقون أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيأ دونه وهو الاله الذي لا اله لكم سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ يقول تعالى ذكره وقالت الاشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح وعني بالرسول في هذا الموضع صالحا وبقومه ثمود الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة يقول الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا بلقاء الآخرة يعني كذبوا بلقاء الله في الآخرة وقوله وأترفناهم في الحياة الدنيا يقول ونعمناهم في حياتهم الدنيا بما وسعنا عليهم من المعاش وبسطنا لهم من الرزق حتى بطروا وعتوا على ربهم وكفروا ومنه قول (١) الراجز * ولقد أراني بالديار مترفا * وقوله ما هذا الا بشر مثلكم يقول قالوا ابعث الله صالحا الينا رسولا من بيننا وخصه بالرسالة دوننا وهو انسان مثلنا يأكل مما نأكل منه من الطعام ويشرب مما نشرب وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته قال ويشرب مما تشربون معناه مما تشربون منه فحذف من الكلام منه لأن معنى الكلام ويشرب من شرابكم وذلك أن العرب تقول شربت من شرابك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملا من قوم صالح لقومهم ولئن أطعتم بشرا مثلكم فاتبعتموه وقبلتم ما يقول وصدقتموه انكم أيها القوم اذا لخاسرون يقول قالوا انكم اذا لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا باتباعكم اياه قوله أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما الآية يقول تعالى ذكره قالوا لهم أيعدكم صالح أنكم اذا متم وكنتم ترابا في قبوركم وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم وبقيت عظامها أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم قبل مماتكم وأعيدت أنكم مرتين والمعنى أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون مرة واحدة لما فرق بين أنكم الاولى وبين خبرها باذا وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظن وأخواته ثم اعترضت بالجزاء دون خبره فتكرر اسمه مرة وتحذفه أخرى فتقول أظن أنك ان جالستنا أنك محسن فان حذفت أنك الاولى أو الثانية صلح وان أثبتهما صلح وان لم تعترض بينهما بشيء لم يجز خطأ أن يقال أظن أنك أنك جالس وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله أيعدكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول الملا من ثمود أنهم قالوا هيهات هيهات أي بعيد ما توعدون أيها القوم من أنكم

(١) لعله الشاعر تأمل كتبه مصححه

الفاءعابدون ○ج لذلك المهلكين ○ يهتدون ○ ومعين ○ صالحا ط عليم ○ط لمن قرأوان بالكسر فاتقون ○ زبرا ط فرحون ○ حين ○ وبنين ○لا لأن نسارع مفعول ثان للحسبان الخيرات ط لايشعرون ○ ﴿التفسير﴾ عن ابن عباس وأكثر المفسرين ان هذه القرون هم عاد قوم هود لمجيء قصتهم على أثر قصة نوح فى غير هذا الموضع ولقوله تعالى فى الاعراف واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل انهم ثمود لانهم أهلكوا بالصيحة وقد قال الله تعالى فى هذه القصة فأخذتهم الصيحة ومعنى (فأرسلنا فيهم) جعلناهم موضع ارسال والا فلفظة أرسل لاتعدى الا بالى وضمن الارسال معنى القول ولهذا جيء بأن المفسرة أى قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) قال بعضهم قوله أفلا تتقون غير موصول بما قبله وانما قاله لهم بعد أن كذبوه وردّوا عليه الحجة والجمهور على أنه موصول لانه دعاهم الى الله وحذرهم عقابه ان لم يقبلوا قوله ولم يتركوا عبادة الاوثان قال جار الله انما قال فى هذه السورة وقال الملأ بالواو وفى الاعراف قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك فى سفاهة بغير واو ومثله فى سورة هود قالوا ياهود ماجئتنا ببينة لانه بنى الامر فى ذينك الموضعين على تقدير سؤال سائل وفى هذه السورة أراد أنه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل فعطف قولهم على قوله وقال السكاكى صاحب المفتاح انما قدم الجار والمجرور أعنى قوله من قومه على وصف الملا وهم الذين كفروا لطول الصلة بالمعطوفات ولانه لو أخر لأوهم أن قوله (من قومه) متعلق بالدنيا ومعنى لقاء الآخرة لقاء مافيها من الحساب والثواب والعقاب (و) معنى (أترفناهم) أنعمناهم بحيث شغلوا بالدنيا عن الاخرى وقوله (مما تشربون) أى من الذى تشربونه فحذف الضمير أو حذف منه لدلالة ماقبله عليه ثم أكدوا شبهتهم أن الرسول لايكون من جنس البشر بقولهم (ولئن أطعتم) واذن واقع فى جزاء الشرط وجواب لقومهم أى انكم اذا قبلتم قول مثلكم وأطعتموه خسرتم عقولكم وأبطلتم آراءكم اذلا ترجيح لبعض البشر على بعض فى معنى الدعوة الى طريق مخصوص هذا بيان كفرهم ثم بين تكذيبهم بلقاء الآخرة وطعنهم فى الحشر بقوله (أيعدكم) الآية قال جار الله ثنى أنكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل بالظرف ومخرجون خبر الاول أو أنكم مخرجون مبتدأ معناه اخراجكم وخبره اذا متم والجملة خبر الاول أو أنكم مخرجون فى تقدير وقع اخراجكم وهذا الجملة الفعلية جواب اذا والجملة الشرطية خبر الاول وفى حرف ابن مسعود أيعدكم اذا متم ثم أكدوا الاستفهام الانكارى

بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون أحياء من قبوركم يقولون ذلك غير كائن * وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله هيهات هيهات يقول بعيد بعيد حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله هيهات هيهات لما توعدون قال يعنى البعث والعرب تدخل اللام مع هيهات فى الاسم الذى يصحبها وتنزعها منه تقول هيهات لك هيهات وهيهات ماتبتغى هيهات واذا أسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيهات كأنه قال بعيد ماينبغى لك كما قال جرير

فهيهات هيهات العقيق ومن به * وهيهات خل بالعقيق نواصله

كأنه قال العقيق وأهله وانما أدخلت اللام مع هيهات فى الاسم لانهم قالوا هيهات أداة غير مأخوذة من فعل فأدخلوا معها فى الاسم اللام كما أدخلوها مع هلم لك اذ لم تكن مأخوذة من فعل فاذا قالوا أقبل لم يقولوا لك لاحتمال الفعل ضمير الاسم * واختلف أهل العربية فى كيفية الوقف على هيهات فكان الكسائى يختار الوقوف فيها بالهاء لانها منصوبة وكان الفراء يختار الوقوف عليها بالتاء ويقول من العرب من يخفض التاء فدل على أنها ليست بهاء التأنيث فصارت بمنزلة دراك ونظار وأما نصب التاء فيهما فلانهما أداتان فصارتا بمنزلة خمسة عشر وكان الفراء يقول ان قيل ان كل واحدة مستغنية بنفسها يجوز الوقوف عليها وان نصبها كنصب قوله ثمت جلست وبمنزلة قول الشاعر

(١) ياربتما غارة * شعواء كاللذعة بالميسم

قال فنصب هيهات بمنزلة هذه الهاء التى فى ربت لانها دخلت على حرف على رب وعلى ثم وكانا أداتين فلم تغيرهما عن أداتهما فنصبا * واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء الأمصار غير أبى جعفر هيهات هيهات بفتح التاء فيهما وقرأ ذلك أبو جعفر هيهات هيهات بكسر التاء فيهما والفتح فيهما هو القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان هى الا حياتنا الدنيا يقول ماحياة الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها نموت ونحيا يقول تموت الاحياء منا فلا تحيا وتحدث آخرون منا فيولدون أحياء ومانحن بمبعوثين يقول قالوا ومانحن بمبعوثين بعد الممات كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين قال يقول ليس آخرة ولا بعث يكفرون بالبعث يقولون انما هى حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء يقولون انما الناس كالزرع يحصد هذا وينبت هذا يقولون يموت هؤلاء ويأتى

(١) صدره كما فى اللسان ماوى ياربتما الخ كتبه مصححه

آخرون

بقولهم هيهات ومعناه بعد وهو اسم هذا الفعل وفي التكرير تأكيد آخر وكذا في اضمار الفاعل وتبيينه بقوله لما توعدون قال جار الله اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج هو في تقدير المصدر أي البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون ثم بين اترافهم بأنهم قالوا (ان هي الا حياتنا) أي الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي العائدة الى الحقيقة الذهنية فنفت ما بعدها نفي الجنس وقد مر في الانعام وانما زيد في هذه السورة قوله (نموت ونحيا) لان هذه الزيادة لعلها وقعت في كلام هؤلاء دون كلام أولئك ولم يريدوا بهذا الكلام أنفس

المتكلمين وحدهم بل أرادوا أنه يموت بعض

آخرون وقرأ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد وقرأ لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتبعثن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين﴾ يقول تعالى ذكره قالوا ما صالح الا رجل اختلق على الله كذبا في قوله ما لكم من اله غير الله وفي وعده اياكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون وقوله هو من ذكر الرسول وهو صالح وما نحن له بمؤمنين يقول وما نحن له بمصدقين فيما يقول انه لا اله لنا غير الله وفيما يعدنا من البعث بعد الممات وقوله قال رب انصرني بما كذبون يقول قال صالح لما أيس من ايمان قومه بالله ومن تصديقهم اياه بقولهم وما نحن له بمؤمنين رب انصرني على هؤلاء بما كذبون يقول بتكذيبهم اياي فيما دعوتهم اليه من الحق فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم اياه وتكذيبهم له فقال الله له مجيبا في مسئلته اياه ما سأل عن قليل يا صالح ليصبحن مكذبوك من قومك على تكذيبهم اياك نادمين وذلك حين تنزل بهم نقمتنا فلا ينفعهم الندم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فانتقمنا منهم فأرسلنا عليهم الصيحة فأخذتهم بالحق وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به وتكذيبهم رسوله فجعلناهم غثاء يقول فصيرناهم بمنزلة الغثاء وهو ما ارتفع على السيل ونحوه كما لا ينتفع به في شيء فانما هذا مثل والمعنى فأهلكناهم فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين يقول جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد غثاء كالرميم الهامد الذي يحتمل السيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فجعلناهم غثاء قال كالرميم الهامد الذي يحتمل السيل حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فجعلناهم غثاء قال هو الشيء البالي حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فجعلناهم غثاء قال هذا مثل ضربه الله وقوله فبعدا للقوم الظالمين يقول فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم اذ كفروا بربهم وعصوا رسله وظلموا أنفسهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد

ويولد بعض وينقرض قرن ويأتي قرن آخر ولو أنهم اعتقدوا أنهم يحيون بعد الموت لم يتوجه عليهم ذم ولناقضه قولهم وما نحن بمبعوثين ثم حكى أنهم زعموا أن كل ما ادعاه هود من الاستنباء وحديث البعث وغيره افتراء على الله وأنهم لا يصدقونه البتة فلا جرم (قال) هود داعيا عليهم كما دعا نوح على قومه (رب انصرني بما كذبون قال) الله مجيبا له (عما قليل) أي عن زمان قليل قصير (ليصبحن) جعل صيرورتهم (نادمين) دليلا على اهلاكهم لانه علم أنهم لا يندمون الا عند ظهور سلطان العذاب ووقوع أماراته وذلك وقت ايمان البأس وزيادة ما لتوكيد قصر المدة (الصيحة) صيحة جبريل كما سلف في الاعراف وفي هود ومعنى (بالحق) بالعدل كقولك فلان يقضي بالحق وعلى أصول الاعتزال بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك والغثاء حميل السيل مما بلي واسود من الاوراق والعيدان وغيرها شبههم بذلك في دمارهم أو في احتقارهم أو في قلة الاعتناء بهم وفي ضمن ذلك تشبيه استيلاء العذاب عليهم باستيلاء السيل على الغثاء يقلبه كيف يشاء ثم دعا عليهم بالهلاك في الدارين بقوله (فبعدا

للقوم الظالمين) كما مر في سورة هود وفيه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم وعرف الظالمين لكونهم مذكورين صريحا بخلاف ما يجيء من قوله فبعدا لقوم لا يؤمنون لانهم غير مذكورين الا بطريق الاجمال وذلك قوله (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) والظاهر أنهم قوم صالح ولوط وشعيب كما ورد في قصصهم على هذا الترتيب في الاعراف وفي هود وغيرهما وعن ابن عباس أنهم بنو اسرائيل والمعنى انا بعد ما أخلينا الديار من المكلفين أنشأناهم وبلغناهم حد التكليف حتى قاموا مقام من كانوا قبلهم ثم بين كمال علمه وقدرته في شأن المكلفين بقوله (ما تسبق من أمة) أي كل طائفة مجتمعة في قرن لها آجال مكتوبة في الحياة وفي الموت

بالهلاك أو الاهلاك لا يتقدمها ولا يتأخر عنها وفيه أن المقتول ميت بأجله وقال الكعبي معنى الآية أنهم لا يتقدمون وقت عذابهم ان لم يؤمنوا ولا يتأخرون عنه ولا يستأصلهم الا اذا علم منهم أنهم لا يزدادون الا العناد أو أنهم لا يلدون مؤمنا وأنه لا نفع في بقائهم لغيرهم ولا ضرر على أحد في هلاكهم ثم بين أن رسل الله كانوا بعد هذه القرون متواترين وأن شأنهم في التكذيب كان واحدا وكانت سنة الله فيهم باتباع بعضهم بعضا في الاهلاك والتاء في تترى بدل من الواو في الوتر وهو الفرد أي أرسلناهم واحدا بعد واحد والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فلذلك جاء في القرآن رسلنا ورسلهم (١٨) ورسولها وأحاديث يكون اسم جمع للحديث أو جمعا له من غير لفظه ومنه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا للاحدوثة من لفظها كالاضحوكة والاعجوبة وهو المراد من الآية أي جعلناهم أخبارا يسمعونها ويتعجب منها لانهم استؤصلوا فلم يبق فيهم عين ولا أثر سوى الحكاية ثم ذكر طرفا من قصة موسى عليه السلام عن الحسن بآياتنا أي بديننا كيلا يلزم منه تكرار لان السلطان المبين هو المعجز والاقرب قول ابن عباس أنها الآيات التسع لان الآيات عند ذكر الرسل يراد بها المعجزات في عرف القرآن والسلطان هو العصا لانها كانت أم آياته وأقدمها نخصت بالذكر لشرفها وقوة دلالتها ويجوز أن يراد أنها آيات في أنفسها وحجة بينة بالنسبة الى المتحدين بها أو يراد به تسلط موسى عليه السلام في الاستدلال على الصانع وأنه ما كان يقيم لهم وزنا ثم حكى عن فرعون وقومه صفتهم وشبهتهم أما الصفة فهي الاستكبار والعلو أي طلبوا الكبر وتكلفوه واستنكفوا عن قبول الحق وكانوا مع ذلك رفيعي الحال في أمور الدنيا غالبين قاهرين مستظهرين بالعدد والعدد وأما الشبهة فهي انكار كون الرسول من جنس البشر ولا سيما اذا كان قومهما وهم بنو اسرائيل خدما وعبيدا لهم قال أبو عبيدة العرب تسمي كل من دان لملك بمعنى
عابدا له ويحتمل أن يقال انه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم عبادة على الحقيقة والبشر يقع على الواحد وعلى الجمع والمثل يوصف به الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله ثم بين أنه لما خطرت هذه الشبهة ببالهم صرحوا بالتكذيب فأهلكوا لذلك وكانوا في حكم الله وعلمه كذلك ثم حكى ما جرى على قوم موسى بعد اهلاك عدوهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (لعلهم يهتدون) ومن الناس من ظن أن هذا الضمير راجع الى فرعون وملئه والمعنى أنه خص موسى بالكتب لا للتكذيب ولكن

قال أولئك ثمود يعني قوله فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ يقول تعالى ذكره ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين وقوله ما تسبق من أمة أجلها يقول ما يتقدم هلاك أمة من تلك الامم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها والوقت الذي وقتنا لفنائها ولكنها تهلك لمجيئه وهذا وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعلام منه لهم أن تأخيره في آجالهم مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله ليبلغوا الأجل الذي أجل لهم فيحل بهم نقمته كسنته فيمن قبلهم من الامم السالفة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا الى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود رسلنا تترى يعني يتبع بعضها بعضا وبعضها في أثر بعض وهي من المواترة وهي اسم لجمع مثل شيء لا يقال جاءني فلان تترى كما لا يقال جاءني فلان مواترة وهي تنون ولا تنون وفيها الياء فمن لم ينونها فهي فعلى من وترت ومن قال تترا يوهم أن الياء أصلية كما قيل معزى بالياء ومعزا وبهمى وبهما ونحو ذلك فأجريت أحيانا وترك اجراؤها أحيانا فمن جعلها فعلى وقف عليها أشار الى الكسر ومن جعلها ألف اعراب لم يشر لان ألف الاعراب لا تكسر لا يقال رأيت زيدا فيشار فيه الى الكسر ۞ وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى يقول يتبع بعضها بعضا حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ثم أرسلنا رسلنا تترى يقول بعضها على أثر بعض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تترى قال اتباع بعضها بعضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ثم أرسلنا رسلنا تترى قال يتبع بعضها بعضا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى قال بعضهم على أثر بعض يتبع بعضهم بعضا * واختلفت قراء الأمصار في قراءة ذلك فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة وبعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة تترا بالتنوين وكان بعض أهل مكة وبعض أهل المدينة وعامة قراء الكوفة يقرؤنه تترى بارسال الياء على مثال فعلى والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان في كلام العرب

بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أنى مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين لانها أفصح اللغتين وأشهرهما وقوله كلما جاء أمة رسولها كذبوه يقول كلما جاء أمة من تلك الامم التى أنشأناها بعد ثمود رسولها الذى نرسله اليهم كذبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا وقوله فأتبعنا بعضهم بعضا يقول فأتبعنا بعض تلك الامم بعضا بالهلاك فأهلكنا بعضهم فى إثر بعض وقوله وجعلناهم أحاديث للناس ومثلا يتحدث بهم فى الناس والاحاديث فى هذا الموضع جمع أحدوثة لان المعنى ما وصفت من أنهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم وقد يجوز أن يكون جمع حديث وانما قيل وجعلناهم أحاديث لانهم جعلوا حديثا ومثلا يتمثل بهم فى الشر ولا يقال فى الخير جعلته حديثا ولا أحدوثة وقوله فبعدا للقوم لا يؤمنون يقول فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله ولا يصدّقون برسوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين﴾ يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية موسى وأخاه هرون الى فرعون وأشراف قومه من القبط بآياتنا يقول بحججنا فاستكبروا عن اتباعها والايمان بما جاءهم به من عند الله وكانوا قوما عالين يقول وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ومن فى بلادهم من بنى اسرائيل وغيرهم بالظلم قاهرين لهم وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكانوا قوما عالين قال علوا على رسلهم وعصوا ربهم ذلك علوهم وقرأ تلك الدار الآخرة الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ يقول تعالى ذكره فقال فرعون وملؤه أنؤمن لبشرين مثلنا فنتبعهما وقومهما من بنى اسرائيل لنا عابدون يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون يأتمرون لامرهم ويدينون لهم والعرب تسمى كل من دان للملك عابدا له ومن ذلك قيل لاهل الحيرة العباد لانهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال فرعون أنؤمن لبشرين مثلنا الآية نذهب نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا كيف نصنع ذلك وذلك حين أتوهم بالرسالة وقرأ وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال العلو فى الأرض وقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين يقول فكذب فرعون وملؤه موسى وهرون فكانوا ممن أهلكهم الله كما أهلك من قبلهم من الامم بتكذيبها رسلها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا

ليهتدوا به فلما أصروا على الكفر مع البيان العظيم استحقوا الاهلاك وهو وهم لان موسى لم يؤت التوراة الا بعد اهلاك القبط بدليل قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى وفى قوله فى أول البقرة واذ نجيناكم من آل فرعون الى قوله واذ واعدنا موسى أربعين ليلة والقصة مشهورة فالصحيح أنه ذكر موسى وأراد قومه كما يقال هاشم وثقيف ويراد قومهم نظيره على خوف من فرعون وملئهم وقدمر فى آخر يونس ثم أجمل قصة عيسى بقوله (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) وقد مر بيانه فى آخر الانبياء فى قوله وجعلناها وابنها آية للعالمين قال جار الله لو قيل آيتين لجاز لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله ألقى اليها وقد تكلم فى المهد وكان يحيى الموتى مع معجزات أخر واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والأقرب حمل اللفظ على الوجه الذى لا يتم الا بمجموعهما وهو الولادة على الوجه العجيب الناقض للعادة والربوة بحركات الراء هى الارض المرتفعة عن كعب وقتادة وأبى العالية هى ايليا أرض بيت المقدس وأنها كبد الارض وأقرب الى السماء بثمانية عشر ميلا وعن الحسن فلسطين والرملة ومثله عن أبى هريرة قال الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التى ذكرها الله وقال الكلبى وابن زيد هى مصر والأكثرون على أنها دمشق وغوطتها والقرار المستقر من أرض منبسطة مستوية وعن قتادة أراد ذات ثمار وماء يعنى لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجارى على وجه الارض من عانه اذا أدركه بعينه فوزنه معيون على مفعول وقال الفراء والزجاج ان شئت جعلته فعيلا من الماعون وهو ما سهل على معطيه من أثاث البيت ومثله قول أبى على المعين السهل الذى ينقاد ولا يتعاصى وقال جار الله ووجه من جعله فعيلا أنه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة قال المفسرون سبب الايواء أنها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت بها اثنتى عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى أهلها بعد ما مات ملكهم قوله سبحانه (يا أيها الرسل) ليس على ظاهره لأنهم أرسلوا فى أزمنة مختلفة وفى تأويله وجوه أحدها الاعلام بأن كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع أن أمرا نودى له جميع الرسل حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه ويؤيد هذا التأويل ما روى عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس أنها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح من لبن فى شدة الحر عند فطره صلى الله عليه وسلم وهو صائم فرده الرسول اليها وقال من أين لك هذا فقالت

من شاة لي ثم رددته وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فأخذه ثم انها جاءته وقالت يارسول الله لم رددته فقال صلى الله عليه وسلم بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا وثانيها وهو قول محمد بن جرير أن المراد به عيسى وقد خاطب الواحد خطاب الجمع لشرفه وكقوله الذين قال لهم الناس والمراد نعيم بن مسعود ووقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي آويناهما وقلنا لهما هذا أي أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا الكلام فكلا مما رزقناكما واعملا عملا صالحا اقتداء بالرسل وثالثها وهو الاظهر عندي أن المراد نبينا صلى الله عليه (٣٠) وسلم لانه ذكر ذلك بعد انقضاء أخبار الرسل ووجه اتصال الكلام بما بعده ظاهر كما تقرر ووجه اتصاله بما قبله هو انتهاء الكلام الى ذكر المستلذ وبالحقيقة المراد به الامة كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء والطيب ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه أو هو الحلال وقيل طيبات الرزق حلال لا يعصى الله فيه وصاف لا ينسى الله فيه وقوام يمسك النفس ويحفظ العقل وفي تقديم الاكل من الطيبات على الامر بالعمل الصالح دليل على أن العمل الصالح لا بد أن يكون مسبوقا بأكل الحلال وفي قوله (اني بما تعملون عليم) تحذير من مخالفة هذا الامر وقال في سورة سبأ اني بما تعملون بصير وكلاهما من أسمائه تعالى الا أنه ورد ههنا على الاصل لان العلم أعم وهنالك راعى الفاصلة أو خصص لان الخطاب مخصوص بآل داود ومن قرأ وان بالكسر فعلى الاستئناف ومن قرأ بالفتح مخففا ومشددا فعلى حذف لام التعليل والمعلل فاتقون ثم من قال الخطاب لجميع الرسل فالمشار اليه بهذه هو أصول الاديان والشرائع التي لا خلاف فيها بين الرسل وجماعها تقوى الله كما ختم به الآية والضمير في تقطعوا راجع الى أممهم قال الكلبي ومقاتل والضحاك يعني مشركي مكة والمجوس واليهود والنصارى ومن قال الخطاب لعيسى فهذه اشارة الى ملته في وقتها وعلى القول الاظهر بل على جميع الاقوال المشار اليه ملة الاسلام كما مر مثله في آخر سورة الانبياء كأنه أمر هنالك بالعبادة التي هي أعم ثم أمر بالتقوى التي هي أخص ولهذا قال (فتقطعوا) بالفاء ليتوجه الذم أتم فان المأتي به كلما كان أبعد من المأمور به كان سبب الذم أقوى فلا يكون ترتب التقطع على التقوى كترتبه على العبادة ولهذا أكد التقطع بقوله (زبرا) بضم الباء جمع زبور أي حال كونه كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم أديانا ومذاهب شتى ومن قرأ بفتح الباء فمعناه قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد ثم أكد الذم بقوله (كل حزب بما) أي كل فريق منهم

موسى التوراة ليهتدي بها قومه من بني اسرائيل ويعملوا بما فيها وجعلنا ابن مريم وأمه آية يقول وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم وعلى قدرتنا على انشاء الاجسام من غير أصل كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية قال ولدته من غير أب هو له ولذلك وحدت الآية وقد ذكر مريم وابنها وقوله وآويناهما الى ربوة يقول وضممناهما وصيرناهما الى ربوة يقال أوى فلان الى موضع كذا فهو يأوي اليه اذا صار اليه وعلى مثال أفعلته فهو يؤويه وقوله الى ربوة يعني الى مكان مرتفع من الارض على ما حوله ولذلك قيل للرجل يكون في رفعة من قومه وعز وشرف وعدد هو في ربوة من قومه وفيها لغتان ضم الراء وكسرها اذا أريد بها الاسم واذا أريد بها الفعلة من المصدر قيل ربا ربوة * واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة وآوى اليه مريم وابنها فقال بعضهم هو الرملة من فلسطين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا بشر بن رافع قال ثني ابن عم لابي هريرة يقال له أبو عبد الله قال قال لنا أبو هريرة الزموا هذه الرملة من فلسطين فانها الربوة التي قال الله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين حدثني عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا عباد أبو عتبة الخواص قال ثنا يحيى بن أبي عمرو السيباني عن ابن وعلة عن كريب قال ما أدري ما حدثنا مرة البهزي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أن الربوة هي الرملة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبد الله ابن عم أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول في قول الله الى ربوة ذات قرار ومعين قال هي الرملة من فلسطين حدثنا ابن بشار قال ثنا صفوان قال ثنا بشر بن رافع قال ثني أبو عبد الله ابن عم أبي هريرة قال قال لنا أبو هريرة الزموا هذه الرملة التي بفلسطين فانها الربوة التي قال الله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين * وقال آخرون هي دمشق ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن الوليد القرشي قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال في هذه الآية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال زعموا أنها دمشق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال بلغني عن ابن المسيب أنه قال دمشق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب مثله حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي قال ثنا ابن بكير قال ثنا الليث بن سعد قال ثني عبد الله بن لهيعة عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال الى ربوة من ربى مصر قال وليس الربى الا في مصر والماء حين يرسل تكون الربى عليها القرى لولا الربى لغرقت تلك

القرى

القرى * وقال آخرون هى بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال هو بيت المقدس * قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كان كعب يقول بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن كعب مثله * وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر وليس كذلك صفة الرملة لان الرملة لا ماء بها معين والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وآويناهما الى ربوة قال الربوة المستوية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الى ربوة قال مستوية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ذات قرار ومعين يقول تعالى ذكره من صفة الربوة التى آوينا اليها مريم وابنها عيسى أنها أرض منبسطة وساحة وذات ماء ظاهر لغير الباطن جار * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومعين قال المعين الماء الجارى وهو النهر الذى قال الله قد جعل ربك تحتك سريا حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد فى قوله ذات قرار ومعين قال المعين الماء حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد معين قال ماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد فى قوله ذات قرار ومعين قال المكان المستوى والمعين الماء الظاهر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومعين هو الماء الظاهر * وقال آخرون عنى بالقرار الثمار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ذات قرار ومعين هى ذات ثمار وهى بيت المقدس حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * قال أبو جعفر وهذا القول الذى قاله قتادة فى معنى ذات قرار وان لم يكن أراد بقوله انها انما وصفت بأنها ذات

مغتبط بما اتخذه دينا لنفسه معجب به يرى أنه المحق الرابح وغيره المبطل الخاسر ثم بالغ فى الذم والتهديد بقوله (فذرهم فى غمرتهم) وهذا الامر مما يدل على أن المخاطب بقوله يا أيها الرسل هو نبينا صلى الله عليه وسلم وقد يطلق لفظ الجماعة على الواحد تعظيما وتفخيما كقوله ان ابراهيم كان أمة والغمرة الماء الذى يغمر القامة قال جار الله ضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وغوايتهم أو شبهوا باللاعبين فى غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قلت وأنت اذا تأملت فيما أسلفنا لك فى المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب عرفت الفرق بين الوجهين قال فى الكشاف (الى حين) أى الى أن يقتلوا أو يموتوا والتحقيق أنه الحالة التى يظهر عندها الحسرة والندامة وذلك اذا عرّفهم الله بطلان ما كانوا عليه وعرّفهم سوء منقلبهم فيشمل الموت والقبر والمحاسبة والنار وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن الجزع من تأخير عقابهم ثم ان القوم كانوا أصحاب نعمة ورفاهة فبين الله تعالى أن ذلك الذى جعله مددا لهم وهو المال والبنون سبب لاستدراجهم الى زيادة الاثم نظيره فى آل عمران انما نملى لهم ليزدادوا اثما وما فى أنما موصولة والرابط محذوف أى نسارع لهم فيه وفى قوله (بل لا يشعرون) أنهم أشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا أهو استدراج أم مسارعة فى الخير وفيه أنه سبحانه أعطاهم هذه النعم ليكونوا متمكنين بها من الاشتغال بطلب الحق وحين أعرضوا عن الحق كان لزوم الحجة عليهم أقوى ﴿ التأويل يأكل مما تأكلون لم يعلموا أنهم وان كانوا يأكلون مما يأكلون ولكنهم لا يأكلون كما يأكلون المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام وأهل الله يأكلون ويشربون من مقام أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وقومهما لنا عابدون أى فى حال الطفولية كانت صفات الروح والقلب عون النفس وتربيتها وتربية صفاتها لاستكمال القالب الى حد البلوغ والاستعداد لتحمل أعباء تكاليف الشرع وآويناهما يعنى مريم النفس وعيسى القلب الى ربوة القالب الذى فيه قرارهما ويجرى فيه ماء معين الحكمة من القلب على اللسان يا أيها الرسل أى القوى المرسلة الى القالب ﴿ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا

لا تنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم (٢٣) وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ﴾

القراآت تهجرون بضم التاء وكسر الجيم نافع الآخرون بفتح التاء وضم الجيم خرجا فخراج بغير الالف فيهما ابن عامر كلاهما بالالف حمزة وعلي وخلف الباقون بحذف الالف من الاول واثباتها في الثاني فتحنا بالتشديد يزيد سيقولون الله الثانية والثالثة أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون باللام فيهما كالاول حملا على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا في معنى واحد ۞ الوقوف

قرار لما فيها من الثمار ومن أجل ذلك يستقر فيها ساكنوها فلا وجه له نعرفه وأما معين فانه مفعول من عنته فأنا أعينه وهو معين وقد يجوز أن يكون فعيلا من معن يمعن فهو معين من الماعون ومنه قول عبيد بن الابرص

واهية أو معين ممعن * أو هضبة دونها لهوب

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم ﴾ يقول تعالى ذكره وقلنا لعيسى يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذي طيبه الله لكم دون الحرام واعملوا صالحا تقول في الكلام للرجل الواحد أيها القوم كفوا عنا أذاكم وكما قال الذين قال لهم الناس وهو رجل واحد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل قال ثني عبيد بن اسحق الضبي العطار عن حفص بن عمر الفزاري عن أبي اسحق السبيعي عن عمرو بن شرحبيل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه وقوله اني بما تعملون عليم يقول اني بأعمالكم ذو علم لا يخفى علي منها شيء وأنا مجازيكم بجميعها وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها فخذوا في صالحات الاعمال واجتهدوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله وان هذه أمتكم أمة واحدة فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وأن بالفتح بمعنى اني بما تعملون عليم وأن هذه أمتكم أمة واحدة فعلى هذا التأويل أن في موضع خفض عطف بها على ما من قوله بما تعملون وقد يحتمل أن تكون في موضع نصب اذا قرئ ذلك كذلك ويكون معنى الكلام حينئذ واعلموا أن هذه ويكون نصبها بفعل مضمر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بالكسر وان هذه على الاستئناف والكسر في ذلك عندي على الابتداء هو الصواب لان الخبر من الله عن قيله لعيسى يا أيها الرسل مبتدأ فقوله وان هذه مردود عليه عطفا به عليه فكان معنى الكلام وقلنا لعيسى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقلنا وان هذه أمتكم أمة واحدة وقيل ان الامة الذي في هذا الموضع الدين والملة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله وان هذه أمتكم أمة واحدة قال الملة والدين وقوله وأنا ربكم فاتقون يقول وأنا مولاكم فاتقون بطاعتي تأمنوا عقابي ونصبت أمة واحدة على الحال وذكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك رفعا وكان بعض نحويي البصرة يقول رفع ذلك اذا رفع على الخبر ويجعل أمتكم نصبا على البدل من هذه وأما نحويو الكوفة فيأبون ذلك الا في ضرورة شعر وقالوا لا يقال مررت بهذا غلامكم لان هذا لا تتبعه الا الالف واللام والاجناس لان

هذا هذا
مشفقون ○ لا يؤمنون ○ لا يشركون ○ لا راجعون ○ لا لأن الكل معطوفات على اسم ان والخبر أولئك الجملة سابقون ○ لا يظلمون ○ عاملون ○ يجأرون ○ لا لحق القول لا تنصرون ○ تنكصون ○ لا لأن ما بعده حال مستكبرين ○ قد قيل على جعل الجار والمجرور مفعول سامرا أو مفعول تهجرون ○ الاولين ○ منكرون ○ لصورة الاستفهام وهو العطف جنة ط كارهون ○ فيهن ط معرضون ○ ط لان الاستفهام انكار خير ز وقد قيل بناء على أن الواو للابتداء والحال أوجه الرازقين ○ مستقيم ○ لناكبون ○ يعمهون ○ يتضرعون ○ مبلسون ○ والافئدة ط تشكرون ○ تحشرون ○

والنهار ط تعقلون ٥ الاوّلون ٥ لمبعوثون ٥ الاوّلين٥ تعلمون ٥ لله ط تذكرون ٥ العظيم ٥ لله ط تتقون ٥ تعلمون ٥ لله ط تسحرون ٥ لكاذبون ٥ ﴿ التفسير انه سبحانه لما نفى الخيرات الحقيقية عن الكفرة المتنعمين أتبعه ذكر من هو أهل للخيرات عاجلا وآجلا فوصفهم بصفات أربع الاولى الاشفاق من خشية ربهم وظاهره ينبئ عن تكرار لان الاشفاق يتضمن الخشية فمنهم من قال جمع بينهما للتأكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب أي من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبي ومقاتل ومنهم من حمل الاشفاق على أثره وهو الدوام في الطاعة والمعنى الذين هم من خشيته دائمون على طاعته (٢٣) جادّون في طلب مرضاته ومنهم من قال الاشفاق كمال الخوف أي هم من سخط الله عاجلا ومن عقابه آجلا في نهاية الخوف ويلزم ذلك أن يكونوا في غاية الاحتراز عن المعاصي وفيه أنهم اذا كانوا خائفين من الخشية فلأن يخافوا من عدم الخشية أولى الثانية قوله (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) والظاهر أنها القرآن وقيل هي المخلوقات الدالة على وجود الصانع وليس المراد التصديق بوجودها فقط فان ذلك معلوم بالضرورة فلا يوجب المدح بل التصديق بكونها دلائل موصلة الى العرفان ويتبعه الاقرار اللساني ظاهرا الثالثة التبري عما سوى الله ظاهرا وباطنا بأن لا يشرك به طرفة عين الرابعة قوله (والذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما أعطوا (وقلوبهم وجلة) خائفة في شأن ذلك الاعطاء ثم علل ذلك الوجل بقوله (أنهم) أي لانهم (الى ربهم راجعون) فان من اعتقد الرجوع الى الجزاء والمساءلة ونشر الصحف وتتبع الاعمال وعلم أن المجازي هو الذي لا يخفى عليه الضمائر والسرائر لم يخل عمله من حسن النية وخلوص الطوية بحيث يكون أبعد عن الرياء وأدخل في الاخلاص والظاهر أن هذا الايتاء مختص بالزكاة والتصدق ويحتمل أن يراد اعطاء كل فعل أو خصلة أي اتيانها يؤيده ماروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ويأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوا وعن عائشة أنها قالت قلت يارسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يابنت الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه وفي قوله (يسارعون في الخيرات) معنيان أحدهما يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثاني أنهم يتعجلون في الدنيا وجوه المنافع والاكرام لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها قال جار الله وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقال في قوله (وهم لها

هذا اشارة الى عدد فالحاجة في ذلك الى تبين المراد من المشار اليه أيّ الاجناس هو وقالوا واذا قيل هذه أمتكم أمة واحدة والامة غائبة وهذه حاضرة قالوا فغير جائز أن يبين عن الحاضر بالغائب قالوا فلذلك لم يجز ان هذا زيد قائم من أجل أن هذا محتاج الى الجنس لا الى المعرفة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله زبرا فقرأته عامة قراء المدينة والعراق زبرا بمعنى جمع الزبور فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء فتفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة دينهم الذي أمرهم الله بلزومه زبرا كتبا فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذي دان به الفريق الآخر كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة وكذبوا بحكم الانجيل والقرآن وكالنصارى الذين دانوا بالانجيل بزعمهم وكذبوا بحكم الفرقان ذكر من تأوّل ذلك كذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة زبرا قال كتبا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بينهم زبرا قال كتب الله فرقوها قطعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا قال مجاهد كتبهم فرقوها قطعا * وقال آخرون من أهل هذه القراءة انما معنى الكلام فتفرقوا دينهم بينهم كتبا أحدثوها يحتجون فيها لمذاهبهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون قال هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب كل معجبون برأيهم ليس أهل هواء الا وهم معجبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم وقرأ ذلك عامة قراء الشام فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا بضم الزاي وفتح الباء بمعنى فتفرقوا أمرهم بينهم قطعا كزبر الحديد وذلك القطع منها واحدتها زبرة من قول الله آتوني زبر الحديد فصار بعضهم يهودا وبعضهم نصارى * والقراءة التي نختار في ذلك قراءة من قرأه بضم الزاي والباء لاجماع أهل التأويل في تأويل ذلك على أنه مراد به الكتب فذلك يبين عن صحة ما اخترنا في ذلك لان الزبر هي الكتب يقال منه زبرت الكتاب اذا كتبته فتأويل الكلام فتفرق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الامم دينهم بينهم كتبا كما بينا قبل وقوله كل حزب بما لديهم فرحون يقول كل فريق من تلك الامم بما اختاروه لانفسهم من الدين والكتب فرحون معجبون به لا يرون أن الحق سواه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كل حزب بما لديهم فرحون قطعة وهؤلاء أهل الكتاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كل حزب قطعة أهل الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فذرهم فى غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) * قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا فى غمرتهم فى ضلالتهم وغيهم حتى حين يعنى الى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذرهم فى غمرتهم حتى حين قال فى ضلالهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فذرهم فى غمرتهم حتى حين قال الغمرة الغمر وقوله أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين يقول تعالى ذكره أيحسب هؤلاء الاحزاب الذين فرقوا دينهم زبرا أن الذى نعطيهم فى عاجل الدنيا من مال وبنين نسارع لهم يقول نسابق لهم فى خيرات الآخرة ونبادر لهم فيها وما من قوله أنما نمدهم به نصب لانها بمعنى الذى بل لا يشعرون يقول تعالى ذكره تكذيبا لهم ما ذلك كذلك بل لا يعلمون أن امدادى اياهم بما أمدهم به من ذلك انما هو املاء واستدراج لهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أنما نمدهم قال نعطيهم نسارع لهم قال نزيدهم فى الخير نملى لهم قال هذا لقريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمر بن على قال ثنى أشعث بن عبد الله قال ثنا شعبة عن خالد الحذاء قال قلت لعبد الرحمن بن أبى بكرة قول الله نسارع لهم فى الخيرات قال يسارع لهم فى الخيرات وكأن عبد الرحمن بن أبى بكرة وجه بقراءته ذلك كذلك الى أن تأويله يسارع لهم امدادنا اياهم بالمال والبنين فى الخيرات ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون) يعنى تعالى ذكره بقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ان الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون فهم من خشيتهم من ذلك دائبون فى طاعته جادون فى طلب مرضاته والذين هم بآيات ربهم يؤمنون يقول والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدقون والذين هم بربهم لا يشركون يقول والذين يخلصون لربهم عبادتهم فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثن ولا لصنم ولا يراؤن بها أحدا من

سابقون) انه متروك المفعول أو منوبه أى فاعلون السبق لاجلها أو سابقون الناس لاجلها والمراد اياها سابقون كقولك هو لزيد ضارب بمعنى هو زيدا ضارب جئت باللام لضعف عمل اسم الفاعل ولا سيما فيما قبله والمعنى أنهم ينالون الخيرات قبل الاخرى حيث عجلت لهم فى الدنيا وجوّز أن يكون لها سابقون خبرين أحدهما بعد الآخر كقولك هذا هو لهذا الامر أى صالح له وحين انجر الكلام الى ذكر أعمال المكلفين ذكر حكمين لها الاول قوله (ولا نكلف نفسا الا وسعها) وفى الوسع قولان أحدهما أنه الطاقة والآخر أنه دون الطاقة وهو قول المعتزلة ومقاتل والضحاك والكلبى لانه اتسع (٢٤) فيه على المكلف ولم يضيق مثاله ان لم يستطع أن يصلى قائما فليصل قاعدا والا فليوم ايماء وفيه أن هذا الذى وصف به الصالحين غير خارج من وسعهم الثانى قوله (ولدينا كتاب ينطق) والمراد بنطقه اثبات كل عمل فيه وهو اللوح أو صحيفة الاعمال لا يقرؤن منها يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل والبحث بين الاشاعرة والمعتزلة فى مثل هذا المقام معلوم أما قوله (بل قلوبهم فى غمرة من هذا) ففيه طريقان أحدهما راجع الى الكفار والمعنى بل قلوب الكفار فى غفلة غامرة لها من هذا الذى بيناه فى القرآن أو من هذا الذى ينطق بالحق أو الذى عليه هؤلاء المؤمنون (ولهم أعمال) متجاوزة لذلك الذى وصف به المؤمنون كمتابعة الهوى وطلب الدنيا والاعراض عن المولى (هم لها عاملون) فى الحال على سبيل الاعتياد لا يفطمون عنها حتى يأخذهم العذاب أو فى الاستقبال لانها مبينة فى علم الله مكتوبة فى اللوح عليهم أن يعملوا بها بحكم الشقاء الازلى وثانيهما وهو اختيار أبى مسلم أن هذه الآيات من صفات المشفقين كأنه سبحانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ونهايته ما أتى به هؤلاء ولدينا كتاب يحفظ أعمالهم بل قلوبهم فى غمرة من هذا الذى وصفناهم به أهو مقبول عند الله أم مردود ولهم أعمال من دون ذلك الذى وصفهم لها عاملون وهى النوافل السرية والاعمال القلبية ثم انه رجع الى وصف الكفار بقوله (حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) وهو عذاب الآخرة أو قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والأولاد والجؤار الصراخ باستغاثة ثم أخبر أنه يقال لهم حينئذ على جهة التبكيت (لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون) لا تغاثون من جهتنا أو لا تمنعون منا ثم عدد عليهم التوبيخ بقبائحهم ومعنى النكوص على العقبين التباعد عن الحق

خلقه

خلقه ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصا وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله والذين يؤتون ما آتوا والذين يعطون أهل سهمان الصدقة ما فرض الله لهم في أموالهم ما آتوا يعني ما أعطوهم إياه من صدقة ويؤدون حقوق الله عليهم في أموالهم إلى أهلها وقلوبهم وجلة يقول خائفة من أنهم إلى ربهم راجعون فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله فهم خائفون من المرجع إلى الله لذلك كما قال الحسن إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبجر عن رجل عن ابن عمر يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الزكاة حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد وقلوبهم وجلة قال المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي الأشهب عن الحسن قال يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعملون ما عملوا من أعمال البر وهم يخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال المؤمن ينفق ماله ويتصدق وقلبه وجل أنه إلى ربه راجع حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن أنه كان يقول إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة وإن المنافق جمع إساءة وأمنا ثم تلا الحسن إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون إلى وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون وقال المنافق إنما أوتيته على علم عندي حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة يؤتون ما آتوا قال يعطون ما أعطوا وقلوبهم وجلة يقول خائفة حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا إسرائيل قال أخبرنا سالم الأفطس عن سعيد بن جبير في قوله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة قال يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون إلى الموت وهي من المبشرات حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا ويعملون ما عملوا من خير وقلوبهم وجلة خائفة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا علي قال ثني معاوية عن ابن عباس قوله والذين يأتون ما آتوا وقلوبهم وجلة يقول يعملون خائفين قال حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا فرقا من الله ووجلا من الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول

والتجافي عنه كمن رجع على ورائه وقد مر في الأنعام وفي مرجع الضمير في به أقوال أحدها أنه البيت العتيق أو الحرم والذي سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت والتفاخر بولايته والقيام به وكانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم وثانيها مستكبرين بهذا التراجع والتباعد وثالثها مستكبرين بالقرآن على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أو على أن الباء للسببية لأن سماع القرآن كان يحدث لهم استكبارا وعتوا ورابعها أنه يتعلق بسامرا أو بتهجرون والهجر بالضم الفحش وبالفتح الهذيان وأهجر في منطقه إذا أفحش والضمير للقرآن أو للنبي أي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه أو في النبي (٣٥) وكانت عامة سمرهم حول البيت ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع ثم بين أن سبب إقدامهم على الكفر أحد أمور أربعة الأول عدم التدبر في القرآن لأنهم إن تدبروه وتأملوا مبانيه ومعانيه ظهر لهم صدقه وإعجازه فصدقوا به وبمن جاء به الثاني قوله ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ والمراد أمر الرسالة ثم المقصود تقرير أنه لم يأت آباءهم الأقربين رسول كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فلذلك أنكروه واستبعدوه أو تقرير أنه أتى آباءهم الأقدمين رسل وذلك أنهم عرفوا بالتواتر أن رسل الله فيهم كثيرة وكانت الأمم بين مصدق ناج وبين مكذب هالك بعذاب الاستئصال فادعاهم ذلك إلى تصديق هذا الرسول وآباؤهم إسمعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وقيل أراد أفلم يدبروا القرآن فيخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الأمن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فإنه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فإنهم كانوا على الإسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في أن تبعا كان مسلما الثالث قوله ﴿أم لم يعرفوا﴾ نبه بذلك على أنهم عرفوه وعرفوا صحة نسبته وأمانته فكيف كذبوه بعد أن اتفقت كلمتهم على أنه أمين الرابع نسبتهم إياه إلى الجنون وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلا ولكنه جاء بما يخالف هواهم فتشككوا في أمره أو شككوا العوام إبقاء على مناصبهم ورياستهم ثم أضرب عن أقوالهم منبها على مصدوقية أمر النبي فقال ﴿بل جاءهم﴾ متلبسا ﴿بالحق﴾ أو الباء للتعدية والحق الدين القويم والصراط المستقيم ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ وأقلهم كانوا

لا يكرهونه وان لم يظهروا الايمان به خوفا من قالة الاعداء كما يحكى عن أبي طالب ولهذا جاء الخلاف في صحة اسلامه ثم بين أن الالهية تقتضي الاستقلال في الاوامر والنواهي وأن الحق والصواب ينحصر فيما دبره اله العالمين وقدره فقال (ولو اتبع الحق أهواءهم) نظيره ما مر في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل الحق الاسلام والمراد لو انقلب الاسلام شركا كما تقتضيه أهواؤهم لجاء الله بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة الحق هو الله والمعنى لو كان الله آمرا بالشرك والمعاصي على وفق آرائهم لما كان الها ولكان شيطانا فلا يقدر على امساك السموات والارض وحينئذ يختل نظام العالم (٣٦) ثم ذكر أن نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال (بل أتيناهم بذكرهم) ان كانت الباء للتعدية فظاهر وان كانت للمصاحبة فعلى حذف مضاف أي أتاهم رسولنا متلبسا بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو صيتهم وفخرهم أو الاضافة بدل اللام العهدي أي بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ثم بين أن دعوته ليست مشوبة بالطمع الموجب للنفرة فقال أم تسألهم خرجا أي جعلا وكذا الخراج وقد مر في آخر الكهف وقيل الخرج أقل ولذا قرأ الاكثرون خرجا فخراج يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وحين أثبت لرسوله مواجب قبول قوله ونفى عنه أضدادها صرح بمضمون أمره ومكنون سره فقال (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) هو دين الاسلام لا تدعوهم الى غيره من الطرق المنحرفة عن جادة الصواب وأشار الى هذه الطرق بقوله (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المذكورون فيما تقدم أو كل من لا يؤمن بالآخرة (عن الصراط) المستقيم المذكور (لناكبون) والتركيب يدور على العدول عن القصد ومنه المنكب لمجمع عظم العضد والكتف والنكباء الريح التي تعدل عن مهاب الرياح للقوم ثم بين اصرارهم على الكفر بقوله (ولو رحمناهم) الآية يروى قال أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنا الضر فأنزل الله الآية والمعنى لو كشف الله برحمته هذا الهزال والجوع عنهم لأصروا على ما هم فيه من الطغيان ثم استشهد على ذلك بقوله (ولقد أخذناهم) أي قبل ذلك (بالعذاب) يعني ما جرى عليهم يوم بدر (فما استكانوا لربهم) أي ما خضعوا لله

أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يؤتون ما آتوا ينفقون ما أنفقوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا وينفقون ما أنفقوا ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم وجلة اتقاء لسخط الله والنار وعلى هذه القراءة أعني على والذين يؤتون ما آتوا قرأة الامصار وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرأ لاجماع الحجة من القراء عليه ووفاقه خط مصاحف المسلمين وروي عن عائشة رضي الله عنها في ذلك ما حدثناه أحمد ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا علي بن ثابت عن طلحة بن عمر عن أبي خلف قال دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة فسألها عبيد كيف نقرأ هذا الحرف والذين يؤتون ما آتوا فقالت يأتون ما أتوا وكأنها تأولت في ذلك والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمر بن قيس عن عبد الرحمن بن سعيد ابن وهب الهمداني عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قالت عائشة يا رسول الله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه فقال لا ولكن من يصوم ويصلي ويتصدق وهو وجل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب أن عائشة قالت قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يذنبون وهم مشفقون (١) ويصومون وهم مشفقون حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن مغيث عن رجل من أهل مكة عن عائشة قالت قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة قال فذكر مثل هذا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن مالك ابن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد عن عائشة أنها قالت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر قال لا يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني جرير عن ليث بن أبي سليم وهشيم عن العوام بن حوشب جميعا عن عائشة أنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق هم الذين يصلون ويفرقون أن لا يتقبل منهم وأن من قوله أنهم الى ربهم راجعون في موضع نصب لان معنى الكلام وقلوبهم وجلة من أنهم فلما حذفت من اتصل الكلام قبلها فانصبت وكان بعضهم يقول هي في موضع خفض وان لم يكن الخافض ظاهرا وقوله أولئك يسارعون في الخيرات يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم يبادرون في الاعمال الصالحة ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولئك يسارعون في الخيرات

(١) لعل فيه سقطا والأصل قال لا ولكن الذين يصلون وهم مشفقون ويصومون الخ كتبه مصححه

وقدمر اشتقاقه فى آل عمران (وما يتضرعون) عدل الى المضارع لانه أراد وما من عادة هؤلاء أن يتضرعوا حتى فتحنا عليهم باب العذاب الشديد وهو الجوع الذى هو أشد من الاسر والقتل فأبلسوا الساعة أى خضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة وأخشنهم عريكة يستعطفك ويحتمل أن يراد محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما شوهد منهم انقياد للحق وهم كذلك اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون والابلاس السكوت مع تحير أو اليأس من كل خير ثم نبه بقوله (وهو الذى أنشأ لكم) على أن أسباب التأمل فى الدلائل موجودة وأبواب الاعذار بالكلية مسدودة فما كفر من كفر ولا عند من عند الا للشقاء الازلى وفى قوله (قليلا **(٣٧)** ما تشكرون) أى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتوكيد دليل على أن المقر أقل من الجاحد وعن أبى مسلم أنه قال أراد بالقلة العدم وفى الآية ثلاثة معان أحدها اظهار النعمة وثانيها مطالبة العباد بالشكر عليها فشكر السمع أن لا يسمع الا لله وبالله ومن الله وشكر البصر أن ينظر بنظر العبرة لله وبالله والى الله وشكر الفؤاد تصفيته عن رين الاخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين لشهوده بالله وثالثها الشكاية أن الشاكر قليل ثم بين دلائل أخر على الوحدانية فقال (وهو الذى ذرأكم) أى خلقكم وبثكم فى الارض للتناسل والى حيث لا مالك سواه تحشرون بعد تفرقكم (وهو الذى يحيى ويميت) وفيه مع تذكر نعمة الحياة بيان أن المقصود منها الانتقال الى دار الثواب (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو مختص بتصريفهما وأنهما يشبهان الموت والحياة وفى قوله (أفلا تعقلون) توبيخ وتهديد ثم نبه بقوله (بل قالوا) الآيات على أنه لا شبهة لهم فى انكار البعث الا التشبث بحبل التقليد والاستبعاد قال علماء المعانى قوله (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) وارد على الاصل لان التأكيد مذكور عقيب المؤكد وبعده المفعول الثانى وأما فى سورة النمل فسبب تقديم المفعول الثانى على الضمير وعلى المعطوف هو أنه اقتصر هنالك على قوله ترابا وآباؤنا والتراب أبعد فى باب الاعادة من العظام فقدم ليدل على مزيد الاعتناء به فى شأن الاستنكار ثم رد على منكرى الاعادة أو على عبدة الاوثان بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) أى ان كان عندكم علم فأجيبونى وفيه استهانة بهم وتجهيل لهم بأمر الديانات حتى جوز أن يشتبه عليهم مثل هذا المكشوف الجلى وفى قوله (أفلا تذكرون) ترغيب فى التدبر وبعث على التأمل فى أمر التوحيد والبعث فان من قدر على اختراع الارض ومن فيها كان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه وكان قادرا على اعادة ما أفناه وفى قوله (أفلا تتقون) مثل هذا الترغيب مع التخويف وكان أولى بالآية الثانية

قال والخيرات المخافة والوجل والايمان والكف عن الشرك بالله فذلك المسابقة الى هذه الخيرات وقوله وهم لها سابقون كان بعضهم يقول معناه سبقت لهم من الله السعادة فذلك سبوقهم الخيرات التى يعملونها ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وهم لها سابقون يقول سبقت لهم السعادة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهم لها سابقون فتلك الخيرات وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى وهم اليها سابقون وتأوله آخرون وهم من أجلها سابقون * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب القول الذى قاله ابن عباس من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم فى الخيرات ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها وانما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام لان ذلك أظهر معنييه وأنه لا حاجة بنا اذا وجهنا تأويل الكلام الى ذلك الى تحويل معنى اللام التى فى قوله وهم لها الى غير معناها الأغلب عليها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ولا نكلف نفسا الا ما يسعها ويصلح لها من العبادة ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع ولدينا كتاب ينطق بالحق يقول وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشر ينطق بالحق وهم لا يظلمون يقول يبين بالصدق عما عملوا من عمل فى الدنيا لا زيادة عليه ولا نقصان ونحن موفو جميعهم أجورهم المحسن منهم باحسانه والمسىء باساءته وهم لا يظلمون يقول وهم لا يظلمون بأن يزاد على سيآت المسىء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جرمه وينقص المحسن عما عمل من احسانه فينقص عما له من الثواب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾ يقول تعالى ذكره ما الامر كما يحسب هؤلاء المشركون من أن امدادناهم بما نمدهم به من مال وبنين بخير نسوقه بذلك اليهم ولرضانا عنهم ولكن قلوبهم فى غمرة عمى عن هذا القرآن وعنى بالغمرة ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج وعنى بقوله من هذا من القرآن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى غمرة من هذا قال فى عمى من هذا القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله فى غمرة من هذا قال من القرآن وقوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون يقول تعالى ذكره ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصى من دون ذلك يقول من دون أعمال أهل الايمان بالله وأهل التقوى والخشية له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

لاجل التدريج ولتعظيم السموات والعرش ولان تذكر واجب الوجود مقدم على اتقاء مخالفته قال جارالله أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (ان كنتم تعلمون) بهذه الصفة غيره فأجيبوني به ومعنى (تسحرون) تخدعون عن طاعته والخادع هو الشيطان والهوى ثم بين بقوله (بل أتيناهم بالحق) أنه قد بالغ في الحجاج عليهم بهذه الآيات حتى استبان بما هو الحق والصدق (وانهم) مع ذلك (لكاذبون) حيث يدعون له الولد والشريك وينسبون اليه العجز عن الاعادة ۞ التأويل من خشية ربهم مشفقون اشارة الى استيلاء سلطان الهيبة في الحضور (٢٨) والغيبة بآيات ربهم يؤمنون هي ما يكاشف لهم من شواهد الحق في السر والعلانية بربهم لا يشركون هو ترك الملاحظة في رد الناس وقبولهم ومدحهم وذمهم وانقطاع النظر في المضار والضار عن الوسائط والاسباب يسارعون في الخيرات يتوجهون الى الله وينقطعون عما سواه وهم لها سابقون على قدر سبق العناية ولا نكلف نفسا الا وسعها كلفهم أن يقولوا لا اله الا الله وهم قادرون على ذلك وأمرهم بقبول دعوة الانبياء وما هم بعد بعاجزين عنه وقد كتب في اللوح أنهم يقدرون على هذه التكاليف وهم لا يظلمون فلا يكلفون ما ليس في وسعهم واستعدادهم حتى اذا أخذنا أكابر مجرميها مجرميهم بعذاب فساد الاستعداد لفسدت سموات أرواحهم وأرض نفوسهم ومن فيهن من القلب والسر وهو خير الرازقين فيه أن العلماء بالله عليهم أن لا يدنسوا وجوه قلوبهم الناضرة بدنس الاطماع الفارقة ولقد أخذناهم أولا بعذاب الغبن حتى اذا فتحنا عليهم باب عذاب الرين يحيي بنوره قلوب بعض عباده ويميت نفوسهم عن صفاتها الذميمة أو يحيي بعض النفوس باتباع شهواتها ويميت بعض القلوب باستيلاء ظلمات الطبيعة عليها وله اختلاف ليل البشرية ونهار الروحانية أو طول ليل الفراق وقصر نهار الوصال قالوا أئذا متنا فيه أن اليأس من الوصول والوصال ليس من شيم أهل الكمال فقد تقوم قيامة العشق فيبعث القلب الميت أو من كان ميتا فأحييناه ملكوت كل شيء هي جهة روحانيته وهو يجير الاشياء بقيوميته عن الهلاك ولا مانع له ممن أراد به أن لا يجيره قال

﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال الخطايا حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولهم أعمال من دون ذلك قال الحق حدثنا علي بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولهم أعمال من دون ذلك قال خطايا من دون ذلك الحق * قال ثنا حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله ولهم أعمال من دون ذلك الآية قال أعمال دون الحق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ثم قال للكفار بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال من دون الاعمال التي منها قوله من خشية ربهم مشفقون والذين والذين حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد بن أبي الزرقاء عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن عن قول الله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال أعمال لم يعملوها سيعملونها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال لم يكن له بد من أن يستوفي بقية عمله ويصلى به حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد في قوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها حدثنا عمرو قال ثنا مروان بن معاوية عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى ولهم أعمال من دون ذلك قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون﴾ يقول تعالى ذكره ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون الى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قال المترفون العظماء اذا هم يجأرون يقول فاذا أخذناهم به جأروا يقول ضجوا واستغاثوا مما حل بهم من عذابنا ولعل الجؤار رفع الصوت كما يجأر الثور ومنه قول الاعشى

يراوح من صلوات المليـ * ـك طورا سجودا وطورا جؤارا

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله

يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون (٢٩) انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ❁ القراآت عالم بالرفع أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وعاصم غير حفص الا الخزاز وقرأ رويس بالخفض اذا وصل وبالرفع اذا ابتدأ الآخرون بالخفض لعلى أعمل بسكون الياء عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان شقاوتنا حمزة وعلى وخلف والمفضل الباقون شقوتنا بكسر الشين وسكون القاف فى غير ألف سخريا بضم السين وكذلك فى صاد أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف والمفضل والخزاز عن هبيرة الآخرون بكسرها انهم بالكسر حمزة وعلى والخزاز عن هبيرة قل كم قل ان لبثتم على الامر فيهما حمزة وعلى وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل ووافق ابن كثير فى الاول لا ترجعون على البناء للفاعل يعقوب وحمزة وعلى وخلف ❁ الوقوف على بعض ط يصفون ○ ط لمن قرأ بالرفع الى هو عالم ومن خفض لم يقف لانه بدل أو وصف يشركون ○ ما يوعدون ○ لا لأن قوله فلا جواب الشرط وهو اما والنداء عارض الظالمين ○ لا لقادرون ○ السيئة ط يصفون ○ الشياطين ○ لا يحضرون ○ ارجعون ○ لا لتعلق لعل كلا ط لانها للردع عما قبلها أى لا يرجع وقيل مبتدأ بها بمعنى حقا والاول أحسن قائلها ط يبعثون ○ ولا يتساءلون ○ المفلحون ○ خالدون ○ كالحون ○ تكذبون ○ ضالين ○ ظالمون ○ ولا تكلمون ○ الراحمين ○ ج للآية والوصل أجوز لشدة اتصال المعنى والفاء تضحكون ○ صبروا ط

قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس اذا هم يجأرون يقول يستغيثون حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن علقمة بن قردد عن مجاهد فى قوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون قال بالسيوف يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله اذا هم يجأرون قال يجزعون * قال ثنا حجاج عن ابن جريج حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قال عذاب يوم بدر اذا هم يجأرون قال الذين بمكة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب يعنى أهل بدر أخذهم الله بالعذاب يوم بدر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله اذا هم يجأرون قال يجزعون وقوله لا تجأروا اليوم يقول لا تضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذى لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم فان ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيأ مما قد نزل بكم من سخط الله انكم منا لا تنصرون يقول انكم من عذابنا الذى قد حل بكم لا تستنقذون ولا يخلصكم منه شئ * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس لا تجأروا اليوم لا تجزعوا اليوم حدثنى يونس قال أخبرنا الربيع بن أنس لا تجأروا اليوم لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب انه لا ينفعكم فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش لا تجأروا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم قد كانت آياتى تتلى عليكم يعنى آيات كتاب الله يقول كانت آيات كتابى تقرأ عليكم فتكذبون بها وترجعون مولين عنها اذا سمعتموها كراهية منكم لسماعها وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء نكص فلان على عقبه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فكنتم على أعقابكم تنكصون قال تستأخرون حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فكنتم على أعقابكم تنكصون يقول تدبرون حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون يعنى أهل مكة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء

لمن قرأ انهم بالكسر الفائزون ○ سنين ○ العادّين ○ تعلمون ○ لا ترجعون ○ الحق ○ لا لان مابعده يصلح مستأنفا وحالا أى تعالى متوحدا غير مشارك الا هو ○ لا لأن قوله رب العرش يصلح بدلا من هو وخبر مبتدأ محذوف الكريم ط آخر لا لأن الجملة بعده صفة به لا لأن مابعده جواب عندر به ط الكافرون ○ الراحين ○ ۞ التفسير لما أثبت لنفسه الالهية بالدلائل الالزامية فى الآيات المتقدمة نفى عن نفسه الأنداد والاضداد بقوله (ما اتخذ الله من ولد) وبقوله (وما كان معه من اله) وفيه رد على القائلين بأن الملائكة بنات الله وابطال لاقوال اليهود والنصارى والثنوية ثم ذكر (٣٠) شبه دليل التمانع بقوله (اذا لذهب) وهو جواب لمن معه المحاجة من أهل الشرك وجواب الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق تقديره ولو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد منهم بالخلق الذى خلقه واستبد به لان اجتماعهم على خلق واحد لا يتصوّر فان ذلك يقتضى عجز الواحد عن ذلك الخلق وحينئذ يكون ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخرين (ولعلا بعضهم على بعض) أى لغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا من تمايز الممالك ومن التغالب وعدم اللازم يدل على عدم الملزوم فلذلك ختم الآية بقوله (سبحان الله عما يصفون) الى قوله عما يشركون ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق ومحاسن العادات قائلا (قل رب اما ترينى) أى ان كان لا بد من أن ترينى ما تعدهم من العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة (فلا تجعلنى) قريبا لهم وقد يجوز أن يستعيذ العبد بالله مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية واستكانة له ويؤيده تكرار رب مرتين وكانوا ينكرون العذاب ويسخرون منه فأكد وقوعه بقوله (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) قيل فيه دليل على أن القدرة تصح على المعدوم لانه أخبر أنه قادر على تعجيل عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك ثم أمره بالصفح عن سيآتهم ومقابلتها بما يمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كان أحسن لانها حسنة مضاعفة بازاء سيئة أو نقول المكافأة حسنة ولكن العفو أحسن عن ابن عباس هى شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد هى أن يسلم عليه اذا لقيه قيل هى منسوخة بآية السيف والاولى أن يقال هى محكمة لان المداراة مستحبة مالم تؤد الى محذور (نحن أعلم بما يصفون) مما ليس فيك من المثالب والمراد أنه أقدر على جزائهم فعليه أن يفوض أمرهم الى الله ويدفع أذاهم بالكلام الجميل والسلام وبيان الادلة على أحسن الوجوه ثم أتبع هذا التعليم ما يقوّيه على ذلك وهو الاستعاذة

جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تنكصون قال تستأخرون وقوله مستكبرين به يقول مستكبرين بحرم الله يقولون لا يظهر علينا فيه أحد لانا أهل الحرم * و بنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله مستكبرين به يقول مستكبرين بحرم البيت انه لا يظهر علينا فيه أحد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله مستكبرين به قال بمكة بالبلد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن مستكبرين به قال مستكبرين بحرمى حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير فى قوله مستكبرين به بالحرم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مستكبرين به قال مستكبرين بالحرم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله مستكبرين به قال بالحرم وقوله سامرا يقول تسمرون بالليل و وحد قوله سامرا وهو بمعنى السمار لانه وضع موضع الوقت ومعنى الكلام تهجرون ليلا فوضع السامر موضع الليل فوحد لذلك وقد كان بعض البصريين يقول وحد ومعناه الجمع كما قيل طفل فى موضع أطفال ومما يبين عن صحة ما قلنا فى أنه وضع موضع الوقت فوحد لذلك قول الشاعر

من دونهم ان جئتهم سمرا * عزف القيان ومجلس غمر

فقال سمرا لان معناه ان جئتهم ليلا وهم يسمرون وكذلك قوله سامرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله سامرا يقول يسمرون حول البيت حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سامرا قال مجلسا بالليل حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد سامرا قال مجالس حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير سامرا قال تسمرون بالليل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سامرا قال كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول

أخبرنا

أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله سامرا قال يعنى سمر الليل وقال بعضهم فى ذلك ما حدثنا به ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سامرا يقول سامرا من أهل الحرم آمنا لا يخاف كانوا يقولون نحن أهل الحرم لا يخافون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة سامرا يقول سامرا من أهل مكة آمنا لا يخاف قال كانوا يقولون نحن أهل الحرم لا نخاف وقوله تهجرون اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء الامصار تهجرون بفتح التاء وضم الجيم ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالاعراض عن القرآن أو البيت أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه والآخر أن يكون عنى أنهم يقولون شيأ من القول كما يهجر الرجل فى منامه وذلك اذا هذى فكأنه وصفهم بأنهم يقولون فى القرآن ما لا معنى له من القول وذلك أن يقولوا فيه باطلا من القول الذى لا يضره وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل ذكر من قال كانوا يعرضون عن ذكر الله والحق ويهجرونه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله تهجرون قال يهجرون ذكر الله والحق حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن السدى عن أبى صالح فى قوله سامرا تهجرون قال السب * ذكر من قال كانوا يقولون الباطل والسيئ من القول فى القرآن حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير تهجرون قال يهجرون فى الباطل * قال ثنا يحيى عن سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير سامرا تهجرون قال يسمرون بالليل يخوضون فى الباطل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تهجرون قال بالقول السيئ فى القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تهجرون قال الهذيان (٣) الذى يتكلم بما لا يريد ولا يعقل كالمريض الذى يتكلم بما لا يدرى قال وكان أبى يقرؤها سامرا تهجرون وقرأ ذلك آخرون سامرا تهجرون بضم التاء وكسر الجيم وممن قرأ ذلك كذلك من قراء الامصار نافع بن أبى نعيم بمعنى يفحشون فى المنطق و يقولون الخنا من قولهم أهجر الرجل اذا أفحش فى القول وذكر أنهم كانوا يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس تهجرون قال تقولون هجرا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن أبى نهيك عن عكرمة أنه قرأ سامرا تهجرون أى تسبون حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا

بالله من همزات الشياطين والهمز النخس ومنه مهماز الرائض وذلك أنهم يحثون الناس على المعاصى بأنواع الوساوس كما يحث الرائض الدابة على المشى بالمهماز وهى حديدة تكون فى مؤخر خفه عن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد استفتاح الصلاة اللهم انى أعوذ بك من همزات الشياطين همزه ونفخه ونفثه فهمزه الجنون ونفثه الشعر ونفخه الكبر ثم أمره بالتعوذ من أن يحضروه أصلا كما يقال أعوذ بالله من خصومتك بل أعوذ بالله من لقائك وعن ابن عباس أراد الحضور عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع والاولى العموم عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد اشتكى اليه رجل أرقا به فقال اذا أردت النوم فقل أعوذ (٣١) بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون قوله (حتى اذا جاء) قيل متعلق بقوله وانهم لكاذبون وقيل بيصفون أى لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما اعتراض وتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم والمراد بمجىء الموت أماراته التى تحقق عندها الموت وصارت المعرفة ضرورية فحينئذ يسأل الرجعة ولا ينافى هذا السؤال الرجعة عند معاينة النار كقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب والاكثرون على أنهم الكفار وروى الضحاك عن ابن عباس أنها تشمل من لم يزك ولم يحج لقوله وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى وأما وجه الجمع فى قوله ارجعون مع وحدة المنادى فقيل ان الجمعية راجعة الى الفعل كأنه قال ارجع ارجع مرات ونظيره ألقيا فى جهنم أى ألق ألق وقيل رب للقسم والخطاب للملائكة القابضين للارواح أى بحق الله ارجعون والاقرب أن الجمع للتعظيم كقول الشاعر

ألا فارحمونى يا اله محمد * وقوله فان شئت حرمت النساء سواكم * عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال جار الله أى لعلى آتى بما تركته من الايمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلى أبنى على أس تريد أؤسس أسا وأبنى عليه وقيل أى فيما خلفت من المال والاولى العموم فيدخل فيه العبادات البدنية والمالية والحقوق كأنهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما أفسدوه و يطيعوا فيما عصوا قيل كيف سألوا الرجعة وقد علموا صحة الدين بالضرورة ومن الدين أن لا رجعة والجواب بعد تسليم أنهم عرفوا كل الدين ان الانسان قد يتمنى شيأ مع علمه بتعذره كقول القائل ليت الشباب يعود والاستغاثة بجنس هذه المسألة قد تحسن وقولهم (لعلى) ليس

المراد به الشك وانما هو كقول المقصر مكنوني لعلي أتدارك مع كونه جازما بأنه سيتدارك ويحتمل أنهم وان كانوا جازمين بذلك الا أن أمر المستقبل مبني على الظن والتخمين دون اليقين فلذلك أوردوا الكلام بصورة الترجي ثم ردعهم بقوله (كلا) أي ليس الامر على ما توهموه من امكان الرجعة (انها كلمة) والمراد بها طائفة من الكلام منتظم بعضها مع بعض وهي قوله ارجعون لعلي أعمل صالحا (هو قائلها) لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والحيرة عليه وهو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه (ومن ورائهم) الضمير لكل المكلفين أي امامهم (برزخ) حائل بينهم وبين الجنة (٣٢) أو النار وبين الجزاء التام (الى يوم يبعثون) وذلك البرزخ هو مدة ما بين الموت الى البعث ولعل بعض الحجب من الاخلاق الذميمة يندفع في هذه المدة وقال في الكشاف حائل بينهم وبين الرجعة ومعناه الاقناط الكلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة ثم وصف يوم البعث بقوله (فاذا نفخ في الصور) قد مر معناه في أواخر طه وقوله (فلا أنساب بينهم) ليس المراد به نفي النسب لان ذلك ثابت بالحقيقة فاذن المراد حكمه وما يتفرع عليه من التعاطف والتراحم والتواصل فقد يكون أحد القريبين في الجنة والآخر في النار ويكون بكل مكلف من اشتغال نفسه ما يمنعه من الالتفات الى أحوال نسبه عن قتادة لا شيء أبغض الى الانسان من أن يرى من يعرفه مخافة أن يثبت له عليه شيء وأما الجمع بين قوله (ولا يتساءلون) وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فظاهر لان هذا في صفة أهل الموقف وذلك في صفة أهل الجنة ولو سلم أن كليهما في وصف أهل الموقف فلن نسلم اتحاد المواطن والازمنة وغيرها من الاعتبارات التي يقع فيها التساؤل كحقوق النسب ونحوها عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس حين يرمى الى كل انسان كتابه وعند الموازين وعلى جسر جهنم وقد مر مثل آية الموازين في أول الاعراف فليرجع الى هنالك وقوله (في جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل له كالمبدل فان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدأ محذوف ومعنى خسران أنفسهم امتناع انتفاعهم بها وقال ابن عباس خسروها بأن صارت منازلهم للمؤمنين ومعنى (تلفح) تسفع أي تضرب وتأكل لحومهم وجلودهم النار قاله ابن عباس وعن الزجاج ان اللفح والنفح واحد الا ان اللفح أشد تأثيرا والكلوح أن يتقلص الشفتان عن الاسنان كالرؤس المشوية يروى أن عتبة الغلام مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن وعن

۞ القول

عون عن الحسن في قوله سامرا تهجرون رسولي حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قال الحسن تهجرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تهجرون يقول يقولون سوأ حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن تهجرون كتاب الله ورسوله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله تهجرون يقول يقولون المنكر والخنا من القول كذلك هجر القول * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا القراءة التي عليها قراء الامصار وهي فتح التاء وضم الجيم لاجماع الحجة من القراء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون﴾ يقول تعالى ذكره أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه فيعلموا ما فيه من العبر ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين يقول أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم فاستكبروا ذلك وأعرضوا فقد جاءت الرسل من قبلهم وأنزلت معهم الكتب وقد يحتمل أن تكون أم في هذا الموضع بمعنى بل فيكون تأويل الكلام أفلم يدبروا القول بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه اذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك وقد ذكر عن ابن عباس في ذلك نحو هذا القول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة عن ابن عباس في قوله أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين قال لعمري لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين ولكن أولم يأتهم ما لم يأت آباءهم الاولين وقوله أم لم يعرفوا رسولهم يقول تعالى ذكره أم لم يعرف هؤلاء المكذبون محمدا وأنه من أهل الصدق والامانة فهم له منكرون يقول فينكروا قوله أولم يعرفوه بالصدق ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه يقول جل ثناؤه فكيف يكذبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والامانة أم يقولون به جنة يقول أيقولون محمد مجنون فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول بل جاءهم بالحق يقول تعالى ذكره فان يقولوا ذلك فكذبهم في قيلهم ذلك واضح بين وذلك أن المجنون يهذي فيأتي من الكلام بما لا معنى له ولا يعقل ولا يفهم والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحق الذي لا تخفى صحته على ذي فطرة صحيحة فكيف يجوز أن يقال هو كلام مجنون وقوله وأكثرهم للحق كارهون يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول وفيما يدعوهم اليه ولكن أكثرهم للاذعان للحق كارهون ولاتباع محمد ساخطون حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الارض

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾ يقول تعالى ذكره ولو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وارادتهم وترك الحق الذى هم له كارهون لفسدت السموات والارض ومن فيهن وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الامور والصحيح من التدبير والفاسد فلو كانت الامور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع ايثار أكثرهم الباطل على الحق لم تقر السموات والارض ومن فيهن من خلق الله لان ذلك قام بالحق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا السدى عن أبى صالح ولو اتبع الحق أهواءهم قال الله * قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح ولو اتبع الحق أهواءهم قال الحق هو الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولو اتبع الحق أهواءهم قال الحق الله وقوله بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون اختلف أهل التأويل فى تأويل الذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم هو بيان الحق لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بل أتيناهم بذكرهم يقول بينا لهم * وقال آخرون بل معنى ذلك بل أتيناهم بشرفهم وذلك أن هذا القرآن كان شرفا لهم لانه نزل على رجل منهم فأعرضوا عنه وكفروا به وقالوا ذلك نظير قوله وانه لذكر لك ولقومك وهذان القولان متقاربا المعنى وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما لخلقه اليه الحاجة من أمر دينهم وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشرف لهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم تسئلهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم﴾ يقول تعالى ذكره أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خرجا يعنى أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحق فخراج ربك خير فأجر ربك على نفاذك لأمره وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا قال لهم كما قال الله له وأمره بقيله لهم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وانما معنى الكلام أم تسألهم على ما جئتهم به أجرا فنكصوا على أعقابهم اذا تلوته عليهم مستكبرين بالحرم فخراج ربك خير * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير قال أجرا حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن مثله وأصل الخراج والخرج مصدران لا يجمعان وقوله وهو خير الرازقين يقول والله خير من أعطى عوضا على عمل

النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقال الجوهرى الكلوح تكشر فى عبوس ثم بين سبحانه أنه يقال لهم حينئذ تقريعا وتوبيخا (ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) قالت المعتزلة لو كان فعل التكذيب بخلق الله تعالى لم يكن لهذا التقريع وجه وعورض بالعلم والداعى وفسرت المعتزلة الشقاوة بسوء العاقبة التى علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم وتفسرها الاشاعرة بما كتب الله عليهم فى الازل من الكفر وسائر المعاصى أن يعملوها حتى يؤل حالهم الى النار ومعنى غلبة الشقاوة على هذا التفسير ظاهر وأما على تفسير المعتزلة (٣٣) فقد قال جار الله معناه ملكتنا وأخذت منا وقال الجبائى أراد طلبنا اللذات المحرمة وحرصنا على العمل القبيح ساقنا الى هذه الشقاوة فأطلق اسم المسبب على السبب وليس هذا باعتذار منهم لعلمهم بأن لا عذر لهم فيه ولكنه اعتراف بقيام حجة الله تعالى عليهم فى سوء صنيعهم وأجيب بأن طلب تلك اللذات لا بد أن ينتهى الى داعية يخلقها الله فيه بدليل قوله (وكنا قوما ضالين) أى فى علم الله وسابق تقديره وحمله المعتزلة على الاعتراف بأنهم اختاروا الضلال قالوا ولو كان الكفر بخلق الله لكانوا بأن يجعلوا ذلك عذرا لهم أولى وأجيب بأن فحوى الكلام يؤل الى هذا كما قررنا عن ابن عباس أن لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فينادون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألفا ربنا أخرنا الى أجل قريب فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل فينادون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا ربنا أخرجنا منها فيجابون اخسؤا فيها وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب أى لا يفهمون ولا يفهمون ولهذا قال جار الله (ولا تكلمون) أى فى رفع العذاب وليس نهيا عن الكلام فانها ليست بدار تكليف ولكنه تنبيه على أن العذاب لا يرفع ولا يخفف ومعنى اخسؤا انزجروا صاغرين كما تنزجر الكلاب اذا طردت يقال خسأ الكلب وخسأ نفسه يتعدى ولا يتعدى وهو المراد فى الآية ثم عدد عليهم بعض قبائحهم فى الدنيا بقوله (انه كان فريق من عبادى) هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة عن الخليل وسيبويه أن السخرى بالضم والكسر مصدر سخر الا أن فى ياء النسب زيادة تأكيد وعن الكسائى والفراء أن المكسور

ورزق رزقا وقوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم يقول تعالى ذكره وانك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك الى دين الاسلام وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذى لا اعوجاج فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون ﴾ يقول تعالى ذكره والذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات وقيام الساعة ومجازاة الله عباده فى الدار الآخرة عن الصراط لناكبون يقول عن محجة الحق وقصد السبيل وذلك دين الله الذى ارتضاه لعباده لعادلون يقال منه قد نكب فلان عن كذا اذا عدل عنه ونكب عنه أى عدل عنه ۞ وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله عن الصراط لناكبون قال لعادلون حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون يقول عن الحق عادلون وقوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يقول تعالى ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضر الجوع والهزال للجوا فى طغيانهم يعنى فى عتوهم وجرأتهم على ربهم يعمهون يعنى يترددون كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قال الجوع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا وأنزلنا بهم بأسنا وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم وأجدبنا بلادهم وقتلنا سراتهم بالسيف فما استكانوا لربهم يقول فما خضعوا لربهم فينقادوا لامره ونهيه وينيبوا الى طاعته وما يتضرعون يقول وما يتذللون له وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسنى الجدب اذ دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الخبر بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة عن الحسن عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز يعنى الوبر والدم فأنزل الله ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن ابن أثال الحنفى لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو أسير فخلى سبيله فلحق بمكة فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز فجاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أليس تزعم بأنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فأنزل الله

ولقد

من الهزء والمضموم من التسخير والاستعباد والمعنى اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فلم تذكرونى حتى تخافونى ثم ذكر من حال المؤمنين ما أوجب الحسرة والندامة للساخرين فمن قرأ (انهم) بالكسر على الاستئناف فمعناه ظاهر أى قد فازوا حيث صبروا ومن قرأ بالفتح فعلى أنه مفعول جزيتهم أى جزيتهم فوزهم ومن قرأ (قال) فالضمير لله أو لمن أمر بسؤالهم من الملائكة ومن قرأ قل فالخطاب للملك أو لبعض رؤساء أهل النار والغرض من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت فقد كانوا لا يعدون اللبث الا فى الدنيا ويظنون أن الفناء يدوم بعد الموت ولا اعادة فلما حصلوا فى النار وأيقنوا أنهم فيها خالدون سئلوا (كم لبثتم) تنبيها لهم على أن ما ظنوه دائما طويلا فهو يسير بالاضافة الى ما أنكروه اذ لا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى ولا سيما اذا كان الاول أيام سرور والثانى أيام غم وحزن واختلفوا فى الارض فقيل وجه الارض حين ما كانوا أحياء فانهم زعموا أن لا حياة سواها فلما أحياهم الله تعالى وعذبوا فى النار سئلوا عن ذلك توبيخا وقال آخرون المراد جوف الارض وهو القبر لظاهر لفظة فى ولقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وقوله (عدد سنين) بدل من مميز كم وقيل تمييز احتج بعض من أنكر عذاب القبر بأن قوله فى الارض يتناول زمان كونهم أحياء فوق الارض وزمان كونهم أمواتا فى بطن الارض فلو كانوا معذبين فى القبر لعلموا أن مدة مكثهم فى الارض طويلة فما كانوا يقولون لبثنا يوما أو بعض يوم وأجيب بأن الجواب لا بد أن يكون على حسب السؤال وانما سئلوا عن موت لا حياة بعده الا فى الآخرة وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر ويحتمل أن يكونوا سئلوا عن قدر اللبث الذى اجتمعوا فيه فلا يدخل فى ذلك تقدم موت بعضهم على البعض فصح أن يكون جوابهم لبثنا يوما أو بعض يوم عند أنفسنا وليس هذا من قبيل الكذب اذ لعلهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال فقالوا لا نعرف من عدد السنين الا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا (فاسأل العادين) أى ليس من شأننا أن نعدها لما نحن فيه من العذاب فاسأل من يقدر أن يلقى اليه فكره أو اسأل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وعن ابن عباس أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل أرادوا بقولهم لبثنا يوما أو بعض يوم تصغير لبثهم وتحقيره بالاضافة الى ما وقعوا فيه وعرفوه من دوام العذاب وقد صدقهم الله فى ذلك حيث قال (ان لبثتم الا قليلا) ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها بقوله (لو أنكم كنتم

تعلمون) أى لوعلمتم البعث والحشر لما كنتم تعدونه طويلا ثم زاد فى التوبيخ بقوله (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) أى عابثين أو لاجل العبث وهو الفعل الذى لاغاية له صحيحة وجوّزوا أن يكون قوله (وأنكم الينا لاترجعون) معطوفا على عبثا أى للعبث ولتركـكم غير مرجوعين وفيه دلالة على وجوب وقوع القيامة فلولاها لم يتميز المطيع من العاصى والمحسن من المسىء ثم نزه ذاته عن كل عيب وعبث قائلا (فتعالى) الآية ووصف العرش بالكريم لنزول الرحمة أو الخير منه أو باعتبار من استوى عليه كما يقال بيت كريم اذا كان سكانه كراما وقرئ الكريم بالرفع وهو ظاهر ثم زيف طريقة المقلدة من أهل الشرك وقوله لابرهان له به كقوله مالم ينزل به سلطانا وهو صفة جيء بها للتأكيد لا أن بعض الآلهة قد يقوم على وجوده برهان وجوّز جار الله أن يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقول القائل من أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان اليه منه فالله مثيبه ومعنى (حسابه عند ربه) أنه بلغ عقابه الى حيث لايقدر أحد على حسابه الا الله وقرئ أنه لايفلح بفتح الهمزة أى حسابه عدم فلاحه فوضع الكافرون موضع الضمير جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد فى خواتيمها انه لايفلح الكافرون فشتان ما بين الفريقين وحين أثنى على المؤمنين فى أثناء الكلام بأنهم يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين نبه فى آخر السورة على أنه قول ينبغى أن يواظب المكلف عليه ففيه الانقطاع الى الله والاعراض عمن سواه والله المستعان ۞ التأويل فاذا نفخ فى الصور فيه أن نفخة العناية الازلية اذا نفخت فى صور القلب قامت القيامة وانقطعت الاسباب فلا يلتفت الى أحد من الانساب لا الى أهل ولا الى ولد لاشتغاله فى طلب الحق واستغراقه فى بحر المحبة فلا يقع بينهم التساؤل عما تركوا من أسباب الدنيا ولا عن أحوال آهاليهم واخدانهم وأوطانهم اذا فارقوها لكل امرئ منهم يومئذ فى طلب الحق شان يغنيه عن طلب الغير فأولئك الذين خسروا أنفسهم لأنهم اذا خفت موازينهم عن طلب الحق وانقطع عليه الطريق بنوع من التعلقات ورجع القهقرى بطل استعداده فى الطلب فان الانسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف دجاجة الولاية فيه وخروج الفرخ فيها فما لم تتصرف فيها الدجاجة يكون استعداده باقيا فاذا تصرفت الدجاجة فيها وانقطع تصرفها عنها بافساد البيضة فلا ينفعها التصرف بعد ذلك لفساد الاستعداد ولهذا قالت المشايخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ولهذا قال فى جهنم خالدون وأجيبوا بقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون لانه ليس من سنتنا اصلاح الاستعداد بعد افساده

ولقد أخذناهم بالعذاب الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال أخبرنا عمرو قال قال الحسن اذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء فانما هى نقمة فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية ولكن استقبلوها بالاستغفار وتضرعوا الى الله وقرأ هذه الآية ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولقد أخذناهم بالعذاب قال الجوع والجدب فما استكانوا لربهم فصبروا وما استكانوا لربهم وما يتضرعون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه حتى اذا فتحنا عليهم باب القتال فقتلوا يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود بن أبى هند عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قد مضى كان يوم بدر حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال يوم بدر * وقال آخرون معناه حتى اذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر وهو الباب ذو العذاب الشديد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال لكفار قريش الجوع وما قبلها من القصة لهم أيضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال وما قبلها أيضا وهذا القول الذى قاله مجاهد أولى بتأويل الآية لصحة الخبر الذى ذكرناه قبل عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة المجاعة التى أصابت قريشا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وأمر ثمامة بن أثال وذلك لاشك أنه كان بعد وقعة بدر وقوله اذا هم فيه مبلسون يقول اذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزنى نادمون على ما سلف منهم فى تكذيبهم بآيات الله فى حين لا ينفعهم الندم والحزن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) يقول تعالى ذكره والله الذى أحدث لكم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات السمع الذى تسمعون به والأبصار التى تبصرون بها والافئدة التى تفقهون بها فكيف يتعذر على من أنشأ ذلك ابتداء اعادته بعد عدمه وفقده وهو الذى يوجد ذلك كله اذا شاء ويفنيه اذا أراد قليلا ما تشكرون يقول تشكرون أيها المكذبون خبر الله من عطائكم السمع والأبصار والافئدة قليلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى ذرأكم

انه كان فريق من عبادى هم العلماء بالله النصحاء لاخلق فاتخذتموهم سخريا فضربتم أنفسكم على سيوف هممهم العلية حتى أنسوكم بهممهم وبيد الرد ذكرى وكنتم منهم تضحكون لان قلوبكم قدماتت وكثرة الضحك تميت القلب جزيتهم اليوم عاصبروا فيه أن أهل السعادة كما ينتفعون بعاملاتهم الصالحة مع الله ينتفعون بانكار منكرهم ومثله حال أهل الشقاء فى الجانب الآخر وهو الاستضرار لا برهان له به أى لا يظهر عليه برهان العبادة وهو النور والضياء والبهاء والصفاء وان تقرب الى ذلك الذى عبده من دون الله بأنواع القربات

﴿سورة النور مدنية حروفها ٥٣٣٠ كلامها ١٣١٦ (٣٦) آياتها ٦٤﴾ بسم الله الرحمن الرحيم سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ﴿

القراآت فرضناها بالتشديد ابن كثير وأبو عمرو ورأفة بفتح الهمزة ابن كثير عن ابن فليح ورفعه الباقون بالاسكان وكلاهما مصدر وكذلك روى الخزاعى عن أصحابه وروى ابن شنبوذ عن البزى ههنا وفى الحديد متحركة الهمزة وعن قنبل ههنا بالفتح وفى الحديد بالسكون فقرأه وقرأ أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف بغير همز أربع شهادات بالرفع حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد الآخرون بالنصب على اعمال المصدر فيما فى حكم المصدر والتقدير فواجب شهادة أحدهم شهادات أربعا أن مخففة لعنة الله بالرفع نافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالتشديد والنصب والخامسة الثانية بالنصب حفص على معنى وتشهد الشهادة الخامسة أن مخففا غضب فعلا ماضيا الله بالرفع نافع والمفضل أن بالتخفيف غضب الله بالرفع سهل ويعقوب الباقون أن غضب الله بالتشديد والنصب

فى الارض واليه تحشرون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى خلقكم فى الارض واليه تحشرون من بعد مماتكم ثم تبعثون من قبوركم الى موقف الحساب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى يحيى خلقه يقول يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نطفا أمواتا بنفخ الروح فيها بعد التارات التى تأتى عليها ويميت يقول ويميتهم بعد أن أحياهم وله اختلاف الليل والنهار يقول وهو الذى جعل الليل والنهار مختلفين كما يقال فى الكلام لك المن والفضل بمعنى انك تمن وتفضل وقوله أفلا تعقلون يقول أفلا تعقلون أيها الناس أن الذى فعل هذه الافعال ابتداء من غير أصل لا يمتنع عليه احياء الاموات بعد فنائهم وانشاء ما شاء اعدامه بعد انشائه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ يقول تعالى ذكره ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله ولا تدبروا ما احتج عليهم من الحجج والدلالة على قدرته على فعل كل ما يشاء ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الامم المكذبة رسلها قبلهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما يقول أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا وبرأت عظامنا من لحومنا أئنا لمبعوثون يقول انا لمبعوثون من قبورنا أحياء كهيئتنا قبل الممات ان هذا الشئ غير كائن ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين﴾ يقول تعالى ذكره قالوا لقد وعدنا هذا الوعد الذى تعدنا يا محمد ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك فلم نره حقيقة ان هذا يقول ما هذا الذى تعدنا من البعث بعد الممات الا أساطير الاولين يقول ما سطره الاولون فى كتبهم من الاحاديث والاخبار التى لا صحة لها ولا حقيقة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك لمن ملك الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون من مالكها ثم أعلمه أنهم سيقرون بأنها لله ملكا دون سائر الأشياء غيره قل أفلا تذكرون يقول فقل لهم اذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على احيائهم بعد مماتهم واعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد من رب السموات السبع ورب العرش المحيط بذلك سيقولون ذلك كله لله وهو ربه فقل لهم أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله سيقولون لله فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام سيقولون لله سوى أبى عمرو فانه خالفهم

فقرأه سيقولون لله في هذا الموضع وفي الآخر الذي بعده اتباعا لخط المصحف فان ذلك كذلك في مصاحف الامصار الا في مصحف أهل البصرة فانه في الموضعين بالالف فقرؤا بالالف كلها اتباعا لخط مصحفهم فأما الذين قرؤه بالالف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك لانهم أجروا الجواب على الابتداء وردوا مرفوعا على مرفوع وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون رب ذلك الله فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك وأما الذين قرؤا ذلك في هذا والذي يليه بغير ألف فانهم قالوا معنى قوله قل من رب السموات لمن السموات لمن ملك ذلك فجعل الجواب على المعنى فقيل لله لان المسئلة عن ملك ذلك لمن هو قالوا وذلك نظير قول قائل لرجل من مولاك فيجيب المجيب عن معنى ما سئل فيقول أنا لفلان لانه مفهوم بذلك من الجواب ما هو مفهوم بقوله مولاي فلان وكان بعضهم يذكر أن بعض بني عامر أنشده

وأعلم أنني سأكون رمسا * اذا سار النواعج لا يسير

فقال السائلون لمن حفرتم * فقال المخبرون لهم وزير

فأجاب المخفوض بمرفوع لان معنى الكلام فقال السائلون من الميت فقال المخبرون الميت وزير فأجابوا عن المعنى دون اللفظ والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف لاجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك سوى خط مصحف أهل البصرة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد من بيده خزائن كل شئ كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ملكوت كل شئ قال خزائن كل شئ **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مجاهد في قول الله قل من بيده ملكوت كل شئ قال خزائن كل شئ وقوله وهو يجير من أراد ممن قصده بسوء ولا يجار عليه يقول ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء فيدفع عنه عذابه وعقابه ان كنتم تعلمون من ذلك صفته فانهم يقولون ان ملكوت كل شئ والقدرة على الاشياء كلها لله فقل لهم يا محمد فأنى تسحرون يقولون فمن أي وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله والاقرار بأخباره وأخبار رسوله والايمان بان الله القادر على كل ما يشاء وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول في معنى قوله تسحرون

﴿ الوقوف تذكرون ○ جلدة ص الآخر ○ للعدول واعتراض الشرط مع اتفاق الجملتين المؤمنين ○ مشركة ○ للتفصيل بين الحالتين مع اتفاق الجملتين مشرك ج لاختلاف الجملتين المؤمنين ○ أبدا ○ الفاسقون ○ وأصلحوا ج للفاء وان رحيم ○ بالله ط في الموضعين لان ما بعده جواب لما في حكم القسم الصادقين ○ الكاذبين ○ الصادقين ○ حكيم ○ ﴿ التفسير لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاتمة السورة المتقدمة بطلب المغفرة والرحمة وطلبه يستلزم مطلوبه لا محالة بدليل سل تعط أردفه بذكر ما هو أصل كل رحمة ومنشأ كل خير فقال (سورة) أي هذه سورة (أنزلناها وفرضناها) أو فيما أوحينا اليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على دونك سورة أو اتل سورة أو على شريطة التفسير وعلى هذا لا يكون لقوله أنزلناها محل من الاعراب لانها ليست بصفة وانما هي مفسرة للضمر فكانت في حكمه ومعنى انزال الوحي قد سلف في أول البقرة والفرض القطع والتقدير ولا بد من تقدير مضاف لان السورة قد دخلت في الوجود فلا معنى لفرضها فالمراد فرضنا أحكامها التي فيها ومن شدد فللمبالغة أو التكثير ففي أحكام هذه السورة كثرة ويجوز أن يرجع معنى الكثرة الى المفروض عليهم فانهم كل المكلفين من السلف والخلف وأما الآيات البينات فانها دلائل التوحيد التي يذكرها الله تعالى بعد الاحكام والحدود ويؤيده قوله (لعلكم تذكرون) فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها بخلاف دلائل التوحيد فانها كالمعلومة لظهورها فيكفي فيها التذكر وقال أبو مسلم هي الحدود والاحكام أيضا ولا بعد في تسميتها آيات كقول زكريا رب اجعل لي آية سأل ربه أن يفرض عليه عملا وقال القاضي أرادها الاشياء المباحة المذكورة في السورة بينها الله تعالى لاجل التذكر فمن جملة الاحكام حكم الزنا قال الخليل وسيبويه رفعهما على الابتداء والخبر محذوف ولا بد من تقدير مضاف أي فيما فرض عليكم جلد الزانية والزاني أو فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني وقال آخرون الخبر فاجلدوا والفاء لتضمن معنى الشرط فان الالف واللام بمعنى الموصول تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوا وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة أنزلناها لاجل الامر فان الطلب من مظان الفعل والجلد ضرب الجلد كما يقال رأسه أي ضرب رأسه وكذلك في سائر الاعضاء بعد ثبوت السماع وفيه اشارة الى أن اقامة هذا الحد ينبغي أن يكون على الاعتدال بحيث لا يتجاوز الالم من الجلد الى اللحم فعلى الامام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف

يضرب فالرجل يجلد قائماً على تجرده ليس عليه إلا إزاره ضرباً وسطاً لا مبرحاً ولا هيناً على الأعضاء كلها إلا الوجه والفرج والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها إلا الحشو والفرو والصحيح أن الزنا من الكبائر ولهذا قرنه الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون وقد وقى فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم الذي هو أشنع أنواع القتل ونهى المؤمنين عن الرأفة بهما وأمر بشهود طائفة للتشهير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما التي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار

ما حدثني به علي قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فأنى تسحرون يقول تكذبون وقد بينت فيما مضى السحر وأنه تخيل الشيء إلى الناظر أنه على خلاف ما هو به من هيئته فذلك معنى قوله فأنى تسحرون إنما معناه فمن أي وجه يخيل إليكم الكذب حقاً والفاسد صحيحاً فتصرفون عن الإقرار بالحق الذي يدعوكم إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ يقول ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله من أن الملائكة بنات الله وأن الآلهة والأصنام آلهة دون الله بل أتيناهم بالحق اليقين وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وذلك الإسلام ولا يعبد شيء سوى الله لأنه لا إله غيره وإنهم لكاذبون يقول وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله وينحلونه من الولد والشريك وقوله ما اتخذ الله من ولد يقول تعالى ذكره ما لله من ولد ولا كان معه في القديم ولا حين ابتدع الأشياء من تصلح عبادته ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الأشياء من تصلح عبادته من إله إذا لذهب يقول إذا لاعتزل كل إله منهم بما خلق من شيء فانفرد به ولتغالبوا فلعلا بعضهم على بعض وغلب القوي منهم الضعيف لأن القوي لا يرضى أن يعلوه ضعيف والضعيف لا يصلح أن يكون إلهاً فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها لمن عقل وتدبر وقوله إذا لذهب جواب لمحذوف وهو لو كان معه إله إذا لذهب كل إله بما خلق اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه عنه وقوله سبحان الله عما يصفون يقول تعالى ذكره تنزيهاً لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولداً وعما قالوه من أن له شريكاً أو أن معه في القدم إلهاً يعبد تبارك وتعالى وقوله عالم الغيب والشهادة يقول تعالى ذكره هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء فلم يروه ولم يشاهدوه وما رأوه وشاهدوه وإنما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين اتخذ الله ولداً وعبدوا من دونه آلهة أنهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون فإنهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم بل عن جهل منهم به وإن العالم بقديم الأمور وبحديثها وشاهدها وغائبها عنهم الله الذي لا يخفى عليه شيء فخبره هو الحق دون خبرهم وقال عالم الغيب فرفع عالم على الابتداء بمعنى هو عالم الغيب ولذلك دخلت الفاء في قوله فتعالى كما يقال مررت بأخيك المحسن فأحسنت إليه فترفع المحسن إذا جعلت فأحسنت إليه بالفاء لأن معنى الكلام إذا كان كذلك مررت بأخيك هو المحسن فأحسنت إليه ولو جعل الكلام بالواو فقيل وأحسنت إليه لم يكن وجه الكلام في المحسن إلا الخفض على النعت للأخ ولذلك لو جاء فتعالى بالواو كان وجه الكلام في عالم الغيب الخفض على الاتباع لإعراب اسم الله وكان يكون معنى الكلام

واعلم أن البحث في هذه الآية يقع عن أمور أحدها عن ماهية الزنا وثانيها عن أحكام الزنا وثالثها في الشرائط المعتبرة في كون الزنا موجباً لتلك الأحكام ورابعها في الطريق الذي به يعرف حصول الزنا وخامسها عن كيفية إقامة هذا الحد الأول قد حده علماء الشافعية بأنه عبارة عن إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم شرعاً قالوا فيدخل فيه اللواطة لأنها مثل الزنا صورة وذلك ظاهر لحصول معنى الانفراج في الدبر أيضاً ومعنى لأنهما يشتركان في المعاني المتعلقة بالشهوة من الحرارة واللين وضيق المدخل ولذلك لا يفرق أهل الطبائع بين المحلين والأكثرون على أن اللواط لا يدخل تحت الزنا للعرف ولهذا لو حلف لا يزني فلاط أو بالعكس لم يحنث ولأن الصحابة اختلفوا في حكم اللواط مع كونهم عالمين باللغة وما روي عن أبي موسى الأشعري أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان محمول على اشتراكهما في الإثم بدليل قوله أيضاً إذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان وقوله اليدان تزنيان والعينان تزنيان والقياس المذكور بعيد لأنه لا يلزم من تسمية القبل فرجاً لانفراجه أن يسمى كل منفرج كالفم والعين فرجاً واعلم أن للشافعي في اللائط قولين أصحهما أن عليه حد الزنا إن كان محصناً فيرجم وإن لم يكن محصناً فيجلد ويغرب والثاني قتل الفاعل والمفعول والقتل إما بحز الرقبة كالمرتد أو بالرجم وهو قول مالك وأحمد وإسحق أو بالهدم عليه ويروى عن أبي أو بالرمي من شاهق ويروى عن علي رضي الله عنه وذلك أن قوم لوط عذبوا بكل هذه الوجوه قال عز من قائل فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل وأما المفعول فإن كان صغيراً أو مجنوناً أو مكرهاً فلا حد عليه ولا مهر لأن بضع الرجل لا يتقوم وإن كان مكلفاً طائعاً فهو كالفاعل في الأقوال وإن أتى امرأة في دبرها ولا ملك ولا نكاح فالأظهر أنه لواط وحكمه ما مر وقيل زنا لأنه

وطء أنثى فأشبه الوطء فى القبل واذا لاط بعبده فهو كالاجنبى على الاصح ولو أتى امرأته أو جاريته فى الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه و بالجملة جميع ذلك مما ذهب اليه الشافعى وقال أبو حنيفة ان اللائط لا يحد بل يعزر حجة الشافعى خبر أبى موسى الاشعرى فانه يدل على اشتراك اللواط والزنا فى الاسم والحقيقة لا أقل من اشتراكهما فى اللوازم وأيضا انه صلى الله عليه وسلم قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل منهما والمفعول به وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق وليس اللواط من قبيل الثانى والثالث فهو من الاول وأيضا قاس اللواط على الزنا (٣٩) بجامع كون الطبع داعيا اليه فيناسب الزاجر وفرق بأن الزنا أكثر وقوعا وكان الاحتياج فيه الى الزاجر أشد وبأن الزنا يقتضى فساد الانساب دون اللواط وألغى الفرق بوطء العجوز الشوهاء حجة أبى حنيفة أنه وطء لا يتعلق به المهر فلا يتعلق به الحد وضعف بفقد الجامع قال انه لا يساوى الزنا فى الحاجة الى شرع الحد لان اللواط لا يرغب فيه المفعول طبعا ولانه ليس فيه اضاعة النسب وأجيب بأن الانسان حريص على ما منع فلو لم يشرع الحد شاع اللواط وأدى الى اضاعة النسب بل الى افناء الاشخاص وانقطاع طريق التوالد والتناسل وللشافعى فى اتيان البهيمة أقوال أحدها أنه كالزنا فى أحكامه وثانيها القتل مطلقا لما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه فقيل لابن عباس ما شأن البهيمة قال لانه كره أن يؤكل لحمها وأصحها وهو قول مالك وأبى حنيفة وأحمد والثورى أن عليه التعزير لانه غير مشتهى طبعا والحديث ضعيف الاسناد وبتقدير صحته معارض بما روى أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذبح الحيوان الا لاكله ولا خلاف فى أن السحق واتيان الميتة والاستمناء باليد لا يشرع فيها الا التعزير البحث الثانى قد مر فى أول سورة النساء أن حكم الزانى فى أوائل الاسلام كان الحبس فى البيوت فى حق الثيب والايذاء بالقول فى حق البكر ثم نسخ بآية الزنا وبقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والخوارج أنكروا الرجم لانه لا يتنصف وقد قال تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولانه تعالى أطنب فى أحكام الزنا بما لم يطنب فى غيره فلو كان الرجم مشروعا لكان أولى بالذكر ولان قوله الزانية والزانى يقتضى وجوب الجلد على كل الزناة وايجاب الرجم على البعض يقتضى تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وجمهور المجتهدين خالفوهم فى ذلك فأجابوا عن الاول بأن الرجم حيث لم يتنصف لم يشرع

سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى فيكون قوله وتعالى حينئذ معطوفا على سبحان الله وقد يجوز الخفض مع الفاء لان العرب قد تبتدئ الكلام بالفاء كابتدائها بالواو وبالخفض كان يقرأ عالم الغيب فى هذا الموضع أبو عمرو وعلى خلافه فى ذلك قرأة الامصار والصواب من القراءة فى ذلك عندنا الرفع لمعنيين أحدهما اجماع الحجة من القراء عليه والثانى صحته فى العربية وقوله فتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين ووصفهم اياه بما يصفون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل رب إما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد رب ان ترينى فى هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك فلا تهلكنى بما تهلكهم به ونجنى من عذابك وسخطك فلا تجعلنى فى القوم المشركين ولكن اجعلنى ممن رضيت عنه من أوليائك وقوله فلا تجعلنى جواب لقوله اما ترينى اعترض بينهما بالنداء ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك فى الكلام لا يقال يا زيد فقم ولا يا رب فاغفر لان النداء مستأنف وكذلك الامر بعده مستأنف لا تدخله الفاء والواو الا أن يكون جوابا لكلام قبله وقوله وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون يقول تعالى ذكره وانا يا محمد على أن نريك فى هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم لقادرون فلا يحزننك تكذيبهم اياك بما نعدهم به وانما نؤخر ذلك ليبلغ الكتاب أجله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) يقول تعالى ذكره لنبيه ادفع يا محمد بالخلة التى هى أحسن وذلك الاغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم وذلك أمره اياه قبل أمره بحربهم وعنى بالسيئة أذى المشركين اياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله يقول له تعالى ذكره اصبر على ما تلقى منهم فى ذات الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله ادفع بالتى هى أحسن السيئة قال اعرض عن أذاهم اياك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن مجاهد ادفع بالتى هى أحسن السيئة قال هو السلام تسلم عليه اذا لقيته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله ادفع بالتى هى أحسن السيئة قال والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا او يصفح عما يكره وقوله نحن أعلم بما يصفون يقول تعالى ذكره نحن أعلم بما يصفون الله به وينحلونه من الاكاذيب والفرية عليه وبما يقولون فيك من السوء ونحن مجازوهم على جميع ذلك فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح

في حق العبد فخصص العذاب بغير الرجم للدليل العقلي وعن الثاني بأن الاحكام الشرعية كانت تنزل بحسب تجددا المصالح فلعل المصلحة التي اقتضت وجوب الرجم حدثت بعد نزول هذه الآيات وعن الثالث بأن تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد جائز عندنا لان القرآن وان كان قاطعا في متنه الا أن العام غير قاطع الدلالة فأمكن تخصيصه بالدليل المظنون سلمنا الا أن الرجم ثبت بالتواتر رواه أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم وجابر والخدري وأبو هريرة وبريدة الاسلمي وزيد بن خالد في آخرين من الصحابة وما نقل عن علي أنه جمع بين الجلد والرجم وهو اختيار أحمد واسحق وداود محمول على مثل ماروي (٤٠) عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا زنى بامرأة فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فجلد ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان محصنا فأمر به فرجم وقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة متروك العمل بما روي في قصة العسيف أنه قال يا أنيس اغد على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها ولو وجب الجلد اذ ذاك لذكره وأن قصة ماعز رويت من جهات مختلفة وليس فيها ذكر الجلد مع الرجم وكذا قصة الغامدية وروى الزهري باسناده عن ابن عباس أن عمر قال قد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى وقد قرأنا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة فرجم النبي صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخبر أن الذي فرضه الله تعالى هذا الرجم ولو كان الجلد واجبا مع الرجم لذكره قال الشافعي يجمع بين الجلد والتغريب في حد البكر وقال أبو حنيفة يجلد وأما التغريب فمفوض الى رأي الامام وقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وكذا ماروي عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقال مالك يجلد الرجل ويغرب وتجلد المرأة بلا تغريب حجة الشافعي حديث عبادة البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وقد ورد مثله في قصة العسيف حجة أبي حنيفة أن ايجاب التغريب يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد بيانه أن ايجاب الجلد مرتب على الزنا بالفاء التي هي للجزاء ومعنى الجزاء كونه كافيا في ذلك الباب منه قوله صلى الله عليه وسلم يجزيك ولا يجزي أحدا بعدك وايجاب شيء آخر غير الجلد يقتضي نسخ كونه كافيا ولو كان النفي مشروعا لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم توقيف الصحابة

بعض

القول وقوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد رب أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها والهمز هو الغمز ومن ذلك قيل للهمز في الكلام همزة والهمزات جمع همزة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين قال همزات الشياطين خنقهم الناس فذلك همزاتهم وقوله وأعوذ بك رب أن يحضرون يقول وقل أستجير بك رب أن يحضرون في أموري كالذي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأعوذ بك رب أن يحضرون في شيء من أمري

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون﴾ يقول تعالى ذكره حتى اذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت وعاين نزول أمر الله به قال لعظيم ما يعاين مما يقدم عليه من عذاب الله تندما على مافات وتلهفا على ما فرط فيه قبل ذلك من طاعة الله ومسئلته للاقالة رب ارجعون الى الدنيا فردوني اليها لعلي أعمل صالحا يقول كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته وفرطت فيه * وبنحو الذي قلنا فيه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر قال كان محمد بن كعب القرظي يقرأ علينا حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون قال محمد الى أي شيء يريد الى أي شيء يرغب أجمع المال أو غرس الغراس أو بنى بنيانا أو شق أنهارا ثم يقول لعلي أعمل صالحا فيما تركت يقول الجبار كلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله رب ارجعون قال هذه في الحياة الدنيا ألا تراه يقول حتى اذا جاء أحدهم الموت قال حين تنقطع الدنيا ويعاين الآخرة قبل أن يذوق الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان فيقول بل قدماني الى الله وأما الكافر فيقال نرجعك فيقول ارجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون يعني أهل الشرك وقيل رب ارجعون فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى ثم قيل ارجعون فصار الى خطاب الجماعة والله تعالى ذكره واحد وانما فعل ذلك كذلك لان مسألة القوم الرد الى الدنيا انما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحهم كما ذكر ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله وانما ابتدئ الكلام بخطاب الله جل ثناؤه لانهم استغاثوا به ثم رجعوا الى مسئلة الملائكة الرجوع والرد الى الدنيا وكان

عليه عند تلاوة هـذه الآية ولو فعل لاشتهر وقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الامة اذا زنت فاجلدها فان زنت فاجلدها فان زنت فبعها والاستدلال به أنه لم يذكر النفي مع الجلد ونظيره ما روى أن شيخا وجـد على بطن جارية فأتى به الى النبي صـلى الله عليه وسـلم فقال اجلدوه مائة فقالوا انه أضعف من ذلك فقال خذوا عثكالا فيـه مائة شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله لا يقال انه انما لم ينفه لانه كان عاجزا عن الحركة لانا نقول كان ينبغي أن يأمر له بدابة يركبها ولا يقال لعله كان ضعيفا عن الركوب أيضا لانا نقول القادر على الجماع كيف لا يقـدر على الاستمساك وأيضا الامر بالنفي لو كان مشروعا لزم في حق العبد الاضرار بسيده في مدة غيبته وفي حق المرأة الاضرار بزوجها وكـذا لمن يؤمر أن يكون معها من محارمها أو من النسـوة الثقات مع انفتاح باب الزنا عليها في الغربة لهذا روى عن علي رضي الله عنـه أنه قال في البكرين اذا زنيا يجلدان ولا ينفيان فان نفيهما من الفتنة وعن ابن عمر أن امرأة زنت فجلدها ولم ينفها وأيضا النفي نظير القتل لقوله تعالى اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم فاذا لم يشرع القتـل في حد البكر وجب أن لا يشرع نظيـره وهو التغريب وأجيب بأن ايجاب الجلد مفهوم مشترك بين ايجاب الجلد مع ايجاب التغريب وبين ايجابه مع نفي التغريب فلا اشعار في الآية باحد القسمين الا أن عدم التغريب موافق للبراءة الاصلية وايجابه بخبر الواحد لا يزيل الامحض البراءة فلا يلزم نسخ القرآن به وهو قول الادباء ان الجـزاء سمي جزاء لانه كاف في الشرط لا يصلح حجة في الأحكام ولا استبعاد في عـدم اشـتهار بعض الأحكام كأكثر المخصصات والأخبار الواردة في نفي التغريب معارضة بما روى أبو علي في جامعه أنه صـلى الله عليه وسـلم جلد وغرب ولا بعـد في أن يكون القادر على الزنا عاجزا عن الاستمساك على الدابة والاضرار بالسـيد قد يجوز للضرورة كالعبد المرتد يقتل وعلى هذا يغرب نصف سنة على الأصح لأنه يقبـل التنصيف وقيل سنة كاملة لأن التغريب للايحاش وهذا معنى يرجع الى الطبع فيستوي فيه الحر والعبد كمدة الايلاء والعنة وأما المرأة فلا تغرب وحدها لقوله صـلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة أن تسافر الا ومعها ذو محرم فان تبرع المحرم أو نسوة ثقات فذاك والا أعطى أجرتهم من مالها أو من بيت المال فيه قولان وتنتفي التهمة حينئذ مع أن أكثر الزنا انما يقع بالالف والمؤانسة وفراغ القلب وفي التغريب الأغلب هو الوحشة والتعب واما أن النفي يشبه القتل فسلم من بعض الوجوه لا من كلها واعلم أن قولنا الزانية والزاني اما مطلق دال على الجنسين المنافيين لجنس العفيفة والعفيف أو عام يشمل

بعض نحويي الكوفة يقول قيـل ذلك كذلك لانه مما جرى على وصف الله نفسـه من قوله وقـد خلقتك من قبل ولم تك شيأ في غـير مكان من القرآن فجرى هذا على ذلك وقوله كلا يقول تعالى ذكره ليس الامر على ما قال هذا المشرك لن يرجع الى الدنيا ولن يعاد اليها انها كلمة هو قائلها يقول هـذه الكلمة وهو قوله رب ارجعون كلمة هو قائلها يقول هـذا المشرك هو قائلها كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كلا انها كلمة هو قائلها لابد له أن يقولها ومن ورائهم برزخ يقول ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع يعني الى يوم يبعثون من قبورهم وذلك يوم القيامة والبرزخ والحاجز والمهلة متقاربات في المعنى * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيـه عن ابن عباس ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون يقول أجل الى حـين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله ومن ورائهـم برزخ قال ما بعد الموت حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة قال ثنا أبو حيوة شريح بن يزيد قال ثنا أرطاة عن أبي يوسف قال خرجت مع أبي أمامـة في جنازة فلما وضعت في لحدها قال أبو أمامة هذا برزخ الى يوم يبعثون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا مطر عن مجاهد قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال ما بين الموت الى البعث حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهـد في قول الله برزخ الى يوم يبعثون قال حجاب بين الميت والرجوع الى الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمـد بن ثور عن معمر عن قتادة ومن ورائهـم برزخ الى يوم يبعثون قال برزخ بقية الدنيا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا يونس قال أخـبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال البرزخ ما بين الموت الى البعث حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ۞ القـول في تأويل قوله تعالى ﴿فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئـذ ولا يتساءلون﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله فاذا نفخ في الصور من النفختين أيتهما عني بها فقال بعضهم عني بها النفخة الأولى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم قال ثنا عمرو بن مطرف عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير أن رجلا أتى ابن عباس فقال سمعت الله يقول فلا أنساب بينهم يومئذ الآية وقال في آية أخرى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال أما قوله فلا أنساب بينهم يومئـذ

ن من المصحف بهذه الفعلة الشنعاء فلابد من تقييد أو تخصيص وهو البحث الثالث فنقول أجمعت الامة على أنه لابد فيه من العقل والبلوغ فلا حد على مجنون ولا على صبي لأنهما ليسا من أهل التكليف هذا في غير الرجم وأما في الرجم فلابد من شروط أخر منها الحرية بالاجماع ولا فرق بين القن والمدبر والمكاتب والمستولدة وحر البعض والسبب أن الحرية توسع طريق الحلال لان الرقيق يحتاج في النكاح الى اذن السيد ولا يجوز له أن ينكح الا امرأتين وجناية من ارتكب الحرام مع اتساع طريق الحلال أغلظ ومنها الاصابة في نكاح صحيح وقد يعبر عن هذا الشرط بشرطين أحدهما التزويج بنكاح صحيح والآخر الدخول وكيفما كان فوجه الاعتبار أنه قضى الشهوة واستوفى اللذة فحقه أن يمتنع من الحرام ويكفي في الاصابة تغييب الحشفة بلا انزال ولا يقدح وقوعها في حالة الحيض والاحرام وعدة الوطء بالشبهة ولا يحصل الاحصان بالاصابة في ملك اليمين كما لا يحصل التحليل وفي الاصابة بالشبهة وفي النكاح الفاسد قولان أحدهما أنه يفيد الاحصان لأن الفاسد كالصحيح في العدة والنسب وأصحهما المنع لأن الفاسد لا أثر له في اكمال طريق الحلال وهل يشترط أن تكون الاصابة في النكاح بعد التكليف والحرية الاصح عند امام الحرمين لا فانه وطء يحصل به التحليل فكذا الاحصان والأرجح عند معظم الأصحاب نعم لأن شرط الاصابة أن تحصل بأكمل الجهات وهو النكاح الصحيح فيعتبر حصولها من كامل وعلى هذا فهل يشترط كمال الواطئين جميعا قال أبو حنيفة نعم وهو أحد قولي الشافعي فلو كان أحدهما كاملا دون الآخر لم يصر الكامل محصنا أيضا وقال الشافعي في أصح قوليه لا بل لكل منهما حكم نفسه ومنها الاسلام عند أبي حنيفة لقوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن دون الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قبلوا الجزية فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ولحديث مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا فلو حكم بشرعه فظاهر ولو حكم بشريعة من قبله فقد صار شرعا له ولأن زنا الكافر مثل زنا المسلم في الحاجة الى الزاجر ولهذا قلنا اذا أقر الذمي بالزنا أقيم عليه الحد جبرا بخلاف الشرب فانه لا يعتقد تحريمه ومما احتج به لأبي حنيفة أن النعمة في حق المسلم أعظم فكانت جنايته أغلظ كقوله يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وعورض بأن الاسلام من كسب العبد وزيادة الخدمة ان لم تكن سببا للعذر فلا أقل من أن لا تكون سببا لزيادة العقوبة قالوا احصان القذف يعتبر

ولا يتساءلون فذلك في النفخة الاولى فلا يبقى على الارض شئ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وأما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فانهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون *حدثنا* ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدي في قوله فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال في النفخة الاولى *حدثنا* علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فذلك حين ينفخ في الصور فلا حي يبقى الا الله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فذلك اذا بعثوا في النفخة الثانية * قال أبو جعفر فمعنى ذلك على هذا التأويل فاذا نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها ولا يتساءلون ولا يتزاورون فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم * وقال آخرون بل عنى بذلك النفخة الثانية ذكر من قال ذلك *حدثنا* أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن هرون بن أبي وكيع قال سمعت زاذان يقول أتيت ابن مسعود وقد اجتمع الناس اليه في داره فلم أقدر على مجلس فقلت يا أبا عبد الرحمن من أجل أني رجل من العجم تحقرني قال ادن قال فدنوت فلم يكن بيني وبينه جليس فقال يؤخذ بيد العبد أو الامة يوم القيامة على رؤس الاولين والآخرين قال وينادي مناد ألا ان هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قبله فليأت الى حقه قال فتفرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها أو على أبيها أو على أخيها أو على زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون *حدثنا* القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن هرون بن عنترة عن زاذان قال سمعت ابن مسعود يقول يؤخذ العبد أو الامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادي مناد ثم ذكر نحوه وزاد فيه فيقول الرب تبارك وتعالى للعبد أعط هؤلاء حقوقهم فيقول أي رب فنيت الدنيا فمن أين أعطيهم فيقول للملائكة خذوا من أعماله الصالحة وأعطوا لكل انسان بقدر طلبته فان كان له فضل مثقال حبة من خردل ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة ثم تلا ابن مسعود ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها الى سيآته وصكوا له صكا الى النار * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال لا يسأل أحد يومئذ بنسب شيأ ولا يتساءلون ولا يمت اليه برحم *حدثنا* القاسم قال ثنا الحسين قال ثني محمد بن كثير عن حفص بن المغيرة عن قتادة قال ليس شئ أبغض الى الانسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يذوب له عليه شئ ثم قرأ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه * قال ثنا الحسن قال ثنا الحكم بن سنان

فيه الاسلام بالاجماع فكذا احصان الرجم والجامع كمال النعمة وأجيب بان حد القذف لرفع العار كرامة للمقذوف والكافر لا يكون محلا للكرامة وصيانة للعرض والجواب عن الحديث بأنا لا نسلم أن الذمى مشرك سلمنا لكن الاحصان قد يراد به التزويج كقوله فاذا أحصن والذمى الثيب محصن بهذا التفسير فوجب رجمه لقوله صلى الله عليه وسلم وزنا بعد احصان ولقوله عليهم ما على المسلمين قال بعض أهل الظاهر عموم قوله الزانية والزانى يقتضى وجوب المائة على العبد والامة الا أنه ورد النص بالتنصيف فى حق الامة فلو قسنا العبد عليها لزم تخصيص عموم الكتاب بالقياس ومنهم من قال الامة اذا تزوجت فعليها خمسون لقوله فاذا أحصن (٤٣) أى تزوجن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات فاذا لم تتزوج فعليها المائة لعموم قوله الزانية واتفاق الجمهور على حذف هذين وقال الشافعى وأبو حنيفة الذمى يجلد للعموم ولأنه صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين فالجلد أولى وقال مالك لا يجلد بناء على أن الكفار ليسوا مخاطبين بالفروع * البحث الرابع فى طريق معرفة الزنا وأنه ثلاثة الاول أن يراه الامام بنفسه فيجىء الخلاف فى أن القاضى هل له أن يقضى بعلمه أم لا رجح كلا مرجحون وجه القضاء أنه يقضى بالظن وذلك عند شهادة شاهدين فلأن يقضى بالعلم أولى ووجه عدم القضاء ان فيه تهمة والتهمة تمنع القضاء ولهذا لا يقضى القاضى لولده ووالده وهذا الوجه فى حدود الله تعالى أرجح لأن الحاكم فيه مأمور بالستر ولهذا قال النبى فى قصة اللعان لو كنت راجما بغير بينة لرجمتها ولا فرق على القولين أن يحصل العلم للقاضى فى زمان ولايته ومكانها أو فى غيرهما وعن أبى حنيفة أنه ان حصل له العلم فيهما قضى بعلمه والا فلا الطريق الثانى الاقرار ويكفى عند الشافعى مرة واحدة وقال أبو حنيفة لا بد من أربع مرات فى أربع مجالس وجوز أحمد أن يكون المجالس واحدا حجة الشافعى قصة العسيف فان اعترفت فارجمها والقياس على الاقرار بالقتل والردة مع أن الصارف عن الاقرار بالزنا قوى وهو العار فى الحال والقتل أو الإثم الشديد فى المآل فالاقدام على الاقرار مع هذا الصارف لا يكون الا عن صدق ويقين حجة أبى حنيفة قصة ماعز واعراضه صلى الله عليه وسلم عنه مرات حتى قال أبو بكر له بعدما أقر ثلاث مرات لو أقررت الرابعة لرجمك رسول الله صلى الله عليه وسلم والقياس على الشهادة وأجيب بأنه لا منافاة بين القضيتين فان الاولى محمولة على أقل المراتب والثانية على كمالها والفرق أن المقذوف لو أقر بالزنا مرة سقط الحد عن القاذف ولو شهد اثنان بزناه لم يسقط الطريق الثالث الشهادة وأجمعوا على أنه لا بد من شهود أربعة من الرجال لقوله

عن سدوس صاحب السائرى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد من أهل العرش يا أهل التظالم تداركوا مظالمكم وادخلوا الجنة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾ يقول تعالى ذكره فمن ثقلت موازينه موازين حسناته وخفت موازين سيآته فأولئك هم المفلحون يعنى الخالدون فى جنات النعيم ومن خفت موازينه يقول ومن خفت موازين حسناته فرجحت بها موازين سيآته فأولئك الذين خسروا أنفسهم يقول غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله فى جهنم خالدون يقول هم فى نار جهنم وقوله تلفح وجوههم النار يقول تسفع وجوههم النار كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تلفح وجوههم النار قال تنفح وهم فيها كالحون والكالح أن تتقلص الشفتان عن الاسنان حتى تبدو الاسنان كما قال الاعشى

وله المقدم لا مثل له * ساعة الشدق عن الناب كلح

فتأويل الكلام يسفع وجوههم لهب النار فتحرقها وهم فيها متقلصو الشفاه عن الاسنان من احراق النار وجوههم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنى عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وهم فيها كالحون يقول عابسون حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبدالرحمن قالا ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبدالله فى قوله وهم فيها كالحون قال ألم تر الى الرأس المشيط قد بدت أسنانه وقلصت شفتاه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبدالله قرأ هذه الآية تلفح وجوههم النار الآية قال ألم تر الى الرأس المشيط بالنار وقد قلصت شفتاه وبدت أسنانه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهم فيها كالحون قال ألم تر الى الغنم اذا مست النار وجوهها كيف هى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهم ألم تكن آياتى تتلى عليكم يعنى آيات القرآن تتلى عليكم فى الدنيا فكنتم بها تكذبون وترك ذكر يقال لدلالة الكلام عليه قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة غلبت علينا شقوتنا بكسر الشين وبغير ألف وقرأته عامة قراء أهل الكوفة شقاوتنا بفتح الشين والالف والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان وقرأ بكل

تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولقوله ثم لم يأتوا بأربعة شهداء والشهادة على الاقرار بالزنا كالشهادة على الزنا فى أنه لا بد من شهود أربعة وفى قول يكفى فيه اثنان لان الفعل مما يعسر الاطلاع عليه فلزم الاحتياط فيه باشتراط الاربعة والاقرار أمر ظاهر فيكفى فيه رجلان * البحث الخامس أجمعت الامة على أن المخاطب بقوله فاجلدوا هو الامام حتى احتجوا به على وجوب نصب الامام فان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقال الشافعى السيد يملك اقامة الحد على مملوكه وهو قول ابن مسعود وابن عمر وفاطمة وعائشة وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يملك حجة الشافعى أنه صلى الله عليه وسلم قال أقيموا الحدود (٤٤) على ما ملكت أيمانكم وعن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها وحمل الاول على رفع القضية الى الامام حتى يقيموا عليهم الحدود وحمل الثانى على التعزير خلاف الظاهر وأيضا ان ولاية السيد على العبد فوق الولاية بالبيعة فكان أولى وأيضا الاجماع على أن السيد يملك التعزير مع أنه فى محل الاجتهاد فلأن يملك الحد مع التنصيص عليه أولى حجة أبى حنيفة فى قوله فاجلدوا الخطاب للأمة بالاتفاق ولم يذكر فرق بين الأحرار المحدودين وبين العبيد وأيضا لو جاز للمولى أن يسمع شهادة الشهود على عبده بالسرقة فيقطعه فلو رجعوا عن شهادتهم لوجب أن يتمكن من تضمين الشهود وليس له ذلك بالاتفاق لأنه ليس لأحد أن يحكم لنفسه وأيضا المالك فى محل التهمة لانه قد يشفق على ملكه فلا يستوفى الحد أجابت الشافعية بأن عدم ذكر الفرق لا يدل على عدم الفرق مع أن الكلام فى جواز اقامة السيد الحد لا فى وجوبه فالامام يملك حد العبد فى الجملة وذلك كاف فى بقاء الآية على عمومها وعن الثانى بأن للشافعى فى القطع والقتل قولين أحدهما يجوز لما روى أن ابن عمر قطع عبدا له سرق وثانيهما لا وهو قول مالك لأن القطع للامام بخلاف الجلد لأن المولى يملك جنس الجلد وهو التعزير وفى سماع المولى الشهادة أيضا وجهان واذا فقد الامام فليس لآحاد الناس اقامة فيها هذه الحدود بل ينبغى أن يعينوا واحدا من الصلحاء ليقوم بها وفى الخارجى المتغلب خلاف * البحث السادس فى كيفية اقامة الحد انه سبحانه قد أشار الى أن هذا الحد يجب أن لا يكون فى غاية العنف بلفظ الجلد كما مر والى أنه يجب أن لا يكون فى غاية الرفق بقوله (ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله) وذلك اما بأن يترك الحد رأسا أو ينقص شىء منه أو يخفف بحيث لا يحس الزانى بالالم وفى معناه أن يفرق على الايام كأن يضرب كل يوم سوطا أو سوطين وان ضرب كل يوم عشرين مثلا كان محسوبا لحصول التكليف والاولى أن لا يفرق وأكد هذا المعنى بقوله (ان كنتم

واحدة منها علماء من القراء بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام قالوا ربنا غلبت علينا ما سبق لنا فى سابق علمك وخط لنا فى أم الكتاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قوله غلبت علينا شقوتنا قال التى كتبت علينا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله غلبت علينا شقوتنا التى كتبت علينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال قال ابن جريج بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا ادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال ثم نادوا مالكا يا مالك ليقض علينا ربك فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة ثم أجابهم فقال انكم ماكثون ثم نادى الاشقياء ربهم فقالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون * قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال ينادى أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله ثم يقال أجيبوهم وقد قطع الرحم والرحمة فيقول أهل الجنة يا أهل النار عليكم غضب الله يا أهل النار عليكم لعنة الله يا أهل النار لا لبيكم ولا سعديكم ماذا تقولون فيقولون ألم نك فى الدنيا آباءكم وأبناءكم واخوانكم وعشيرتكم فيقولون بلى فيقولون أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين * قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى * قال وثنى عبدة المروزى عن عبد الله بن المبارك عن عمرو بن أبى ليلى قال سمعت محمد بن كعب زاد أحدهما على صاحبه قال محمد بن كعب بلغنى أو ذكر لى أن أهل النار استغاثوا بالخزنة ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردوا عليهم ما قال الله فلما أيسوا نادوا يا مالك وهو عليهم وله مجلس فى وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها فقالوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوا الموت فمكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سنى الآخرة أو كما قال ثم انحط اليهم فقال انكم ماكثون فلما سمعوا ذلك قالوا فاصبروا فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله قال فصبروا فطال صبرهم فنادوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص أى منجى فقام ابليس عند ذلك فخطبهم فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم قال فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين الآية قال فيجيبهم الله

تؤمنون بالله واليوم الآخر) قال الجبائي فيه دلالة على أن الاشتغال باداء الواجبات من الايمان لان التقدير ان كنتم مؤمنين فلا تتركوا اقامة الحدود وأجيب بأن الرأفة لا تحصل الا اذا حكم الانسان بطبعه وأن ذلك يوجب ترك اقامة الحد وحينئذ يكون منكر الدين فلهذا يخرج من الايمان وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال له لم فعلت ذلك فيقول رحمة لعبادك فيقول له أنت أرحم بهم مني فيؤمر به الى النار روى أبو عثمان النهدي قال أتي عمر برجل في حد ثم جيء بسوط فيه شدة فقال أريد ألين من هذا فأتي بسوط فيه لين فقال أريد أشد من هذا فأتي بسوط بين السوطين وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أتي برجل في حد فذهب (٤٥) الرجل ينزع قميصه وقال ما ينبغي لجسد هذا المذنب أن يضرب وعليه قميص فقال أبو عبيدة لا تدعوه ينزع قميصه وضربه عليه ولا خلاف في أن المرأة لا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف ويلي ذلك منها امرأة وجوز الشافعي الضرب على الرأس لما روى أن أبا بكر قال اضرب على الرأس فان الشيطان فيه وقال أبو حنيفة حكم الرأس حكم الوجه لان الموضحة وسائر الشجاج حكمها في الرأس وفي الوجه واحد وأما في سائر البدن فلا يجب الا الحكومة وأيضا ان ضرب الرأس يوجب في الاغلب ظلمة البصر وزوال الماء واختلاط العقل كالوجه فانه أيضا عرضة للآفات وفيه الاعضاء الشريفة اللطيفة والشافعي أن يقول انما يحترم الوجه لما جاء في الحديث ان الله تعالى خلق آدم على صورته وهذا المعنى مفقود في الرأس ولكن اقامة الحد في وقت اعتدال الهواء الا اذا كان رجما فان المقصود وهو قتله لا يتفاوت بذلك ولهذا رجم المريض أيضا في مرضه وقيل ان كان مرضا يرجى برؤه يؤخر كما في الجلد لأنه ربما يرجع عن اقراره في حال الرجم وقد أثر الرجم في بدنه فتعين شدة الحر والبرد مع المرض على اهلاكه وهذا بخلاف ما ثبت بالبينة فانه لا يسقط وفي الجلدات كان المرض مما لا يرجى زواله كالسل والزمانة فلا يؤخر سواء زنى في حال الصحة أو في حال المرض ولكن لا يضرب بالسياط عند الشافعي لأن المقصود ليس موته بل يضرب بعثكال عليه مائة شمراخ كما روى أن مقعدا أصاب امرأة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فأخذوا مائة شمراخ فضربوه بها ضربة واحدة والاثكال والعثكال الغصن الذي عليه فروع خفيفة من النخل أو من غيره وعند أبي حنيفة يضرب بالسياط ثم ان ثبت الزنا باقراره فمتى رجع ترك وقع به بعض الحد أو لم يقع وبه قال أبو حنيفة والشافعي والثوري وأحمد واسحق لان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه وعن الحسن وابن أبي ليلى وداود

فبها ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير قال فيقولون ما أيسنا بعد قال ثم دعوا مرة أخرى فيقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون قال فيقول الرب تبارك وتعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها يقول الرب لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم أحد ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا يقول بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا انا نسيناكم أي تركناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون قال فيقولون ما أيسنا بعد قال فيدعون مرة أخرى ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل قال فيقال لهم أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم الآية قال فيقولون ما أيسنا بعد ثم قالوا مرة أخرى ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل قال فيقول أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير الى نصير ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فلما سمعوا ذلك قالوا الآن يرحمنا فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا أي الكتاب الذي كتب علينا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها الآية فقال عند ذلك اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فلا يتكلمون فيها أبدا فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض فأطبقت عليهم قال عبد الله بن المبارك في حديثه فحدثني الأزهر بن أبي الازهر أنه قال فذلك قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله أنه قال فوالذي أنزل القرآن على محمد والتوراة على موسى والانجيل على عيسى ما تكلم أهل النار كلمة بعدها الا الشهيق والزعيق في الخلد أبدا ليس له نفاد * قال ثني حجاج عن أبي معشر قال كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ فلسنا فتنحى أبو جعفر فبكى فقيل له ما يبكيك يا أبا جعفر قال أخبرني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون وقوله وكنا قوما ضالين يقول كنا قوما ضللنا عن سبيل الرشاد وقصد الحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين خفت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم ربنا أخرجنا من النار فان عدنا لما تكره منا من عمل فانا ظالمون وقوله قال اخسؤا فيها يقول تعالى ذكره قال الرب لهم جل ثناؤه مجيبا اخسؤا فيها أي اقعدوا في النار يقال منه خسأت فلانا أخسؤه خسأ وخسوءا وخسأ هو يخسأ وما كان خاسئا ولقد خسأ ولا تكلمون فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ولقد كانوا طامعين فيه كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثني أبو الزعراء عن عبد الله في قصة ذكرها في الشفاعة قال فاذا أراد الله أن لا يخرج منها يعني من

أنه لا يقبل رجوعه ويحفر للمرأة الى صدرها حتى لا تنكشف ويرمى اليها ولا يحفر للرجل كما في حق ماعز اذ لو كان في الحفرة لم يمكنه الهرب ولما روى أبو سعيد الخدرى في قصته فما أوثقناه ولا حفرنا له واذا مات الزاني في الحد يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ومن تغليظات حد الزنا قوله سبحانه (وليشهد) ظاهره أمر للوجوب الا ان الفقهاء أجمعوا على ان حضور الجمع مستحب والمقصود اعلان اقامة الحد لما فيه من مزيد الردع ولما فيه من دفع التهمة عمن يجلد وفي لفظ العذاب دليل على انه عقوبة لا استصلاح الا أن يراد بالعذاب ما يمنع من المعاودة كالنكال وقد مر في أول البقرة (٤٦) في قوله ولهم عذاب عظيم ومعنى الطائفة قد مر في التوبة فقال النخعي ومجاهد هي في الآية واحد وعن عطاء وعكرمة اثنان وعن الزهري وقتادة ثلاثة وقال ابن عباس والشافعي أربعة بعدد شهود الزنا وعن الحسن عشرة لأنها أول عقد وجوز ابن عباس الى أربعين رجلا من المصدقين بالله وحضور الامام والشهود ليس بلازم عند الشافعي ومالك لأنه صلى الله عليه وسلم لم يحضر رجم ماعز والغامدية وقال أبو حنيفة ان ثبت بالبينة وجب على الشهود أن يبدؤا بالرجم ثم الامام ثم الناس وان ثبت باقراره بدأ الامام ثم الناس ثم ذكر شيأ من خواص الزناة فقال (الزاني لا ينكح) وهو خبر في معنى النهي كقراءة عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى أن عادتهم جارية بذلك وفي الآية أسئلة الاول كيف قدمت الزانية على الزاني في الآية المتقدمة وعكس الترتيب في هذه والجواب أن تلك الآية مسوقة لبيان عقوبتهما على جنايتهما وكانت المرأة أصلا فيها لأنها هي التي أطمعت الرجل في ذلك وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل هو الاصل في الرغبة والخطبة والثاني ما الفرق بين الجملتين في الآية والجواب معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان لانه لا يلزم عقلا من كون الزاني كذلك أن يكون حال الزانية منحصرة في ذلك فأخبره الله تعالى بالجملة الثانية عن هذا الانحصار الثالث أنا نرى الزاني قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وأيضا المؤمن قد يحل له التزوج بالمرأة الزانية الجواب للمفسرين فيه وجوه أحدها وهو الأحسن قول القفال ان اللفظ وان كان عاما الا أن المراد منه الاعم الاغلب وذلك أن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب غالبا في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في فاسقة خبيثة من

النار أحداغير وجوههم وألوانهم فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيهم فيقول يارب فيقول من عرف أحدا فليخرجه قال فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدا فيقول يا فلان يا فلان فيقول ما أعرفك فعند ذلك يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيقول اخسؤا فيها ولا تكلمون فاذا قالوا ذلك انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن شهر بن حوشب عن معدى كرب عن أبي الدرداء قال يرسل أو يصب على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع فلا يغنى ذلك عنهم شيأ فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة فاذا أكلوه نشب في حلوقهم فيذكرون أنهم كانوا في الدنيا يحدرون الغصة بالماء فيستغيثون فيرفع اليهم الحميم في كلاليب الحديد فاذا انتهى الى وجوههم شوى وجوههم فاذا شربوه قطع أمعاءهم قال فينادون مالكا ليقض علينا ربك قال فيتركهم ألف سنة ثم يجيبهم انكم ماكثون قال فينادون خزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ما نجد أحدا خيرا لنا من ربنا فينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيقول الله اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير فيدعون بالويل والشهيق والثبور حدثني محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عاصم بن يوسف اليربوعى قال ثنا قطبة بن عبد العزيز الأسدى عن الاعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع ثم ذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن هرون بن عنترة عن عمرو بن مرة قال يرى أهل النار في كل سبعين عاما ساق مالك خازن النار فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم بكلمة ثم لا يرونه سبعين عاما فيستغيثون بالخزنة فيقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيجيبونهم أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات الآية فيقولون ادعوا ربكم فليس أحد أرحم من ربكم فيقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييأسون من كل خير ويأخذون في الشهيق والويل والثبور حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة اخسؤا فيها ولا تكلمون قال بلغني أنهم ينادون مالكا فيقولون ليقض علينا ربك فيسكت عنهم قدر أربعين سنة ثم يقول انكم ماكثون قال ثم ينادون ربهم فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يقول اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فييأس القوم فلا يتكلمون بعدها كلمة وكان انما هو الزفير والشهيق قال قتادة صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق حدثنا

الحسن

شكلها أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة لا يرغب في نكاحها الصلحاء في الأغلب وإنما يرغب فيها أشكالها من الفسقة أو المشركين نظير هذا الكلام قول القائل لا يفعل الخير الا الرجل التقي وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي وأما المحرم على المؤمنين فصرف الرغبة بالكلية الى الزواني وترك الرغبة في الصالحات لانخراطهم بسبب هذا الحصر في سلك الفسقة المتسمين بالزنا الوجه الثاني أن الالف واللام في قوله الزاني وفي قوله المؤمنين للعهد روى مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة أنه قدم المهاجرون المدينة وليست لهم أموال ولا عشائر وبها نساء يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة ولكل واحدة منهن علامة (٤٧) على بابها لتعرف بها وكان لا يدخل عليها الا زان أو مشرك فرغب فيهن ناس من فقراء المسلمين وقالوا نتزوج بهن الى أن يغنينا الله عنهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية والتقدير أولئك الزواني لا ينكحون الا تلك الزانيات وتلك الزانيات لا ينكحها الا أولئك الزواني وحرم نكاحهن بأعيانهن على المؤمنين الوجه الثالث أن هذا خبر في معنى النهي كما مر وهكذا كان الحكم في ابتداء الاسلام ثم قيل ان ذلك الحكم باق الى الآن حتى يحرم على الزاني والزانية التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس ويقال هذا مذهب أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعائشة ثم في هؤلاء من يسوي بين الابتداء والدوام فيقول كما لا يحل للمؤمن أن يتزوج بالزانية فكذلك اذا زنت تحته لا يحل له أن يقيم عليها ومنهم من يفصل لان في جملة ما منع من التزوج ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة وقيل انه صار منسوخا اما بالاجماع وهو قول سعيد بن المسيب وزيف بأن الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به واما بعموم قوله وأنكحوا الايامى فانكحوا ما طاب لكم وهو قول الجبائي وضعف بأن ذلك العام مشروط بعدم الموانع السببية والنسبية وليكن هذا المانع أيضا من جملتها وسئل ابن عباس عن ذلك فأجازه وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال الوجه الرابع قول أبي مسلم ان النكاح محمول على الوطء وذلك اشارة الى الزنا أي وحرم الزنا على المؤمنين قال الزجاج هذا التأويل فاسد من جهة أن النكاح في كتاب الله لم يرد الا بمعنى التزويج ومن جهة أنه يخرج الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لقول القائل الزاني لا يطأ الا الزانية حتى يكون وطؤه زنا ولو أريد حين التزوج فالاشكال عائد لان الزاني قد يطأ العفيفة حين يتزوج بها الحكم الثاني من أحكام السورة حد القذف والرمي قد يكون بالزنا وبغيره كالكفر والسرقة

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا الحسن قال ثنا عبد الله ابن عيسى قال أخبرني زياد الخراساني قال أسنده الى بعض أهل العلم فنسيته في قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فيسكتون قال فلا يسمع فيها حس الا كطنين الطست حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون هذا قول الرحمن عز وجل حين انقطع كلامهم منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) يقول تعالى ذكره انه وهذه الهاء في قوله انه هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة وقد بينت معناها فيما مضى قبل ومعنى دخولها في الكلام بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع كان فريق من عبادي يقول كانت جماعة من عبادي وهم أهل الايمان بالله يقولون في الدنيا ربنا آمنا بك وبرسلك وما جاؤا به من عندك فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وأنت خير من رحم أهل البلاء فلا تعذبنا بعذابك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) يقول تعالى ذكره فاتخذتم أيها القائلون لربهم ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين في الدنيا القائلين فيها ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين سخريا والهاء والميم في قوله فاتخذتموهم من ذكر الفريق واختلفت القراء في قراءة قوله سخريا فقرأه بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة فاتخذتموهم سخريا بكسر السين ويتأولون في كسرها أن معنى ذلك الهزء ويقولون انها اذا ضمت فمعنى الكلمة السخرة والاستعباد فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء فاتخذتم أهل الايمان بي في الدنيا هزوا ولعبا تهزؤن بهم حتى أنسوكم ذكري وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة فاتخذتموهم سخريا بضم السين وقالوا معنى الكلمة في الضم والكسر واحد وحكى بعضهم عن العرب سماعا لجي ولجي ودري ودري منسوب الى الدر وكذلك كرسي وكرسي وقالوا ذلك من قيلهم كذلك نظير قولهم في جمع العصا العصي بكسر العين والعصي بضمها قالوا وانما اخترنا الضم في السخري لانه أفصح اللغتين والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب وليس يعرف من فرق بين معنى ذلك اذا كسرت السين واذا ضمت لما ذكرت من الرواية عمن سمع من العرب ما حكيت عنه ذكر الرواية به عن بعض من فرق في ذلك بين معناه مكسورة سينه ومضمومة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فاتخذتموهم سخريا قال هما مختلفتان سخريا وسخريا يقول الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال هذا سخريا يسخرونهم والآخرون

وسرب الخمر الا أن العلماء أجمعوا على أن المراد به في الآية هو الرمي بالزنا بالقرائن منها تقدم ذكر الزنا ومنها ذكر المحصنات وهن العفائف ومنها قوله لم يأتوا بأربعة شهداء أي على صحة ما رموها به ومعلوم أن هذا العدد من الشهود غير مشروط الا في الزنا والقذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان وألفاظ القذف تنقسم الى صريح وكناية وتعريض فالصريح أن يقول يا زانية أو زنيت أو زنى قبلك أو دبرك والأصح أن قوله زنى بدنك صريح لأن الفعل لكل البدن والفرج آلة والكناية أن يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا بنت الحرام أو امرأته لا ترد يد لامس فهذا لا يكون قذفا الا أن يريده وكذا لو قال لعربي

يا نبطي الدار واللسان وادعت أم المقول له أنه أراد القذف فالقول قوله مع يمينه والتعريض ليس بقذف كقوله يا ابن الحلال وأما أنا فلست أمي بزانية وهذا قول الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه وقال مالك يجب الحد فيه وقال أحمد واسحق هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا لنا أن الاصل براءة الذمة فلا يرجع عنه بالشك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات والايذاء الحاصل بالتصريح فوق الايذاء الحاصل بالتعريض حجة المخالف ما روي أن رجلين استبا في زمن عمر بن الخطاب فقال أحدهما للآخر والله ما أبي بزان ولا أمي بزانية فاستشار عمر الناس في ذلك فقال قائل مدح أباه وأمه وقال آخرون قد كان لأبيه وأمه مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين واذا قذف شخصا واحدا مرارا فان أراد بالكل زنية واحدة كما لو قال مرارا زنيت بعمرو لم يجب الا حد واحد ولو أنشأ الثاني بعد ما حد للاول عزر للثاني وان أراد زنيات مختلفة كأن قال زنيت بزيد وزنيت بعمرو فالاصح تداخل الحدود لأنهما حدان من جنس واحد فصار كما لو قذف زوجته مرارا يكتفي بلعان واحد واذا قذف جماعة بكلمات أو بكلمة واحدة كأن قال يا ابن الزانيين فعليه حدان لأنه قذف لكل واحد من أبويه هذا هو الجديد من قولي الشافعي وعند أبي حنيفة لا يجب الا حد واحد لان قوله والذين يرمون المحصنات معناه كل من رمى جماعة من المحصنات فاجلدوه ثمانين ولأنه صلى الله عليه وسلم قال لهلال بن أمية أو حد في ظهرك فلم يوجب عليه الا حدا واحدا مع قذفه لامرأته ولشريك بن سحماء وللقياس على من زنى مرارا أو شرب أو سرق مرارا والجامع رفع مزيد الضرر وأجيب بأن قوله والذين صيغة جمع وقوله المحصنات كذلك واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فيصير المعنى كل من رمى محصنة فاجلدوه وفيه أن رمي المحصنة علة الجلد فحيث وجدت وجد ولا شك أن هذه العلة موجودة عند رمي كل واحدة

الذين يستهزؤن بهم هم سخريا فقال سخريا يا يسخرونهم عندك فسخرك رفعك فوقه والآخرون استهزؤا بأهل الاسلام هي سخريا يسخرون منهم فهما مختلفان وقرأ قول الله كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون وقال يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح اتخذوهم سخريا اتخذوهم هزؤا لم يزالوا يستهزؤن بهم وقوله حتى أنسوكم ذكري يقول لم يزل استهزاؤكم بهم أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري فألهاكم عنه وكنتم منهم تضحكون كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حتى أنسوكم ذكري قال أنسى هؤلاء الله استهزاؤهم بهم وضحكهم بهم وقرأ ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون حتى بلغ ان هؤلاء لضالون وقوله اني جزيتهم اليوم بما صبروا يقول تعالى ذكره اني أيها المشركون بالله المخلدون في النار جزيت الذين اتخذتموهم في الدنيا سخريا من أهل الايمان بي وكنتم منهم تضحكون اليوم بما صبروا على ما كانوا يلقون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا انهم هم الفائزون اختلفت القراء في قراءة انهم فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة أنهم بفتح الالف من انهم بمعنى جزيتهم هذا فان في قراءة هؤلاء في موضع نصب بوقوع قوله جزيتهم عليها لان معنى الكلام عندهم اني جزيتهم اليوم الفوز بالجنة وقد يحتمل النصب من وجه آخر وهو أن يكون موجها معناه الى اني جزيتهم اليوم بما صبروا لأنهم هم الفائزون بما صبروا في الدنيا على ما لقوا في ذات الله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة انهم بكسر الالف منها بمعنى الابتداء وقالوا ذلك ابتداء من الله مدحهم وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الالف لأن قوله جزيتهم قد عمل في الهاء والميم والجزاء انما يعمل في منصوبين واذا عمل في الهاء والميم لم يكن له العمل في أن فيصير عاملا في ثلاثة الا أن ينوي به التكرير فيكون نصب أن حينئذ بفعل مضمر لا بقوله جزيتهم وان هي نصبت باضمار لام لم يكن له أيضا كبير معنى لان جزاء الله عباده المؤمنين بالجنة انما هو على ما سلف من صالح أعمالهم في الدنيا وجزاؤه اياهم وذلك في الآخرة هو الفوز فلا معنى لأن يشرط لهم الفوز بالاعمال ثم يخبر أنهم انما فازوا لأنهم هم الفائزون فتأويل الكلام اذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا اني جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذاكم بها انهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبدا بما عملوا من صالحات الاعمال في الدنيا ولقوا في طلب رضاي من المكاره فيها القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله كم لبثتم في الارض عدد سنين وفي قوله لبثنا يوما أو بعض يوم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة

من المحصنات فيترتب عليها الجلد لامحالة وأما السنة فالانصاف أن دلالتها على المطلوب قوية وأما القياس فالفرق أن هذا حق الآدمي وتلك حدود الله تعالى هذا كله هو البحث عن الرمي وأما البحث عن الرامي فنقول لا عبرة بقذف الصبي والمجنون الا في باب التعزير للتأديب ان كان لهما تمييز ولو لم يتفق اقامة التعزير على الصبي حتى بلغ قال القفال يسقط التعزير لأنه كان للزجر والعقل زاجر قوي واشارة الاخرس وكتابته قذف ولعان عند الشافعي قياسا على سائر الأحكام ولأنه كاف في لحوق العار وعند أبي حنيفة لا يصح قذفه ولعانه لانه اضعف تأثيرهما واذا قذف العبد حرا فعليه أربعون جلدة قاله مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه على قانون قوله فعليهن نصف ما على المحصنات

المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر قال كم لبثتم وكذلك قوله قال ان لبثتم ووجه هؤلاء تأويل الكلام الى أن الله قال لهؤلاء الاشقياء من أهل النار وهم في النار كم لبثتم في الارض عدد سنين وأنهم أجابوا الله فقالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فنسي الاشقياء لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب مدة مكثهم التي كانت في الدنيا وقصر عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها لما حل بهم من نقمة الله حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها الا يوما أو بعض يوم ولعل بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل والسنين الكثيرة وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة على وجه الامر لهم بالقول كأنه قال لهم قولوا كم لبثتم في الارض وأخرج الكلام مخرج الامر للواحد والمعني به الجماعة اذ كان مفهوما معناه وانما اختار هذه القراءة من اختارها من أهل الكوفة لان ذلك في مصاحفهم قل بغير ألف وفي غير مصاحفهم بالألف * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ذلك قال كم لبثتم على وجه الخبر لأن وجه الكلام لو كان ذلك أمرا أن يكون قولوا على وجه الخطاب للجمع لان الخطاب فيما قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار فالذي هو أولى أن يكون كذلك قوله قولوا لو كان الكلام جاء على وجه الامر وان كان الآخر جائزا أعني التوحيد لما بينت من العلة لقارئ ذلك كذلك وجاء الكلام بالتوحيد في قراءة جميع القراء كان معلوما أن قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه اذ كان ذلك هو الفصيح المعروف من كلام العرب فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام قال الله كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين قالوا مجيبين له لبثنا فيها يوما أو بعض يوم فاسأل العادين لأنا لا ندري قد نسينا ذلك واختلف أهل التأويل في المعني بالعادين فقال بعضهم هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصون عليهم ساعاتهم * ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فاسأل العادين قال الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل هم الحساب * ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاسأل العادين قال فاسأل الحساب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فاسأل العادين قال فاسأل أهل الحساب * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فاسأل العادين وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك وجائز أن يكونوا الملائكة وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم ولا حجة بأي ذلك من أي ثبتت صحتها فغير جائز توجيه معنى ذلك الى بعض العادين دون بعض * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون﴾

من العذاب وعند الشيعة وروى عن علي رضي الله عنه أنه يجلد ثمانين أخذا بعموم الآية ولهذا اتفقوا على دخول الكافر فيه حتى لو قذف اليهودي مسلما جلد ثمانين ويستثنى من الرماة الاب أو الجد اذا قذف أولاده أو أحفاده فانه لا يجب عليه الحد كما لا يجب عليه القصاص وأما البحث عن المرمي فالمحصنات العفائف لانهن منعن فروجهن الامن زوجهن وهي عامة الا أن الفقهاء اعتبروا لكونها محصنة شرائط خمسا الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن والعقل والبلوغ لأن المجنون والصبي لا اهتمام لهما بدفع العار عن أنفسهما والحرية لمثل ما قلنا والعفة لان الحد شرع لتكذيب القاذف فاذا كان صادقا فلا معنى للحد حتى لو زنى مرة في عنفوان شبابه ثم تاب وحسنت حاله لم يحد قاذفه بخلاف ما لو زنى في حال صغره أو جنونه ثم بلغ أو أفاق فقذفه قاذف فانه يحد لأن فعل الصبي والمجنون لا يكون زنا ولو زنى بعد القذف وقبل اقامة الحد على القاذف سقط الحد عن قاذفه قاله أبو حنيفة والشافعي لأن ظهور الزنا منه خدش ظن الاحصان به وقت القذف ودل على أنه كان متصفا به قبله كما روي أن رجلا زنى في عهد عمر فقال والله ما زنيت الا هذه فقال عمر كذبت ان الله لا يفضح عبده في أول مرة وقال أحمد والمزني وأبو ثور الزنا الطارئ لا يسقط الحد عن القاذف ولفظ المحصنات لا يتناول الرجال عند جمهور العلماء الا أنهم أجمعوا على أنه لا فرق في هذا الباب بين المحصنين والمحصنات والقذف بغير الزنا كأن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق وكذا قذف غير المحصنين بالزنا لا يوجب الا التعزير ولو كان المقذوف معروفا بما ذكره فلا تعزير أيضا واعلم أنه سبحانه حكم على القاذف اذا لم يأت بأربعة شهداء بثلاثة أحكام جلد ثمانين وبطلان الشهادة

والحكم بفسقه الى أن يتوب فذهب جمع من الأئمة كالشافعي والليث بن سعد الى أنه رتب على القذف مع عدم الاتيان بالشهداء الاربعة أمورا ثلاثة معطوفة بعضها على بعض بالواو وهو لا يفيد الترتيب فوجب أن لا يكون رد الشهادة مرتبا على اقامة الحد بل يجب أن يثبت رد الشهادة بالقذف مع عدم البينة سواء أقيم عليه الحد أم لا وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابه شهادته مقبولة مالم يحد فاذا استوفى لم تقبل شهادته وانما ذهب الى هذا نظرا الى ظاهر الترتيب مع موافقته للاصل وهو كونه مقبول الشهادة مالم يطرأ مانع ولقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا (٥٠) فى قذف أخبر ببقاء عدالته مالم يحد أما الاستثناء فى قوله (الا الذين تابوا) فانه لا يرجع الى الجملة الاولى اتفاقا لأنه اذا عجز عن البينة وهو الاتيان بأربعة شهداء وجب عليه الجلد ولم يكن للامام ولا للمقذوف أن يعفو عن القاذف لانه خالص حق الله عز وجل ولهذا لا يصح أن يصالح عنه بمال هذا قول أبى حنيفة وأصحابه وقال الشافعى اذا عجز عن البينة وجب على الامام وهو المخاطب بقوله فاجلدوهم أن يأمر بجلده وان تاب لان القذف وحده حق الآدمى والمغلب فيه حقه فليس للامام أن يعفو عنه ولا خلاف فى رجوع الاستثناء الى الجملة الاخيرة وأن المراد أنهم محكوم عليهم بالفسق الا ان تابوا بقى الخلاف فى رجوع الاستثناء الى الجملة المتوسطة ومنشأ الخلاف مسئلة أصولية هى أن الاستثناء بعد جمل معطوف بعضها على بعض للجميع وهو مذهب الشافعية أو للاخيرة وهو مذهب الحنفية ويتفرع على مذهب الشافعى أن القاذف اذا تاب وحسنت حاله قبلت شهادته فيكون الابد مصروفا الى مدة كونه قاذفا وهى تنتهى بالتوبة والرجوع عن القذف ويتفرع على مذهب أبى حنيفة أنه لم تقبل شهادته وان تاب والابد عنده مدة حياته وقوله (وأولئك هم الفاسقون) جملة مستأنفة عنده لا معطوفة لأنها خبرية وما قبلها طلبية ولو سلم أنها معطوفة فالاستثناء يرجع اليها فقط قال صاحب الكشاف حق المستثنى عند الشافعى أن يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم وحقه عند أبى حنيفة أن يكون منصوبا لانه عن موجب قلت حقه عند الامامين أن يكون منصوبا لأن الاستثناء يعود عند الشافعى الى الجملتين ولا يمكن أن يكون الاسم الواحد معربا باعرابين مختلفين فى حالة واحدة لكنه يجب نصبه نظرا الى الاخيرة فتعين نصبه نظرا الى ما قبلها أيضا وان جاز البدل فى غير هذه المادة هذا وقد احتجت الشافعية أيضا فى قبول شهادة القاذف بعد التوبة بقوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا كانت التوبة

اختلف القراء فى قراءة قوله قال ان لبثتم الا قليلا اختلافهم فى قراءة قوله قال كم لبثتم والقول عندنا فى ذلك فى هذا الموضع نحو القول الذى بيناه قبل فى قوله كم لبثتم وتأويل الكلام على قراءتنا قال الله لهم ما لبثتم فى الارض الا قليلا يسيرا لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها وقوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا يقول تعالى ذكره أفحسبتم أيها الاشقياء أنا انما خلقناكم اذ خلقناكم لعبا وباطلا وأنكم الى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء فتجزون بما كنتم فى الدنيا تعملون وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة لا ترجعون بضم التاء لا تردون وقالوا انما هو من مرجع الآخرة لا من الرجوع الى الدنيا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة لا ترجعون وقالوا سواء فى ذلك مرجع الآخرة والرجوع الى الدنيا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال انهما قراءتان متقاربتا المعنى لان من رده الله الى الآخرة من الدنيا بعد فنائه فقد رجع اليها وأن من رجع اليها فبرد الله اياه اليها رجع وهما مع ذلك قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا قال باطلا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) يقول تعالى ذكره فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له شريكا وعما يضيفون اليه من اتخاذ البنات لا اله الا هو يقول لا معبود تنبغى له العبودة الا الله الملك الحق رب العرش الكريم والرب مرفوع بالرد على الحق ومعنى الكلام فتعالى الله الملك الحق رب العرش الكريم لا اله الا هو ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) يقول تعالى ذكره ومن يدع مع المعبود الذى لا تصلح العبادة الا له معبودا آخر لا حجة له بما يقول ويعمل من ذلك ولا بينة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لا برهان له به قال بينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لا برهان له به قال حجة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله لا برهان له به قال لا حجة وقوله فانما حسابه عند ربه يقول فانما حساب عمله السيئ عند ربه وهو موفيه جزاءه اذا قدم عليه انه لا يفلح الكافرون يقول انه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء فى النعيم ﴿ القول فى تأويل

قوله

من الكفر والزنا والقتل مع غلظها مقبولة فلأن تقبل من القذف أولى وأيضا ان أبا حنيفة يقبل شهادته قبل الحد فبعده وقد تاب وحسن حاله أولى وأيضا الكافر يقذف فيتوب من الكفر فتقبل شهادته بالاجماع فالقاذف المسلم اذا تاب من القذف كان أولى بأن تقبل شهادته لأن القذف مع الاسلام أهون حالا من القذف مع الكفر لا يقال المسلمون لا يعبئون بسب الكفار لاشتهارهم بعداوتهم والطعن فيهم فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر عار حادث بخلاف ما لو قذفه مسلم وأيضا الايمان يجب ما قبله وبهذا لا يلزم الحد بعد التوبة من الكفر ويلزم بعد التوبة من القذف لأنا نقول هذا الفرق ملغى في أهل الذمة لقوله صلى الله عليه وسلم لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين

قوله تعالى ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد رب استر على ذنوبي بعفوك عنها وارحمني بقبول توبتي وترك عقابي على ما اجترمت وأنت خير الراحمين يقول وقل وأنت يا رب خير من رحم ذا ذنب فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه

آخر تفسير سورة المؤمنين

﴿تفسير سورة النور﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون﴾ قال أبو جعفر يعني بقوله تعالى ذكره سورة أنزلناها وهذه السورة أنزلناها وإنما قلنا معنى ذلك كذلك لأن العرب لا تكاد تبتدئ بالنكرات قبل أخبارها اذا لم تكن جوابا لأنها توصل كما يوصل الذي ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة فيستقبح الابتداء بها قبل الخبر اذا لم تكن موصولة اذ كان يصير خبرها اذا ابتدئ بها كالصلة لها ويصير السامع خبرها كالمتوقع خبرها بعد اذ كان الخبر عنها بعدها كالصلة لها واذا ابتدئ بالخبر عنها قبلها لم يدخل الشك على سامع الكلام في مراد المتكلم وقد بينا فيما مضى قبل أن السورة وصف لما ارتفع بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله وفرضناها فان القراء اختلفت في قراءته فقرأه بعض قراء الحجاز والبصرة وفرّضناها ويتأولونه وفصلناها ونزلنا فيها فرائض مختلفة وكذلك كان مجاهد يقرؤه ويتأوله حدثني أحمد ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا ابن مهدي عن عبد الوارث بن سعيد عن حميد عن مجاهد أنه كان يقرؤها وفرّضناها يعني بالتشديد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وفرّضناها قال الأمر بالحلال والنهي عن الحرام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقد يحتمل ذلك اذا قرئ بالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مجاهد وهو أن يوجه الى أن معناه وفرّضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس الى قيام الساعة وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والشأم وفرضناها بتخفيف الراء بمعنى أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم وألزمناكموه وبينا ذلك لكم * والصواب من القول في ذلك أنهما

واحتجت الحنفية في عدم قبول شهادته بما روى ابن عباس في قصة هلال بن أمية يجلد هلال وتبطل شهادته في المسلمين ولم يشترط التوبة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا في قذف ولم يذكر التوبة وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود في الاسلام والشافعية عارضوا هذه الحجج بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد فاذا علم المحدود وجبت عليه الشهادة ولو لم يقبل كان عبثا ومنها قوله نحن نحكم بالظاهر وههنا قد ظهرت العفة والصلاح ومنها أن عمر بن الخطاب ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكرة ونافع ونفيع ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت شهادته فأكذب نافع ونفيع أنفسهما وتابا فكان يقبل شهادتهما وقد بقي في الآية مسائل الأولى قال الشافعي لا فرق بين أن يجيء الشهود متفرقين أو مجتمعين وقال أبو حنيفة اذا جاؤا متفرقين لم يثبت وعليهم حد القذف كما لو شهد على الزنا أقل من أربعة حجة الشافعي أن الآتي بالشهداء متفرقين آت بمقتضى النص واجتماعهم أمر زائد لا اشعار به في الآية وأيضا القياس على سائر الاحكام بل تفريقهم أولى لأنه أبعد عن التهمة والتواطؤ وكذلك يفعل القاضي في كل حكم سواء عند الريبة وأيضا لا يجب أن يشهدوا معا في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا عند القاضي ويقوم واحد بعد آخر ويشهد جاز فكذا اذا اجتمعوا على بابه ويدخل واحد بعد آخر حجة أبي حنيفة أن الشاهد الواحد لما شهد قذفه ولم يأت بأربعة شهداء فوجب عليه الحد فخرج عن كونه شاهدا ولا عبرة بتسميته شاهدا اذا فقد المسمى فلا خلاص عن هذا الاشكال الا باشتراط الاجتماع ونظيره ما روى أن المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا عند عمر بن الخطاب أربعة أبو بكرة ونافع

ونفيع وقال زياد وكان رابعهم رأيت رجليها على عاتقه كأذني حمار ولا أدري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف في الحد للاحتياط الثانية جوز أبو حنيفة أن يكون زوج المقذوفة واحدا من الشهداء الاربعة وأباه الشافعي الثالثة قال الشافعي في أحد قوليه اذا أتى بأربعة فساق فهم قذفة يجب عليهم الحد كما يجب على القاذف الاول وقال أبو حنيفة لا حد عليهم ولا على القاذف لانه أتى بأربعة من أهل الشهادة الا أن الشرع لم يعتبر شهادتهم فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك يجب اعتبارها في نفي الحد عنهم الرابعة لا يكفي في الشهادة اطلاق (٢ ٥) الزنا بل لا بد أن يذكروا التي زنى بها وأن يذكروا الزنا مفصلا مفسرا فيقولوا رأيناه أدخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة أو كالرشا في البئر ولا بد مع ذلك من الوصف بالتحريم ولو أقر على نفسه بالزنا فهل يشترط التفسير والبيان فيه وجهان نعم كالشهود لا كالقذف الخامسة قالوا أشد الحدود ضرب الزنا ثم ضرب الخمر ثم القذف لان سبب عقوبته يحتمل الصدق والكذب الا أنه عوقب صيانة للاعراض السادسة حد القذف يورث عند مالك والشافعي بناء على أنه حق الآدمي وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك حقا فلورثته والأصح أنه يرثه جميع الورثة وفي قول سوى الزوج والزوجة لان الزوجية ترفع بالموت ولان لحوق العار بها أقل وعلى هذا القول اعترض أبو حنيفة بأنه لو كان موروثا لكان للزوج والزوجة فيه نصيب السابعة اذا قذف انسان انسانا بين يدي الحاكم أو قذف امرأته برجل والرجل غائب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف ويخبره بأن فلانا قد قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له حق على آخر وهو لا يعلمه يلزمه اعلامه وبهذا المعنى بعث النبي صلى الله عليه وسلم أنيسا ليخبرها بأن فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتفحص عن زناها قال الشافعي وليس للامام اذا رمي رجل بالزنا أن يبعث اليه فيسأله عن ذلك لأن الله تعالى قال ولا تجسسوا

بهما

وأراد به اذا لم يكن القاذف معينا كأن قال رجل بين يدي الحاكم الناس يقولون ان فلانا زنى فلا يبعث الحاكم اليه فيسأله الثامنة قال الشافعي توبة القاذف اكذابه نفسه وفسره الاصطخري بأن يقول كذبت فيما قلت فلا أعود الى مثله وقال أبو اسحق لا يقول كذبت لأنه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية والاتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية أخرى بل يقول القذف باطل وندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا أعود اليه ولا بد من مضي مدة عليه في حسن الحال وهو المراد بقوله وأصلحوا وقدروا تلك المدة بسنة لان مرور

قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن الله قد فصلها وأنزل فيها ضروبا من الأحكام وأمر فيها ونهى وفرض على عباده فيها فرائض ففيها المعنيان كلاهما التفريض والفرض فلذلك قلنا بأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب ذكر من تأول ذلك بمعنى الفرض والبيان من أهل التأويل حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وفرضناها يقول بيناها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله سورة أنزلناها وفرضناها قال فرضناها لهذا الذي يتلوها مما فرض فيها وقرأ فيها آيات بينات لعلكم تذكرون وقوله وأنزلنا فيها آيات بينات يقول تعالى ذكره وأنزلنا في هذه السورة علامات ودلالات على الحق بينات يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل أنها من عند الله فانها الحق المبين وانها تهدي الى الصراط المستقيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وأنزلنا فيها آيات بينات قال الحلال والحرام والحدود ولعلكم تذكرون يقول لتتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره من زنى من الرجال أو زنت من النساء وهو حر بكر غير محصن بزوج فاجلدوه ضربا مائة جلدة عقوبة لما صنع وأتى من معصية الله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله يقول تعالى ذكره لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رأفة وهي رقة الرحمة في دين الله يعني في طاعة الله فيما أمركم به من اقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به واختلف أهل التأويل في المنهي عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما فقال بعضهم هو ترك اقامة حد الله عليهما فأما اذا أقيم عليهما الحد فلم تأخذهم بهما رأفة في دين الله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى بن أبي زائدة عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر قال جلد ابن عمر جارية له أحدثت فجلد رجليها قال نافع وحسبت أنه قال وظهرها فقلت ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال وأخذتني بها رأفة ان الله لم يأمرني أن أقتلها حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن أبي مليكة يقول ثني عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر حد جارية له فقال للجالد وأشار الى رجلها والى أسفلها قلت فأين قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أفأقتلها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أن تقيم الحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا تأخذكم

الفصول الاربعة كلها له تأثير في الطباع وأن الشارع جعل السنة معتبرة في الزكاة والجزية وغيرهما أما قوله (وأولئك هم الفاسقون) ففيه دليل على أن القذف من جملة الكبائر وأن الفاسق اسم من يستحق العقاب لانه لو كان مشتقا من فعله لكانت التوبة لا تمنع من دوامه كما لا تمنع من وصفه بأنه ضارب اللهم الا أن يقال انما لا يطلق عليه هذا الاسم بعد التوبة للتعظيم كما لا يقال لأكابر الصحابة كافر لكفر سبق قالت الاشاعرة في قوله (فان الله غفور رحيم) دلالة على أن قبول التوبة لا يجب عليه والا لم يفد المدح الحكم الثالث اللعان وسببه قذف الزوجات خاصة القذف أمر محظور في نفسه الا اذا عرض ما يباح أو يجب به وتفصيل ذلك أنه ان رآها الزوج بعينه تزني أو أقرت هي على نفسها ووقع في قلبه صدقها أو سمع ممن يثق بقوله أو استفاض بين الناس أن فلانا زنى بفلانة وقد رآه الزوج يخرج من بيتها أو رآه معها في بيت أبيح له القذف لتأكد التهمة ويجوز أن يمسكها أو يستر عليها لما روى أن رجلا قال يا رسول الله ان لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني أحبها قال فأمسكها أما اذا سمعه ممن لا يوثق بقوله أو استفاض ولكن لم يره الزوج معها أو بالعكس لم يحل له قذفها لأنه ربما دخل لخوف أو سرقة أو لطلب فجور وأبت المرأة هذا كله اذا لم يكن ثمة ولد يريد نفيه فان كان ثمة ولد فان تيقن أنه ليس منه بأن لم يكن وطئها أو وطئها لكنها أتت به لأقل من ستة أشهر من وقت الوطء أو لأكثر من أربع سنين يجب عليه نفيه باللعان لانه ممنوع من استلحاق نسب الغير كما هو ممنوع من نفي نسبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤس الأشهاد من الأولين والآخرين وان احتمل أن يكون الولد منه بأن أتت به لأكثر من ستة أشهر من وقت الوطء ولأقل من أربع سنين فان لم يكن استبرأها بحيضة أو استبرأها وأتت به لدون ستة أشهر من وقت الاستبراء لم يحل له القذف والنفي وان اتهمها بالزنا وان استبرأها وأتت به لأكثر من ستة أشهر من وقت الاستبراء يباح له القذف والنفي والاولى أن لا يفعل لأنها قد ترى الدم على الحبل وان أتت امرأته بولد لا يشبهه كأن كانا أبيضين وأتت به أسود فان لم يتهمها بالزنا فليس له نفيه لما روى أبو هريرة أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان امرأتي ولدت غلاما أسود فقال هل لك من ابل قال نعم قال ما ألوانها قال حمر قال فهل فيها أورق قال نعم قال فكيف ذلك قال نزعه عرق قال فلعل هذا نزعه عرق وان كان يتهمها بزنا أو برجل فأتت بولد

بهما رأفة في دين الله قال لا تضيعوا حدود الله قال ابن جريج وقال مجاهد لا تأخذكم بهما رأفة لا تضيعوا الحدود في أن تقيموها وقالها عطاء بن أبي رباح حدثنا أبو هشام قال ثنا عبد الملك وحجاج عن عطاء ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال يقام حد الله ولا يعطل وليس بالقتل حدثنا ابن المثنى قال ثني محمد بن فضيل عن داود عن سعيد بن جبير قال الجلد حدثني عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا محمد بن فضيل عن المغيرة عن ابراهيم في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال الضرب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قلت لأبي مجلز الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما الى قوله واليوم الآخر انا لنرحمهم أن يجلد الرجل حدا أو تقطع يده قال انما ذاك أنه ليس للسلطان اذا رفعوا اليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال لا تقام الحدود حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فتدعوهما من حدود الله التي أمر بها وافترضها عليهما * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران أنه سأل سليمن بن يسار عن قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله أفي الحدود أو في العقوبة قال ذلك فيهما جميعا حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا يحيى بن زكريا عن عبد الملك ابن أبي سليمان عن عطاء في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أن يقام حد الله ولا يعطل وليس بالقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال الضرب الشديد * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب عنهما ولكن أوجعوهما ضربا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى ابن أبي بكر قال ثنا أبو جعفر عن قتادة عن الحسن وسعيد بن المسيب ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال الجلد الشديد * قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن حماد قال يحد القاذف والشارب وعليهما ثيابهما وأما الزاني فتخلع ثيابه وتلا هذه الآية ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقلت لحماد أهذا في الحكم قال في الحكم والجلد حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري قال يجتهد في حد الزاني والفرية ويخفف في حد الشرب وقال قتادة يخفف في الشراب ويجتهد في الزاني * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة في اقامة حد الله عليهما الذي افترض عليكم اقامته عليهما وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لدلالة قول الله بعده في دين الله يعني في طاعة الله التي أمركم بها ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين اقامة الحد عليهما على ما أمر من جلد كل واحد منهما مائة جلدة مع أن

يشبهه فهل يباح نفيه فيه وجهان أما سبب نزول الآية فقد قال ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة قال عاصم بن عدى الانصارى اذا دخل منا رجل بيته ووجد رجلا على بطن امرأته فان جاء بأربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس فأتى عويمر عاصما وقال رأيت شريك بن السحماء على بطن امرأتى خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجمعة الاخرى فقال يارسول الله ما أسرع ما ابتليت بهذا فى أهل بيتى (٥٤) أخبرنى عويمر أنه رأى شريكا على بطن امرأته وكان عويمر وخولة وشريك كلهم أبناء عم عاصم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا وقال لعويمر اتق الله فى زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يارسول الله أقسم بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى ما قربتها منذ أربعة أشهر وانها حبلى من غيرى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقى الله ولا تخبرى الا بما صنعت فقالت يارسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه رأى شريكا يطيل التردد ويتحدث فحملته الغيرة على ماقال فأنزل الله سبحانه هذه الآيات (والذين يرمون أزواجهم) الى آخرها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودى بالصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل أشهد بالله ان خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثانية قل أشهد بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثالثة قل أشهد بالله انها حبلى من غيرى وانى لمن الصادقين ثم قال فى الرابعة قل أشهد بالله انها زانية وانى ما قربتها منذ أربعة أشهر وانى لمن الصادقين ثم قال فى الخامسة قل لعنة الله على عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين فقالها ثم قال اقعد وقال لخولة قومى فقامت وقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وان زوجى عويمرا لمن الكاذبين وقالت فى الثانية أشهد بالله ما رأى شريكا على بطنى وانه لمن الكاذبين وقالت فى الثالثة أشهد بالله انى حبلى منه وانه لمن الكاذبين وفى الرابعة أشهد بالله انه ما رآنى على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين وفى الخامسة غضب الله على خولة ان كان عويمر من الصادقين فى قوله ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وعن ابن عباس أيضا فى رواية الكلبى أن عاصما رجع الى أهله فوجد شريكا على بطن امرأته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث كما تقدم وفى رواية عكرمة عن ابن عباس لما نزلت آية القذف قال سعد بن عبادة وهو سيد الانصار لو وجدت رجلا على بطنها فانى ان جئت بأربعة شهداء يكون

الشدة فى الضرب لا حد لها يوقف عليه وكل ضرب أوجع فهو شديد وليس للذى يوجع فى الشدة حد لا زيادة فيه فيؤمر به وغير جائز وصفه جل ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به الى معرفته واذا كان ذلك كذلك فالذى للمأمورين الى معرفته السبيل هو عدد الجلد على ما أمر به وذلك هو اقامة الحد على ما قلنا والعرب فى الرأفة لغتان الرأفة بتسكين الهمزة والرآفة بمدها كالسأمة والسآمة والكأبة والكآبة وكأن الرأفة المرة الواحدة والرآفة المصدر كما قيل ضؤل ضآلة مثل فعل فعالة وقبح قباحة وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر يقول ان كنتم تصدقون بالله ربكم وباليوم الآخر وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة وللثواب والعقاب فان من كان بذلك مصدقا فانه لا يخالف الله فى أمره ونهيه خوف عقابه على معاصيه وقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين يقول تعالى ذكره وليحضر جلد الزانيين البكرين وحدهما اذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين والعرب تسمى الواحد فما زاد طائفة وقوله من المؤمنين يقول من أهل الايمان بالله ورسوله وقد اختلف أهل التأويل فى مبلغ عدد الطائفة الذى أمر الله بشهود عذاب الزانيين البكرين فقال بعضهم أقله واحد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل حدثنا على بن سهل بن موسى بن اسحق الكنانى وابن القواس قالا ثنا يحيى بن عيسى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل قال على فما فوق ذلك وقال ابن القواس فأكثر من ذلك حدثنا على قال ثنا زيد عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية قال قال ابن أبى نجيح وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال مجاهد أقله رجل حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة الواحد الى الالف حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد فى هذه الآية وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة واحد الى الألف وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما حدثنا ابن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد قال الطائفة الرجل الواحد الى الألف قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما انما كانا رجلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت عيسى ابن يونس يقول ثنا النعمان بن ثابت عن حماد وابراهيم قالا الطائفة رجل حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل واحد فما فوقه * وقال آخرون أقله فى هذا الموضع رجلان

ذكر

ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال قال عطاء أقله رجلان حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة قال ليحضر رجلان فصاعدا * وقال آخرون أقل ذلك ثلاثة فصاعدا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن ابن أبي ذئب عن الزهري قال الطائفة الثلاثة فصاعدا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال نفر من المسلمين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا أشعث عن أبيه قال أتيت أبا برزة الاسلمي في حاجة وقد أخرج جارية الى باب الدار وقد زنت فدعا رجلا فقال اضربها خمسين فدعا جماعة ثم قرأ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن أشعث عن أبيه أن أبا برزة أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ضربا غير مبرح قال فألقى عليها ثوبا وعنده قوم وقرأ وليشهد عذابهما الآية * وقال آخرون بل أقل ذلك أربعة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال فقال الطائفة التي يجب بها الحد أربعة * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين الواحد فصاعدا وذلك أن الله عم بقوله وليشهد عذابهما طائفة والطائفة قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا فاذ كان ذلك كذلك ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد كان معلوما أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحد مما أمره الله به بقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين غير أني وان كان الامر على ما وصفت أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنا لأن ذلك اذا كان كذلك فلا خلاف بين الجميع أنه قد أدى المقيم الحد ما عليه في ذلك وهم فيما دون ذلك مختلفون ❊ القول في تأويل قوله ﴿ الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح نسوة كن معروفات بالزنا من أهل الشرك وكن أصحاب رايات يكرين أنفسهن فأنزل الله تحريمهن على المؤمنين فقال الزاني من المؤمنين لا يتزوج الا زانية أو مشركة لأنهن كذلك والزانية من أولئك البغايا

قد قضى حاجته وذهب فقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه فانه رجل غيور فقال سعد يا رسول الله اني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكني عجبت منه فقال صلى الله عليه وسلم فان الله أبى الا ذلك فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فقال يا رسول الله اني وجدت مع امرأتي رجلا رأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به فقال هلال والله يا رسول الله اني لأرى الكراهية في وجهك مما أخبرتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما البينة واما اقامة الحد عليك فاجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد فبيناهم كذلك اذ نزل الوحي فقال يا هلال أبشر فقد جعل الله لك فرجا وأمر بالملاعنة وفرق بينهما وقال أبصروها فان جاءت به أصهب أحمش الساقين أي دقيقهما فهو لهلال وان جاءت به أورق جعدا خدلج الساقين أي ضخمهما فهو لصاحبه فجاءت به خدلج الساقين فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شأن قال عكرمة لقد رأيته بعد ذلك أمير مصر من الامصار لا يدري من أبوه واعلم أن الفرق بين قذف غير الزوجة وبين قذف الزوجة هو أن المخلص من الحد في الاول اقرار المقذوف بالزنا أو بينة تقوم على زناه وفي الثانية المخلص أحد الامرين أو اللعان وسبب شرع اللعان هو أنه لا مضرة على الزوج في زنا الاجنبي والاولى له ستره وأما في زنا الزوجة فيلحقه العار والشنار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيفه على البينة كالمتعذر وأيضا الغالب أن الرجل لا يقصد رمي زوجته الا عن حقيقة فنفس الرمي دليل على صدقه الا أن الشرع أراد اكمال شهادة الحال بقرينة الايمان كما أن شهادة المرأة حين ضعفت أكدت بزيادة العدد فمن هنا قال كثير من العلماء ان حد قاذف الزوجة كان هو الجلد وان الله نسخه باللعان ولنذكر ههنا مسائل * الاولى قال الشافعي اذا نكل الزوج عن اللعان لزمه الحد للقذف فاذا لاعن ونكلت عن اللعان لزمها حد الزنا وقال أبو حنيفة اذا نكل الزوج يحبس حتى يلاعن وكذا المرأة حجة الشافعي اذا لم يأت بالمخلص وهو الملاعنة وجب الرجوع الى مقتضى آية القذف وهو الحد وأيضا قوله ويدرأ عنها العذاب ليست اللام فيه للجنس لأنه لا يجب عليها جميع أنواع العذاب ولان الآية تصير اذا ذاك مجملة فهو للعهد ولا معهود في الآية الا حد القذف ولقوله صلى الله عليه وسلم لخولة الرجم أهون عليك من غضب الله وللمرأة أن تقول ان كان الرجل

لا ينكحها الا زان من المؤمنين أو المشركين أو مشرك مثلها لانهن كن مشركات وحرم ذلك على المؤمنين فحرم الله نكاحهن في قول أهل هذه المقالة بهذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثني الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله ابن عمرو أن رجلا من المسلمين استأذن نبي الله في امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح الرجل وتشترط له أن تنفق عليه وأنه استأذن فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم وذكر له أمرها قال فقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم الزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك أو قال فأنزلت الزانية حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثني هشيم عن التيمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء معلومات قال فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه فنهاهم الله عن ذلك * قال أخبرنا سليمان التيمي عن سعيد بن المسيب قال كن نساء موارد بالمدينة حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبي قال ثنا قتادة عن سعيد بن المسيب في هذه الآية والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال نزلت في نساء موارد كن بالمدينة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابي قال ثنا معتمر عن أبيه عن قتادة عن سعيد بنحوه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن رجل عن عمرو بن شعيب قال كان لمرثد صديقة في الجاهلية يقال لها عناق وكان رجلا شديدا وكان يقال له دلدل وكان يأتي مكة فيحمل ضعفة المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقي صديقته فدعته الى نفسها فقال ان الله قد حرم الزنا فقالت أنى تبرز فخشي أن تشيع عليه فرجع الى المدينة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كانت لي صديقة في الجاهلية فهل ترى لي نكاحها قال فأنزل الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء معلومات يدعون القليقيات حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن ابراهيم ابن مهاجر قال سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال كن بغايا في الجاهلية حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عبد الملك عمن أخبره عن مجاهد نحوا من حديث ابن المثنى الا أنه قال كانت امرأة منهن يقال لها أم مهزول يعني في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فكن نساء معلومات قال فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه فنهاهم الله عن ذلك هذا في حديث التيمي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الزاني لا ينكح الا زانية قال رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان بغايا متعالمات كن في الجاهلية فقيل لهم هذا حرام فأرادوا نكاحهن فحرم الله عليهم نكاحهن

حدثنا

صادقا فحدوني وان كان كاذبا فلوني فما بالي والحبس وليس حبسي في كتاب الله ولا سنة رسوله حجة أبي حنيفة أن النكول ليس بصريح في الاقرار فلا يجوز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا وغيره الثانية الجمهور على أنه اذا قال يا زانية وجب اللعان لعموم قوله والذين يرمون وقال مالك لا يلاعن الا أن يقول رأيتك تزني وينفي حملا بها أو ولدا منها الثالثة قال الشافعي من صح رميه صح لعانه فلا يشترط الا التكليف ويجري اللعان بين الذميين والمحدودين والرقيقين وذهب أبو حنيفة الى أن الزوج ينبغي أن يكون مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة ينبغي أن تكون بهذه الصفة مع العفة فاذا كان الزوج عبدا أو محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات دليل الشافعي عموم قوله والذين يرمون أزواجهم والاجماع على أنه يصح لعان الفاسق والأعمى وان لم يكونا من أهل الشهادة فكذا القول في غيرهما والجامع هو الحاجة الى دفع العار دليل أبي حنيفة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من النساء من ليس بينهن وبين أزواجهن ملاعنة اليهودية والنصرانية تحت المسلم والحرة تحت المملوك والمملوكة تحت الحر وأيضا اللعان بين الزوجات قائم مقام الحد في الاجنبيات فلا يجب اللعان على من لا يجب عليه الحد لو قذفها أجنبي وأيضا اللعان شهادة لقوله تعالى (فشهادة أحدهم أربع شهادات) وقد جاء مثله في أحاديث اللعان واذا كان شهادة وجب أن لا يقبل من المحدود في القذف ولا من العبد والكافر أجاب الشافعي بأن اللعان يمين مؤكدة بلفظ الشهادة أو يمين فيها شائبة الشهادات فلا يشترط في الملاعن الا أهلية اليمين ومما يدل على أنه يمين قوله صلى الله عليه وسلم لهلال بن أمية احلف بالله الذي لا اله الا هو انك صادق وقوله لولا الايمان لكان لي ولها شأن وأيضا لو كان شهادة لكان حظ المرأة ثمان شهادات لأنها على النصف من الرجل ولم يجز لعان الفاسق والأعمى لانهما ليسا من أهل الشهادة لا يقال الفاسق والفاسقة قد يتوبان لأنا نقول العبد أيضا قد يعتق بل العبد اذا عتق تقبل شهادته في الحال والفاسق اذا تاب لا تقبل شهادته الا بعد الاختبار ثم ألزم الشافعي أبا حنيفة بأن شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض مقبولة فينبغي أن يجوز اللعان بين الذمي والذمية ثم قال الشافعي بعد ذلك وتختلف الحدود لمن وقعت له ومعناه أن الزوج ان لم يلاعن يتنصف الحد

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال بغايا معلنات كن كذلك في الجاهلية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن هشام بن عروة عن أبيه واسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي وابن أبي ذئب عن شعبة عن ابن عباس قال كن بغايا في الجاهلية على أبوابهن رايات مثل رايات البيطار يعرفن بها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن قيس بن سعد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال نساء بغايا متعالمات حرم الله نكاحهن لا ينكحهن الا زان من المؤمنين أو مشرك من المشركين حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال كانت بيوت تسمى المواخير في الجاهلية وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهن وكانت بيوتا معلومة للزنا لا يدخل عليهن ولا يأتيهن الا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان فحرم الله ذلك على المؤمنين حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج عن عطاء في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال بغايا متعالمات كن في الجاهلية بغي آل فلان وبغي آل فلان فأنزل الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الاسلام فقال له سليمن بن موسى أبلغك ذلك عن ابن عباس فقال نعم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في ذلك كن بغايا متعالمات بغي آل فلان وبغي آل فلان وكن زواني مشركات فقال الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال أحكم الله من أمر الجاهلية بهذا قيل له أبلغك هذا عن ابن عباس قال نعم * قال ابن جريج وقال عكرمة انه كان يسمى تسعا بعد صواحب الرايات وكن أكثر من ذلك ولكن هؤلاء أصحاب الرايات أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي (١) وأم عليط جارية صفوان بن أمية وحنة القبطية جارية العاصي بن وائل ومرية جارية مالك ابن عميلة بن السباق بن عبد الدار وحلالة جارية سهيل بن عمرو وأم سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي وسريفة جارية زمعة بن الاسود وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة ابن جبل بن مالك بن عامر بن لؤى وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الزهري وقتادة قالوا كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهن فأراد ناس من المسلمين نكاحهن فأنزل الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الزهري وقتادة

(١) لم نقف على ضبط الاسماء فلتحرر

عليه برقه وان لاعن ولم تلاعن اختلف حدها باحصانها وحريتها ورقها الرابعة اختلف المجتهدون في نتائج اللعان فعن عثمان البتي أنه لا يحصل به الفرقة أصلا لأن أكثر ما فيه أن يكون الزوج صادقا في قذفه وهذا لا يوجب تحريما كما لو قامت البينة عليها وأيضا ان تلاعنهما في بينهما لا يوجب الافتراق فكذا عند الحاكم وأيضا انه قائم مقام الشهود في الاجنبيات فلا يكون له تأثير الا في اسقاط الحد وأيضا اذا أكذب الزوج نفسه ثم حد لا يوجب الفرقة فكذا اللعان وأما تفريق النبي صلى الله عليه وسلم بين (٥٧) المتلاعنين في قصة العجلاني فذلك لان الزوج كان طلقها ثلاثا قبل اللعان وعن أبي حنيفة وأصحابه إلا زفر أن الحاكم يفرق بينهما لما روى سهل ابن سعد مضت السنة في المتلاعنين أن يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا ولما في قصة عويمر كذبت عليها ان أمسكتها هي طالق ثلاثا فلو وقعت الفرقة باللعان لم يمكن امساكها وقال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة بينهما وان لم يفرق الحاكم لأنهما لو تراضيا على دوام النكاح لم يخليا فدل ذلك على وقوع الفرقة بينهما وقال الشافعي اذا فرغ الزوج وحده من اللعان حصل بذلك خمس نتائج درء الحد عنه ونفي الولد والفرقة والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها ولا تأثير لعان الزوجة الا في دفع العذاب عن نفسها وما روى أنه صلى الله عليه وسلم فرق بينهما محمول على أنه أخبر عن وقوع الفرقة بينهما وزعم أبو بكر الرازي أن قول الشافعي خلاف الآية لأنه لو وقعت الفرقة بلعان الزوج لاعنت المرأة وهي أجنبية ولكنه تعالى أوجب اللعان بين الزوجين وأيضا اللعان شهادة فلا يثبت حكمها الا عند الحاكم كسائر الشهادات وأيضا اللعان تستحق به المرأة نفسها كما يستحق المدعي ما ادعاه بالبينة فيتوقف على حكم الحاكم وأيضا اللعان لا اشعار فيه بالتحريم فهو كما لو قامت البينة على زناها فلا بد من احداث التفريق إما من قبل الزوج أو من قبل الحاكم ولقائل أن يقول سميا زوجين باعتبار ما كان كالعبد على من عتق ولا نسلم أن اللعان شهادة محضة ومما يؤكد قول الشافعي تنصيص الله سبحانه على ذلك بقوله ويدرأ عنها العذاب أن تشهد ففيه دلالة على أن كل ما يجب باللعان من الأحكام فقد وقع بلعان الزوج الا درء العذاب وأيضا أن لعان الزوج مستقل بنفي الولد لان الاعتبار في الالحاق بقوله لا بقولها ألا ترى أنها

في لعانها تلحق الولد به ونحن ننفيه عنه واذا انتفى الولد عنه بمجرد لعانه وجب أن يكون الفراش زائلا لقوله الولد للفراش * الخامسة مذهب مالك والشافعي وأبي يوسف والثوري واسحق أن المتلاعنين لا يجتمعان أبدا وهو قول علي وابن مسعود ولما روى الزهري من حديث سهل ابن سعد ولما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى تكذب نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه الحرمة وأنه اذا أكذب نفسه وحد زال تحريم العقد وحلت له بنكاح جديد اذ كرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال

تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقد يحتج لأبي حنيفة بعموم قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم * السادسة اتفق أهل العلم على أن الولد ينتفي من الزوج باللعان وخالف بعضهم مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وزيف بأن الأخبار الدالة على أن الولد ينتفي باللعان كالمتواترة فلا يعارضها هذا الواحد بل يجب تخصيصه بها * السابعة لو أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق بها الحكم عند الشافعي وهو ظاهر وعن أبي حنيفة أن الاكثر حكم الكل اذا حكم به الحاكم * الثامنة كيفية اللعان كالصريحة في الآية وأن الحديث قد زادها بيانا كما مر وقد عد الشافعي من سننها أن يقام الرجل حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة حتى تشهد والرجل قاعد ويأمر الامام من يضع يده على فيه عند الانتهاء الى اللعنة ويقول له القاضي أو صاحب المجلس اتق الله فانها موجبة وهكذا يقال للمرأة اذا انتهت الى الغضب ومما يستحب في اللعان ولا يجب على الأصح التغليظ بالزمان وهو ما بعد صلاة العصر ولا سيما عصر يوم الجمعة وبالمكان وذلك بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة بين المنبر والمدفن وفي سائر البلاد

قالوا كانوا في الجاهلية بغايا ثم ذكر نحوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن القاسم بن أبي بزة كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها يتخذها مأكلة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فنهوا عن ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح قال قال القاسم بن أبي بزة فذكر نحوه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا سليمن التيمي عن سعيد بن المسيب قال كن نساء موارد بالمدينة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمن عن سعيد بن جبير أن نساء في الجاهلية كن يؤاجرن أنفسهن وكان الرجل انما ينكح احداهن يريد أن يصيب منها عرضا فنهوا عن ذلك ونزل الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ومنهن امرأة يقال لها أم مهزول حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل عن الشعبي في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء يكرين أنفسهن في الجاهلية * وقال آخرون معنى ذلك الزاني لا يزني الا بزانية أو مشركة والزانية لا يزني بها الا زان أو مشرك قالوا ومعنى النكاح في هذا الموضع الجماع ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال لا يزني الا بزانية أو مشركة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال لا يزني الزاني الا بزانية مثله أو مشركة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن شبرمة عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قالا هو الوطء حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال سعيد بن جبير ومجاهد الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قالا هو الوطء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم وشعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قالا لا يزني الزاني حين يزني الا بزانية مثله أو مشركة ولا تزني مشركة الا بمثلها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال هؤلاء بغايا كن في الجاهلية والنكاح في كتاب الله الاصابة لا يصيبها الا زان أو مشرك لا يحرم الزنا ولا تصيب هي الا مثلها قال وكان ابن عباس يقول بغايا كن في الجاهلية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن قيس بن سعد عن سعيد بن جبير قال اذا زنى بها فهو زان حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال الزاني من

عند المنبر في المسجد الجامع أيضا وهو المقصورة وفي بيت المقدس في المسجد الاقصى عند الصخرة واليهود في الكنيسة والنصارى في البيعة والمجوس في بيت نارهم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام ولا بد من حضور الحاكم سواء كان مدار اللعان على اليمين أو على الشهادة ولا بد من حضور جمع من الأعيان أقلهم أربعة * التاسعة قال جار الله انما خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله تغليظا عليها لأنها أصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد * العاشرة في فوائد متعلقة بالآية منها أهل

أهل القبلة لا يزني الا بزانية مثله أو مشركة قال والزانية من أهل القبلة لا تزني الا بزان مثلها من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة ثم قال وحرم ذلك على المؤمنين * وقال آخرون كان هذا حكم الله في كل زان و زانية حتى نسخه بقوله وأنكحوا الأيامى منكم فأحل نكاح كل مسلمة وانكاح كل مسلم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال يرون الآية التي بعدها نسختها وأنكحوا الأيامى منكم قال فهن من أيامى المسلمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال نسختها التي بعدها وأنكحوا الأيامى منكم وقال انهن من أيامى المسلمين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال وذكر عن يحيى عن ابن المسيب قال نسختها وأنكحوا الأيامى منكم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال نسختها قوله وأنكحوا الأيامى حدثني يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن يحيى قال ذكر عند سعيد بن المسيب الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فسمعته يقول انها قد نسختها التي بعدها ثم قرأها سعيد قال يقول الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة ثم يقول الله وأنكحوا الأيامى منكم فهن من أيامى المسلمين * قال أبو جعفر وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى بالنكاح في هذا الموضع الوطء وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان فمعلوم اذ كان ذلك كذلك أنه لم يعن بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح الا بزانية أو مشركة واذ كان ذلك كذلك فبين أن معنى الآية الزاني لا يزني الا بزانية لا تستحل الزنا أو بمشركة تستحله وقوله وحرم ذلك على المؤمنين يقول وحرم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله وذلك هو النكاح الذي قال جل ثناؤه الزاني لا ينكح الا زانية ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ يقول تعالى ذكره والذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين فيرمونهن بالزنا ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهن أنهن رأوهن يفعلن ذلك فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها وذكر أن هذه الآية انما نزلت في الذين رموا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الافك ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب وابراهيم بن سعيد قالا ثنا ابن فضيل عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير الزنا أشد أو قذف

ابطال الجمهور قول الخوارج ان الزنا والقذف كفر وذلك أن الرامي ان صدق فهي زانية وان كذب فهو قاذف فلا بد من كفر أحدهما والردة توجب الفرقة من غير لعان ومنها ابطال قول من زعم أن الزنا يوجب فساد النكاح لأن رمي الزوج اياها اعتراف منه بزناها بل بفساد النكاح على قول هذا القائل فتحصل الفرقة بلا لعان ومنها أن المعتزلة قالوا المتلاعنان يستحقان اللعن أو الغضب الموجبين العقاب الأبدي المضاد للثواب وذلك يدل على خلود الفساق في النار أجابت الاشاعرة بأن كونه مغضوبا عليه بفسقه لا ينافي كونه مرضيا عنه بجهة اعانه فلا بد أن يحصل له بعد العقاب ثواب ثم أخبر عن كمال رأفته بقوله ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أي فيما بين من هذه الأحكام وفيما أمهل وأبقى ومكن من التوبة وجواب لولا محذوف أي لهلكتم أو فضحتم أو لكان ما كان من أنواع المفاسد وانما حسن حذفه ليذهب الوهم كل مذهب فيكون أبلغ في البيان فرب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به ﴿التأويل النفس الزانية المستسلمة لتصرفات الشيطان والدنيا فيها والروح الزاني بتصرفه في الدنيا وشهواتها المنهية عنها فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة من الجوع وترك الشهوات والمرادات ومن حلهما على المخالفات ولعل السر في تخصيص هذا العدد هو أن ساعات اليوم بليلته أربع وعشرون منها أربع ساعات لأجل النوم ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل والباقية يجب فيها مراقبة الحواس الخمس وتأديبهن بآداب الشرع والعقل فيكون المجموع مائة تأديبة تحصل نتائجها وكمالها للنفس والروح والله تعالى أعلم وليشهد عذابهما ولكن هذه التزكية والتأديبات بمحضر شيخ واصل كامل يحفظه من طرفي الافراط والتفريط الزاني لا ينكح فيه أن الطبع يسرق والجنس الى الجنس يميل فأهل الفساد لا ترغب الا في صحبة أمثالهم من أهل الفساد كما أن أرباب السداد لا تطمح الا الى صحبة أمثالهم من أرباب السداد وحرم ذلك الذي قلنا من اختلاط الاشرار على المؤمنين والذين يرمون المحصنات أي الأرواح الذين ينسبون الى نقصان النفوس المستعدات للكمالات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء أي لم يكن خواص العناصر الأربعة ظاهرة على صفحات أحوالهن كما مر تقريره في أول النساء في قوله فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولم تبلغ الملكات الذميمة منهن مرتبتها الرابعة كالكاتب يكتب بالفعل فاجلدوهم ثمانين جلدة مر وهم

بالخلوة أربعين يوما وأربعين ليلة حتى يظهر لهم كمال حال النفوس في الموافقة لهسم ولا تقبلوا لهم بعد ذلك شهادة عليهن وأولئك هم الذين يريدون أن يخرجوا عن طاعة الله بقدر نسبة النقصان الى النفوس المستعدة والذين يرمون أزواجهم وهن القوالب المزدوجة بالارواح ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم لأنه لا يطلع على أحوال القالب الا الروح فشهادة أحدهم أربع شهادات هي الاسنان الاربعة التي فيها تحصل التربية والاستكمال والخامسة وهي حالة (٦٠) حلول الأجل اللعنة والغضب والعذاب الابدى وما تولد منها من الصفات الذميمة ينسبها الروح الى ثالث هو الشيطان وينسبها القالب الى الروح الذى يدبره ويتصرف فيه والافتراق الذى يحصل بينهما ليس بالصورة بل بالمعنى لأن الروح عيل الى العالم العلوى والقالب الى العالم السفلى لعدم الموافقة بينهما وهو سبحانه أعلم ﴿ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله﴾ محمد

المحصنة قال لا بل الزنا قلت ان الله يقول والذين يرمون المحصنات قال انما هذا فى حديث عائشة خاصة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الآية فى نساء المسلمين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأولئك هم الفاسقون قال الكاذبون ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم﴾ اختلف أهل التأويل فى الذى استثنى منه قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فقال بعضهم استثنى من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون وقالوا اذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال عنه اسم الفسق حد فيه أو لم يحد ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن حماد الدولابى قال ثنى سفيان عن الزهرى عن سعيد ان شاء الله أن عمر قال لأبى بكرة ان تبت قبلت شهادتك أو رديت شهادتك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكرة وشبل بن معبد ونافع بن الحرث بن كلدة حدهم وقال لهم من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل ومن لم يفعل لم أجز شهادته فأكذب شبل نفسه ونافع وأبى أبو بكرة أن يفعل قال الزهرى هو والله سنة فاحفظوه حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا داود عن الشعبى قال اذا تاب يعنى القاذف ولم يعلم منه الا خير جازت شهادته حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن الشعبى قال على الامام أن يستتيب القاذف بعد الجلد فان تاب وأونس منه خير جازت شهادته وان لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن عامر أنه قال فى القاذف اذا تاب وعلم منه خير ان شهادته جائزة وان لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته وتوبته اكذابه نفسه ❁ قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن الشعبى نحوه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا داود بن أبى هند عن الشعبى قال فى القاذف اذا تاب وأكذب نفسه قبلت شهادته والا كان خليعا لا شهادة له لأن الله يقول لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء الى آخر الآية حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبى هند عن الشعبى أنه كان يقول فى شهادة القاذف اذا رجع عن قوله حين يضرب أو أكذب نفسه قبلت شهادته ❁ قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى أنه كان يقول يقبل الله توبته وتردون شهادته وكان يقبل شهادته اذا تاب ❁ قال أخبرنا اسمعيل عن الشعبى أنه كان يقول فى القاذف اذا شهد قبل أن يضرب الحد قبلت شهادته ❁ قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبيدة عن ابراهيم واسمعيل بن سالم عن الشعبى أنهما قالا فى القاذف اذا شهد قبل أن يجلد فشهادته جائزة حدثنى يعقوب قال قال أبو بشر يعنى ابن علية سمعت ابن أبى نجيح يقول القاذف اذا تاب تجوز شهادته وقال كنا نقوله فقيل له من قال قال عطاء وطاوس ومجاهد حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا

محمد بن خالد ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن عمر بن طلحة عن عبد الله قال اذا تاب القاذف جلد وجازت شهادته قال أبو موسى هكذا قال ابن أبي (٣) عثمة حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبي عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن سليمن بن يسار والشعبي قالا اذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلا في قذف فقال أكذب نفسك حتى تجوز شهادتك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم قال سمعت ابراهيم والشعبي يتذاكران شهادة القاذف فقال الشعبي لابراهيم لم لا تقبل شهادته فقال لأني لا أدري تاب أم لا * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال تقبل شهادته اذا تاب * قال ثنا عبد الله بن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير مثله * قال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عمران بن موسى قال شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال قال الشعبي اذا تاب جازت شهادته قال ابن المثنى قال عندي يعني في القذف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مسعر عن عمران بن عمير أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف اذا تاب حدثني يعقوب قال ثني هشيم عن جويبر عن الضحاك قال اذا تاب وأصلح قبلت شهادته يعني القاذف حدثنا ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن المسيب قال تقبل شهادة القاذف اذا تاب حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن المسيب مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال الزهري اذا حد القاذف فانه ينبغي للامام أن يستتيبه فان تاب قبلت شهادته والا لم تقبل قال كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة فتابوا الا أبا بكرة فكان لا تقبل شهادته * وقال آخرون الاستثناء في ذلك من قوله وأولئك هم الفاسقون وأما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا فقد وصل بالأبد ولا يجوز قبولها أبدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبي قال كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل اذا تاب الا القاذف فان توبته فيما بينه وبين ربه ولا نجيز شهادته حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبي عن شريح بنحوه غير أنه قال صاحب كل حد اذا كان عدلا يوم شهد حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن شريح قال كان لا يجيز شهادة القاذف ويقول توبته فيما بينه وبين ربه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن مطرف عن أبي عثمان عن شريح في القاذف يقبل الله توبته ولا أقبل شهادته حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث

دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) ﴿القراآت﴾ كبره بضم الكاف يعقوب اذ سمعتموه وبابه مدغما أبو عمرو وعلي وهشام وحمزة غير خلف ورجاء والعجلي اذ تلقونه بالاظهار وتشديد التاء البزي وابن فليح ولا يتأل من التألي يزيد ما زكى بالتشديد والامالة روح وقرأ قتيبة ممالة مخففة يوم يشهد على التذكير حمزة وعلي وخلف والباقون بتاء التأنيث ﴿الوقوف﴾ عصبة منكم ط شرا لكم ط خير لكم ط من الاثم ج لنوع عدول من اجمال حكم الكل الى بيان حكم البعض مع اتفاق الجملتين عظيم ○ خيرا لا للعطف مبين ○ شهداء ج للشرط معنى مع الفاء الكاذبون ○ عظيم ج لاحتمال أن يكون اذ ظرف قوله لمسكم أو أفضتم واحتمال كونه منصوبا باذكر وبهذا فقد قيل الوصل ألزم لأن قوله سبحانك من جملة مفعول قلتم عظيم ○ مؤمنين ○ ج لاتفاق الجملتين مع تكرار اسم الله دون الاكتفاء بالضمير وأنها آية الآيات ط حكيم ○ أليم ○ لا لتعلق الظرف والآخرة ط لا تعلمون ○ رحيم ○ خطوات الشيطان ط والمنكر ط أبدا لا لتعلق لكن من يشاء ط عليم ○ في سبيل الله ط والوصل أولى للعطف وليصفحوا ط لكم ط رحيم ○ والآخرة ص عظيم ○ لا لتعلق الظرف يعملون ○ المبين ○ للخبيثات ج للعطف مع التضاد للطيبات ○ ج لاتحاد المعنى مع فقدان العاطف يقولون ط كريم ○ ﴿التفسير﴾ انه سبحانه لما ذكر من أحكام القذف ما ذكر أتبعها حديث إفك عائشة الصديقة وما قذفها به أهل النفاق روى الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن أبي وقاص وكلهم رووا عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج اسمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزوة قال الزهري هي غزوة المريسيع وذكره البخاري في غزوة بني المصطلق من خزاعة قال وهي غزوة المريسيع أيضا فخرج اسمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف وقرب من المدينة نزل منزلا ثم أذن بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني وأقبلت الى رحلي لمست صدري فاذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي وحبسني

طلبه وأقبل الرهط الذين كانوا يحملون فحملوا هودجي وهم يحسبون أني فيه لخفتي فاني كنت جارية حديثة السن وذهبوا بالبعير فلما رجعت الى مكاني وليس به أحد جلست وقلت يعودون في طلبي فنمت وقد كان صفوان بن المعطل يمكث في العسكر يتتبع أمتعة الناس فيحمله الى المنزل الآخر لئلا يذهب منهم شيء فلما رآني عرفني وقال ما خلفك عن الناس فأخبرته الخبر فنزل وتنحى حتى ركبت ثم قاد البعير وافتقدني الناس حين نزلوا وخاض الناس في ذكري فبيناهم في ذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم فيّ وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ومكثت شهرا أشتكي ولا يرقأ لي دمع أقول كما يقول العبد الصالح أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون الى أن نزل فيّ ان الذين جاؤا بالافك الى آخر الآيات وفي الحديث طول هذا حاصل سبب النزول وأما التفسير فالافك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان والعصبة الجماعة من العشرة الى الأربعين والتركيب يدل على الاجتماع ومنه العصابة قال المفسرون هم عبد الله بن أبيّ رأس النفاق وزيد ابن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ومعنى (منكم) أنهم كانوا من جملة من حكم لهم بالايمان ظاهرا أما الخطاب في قوله (لا تحسبوه شرا لكم) فالصحيح أنه لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعائشة وصفوان ومعنى كونه خيرا لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم على قدر عظم البلاء وأنه نزلت فيه بضع عشرة آية فيها تعظيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لأم المؤمنين وتطهير لأهل البيت وتهويل للطاعنين فيهم الى غير ذلك من الأحكام الشرعية والآداب العقلية وقيل الخطاب لعائشة وحدها والجمع لتعظيمها وقيل الخطاب للقاذفين وبيان الخير به صرفهم عن الاستمرار على حديث الافك الى التوبة عن ذلك أعني ولعل في هذا الذكر عقوبة معجلة لهم فيكون في هذا القول الكفارة وضعف هذا القول بأنه لا يناسب تسلية الرسول والمؤمنين ولا يطابق قوله (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أي يصيب كل خائض في حديث الافك ما يصيبه من عقاب ما اكتسب من اثم الخوض (والذي تولى كبره) أي معظم الافك وهو في قول الضحاك حسان ومسطح ولهذا جلدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امرأة من قريش والأشهر أنه

عن الشعبي قال أتاه خصمان فجاء أحدهما بشاهد أقطع فقال الخصم ألا ترى ما به قال قد أراه قال فسأل القوم فأثنوا عليه خيرا فقال شريح نجيز شهادة كل صاحب حد اذا كان يوم شهد عدلا الا القاذف فان توبته فيما بينه وبين ربه حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الشعبي قال جاء خصمان الى شريح فجاء أحدهما ببينة فجاء بشاهد أقطع فقال الخصم ألا ترى الى ما به فقال شريح قد رأيناه وقد سألنا القوم فأثنوا خيرا ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث أبي كريب حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الشيباني عن الشعبي عن شريح أنه كان يقول لا تقبل له شهادة أبدا توبته فيما بينه وبين ربه يعني القاذف * قال ثنا هشيم قال أخبرنا الأشعث عن الشعبي بأن ربابا قطع رجلا في قطع الطريق قال فقطع يده ورجله قال ثم تاب وأصلح فشهد عند شريح فأجاز شهادته قال فقال المشهود عليه أتجيز شهادته عليّ وهو أقطع قال فقال شريح كل صاحب حد اذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح فشهادته جائزة الا القاذف حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا شعبة قال المغيرة أخبرني قال سمعت ابراهيم يحدث عن شريح قال قضاء من الله لا تقبل شهادته أبدا توبته فيما بينه وبين ربه قال أبو موسى يعني القاذف حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال قال شريح لا يقبل الله شهادته أبدا حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال لا تجوز شهادة القاذف توبته فيما بينه وبين الله حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أنه قال القاذف توبته فيما بينه وبين الله وشهادته لا تقبل (١) حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال لا تجوز شهادة القاذف توبته فيما بينه وبين الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أنه قال القاذف توبته فيما بينه وبين الله وشهادته لا تقبل حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن ابراهيم أنه قال في الرجل يجلد الحد قال لا تجوز شهادته أبدا حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان لا يقبل له شهادة أبدا وتوبته فيما بينه وبين الله يعني القاذف حدثنا أبو كريب قال ثنا معتمر بن سليمن عن حجاج عن عمرو بن سعيد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود في الاسلام حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا قال كان يقول لا تقبل شهادة القاذف أبدا انما توبته فيما بينه وبين الله وكان شريح يقول لا تقبل شهادته حدثني علي قال ثنا عبد الله عن علي عن ابن عباس قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ثم قال فمن تاب وأصلح فشهادته في كتاب الله تقبل * والصواب من القول في ذلك عندنا أن الاستثناء من المعنيين جميعا

(١) كذا في الأصل هذا الأثر والذي بعده ويظهر أنهما مكرران فتأمل كتبه مصححه

عبدالله رأس النفاق و يحكى أن صفوان مر بهودجها وهو فى ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله مانجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها ويروى أن عائشة ذكرت حسانا وقالت أرجو له الجنة فقيل أليس هو الذى تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم رجوت له الجنة وفى رواية أخرى قالت وأى عذاب أشد من العمى ثم علم أدبا حسنا فى مثل هذه الواقعة فقال (لولا اذ سمعتموه ظن) فصل بين لولا التحضيضية وبين فعلها بالظرف لأنه يتسع فى الظرف مالا يتسع فى غيره تنزيلا للظرف منزلة المظروف نفسه ولأن الممكنات لا تنفك عن الظروف والفائدة فيه أن يعلم أن ظن الخير كان يجب عليهم أول ما سمعوه بالافك فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم ومثله ولولا اذ سمعتموه قلتم ثم لا يخفى أن أصل المعنى أن يقال لولا اذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم هذا افك ومعنى بأنفسكم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات فعدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ليبالغ فى التوبيخ بطريقة الالتفات وليشنع بلفظ الايمان على أن الاشتراك فيه يقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا عاتب بل يقول بملء فيه بناء على ظن الخير مصرحا ببراءة ساحته هذا افك مبين وذلك أن المؤمن معه من العقل والدين ما يهديه الى الأصلح ويؤخره عن الأقبح ولم يوجد هذا الداعى والصارف معارض يساويهما كما قيل كلام العدى ضرب من الهذيان فوجب أن لا يلتفت المؤمن الى قول الطاعن فى حق أخيه ويبقى على حسن ظنه به وهذا أدب حسن قل العامل به وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يزيد فيه روى أن أبا أيوب الأنصارى قال لأم أيوب أما ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى وصفوان خير منك وفى الآية دلالة على قول أبى حنيفة ان المسلمين عدول بعضهم على بعض مالم يظهر منهم ريبة لأنا مأمورون بحسن الظن وذلك يوجب قبول الشهادة ومن هنا قال أيضا اذا باع درهما ودينارا بدرهمين ودينارين انا نخالف بينهما لأنا قد أمرنا بظن الخير فوجب حمله على ما يجوز ومثله اذا باع سيفا محلى فيه مائة درهم بمائتى درهم نجعل المائة بالمائة والفضل بالسيف

أعنى من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ومن قوله وأولئك هم الفاسقون وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن ذلك كذلك اذا لم يحد فى القذف حتى تاب اما بأن لم يرفع الى السلطان بعفو المقذوفة عنه واما بأن ماتت قبل المطالبة بحدها ولم يكن لها طالب يطلب بحدها فاذ كان ذلك كذلك وحدثت منه توبة صحت له بها العدالة فاذ كان من الجميع اجماعا ولم يكن الله تعالى ذكره شرط فى كتابه أن لا تقبل شهادته أبدا بعد الحد فى رميه بل نهى عن قبول شهادته فى الحال التى أوجب عليه فيها الحد وسماه فيها فاسقا كان معلوما بذلك أن اقامة الحد عليه فى رميه لا تحدث فى شهادته مع التوبة من ذنبه مالم يكن حادثا فيها قبل اقامته عليه بل توبته بعد اقامة الحد عليه من ذنبه أحرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل اقامته عليه لأن الحد يزيد المحدود عليه تطهيرا من جرمه الذى استحق عليه الحد فان قال قائل فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة فتكون التوبة مسقطة عنه الحد كما كانت لشهادته عندك قبل الحد وبعده مجيزة ولاسم الفسق عنه مزيلة قيل ذلك غير جائز عندنا وذلك أن الحد حق عندنا للمقذوفة كالقصاص الذى يجب لها من جناية يجنيها عليها مما فيه القصاص ولا خلاف بين الجميع أن توبته من ذلك لا تضع عنه الواجب لها من القصاص منه فكذلك توبته من القذف لا تضع عنه الواجب لها من الحد لأن ذلك حق لها ان شاءت عفته وان شاءت طالبت به فتوبة العبد من ذنبه انما تضع عن العبد الاسماء الذميمة والصفات القبيحة فأما حقوق الآدميين التى أوجبها الله لبعضهم على بعض فى كل الاحوال فلا تزول بها ولا تبطل واختلف أهل العلم فى صفة توبة القاذف التى تقبل معها شهادته فقال بعضهم هى اكذابه نفسه فيه وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى قبل ونحن نذكر بعض ما حضرنا ذكره مما لم نذكره قبل حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص عن ليث عن طاوس قال توبة القاذف أن يكذب نفسه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين قال رأيت رجلا ضرب حدا فى قذف بالمدينة فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه ثم قال أستغفر الله وأتوب اليه من قذف المحصنات قال فلقيت أبا الزناد فذكرت ذلك له قال فقال ان الامر عندنا ههنا أنه اذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه ولم نعلم منه الا خيرا قبلت شهادته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا الآية قال من اعترف وأقر على نفسه علانية أنه قال البهتان وتاب الى الله توبة نصوحا والنصوح أن لا يعودوا اقراره واعترافه عند الحد حين يؤخذ بالجلد فقد تاب والله غفور رحيم * وقال آخرون توبته من ذلك صلاح حاله وندمه على ما فرط منه من ذلك والاستغفار منه وتركه العود فى مثل ذلك من الجرم وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم وقد ذكرنا بعض قائليه فيما مضى وهو قول مالك بن أنس وهذا القول أولى القولين فى ذلك بالصواب

لان الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذى ذنب من أهل الايمان تركه العود منه والندم على ماسلف منه واستغفار ربه منه فيما كان من ذنب بين العبد وبينه دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم والقاذف اذا أقيم عليه فيه الحد أوعفى عنه فلم يبق عليه الا توبته من جرمه بينه وبين ربه فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجرامه فاذ كان الصحيح فى ذلك من القول ماوصفنا فتأويل الكلام وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من جرمهم الذى اجترموه بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه فان الله غفور يقول ساتر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها رحيم بهم بعد التوبة أن يعذبهم عليها فاقبلوا شهادتهم ولاتسموهم فسقة بل سموهم باسمائهم التى هى لهم فى حال توبتهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ يقول تعالى ذكره والذين يرمون من الرجال أزواجهم بالفاحشة فيقذفونهن بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم بصحة مارموهن به من الفاحشة فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة أربع شهادات نصبا ولنصبهم ذلك وجهان أحدهما أن تكون الشهادة فى قوله فشهادة أحدهم مرفوعة بمضمر قبلها وتكون الاربع منصوبا بمعنى الشهادة فيكون تأويل الكلام حينئذ فعلى أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله والوجه الثانى أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله انه لمن الصادقين والأربع منصوبة بوقوع الشهادة عليها كما يقال شهادتى ألف مرة انك لرجل سوء وذلك أن العرب ترفع الأيمان بأجوبتها فتقول حلف صادق لأقومن وشهادة عمرو ليقعدن وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين أربع شهادات برفع الاربع ويجعلونها للشهادة مرافعة وكأنهم وجهوا تأويل الكلام فالذى يلزم من الشهادة أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين بنصب أربع بوقوع الشهادة عليها والشهادة مرفوعة حينئذ على ماوصفت من الوجهين قبل وأحب وجهيهما الى أن تكون به مرفوعة بالجواب وذلك قوله انه لمن الصادقين وذلك أن معنى الكلام والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين تقوم مقام الشهداء الأربعة فى دفع الحد عنه فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الأربعة اكتفاء بمعرفة السامعين بما ذكر من الكلام فصار مرافع الشهادة ماوصفت ويعنى بقوله فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله فحلف أحدهم أربع أيمان بالله من قول القائل أشهد بالله انه لمن الصادقين فيما رمى زوجته به من الفاحشة والخامسة يقول والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه يقول أن لعنة الله له واجبة وعليه حالة ان كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت به جماعة من أهل

واذا وجدنا امرأة أجنبية مع رجل فاعترفا بالتزويج نصدقهما حملا لعقود المسلمين وتصرفاتهم على الجواز والصحة وزعم مالك أنهما يحدان ان لم يقيما بينة على النكاح وقيل ان الآية مختصة بعائشة لأن كونها زوجة النبى كالدليل القاطع على أن الذى قيل فيها افك صريح قال العلماء يجوز أن تكون زوجة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط ولا يجوز أن تكون فاجرة لأن الأنبياء معصومون عن المنفرات البتة فان حصول المنفر معه ينافى بعثته لكن الكفر غير (٦٤) منفر للكفرة قال وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات قيل فى تفسيره الكشخان الذى يحب امرأته الرجال الى نفسها ويقال كشخنته أى قلت له يا كشخان ثم بالغ فى زجرهم عن حديث الافك بقوله (لولا جاؤا) وهى أيضا تحضيضية والمراد التفصيل بين الرمى الصادق والكاذب بثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفائها ولكن هذا العدد وكل فرد منه منتف فى حق عائشة فهم فى حكم الله وشريعته كاذبون وهذا القدر كاف فى الزام أولئك الطاعنين والافهم فى نفس الأمر بالنسبة الى هذه الواقعة كاذبون كامر تقريرا نفا ثم زاد فى التهديد والزجر بقوله (ولولا فضل الله) هى لولا الامتناعية قال جمهور المفسرين لولا أنى قضيت أن أتفضل عليكم فى هذه الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وأن أترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ماخضتم فيه من حديث الافك وعن مقاتل أن فى الآية تقديما وتأخيرا والمعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالحلم عنكم والحكم عليكم بالتوبة (لمسكم فيما) اندفعتم (فيه عذاب عظيم) فى الدنيا والآخرة معا وتلقى الافك أخذه من أفواه القالة وقوله والاصل تتلقونه بتاءين وقد قرئ به كان الرجل يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فحدثه بحديث الافك حتى طار وانتشر وفى زيادة قوله (بأفواهكم) اشارة الى أنه قول لا وجود له الا فى العبارة ولا حقيقة لمؤداه فى الواقع والقذف كبيرة من الكبائر كما سبق لاسيما قذف زوجة النبى وخاصة نبينا صلى الله عليه وسلم فلهذا قال (وهو عند الله عظيم) عن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم وفى النصائح الكبار لا تقولن لشئ من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم فى الآية بارتكاب ثلاثة آثام تلقى الافك والتكلم بما لا حقيقة له ولا علم لهم به واستهانة عظيمة من العظائم وفيه أن عظم

التأويل ذكر الرواية بذلك وذكر السبب الذي فيه أنزلت هذه الآية حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن عكرمة قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة قال سعد بن عبادة آلله ان أنا رأيت لكاع متفخذها رجل فقلت بما رأيت ان في ظهري لثمانين الى ما أجمع أربعة قد ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون الى ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه وذكروا من غيرته فما تزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأة قط فرجع فيها أحد منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يأبى الا ذاك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا أن جاء ابن عم له فرمى امرأته فشق ذلك على المسلمين فقال لا والله لا يجعل الله في ظهري ثمانين أبدا لقد نظرت حتى أيقنت ولقد استسمعت حتى استشفيت قال فأنزل الله القرآن باللعان فقيل له احلف فحلف قال قفوه عند الخامسة فانها موجبة فقال لا يدخله الله النار بهذا أبدا كما درأ عنه جلد ثمانين لقد نظرت حتى أيقنت ولقد استسمعت حتى استشفيت فحلف ثم قيل احلفي فحلفت ثم قال قفوها عند الخامسة فانها موجبة فقيل لها انها موجبة فتلكأت ساعة ثم قالت لا أخزي قومي فحلفت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه ما قيل قال فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق فكان بعد أميرا بمصر لا يعرف نسبه أو لا يدري من أبوه حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا عباد قال سمعت عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون قال سعد بن عبادة لهكذا أنزلت يا رسول الله لو أتيت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار أما تسمعون الى ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج فينا قط إلا عذراء ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها قال سعد يا رسول الله بأبي وأمي والله اني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء والله لا آتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فوالله ما لبثوا الا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له فرأى بعينيه وسمع باذنيه فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله اني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلا مع أهلي رأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه جدا حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لأرى الكراهية في وجهك مما أتيتك به والله يعلم أني صادق وما قلت الا حقا فاني لأرجو أن يجعل الله فرجا قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال بن أمية وتبطل شهادته في المسلمين فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

المعصية لا يتعلق بظن فاعله بل جهله بعظمه ربما يصير مؤكد العظمه وفيه أن الواجب على المكلف أن يستعظم الاقدام على كل محرم اذ لا يأمن أن يكون عند الله من الكبائر ثم علمهم أدبا آخر ومعنى (ما يكون لنا) لا ينبغي ولا يصح لنا ومعنى (سبحانك) تنزيه الله من أن تكون زوجة نبينا الذي هو أحب خلقه اليه فاجرة أو تنزيهه من أن يرضى بقذف هؤلاء المقربين ولا يعاقبهم أو هو للتعجب من عظم الأمر وذلك أنه يسبح الله عند رؤية كل أمر عجيب من صنائعه فكثر حتى استعمل في كل متعجب (٦٥) منه والفرق بين هذه الآية وبين قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون هو أن تلك تميل الى العموم وهذه الى الخصوص فكأنه بين أن هذا القذف خاصة مما ليس لهم أن يتفوهوا به لما فيه من ايذاء نبيه وايذاء زوجته التي هي حبيبته (يعظكم الله) بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب كراهة (أن تعودوا) أو في شأن أن تعودوا (لمثله أبدا) أي مدة حياتكم ولا دلالة للمعتزلة في قوله (ان كنتم مؤمنين) على أن ترك القذف من الايمان لاحتمال أنه للتهييج والانزجار (ويبين الله لكم) أي لانتفاعكم (الآيات) الدالات على علمه وحكمته وما ينبغي أن يتمسك المكلف به في أبواب صلاح معاشه ومعاده (والله عليم حكيم) هما صفتان مختلفتان عند المعتزلة ثانيتهما أخص من الأولى وعند الأشاعرة الثانية للتأكيد المحض والمراد أنه يجب قبول تكاليفه وبياناته لأنه عالم بما أمر وبما يستحقه كل مأمور وليس في تكليفه عيب ولا عبث ومن كان هذه صفته وجب طاعته لئلا يعاقب استدلت المعتزلة بالآية في أنه يريد الايمان من الكل والا لم يكن واعظا ولا مبينا آياته لانتفاعهم ولا حكيما لا يفعل القبائح ولا جواب للأشاعرة الا أنه يشاء ما يشاء ولا اعتراض عليه ثم بين بقوله (ان الذين يحبون) أن أهل الافك يشاركهم في عذاب الدارين من رضي بقولهم وأنهم كما هم مؤاخذون بما أظهروه فهم معاقبون على ما أضمروه من محبة اشاعة الفاحشة والفحشاء في المؤمنين لأنها تدل على الدغل والنفاق وعدم سلامة القلب والفاحشة والفحشاء ما أفرط قبحه وشيوعها انتشارها وظهورها بحيث يطلع عليها كل أحد وخصوص السبب لا يقتضي خصوص الحكم فهذا الوعيد شامل لكل من أراد بواحد من المؤمنين أو المؤمنات شيأ من المضار

والأذيات وبعضهم حمل الفاحشة على الزنا وخصص من يحب شيوع الفاحشة بعبد الله بن أبي وخصص الذين آمنوا بعائشة وصفوان ولا يخفى ما فيه من ضيق العطن الا أن يساعده نقل صحيح وعذاب الدنيا الحد واللعن والذم وما على أهل النفاق من صنوف البلاء ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وعذاب الآخرة في القبر وفي القيامة هو النار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعرف قوما يضربون صدورهم ضربا يسمعه (٦٦)

بضربه فانه لكذلك يريد أن يأمر بضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه اذ نزل عليه الوحي فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ فأنزل الله والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الى أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فان الله قد جعل فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يا رسول الله بأبي وأمي لقد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما قيل لهلال يا هلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقيل له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وانها الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قيل لها اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقيل لها عند الخامسة اتقي الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا أبو أحمد الحسين بن محمد قال ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قذف هلال بن أمية امرأته قيل له والله ليجلدنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة قال الله أعدل من ذلك أن يضربني ضربة وقد علم أني قد رأيت حتى استيقنت وسمعت حتى استثبت لا والله لا يضربني أبدا فنزلت آية الملاعنة فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية فقال الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال والله اني لصادق فقال له احلف بالله الذي لا اله الا هو اني لصادق يقول ذلك أربع مرات فان كنت كاذبا فعلي لعنة الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوه عند الخامسة فانها موجبة فحلف ثم قالت أربعا والله الذي لا اله الا هو انه لمن الكاذبين فان كان صادقا فعليها غضب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوها عند الخامسة فانها موجبة فترددت وهمت بالاعتراف ثم قالت لا أفضح قومي حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعي قالا ثنا عبدة عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا ليلة الجمعة في المسجد فدخل رجل فقال لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه وان تكلم جلدتموه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آية اللعان ثم جاء الرجل بعد فقذف امرأته فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال عسى أن تجيء به أسود جعدا فجاءت به أسود جعدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير بن عبد الحميد عن عبد الملك

أهل النار وهم الهمازون اللمازون الذين يلتمسون عورات المسلمين ويهتكون ستورهم ويشيعون عليهم من الفواحش ما ليس فيهم وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير وأما قوله (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ففي نهاية حسن الموقع لأن الأعمال القلبية محبة الشر أو الخير لا يطلع عليها أحد كما هي الا الله سبحانه وانما نعرف نحن شيأ منها بالقرائن والامارات وفيه زجر عظيم لمن لا يجتهد في أن يكون قلبه سليما من النفاق والغل وحصول هذا الغل في القلب غير العزم على الذنب فان الأول ملكة والثاني حال ولا يلزم من ترتب العقاب على الملكات ترتبه على الأحوال فافهم قال أبو حنيفة المغتابة بالفجور لا تستنطق لأن استنطاقها اشاعة للفاحشة وانها ممنوع عنها وقالت المعتزلة في الآية دليل على أنه تعالى غير خالق للكفر ولا مريد والا كان ممن يحب أن تشيع الفاحشة ولقائل أن يقول قياس الغائب على الشاهد فاسد ثم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب والتمكين من التلافي وبالغ فيها بذكر الرؤف والرحيم وجواب لولا محذوف على نسق ما مر وقيل جوابه ما دل على ذلك في قوله

(ما زكى منكم) وهو بعيد عن ابن عباس أن الخطاب لحسان ومسطح وحمنة والأقرب العموم ثم نهى عن اتباع آثار الشيطان وسلوك مسالكه والاقتداء به في الاصغاء الى الافك واشاعة الفحشاء وارتكاب ما تنكره العقول وتأباه وقوله (فانه يأمر بالفحشاء) من وضع السبب مقام المسبب والمراد ضل قالت الاشاعرة في قوله ما زكى بالتشديد والضمير لله وكذا في قوله ولكن الله يزكي دلالة على أن الزكاء وهو الطهارة من دنس الآثام لا يحصل الا بالله وهو دليل على أنه خالق الافعال والآثار وحمله المعتزلة على منح الالطاف ابن

أو على الحكم بالطهارة وضعف بأنه خلاف الظاهر وبأنه يجب انتهاء الكل اليه وبأن قوله من يشاء ينافي قولكم ان خلق الالطاف واجب عليه ثم علم أدبا آخر جميلا بقوله (ولا يأتل) وهو افتعل من الألية أي لا يحلف على عدم الاحسان وحرف النفي يحذف من جواب القسم كثيرا فهي كقراءة من قرأ ولا يتأل وقيل هو من قولهم ما ألوت جهدا اذا لم يدخر من الاجتهاد شيأ أي لا يقصر في الاحسان الى المستحقين قالوا نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق فقيرا من فقراء المهاجرين وكان (٦٧) أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر فلما وصل الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال أبو بكر بلى أحب أن يغفر الله لي فعفا عن مسطح ورجع الى الانفاق عليه وقال والله لا أنزعها أبدا قال الامام فخر الدين الرازي هذه الآية تدل على أفضلية أبي بكر الصديق من وجوه وذلك أن الفضل المذكور في الآية لا يراد به السعة في المال والا لزم التكرار فهو الفضل في الدين ولكنه مطلق غير مقيد فثبت له الفضل على الاطلاق تركنا العمل به في حق النبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق فيبقى في الغير معمولا به وأيضا ذكره الله تعالى في الآية بلفظ الجمع وانه مشعر بالتعظيم وأيضا فقد قيل

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند

فهذا الظلم من مسطح كان في غاية العظم وقد أمره الله تعالى بالصفح عنه وامتثل هو فكان فيه نهاية جهاد النفس فيكون ثوابه على حسب ذلك وأيضا في تسميته أولي الفضل والسعة شرف تام فكأنه قيل له أنت أفضل من أن تقابل انسانا بسوء وأنت أوسع قلبا من أن تقيم للدنيا وزنا فلا يليق بفضلك وسعة قلبك أن يقطع برك عمن أساء اليك وأيضا أمره الله تعالى بالعفو والصفح وقال لنبيه فاعف عنهم واصفح فهو من هذه الجهة ثاني اثنين له في الأخلاق وأيضا علق المغفرة بالعفو وقد حصل العفو فتحصل المغفرة البتة في الحال وفي الاستقبال لقوله ان يغفر فهو للاستقبال فيكون كما قال لنبيه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفيه دليل على حقية خلافته والا كان عاصيا والعاصي في النار وليس النهي في قوله ولا يأتل نهي زجر عن المعصية ولكنه ندب الى الأولى والا فضل وهو العفو عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أخلاق المسلمين العفو وعنه صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل

ابن أبي سليمن عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عمر فقلت يا أبا عبد الرحمن أيفرق بين المتلاعنين فقال نعم سبحان الله ان أول من سأل عن ذلك فلان أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال أرأيت لو أن أحدنا رأى صاحبته على فاحشة كيف يصنع فلم يجبه في ذلك شيأ قال فأتاه بعد ذلك فقال ان الذي سألت عنه قد ابتليت به فأنزل الله هذه الآية في سورة النور فدعا الرجل فوعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة قال والذي بعثك بالحق لقد رأيت وما كذبت عليها قال ودعا المرأة فوعظها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت والذي بعثك بالحق انه لكاذب وما رأى شيأ قال فبدأ الرجل فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم ان المرأة شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وفرق بينهما حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عامر قال لما أنزل والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة قال عاصم بن عدي ان أنا رأيت فتكلمت جلدت ثمانين وان أنا سكت سكت على الغيظ قال فكأن ذلك شق على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأنزلت هذه الآية والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم قال فما لبثوا الا جمعة حتى كان بين رجل من قومه وبين امرأته فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الآية والخامسة أن يقال له ان عليك لعنة الله ان كنت من الكاذبين وان أقرت المرأة بقوله رجمت وان أنكرت شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن يقال لها غضب الله عليك ان كان من الصادقين فيدرأ عنها العذاب ويفرق بينهما فلا يجتمعان أبدا ويلحق الولد بأمه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله والذين يرمون أزواجهم قال هلال بن أمية والذي رميت به شريك بن سحماء والذي استفتى عاصم ابن عدي * قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني الزهري عن الملاعنة والسنة فيها عن حديث سهل بن سعد أن رجلا من الانصار جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فأنزل الله في شأنه ما ذكر من أمر المتلاعنين فقال رسول الله قد قضى الله فيك وفي امرأتك فتلاعنا وأنا شاهد ثم فارقها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت السنة بعدهما ان يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملا فأنكره فكان ابنها يدعى الى أمه ثم جرت السنة أن ابنها يرثها وترث ما فرض الله لها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يرمون أزواجهم الى قوله ان كان من الكاذبين قال اذا شهد الرجل خمس شهادات فقد برئ كل واحد من الآخر وعدتها ان كانت حاملا أن تضع حملها ولا يجلد واحد منهما وان لم تحلف أقيم عليها الحد والرجم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ يعني جل ذكره بقوله ويدرأ عنها العذاب ويدفع عنها الحد واختلف أهل العلم في العذاب الذي عناه الله في هذا الموضع أنه يدرؤه عنها شهاداتها الأربع فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك من أنه الحد جلد مائة إن كانت بكرا أو الرجم إن كانت ثيبا قد أحصنت * وقال آخرون بل ذلك الحبس وقالوا الذي يجب عليها إن هي لم تشهد الشهادات الأربع بعد شهادات الزوج الأربع والتعانه الحبس دون الحد وإنما قلنا الواجب عليها إذا هي امتنعت من الالتعان بعد التعان الزوج الحد الذي وصفنا قياسا على إجماع الجميع على أن الحد إذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع على تصديقه فيما رماها به أن الحد لها واجب فجعل الله أيمانه الأربع والتعانه في الخامسة مخرجا له من الحد الذي يجب لها برميه إياها كما جعل الشهداء الأربعة مخرجا له منه في ذلك وزائلا به عنه الحد فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحد عنه بذلك واجبا عليها حدها كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها لا فرق بين ذلك وقد استقصينا العلل في ذلك في باب اللعان من كتابنا المسمى لطيف القول في شرائع الإسلام فأغنى عن إعادته في هذا الموضع وقوله أن تشهد أربع شهادات بالله يقول ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان إن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا وقوله والخامسة أن غضب الله عليها الآية يقول والشهادة الخامسة أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين ورفع قوله والخامسة في كلتا الآيتين بأن التي تليها

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾ يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم وأنه عواد على خلقه بلطفه وطوله حكيم في تدبيره إياهم وسياسته لهم لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلا رحمة منه بكم وتفضلا عليكم فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه وترك الجواب في ذلك اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره إن الذين جاؤا بالكذب والبهتان عصبة منكم يقول جماعة منكم أيها الناس لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم يقول لا تظنوا ما جاؤا به من الإفك شرا لكم عند الله وعند الناس بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به ويظهر براءته مما رمي به ويجعل له منه مخرجا وقيل إن الذي عنى الله بقوله إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم جماعة منهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد

قال

حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه واعلم أن العلماء أجمعوا على أن مسطحا كان مذنبا لأنه أتى بالقذف أو رضي به على الروايتين عن ابن عباس ولهذا حده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا أيضا على أنه من البدريين وقد ورد فيهم الخبر الصحيح لعل الله نظر إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فكيف الجمع بين الأمرين أجابوا بأنه ليس المراد من قوله اعملوا ما شئتم أنهم خارجون عن حد التكليف وإنما المراد اعملوا من النوافل ما شئتم قليلا أو كثيرا فقد أعطيتكم الدرجات العاليات في الجنة أو أراد حسن حالهم في العاقبة أنهم يوافون بالطاعة فكأنه قال قد غفرت لكم لعلمي بأنكم تموتون على التوبة والإنابة قالت الأشاعرة في وصف مسطح ومدحه بكونه من المهاجرين دليل على أن ثواب كونه مهاجرا لم ينحبط بإقدامه على القذف فيكون القول بالمحابطة باطلا استدل جمهور الفقهاء بالآية في قول من فسر الائتلاء بالحلف على أن اليمين على الامتناع من الخير غير جائزة وإنما تجوز إذا جعلت داعية للخير لا صارفة عنه ثم قالوا من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فينبغي له أن يأتي بالذي هو خير ثم يكفر عن يمينه كما جاء في الحديث ولقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان وهو عام في جانب الخير وفي غيره ومثله ما ورد في قصة أيوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولو كان الحنث كفارة لم يؤمر بضرب الضغث عليها وقال بعض العلماء إنه يأتي بالذي هو خير وذلك كفارته لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير وذلك كفارته ولأنه تعالى أمر أبا بكر في هذه الآية بالحنث ولم يوجب عليه كفارة وأجيب بأن معنى الكفارة في الحديث تكفير الذنب لا الكفارة الشرعية التي هي إحدى الخصال وإنما ذهبنا إلى هذا ليكون مطابقا للحديث الآخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه وأما هذه الآية فإنما لم يذكر فيها الكفارة لأنها معلومة من آية المائدة قوله (إن الذين يرمون المحصنات) قد مر تفسير المحصنة وأما الغافلات فهن السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر بحسب الغريزة أو لقلة التجارب وقد يعين على ذلك صغر السن وغير ذلك من الأحوال قال الأصوليون خصوص السبب لا يمنع العموم فيدخل

في الآية قذفة عائشة وقذفة غيرها وخصصه بعض المفسرين فنهم من قال المراد عائشة وحدها والجمع للتعظيم ومنهم من قال عائشة مع سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هي أم المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة المشاكلة لها في الاحصان والغفلة والايمان وذكروا في سبب التخصيص أن قاذف سائر المحصنات تقبل توبته لقوله الا الذين تابوا وأما القذف المذكور في هذه الآية فوعيده مطلق من غير استثناء وأجيب بانه طوى ذكر التوبة في هذه الآية لكونها معلومة وقد يحتج للمخصص بما روى عن ابن عباس أنه كان بالبصرة يوم عرفة فسئل عن تفسير هذه الآية فقال من أذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة ومنهم من قال نزلت الآية في مشركي مكة حين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وكانت المرأة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا انما خرجت لتفجر أما شهادة الجوارح فلا اشكال فيها عند الاشاعرة لأنهم يقولون البنية ليست شرطا في الحياة فيجوز أن يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما وقالت المعتزلة المتكلم هو فاعل الكلام فيكون الكلام المضاف الى الجوارح هو في الحقيقة من الله تعالى ويجوز أن يبني الله هذه الجوارح على خلاف ما هي عليه ويلجئها الى أن تشهد على الانسان وتخبر عن أعماله ومعنى (دينهم الحق) الجزاء المستحق وقال في الكشاف معنى قوله (هو الحق المبين) العادل الظاهر العدل وقال غيره سمي حقا لأنه تحق عبادته أو لأنه الموجود بالحقيقة وما سواه فوجوده مستعار زائل والمبين ذو البيان الصحيح أو المظهر للموجودات فالحاصل أنه واجب الوجود لذاته مفيدا لوجود غيره ثم ختم الآيات الواردة في أهل الافك بكلمة جامعة وهي قوله (الخبيثات) يعني الكلمات التي تخبث موادها ويستقذرها من يخاطب بها أو يمجها سمعه ككلمات أهل الافك ويجوز أن يراد بالخبيثات مضمون الآيات الواردة في وعيد القذفة لأن مضمونها ذم ولعن وهو يستكره طبعا وان كان نفس الكلمة التي هي من قبل الله سبحانه طيبا وعلى الوجهين يراد بالخبيثين الرجال والنساء جميعا الا أنه غلب الرجال والحاصل أن الخبيثات من القول تقال أو تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الصنفين معرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون (أولئك) الطيبون (مبرؤن مما) يقول الخبيثون

قال ثنا أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة أنه كتب الى عبد الملك ابن مروان كتبت الي تسألني في الذين جاؤا بالافك وهم كما قال الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وانه لم يسم منهم أحد الا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله جاؤا بالافك عصبة منكم هم أصحاب عائشة قال ابن جريج قال ابن عباس قوله جاؤا بالافك عصبة منكم الآية الذين افتروا على عائشة عبد الله بن أبي وهو الذي تولى كبره وحسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الذين قالوا لعائشة الافك والبهتان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم قال الشر لكم بالافك الذي قالوا الذي تكلموا به كان شرا لهم وكان فيهم من لم يقله انما سمعه فعاتبهم الله فقال أول شيء ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ثم قال والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم يقول لكل امرئ من الذين جاؤا بالافك جزاء ما اجترم من الاثم بمجيئه بما جاء به من الاولى عبد الله وقوله والذي تولى كبره منهم يقول والذي تحمل معظم ذلك الاثم والافك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذي تولى كبره منهم يقول الذي بدأ بذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عصبة منكم قال أصحاب عائشة عبد الله بن أبي ابن سلول ومسطح وحسان «قال أبو جعفر» له من الله عذاب عظيم يوم القيامة وقد اختلف القراء في قراءة قوله كبره فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار كبره بكسر الكاف سوى حميد الأعرج فانه كان يقرؤه كبره بمعنى والذي تحمل أكبره * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب القراءة التي عليها عوام القراء وهي كسر الكاف لاجماع الحجة من القراء عليها وأن الكبر بالكسر مصدر الكبير من الامور وأن الكبر بضم الكاف انما هو من الولاء والنسب من قولهم هو كبر قومه والكبر في هذا الموضع هو ما وصفنا من معظم الاثم والافك فاذ كان ذلك كذلك فالكسر في كافه هو الكلام الفصيح دون ضمها وان كان لضمها وجه مفهوم * وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله والذي تولى كبره منهم الآية فقال بعضهم هو حسان بن ثابت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن قزعة قال ثنا مسلمة بن علقمة قال ثنا داود عن عامر أن عائشة قالت ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان وما تمثلت به الا رجوت له الجنة قوله لأبي سفيان

من خبيثات الكلام قال جار الله هو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب وجوز بقرينة الحال أن يكون أولئك اشارة الى أهل البيت عليهم السلام وأنهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وفي الآية قول آخر وهو أن يراد بالخبيثات النساء الخبائث و بالخبيثين الرجال الذين هم اشكال لهن فيكون أول الآية نظير قوله الزاني لا ينكح الا زانية وكذلك الكلام في أهل الطيب ولا أطيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون أزواجه مثله فلذلك أخبر عن حالهن بقوله (لهم مغفرة ورزق كريم) وقدم تفسير الرزق الكريم في الحج نظيره قوله في الاحزاب واعتدنا لها رزقا كريما وفي الآية دلالة على أن عائشة من أهل الجنة وقال بعض الشيعة هذا الوعد مشروط باجتناب الكبائر وقد فعلت عائشة من البغي يوم الجمل ما فعلت والصحيح عند العلماء انها رجعت عن ذلك الاجتهاد وتابت * عن عائشة لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر النبي أن يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما وعن بعضهم برأ الله أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وماذاك الا لاظهار علو منزلة سيد الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ﴿ التأويل ﴾ قال اذا حصل لأهل الله مسئلة الى غيره قبض الله ما يرده اليه وأن النبي عليه السلام لما قيل له أي الناس أحب اليك قال عائشة فسأ كنها وقال يا عائشة حبك في قلبي كالعقدة وقالت عائشة اني أحبك وأحب قربك فالله تعالى حل عقدة الحب عن قلبه لحديث الافك ورد قلب عائشة الى حضرته حتى قالت حين ظهرت براءة ساحتها بحمد الله لا بحمدك وقيل الملامة مفتاح باب حبس الوجود بها يذوب الوجود ذوبان الثلج

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء
فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكدره الدلاء

فقيل يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا قالت لا انما اللغو ما قيل عند النساء قيل أليس الله يقول والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت أليس قد أصابه عذاب عظيم أليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف * قال ثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا وقد قال الله ما قال فقالت قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد ذهب بصره ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن أبي عدي عن شعبة عن سليمن عن أبي الضحى عن مسروق قال دخل حسان ابن ثابت على عائشة فشبب بابيات له فقال * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل * فقالت عائشة أما انك لست كذلك فقلت تدعين هذا الرجل يدخل عليك وقد أنزل الله فيه والذي تولى كبره الآية فقالت وأي عذاب أشد من العمى وقالت انه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن عثمان الواسطي قال ثنا جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان عن محمد ابن عبد الله بن جحش قال تفاخرت عائشة وزينب قال فقالت زينب أنا التي نزل تزويجي من السماء قال وقالت عائشة أنا التي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين * وقال آخرون هو عبد الله بن أبي ابن سلول ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان الذين تكلموا فيه المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول وكان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره ومسطحا وحسان بن ثابت حدثنا سفيان قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن علقمة ابن وقاص وغيره أيضا قالوا قالت عائشة كان الذي تولى كبره الذي يجمعهم في بيته عبد الله ابن أبي ابن سلول حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن شهاب قال ثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت كان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان الذين جاؤا الآية الذين افتروا على عائشة عبد الله ابن أبي وهو الذي تولى كبره وحسان ومسطح وحمنة بنت جحش حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد

بالشمس يوم تشهد عليهم شهادة الأعضاء فى القيامة مؤجلة وبالحقيقة هى فى الدنيا معجلة كقوله تعرفهم بسيماهم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقال الشاعر عينالـ قد حكتا مبيتك كيف كنت وكيف كانا ولرب عين قد أرتـ ـك مبيت صاحبها عيانا وإذا كانت الامارة فى الدنيا ظاهرة فهى فى القيامة أولى فاللسان يشهد بالاقرار بقراءة القرآن واليد تشهد بأخذ المصحف والرجل تشهد بالمشى الى المسجد والعين تشهد بالبكاء والاذن تشهد باستماع كلام الله وعند الحكماء تظهر (٧١) أنوار الملكات الحميدة على النفس من البدن وبالعكس كما تنعا كس أنوار المرايا المتقابلة و يعلمون أهل الوصول والوصال أن الله هو الحق المبين لاشئ فى الوجود غيره لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وحينئذ يحق أن يقال الخبيثات وهن الملوثات بلوث الوجود المجازى للخبيثين وهم أمثالهن والطيبات من لوث الحدوث للطيبين وهم اشكالهن ولا طيب الا الله وحده ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان

قال ثنا أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة فى الذين جاؤا بالافك يزعمون أنه كان كبر ذلك عبد الله بن أبى ابن سلول أحد بنى عوف بن الخزرج وأخبرت أنه كان يحدث به عنهم فيقره ويسمعه ويستوشيه حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أما الذى تولى كبره منهم فعبد الله بن أبى ابن سلول الخبيث هو الذى ابتدأ هذا الكلام وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والذى تولى كبره هو عبد الله بن أبى ابن سلول وهو بدأه * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال الذى تولى كبره من عصبة الافك كان عبد الله بن أبى وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذى بدأ بذكر الافك وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبى ابن سلول وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الامر وكان سبب مجىء أهل الافك ما حدثنا به ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب قال ثنى عروة ابن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا فبرأها الله وكلهم حدثنى بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثنى وبعضهم حدثنى يصدق بعضهم بعضا زعموا أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها قالت عائشة فأقرع بيننا فى غزاة غزاها فخرج سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما أنزل الحجاب وأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل الى المدينة أذن ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى الرحل فلمست صدرى واذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون أنى فيه قالت وكانت النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونى ويرجعون الىّ فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت حتى أصبحت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل أن يضرب الحجاب فاستيقظت

الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ۞ القراآت وليضربن بكسر اللام على الأصل عياش جيوبهن بضم الجيم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وهشام وعاصم غير الأعشى والبزي والقواس من طريق الهاشمي وفي رواية خلف عن حمزة باشمام الجيم الضم ثم يشير الى الكسر وبضم الباء الآخرون بالكسر الخالص غير بالنصب على الاستثناء أو الحال ابن عامر (٧٣) ويزيد وأبو بكر وحماد الباقون بالكسر على الوصف أيه المؤمنون بضم الهاء في الحالين

باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمت بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمت المدينة فاشتكيت شهرا والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت أي هنتاه أولم تسمعي ما قال قلت وما قال فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى منزلي ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت أتأذن لي أن آتي أبوي قال نعم قالت وأنا حينئذ أريد أن أستثبت الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لأمي أي أمتاه ماذا يتحدث الناس فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها قالت قلت سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت فدخل علي أبو بكر وأنا أبكي فقال لأمي ما يبكيها قالت لم تكن علمت ما قيل لها فأكب يبكي فبكى ساعة ثم قال اسكتي يا بنية فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلي المقبل لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى ظن أبواي أن البكاء سيفلق كبدي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي في نفسه من الود فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم الا خيرا وأما علي فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسأل الجارية تصدقك يعني بريرة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال هل رأيت من شيء يريبك من عائشة قالت له بريرة والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال من يعذرني ممن قد بلغني أذاه في أهلي يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عامر وقرأ أبو عمرو وعلي وابن كثير بألف في الوقف الباقون بفتح الهاء بغير ألف في الوقف وبألف في الوصل ۞ الوقوف أهلها ط تذكرون ه يؤذن لكم ج للشرط مع العطف أزكى لكم ط عليم ه متاع لكم ط تكتمون ه فروجهم ط لهم ط ما يصنعون ه جيوبهن صل عورات النساء ص ز ينتهن ط تفلحون ه وامائكم ط فضله ط عليم ه فضله ط خيرا ق قد قيل والوصل أوجه للعطف آتاكم ط للعدول الى حكم آخر الدنيا ط رحيم ه للمتقين ه ۞ التفسير الحكم الرابع الاستئذان لما كانت الخلوة طريقا الى التهمة ولذلك وجد أهل الافك سبيلا الى افكهم شرع أن لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستئذان وفي الآية أسئلة الاول الاستئناس هو الأنس الحاصل بعد المجانسة قال الله تعالى ولا مستأنسين لحديث ولا يكون ذلك في الأغلب الا بعد الدخول والسلام فلم عكس هذا الترتيب في الآية جوابه بعد تسليم أن الواو للترتيب هو أن الاستئناس طلب الانس وأنه مقدم على السلام وقال جار الله هو من باب الكفاية والارداف لان الانس الذي هو خلاف الوحشة يردف الاذن فوضع موضع الاذن كأنه قيل حتى يؤذن لكم أو هو استفعال من آنس اذا أبصر فالمراد حتى تستكشفوا الحال ويبين هل يراد دخولكم أم لا وهو

أو هو من الانس بالكسر وهو أن يتعرف هل ثم انسان لأنه لا معنى للسلام ما لم يعلم أفي البيت انسان أم لا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يخفى ضعف هذه الرواية لأنها توجب الطعن في المتواتر وتفتح باب القدح في القرآن كله نعوذ بالله منه * الثاني ما الحكمة في شرع الاستئذان الجواب كيلا يطلع الداخل على عورات ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه ولئلا يوقف

على الاحوال التى تخفيها الناس فى العادة ولانه تصرف فى ملك الغير فلا بد أن يكون برضاه والا أشبه الغصب والتغلب ولذلك قال سبحانه (ذلكم) يعنى الاستئذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور أى الدخول من غير اذن قال صلى الله عليه وسلم من سبقت عينه استئذانه فقد دمر واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب (لعلكم تذكرون) أى أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تتعظوا أو تعملوا به الثالث كيف يكون الاستئذان جوابه استأذن رجل على رسول الله (٧٣) فقال أبح فقال لامرأة يقال لها روضة قومى الى هذا فعلميه فانه لا يحسن أن يستأذن قولى له يقول السلام عليكم أدخل فسمع الرجل فقالها فقال ادخل ويؤيده قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد فنع الله تعالى عن ذلك وعلم الأدب الأحسن وعن مجاهد حتى تستأنسوا هو التنحنح ونحوه وقال عكرمة هو التسبيح والتكبير وقرع الباب بعنف وا والتصييح بصاحب الدار منهى عنه وكذا كل ما يؤدى الى الكراهة و ينبئ عن الثقل الرابع كم عدد الاستئذان الجواب روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الاستئذان ثلاث بالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون ومثله عن أبى موسى الأشعرى وقصته مع عمر مشهورة فى ذلك وعن قتادة الاستئذان ثلاثة الاول يسمع الحى الثانى ليتهيأ والثالث ان شاؤا أذنوا وان شاؤا ردوا و ينبغى أن يكون بين المرات فاصلة والا كان الكل فى حكم واحد الخامس كيف يقف على الباب جوابه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكنه

يقف من ركنه الأيمن أو الأيسر فان كان للباب ستر كانت الكراهة أخف السادس قوله حتى تستأنسوا وتسلموا يدل على أنه يجوز الدخول بعد الاستئذان والتسليم وان لم يكن ثمة اذن أو من يأذن لأن حتى للغاية والحكم بعد الغاية يكون خلاف ما قبلها جوابه سلمنا المخالفة لكن لا نسلم المناقضة وذلك أنه قبل الاستئذان لا يجوز الدخول مطلقا وبعده فيه تفصيل وهو أنه ان لم يجد فيها أحدا من الآذنين مطلقا أو من يعتبر اذنه شرعا فليس له الدخول وذلك قوله (فان لم تجدوا فيها أحدا) أى على الاطلاق أو ممن له

وهو على المنبر أيضا يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى فوالله ما علمت على أهلى الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على أهلى الا معى فقام سعد بن معاذ الانصارى فقال أنا أعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة فقال وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال أى سعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا فى بيت أبوى فبينا هما جالسان عندى وأنا أبكى استأذنت على امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكى معى قالت فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس عندى ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه دمعة قلت لأبى أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأمى أجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن انى والله قد عرفت أن قد سمعتم بهذا حتى استقر فى أنفسكم حتى كدتم أن تصدقوا به فان قلت لكم انى بريئة والله يعلم أنى بريئة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى وانى والله ما أجد لى ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم توليت فاضطجعت على فراشى وأنا والله أعلم أنى بريئة وأن الله سيبرئنى ببراءتى ولكنى والله ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحى يتلى ولشأنى كان أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام رؤيا يبرئنى الله بها قالت والله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحى حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى أنزل عليه قالت فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشرى يا عائشة ان الله قد برأك فقالت لى أمى قومى اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله هو الذى أنزل براءتى فأنزل الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم عشر آيات فأنزل هذه الآيات

الاذن (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أى حتى تجدوا من يأذن لكم أو من يعتبر اذنه وان وجدفيها من له الاذن فان أذن دخل وان لم يأذن وقال ارجع رجع وهو قوله (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى) أى الرجوع أطيب (لكم وأطهر) لما فيه من سلامة الصدر والبعد من الريبة وفى قوله (والله بما تعملون عليم) نوع زجر للمكلف فعليه أن يحتاط كيف يدخل ولاى غرض يدخل وكيف يخرج وهل يقوم غير الاذن مقام الاذن عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رسول الرجل الى الرجل اذنه وفى رواية أخرى اذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن وقيل ان من قد جرت العادة له باباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستئذان والجمهور على أن اذن الصبى والعبد والمرأة معتبر وكذلك فى الهدايا لاجل الضرورة وهل يعتبر الاستئذان على المحارم روى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أستأذن عليها كلما دخلت عليها قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن قال العلماء ان كان المنع من الهجوم على الغير لاجل أنه لا يراه منكشف الاعضاء فتستثنى منه الزوجة وملك اليمين وان كان لأجل أنه لا يراه مشغولا بما يكره الاطلاع عليه فالمنع عام الا اذا عرض ما يبيح هتك الستر كحريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب انكاره التاسع ما حكم من اطلع على دار غيره بغير اذنه الجواب قال الشافعى لو فقأ عينه فهى هدر وتمسك بما روى سهل بن سعد أنه اطلع رجل فى حجرة من حجر النبى صلى الله عليه وسلم ومع النبى مدرى يحك بها رأسه فقال لو علمت أنك تنظر الى لطعنت بها فى عينك انما الاستئذان من النظر وعن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من اطلع فى دار قوم بغير اذنهم ففقؤا عينه فقد هدرت عينه قال أبو بكر الرازى هذا الخبر مردود لوروده على خلاف الاصول فلا خلاف أنه لو دخل داره بغير اذنه ففقأ عينه كان ضامنا وعليه القصاص ان كان عامدا ومعلوم أن الداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع فمعنى الحديث لو صح انه من اطلع فى دار قوم ونظر الى حرمهم ونسائهم ثم منع فلم يمتنع فذهبت عينه فى حال الممانعة فهى هدر وأجيب بالفرق فانه اذا علم القوم دخوله عليهم احترزوا عنه وتستروا فاما اذا نظر على حين غفلة منهم اطلع على ما لا يراد الاطلاع عليه فلا يبعد فى حكمة الشرع أن يبالغ ههنا فى الزجر حسما لمادة هذه المفسدة جميع هذه

والله

براءتى قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيأ أبدا بعد الذى قال لعائشة قالت فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة حتى بلغ غفور رحيم فقال أبو بكر انى لأحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى وما رأت وما سمعت فقالت يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما رأيت الا خيرا قالت عائشة وهى التى كانت تسامينى فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب فهلكت فيمن هلك قال الزهرى بن شهاب هذا الذى انتهى الينا من أمر هؤلاء الرهط حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن علقمة بن وقاص الليثى عن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عتبة بن مسعود قال الزهرى كل قد حدثنى بعض هذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض قال وقد جمعت لك كل الذى قد حدثنى وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة * قال وثنى محمد ابن اسحق قال ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة * قال وثنى عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت وكل قد اجتمع فى حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها حين قال أهل الافك فيها ما قالوا وكله قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعض وكل كان عنها ثقة وكل قد حدث عنها ما سمع قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كانت غزاة بنى المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمى عليهن فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت وكان النساء اذ ذاك انما يأكلن العلق لم يهيجهن اللحم فيثقلن قالت وكنت اذا رحل بعيرى جلست فى هودجى ثم يأتى القوم الذين يرحلون بى بعيرى ويحملونى فيأخذون بأسفل الهودج يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فينطلقون به قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلا حتى اذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى من جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقى وما أدرى فلما رجعت الى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل قالت فرجعت عودى الى بدئى الى المكان الذى ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافى الذين كانوا يرحلون بى البعير ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى عن ابن ثور حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت لما ذكر من شأنى الذى ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وما علمت فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أشيروا على فى أناس أبنوا أهلى والله ما علمت على أهلى سوأ قط وأبنوهم بمن

الاحكام فيما اذا كانت الدار مسكونة فان لم تكن مسكونة فذلك قوله (ليس عليكم جناح) الآية وللمفسرين فيه أقوال الأول قول محمد بن الحنفية أنها الخانات والرباطات وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرجال والسلع والبيع والشراء روى أن أبا بكر قال يارسول الله ان الله قد أنزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز وقيل الأسواق والاولى العموم والعالم يحتج الى الاذن دفعا للحرج ولأنها مأذون في دخولها من جهة العرف ثم ختم الآية بوعيد مثل ما تقدم الحكم الخامس غض البصر وحفظ الفرج عما لا يحل وتخصيص المؤمنين بهذا التكليف عند من لا يجعل الكفار مكلفين بفروع الاسلام ظاهر وأما عند من يجعلهم مكلفين بالفروع أيضا فالتخصيص للتشريف أو نزل فقدان مقدمة التكليف منزلة فقدان التكليف وان كان حالهم في الحقيقة كحال المؤمنين في استحقاق العقاب على تركها قال أكثر النحويين من للتبعيض والمراد غض شيء من البصر لأن غض كله كالمتعذر بخلاف حفظ الفرج فانه ممكن على الاطلاق وجوز الأخفش أن تكون من مزيدة وقيل صلة للغض أي ينقصوا من نظرهم يقال غضضت من فلان اذا نقصت من قدره فالنظر اذا لم يكن من عمله فهو معفو موضوع عنه واعراب قوله يغضوا كما مر في سورة ابراهيم في قوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا قال الفقهاء العورات على أربعة أقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المرأة مع المرأة وعورة المرأة مع الرجل وبالعكس أما الرجل مع الرجل فيجوز أن ينظر الى جميع بدنه الا الى عورته وعورته ما بين السرة والركبة والسرة والركبة ليستا بعورة وعند أبي حنيفة الركبة عورة قال مالك الفخذ ليست بعورة وهو خلاف ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حي وميت فان كان في نظره الى وجه الرجل أو سائر بدنه شهوة أو خوف فتنة بأن كان أمرد لا يحل النظر اليه ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وان كان واحد منهما في جانب الفراش لرواية أبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة الى المرأة في الثوب الواحد ويكره المعانقة وتقبيل الوجه الا لولد شفقة وتستحب المصافحة والمرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل

والله ما علمت عليه سوأ قط ولا دخل بيتي قط الا وأنا حاضر ولا أغيب في سفر الا غاب معي فقام سعد بن معاذ فقال يارسول الله نرى أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان ابن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال كذبت أما والله لو كانوا من الاوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج في المسجد شر وما علمت به فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت علام تسبين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح قلت علام تسبين ابنك فسكتت الثانية ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فانتهرتها وقلت علام تسبين ابنك قالت والله ما أسبه الا فيك قلت في أي شأني فبقرت لي الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم والله قالت فرجعت الى بيتي فكأن الذي خرجت له لم أخرج له ولا أجد منه قليلا ولا كثيرا ووعكت فقلت يارسول الله أرسلني الى بيت أبي فأرسل معي الغلام فدخلت الدار فاذا أنا بأمي أم رومان قالت ما جاء بك يابنية فأخبرتها فقالت خفضي عليك الشأن فانه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا حسدنها وقلن فيها قلت وقد علم بها أبي قالت نعم قلت ورسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال لأمي ما شأنها قالت بلغها الذي ذكر من أمرها ففاضت عيناه فقال أقسمت عليك الا رجعت الى بيتك فرجعت فأصبح أبواي عندي فلم يزالا عندي حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بعد العصر وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد ياعائشة ان كنت قارفت سوأ أو ألممت فتوبي الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده وقد جاءت امرأة من الأنصار وهي جالسة فقلت ألا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيأ فقلت لأبي أجبه فقال أقول ماذا قلت لأمي أجيبه فقالت أقول ماذا فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت أما بعد فوالله لئن قلت لكم اني لم أفعل والله يعلم اني لصادقة ما ذا بنافعي عندكم لقد تكلم به وأشربته قلوبكم وان قلت اني قد فعلت والله يعلم أني لم أفعل لتقولن قد باءت به على نفسها وايم الله ما أجد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف وما احفظ اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وأنزل الله على رسوله ساعتئذ فرفع عنه واني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه يقول أبشري ياعائشة فقد أنزل الله براءتك فكنت أشد ما كنت غضبا فقال لي أبواي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا أحمدكما لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ولكني أحمد الله الذي أنزل براءتي ولقد جاء رسول الله بيتي فسأل الجارية عني فقالت والله ما أعلم عليها عيبا الا أنها كانت تنام حتى كانت تدخل الشاة فتأكل حصيرها أو عجينها فانتهرها بعض أصحابه وقال لها أصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عروة فعتب على من قاله فقال لا والله ما أعلم عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر وبلغ ذلك الرجل الذي قيل له

فلها النظر الى جميع بدنها الا ما بين السرة والركبة ولا يجوز عند خوف الفتنة ولا تجوز المضاجعة أيضا لما مر في الحديث والأصح أن الذمية لا يجوز لها النظر الى بدن المسلمة لأنها أجنبية في الدين والله تعالى يقول أو نسائهن أما عورة المرأة مع الرجل فان كانت أجنبية حرة فجميع بدنها عورة لا يجوز له أن ينظر الى شئ منها الا الوجه والكفين لأنها تحتاج الى ابراز الوجه للبيع والشراء والى اخراج الكف للأخذ والاعطاء ويعني بالكف ظهرها وبطنها الى الكوعين (٧٦) وقيل ظهر الكف عورة وفي هذا المقام تفصيل قال العلماء لا يجوز أن يعمد النظر الى وجه الأجنبية بغير غرض فان وقع بصره عليها بغتة غض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولقوله صلى الله عليه وسلم يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة فان كان هناك غرض ولا شهوة ولا فتنة فذاك والغرض أمور منها أن يريد نكاح امرأة فينظر الى وجهها وكفها روى أبو هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في أعين الأنصار شيأ ومنها اذا أراد شراء جارية فله أن ينظر الى ما ليس بعورة منها ومنها أنه عند المبايعة ينظر الى وجهها متأملا حتى يعرفها عند الحاجة ومنها أنه ينظر اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه لأن المعرفة تحصل به ومنها يجوز للطبيب الامين أن ينظر الى بدن الاجنبية للمعالجة كما يجوز للخاتن أن ينظر الى فرج المختون لانه محل ضرورة وكما يجوز أن ينظر الى فرج الزانيين لتحمل الشهادة والى فرجها لتحمل شهادة الولادة اذا لم تكن نسوة والى ثدي المرضعة لتحمل الشهادة على الرضاع فان كان هناك شهوة وفتنة فالنظر محظور قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان وقيل مكتوب في التوراة النظر يزرع الشهوة في القلب ورب شهوة أورثت حزنا طويلا ويستثنى منه ما لو وقعت في حرق أو غرق فله أن ينظر الى بدنها ان ليخلصها وان كانت الأجنبية أمة فالأصح أن عورتها ما بين السرة والركبة لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يشتري الأمة لا بأس أن ينظر اليها الا الى العورة وعورتها ما بين معقد ازارها الى ركبتها وقيل الا ما تبدي المهنة فيخرج منه أن رأسها وعنقها وساعدها وساقها ونحرها وصدرها ليس بعورة وفي ظهرها وبطنها وما فوق ساعديها الخلاف وحكم المكاتبة والمدبرة والمستولدة ومن بعضها رقيق

فقال سبحان الله ما كشفت كنف انثى قط فقتل شهيدا في سبيل الله قالت عائشة فأما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل الا خيرا وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك وكان الذين تكلموا فيه المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول وكان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره ومسطحا وحسان بن ثابت فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنافعة فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة يعني أبا بكر أن يؤتوا أولي القربى والمساكين يعني مسطحا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم قال أبو بكر بلى والله انا نحب أن يغفر الله لنا وعاد أبو بكر لمسطح بما كان يصنع به حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا قال خرجت عائشة تريد المذهب ومعها أم مسطح وكان مسطح بن أثاثة ممن قال ما قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك فقال كيف ترون فيمن يؤذيني في أهلي ويجمع في بيته من يؤذيني فقال سعد بن معاذ أي رسول الله ان كان منا معشر الأوس جلدنا رأسه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعناك فقال سعد بن عبادة يا ابن معاذ والله ما بك نصرة رسول الله ولكنها قد كانت ضغائن في الجاهلية واحن لم تحلل لنا من صدوركم بعد فقال ابن معاذ الله أعلم ما أردت فقام أسيد بن حضير فقال يا ابن عبادة ان سعدا ليس شديدا ولكنك تجادل عن المنافقين وتدفع عنهم وكثر اللغط في الحيين في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على المنبر فما زال النبي صلى الله عليه وسلم يومئ بيده الى الناس ههنا وههنا حتى هدأ الصوت وقالت عائشة كان الذي تولى كبره والذي يجمعهم في بيته عبد الله ابن أبي ابن سلول قالت فخرجت الى المذهب ومعي أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت غفر الله لك أتقولين هذا لابنك ولصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ذلك مرتين وما شعرت بالذي كان فحدثت فذهب عني الذي خرجت له حتى ما أجد منه شيأ ورجعت على أبوي أبي بكر وأم رومان فقلت أما اتقيتما الله في وما وصلتما رحمي قال النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال وتحدث الناس بالذي تحدثوا به ولم تعلماني به فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أي بنية والله لقلما أحب رجل قط امرأته الا قالوا لها نحو الذي قالوا لك أي بنية ارجعي الى بيتك حتى نأتيك فيه فرجعت وارتكبني صالب من حمى فجاء أبواي فدخلا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سريري وجاهي فقالا أي بنية ان كنت صنعت ما قال الناس فاستغفري الله وان لم تكوني صنعتيه فأخبري رسول الله بعذرك قلت ما أجد لي ولكم الا كأبي يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت فالتمست اسم يعقوب فما قدرت أو فلم أقدر عليه فشخص بصر رسول الله الى السقف وكان اذا أنزل عليه وجد قال الله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فوالذي هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى اني لأنظر الى نواجذه سرورا ثم مسح عن وجهه فقال يا عائشة أبشري قد أنزل الله عذرك قالت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك قال الله

ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم حتى بلغ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة وكان أبو بكر حلف أن لا ينفع مسطحا بنافعة وكان بينهما رحم فلما أنزلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم حتى بلغ والله غفور رحيم قال أبو بكر بلى أي رب فعاد الى الذي كان لمسطح ان الذين يرمون المحصنات حتى بلغ أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم قالت عائشة والله ما كنت أرجو أن ينزل في كتاب ولا أطمع به ولكن أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تذهب ما في نفسه قالت وسأل الجارية الحبشية فقالت والله لعائشة أطيب من طيب الذهب وما بها عيب الا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله قال فعجب الناس من فقهها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين ﴾ وهذا عتاب من الله تعالى ذكره أهل الايمان به فيما وقع في أنفسهم من ارجاف من أرجف في أمر عائشة بما أرجف به يقول لهم تعالى ذكره هلا أيها الناس اذ سمعتم ما قال أهل الافك في عائشة ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيرا يقول ظننتم بمن قرف بذلك منكم خيرا ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة وقال بأنفسهم لأن أهل الاسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة لأنهم أهل ملة واحدة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب قالت لا والله ما كنت لأفعله قال فعائشة والله خير منك قال فلما نزل القرآن ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الافك ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ثم قال لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الآية أي كما قال أبو أيوب وصاحبته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ما هذا الخير ظن المؤمن أن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه وأن الأم لم تكن لتفجر بابنها ان أراد أن يفجر فجر بغير أمه يقول انما كانت عائشة أما والمؤمنون بنون لها محرما عليها وقرأ لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا قال لهم خيرا ألا ترى أنه يقول لا تقتلوا أنفسكم يقول بعضكم بعضا وسلموا على أنفسكم قال يسلم بعضكم على بعض حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات وقوله وقالوا هذا إفك مبين يقول وقال المؤمنون والمؤمنات هذا الذي سمعناه من القول الذي رميت به عائشة من الفاحشة كذب واثم يبين لمن عقل وفكر فيه أنه كذب واثم وبهتان كما حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال أخبرنا عوف عن الحسن وقالوا هذا افك مبين قالوا ان هذا لا ينبغي أن يتكلم به الا من أقام

حكم الأمة ولا يجوز لمسها ولا لها مسه لأن اللمس أقوى من النظر بدليل أن الانزال باللمس يفطر الصائم و بالنظر لا يفطر وقال أبو حنيفة يجوز أن يمس من الامة ما يحل النظر اليه وأما ان كانت المرأة ذات محرم بنسب أو رضاع أو صهرية فعورتها ما بين السرة والركبة كعورة الرجل وعند أبي حنيفة عورتها ما لا يبدو عند المهنة فان كانت مستمتعا له كالزوجة والامة التي يحل له الاستمتاع بها جاز له أن ينظر الى جميع بدنها غير أنه يكره أن ينظر الى الفرج وكذا الى فرج نفسه لما روى أنه يورث الطمس وقيل لا يجوز النظر الى فرجها فان كانت الامة مجوسية أو مرتدة أو وثنية أو مشتركة بينه و بين غيره أو مزوجة أو مكاتبة فهي كالأجنبية روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا زوج أحدكم جاريته عبده أو أجيره فلا ينظر الى مادون السرة وفوق الركبة وأما عورة الرجل مع المرأة فان كان أجنبيا منها فعورته معها ما بين السرة والركبة وقيل جميع بدنه الا الوجه والكفين كهي معه والأصح هو الاول لان بدن المرأة في نفسه عورة بدليل أنه لا يصح صلاتها مكشوفة البدن و بدن الرجل بخلافه ولا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روى عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقالت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا فقال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه وان كان محرما لها فعورته معها ما بين السرة والركبة وان كان زوجها أو سيدها الذي يحل له وطؤها فلها أن تنظر الى جميع بدنه غير أنه يكره النظر الى الفرج كهو معها ولا يجوز للرجل أن يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر عورته لأنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال الله أحق أن يستحى منه وعنه اياكم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغائط وحين يفضي الرجل الى أهله ولما كان النظر بريد الزنا ورائد الفجور أمر بغض الابصار أولا ثم بحفظ الفروج عن الزنا والفجور ثانيا وعن أبي العالية أن كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه أراد الاستثناء وأن لا ينظر الى الفروج أحد وعلى هذا ففائدة التخصيص بعد التعميم أن يعلم أن أمر الفرج أضيق وحين خص الخطاب في أول الآية بالمؤمنين ذكر أن ذلك الذي أمر به من غض البصر وحفظ الفرج أزكى لهم لأنهم

يتطهرون بذلك من دنس الآثام و يستحقون الثناء والمدح وهذا لا يليق بالكافر وفي قوله (ان الله خبير بما يصنعون) ولا ثاني له في القرآن اشارة الى وجوب الحذر في كل حركة وسكون وتفسير قوله (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن) يعلم من التفصيل المتقدم أما قوله ولا يبدين ز ينتهن فن الأحكام التي تختص بالنساء في الأغلب وقد يحرم على الرجل ابداء ز ينته للنساء الأجنبيات اذا كان هنالك فتنة قال أكثر المفسرين الزينة ههنا أريد بها أمور ثلاثة أحدها الاصباغ كالكحل والخضاب بالوسمة في حاجبيها والحمرة في خديها والحناء في كفيها وقدميها وثانيها الحلي كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والقلائد والاكليل والوشاح والقرط وثالثها الثياب وقال آخرون الزينة اسم يقع على محاسن الخلق التي خلقها الله تعالى وعلى ما يتزين به الانسان من فضل لباس أو حلي وغير ذلك يدل على ذلك أن كثيرا من النساء ينفردن بخلقهن عن سائر ما يعد ز ينة وفي قوله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) اشارة الى ذلك وكأنه تعالى منعهن من اظهار محاسن خلقهن فأوجب سترها بالخمار قال القفال بناء على هذا القول معنى قوله (الا ما ظهر منها) الا ما يظهره الانسان على العادة الجارية وذلك في النساء الحرائر الوجه والكفان وفي الاماء كل ما يبدو عند المهنة وفي صوتها خلاف الأصح أنه ليس بعورة لأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم كن يروين الأخبار للرجال وأما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة فذهبوا الى أنه تعالى انما حرم النظر اليها حال اتصالها ببدن المرأة لأجل المبالغة في حرمة النظر الى أعضاء المرأة الا ما ظهر من هذه الزينة كالثياب مطلقا اذا لم تصف البدن لرقتها وكالحمرة والوسمة في الوجه وكالخضاب والخواتيم في اليدين وما سوى ذلك يحرم النظر اليه ولهذا قال وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع الخمار وهي كالمقنعة قال . وقد المفسرون ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وكانت جيوبهن من قدام واسعة فكان ينكشف نحورهن وقلائدهن فأمرن أن يضربن مقانعهن على الجيوب لتستتر بذلك أعناقهن ونحورهن وما حواليها من شعر وز ينة وفي لفظ الضرب مبالغة في الالقاء شبيه الالصاق وعن عائشة ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها فصدعت منه صدعة

عليه أربعة من الشهود وأقيم عليه حد الزنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ يقول تعالى ذكره هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاؤا بالافك ورموا عائشة بالبهتان بأربعة شهداء يشهدون على مقالتهم فيها وما رموها به فاذ لم يأتوا بالشهداء الاربعة على حقيقة ما رموها به فأولئك عند الله هم الكاذبون يقول فالعصبة الذين رموها بذلك عند الله هم الكاذبون فيما جاؤا به من الافك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الخائضون في أمر عائشة المشيعون فيها الكذب والاثم بتركه تعجيل عقوبتكم ورحمته اياكم لعفوه عنكم في الدنيا والآخرة بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك لمسكم فيما خضتم فيه من أمرها عاجلا في الدنيا عذاب عظيم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته هذا للذين تكلموا فنشروا ذلك الكلام لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لمسكم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم حين تلقونه بالسنتكم واذ من صلة قوله لمسكم ويعني بقوله تلقونه تتلقون الافك الذي جاءت به العصبة من أهل الافك فتقبلونه ويرويه بعضكم عن بعض يقال تلقيت هذا الكلام عن فلان بمعنى أخذته منه وقيل ذلك لأن الرجل منهم فيما ذكر يلقى آخر فيقول أوما بلغك كذا وكذا عن عائشة ليشيع عليها بذلك الفاحشة وذكر أنها في قراءة أبي اذ تتلقونه بتاءين وعليها قراءة الأمصار غير أنهم قرؤها تلقونه بتاء واحدة لأنها كذلك في مصاحفهم وقد روي عن عائشة في ذلك ما حدثني به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن نزار عن نافع عن ابن أبي مليكة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقرأ هذه الآية اذ تلقونه بألسنتكم تقول انما هو ولق الكذب وتقول انما كانوا يلقون الكذب قال ابن أبي مليكة وهي أعلم بما فيها أنزلت قال نافع وسمعت بعض العرب (١) يقول اللبق الكذب حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا نافع بن عمر عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجمحي عن ابن أبي مليكة عن عائشة أنها كانت تقرأ اذ تلقونه بألسنتكم وهي أعلم بذلك وفيها أنزلت قال ابن أبي مليكة هو من ولق الكذب * قال أبو جعفر وكأن عائشة وجهت معنى ذلك بقراءتها تلقونه بكسر اللام وتخفيف القاف الى اذ تستمرون في كذبكم عليها وافككم بألسنتكم كما يقال ولق فلان في السير فهو يلق اذا استمر فيه وكما قال الراجز

ان الجليد زلق وزملق * جاءت به عنس من الشام تلق * مجوع البطن كلابي الخلق

(١) لم نقف عليه فيما بأيدينا من كتب اللغة فلعله محرف وحرر كتبه مصححه

وقدروى عن العرب فى الولق الكذب الالق والالق بفتح الالف وكسرها و يقال فى فعلت منه ألقت فاناألق وقال بعضهم

من لى بالمزرّر اليـلامق * صاحب أدهان وألق آلق

والقراءة التى لا أستجيز غيرها اذ تلقونه على ماذكرت من قراءة الأمصار لاجماع الحجة من القراء عليها * و بنحو الذى قلنا من التأويل فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد اذ تلقونه بألسنتكم قال ترونه بعضكم عن بعض **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ تلقونه قال ترونه بعضكم عن بعض قوله وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم يقول تعالى ذكره وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم من الامر الذى ترونه فتقولون سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا ولا تعلمون حقيقة ذلك ولا صحته وتحسبونه هينا وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بألسنتكم وتلقيكموه بعضكم عن بعض هين سهل لا اثم عليكم فيه ولا حرج وهو عند الله عظيم يقول وتلقيكم ذلك كذلك وقولكموه بأفواهكم عند الله عظيم من الأمر لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ يقول تعالى ذكره فلولا أيها الخائضون فى الافك الذى جاءت به عصبة منكم اذ سمعتموه ممن جاء به قلتم ما يحل لنا أن نتكلم بهذا وما ينبغى لنا أن نتفوه به سبحانك هذا بهتان عظيم تنزيها لك يارب و براءة اليك مما جاء به هؤلاء هذا بهتان عظيم يقول هذا القول بهتان عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين و يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره يذكركم الله و ينهاكم بآى كتابه لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذى فعلتموه فى أمر عائشة من تلقيكم الافك الذى روى عليها بألسنتكم وقولكم بأفواهكم ماليس لكم به علم فيها أبدا ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم تتعظون بعظات الله وتأتمرون لأمره وتنتهون عما نهاكم عنه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله و يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم قال والذى هو خير لنا من هذا أن الله أعلمناه هذا لكيلا نقع فيه لولا أن الله أعلمناه لهلكنا كما هلك القوم ان يقول الرجل أنا سمعته ولم أخترقه ولم أتقوله فكان خيرا حين أعلمناه الله لئلا ندخل فى مثله أبدا وهو عند الله عظيم وقوله و يبين الله لكم الآيات و يفصل الله لكم حججه عليكم بأمره ونهيه ليتبين المطيع له منكم من العاصى والله عليم بكم و بأفعالكم لا يخفى عليه شئ وهو مجاز المحسن منكم باحسانه والمسىء باساءته حكيم فى تدبير خلقه وتكليفه ما كلفهم من الاعمال

فاختمرن فأصبحن كأن على رؤسهن الغربان ثم بين أن الزينة الخفية يحل ابداؤها لاثنتى عشرة فرقة الأولى بعولتهن أى أزواجهن والتاء لتأكيد الجمع كصقورة الثانية آباؤهن وان علوا من جهة الأب والأم الثالثة آباء بعولتهن وان علوا الرابعة أبناؤهن وان سفلوا الخامسة أبناء بعولتهن وان سفلوا أيضا السادسة اخوانهن سواء كانوا من الأب أو من الأم أو منهما السابعة بنو اخوانهن الثامنة بنو اخواتهن وحكم أولاد الاولاد حكم الاولاد فيهما وهؤلاء كلهم محارم وترك من المحارم العم والخال فعن الحسن البصرى أنهما كسائر المحارم فى جواز النظر وقد يذكر البعض لينبه على الجملة ولهذا لم يذكر المحارم من الرضاع فى هذه الآية وكذا فى سورة الاحزاب قال لاجناح عليهن فى آبائهن الى آخر الآية ولم يذكر البعولة ولا أبناءهم وقال الشعبى انما لم يذكرهما الله تعالى لئلا يصفها العم عند ابنه والخال عند ابنه وذلك أن العم والخال يفارقان سائر المحارم فى أن ابناءهما ليسوا من المحارم فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم ومعرفة الوصف قريب من النظر وهذا أيضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط فى التستر وانما أبيح ابداء الزينة الخفية لهؤلاء المذكورين لاحتياجهن الى مداخلتهم ومخالطتهم ولا سيما فى الاسفار للنزول والركوب وأيضا لقلة وقوع الفتنة من جهاتهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب الأقارب التاسعة قوله أو نسائهن فذهب أكثر السلف الى أن المراد أهل أديانهن ومن هنا قال ابن عباس ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدى للكافرة الا ما تبدى للأجانب الا أن تكون أمة لها وكتب عمر الى أبى عبيدة أن يمنع نساء أهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات وقال آخرون والعمل عليه ان المراد جميع النساء وقول السلف محمول على الأولى والأحب العاشرة قوله ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ وظاهر الآية يشمل العبيد والاماء و يؤيده ما روى أنس أنه صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وعن عائشة أنها قالت لذكوان انك اذا وضعتنى فى القبر وخرجت فأنت حر وعنها أنها كانت تمشط والعبد ينظر اليها وقال ابن مسعود ومجاهد والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب ان العبد لا ينظر الى شعر مولاته

وفرضه ما فرض عليهم من الافعال ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) يقول تعالى ذكره ان الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم لهم عذاب أليم يقول لهم عذاب وجيع في الدنيا بالحد الذي جعله الله حد الرامي المحصنات والمحصنين اذا رموهم بذلك وفي الآخرة عذاب جهنم ان مات مصرا على ذلك غير تائب كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يحبون أن تشيع الفاحشة قال تظهر في شأن عائشة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم قال الخبيث عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية لهم عذاب أليم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أن تشيع الفاحشة قال تظهر يتحدث عن شأن عائشة وقوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون يقول تعالى ذكره والله يعلم كذب الذين جاؤا بالافك من صدقهم وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك لانكم لا تعلمون الغيب وانما يعلم ذلك علام الغيوب يقول فلا ترووا ما لا علم لكم به من الافك على أهل الايمان بالله ولا سيما على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتهلكوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم) يقول تعالى ذكره ولولا أن الله تفضل عليكم أيها الناس ورحمكم وأن الله ذو رأفة ذو رحمة بخلقه لهلككم فيما أفضتم فيه وعاجلكم من الله العقوبة وترك ذكر الجواب لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده وهو قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره باشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا واذاعتكموها فيهم وروايتكم ذلك عمن جاء به فان الشيطان يأمر بالفحشاء وهي الزنا والمنكر من القول وقد بينا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم ما تطهر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا يقول ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه ولم يتق شيأ من الشر يدفعه عن نفسه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته

ما زكى

وهو قول أبي حنيفة اذ ليس ملكها للعبد كملكه للامة فلا خلاف أنها لا تستبيح بملك العبد شيأ من التمتع منه كما يملك الرجل من الامة وتحريم تزوج العبد لمولاته عارض غير مؤبد لكن عنده أربع نسوة لا يجوز له التزوج بغيرهن فلما لم تكن هذه الحرمة مؤبدة كان العبد بمنزلة سائر الاجانب خصيا كان العبد أو فحلا وأورد على هذا القول لزوم التكرار ضرورة أن الاماء من جملة نسائهن وأجيب بأنه أراد بالنساء الحرائر كما أراد بالرجال الاحرار في قوله شهيدين من رجالكم الحادية عشرة قوله (أو التابعين غير أولي الاربة) وهي الحاجة وهم البله وأهل العنة الذين لا يعرفون شيأ من أمور النساء انما يتبعون الناس ليصيبوا من فضل طعامهم أو شيوخ صلحاء لا حاجة بهم الى النساء لعفة أو عنانة عن زينب بنت أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فأقبل على أخي أم سلمة وقال يا عبد الله ان فتح الله لكم الطائف أدلك على بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان يعني عكن بطنها فقال صلى الله عليه وسلم لا يدخلن عليكم هذا فأباح النبي صلى الله عليه وسلم دخول المخنث عليهن حين ظن أنه من غير أولي الاربة فلما علم أنه يعرف أحوال النساء وأوصافهن علم أنه من أولي الاربة فحجبه الثانية عشرة قوله (أو الطفل) وهو جنس يقع على الواحد والجمع وهو المراد ههنا قال ابن قتيبة معنى (لم يظهروا) لم يطلعوا (على عورات النساء) والعورة سوأة الانسان وكل ما يستحيا منه وقال الفراء والزجاج هو من قولهم ظهر على كذا اذا قوي عليه أي لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء فعلى الأول يجب الاحتجاب ممن ظهر فيه داعية الحكاية وعلى الثاني انما يجب الاحتجاب من المراهق الذي ظهرت فيه مبادي الشهوة قال الحسن هؤلاء الفرق وان اشتركوا في جواز رؤية الزينة الظاهرة فهم على أقسام ثلاثة فأولهم الزوج وله حرمة ليست لغيره يحل له كل شيء منها والثاني الاب والابن والاخ والجد وأبو الزوج وكل محرم من الرضاع أو النسب كل يحل لهم أن ينظروا الى الشعر والصدر والساقين والذراع وأشباه ذلك والثالث التابعون غير أولي الاربة وكذا المملوك لا بأس أن تقوم المرأة الشابة

ما زكى منكم من أحد أبدا قال ما زكى ما أسلم وقال كل شئ فى القرآن من زكى أو تزكى فهو الاسلام وقوله والله سميع عليم يقول والله سميع لما تقولون بأفواهكم وتلقونه بألسنتكم وغير ذلك من كلامكم عليم بذلك كله وبغيره من أموركم محيط به محصيه عليكم ليجازيكم بكل ذلك

القول فى تأويل قوله تعالى (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم يعنى ذوى التفضل والسعة يقول وذوو الجدة واختلف القراء فى قراءة قوله ولا يأتل فقرأته عامة قراء الامصار ولا يأتل بمعنى يفتعل من الالية وهى القسم بالله سوى أبى جعفر وزيد بن أسلم فانه ذكر عنهما أنهما قرآ ذلك ولا يتألّ بمعنى يتفعل من الالية * والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ ولا يأتل بمعنى يفتعل من الالية وذلك أن ذلك فى خط المصحف كذلك والقراءة الاخرى مخالفة خط المصحف فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء وصحة المقروء به أولى من خلاف ذلك كله وانما عنى بذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى حلفه بالله لا ينفق على مسطح فقال جل ثناؤه ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله أن لا يعطوا ذوى قرابتهم فيصلوا به أرحامهم كمسطح وهو ابن خالة أبى بكر والمساكين يقول وذوى خلة الحاجة وكان مسطح منهم لأنه كان فقيرا محتاجا والمهاجرين فى سبيل الله وهم الذين هاجروا ديارهم وأموالهم فى جهاد أعداء الله وكان مسطح منهم لأنه كان ممن هاجر من مكة الى المدينة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وليعفوا يقول وليعفوا عما كان منهم اليهم من جرم وذلك كجرم مسطح الى أبى بكر فى اشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الافك وليصفحوا يقول وليتركوا عقوبتهم على ذلك بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ولكن ليعودوا لهم الى مثل الذى كانوا (٣) لهم عليه من الافضال عليهم ألا تحبون أن يغفر الله لكم يقول ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بافضالكم عليهم فيترك عقوبتكم عليها والله غفور لذنوب من أطاعه واتبع أمره رحيم بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره وطاعتهم اياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها وتابوا اليه من فعلها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن علقمة بن وقاص الليثى وعن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة * قال وثنى ابن اسحق قال ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة * قال وثنى ابن اسحق قال ثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت لما نزل هذا يعنى قوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم فى عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة ما قال وأدخل عليها ما أدخل قالت فأنزل الله فى ذلك ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الآية قالت فقال أبو بكر والله انى لأحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال والله

بين يدى هؤلاء فى درع وخمار صفيق بغير ملحفة ولا يحل لهؤلاء أن يروا منها شعرا ولا بشرا ولا يصح للشابة أن تقوم بين يدى الغريب حتى تلبس الجلباب فهذا ضبط هذه المراتب ثم علمهن أدبا آخر جميلا بقوله (ولا يضربن بأرجلهن) قال ابن عباس كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم أنها ذات خلخالين وفى النهى عن اظهار صوت الحلى بعد نهيهن عن اظهار الحلى مبالغة فوق مبالغة ليعلم أن كل ما يجر الى الفتنة يجب الاحتراز عنه فان الرجل الذى تغلب عليه الشهوة اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعيا له الى مشاهدتهن ومنه يعلم وجوب اخفاء صوتهن اذا لم يؤمن الفتنة ولهذا كرهوا أذان النساء ثم ختم الآية بالامر بالدوام على التوبة والاستغفار لان الانسان خلق ضعيفا لا يكاد يقدر على رعاية الاوامر والنواهى كما يجب قال العلماء ان من أذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكر أن يجدد عنه التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه الى أن يلقى ربه عز وجل وعن ابن عباس أراد توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة قال جار الله من قرأ أيه المؤمنون بضم الهاء فوجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها الحكم السادس النكاح وذلك أنه حين أمر بغض الأبصار وحفظ الفروج أرشد بعد ذلك الى طريق الحل فيما تدعو اليه الشهوة وأصل الايامى أيايم فقلب الواحد أيم بتشديد الياء ويشمل الرجل والمرأة قال النضر بن شميل الايم فى كلام العرب كل ذكر لا أنثى معه وكل أنثى لا ذكر معها وهو قول ابن عباس فى رواية الضحاك يقول زوجوا أياماكم بعضهم من بعض وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال

فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم أتأيم

وظاهر الامر للوجوب الا أن الجمهور حملوه على الندب لانه لو كان واجبا لشاع فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ولو انتشر لنقل لعموم الحاجة اليه وقد ورد فى الاخبار التصريح بكونه سنة

لا أنزعها منه أبدا حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة يقول لا تقسموا أن لا تنفعوا أحدا حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة الى آخر الآية قال كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رموا عائشة بالقبيح وأفشوا ذلك وتكلموا به فأقسم ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبو بكر أن لا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله فقال لا يقسم أولو الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك فأمر الله أن يغفر لهم وأن يعفى عنهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة لما أنزل الله تعالى ذكره عذر عائشة من السماء قال أبو بكر وآخرون من المسلمين والله لا نصل رجلا منهم بشيء من شأن عائشة ولا ننفعه فأنزل الله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة يقول ولا يحلف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى قال كان مسطح ذا قرابة والمساكين قال كان مسكينا والمهاجرين في سبيل الله كان بدريا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة قال أبو بكر حلف أن لا ينفع يتيما في حجره كان أشاع ذلك فلما نزلت هذه الآية قال بلى أنا أحب أن يغفر الله لي فلأكونن ليتيمي خير ما كنت له قط ۞ القول في تأويل قوله تعالى {ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم} يقول تعالى ذكره ان الذين يرمون بالفاحشة المحصنات يعني العفيفات الغافلات عن الفواحش المؤمنات بالله ورسوله وما جاء به من عند الله لعنوا في الدنيا والآخرة يقول أبعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة ولهم في الآخرة عذاب عظيم وذلك عذاب جهنم واختلف أهل التأويل في المحصنات اللاتي هذا حكمهن فقال بعضهم انما ذلك لعائشة خاصة وحكم من الله فيها وفيمن رماها دون سائر نساء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال قلت لسعيد بن جبير الزنا أشد أم قذف المحصنة فقال الزنا فقلت أليس يقول الله ان الذين يرمون المحصنات الآية قال سعيد انما كان هذا لعائشة خاصة حدثنا أحمد بن عبدة الضبي قال ثنا أبو عوانة عن عمر ابن أبي سلمة عن أبيه قال قالت عائشة رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك قالت فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي جالس اذ أوحي اليه وكان اذا أوحي اليه أخذه كهيئة السبات وانه أوحي اليه وهو جالس عندي ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه وقال يا عائشة أبشري قالت فقلت بحمد الله لا بحمدك فقرأ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات حتى بلغ أولئك مبرؤون مما يقولون ۞ وقال آخرون بل ذلك لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون

سائر

كقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي وكقوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتي فليستسن بسنتي وهي النكاح وقد أجمعوا على أن الأيم الثيب لو أبت التزويج لم يكن للولي اجبارها عليه واتفقوا على أن السيد لا يجبر على تزويج عبده أو أمته ثم قد يجب في بعض الصور كما اذا التمست التزويج من الولي فعليه الاجابة اذا كان الخاطب كفؤا استدل الشافعي بعموم الآية على جواز تزويج البكر البالغة بدون رضاها واعترض أبو بكر الرازي بأن الايامى شامل للرجال والنساء وحين لزم في الرجال تزويجهم باذنهم فكذا في النساء ويؤيده ماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال البكر تستأمر في نفسها واذنها صماتها وأجيب بأن تخصيص النص لا يقدح في كونه حجة في الباقي والفرق أن الايم من الرجال يتولى أمر نفسه فلا يجب على الولي تعهده بخلاف المرأة فان احتياجها الى من يصلح أمرها أظهر على أنا لا نسلم أن لفظ الايامى عند الاطلاق يتناول الرجال وفي تخصيص الآية بخبر الواحد أيضا نزاع واستدل أبو حنيفة بعموم الآية أيضا على أن العم والأخ يليان تزويج الثيب الصغيرة ونوقش فيه قال الشافعي من تاقت نفسه الى النكاح استحب له أن ينكح اذا وجد أهبة النكاح والا فليكسر شهوته بالصوم لما روى عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء والذي لا تتوق نفسه الى النكاح لكبر أو مرض أو عجز أو كان غير قادر على النفقة يكره له أن ينكح لأنه يلتزم مالا يمكنه القيام بحقه وان لم يكن به عجز وكان قادرا على القيام بحقه لم يكره له أن ينكح لكن الأفضل أن يتخلى لعبادة الله تعالى وقال أبو حنيفة النكاح أفضل حجة الشافعي أنه تعالى مدح يحيى بقوله وسيدا وحصورا والحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليهن وقال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أعمالكم الصلاة وقال أفضل أعمال أمتي قراءة القرآن وقال أحب المباحات الى الله تعالى النكاح والمباح ما استوى طرفاه والمندوب ما ترجح فعله ولو كان النكاح عبادة لم يصح من الكافر والنكاح

سائر النساء غيرهن ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة * وقال آخرون نزلت هذه الآية في شأن عائشة وعني بها كل من كان بالصفة التي وصف الله في هذه الآية قالوا فذلك حكم كل من رمى محصنة لم تقارف سوأ ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد عن جعفر بن برقان قال سألت ميمونا قلت الذي ذكر الله الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم فجعل في هذه توبة وقال في الاخرى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات الى قوله لهم عذاب عظيم قال ميمون أما الأولى فعسى أن تكون قد قارفت وأما هذه فهي التي لم تقارف شيأ من ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية قال هذا في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبهمة وليست لهم توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة قال فهم بعض القوم أن يقوم اليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر سورة النور حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم قال هذا في عائشة ومن صنع هذا اليوم في المسلمات فله ما قال الله ولكن عائشة كانت إمام ذلك * وقال آخرون نزلت هذه الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة فأوجب الجلد وقبل التوبة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الى عذاب عظيم يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباؤا بسخط من الله وكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله فان الله غفور رحيم فأنزل الله الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد * وأولى هذه الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال نزلت هذه الآية في شأن عائشة والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفها الله بها فيها وانما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب لأن الله عم بقوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات كل محصنة غافلة مؤمنة رماها رام بالفاحشة من غير أن يخص بذلك بعضا دون بعض فكل رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية فملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم الا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته فان الله دل باستثنائه بقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا على أن ذلك حكم رامي كل محصنة بأي صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية وعلى أن قوله لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم معناه لهم ذلك ان هلكوا ولم يتوبوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يوم تشهد عليهم

فيه شهوة النفس والعبادة فيها مشقة النفس والاقبال على الله تعالى فأين أحدهما من الآخر ولو كان النكاح مساويا للنوافل في الثواب لم تكن النوافل مشروعة لأن الطريق المؤدي الى المطلوب مع بقاء اللذة وعدم التعب أولى بالسلوك وان كان الاشتغال بالنكاح أولى من النافلة لانه سبب لبقاء الاشخاص ونظام العالم فالاشتغال بالزراعة أيضا أولى من النافلة للعلة المذكورة وقد وقع الاجماع على أن واجب العبادة مقدم على واجب النكاح فكذا مندوبها على مندوبه لاتحاد السبب وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وعنه صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لاتنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة حجة أبي حنيفة أن النكاح يتضمن صون النفس من ضرر الزنا ودفع الضرر أهم من جلب النفع وأيضا النكاح يتضمن العدل وقد ورد في الحديث لعدل ساعة خير من عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي وقال في الصلاة انها خير موضوع فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقلل ثم ان الايامى جمع مستغرق لكنهم أجمعوا على أنه لابد من شروط ذكرنا بعضها في سورة النساء في قوله وأحل لكم ماوراء ذلكم ومعنى منكم أي من حرائركم قاله كثير من المفسرين لان حكم العبيد والاماء يعقب ذلك ومنهم من قال أراد من يكون تحت ولاية المأمور من الولد والقريب ومنهم من قال الاضافة لاتفيد الحرية والاسلام ثم أمر السادة أن يزوجوا أرقاءهم الصالحين واتفقوا على أنه للاباحة والترغيب لان في تزويج العبد التزام مؤنة زوجته وتعطل خدمته واستفادة المهر وسقوط النفقة في تزويج الامة ليس قبوله بلازم على السيد أيضا وتخصيص الصالحين بالذكر عناية من الله بحالهم ليتحصن دينهم ويتحفظ عليهم صلاحهم وأيضا الصالحون من الارقاء هم الذين يشفق عليهم مواليهم ويهتمون بشأنهم حتى ينزلوهم منزلة الاولاد ويجوز أن يراد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ومن جملة ذلك أن لا يكون في غاية الصغر بحيث لا يحتاج الى النكاح واذن السيد لهم أن يزوجوا أنفسهم

ينوب عن تزويج السيد أما قوله (ان يكونوا فقراء) فالأصح أن هذا ليس وعدا من الله تعالى باغناء من يتزوج حتى لا يجوز أن يقع فيه خلف فرب غني يفقره النكاح ولكن المعنى لا تنظروا الى فقر من يخطب اليكم ففي فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورائح على أن مثل هذا الوعد قد جاء مشروطا بالمشيئة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فالمطلق محمول على المقيد وقيل أراد بالغنى نفس العفاف بتملك البضع الذي يغنيه عن الوقوع في الزنا وعن طائفة من الصحابة أن هذا وعد وعن أبي بكر قال أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن ابن عباس التمسوا الرزق بالنكاح وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة فقال عليك بالباءة وقد يستدل بالآية على أن العبد والأمة يملكان والالم يتصور فقرهما وغناهما والمفسرون قالوا الضمير عائد الى الاحرار خاصة وهم الايامى وان فسر الغنى بالعفاف فلا بعد في رجوعه الى الكل (والله واسع) افضاله ولكنه (عليم) يبسط الرزق كما يريد وعلى ما ينبغي وفيه اشارة الى قيد المشيئة في الوعد المذكور ثم ذكر حال العاجزين عن القيام بمؤن النكاح بقوله (وليستعفف) أي ليطلب العفة من نفسه والمضاف محذوف أي لا يجدون استطاعة نكاح ولا يقدرون عليه أو النكاح يراد به ما ينكح بوساطته وهو المال ولا محذوف وفي قوله (حتى يغنيهم) نوع تأميل للمستعففين وفيه أن فضله من أهل الصلاح والعفاف قريب * الحكم السابع المكاتبة وحين رغب السادة في تزويج الصالحين من العبيد والاماء أرشدهم الى الطريق الذي به ينخرط العبد في سلك الاحرار مع عدم الاضرار بالسادة فقال (والذين يبتغون) ومحله اما رفع والخبر فكاتبوهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط واما نصب بفعل مضمر تفسيره فكاتبوهم الاعمال والفاء للايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها كقوله وربك فكبر والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة والتركيب يدل على الضم والجمع لما فيه من ضم النجوم بعضها الى بعض وقال الازهري هو من الكتابة ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني اذا وفيت المال وكتبت لي

ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم فاليوم الذي في قوله يوم تشهد عليهم من صلة قوله ولهم عذاب عظيم وعنى بقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم يوم القيامة وذلك حين يجحد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب عند تقرير الله اياه بها فيختم الله على أفواههم وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فان قال قائل وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم قيل عنى بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض لا أن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول أتحلفون فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد ألسنتهم ثم يدخلهم النار ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ يقول تعالى ذكره يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحق على أعمالهم والدين في هذا الموضع الحساب والجزاء كما حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يقول حسابهم * واختلفت القراء في قراءة قوله الحق فقرأته عامة قراء الأمصار دينهم الحق نصبا على النعت للدين كأنه قال يوفيهم الله ثواب أعمالهم حقا ثم أدخل في الحق الألف واللام فنصبه بما نصب به الدين وذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك يوفيهم الله دينهم الحق برفع الحق على أنه من نعت الله حدثنا بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن جرير ابن حازم عن حميد عن مجاهد أنه قرأها الحق بالرفع قال جرير وقرأتها في مصحف أبي بن كعب يوفيهم الله الحق دينهم والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وهو نصب الحق على إتباعه اعراب الدين لاجماع الحجة عليه وقوله ويعلمون أن الله هو الحق المبين يقول ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات يقول الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول وقوله والطيبات للطيبين يقول الطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان ويقال الخبيثات للخبيثين الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين والطيبات من

على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق وقيل سمي بذلك لما يقع فيه من التأجيل واجبا عند الشافعي وندبا عند أبي حنيفة كما يجيء والاجل يستدعي الكتابة لقوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه قال محيي السنة الكتابة أن تقول لمملوكك كاتبتك على كذا ويسمى مالا يؤديه في نجمين أو أكثر ويعين عدد النجوم (٨٥) وما يؤدى في كل نجم ويقول اذا أديت ذلك المال فأنت حر وينوي ذلك بقلبه ويقول العبد قبلت وفي هذا الضبط أبحاث الاول قال الشافعي ان لم يقل بلسانه اذا أديت ذلك المال فأنت حر ولم ينو بقلبه ذلك لم يعتق لان الكتابة ليست عقد معاوضة محضة فان ما في يد العبد فهو ملك السيد والانسان لا يمكنه بيع ملكه بعين ملكه فقوله كاتبتك كناية في العتق فلا بد فيه من لفظ العتق ونيته وقال أبو حنيفة ومالك وأبو يوسف ومحمد وزفر لا حاجة الى ذلك لاطلاق قوله فكاتبوهم واذا صحت الكتابة وجب أن يعتق بالاداء للاجماع الثاني لا تجوز الكتابة عند الشافعي الا مؤجلة لان العبد لا يتصور له ملك يؤديه في الحال وجوز أبو حنيفة الحلول لاطلاق الآية ولانه يجوز العتق على مال في الحال بالاتفاق فالكتابة أيضا مثله الثالث قال الشافعي لا تجوز الكتابة على أقل من نجمين روى ذلك عن علي عليه السلام وعمر وعثمان وابن عمر وذلك أنه عقد ارفاق ومن تمام الارفاق التنجيم وجوز أبو حنيفة على نجم واحد لاطلاق الآية والقياس على سائر العقود الرابع جوز أبو حنيفة كتابة الصبي قال ويقبل عنه المولى وذهب الشافعي الى أنه يجب أن يكون عاقلا بالغا لأنه تعالى قال والذين يبتغون والصبي لا يتصور منه الطلب الخامس جوز أبو حنيفة أن يكاتب الصبي باذن الولي وشرط الشافعي كونه مكلفا مطلقا لان قوله فكاتبوهم خطاب فلا يتناول الا العاقل هذا وللمفسرين خلاف في أن قوله فكاتبوهم أمر ايجاب أو استحباب فقال قائلون ومنهم عمرو بن دينار وعطاء وداود بن علي ومحمد بن جرير الى وجوب الكتابة اذا طلبها المملوك بقيمته أو بأكثر وعلم السيد فيه خيرا ولو كان بدون قيمته لم يلزمه وأكدوه بما روى في سبب النزول أنه كان لحويطب

الأعمال تكون للطيبين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عثمان ابن الأسود عن مجاهد الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والطيبات من الكلام للطيبين من الناس حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الطيبات القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن والخبيثات القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر أولئك مبرؤن مما يقولون وذلك أنه برأ كلا منهما مما ليس بحق من الكلام حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات يقول الخبيثات والطيبات القول السيء والحسن للمؤمنين الحسن وللكافرين السيء أولئك مبرؤن مما يقولون وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين كل برىء مما ليس بحق من الكلام حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الخبيثات للخبيثين قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الخبيثات للخبيثين الآية يقول الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول فهذا في الكلام وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا هم الخبيثون والطيبون هم المبرؤن مما قال الخبيثون حدثنا أبو زرعة قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة يعني ابن نبيط الاشجعي عن الضحاك الخبيثات للخبيثين قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والطيبات من الكلام للطيبين من الناس * قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح وعثمان ابن الأسود عن مجاهد الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول * قال ثنا سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير قال الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الخبيثات من القول للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول * قال ثني محمد بن بكر بن مقدم قال أخبرنا يحيى بن سعيد عن عبد الملك يعني ابن أبي سليمن عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن مجاهد والخبيثون للخبيثات قال الخبيثات من القول للخبيثين من الناس * قال ثنا عباس بن الوليد النرسي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات

ابن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت وروى أن عمر أمر انسانا بأن يكاتب سيرين أبا محمد بن سيرين فأبى فضربه بالدرة ولم ينكر أحد من الصحابة عليه وذهب أكثر العلماء منهم ابن عباس والحسن والشعبي ومالك وأبو حنيفة والشافعي والثوري الى أنه ندب لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب من قلبه ولان طلب الكتابة كطلب بيعه ممن يعتقه في الكفارة فلا يجب الاجابة وهذه طريقة المعاوضات أجمع قال العلماء اذا أدى مال الكتابة عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له ومن هنا يكسب مولاه الثواب أما قوله (ان علمتم فيهم خيرا) قال عطاء الخير هو المال كقوله ان ترك خيرا قال بلغني ذلك عن ابن عباس وضعف بأنه لا يقال في فلان مال وانما يقال له أو عنده مال وبأن العبد لا مال له بل المال لسيده وعن ابن سيرين أراد اذا صلى وعن النخعي وفاء وصدقا وقال الحسن صلاحا في الدين والأقرب أنه شيء يتعلق بالكتابة هكذا فسره الشافعي بالامانة والقوة على الكسب ويروى مثله مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن مقصود الكتابة لا يحصل الا بالكسب ثم بالامانة كيلا يضيع ما يكسبه واختلفوا أيضا في المخاطب بقوله (وآتوهم) فعن الحسن والنخعي وابن عباس في رواية عطاء وهو مذهب أبي حنيفة أنهم المسلمون والمراد أعطوهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال ولا بعد في كون المخاطب في أحد المعطوفين غير الآخر ولا في كون أحد الامرين للاستحباب والآخر للايجاب والسهم الذي يأخذه المكاتب له صدقة ولسيده عوض كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعن كثير من الصحابة وهو مذهب الشافعي أن المخاطب هو الموالي والامر أمر ايجاب فيجب عليهم أن يبذلوا للمكاتبين شيأ من أموالهم أو يحطوا عنهم جزأ من مال الكتابة ثم اختلفوا في قدره فعن علي عليه السلام أنه كان يحط الربع ومثله ما روى عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن أنه كاتب غلاما له فترك ربع مكاتبته وعن ابن عمر أنه كاتب

للطيبين والطيبون للطيبات يقول الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن طلحة بن عمرو عن عطاء قال الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول والخبيثات من القول للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول * وقال آخرون بل معنى ذلك الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك وكان عبد الله بن أبي هو خبيث وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا وكان أولى أن تكون له الطيبة وكانت عائشة الطيبة وكان أولى أن يكون لها الطيب أولئك مبرؤن مما يقولون قال ههنا برئت عائشة لهم مغفرة ورزق كريم * وأولى هذه الاقوال في تأويل الآية قول من قال عني بالخبيثات الخبيثات من القول وذلك قبيحه وسيئه للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الناس للخبيثات من القول هم بها أولى لأنهم أهلها والطيبات من القول وذلك حسنه وجميله للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول لأنهم أهلها وأحق بها وانما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية لأن الآيات قبل ذلك انما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الافك والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات واخبارهم ما خصهم به على افكهم فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالافك من الرامي والمرمي به أشبه من الخبر عن غيرهم وقوله أولئك مبرؤن يقول الطيبون من الناس مبرؤن من خبيثات القول ان قالوها فان الله يصفح لهم عنها ويغفرها لهم وان قيلت فيهم ضرت قائلها ولم تضرهم كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به لأن الله لا يتقبله ولو قيلت له لضرته لأنه يلحقه عارها في الدنيا وذلها في الآخرة كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أولئك مبرؤن مما يقولون فمن كان طيبا فهو مبرأ من كل قول خبيث يقول يغفره الله ومن كان خبيثا فهو مبرأ من كل قول صالح فانه يرده الله عليه لا يقبله منه وقد قيل عني بقوله أولئك مبرؤن مما يقولون عائشة وصفوان بن المعطل الذي رميت به فعلى هذا القول قيل أولئك فجمع والمراد ذانك كما قيل فان كان له اخوة والمراد أخوان وقوله لهم مغفرة يقول لهؤلاء الطيبين من الناس مغفرة من الله لذنوبهم والخبيث من القول ان كان منهم ورزق كريم يقول ولهم أيضا مع المغفرة عطية من الله كريمة وذلك الجنة وما أعد لهم فيها من الكرامة كما حدثنا أبو زرعة قال ثنا العباس بن الوليد النرسي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة لهم مغفرة ورزق كريم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في الجنة * القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله

يا أيها

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرأ لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها قال وانما تستأنسوا وهم من الكتاب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وقال انما هي خطأ من الكاتب حتى تستأذنوا وتسلموا حدثنا ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير بمثله غير أنه قال انما هي حتى تستأذنوا ولكنها سقط من الكاتب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا معاذ بن سليمان عن جعفر بن اياس عن سعيد عن ابن عباس حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال أخطأ الكاتب وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا وتسلموا وكان يقرؤها على قراءة أبي بن كعب حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن الأعمش أنه كان يقرؤها حتى تستأذنوا وتسلموا قال سفيان وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها حتى تستأذنوا وتسلموا وقال انها خطأ من الكاتب حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال الاستئناس الاستئذان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال في مصحف ابن مسعود حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا * قال ثنا هشيم قال أخبرنا جعفر بن اياس عن سعيد عن ابن عباس أنه كان يقرؤها يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا قال وانما تستأنسوا وهم من الكتاب * قال ثنا هشيم قال مغيرة قال مجاهد جاء ابن عمر من حاجة وقد آذاه الرمضاء فأتى فسطاط امرأة من قريش فقال السلام عليكم أدخل فقالت ادخل بسلام فأعاد فأعادت وهو يراوح بين قدميه قال قولي ادخل قالت ادخل فدخل * قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن ابن سيرين وأخبرنا يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أألج أو أنلج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها روضة قومي الى هذا فكلميه فانه لا يحسن يستأذن فقولي له يقول السلام عليكم أدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل حدثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله حتى تستأنسوا قال الاستئذان ثم نسخ واستثنى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن المغيرة عن ابراهيم قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم قال حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة حتى تستأنسوا قال حتى تستأذنوا وتسلموا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أشعث بن سوار عن كردوس عن ابن مسعود قال عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم قال أشعث عن عدي بن ثابت ان امرأة من الانصار قالت يا رسول الله اني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد

عبد الله بخمسة وثلاثين ألفا ووضع عنه خمسة آلاف وهو السبع والأكثرون على أنه غير مقدر ويحصل الامتثال بأقل متمول عن ابن عباس يضع له من كتابته شيأ وعن عمر أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب في الاسلام فأتاه بأول نجم فدفعه اليه عمر وقال أستعن به على مكاتبتك فقال لو أخرته الى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا الحط عند الاولين على وجه الندب فلا يجبر المولى عليه وأكدوه بما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال أيما عبد كاتب على مائة أوقية فأداها الا عشر أواق فهو عبد فلو كان الحط واجبا لأسقط عنه بقدره ومثله المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وأيضا لو كان الحط واجبا فان كان معلوما لزم عتقه اذا بقي ذلك القدر وليس ذلك بالاتفاق ولو كان مجهولا لكان ما بقي وهو مال الكتابة مجهولا فلا تصح الكتابة وأيضا أمر بالايتاء من مال الله الذي آتاهم ومال الكتابة ليس بدين صحيح لانه بصدد العجز عنه فلا يستحق ذلك المال هذا الوصف فصح أن هذا أمر من الله تعالى بذلك للناس أولهم والسادة أن يعينوا المكاتب على كتابته بما تمكنهم قال صلى الله عليه وسلم من أعان مكاتبا في فك رقبته أظله الله في ظل عرشه * الحكم الثامن المنع من اكراه الاماء على الزنا كان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء أي الزنا فشكت ثنتان منهن معاذة ومسيكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحد الاكراه قد مر في سورة النحل في قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان والنص وان كان مختصا بالاماء الا أنهم أجمعوا على أن حال الحرائر أيضا كذلك والسؤال المشهور في الآية هو أن المعلق بكلمة ان على الشيء يفهم منه عدمه عند عدم ذلك الشيء فتدل الآية على جواز الاكراه على الزنا عند عدم ارادة التحصن والجواب بعد تسليم أن مفهوم الخطاب حجة هو أن الاكراه مع عدم ارادة التحصن والتعفف مما لا يجتمعان فهذا المفهوم قد خرج عن كونه دليلا لامتناعه في ذاته وقد يقال ان غالب الحال أن الاكراه لا يحصل الا عند ارادة التحصن والكلام الوارد على سبيل الغالب لا يكون له

مفهوم الخطاب كما في قوله ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم وقيل ان بمعنى اذ لان سبب النزول وارد على ذلك قال جار الله أوثرت كلمة ان على اذا لان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من قبيل الشاذ والنادر وللآية مفهوم آخر وهو أن للسادة اكراههن على (٨٨) النكاح وليس لها أن تمتنع على السيد اذا زوجها و (عرض الحياة الدنيا) كسبهن وأولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) لهم على الاطلاق أو بشرط التوبة على أصل الاشاعرة والمعتزلة أو غفور لهن لان الاكراه قد لا يكون على حده المعتبر في الشرع من التخويف الشديد فتكون آثمة حينئذ وحين فرغ من الاحكام وصف القرآن بصفات ثلاث الاولى الآيات المبينات أى الموضحات أو الواضحات في معاني الحدود والاحكام وغيرها ولاسيما الآيات التى ثبتت في هذه السورة الثانية كونه مثلا من الذين خلوا أى قصة عجيبة من قصصهم فان العجب في قصة عائشة ليس بأقل من العجب في قصة يوسف ومريم وما اتهما به وعن الضحاك أنه أراد بالمثل شبه ما ذكر في التوراة والانجيل من اقامة الحدود وعن مقاتل أراد شبيه ما حل بهم من العقاب اذا عصوا الثالثة كونه موعظة ينتفع بها المتقون خاصة

♦ التأويل لا تدخلوا بيوت عالم القرار التى هى غير بيوتكم من دار القرار حتى تتعرفوا أحوالها وتسلموا على أهلها سلام توديع ومتاركة فان لم تجدوا فيها أحدا فانصرتم بحيث فنيتم عن حظوظ الدنيا وشهواتها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم بالتصرف فيها بالحق للحق وان قيل لكم ارجعوا بجذبة ارجعي الى ربك فارجعوا ثم أشار الى أن التصرف في الدنيا لاجل البلاغ و بحسب الضرورة جائز اذا لم تكن النفس تطمئن اليها فقال ليس عليكم جناح الآية ثم أمر بغض بصر بذلك النفس عن مشتهيات الدنيا و بصر القلب عن رؤية الاعمال ونعيم الآخرة و بصر السر عن الدرجات والقربات و بصر الروح عن الالتفات الى ما سوى الله و بصر الهمة عن العلل بأن لا يرى نفسه أهلا لشهود الحق تنزيها له واجلالا ولهذا أمر بحفظ فرج الباطن عن تصرفات

عليها والد ولا ولد وانه لا يزال يدخل على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها الآية * وقال آخرون معنى ذلك حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه حتى يعلمون أنكم تريدون الدخول عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي برة عن مجاهد في قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال حتى تتنحنحوا وتتنخموا حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله حتى تستأنسوا قال حتى تجرسوا وتسلموا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله حتى تستأنسوا قال تنحنحوا وتنخموا * قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس قال ثلاث آيات قد جحدهن الناس قال الله ان أكرمكم عند الله أتقاكم قال ويقولون ان أكرمهم عند الله أعظمهم شأنا قال والاذن كله قد جحده الناس فقلت له أستأذن على أخواتى ايتام في حجرى معى في بيت واحد قال نعم (١) فرددت على من حضرنى فأبى قال أتحب أن تراها عريانة قلت لا قال فاستأذن فراجعته أيضا قال أتحب أن تطيع الله قلت نعم قال فاستأذن فقال لى سعيد بن جبير انك لتردد عليه قلت أردت أن يرخص لى * قال ابن جريج وأخبرنى ابن طاوس عن أبيه قال ما من امرأة أكره الى أن أرى كأنه يقول عريتها أو عريانة من ذات محرم قال وكان يشدد في ذلك * قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا فواجب على الناس أجمعين اذا احتلموا أن يستأذنوا على من كان من الناس قلت لعطاء أواجب على الرجل أن يستأذن على أمه ومن وراءها من ذات قرابته قال نعم قلت بأى وجب قال قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا قال ابن جريج وأخبرنى ابن زياد أن صفوان مولى لبنى زهرة أخبره عن عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أفأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن عليها قال ابن جريج عن الزهرى قال سمعت هزيل بن شرحبيل الأودى الأعمى أنه سمع ابن مسعود يقول عليكم الاذن على أمهاتكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء أيستأذن الرجل على امرأته قال لا حدثنا الحسين قال ثنا محمد بن حازم عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن أخى زينب امرأة ابن مسعود عن زينب قالت كان عبد الله اذا جاء من حاجة فانتهى الى الباب تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا قال الاستئناس التنحنح والتجرس حتى يعرفوا أن قد جاءهم أحد قال والتجرس كلامه وتنحنحه * والصواب من القول في ذلك عندى أن يقال ان الاستئناس الاستفعال من الانس وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم مخبرا

(١) في ابن كثير فرددت عليه ليرخص لى فأبى فلعله تصحف عنه وحرر كتبه مصححه

السكونين فيه ثم أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال تنبيها على أن النساء بالصورة قد يكن رجالا فى المعنى ثم نهى عن اظهار ما زين الله به سرائرهم وأحوالهم الا ما ظهر على صفحات أحوالهم من غير تكلف منهم ثم أباح لهم اظهار بعض الاسرار الى شيوخهن أو اخوانهن فى الدين والحال أو المريدين الذين هم تحت تربيتهم وتصرفهم بمنزلة النساء والمماليك ومن لا خبر عندهم من عالم المعنى كالبله والاطفال ففيه نفثة مصدور من غير ضرب وتوبوا الى الله جميعا فان حسنات الابرار سيئات المقربين فتوبة المبتدئ من الحرام وتوبة المتوسط من الحلال وتوبة المنتهى مما سوى الله وأنكحوا الايامى فيه أمر بطلب شيخ كامل يودع فى رحم القلب من صلب الولاية نطفة استعداد قبول الفيض الاعلى وهو الولادة الثانية المستدعية للولوج فى ملكوت السماء والارض وقد أشار الى افاضة هذا الاستعداد بقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وليستعفف ليحفظ الذين لا يجدون شيخا فى الحال أرحام قلوبهم عن تصرفات الدنيا والهوى والشيطان حتى يدلهم الله على شيخ كامل كما دل موسى على الخضر عليه السلام أو يخصهم بجذبة الله يحيى والذين يبتغون فيه أن المريد اذا طلب الخلاص عن قيد الرياضة لزم اجابته ان علم فيه الصلاح ووجب أن يؤتى بعض ما خص الله الشيخ به من المواهب ولا تكرهوا فيه أن النفس اذا لم تكن مائلة الى التصرف فى الدنيا وان كان بالحق لم تكره عليه فان أصحاب الخلوة غير أرباب الجلوة ۞ ﴿الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء

بذلك من فيه وهل فيه أحد وليؤذنهم أنه داخل عليهم فيأنس الى اذنهم له فى ذلك ويأنسوا الى استئذانه اياهم وقد حكى عن العرب سماعا اذهب فاستأنس هل ترى أحدا فى الدار بمعنى انظر هل ترى فيها أحدا فتأويل الكلام اذا اذ كان ذلك معناه يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا وذلك أن يقول أحدهم السلام عليكم أأدخل وهو من المقدم الذى معناه التأخير انما هو حتى تسلموا وتستأذنوا كما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس وقوله ذلكم خير لكم يقول استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذى تريدون دخوله (٣) فان دخولكموه خير لكم لأنكم لا تدرون أنكم اذا دخلتموه بغير اذن على ماذا تهجمون على ما يسوءكم أو يسركم وأنتم اذا دخلتم باذن لم تدخلوا على ما تكرهون وأديتم بذلك أيضا حق الله عليكم فى الاستئذان والسلام وقوله لعلكم تذكرون يقول لتتذكروا بفعلكم ذلك أمر الله عليكم واللازم لكم من طاعته فتطيعوه

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾ يقول تعالى ذكره فان لم تجدوا فى البيوت التى تستأذنون فيها أحدا يأذن لكم بالدخول اليها فلا تدخلوها لأنها ليست لكم فلا يحل لكم دخولها الا باذن أربابها فان أذن لكم أربابها أن تدخلوها فادخلوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يقول وان قال لكم أهل البيوت التى تستأذنون فيها ارجعوا فلا تدخلوها فارجعوا عنها ولا تدخلوها هو أزكى لكم يقول رجوعكم عنها اذا قيل لكم ارجعوا ولم يؤذن لكم بالدخول فيها أطهر لكم عند الله وقوله هو كناية من اسم الفعل أعنى من قوله فارجعوا وقوله والله بما تعملون عليم يقول جل ثناؤه والله بما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم فى بيوت غيركم اذا قيل لكم ارجعوا وترك رجوعكم عنها وطاعتكم الله فيما أمركم ونهاكم فى ذلك وغيره من أمره ونهيه ذو علم محيط بذلك كله محص جميعه عليكم حتى يجازيكم على جميع ذلك وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فان لم تجدوا فيها أحدا قال ان لم يكن لكم فيها متاع فلا تدخلوها الا باذن وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسن قال ثنا هاشم بن القاسم المزنى عن قتادة قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما أدركتها أن أستأذن على بعض اخوانى فيقول لى ارجع فأرجع وأنا مغتبط لقوله وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم وهذا القول الذى قاله مجاهد فى تأويل قوله فان لم تجدوا فيها أحدا بمعنى ان لم يكن لكم فيها متاع قول بعيد من مفهوم كلام العرب لأن العرب لا تكاد تقول ليس بمكان كذا أحد الا وهى تعنى ليس بها أحد من بنى آدم وأما الأمتعة وسائر الاشياء غير بنى آدم ومن كان سبيله سبيلهم فلا تقول ذلك فيها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ يقول تعالى ذكره ليس عليكم أيها

بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ألم تر أن الله (٩٠) يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شئ قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون

الناس اثم وحرج أن تدخلوا بيوتا لاساكن بها بغير استئذان ثم اختلفوا فى ذلك أى البيوت عنى فقال بعضهم عنى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التى ليس بها سكان معروفون وانما بنيت لمارة الطريق والسابلة ليأووا اليها ويؤوا اليها أمتعتهم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن سالم المكى عن محمد بن الحنفية فى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة قال هى الخانات التى تكون فى الطرق حدثنى عباس بن محمد قال ثنا مسلم قال ثنا عمر بن فروخ قال سمعت قتادة يقول بيوتا غير مسكونة قال هى الخانات تكون لأهل الأسفار حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال كانوا يضعون فى بيوت فى طرق المدينة متاعا وأقتابا فرخص لهم أن يدخلوها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بيوتا غير مسكونة قال هى البيوت التى ينزلها السفر لا يسكنها أحد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بيوتا غير مسكونة قال كانوا يصنعون أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة فى بيوت ليس فيها أحد فأحل لهم أن يدخلوها بغير اذن حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال كانوا يضعون بطريق المدينة بغير شك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله غير أنه قال كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة هى البيوت التى ليس لها أهل وهى البيوت التى تكون بالطرق والخربة فيها متاع منفعة للمسافر فى الشتاء والصيف يأوى اليها * وقال آخرون هى بيوت مكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن سعيد بن سائق عن الحجاج بن أرطاة عن سالم بن محمد بن الحنفية فى بيوتا غير مسكونة قال هى بيوت مكة * وقال آخرون هى البيوت الخربة والمتاع الذى قال الله فيها لكم قضاء الحاجة من الخلاء والبول فيها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال الخلاء والبول حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا حسن بن عيسى بن زيد عن أبيه فى هذه الآية ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال التخلى فى الخراب * وقال آخرون بل عنى بذلك بيوت التجار التى فيها أمتعة الناس ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال بيوت التجار ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير اذن الحوانيت التى بالقيساريات والاسواق وقرأ فيها متاع لكم متاع للناس ولبنى آدم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله عم بقوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم كل بيت لا ساكن به لنا فيه

متاع

﴿ القراآت ﴾ نور السموات على الفعل يزيد من طريق ابن أبى عبلة وابن مشيا كمشكاة ممالة أبو عمرو وعن الكسائى دِرِّىء بكسرتين وبالهمز أبو عمرو وعلى والمفضل مثله بضم الدال حمزة وأبو بكر وحماد والخزاز الباقون بضم الدال وتشديد الياء توقد بضم التاء وفتح القاف حمزة وعلى وخلف وأبو بكر وحماد مثله ولكن بياء الغيبة على ان الضمير للمصباح ابن عامر ونافع وحفص وأبو زيد عن المفضل الباقون وجبلة توقد بالفتحات وتشديد القاف يسبح بفتح الباء ابن عامر وأبو بكر وحماد سحاب ظلمات على الاضافة البزى سحاب بالتنوين ظلمات بالكسر على أنه نصب على الحال القواس وابن فليح الباقون بالرفع والتنوين فيهما ينزل من الانزال ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب يذهب

من الاذهاب يزيد على أن الباء زائدة خالق كل شئ على الاضافة حمزة وعلى وخلف الآخرون خلق على لفظ الماضى كل منصوبا
۞ الوقوف والارض ط مصباح ط زجاجة ط غربية ط لان مابعدها صفة شجرة نار ط نور ط يشاء ط للناس ط عليم ٥
لا بناء على أن الظرف يتعلق بما قبله وهو كمشكاة أى مثل مشكاة فى بعض (٩١) بيوت الله عز وجل والاولى تعلقه بيسبح وفيها

متاع تدخله بغير اذن لأن الاذن انما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول أو ليأذن للداخل ان كان له مالكا أو كان فيه ساكنا فأما ان كان لا مالك له فيحتاج الى اذنه لدخوله ولا ساكن فيه فيحتاج الداخل الى ايناسه والتسليم عليه لئلا يهجم على مالا يحب رؤيته منه فلا معنى للاستئذان فيه فاذا كان ذلك فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض فكل بيت لا مالك له ولا ساكن من بيت مبنى ببعض الطرق للمارة والسابلة ليأووا اليها أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه حيث كان ذلك فان لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان لمتاع له يؤويه اليه أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك وأما بيوت التجار فانه ليس لأحد دخولها الا باذن أربابها وسكانها فان ظن ظان أن التاجر اذا فتح دكانه وقعد للناس فقد أذن لمن أراد الدخول عليه فى دخوله فان الأمر فى ذلك بخلاف ماظن وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره بغير ضرورة ألجأته اليه أو بغير سبب أباح له دخوله الا باذن ربه لاسيما اذا كان فيه متاع فان كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته اذن منه لمن أراد دخوله فى الدخول فذلك بعد راجع الى ماقلنا من أنه لم يدخله من دخله الا باذنه واذا كان ذلك كذلك لم يكن من معنى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم فى شئ وذلك أن التى وضع الله عنا الجناح فى دخولها بغير اذن من البيوت هى مالم يكن مسكونا اذ حانوت التاجر لا سبيل الى دخوله الا باذنه وهو مع ذلك مسكون فتبين أنه مما عنى الله من هذه الآية بمعزل * وقال جماعة من أهل التأويل هذه الآية مستثناة من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ثم نسخ واستثنى فقال ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة حتى تستأنسوا الآية فنسخ من ذلك واستثنى فقال ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وليس فى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم دلالة على أنه استثناء من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا لأن قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها حكم من الله فى البيوت التى لها سكان وأرباب وقوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم حكم منه فى البيوت التى لا سكان لها ولا أرباب معروفون فكل واحد من الحكمين حكم فى معنى غير معنى الآخر وانما يستثنى الشئ من الشئ اذا كان من جنسه أو نوعه فى الفعل أو النفس فأما اذا لم يكن كذلك فلا معنى لاستثنائه منه وقوله والله يعلم ماتبدون يقول تعالى ذكره والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم من الاستئذان اذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة وما تكتمون يقول وما تضمرونه فى صدوركم عند فعلكم ذلك ما الذى تقصدون به أطاعة الله والانتهاء الى أمره أم غير ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للمؤمنين بالله وبك

تكرار كقولك زيد فى الدار جالس فيها أو بمحذوف وهو سبحوا اسمه لا لان مابعده صفة بيوت أو لان الظرف يتعلق بيسبح والآصال ط لمن قرأ يسبح بفتح الباء كأنه قيل من يسبح فقيل رجال أى يسبحه رجال ومن قرأ بالكسر لم يقف لانه فاعل الفعل الظاهر رجال لا لأن مابعده صفة الزكاة لا لأن مابعده أيضا صفة والابصار ٥ لا لتعلق اللام أبو حاتم يقف ويجعل اللام لام القسم على تقدير ليجزين قال فلما سقطت النون انكسرت اللام من فضله ط حساب ٥ ماء ط حسابه ط الحساب ٥ لا للعطف سحاب ط لمن قرأ ظلمات بالرفع ولم يجعلها بدلا فوق بعض ط يراها ط من نور ٥ صافات ط وتسبيحه ط يفعلون ٥ والارض ج فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين المصير ٥ من خلاله ج لما قلنا عمن يشاء ط بالابصار ٥ ط والنهار ط الابصار ج من ماء ج للفاء مع التفصيل بطنه ج رجلين ج لمثل ماقلنا أربع ط مايشاء ط قدير ٥ مبينات ط مستقيم ٥ ذلك ط بالمؤمنين ٥ معرضون ٥ مذعنين ٥ ط ورسوله ط الظالمون ٥ ۞ التفسير انه سبحانه لما بين من الاحكام ما بين أردفها على عادة القرآن بالالهيات وقدم لذلك مثلين أحدهما فى أن دلائل الايمان فى غاية الظهور والثانى أن أديان الكفر فى نهاية الظلمة أما الاول فهو قوله (الله نور السموات والارض) واعلم أن النور فى اللغة موضوع لهذه الكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على ماتحاذيها من الاجرام ولا شك أنه لا يمكن أن يكون الها لانه ان كان عرضا فظاهر وان كان جسما فكذلك للدليل الدال على أن اله العالم ليس بجسم ولا جسمانى ولا زائل ولا منتقل الى غير ذلك من أمارات

يامحمد يغضوا من أبصارهم يقول يكفوا من نظرهم الى مايشتهون النظر اليه مما قد نهاهم الله عن النظر اليه ويحفظوا فروجهم أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس مايسترها عن أبصارهم ذلك أزكى لهم يقول فان غضها من النظر عما لا يحل النظر اليه وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين أطهر لهم عند الله وأفضل ان الله خبير بما يصنعون يقول ان الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه وحفظ فروجكم عن اظهارها لمن نهاكم عن اظهارها له * وبنحو ماقلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سهل الرملي قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم قال كل فرج ذكر حفظه في القرآن فهو من الزنا الا هذه وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظهن فروجهن فانه يعني الستر حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن قال يغضوا أبصارهم عما يكره الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم قال يغض من بصره أن ينظر الى مالا يحل له اذا رأى مالا يحل له غض من بصره لا ينظر اليه ولا يستطيع أحد أن يغض بصره كله انما قال الله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يامحمد للمؤمنات من أمتك يغضضن من أبصارهن عما يكره الله النظر اليه مما نهاكم عن النظر اليه ويحفظن فروجهن يقول ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس مايسترها عن أبصارهم وقوله ولا يبدين زينتهن يقول تعالى ذكره ولا يظهرن للناس الذين ليسوا لهن بمحرم زينتهن وهما زينتان احداهما ماخفي وذلك كالخلخال والسوارين والقرطين والقلائد والأخرى ماظهر منها وذلك مختلف في المعني منه بهذه الآية فكان بعضهم يقول زينة الثياب الظاهرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون ابن المغيرة عن الحجاج عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال الزينة زينتان فالظاهرة منها الثياب وماخفي الخلخالان والقرطان والسواران حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني الثوري عن أبي اسحق الهمداني عن أبي الأحوص عن عبد الله أنه قال ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها قال هي الثياب حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها قال الثياب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله مثله * قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن زيد عن عبد الله مثله

* قال

الحدوث والافتقار وعند ذلك ذكر العلماء في تأويل الآية وجوها الاول وهو قول ابن عباس والاكثرين أن المضاف محذوف أي هو ذو نور السموات والارض لانه قال مثل نوره ويهدي الله لنوره والمضاف مغاير للمضاف اليه فنظير الآية قولك زيد كرم وجود للمبالغة الثاني أن معناه منوّر السموات كقراءة من قرأ نور بالتشديد وعلى القولين ما المراد بالنور فالاكثرون على أنه الهداية والحق كما قال في آخر الآية يهدي الله لنوره من يشاء شبهه بالنور في ظهوره وبيانه وأضافه الى السموات والارض للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض أو على حذف المضاف أي نور أهل السموات والارض وقيل نور السماء بالملائكة وبالاجرام النيرة والارض بها وبالانبياء والعلماء وهو مروي عن أبيّ بن كعب والحسن وأبي العالية وقيل هو تدبيره اياهما بحكمة كاملة كما يوصف الرئيس المدبر بأنه نور البلد اذا كان يدبر أمورهم تدبيرا حسنا فهو لهم كالنور الذي يهتدى به في المضايق والمزالق وهذا القول اختيار الاصم والزجاج وقيل هو نظمه اياهما على النهج الاحسن والوجه الاصلح وقد يعبر بالنور عن النظام يقال ماأرى لهذه الامور نورا الثالث ماذهب اليه الحكماء الاولون الاشراقيون واليه ميل الشيخ الامام حجة الاسلام محمد الغزالي على ماقرره في رسالته المسماة بمشكاة الانوار ان الله تعالى نور في الحقيقة بل لا نور الا هو بيانه أن للانسان بصرا يدرك به النور المحسوس الواقع من الاجرام النيرة على ظواهر الاجسام الكثيفة وبصيرة هي القوة العاقلة ولا شك أن البصيرة أقوى من البصر لان القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا تدرك ادراكها ولا تدرك آلتها وهي العين وأما القوة العاقلة فانها تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك آلتها في الادراك وهي القلب أو الدماغ والادراك الحسي غير منتج لانه لا يصير سببا لاحساس آخر والادراك العقلي يصير سببا لادراكات أخر حتى تجتمع علوم جمة والحس يضطرب بكثرة ورود المحسوسات عليه حتى انه لا يسمع الصوت

* قال ثنا سفيان عن علقمة عن ابراهيم فى قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الثياب حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا بعض أصحابنا اما يونس واما غيره عن الحسن فى قوله الا ما ظهر منها قال الثياب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله الا ما ظهر منها قال الثياب قال أبو اسحق ألا ترى أنه قال خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ثنا محمد ابن الفضل عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن زيد عن ابن مسعود الا ما ظهر منها قال هو الرداء * وقال آخرون الظاهر من الزينة التى أبيح لها أن تبديه الكحل والخاتم والسواران والوجه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا مروان قال ثنا مسلم الملائى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكحل والخاتم حدثنا عمرو ابن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان عن مسلم الملائى عن سعيد بن جبير مثله ولم يذكر ابن عباس حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن أبى عبد الله نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال الظاهر منها الكحل والخدان حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عبد الله ابن مسلم بن هرمز عن سعيد بن جبير فى قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الوجه والكف حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن عبد الله بن مسلم بن هرمز المكى عن سعيد بن جبير مثله حدثنى على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو عن عطاء فى قول الله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكفان والوجه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة قال الكحل والسوارات والخاتم حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال والزينة الظاهرة الوجه وكحل العين وخضاب الكف والخاتم فهذا تظهر فى بيتها لمن دخل من الناس عليها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال المسكتان والخاتم والكحل قال قتادة وبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخرج يدها الا الى ههنا وقبض نصف الذراع حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن رجل عن المسور بن مخرمة فى قوله الا ما ظهر منها قال القلبين والخاتم والكحل يعنى السوار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الخاتم والمسكة قال ابن جريج وقالت عائشة القلب والفتخة قالت عائشة دخلت على ابنة أخى لأمى عبد الله بن الطفيل مزينة فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فأعرض فقالت عائشة يا رسول الله انها ابنة أخى وجارية فقال اذا عركت المرأة لم يحل لها أن تظهر الا وجهها والا ما دون هذا وقبض على ذراع نفسه فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى وأشار به أبو على قال ابن جريج وقال مجاهد قوله الا ما ظهر منها قال الكحل والخضاب والخاتم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم عن عامر الا ما ظهر منها قال الكحل والخضاب والثياب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

الضعيف مثلا بعد سماع الصوت الشديد والعقل يزداد بها أوه ونورانيته بكثرة توارد العلوم وتعاونها والقوة الحسية تضعف بضعف البدن والقوة العقلية تقوى بعد الاربعين حتى استدل بذلك على بقائها بعد خراب البدن والقوة الحسية لا تدرك من القرب القريب ولا من البعد البعيد والعقلية لا يختلف حالها فى القرب والبعد فيدرك ما فوق العرش الى ما تحت الثرى فى لحظة واحدة بل يدرك ذات الله وصفاته مع أنه منزه عن القرب والبعد والجهة والحس لا يدرك من الاشياء الا ظواهرها والعقل يغوص فى حقائق الاشياء وفى أجزائها وجزئياتها وفى ذاتياتها وعرضياتها فيوحد الكثير تارة بانتزاع صورة كلية من الجزئيات ويكثر الواحد أخرى بالتجنيس والتنويع والتصنيف وغير ذلك من التقسيمات التى لا تكاد تتناهى وادراك العقل قد يكون مقدما على وجود الشئ ويسمى العلم العقلى وادراك الحس تابع لوجود الشئ واذا كان الروح الباصر نورا فالبصيرة التى هى أشرف منها أولى بأن تكون نورا وكما أن نور المبصر يحتاج فى ادراكه الى معين من الخارج هو الشمس أو السراج مثلا فنور البصيرة أيضا يحتاج فى ادراكه الى مرشد هو النبى أو القرآن فلذلك سمى القرآن نورا والنور الذى أنزلنا والنبى نورا وسراجا منيرا فروح النبى فى عالم الارواح كالشمس فى عالم الاجسام ثم ان الانوار النبوية القدسية مقتبسة من أنوار أخرى فوقها لقوله علمه شديد القوى قل نزله روح القدس من ربك فكل الانوار تنتهى الى ما لا نور أنور منه ولا أجل وأشرف وهو الله سبحانه والكلام المجمل فى هذا المقام هو الذى قد سلف تحقيقه مرارا وهو أن الكمالات أنوار والملكات الذميمة ظلمات وأيضا الوجود نور والعدم ظلمة فان نظرنا الى الكمال فكل كمال ينتهى الى الله سبحانه ولا كمال فوق كماله فهو نور الانوار وان نظرنا الى الوجود نفسه فلا ريب أن الممكن وجوده مستفاد من غيره الى أن ينتهى الى واجب الوجود لذاته وهو نور الانوار فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم باشراق نوره ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره وفى بعض

الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعون ألفا قال العلماء الحجب ثلاثة أقسام حجب ظلمانية محضة وحجب ممزوجة من نور وظلمة وحجب نورانية صرفة أما المحجوبون بالاول فهم الذين بلغوا في الاشتغال بالعلائق البدنية الى حيث لا يلتفت خاطرهم الى الاستدلال بالمصنوعات على الصانع وأما المحجوبون بالثاني فهم الذين اعتقدوا في الممكنات أنها غنية عن المؤثر فنفس تصور الاستغناء عن الغير نور لانه من صفات

الله تعالى ولكن اعتقاد حصوله لمن لا يليق به ظلمة فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة وأما المحجوبون بالثالث فهم الذين استغرقوا في بحار صفات الله وأفعاله فاحتجبوا بالصفات عن الذات فعرف من هذا التقرير أن الحجب لا تكاد تتناهى حيث لا نهاية للممكنات ولا انحصار للسلوب والاضافات ولكن الحديث ورد على ما هو المتعارف في باب التكثير * ولنرجع الى التفسير قال الفراء المشكاة الكوة في الجدار غير النافذة وهذا القول أصح عند أئمة اللغة وهي من لغة العرب ومنه المشكاة للزق الصغير وقيل هي بلغة الحبشة وعن ابن عباس وأبي موسى الاشعري أن المشكاة هي القائم الذي في وسط القنديل الذي يدخل فيه الفتيلة وهو قول مجاهد والقرظي ومثله قول الزجاج هي قصبة القنديل من الزجاجة التي يوضع فيها الفتيلة وقال الخال هي الحلقة التي يتعلق بها القنديل والمصباح السراج الضخم الثاقب وأصله من الضوء ومنه الصبح والدري فمن قرأ بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر أي أبيض متلألئ ومن قرأ بالهمز مضموم الدال كمريق أو مكسورها كسكيت فمعناه أنه يدرأ الظلام بضوئه وقال أبو عبيد ان ضممت الدال وجب أن لا تهمز لانه ليس في كلام العرب فعيل ومن همزه من القراء فانما أراد فعول على سبوح فاستثقل فرد

ابن زيد في قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها من الزينة الكحل والخضاب والخاتم هكذا كانوا يقولون وهذا يراه الناس حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سئل الاوزاعي عن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكفين والوجه حدثنا عمرو بن بندق قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك في قوله ولا يبدين زينتهن قال الكف والوجه * وقال آخرون عنى به الوجه والثياب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال قال يونس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الحسن الوجه والثياب حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وعبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الوجه والثياب وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك الوجه والكفان يدخل في ذلك اذا كان كذلك الكحل والخاتم والسوار والخضاب وانما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل لاجماع الجميع على أن على كل مصل أن يستر عورته في صلاته وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفها في صلاتها وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها الا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اباح لها أن تبديه من ذراعها الى قدر النصف فاذ كان ذلك من جميعهم اجماعا كان معلوما بذلك أن لها أن تبدي من بدنها ما لم يكن عورة كذلك للرجال لأن ما لم يكن عورة فغير حرام اظهاره واذا كان لها اظهار ذلك كان معلوما أنه مما استثناه الله تعالى ذكره بقوله الا ما ظهر منها لأن كل ذلك ظاهر منها وقوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن يقول تعالى ذكره وليلقين خمرهن وهي جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن ابراهيم بن نافع قال ثنا الحسن بن مسلم بن يناق عن صفية بنت شيبة عن عائشة قالت لما نزلت هذه الآية وليضربن بخمرهن على جيوبهن قال شققن البرد مما يلي الحواشي فاختمرن به حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب أن قرة بن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت يرحم الله النساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن أكثف مروطهن فاختمرن به وقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن يقول تعالى ذكره ولا يبدين زينتهن التي هي غير ظاهرة بل الخفية منها وذلك الخلخال والقرط والدملج وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب وما وراء ما أبيح لها كشفه وابرازه في الصلاة وللاجنبيين من الناس والذراعين الى فوق ذلك الا لبعولتهن * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن طلحة بن مصرف عن ابراهيم ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن قال هذه ما فوق الذراع حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور قال سمعت رجلا يحدث عن طلحة عن ابراهيم قال في هذه الآية ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن قال ما فوق الجيب قال شعبة كتب به منصور الي وقرأته عليه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن قال تبدي لهؤلاء الرأس حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن

بعضه الى الكسر والدراري من الكواكب هي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وما يضاهيها من الثوابت التي هي في العظم الاول ومعنى (من شجرة مباركة) أن ابتداء ثقوبه من شجرة مباركة كثيرة المنافع وهي الزيتون عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور وقيل سميت مباركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله فيها للعالمين

أو بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام فقوله (زيتونة) بدل من شجرة ومعنى (لاشرقية ولاغربية) أن منبتها في أكثر الشام وزيتونها أجود الزيتون والشام قريب من وسط العمارة ليس على الطرف الشرقي من الربع المسكون ولا على الطرف الغربي منه وعن الحسن أراد شجرة الزيتون في الجنة اذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية أو غربية (٩٥) وضعف بأن المثل انما يضرب بما يشاهد وانهم ماشاهدوا شجرة الجنة وقيل أراد انها شجرة ملفوفة بالاشجار أو بأوراقها فلا تصيبها الشمس في مشرق ولا مغرب وزيف بأن الغرض هو صفاء الزيت ولا يحصل الا بكمال النضج وذلك يتوقف عادة على وصول أثر الشمس الى الشجرة وعن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهو اختيار الفراء والزجاج المراد أنها ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا لانها في موضع مكشوف فيكون فيه دليل على كمال النضج الموجب لصفاء الزيت ومنهم من قال لا في مضحى ولا في مقنأة وهي المكان الذي لا تطلع عليه الشمس ولكن الظل والشمس يتعاقبان عليها وذلك أجود لكمال الثمرة قال صلى الله عليه وسلم لاخير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير في مضحى ثم وصف الزيت بالصفاء والبريق وأنه لتلألئه يكاد يضيء من غير نار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوء فهذا ما يتعلق بحل الألفاظ على ظاهر التفسير أما ما يتعلق بالمعنى فنقول ان جمهور المتكلمين ذهبوا الى أنه تعالى شبه الهداية وهي الآيات البينات في الظهور والجلاء بالمشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء وانما اختار هذا التشبيه دون أن يقول انها كالشمس في الظهور والوضوح لان الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل وهذا المقصود لا يحصل من ضرب المثل بالشمس لانها اذا طلعت لم تبق ظلمة أصلا والأمور التي اعتبرها الله سبحانه في هذا المثال منها كون المصباح في المشكاة وذلك ليكون أجمع للنور وأعون لتكاثف الأشعة وأصون له عن تعرض الرياح زعم بعضهم أن في الكلام قلبا والمراد

الى قوله عورات النساء قال الزينة التي يبدينها لهؤلاء قرطاها وقلادتها وسوارها فأما خلخالاها ومعضداها ونحرها وشعرها فانه لا تبديه الا لزوجها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن مسعود في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن قال الطوق والقرطين يقول الله تعالى ذكره قل للمؤمنات الحرائر لا يظهرن هذه الزينة الخفية التي ليست بالظاهرة الا لبعولتهن وهم أزواجهن واحدهم بعل أولآبائهن أولآباء بعولتهن يقول أولآباء أزواجهن أولأبنائهن أولابناء بعولتهن أولاخوانهن أولبني اخوانهن ويعني بقوله أولاخوانهن أولاخواتهن أولبني اخوانهن أو بني أخواتهن أونسائهن قيل عني بذلك نساء المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أو نسائهن قال بلغني أنهن نساء المسلمين لا يحل لمسلمة أن ترى مشركة عريتها الا أن تكون أمة لها فذلك قوله أو ماملكت أيمانهن * قال ثني الحسين قال ثني عيسى بن يونس عن هشام ابن الغازي عن عبادة بن نسي أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة أو ترى عورتها ويتأول أو نسائهن * قال ثنا عيسى بن يونس عن هشام عن عبادة قال كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح رحمة الله عليهما أما بعد فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب فامنع ذلك وحل دونه قال ثم ان أبا عبيدة قام في ذلك المقام مبتهلا اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها فسود وجهها يوم تبيض الوجوه وقوله أو ماملكت أيمانهن اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم أو مماليكهن فانه لا بأس عليها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره لهؤلاء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار عن مخلد التميمي أنه قال في قوله أو ماملكت أيمانهن قال في القراءة الاولى أيمانكم * وقال آخرون بل معنى ذلك أو ماملكت أيمانهن من اماء المشركين كما قد ذكرنا عن ابن جريج قبل من أنه لما قال أو نسائهن عني بهن النساء المسلمات دون المشركات ثم قال أو ماملكت أيمانهن من الاماء المشركات ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ يقول تعالى ذكره والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم ممن لا أرب له في النساء من الرجال ولا حاجة به اليهن ولا يريدهن * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال قال كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الاول لا يغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده وهو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال فهذا الرجل يتبع القوم وهو مغفل في عقله لا يكترث للنساء ولا يشتهيهن فالزينة التي تبديها لهؤلاء قرطاها وقلادتها وسوارها وأما خلخالاها ومعضداها ونحرها وشعرها فانها لا تبديه الا لزوجها حدثنا

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أو التابعين قال هو التابع يتبعك يصيب من طعامك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال قال الذى يريد الطعام ولا يريد النساء * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال الذين لا يهمهم الا بطونهم ولا يخافون على النساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا اسمعيل بن موسى السدى قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد فى قوله غير أولى الاربة قال الأبله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قوله غير أولى الاربة قال هو الأبله الذى لا يعرف شيأ من النساء حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله غير أولى الاربة من الرجال الذى لا أرب له بالنساء مثل فلان حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عمن حدثه عن ابن عباس غير أولى الاربة قال هو الذى لا تستحى منه النساء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى غير أولى الاربة قال من تبع الرجل وحشمه الذى لم يبلغ أربه أن يطلع على عورة النساء حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن المغيرة عن الشعبى غير أولى الاربة قال الذى لا أرب له فى النساء * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال المعتوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى فى قوله أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال قال هو الأحمق الذى لا همة له بالنساء ولا أرب * وبه عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله غير أولى الاربة من الرجال يقول الاحمق الذى ليست له همة فى النساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الذى لا حاجة له فى النساء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال قال هو الذى يتبع القوم حتى كأنه كان منهم ونشأ فيهم وليس يتبعهم لاربة نسائهم وليس له فى نسائهم اربة وانما يتبعهم لارفاقهم اياه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت كان رجل يدخل على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث فكانوا يعدونه من غير أولى الاربة فدخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال انها اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن هذا عليكم فحجبوه حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال ثنا حفص بن عمر العدنى قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله أو التابعين غير أولى الاربة قال هو المخنث الذى لا يقوم زبه واختلف القراء فى قوله غير أولى الاربة فقرأ ذلك بعض أهل الشام وبعض

أهل

كمصباح فى مشكاة والصحيح أنه لا حاجة اليه لان هذا تشبيه مركب ولهذا قال جار الله أراد صفة نوره العجيبة الشأن فى الاضاءة كصفة مشكاة ومنها كون المصباح فى زجاجة صافية فان تعاكس الانوار من جوانب الزجاجة يزيد المصباح نورا ومنها كون المصباح متقدا بدهن الزيت فليس فى الأدهان ما يدانيه فى اللمعان والتطويس ومنها كون الزيت من شجرة بارزة للشمس فان ذلك يدل على كمال نضج الثمرة ونهاية صفاء دهنها وأما الامام الغزالى رضى الله عنه فانه يقول المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت عبارة عن المراتب الخمس الانسانية فأولها القوة الحساسة التى هى أصل الروح الحيوانى وتوجد للصبى بل لكل حيوان وأوفق مثال لها من عالم الاجسام المشكاة لان تلك القوى تخرج من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وثانيها القوة الخيالية التى تحفظ ما يورده الحواس مخزونا عندها لتعرضه على القوة العقلية التى فوقها عند الحاجة اليه وأنت لا تجد شيأ فى عالم الاجسام يشبه الخيال سوى الزجاجة فانها فى الاصل جوهر كثيف ولكن صفى ورقق حتى صار بحيث لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة كذلك الخيال من طينة العالم السفلى الكثيف بدليل أن الشئ المتخيل ذو قدر وشكل وحد ولكنه اذا صفى وهذب صار موازيا للمعانى العقلية ومؤديا لأنوارها ولذلك يستدل المعبر بالصور الخيالية على المعانى كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير وبمن يختم فروج الناس وأفواههم على أنه مؤذن يؤذن فى رمضان قبل الصبح وثالثها القوة العقلية القوية على ادراك الماهيات الكلية والمعارف اليقينية ولا يخفى وجه تمثيله بالمصباح كما مر فى تسمية النبى سراجا وحين كان الحس كالمقدمة للخيال وهى كالمقدمة للعقل قيل ان المشكاة كالظرف للزجاجة التى هى كالظرف للمصباح ورابعها القوة الفكرية القوية على التقسيمات والاستنتاجات فمثالها مثال الشجرة المثمرة واذا كانت ثمرتها مادة ازديادا أنوار المعارف فبالحرى أن لا تشبه الا بشجرة الزيتون لان لب ثمرتها هو الزيت الذى هو

مادة المصباح وله من سائر الادهان خاصية زيادة الاشراق وقلة الدخان واذا كانت الماشية تسمى مباركة لكثرة درها ونسلها فالذى لا تتناهى
ثمرته الى حد محدود أولى أن يسمى مباركا واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق الاجسام ناسب أن يقال لها لا شرقية
ولا غربية وخامسها القوة القدسية النبوية التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه (٩٧) نار نور على نور وأما الشيخ الرئيس أبو على بن سينا

أهل المدينة والكوفة غير أولى الاربة بنصب غير ولنصب غير ههنا وجهان أحدهما على القطع من التابعين لان التابعين معرفة وغير نكرة والآخر على الاستثناء وتوجيه غير الى معنى الا فكأنه قيل الا وقرأ غير من ذكرت بخفض غير على أنها نعت للتابعين وجاز نعت التابعين بغير والتابعون معرفة وغير نكرة لان التابعين معرفة غير مؤقتة فتأويل الكلام على هذه القراءة أو الذين هذه صفتهم والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضة القراءة بهما فى الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الخفض فى غير أقوى فى العربية فالقراءة به أعجب الى والاربة الفعلة من الارب مثل الجلسة من الجلوس والمشية من المشى وهى الحاجة يقال لا أرب لى فيك لا حاجة لى فيك وكذا أربت لكذا وكذا اذا احتجت اليه فأنا آرب له أربا فأما الأربة بضم الالف فالعقدة وقوله أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء يقول تعالى ذكره أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن فيظهروا عليهن لصغرهن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على عورات النساء قال لم يدروا ما ثم من الصغر قبل الحلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن يقول تعالى ذكره ولا يجعلن فى أرجلهن من الحلى ما اذا مشين أو حركنهن علم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمى أن امرأة اتخذت (١) مرين من فضة واتخذت جزعا فمرت على قوم فضربت برجلها فوقع الخلخال على الجزع فصوتت فأنزل الله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال كان فى أرجلهن خرز فكن اذا مررن بالمجالس حركن أرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولا يضربن بأرجلهن فهو أن تقرع الخلخال بالآخر عند الرجال ويكون فى رجلها خلاخل فتحركهن عند الرجال فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك لانه من عمل الشيطان حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال هو الخلخال لا تضرب امرأة برجلها ليسمع صوت خلخالها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال الاجراس من حليهن يجعلنها فى أرجلهن فى مكان الخلاخل فنهاهن الله أن يضربن بأرجلهن لتسمع تلك الاجراس وقوله وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون يقول تعالى ذكره وارجعوا أيها المؤمنون الى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من غض البصر وحفظ الفرج وترك دخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم وغير ذلك من أمره ونهيه لعلكم تفلحون يقول

(١) كذا بدون نقط ولعله برتين والبرة الخلخال ولم نعثر عليه فى غير هذا الموضع حرره

فانه نزل الامثلة الخمسة على مراتب ادراكات النفس الانسانية المشهورة فالمشكاة هى العقل الهيولانى وهو الاستعداد المحض والزجاجة هى العقل بالملكة وهى قوة النفس حين حصل لها البديهيات وأمكن لها بواسطتها الترقى الى النظريات والانتقال الى الكسبيات ثم ان كان الانتقال ضعيفا فهى الشجرة وتسمى فكرا وان كان قويا فهى الزيت ويسمى حدسا وان كان فى النهاية القصوى سميت قوة قدسية وهى التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور ثم اذا حصل لها المعارف والعلوم المكتسبة بالفعل بحيث تقدر على ملاحظتها متى شاءت من غير تجشم كسب جديد فهو المصباح ويسمى عقلا بالفعل وغايته أن تكون المعقولات حاضرة عندها متمثلة لها كأنها تشاهدها وهى نور على نور ويسمى عقلا مستفادا أما الاول فلأن الملكة نور ومشاهدة تلك الملكة نور آخر وأما الثانى فلأن ذلك غاية الاستفادة ونهاية التحصيل وزعم الشيخ أبو على أن المخرج من العقل الهيولانى الى الملكة ثم منها الى العقل التام هو العقل الفعال مدبر ما تحت كرة القمر عند الحكماء وعبر عنه فى الآية بالنار وعن مقاتل أنه قال مثل نوره أى مثل نور الايمان فى قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظير صلب

عبدالله والزجاجة نظير جسد محمد والشجرة النبوة والرسالة وقيل
المشكاة نظير ابراهيم عليه السلام والزجاجة نظير اسمعيل والمصباح نظير جسد محمد وعن أبى بن كعب أنه قرأ مثل نور من آمن به ورأيت
فى كتب الشيعة عن على رضى الله عنه مرفوعا القمر وجهان يضىء بهما أهل السموات والارضين وعلى الوجهين مكتوب أتدرون ما كتابته

لتفلحوا وتدركوا طلباتكم لديه اذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم واماءكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ يقول تعالى ذكره وزوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم والايامى جمع أيم وانما جمع الأيم أيامى لانها فعيلة في المعنى فجمعت كذلك كما جمعت اليتيمة يتامى ومنه قول جميل

أحب الأيامى اذ بثينة أيم * وأحببت لما أن غنيت الغوانيا

ولو جمعت أيايم كان صوابا والأيم يوصف به الذكر والأنثى يقال رجل أيم وامرأة أيم وأيمة اذا لم يكن لها زوج ومنه قول الشاعر

فان تنكحي أنكح وان تتأيمي * وان كنت أفتى منكم أتأيم

ان يكونوا فقراء يقول ان يكن هؤلاء الذين تنكحونهم من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم واماءكم أهل فاقة وفقر فان الله يغنيهم من فضله فلا يمنعنكم فقرهم من انكاحهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم واماءكم قال أمر الله سبحانه بالنكاح ورغبهم فيه وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدهم ووعدهم في ذلك الغنى فقال ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن أبو الحسن وكان اسمعيل بن صبيح مولى هذا قال سمعت القاسم بن الوليد عن عبد الله بن مسعود قال التمسوا الغنى في النكاح يقول الله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنكحوا الايامى منكم قال أيامى النساء اللاتي ليس لهن أزواج وقوله والله واسع عليم يقول جل ثناؤه والله واسع الفضل جواد بعطاياه فزوجوا اماءكم فان الله واسع يوسع عليهم من فضله ان كانوا فقراء عليم يقول هو ذو علم بالفقير منهم والغني لا يخفى عليه حال خلقه في شئ وتدبيرهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ يقول تعالى ذكره وليستعفف الذين لا يجدون ما ينكحون به النساء عن اتيان ما حرم الله عليهم من الفواحش حتى يغنيهم الله من سعة فضله ويوسع عليهم من رزقه وقوله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم يقول جل ثناؤه والذين يلتمسون المكاتبة منكم من مماليككم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واختلف أهل العلم في وجه مكاتبة الرجل عبده الذي قد علم فيه خيرا وهل قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا على وجه الفرض أم هو على وجه الندب فقال بعضهم فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذي قد علم فيه خيرا اذا سأله العبد ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء أواجب علي اذا علمت مالا أن أكاتبه قال ما أراه الا واجبا وقالها عمرو بن دينار قال قلت لعطاء أتأثره عن أحد قال لا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكاتبه فتلكأ عليه فقال له عمر لتكاتبنه حدثني محمد بن

فقالوا الله ورسوله أعلم فقال على وجه السموات الله نور السموات والارض وعلى وجه الارض محمد وعلي نور الارضين وقيل المشكاة صدر محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح ما في قلبه من الدين والشجرة ابراهيم عليه السلام ويوقد من شجرة كقوله واتبعوا ملة ابراهيم ومعنى لا شرقية ولا غربية أن ابراهيم لم يكن يصلي قبل المشرق كالنصارى ولا قبل المغرب كاليهود بل كان يصلي قبل الكعبة وهي ما بين المشرق والمغرب ومعنى يكاد زيتها يضيء أن نور محمد يكاد يتبين للناس قبل أن يتكلم قاله كعب وقال الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي ومن هنا قال عبد الله بن رواحة

لو لم يكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

وقال يحيى بن سلام قلب المؤمن نوري يعرف الحق قبل أن يتبين لموافقته له وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقيل يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم به ولهذا ازداد نورا على نور قال أبي بن كعب المؤمن بين أربع خلال أن أعطى شكر وان ابتلى صبر وان قال صدق وان حكم عدل فهو في سائر الناس كالرجل الحي الذي يمشي بين أموات يتقلب في خمس من النور كلامه نور وعلمه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة قال الربيع سألت أبا العالية عن مدخله ومخرجه فقال سره وعلانيته قالت الاشاعرة في قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى أن هذه الدلائل مع وضوحها لا تكفي ولا تنفع ما لم يخلق الله الايمان فيه وقالت المعتزلة أراد يهدي الله لطريق الجنة أو أراد بقوله من يشاء الذين بلغهم حد التكليف والهدى محمول على زيادات الالطاف التي هي ضد الخذلان ولهذا قال في الكشاف معناه يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين الانصاف وجانب جانب المراء والاعتساف ولم يكن كالاعمى الذي يستوي عنده جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وأكد ذلك بقوله ويضرب الله الامثال للناس يعني النبي والمكلفين من أمته قالوا انما ذكره في معرض الانعام ولو كان الكل بخلق الله تعالى لما تمكنوا من الانتفاع بالمثل فلا يكون نعمة ثم زاد في التأكيد بقوله والله بكل شئ

سعد

سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لا ينبغى لرجل اذا كان عنده المملوك الصالح الذى له المال يريد أن يكاتب أن لا يكاتبه * وقال آخرون ذلك غير واجب على السيد وانما قوله فكاتبوهم ندب من الله سادة العبيد الى كتابة من علم فيه منهم خير لا ايجاب ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال مالك بن أنس الامر عندنا أن ليس على سيد العبد أن يكاتبه اذا سأله ذلك ولم أسمع بأحد من الائمة أكره أحدا على أن يكاتب عبده وقد سمعت بعض أهل العلم اذا سئل عن ذلك فقيل له ان الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يتلو هاتين الآيتين فاذا حللتم فاصطادوا فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله قال مالك فانما ذلك أمر أذن الله فيه للناس وليس بواجب على الناس ولا يلزم أحدا وقال الثورى اذا أراد العبد من سيده أن يكاتبه فان شاء السيد أن يكاتبه كاتبه ولا يجبر السيد على ذلك حدثنى بذلك على عن زيد عنه وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال ليس بواجب عليه أن يكاتبه انما هذا أمر أذن الله فيه ودليل وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال واجب على سيد العبد أن يكاتبه اذا علم فيه خيرا وسأله العبد الكتابة وذلك أن ظاهر قوله فكاتبوهم ظاهر أمر وأمر الله فرض الانتهاء اليه ما لم يكن دليل من كتاب أو سنة على أنه ندب لما قد بينا من العلة فى كتابنا المسمى البيان عن أصول الاحكام وأما الخير الذى أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم اذا علموه فيهم فهو القدرة على الاحتراف والكسب لاداء ما كوتبوا عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الكريم الجزرى عن نافع عن ابن عمر أنه كره أن يكاتب مملوكه اذا لم تكن له حرفة قال تطعمنى أوساخ الناس حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يقول ان علمتم لهم حيلة ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا أشهب قال سئل مالك بن أنس عن قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا فقال انه ليقال الخير القوة على الاداء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ابن زيد عن أبيه قول الله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال الخير القوة على ذلك * وقال آخرون بل معنى ذلك ان علمتم فيهم صدقا ووفاء وأداء ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن فى قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال صدقا ووفاء وأداء وأمانة * قال ثنا ابن علية قال ثنا عبد الله عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وطاوس أنهما قالا فى قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قالا مالا وأمانة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال أداء وأمانة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة قال كان ابراهيم يقول فى هذه الآية فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال صدقا ووفاء أو أحدهما حدثنا أبو بكر قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الملك بن أبى سليمن عن عطاء فى قوله فكاتبوهم

عليم ففيه تحذير لمن لا يتفكر ولا يعتبر ولا يستدل ولا ينظر قوله (فى بيوت) اعترض أبو مسلم على قول من قال انه يتعلق بكمشكاة أو بتوقد لان كون المشكاة فى بعض بيوت الله لا تزيد المصباح انارة واضاءة وأيضا الموصوف واحد فلا يكون الا فى مكان واحد وقوله فى بيوت أمكنة متعددة ولا يصح أن يكون شئ واحد فى أمكنة متعددة فى حالة واحدة وكذا لو جعل فى بيوت صفة مصباح أو زجاجة أو كوكب وأجيب بأن هذه صفة موضحة لا مميزة وذلك أن المشكاة تكون غالبا فى بيوت العبادة أو المشكاة التى فيها مصباح اذا كانت فى مثل هذه البيوت الرفيعة كانت أعظم وأكثر ضخامة فيكون فى باب التمثيل أدخل وعن الثانى أنه أريد بالمشكاة النوع لا الواحد كما لو قيل الذى يصلح لخدمتى رجل يرجع الى علم وكفاية وقناعة يلتزم بيته فانه يراد به النوع لا الواحد وذهب أبو مسلم الى أنه راجع الى قوله ومثلا من الذين خلوا أى الانبياء والمؤمنين الذين مضوا وكانوا ملازمين لبيوت العبادة واعترض عليه بتفكك النظم اذ ذاك وبأن الذين خلوا هم المكذبون والأكثرون على أن البيوت هى المساجد والاذن الامر والرفع التعظيم أو البناء وعن عكرمة هى البيوت كلها ومعنى الرفع البناء وذكر اسم الله عام فى كل ذكر وعن ابن عباس أن يتلى فيها كتابه وقيل لا يتكلم فيها بما لا ينبغى والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق به وقيل الصلوات الخمس وقيل صلاتا الصبح والعصر وكانتا واجبتين فقط فى أول الاسلام فزيد فيهما وعن ابن عباس ان صلاة الضحى لفى كتاب الله وتلا هذه الآية والاولى العموم قيل خص الرجال بالذكر لانهم من أهل الجماعات دون النساء ويحتمل أن يقال لانهم أصل والنساء تبع واختلفوا فى (لا تلهيهم تجارة) فقيل نفى الالهاء لانه لا تجارة ولا بيع كقوله * ولا ترى الضب فيها ينجحر * وقيل أثبت التجارة والبيع وبين أنهم مع ذلك لا يشغلهم شئ عن ذكر الله وهذا قول الاكثرين وعن الحسن أما والله ان كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرائض الله لم يلههم عنها شئ وما الفرق بين التجارة والبيع قيل الأول عام لان صناعة التاجر قد يقع فيها البيع وقد يقع فيها الشراء وخص البيع لأن الربح فيه يقين

وفي الشراء مظنون فالبيع أدخل في الالهاء وقيل أراد بالتجارة الشراء اطلاقا لاسم الجنس على النوع وقال الفراء التجارة لأهل الجلب يقال تجر فلان في كذا اذا جلبه من غير بلده · وذكر الله دعاؤه والثناء عليه بما هو أهله وقيل هو الصلاة ومن هنا قال ابن عباس أراد باقام الصلاة اتمامها لمواقيتها وبايتاء الزكاة طاعة الله (١٠٠) والاخلاص له والتاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ثم حكى أن هؤلاء الرجال مع ما ذكر من الطاعة والاخلاص موصوفون بالوجل والخوف من أهوال يوم القيامة وتقلب القلوب اضطرابها من الهول والفزع وتقلب الابصار شخوصها أو المراد تقلب أحوالهما فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها وتدرك الابصار بعد أن كانت عمياء عن النظر والاعتبار وكأنهم انقلبوا من الشك والغفلة الى اليقين والمعاينة وقال الضحاك ان القلوب تزول عن أماكنها فتبلغ الحناجر والابصار تصير زرقا وقال الجبائي يحتمل أن يراد تقلبها على جمر جهنم أو تغير ماهياتها بسبب ما ينالها من العذاب فتكون مرة بهيئة ما أنضج بالنار ومرة بهيئة ما أحرق وقيل ان القلوب تتقلب في ذلك اليوم من طمع النجاة الى الخوف من الهلاك والابصار تتقلب من أي ناحية يؤخذ بهم أمن ناحية اليمين أم من ناحية الشمال ومن أي جهة يعطون كتابهم أمن قبل الايمان أم من قبل الشمائل قوله (ليجزيهم) متعلق بما قبله لفظا أو معنى أي يسبحون ويخافون أو يفعلون هذه القربات ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم وهو الواحد بعشر الى سبعمائة وأكثر وقيل أراد بالاحسن الحسنات أجمع وهي الطاعات فرضها ونفلها قال مقاتل

ان علمتم فيهم خيرا قال أداء ومالا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمرو بن دينار أحسبه كل ذلك المال والصلاح حدثني علي بن سهل قال ثنا زيد قال ثنا سفيان ان علمتم فيهم خيرا يعني صدقا ووفاء وأمانة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمت فيه خير النفس يؤدي اليك ويصدقك ما حدثك فكاتبه * وقال آخرون بل معنى ذلك ان علمتم لهم مالا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يقول ان علمتم لهم مالا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان علمتم فيهم خيرا قال مالا حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال مالا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان علمتم فيهم خيرا قال لهم مالا فكاتبوهم حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمتم لهم مالا كائنة أخلاقهم وأديانهم ما كانت حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن زاذان عن عطاء بن أبي رباح فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال مالا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال ان علمتم عندهم مالا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني محمد بن عمرو اليافعي عن ابن جريج أن عطاء بن أبي رباح كان يقول ما راه الا المال يعني قوله ان علمتم فيهم خيرا قال ثم تلا كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا * وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي قول من قال معناه فكاتبوهم ان علمتم فيهم قوة على الاحتراف والاكتساب ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها وصدق لهجة وذلك أن هذه المعاني هي الاسباب التي بمولى العبد الحاجة اليها اذا كاتب عبده مما يكون في العبد فأما المال وان كان من الخير فانه لا يكون في العبد وانما يكون عنده أو له لا فيه والله انما أوجب علينا مكاتبة العبد اذا علمنا فيه خيرا لا اذا علمنا عنده أو له فلذلك لم نقل ان الخير في هذا الموضع معني به المال وقوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم يقول تعالى ذكره وأعطوهم من مال الله الذي أعطاكم ثم اختلف أهل التأويل في المأمور باعطائه من مال الله الذي أعطاه من هو وفي المال أي الاموال هو فقال بعضهم الذي أمر الله باعطاء المكاتب من مال الله هو مولى العبد المكاتب ومال الله الذي أمر باعطائه منه هو مال الكتابة والقدر الذي أمر أن يعطيه منه الربع * وقال آخرون بل ما شاء من ذلك المولى ذكر من قال ذلك حدثني عمرو بن علي قال ثنا عمران بن عيينة قال ثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي في قول الله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال ربع المكاتبة حدثنا الحسن بن عرفة

انما ذكر الاحسن تنبيها على أنه لا يجازيهم على مساوي أعمالهم بل يغفرها لهم وقال القاضي أراد بذلك أن تكون الطاعات منهم مكفرة لمعاصيهم فيصح أن الله تعالى يجزيهم بأحسن الاعمال وهذا مبني على مذهبه في الاحباط والموازنة ومعنى (ويزيدهم من فضله) كقوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قد مر تفسيره في البقرة وحين بين

حال المؤمن أنه يكون فى الدنيا فى النور وبسببه يكون متمسكا بالعمل الصالح وفى الآخرة يفوز بالنعيم المقيم والثواب العظيم أتبعه ببيان أن الكافر يكون فى الدنيا فى أنواع الظلمات وفى الآخرة فى أصناف الحسرات وضرب لكل من حاليه مثلا أما المثل الدال على خيبته فى الآخرة فذلك قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) قال الأزهرى هو ما يتراءى (١٠١) للعين وقت الضحى الاكبر فى الفلوات شبيها بالماء الجارى كأنه يسرب على وجه الارض أى يذهب وأما الآل فهو ما يتراءى فى أول النهار وظاهر كلام الخليل أنه لم يفرق بينهما والقيعة بمعنى القاع وهو المستوى من الارض وقال الفراء هى جمع قاع كجيرة فى جار والظمآن الشديد العطش ووجه التشبيه أن الكافر يأتى ببعض أعمال البر ويعتقد ثوابا عليه فاذا وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب عظمت حسرته وتناهى غمه وحسرته فيشبه حاله حال الظمآن الذى تشتد حاجته الى ما يحييه ويبقيه فاذا شاهد السراب تعلق قلبه به رجاء للحياة فاذا جاءه ولم يجد شيأ عظم غمه وطال حزنه قال مجاهد السراب عمل الكافر واتيانه اياه موته وفراقه الدنيا وههنا سؤال وهو أنه كيف قال جاءه فأثبت أنه شئ لان العدم لا يتصوّر المجئ اليه ثم قال لم يجده شيأ فنفى كونه شيأ والجواب أراد شيأ نافعا كما يقال فلان ما عمل شيأ وان كان قد اجتهد أو المراد جاء موضع السراب فلم يجد هنالك شيأ أو أراد أنه تخيل أوّلا ضبابا وهباء شبه الماء وذلك باعانة من شعاع الشمس فاذا قرب منه رق وانتثر وصار هواء وهذا قول الحكماء قوله (ووجد الله) أى وجد عقاب الله أو زبانية الله يأخذونه فيصلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق خلاف ما يتصوّر من الراحة والنعيم قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى الاسلام وأما المثل الآخر فهو قوله (أو كظلمات) وقد يقال معنى أو أنه شبه أعمالهم الحسنة بالسراب والقبيحة بالظلمات أو الاوّل لاعمالهم الظاهرة والثانى لعقائدهم الفاسدة واللجىّ العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر والظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب

قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال ربع الكتابة يحطها عنه **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن عبد الاعلى عن أبى عبد الرحمن عن على رضى الله عنه فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال الربع من أوّل نجومه * قال أخبرنا ابن علية قال عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على فى قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال الربع من مكاتبته **حدثنا** محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنى عبد الملك بن أبى سليمن عن عبد الملك بن أعين قال كاتب أبو عبد الرحمن غلاما فى أربعة آلاف درهم ثم وضع له الربع ثم قال لولا أنى رأيت عليا رضوان الله عليه كاتب غلاما له ثم وضع له الربع ما وضعت لك شيأ **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الأعلى عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه كاتب غلاما له على ألف ومائتين فترك الربع وأشهدنى فقال لى كان صديقك يفعل هذا يعنى عليا رضوان الله عليه يتأوّل وآتوهم من مال الله الذى آتاكم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الملك قال ثنى فضالة بن أبى أمية عن أبيه قال كاتبنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستقرض لى من حفصة مائتى درهم قلت ألا تجعلها فى مكاتبتى قال انى لا أدرى أدرك ذلك أم لا * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان بلغنى أنه كاتبه على مائة أوقية * قال ثنا سفيان عن عبد الملك قال ذكرت ذلك لعكرمة فقال هو قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم يقول ضعوا عنهم من مكاتبتهم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وآتوهم من مال الله الذى آتاكم يقول ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الملك بن أبى سليمن عن عطاء فى قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال مما أخرج الله لكم منهم **حدثنى** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال آتهم مما فى يديك **حدثنى** الحسين بن عمرو العنقزى قال ثنى أبى عن أسباط عن السدى عن أبيه قال كاتبتنى زينب بنت قيس بن مخرمة من بنى المطلب بن عبد مناف على عشرة آلاف فتركت لى ألفا وكانت زينب قد صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا **حدثنا** مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا أبو مسعود الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد مولى أبى أسيد قال كاتبنى أبو أسيد على ثنتى عشرة مائة فجئته بها فأخذ منها ألفا ورد علىّ مائتين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من أوّل نجومه مخافة أن يعجز فترجع اليه صدقته ولكنه اذا كان فى آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى مخرمة عن أبيه عن نافع قال كاتب عبد الله بن عمر غلاما له يقال له شرف على خمسة وثلاثين ألف درهم

وكذا الكافر له ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل قاله الحسن وعن ابن عباس قلبه وبصره وسمعه وقيل قلب مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم والظاهر أن الجمع للتكثير وأن أنواع الضلالات والأباطيل اجتمعت فيه والضمير في أخرج للواقع في الظلمات يدل عليه قرينة الحال ومعنى لم يكد يراها لم يقرب أن يراها

ونفي القرب من الرؤية أبلغ من نفي الرؤية نفسها وقدمر هذا البحث في البقرة في قوله وما كادوا يفعلون قالت الاشاعرة في قوله (ومن لم يجعل الله له نورا) دلالة على أن الهداية بتخليق الله تعالى وبجعله وحمله المعتزلة على منح الألطاف وقدمر أمثال ذلك مرارا ولما وصف أنوار المؤمنين وظلمات الكافرين صرح بدلائل التوحيد فقال مستفهما على سبيل التقرير (ألم تر أن الله يسبح له) وقدمر مثله في سورة سبحان والخطاب لكل من له أهلية النظر أو للرسول وقد علمه من جهة الاستدلال ومعنى (صافات) أنهن يصففن أجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل أو لله عز وجل وعلى الاول فالضمير في صلاته وتسبيحه اما لكل أو لله والمعنى كل مسبح قد علم صلاته التي تليق بحاله أو صلاة الله التي كلفها اياها وعلى الثاني فالضمير فيهما لكل والصلاة بمعنى الدعاء ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها والاستقصاء في حكاياتهن مذكور في خواص الحيوانات ولا سيما في كتاب عجائب المخلوقات ثم بين أن المبدأ منه والمعاد اليه فقال (ولله ملك السموات) الآية ثم ذكر دليلا آخر من الآثار العلوية قائلا (ألم تر أن الله يزجي سحابا) أي يسوقه بالرياح (ثم يؤلف بينه) أي بين أجزائه أي يجمع قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا ممترا كما سادا للافق (فترى الودق) المطر أو القطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل قوله (من السماء من جبال فيها من برد) الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض على أن قوله من جبال مفعول ينزل والثالثة للبيان أو الاوليان للبيان والثالثة للتبعيض ومعناه أنه ينزل بعض البرد من السماء من جبال فيها وقدمر في أول البقرة في قوله أو كصيب من السماء معنى البرد وأنه بخار يجمد

فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف ولم يذكر نافع أنه أعطاه شيأ غير الذي وضع له * قال أخبرنا ابن وهب قال قال مالك سمعت بعض أهل العلم يقول ان ذلك أن يكاتب الرجل غلامه ثم يضع عنه من آخر كتابته شيأ مسمى قال مالك وذلك أحسن ما سمعت وعلى ذلك أهل العلم وعمل الناس عندنا حدثني علي قال ثنا زيد قال ثنا سفيان أحب الي أن يعطيه الربع أو أقل منه شيأ وليس بواجب وان يفعل ذلك حسن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عبد الله ابن حبيب أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال هو ربع المكاتبة * وقال آخرون بل ذلك حض من الله أهل الاموال على أن يعطوهم سهمهم الذي جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم في أموالهم بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب قال فالرقاب التي جعل فيها أحد سهمان الصدقة الثمانية هم المكاتبون قال واياه عنى جل ثناؤه بقوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم أي سهمهم من الصدقة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثني يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن ابن زيد عن أبيه قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال يحث الله عليه يعطونه حدثني يعقوب قال ثني ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال حث الناس عليه مولاه وغيره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم في قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال يعطي مكاتبه وغيره حث الناس عليه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أنه قال في قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال أمر مولاه والناس جميعا أن يعينوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال أمر المسلمين أن يعطوهم مما آتاهم الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني ابن زيد عن أبيه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال ذلك في الزكاة على الولاة يعطونهم من الزكاة يقول الله وفي الرقاب * قال ثني ابن زيد عن أبيه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال التي ءوا الصدقات وقرأ قول الله انما الصدقات للفقراء والمساكين وقرأ حتى بلغ وفي الرقاب فأمر الله أن يوفوهم منه فليس ذلك من الكتابة قال وكان أبي يقول ماله وللكتابة هو من مال الله الذي فرض له فيه نصيبا * وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الثاني وهو قول من قال عنى به ايتاءهم سهمهم من الصدقة المفروضة وانما قلنا ذلك أولى القولين لان قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم أمر من الله تعالى ذكره بايتاء المكاتبين من ماله الذي آتى أهل الاموال وأمر الله فرض على عباده الانتهاء اليه ما لم يخبرهم أن مراده الندب لما قد بينا في غير موضع من كتابنا فاذ كان ذلك كذلك ولم يكن أخبرنا في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنه ندب ففرض واجب واذ كان ذلك كذلك وكانت الحجة قد قامت أن لا حق لأحد في مال أحد غيره من المسلمين الا ما أوجبه الله لأهل سهمان الصدقة في أموال الاغنياء منهم وكانت الكتابة التي يقتضيها سيد المكاتب من مكاتبه مالا من مال سيد المكاتب فيفاد أن الحق الذي أوجب الله على المؤمنين أن يؤتوهم من أموالهم هو ما فرض

على

بعدما استحال قطرات ماء قال عامة المفسرين ان فى السماء جبالا من برد خلقها الله فيها كما خلق فى الارض جبالا من حجر وقال أهل المعنى السماء ههنا هو الغيم المرتفع على رؤس الناس والمراد بالجبال الكثرة كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب ثم بين بقوله (فيصيب به) الى آخر الآية أنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها كيف يشاء أو يهلك بالبرد من يشاء (١٠٣) أن يعذبه به ويعصم منه من يشاء أن يعصمه ويريهم ضياء البرق فى السحاب بحيث يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما فى الطول والقصر وفى كل ذلك معتبر لذوى الابصار والذين يترقون من المصنوع الى الصانع ويستدلون بالمحسوس على الغائب منتقلين من ظلمة التقليد الى نور البرهان ثم ذكر دليلا ثالثا من عجائب خلق الحيوان فقال (والله خلق كل دابة من ماء) قال علماء المعانى التنكير فى ماء للتنويع أى خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلق الكل من ماء مخصوص وهو النطفة وعلى التقديرين الوحدة نوعية الا أن شموله على التقدير الثانى أكثر وانما عرف فى قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى لانه قصد هنالك معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذى هو جنس الماء وعن القفال أن قوله من ماء صفة دابة لا صلة خلق والمعنى أن كل دابة متولدة من ماء فهى مخلوقة لله تعالى واحترز بها عن الاعتراض الذى ذكرناه فى سورة الانبياء وهو أن بعض الاحياء لم يخلقهم الله من الماء وقيل نزل الغالب منزلة الكل أو أراد بالدابة من يدب على وجه الارض ومسكنهم هنالك وكل منها اما متولد من النطفة واما بحيث لا يعيش الا بالماء ثم بين أن أصلهم وان كان واحدا الا أن خلقتهم مختلفة (فمنهم من يمشى على بطنه) وقدم هذا القسم لغرابته ومنهم كذا ومنهم كذا وفى ضمير العقلاء واطلاق لفظة من تغليب العقلاء وسمى الزحف على البطن مشيا على سبيل المشاكلة أو الاستعارة نظيره قوله فلان لا يتمشى له أمر وقد يوجد من الدواب ذوات أرجل أزيد من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلاوات بل مثل الحيوان الذى له أربع وأربعون رجلا المسمى دخال الاذن وانما لم يذكرها سبحانه

على الاغنياء فى أموالهم له من الصدقة المفروضة اذ كان لا حق فى أموالهم لاحد سواها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره زوّجوا الصالحين من عبادكم واماءكم ولا تكرهوا اماءكم على البغاء وهو الزنا ان أردن تحصنا يقول ان أردن تعففا عن الزنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا يقول لتلتمسوا باكراهكم اياهن على الزنا عرض الحياة وذلك ما تعرض لهم اليه الحاجة من رياشها وزينتها وأموالها ومن يكرههن يقول ومن يكره فتياته على البغاء فان الله من بعد اكراهه اياهن على ذلك لهم غفور رحيم ووزر ما كان من ذلك عليهم دونهن وذكر أن هذه الآية أنزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول حين أكره أمته مسيكة على الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن الصباح قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول جاءت مسيكة لبعض الانصار فقالت ان سيدى يكرهنى على الزنا فنزلت فى ذلك ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال كانت جارية لعبد الله بن أبى ابن سلول يقال لها مسيكة فآجرها أو أكرهها «الطبرى شك» فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فشكت ذلك اليه فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يعنى بهن حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن الشعبى فى قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء قال رجل كانت له جارية تفجر فلما أسلمت نزلت هذه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير عن جابر قال جاءت جارية لبعض الانصار فقالت ان سيدى أكرهنى على البغاء فأنزل الله فى ذلك ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء قال ابن جريج وأخبرنى عمرو بن دينار عن عكرمة قال أمة لعبد الله بن أبىّ أمرها فزنت فجاءت ببرد فقال لها ارجعى فازنى قالت والله لا أفعل ان يك هذا خيرا فقد استكثرت منه وان يك شرا فقد آن لى أن أدعه قال ابن جريج وقال مجاهد نحو ذلك وزاد قال البغاء الزنا والله غفور رحيم قال للمكرهات على الزنا وفيها نزلت هذه الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى أن رجلا من قريش أسر يوم بدر وكان عبد الله بن أبىّ أسره وكان لعبد الله جارية يقال لها معاذة فكان القرشى الاسير يريدها على نفسها وكانت مسلمة فكانت تمتنع منه لاسلامها وكان ابن أبىّ يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل للقرشى فيطلب فداء ولده فقال الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا قال الزهرى ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يقول غفور لهن ما أكرهن عليه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ فان الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء

ان أردن تحصنا يقول ولا تكرهوا اماءكم على الزنا فان فعلتم فان الله سبحانه لهن غفور رحيم واثمهن على من أكرههن حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى آخر الآية قال كانوا في الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنا يأخذون أجورهن فقال الله لا تكرهوهن على الزنا من أجل المنالة في الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهن يعني اذا أكرهن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء على الزنا قال عبد الله بن أبي ابن سلول أمر أمة له بالزنا فجاءته بدينار أو ببرد شك أبو عاصم فأعطته فقال ارجعي فازني بآخر فقالت والله ما أنا براجعة فالله غفور رحيم للمكرهات على الزنا ففي هذا أنزلت هذه الآية حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال في حديثه أمر أمة له بالزنا فزنت فجاءته ببرد فأعطته فلم يشك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء يقول على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يقول غفور لهن للمكرهات على الزنا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم قال غفور رحيم لهن حين أكرهن وقسرن على ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كانوا يأمرون ولائدهم يباغين يفعلن ذلك فيصبن فيأتينهم بكسبهن فكانت لعبد الله بن أبي ابن سلول جارية فكانت تباغي فكرهت وحلفت أن لا تفعله فأكرهها أهلها فانطلقت فباغت ببرد أخضر فأتتهم به فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أنزلنا اليكم أيها الناس دلالات وعلامات مبينات يقول مفصلات الحق من الباطل وموضحات ذلك

* واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين مبينات بفتح الياء بمعنى مفصلات وأن الله فصلهن وبينهن لعباده فهن مفصلات مبينات وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة مبينات بكسر الياء بمعنى أن الآيات هن تبين الحق والصواب للناس وتهديهم الى الحق والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى وذلك أن الله اذ فصلها وبينها صارت مبينة بنفسها الحق لمن التمسه من قبلها واذا بينت ذلك لمن التمسه من قبلها فبين الله ذلك فيها فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب وقوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم من الأمم وموعظة لمن اتقى الله فخاف عقابه وخشي عذابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة

زيتونة

لانها نادرة بالنسبة الى سائرهن ومن العقلاء من زعم أن أمثال هذه الدواب انما يعتمد وقت المشي على أربع فقط وقيل ان في قوله تعالى (يخلق الله ما يشاء) تنبيها على سائر الاقسام ولا ريب أن اختلاف الحيوانات لا يكاد ينحصر الا أنا نذكر طرفا من ذلك تذكيرا لعجائب قدرة الله في خلقه فنقول الاختلاف بين الحيوانات (١٠٤) (١) اما في جوهر العضو كالفرس له ذنب دون الانسان وان كانت أجزاء الذنب من العظم والعصب واللحم والجلد والشعر حاصلة له في غير هذا العضو كالسلحفاة فله صدف يحيط به ليس للانسان وكذا السمك فله فلوس والقنفذ له شوك وإما في كيفية العضو كاختلاف الالوان والاشكال والصلابة واللين وإما في الوضع كما أن يدي الفيل أقرب الى الصدر من يدي الفرس واما في الانفعال كما أن عين الخطاف لا تحير في الضوء وعين الخفاش تحير وإما في سائر الاحوال وذلك أن من الحيوانات بريا وبحريا أو بريا فقط أو بحريا فقط ومن البحري ما يعتمد في السباحة على جناحه كالسمك ومنها ما يعتمد فيها على أرجله كالضفادع وكل من البري والبحري له أماكن مختلفة من البر والبحر فمنها ماله مأوى معلوم كالروابي أو الحفر أو الشقوق أو الحجرة في البر أو كالقعر أو الشط أو الصخر أو الطين في البحر ومنها ما مأواه كيف اتفق الا أن يلد فيقيم للحضانة ومن الحيوانات طيارة فمنها ما يسبح في الهواء فقط ومنها ما يسبح على وجه الماء أيضا وكل طائر فانه يمشي على رجلين وقد يصعب عليه المشي كالخطاف الكبير الاسود وكالخفاش ومنها ما جناحه جلد أو غشاء وقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات بالحبشة يطير ومنها ما يختار الاجتماع كالكراكي ومنها ما يؤثر التفرد كالعقاب وكثير من الجوارح التي تنازع على الطعم ومنها ما يتعايش زوجا كالقطا والانسان من الحيوان الذي لا يمكنه أن يعيش وحده ويضاهيه النحل والنمل الا أن النمل لا رئيس لها ومنها آكل لحم ومنها لاقط حب ومنها آكل عشب وزهر ومنه النحل ومن الحيوان ماهو انسي بالطبع كالانسان وماهو انسي بالمولد كالهرة والغرانيق أو بالقهر كالفهد ومنه ما لا يأنس كالنمر أو يبطئ استئناسه كالأسد ومن

---

(١) حاصل ما يفهم مما كتب هنا ان الاختلاف في جوهر العضو له صورتان اما أن تكون أجزاؤه موجودة في الانسان أولا فالاول كذنب الفرس والثاني كصدف السلحفاة

زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله الله نور السموات والأرض هادى من فى السموات والأرض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذى قلنا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الله نور السموات والأرض يقول الله سبحانه هادى أهل السموات والأرض حدثنى سليمن بن عمر ابن خلدة الرقى قال ثنا وهب بن راشد عن فرقد عن أنس بن مالك قال ان الهى يقول نورى هداى * وقال آخرون بل معنى ذلك الله مدبر السموات والأرض ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس فى قوله الله نور السموات والأرض يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما * وقال آخرون بل عنى بذلك النور الضياء وقالوا معنى ذلك ضياء السموات والأرض ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الأعلى ابن واصل قال ثنا عبيدالله بن موسى قال ثنا أبوجعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبىّ بن كعب فى قول الله الله نور السموات والأرض قال فبدأ بنور نفسه فذكره ثم ذكر نور المؤمن وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لأنه عقيب قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين فكان ذلك بأن يكون خبرا عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه أولى وأشبه مالم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ولقد أنزلنا اليكم أيها الناس آيات مبينات الحق من الباطل ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين فهديناكم بها وبينا لكم معالم دينكم بها لأنى هادى أهل السموات وأهل الأرض وترك وصل الكلام باللام وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداء وفيه المعنى الذى ذكرت استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره ثم ابتدأ فى الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبينات التى أنزلها اليهم فقال مثل نوره كمشكاة فيها مصباح يقول مثل ما أنار من الحق بهذا التنزيل فى بيانه كمشكاة وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالهاء فى قوله مثل نوره علام هى عائدة ومن ذكر ما هى فقال بعضهم هى من ذكر المؤمن وقالوا معنى الكلام مثل نور المؤمن الذى فى قلبه من الايمان والقرآن مثل مشكاة ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عبيدالله بن موسى قال أخبرنا أبوجعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبىّ بن كعب فى قول الله مثل نوره قال ذكر نور المؤمن فقال مثل نوره يقول مثل نور المؤمن قال وكان أبىّ يقرؤها كذلك مثل المؤمن قال هو المؤمن قد جعل الايمان والقرآن فى صدره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن أبى العالية عن أبىّ بن كعب الله نور السموات والارض مثل نوره قال بدأ بنور نفسه فذكره ثم قال مثل نوره يقول مثل نور من آمن به قال وكذلك كان يقرأ أبىّ قال هو عبد جعل الله القرآن والايمان فى صدره حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء

الحيوان ما لا صوت له ومنه ما له صوت وكل مصوت فانه يصير عند الاغتلام وحركة شهوة الجماع أشد تصويتا حتى الانسان ومنه ما له شبق يسفد كل وقت كالديك ومنه عفيف له وقت معين ومنه ولود ومنه بيوض وكل ولود أذون وكل صموخ بيوض سوى الخفاش ومنه هادئ الطبع قليل الغضب كالبقر ومنه شديد الجهل حال الغضب كالخنزير البرى (١٠٥) ومنه حليم حمول كالابل ومنه محتال مكار كالثعلب ومنه غضوب سفيه الا أنه قلق متردد كالكلب ومنه شديد الكيس مستأنس كالقرد والفيل ومنه حسود تياه كالطاوس ومنه شديد الحفظ كالجمل والحمار لا ينسى الطريق الذى رآه وفى قوله (ان الله على كل شئ قدير) اشارة الى أن اختصاص كل حيوان بهذه الخواص وبأمثالها لا يكون الا عن فاعل مختار قدير قهار وحين فرغ من اثبات هذه الدلائل أراد أن يبين أحوال المكلفين وأن فيهم منافقين فقدم لذلك مقدمة وهى قوله (لقد أنزلنا آيات مبينات) وانما فقد العاطف ههنا بخلاف قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا لأن المقصود هنالك هو ما سبق من التكاليف والمواعظ والغرض ههنا توطئة مقدمة لما يجىء عقيبه من حال أهل النفاق والوفاق وقوله (وما أولئك) اشارة الى الفريق المتولى وانما قال (بالمؤمنين) معرفا لأنه أراد أنهم ليسوا بالذين عرفت صحة ايمانهم لثباتهم واستقامتهم ويحتمل أن يكون أولئك اشارة الى جميع القائلين آمنا وأطعنا وحينئذ يكون قوله ثم يتولى فريق منهم حكما على البعض دفعا للالزام والنقض فان الحكم الكلى قلما يخلو عن منع ولمثل هذا قال فى الآية الثانية اذا فريق منهم معرضون والحاصل أنه حكم أوّلا على بعضهم بالتولى ثم صرح آخرا بأن الايمان منتف عن جميعهم ويجوز أن يراد بالفريق المتولى رؤساء النفاق وقيل أراد بتولى هذا الفريق رجوعهم الى الباقين قال جار الله معنى الى الله ورسوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كقولك أعجبنى زيد وكرمه أما سبب نزول الآية فعن مقاتل أنها فى بشر من المنافقين كما سبق فى سورة النساء فى قوله يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وعن الضحاك نزلت فى المغيرة

ابن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض فتقاسما فدفع الى علي منها مالا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني أرضك فباعها منه وتقابضا فقيل للمغيرة أخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض أرضك فأبى ودعا المغيرة الى محاكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه (١٠٦) يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي قوله (يأتوا اليه) الجار صلة أتى فانه قد يعدى بالى قال جار الله والأحسن أن يتصل بمذعنين ليفيد الاختصاص أي لا يتحاكمون اذا عرفوا أن الحق لهم الا الى الرسول مسرعين في طاعته ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه وهذه الامور وان كانت متلازمة الا أنها متغايرة في الاعتبار فصحت القسمة ثم بين بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أنهم لا يخافون حيفه لانهم عارفون أمانته ولكن الظلم مركوز في جبلتهم وأنهم لا يستطيعون الظلم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك يأبون المحاكمة اليه اذا كان الحق عليهم ﴿التأويل﴾ للآية تأويلان أحدهما من عالم الآفاق والآخر من عالم الانفس أما الاول فالمشكاة عالم الاجسام والزجاجة العرش والمصباح الكرسي والشجرة شجرة الملكوت وهي باطن عالم الاجسام وهي غير راقية الى شرق الأزل والقدم ولا الى غرب الفناء والعدم بل هي مخلوقة للأبد لا يعتريها الفناء يكاد زيتها وهو عالم الارواح يضيء أي يظهر من العدم الى عالم الصورة المتولدة بالازدواج عالم الغيب والشهادة ولو لم تمسسه نار نور القدرة الالهية وذلك لقرب طبيعتها من الوجود نور على نور فالأول نور الصفة الرحمانية والثاني نور العرش فهو كقوله الرحمن على العرش استوى وفي قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى أن فيض نور الرحمانية ينقسم على كل من يريد الله تعالى ايجاده من العرش الى ما تحت الثرى وأما التأويل الثاني فالمشكاة الجسد والزجاجة القلب والمصباح السر والشجرة شجرة الروحانية التي خلقت للبقاء كما مر والزيت الروح الانساني القابل لنور العرفان قبولا في غاية القرب

ابن السائب عن سعيد بن جبير مثل نوره قال مثل نور المؤمن حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن اليمان عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك في قوله مثل نوره قال نور المؤمن * وقال آخرون بل عني بالنور محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الهاء التي في قوله مثل نوره عائدة على اسم الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن حفص عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الأحبار فقال له حدثني عن قول الله عز وجل الله نور السموات والأرض الآية فقال كعب الله نور السموات والأرض مثل نوره مثل محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن اليمان عن أشعث عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير في قوله مثل نوره قال محمد صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل عني بذلك هدى الله وبيانه وهو القرآن قالوا والهاء من ذكر الله قالوا ومعنى الكلام الله هادي أهل السموات والارض بآياته المبينات وهي النور الذي استنار به السموات والارض مثل هداه وآياته التي هدى بها خلقه ووعظهم بها في قلوب المؤمنين كمشكاة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مثل نوره مثل هداه في قلب المؤمن حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله مثل نوره قال مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مثل نوره نور القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده هذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم في قول الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض مثل نوره ونوره الذي ذكر القرآن ومثله الذي ضرب له * وقال آخرون بل معنى ذلك مثل نور الله وقالوا يعني بالنور الطاعة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا ثم سماها أنوارا شتى وقوله كمشكاة اختلف أهل التأويل في معنى المشكاة والمصباح وما المراد بذلك وبالزجاجة فقال بعضهم المشكاة كل كوة لا منفذ لها وقالوا هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال له حدثني عن قول الله مثل نوره كمشكاة قال المشكاة وهي الكوة ضربها الله مثلا لمحمد صلى الله عليه وسلم المشكاة فيها مصباح المصباح قلبه في زجاجة الزجاجة صدره الزجاجة كأنها كوكب دري شبه صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدري ثم رجع المصباح الى قلبه فقال توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية لم تمسها شمس المشرق ولا شمس المغرب يكاد زيتها يضيء يكاد محمد يبين للناس وان لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور حدثني علي قال ثنا

عمد

والنار نار التجلي والهداية في الازل فاذا انضم الى نور العقل صار نورا على نور واذا تنور مصباح سر من يشاء بنور القدم تنور زجاجة القلب ومشكاة الجسد وتخرج أشعتها من روزنة الحواس فتستضيء أرض البشرية كما قال وأشرقت الارض بنور ربها وهو مقام كنت له سمعا وبصرا الحديث في بيوت هي القلوب أذن الله أمر وأراد أن ترفع درجاتها من بين (١٠٧) سائر الارواح والنفوس الى أن تسع الله كما قال وانما يسعني قلب عبدي المؤمن روي أنه أوحى الى داود عليه السلام فرغ لي بيتا أسكن فيه فقال رب أنت منزه عن البيوت فقال فرغ لي قلبك ولن يتأتى هذا الرفع الا بواسطة ذكر الله فلهذا قال ويذكر فيها اسمه لا تلهيهم تجارة هي الفوز بدرجات الجنات كما قال هل أدلكم على تجارة تنجيكم ولا بيع هو بيع الدنيا بالجنة كقوله ان الله اشترى الى قوله فاستبشروا ببيعكم وفيه أن الرجولية لا تتحقق الا اذا لم يلتفت الى الدنيا ولا الى الآخرة فيكون بحيث لا يتصرف فيه ماسوى الله وحينئذ يصلي صلاة الوصال ويفيض على المستعدين زكاة حصول نصاب الكمال يخافون يوما هو يوم الفراق تتقلب فيه القلوب والابصار البصائر لأنها بيد الله يقلبها كيف يشاء أو كظلمات في بحر لجي هو حب الدنيا يغشاه موج الرياء من فوقه موج هو حب الجاه وطلب الرياسة من فوقه سحاب الشرك الخفي اذا أخرج يد سعيه واجتهاده لم يكد يراها يرى طريق خلاصه ومن لم يجعل الله له نورا أي لم يصبه رشاش النور الالهي في الازل يزجي سحب المعاصي المتفرقة الى أن تترا كم فترى والودق هو مطر التوبة يخرج من خلاله كما خرج من سحاب وعصى آدم مطر ثم اجتباه ربه ينزل من سماء القلب من جبال من قساوة فيها من برد هو برد القهر يقلب الله ليل المعصية لمن يشاء الى نهار الطاعة وبالعكس لاولي الابصار أصحاب البصائر الذين يشاهدون آثار لطفه وقهره في مرآة التقليب والله خلق كل ذي روح من ماء هو روح محمد صلى الله عليه وسلم كما قال أول ما خلق الله روحي فمنهم من يمشي أن تكون سيرته تحصيل مشتهيات بطنه ومنهم من يمشي على رجلين أي يضيع عمره في مشتهيات الفرج لأن الحيوان اذا قصد الوقاع يعتمد

عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كمشكاة يقول موضع الفتيلة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثنا عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض الى كمشكاة قال المشكاة كوة البيت * وقال آخرون عني بالمشكاة صدر المؤمن وبالمصباح القرآن والايمان وبالزجاجة قلبه ذكر من قال ذلك حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال مثل المؤمن قد جعل الايمان والقرآن في صدره كمشكاة قال المشكاة صدره فيها مصباح قال والمصباح القرآن والايمان الذي جعل في صدره المصباح في زجاجة قال والزجاجة قلبه الزجاجة كأنها كوكب دري توقد قال فمثله مما استنار فيه القرآن والايمان كأنه كوكب دري يقول مضيء توقد من شجرة مباركة والشجرة المباركة أصله المباركة الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له لا شرقية ولا غربية قال فمثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شيء من الغير وقد ابتلي بها فثبته الله فيها فهو بين أربع خلال ان أعطي شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات قال نور على نور فهو يتقلب في خمسة من النور فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة في الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني يحيى بن اليمان عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال المشكاة صدر المؤمن فيها مصباح قال القرآن * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب نحو حديث عبد الأعلى عن عبيد الله حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مثل نوره كمشكاة قال مثل هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوء كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور كما قال ابراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة قال هذا ربي حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربا فلما أخبره الله أنه ربه ازداد هدى على هدى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح والمشكاة كوة البيت فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري والمصباح السراج يكون في الزجاجة وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا وسماها أنواعا شتى قوله توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية قال هي شجرة لا يفيء عليها ظل شرق ولا ظل غرب ضاحية ذلك أصفى الزيت يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال معمر وقال الحسن ليست من شجر الدنيا ليست شرقية ولا غربية * وقال آخرون

على رجلين وان كان من ذوات الاربع ومنهم من يمشي على أربع هم أصحاب المناصب يركبون الدواب البتة أفي قلوبهم مرض انحراف في الفطرة أم ارتابوا بتشكيك أهل البدع والاهواء أم يخافون الحيف حين أمروا بترك اللذات العاجلة لاجل الخيرات الباقية واليه المآب

﴿انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله (١٠٨) ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على القراء الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو

هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده والمشكاة مثل لجوفه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس جميعا المصباح وما فيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه المصباح مثل الفؤاد والكوة مثل الجوف قال ابن جريج كمشكاة كوة غير نافذة قال ابن جريج وقال ابن عباس قوله نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله * وقال آخرون بل ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة قال كمكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله الله نور السموات والارض مثل نوره نور القرآن الذي أنزل على رسوله وعباده فهذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة فقرأ حتى بلغ مباركة فهذا مثل القرآن يستضاء به في نوره ويعلمونه ويأخذون به وهو كما هو لا ينقص فهذا مثل ضربه الله لنوره وفي قوله يكاد زيتها يضيء قال الضوء اشراق ذلك الزيت والمشكاة التي فيها الفتيلة التي في المصباح والقناديل تلك المصابيح حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن سعيد بن عياض في قوله كمشكاة قال الكوة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عطية في قوله كمشكاة قال قال ابن عمر المشكاة الكوة * وقال آخرون المشكاة القنديل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كمشكاة قال القنديل ثم العمود الذي فيه القنديل حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كمشكاة الصفر الذي في جوف القنديل حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن رجل عن مجاهد قال المشكاة القنديل * وقال آخرون المشكاة الحديد الذي يعلق به القنديل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن المفضل قال ثنا هشيم قال ثنا داود بن أبي هند عن مجاهد قال المشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الايمان به فقال مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله اليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين مثل مشكاة وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها وانما جعل ذلك العمود مشكاة لانه غير نافذ وهو أجوف مفتوح الأعلى فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ ثم قال فيها مصباح وهو السراج وجعل السراج وهو المصباح مثلا لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات ثم قال المصباح في زجاجة يعني أن السراج الذي في المشكاة في القنديل وهو الزجاجة وذلك مثل للقرآن يقول القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه واستنارته بنور القرآن واستضاءته بآيات ربه المبينات ومواعظه فيها بالكوكب الدري فقال الزجاجة وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه كأنها كوكب دري واختلفت

صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم (١٠٩) فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله

القراء فى قراءة قوله درّىّ فقرأته عامة قراء الحجاز درّىّ بضم الدال وترك الهمز وقرأه بعض قراء البصرة والكوفة درّىء بكسر الدال وهمزة وقرأ بعض قراء الكوفة درّىء بضم الدال وهمزة وكأن الذين ضموا داله وتركوا الهمزة وجهوا معناه الى ما قاله أهل التفسير الذى ذكرنا عنهم من أن الزجاجة فى صفائها وحسنها كالدرّ وأنها منسوبة اليه لذلك من نعتها وصفتها ووجه الذين قرؤا ذلك بكسر داله وهمزه الى أنه فعيل من درئ الكوكب أى دفع ورجم به الشيطان من قوله ويدرأ عنها العذاب أى يدفع والعرب تسمى الكواكب العظام التى لا تعرف أسماءها الدرارى بغير همز وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول هى الدرارئ بالهمز من يدرأن وأما الذين قرؤه بضم داله وهمزه فان كانوا أرادوا به درّوء مثل سبوح وقدوس من درأت ثم استثقلوا كثرة الضمات فيه فصرفوا بعضها الى الكسرة فقالوا درّىء كما قيل وقد بلغت من الكبر عتيا وهو فعول من عتوت عتوا ثم حولت بعض ضماتها الى الكسر فقيل عتيا فهو مذهب والا فلا أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها وذلك أنه لا يعرف فى كلام العرب فعيل وقد كان بعض أهل العربية يقول هو لحن والذى هو أولى القرا آت عندى فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه درّىّ بضم داله وترك همزه على النسبة الى الدر لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاؤا وقد ذكرنا أقوالهم فى ذلك قبل ففى ذلك مكتفى عن الاستشهاد على صحتها بغيره فتأويل الكلام الزجاجة وهى صدر المؤمن كأنها يعنى كأن الزجاجة وذلك مثل لصدر المؤمن كوكب يقول فى صفائها وضيائها وحسنها وانما يصف صدره بالنقاء من كل ريب وشك فى أسباب الايمان بالله وبعده من دنس المعاصى كالكوكب الذى يشبه الدرّ فى الصفاء والضياء والحسن واختلفوا أيضا فى قراءة قوله توقد من شجرة مباركة فقرأ ذلك بعض المكيين والمدنيين وبعض البصريين توقد من شجرة بالتاء وفتحها وتشديد القاف وفتح الدال وكأنهم وجهوا معنى ذلك الى توقد المصباح من شجرة مباركة وقرأه بعض عامة قراء المدنيين يوقد بالياء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى يوقد المصباح موقده من شجرة ثم لم يسم فاعله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة توقد بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى يوقد الزجاجة موقدها من شجرة مباركة لما لم يسم فاعله فقيل توقد وقرأه بعض أهل مكة توقد بفتح التاء وتشديد القاف وضم الدال بمعنى تتوقد الزجاجة من شجرة ثم أسقطت احدى التاءين اكتفاء بالباقية من الذاهبة وهذه القرا آت متقاربات المعانى وان اختلفت الالفاظ بها وذلك أن الزجاجة اذا وصفت بالتوقد أو بأنها توقد فمعلوم معنى ذلك فان المراد به توقد فيها المصباح أو يوقد فيها المصباح ولكن وجهوا الخبر الى أن وصفها بذلك أقرب فى الكلام منها وفهم السامعين معناه والمراد منه فاذا كان ذلك كذلك فبأى القرا آت قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القرا آت الى أن أقرأ بها فى ذلك توقد بفتح التاء وتشديد القاف وفتح الدال بمعنى وصف المصباح بالتوقد لان التوقد والاتقاد لا شك أنهما من صفته دون الزجاجة فمعنى الكلام اذن كمشكاة فيها مصباح المصباح من دهن شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية وقد ذكرنا بعض ما روى عن بعضهم من الاختلاف فى ذلك فيما قد مضى ونذكر باقى ما حضرنا مما لم نذكره قبل فقال بعضهم انما قيل لهذه الشجرة لا شرقية ولا غربية أى ليست شرقية

غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم ۞ القرا آت ويتقه بكسر القاف واختلاس الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو طريق الهاشمى بكسر القاف وسكون الهاء على أنها للسكت أبو عمرو غير عباس وخلاد ورجاء ويحيى وحماد وهبيرة من طريق الخراز وابن مجاهد عن ابن ذكوان باسكان القاف وكسر الهاء حفص غير الخراز ووجهه أنه شبه تقه بكتف فخفف وعلى هذا فالهاء ضمير فان تحريك هاء السكت ضعيف الباقون ويتقهى بالاشباع فان تولوا باظهار النون وتشديد التاء البزى وابن فليح كما استخلف مجهولا أبو بكر وعمار وليبدلنهم خفيفا ابن كثير وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد لا يحسبن على الغيبة ابن عامر وحمزة ثلاث عورات بالنصب حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الآخرون بالرفع لبعض شأنهم باسكان الضاد وتشديد الشين شجاع وأبو شعيب وحمله على الاخفاء أولى منه على الادغام يرجعون مبنيا للفاعل

عباس ويعقوب ۞ الوقوف وأطعنا ط المفلحون ○ الفائزون ○ ليخرجن ط لاتقسموا ج لحق المحذوف مع اتحاد المقول معروفة ط تعملون ○ الرسول ج للشرط مع الفاء ماحملتم ط تهتدوا ط المبين ○ من قبلهم ص أمنا ط بناء على أن ما بعده مستأنف شيأ ط الفاسقون ○ ترجعون ط فى الارض ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول النار ط المصير ○ مرات ط أى متى كذا وكذا العشاء قف عيد

من قرأ ثلاث عورات بالرفع أي هو ثلاث لكم ط بعدهن ط أي هم طوافون على بعض ص الآيات ط حكيم ○ من قبلهم ط
آياته ط حكيم ○ ط بزينة ط لهن ط عليم ○ صديقكم ط أشتاتا ط بناء على أن ما بعده استئناف حكم طيبة ط للعدول من المخاطبة
الى الغيبة تعقلون ○ يستأذنوه ط ورسوله ط للشرط مع الفاء لهم الله ط رحيم ○ بعضا ط لواذا ج لانقطاع

وحدها حتى لا تصيبها الشمس اذا غربت وانما لها نصيبها من الشمس بالغداة ما دامت بالجانب الذي يلي الشرق ثم لا يكون لها نصيب منها اذا مالت الى جانب الغرب ولا هي غربية وحدها فتصيبها الشمس بالعشي اذا مالت الى جانب الغرب ولا تصيبها بالغداة ولكنها شرقية غربية تطلع عليها الشمس بالغداة وتغرب عليها فيصيبها حر الشمس بالغداة والعشي قالوا واذا كانت كذلك كان أجود لزيتها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة في قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال لا يسترها من الشمس جبل ولا واد اذا طلعت واذا غربت حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة قال أخبرني عمارة عن عكرمة في قوله لا شرقية ولا غربية قال الشجرة تكون في مكان لا يسترها من الشمس شيء تطلع عليها وتغرب عليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس لا شرقية ولا غربية قال لا هي التي بشق الجبل التي يصيبها شروق الشمس وغروبها اذا طلعت أصابتها واذا غربت أصابتها * وقال آخرون بل معنى ذلك ليست شرقية ولا غربية ذكر من قال ذلك حدثني سليمن بن عبد الجبار قال ثني محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس لا شرقية ولا غربية قال هي شجرة وسط الشجر ليست من الشرق ولا من الغرب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية متيامنة الشام لا شرقي ولا غربي * وقال آخرون ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عوف عن الحسن في قول الله لا شرقية ولا غربية قال والله لو كانت في الارض لكانت شرقية أو غربية ولكنما هو مثل ضربه الله لنوره حدثنا ابن بشار قال ثنا عثمان يعني ابن الهيثم قال ثنا عوف عن الحسن في قول الله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال لو كانت في الارض هذه الزيتونة كانت شرقية أو غربية ولكن والله ما هي في الارض وانما هو مثل ضربه الله لنوره حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن في قوله لا شرقية ولا غربية قال هذا مثل ضربه الله ولو كانت هذه الشجرة في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية * وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك قول من قال انها شرقية غربية وقال ومعنى الكلام ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشي دون الغداة ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب فهي شرقية غربية وانما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام لان الله انما وصف الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة فاذا كان شجره شرقيا غربيا كان زيته لا شك أجود وأصفى وأضوأ وقوله يكاد زيتها يضيء يقول تعالى ذكره يكاد زيت هذه الزيتونة يضيء من صفائه وحسن ضيائه ولو لم تمسسه نار يقول فكيف اذا مسته النار وانما أريد بقوله توقد من شجرة مباركة أن هذا القرآن من عند الله وأنه كلامه فجعل مثله ومثل كونه من عنده مثل المصباح الذي توقد من الشجرة المباركة التي وصفها جل ثناؤه في هذه الآية وعني بقوله يكاد زيتها يضيء أن حجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولها ولو لم تمسسه نار يقول ولو لم يزدها الله بيانا ووضوحا

النظم مع فاء التعقيب اليم ○ والارض ط عليه ط فصلا بين حال وحال مع العدول من المخاطبة الى الغيبة بما عملوا ○ عليم ○

﴿التفسير﴾ لما حكى سيرة المنافقين وما قالوه وفعلوه أتبعه ذكر ما كان يجب أن يفعلوه وما يجب أن يسلكه المؤمنون من طريق الأخلاق وعن الحسن أنه قرأ قول المؤمنين بالرفع والقراءة المشهورة وهي النصب أقوى قال جار الله لأن أولى الاسمين بكونه اسما أوغلهما في التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين قلت وذلك لاحتمال كون الاضافة فيه لفظية وأن يقولوا يشبه المضمر كما بينا في الأنعام في قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا فلا سبيل الى تنكيره ومعنى كان صح واستقام أي لا ينبغي أن يكون قولهم الا السمع والطاعة عن ابن عباس ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل من عمره فأولئك هم الفائزون وهذه آية جامعة لأسباب الفوز وفقنا الله تعالى للعمل بها ثم حكى عن المنافقين أنهم يريدون أن يؤكدوا أساس الايمان بالأيمان الكاذبة قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين وكانوا يقولون والله ان أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا فنهوا عن هذه الاقسام لما علم من نفاقهم وشقاقهم واضمارهم الغدر والخديعة والا فمن حلف على فعل البر لا يجوز أن ينهى عنه وقوله (طاعة معروفة) مبتدأ محذوف الخبر أي طاعة معلومة لا شك فيها ولا نفاق أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة أو خبر محذوف المبتدأ أي أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة لا ارتياب فيها كطاعة الخلص من المؤمنين أو طاعتكم طاعة

و وضوحا بانزاله هذا القرآن اليهم منبها لهم على توحيده فكيف اذا نبههم به وذكرهم بآياته فزادهم به حجة الى حججه عليهم قبل ذلك فذلك بيان من الله ونور على البيان والنور الذى كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله وقوله نور على نور يعنى النار على هذا الزيت الذى كاد يضىء ولو لم تمسسه النار كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نور على نور قال النار على الزيت «قال أبو جعفر» وهو عندى كما ذكرت مثل القرآن ويعنى بقوله نور على نور هذا القرآن نور من عند الله أنزله الى خلقه يستضيئون به على نور على الحجج والبيان الذى قد نصبه لهم قبل مجىء القرآن وانزاله اياه مما يدل على حقيقة وحدانيته فذلك بيان من الله ونور على البيان والنور الذى كان وضعه لهم ونصبه قبل نزوله وذكر عن زيد بن أسلم فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم فى قوله نور على نور يضىء بعضه بعضا يعنى القرآن وقوله يهدى الله لنوره من يشاء يقول تعالى ذكره يوفق الله لاتباع نوره وهو هذا القرآن من يشاء من عباده وقوله ويضرب الله الامثال للناس يقول ويمثل الله الامثال والاشباه للناس كما مثل لهم مثل هذا القرآن فى قلب المؤمن بالمصباح فى المشكاة وسائر ما فى هذه الآية من الامثال والله بكل شىء عليم يقول والله بضرب الامثال وغيرها من الاشياء كلها ذو علم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فى بيوت أذن الله أن ترفع الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فى بيوت أذن الله أن ترفع كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المشكاة التى فيها الفتيلة التى فيها المصباح قال المصابيح فى بيوت أذن الله أن ترفع «قال أبو جعفر» قد يحتمل أن تكون فى من صلة توقد فيكون المعنى توقد من شجرة مباركة ذلك المصباح فى بيوت أذن الله أن ترفع وعنى بالبيوت المساجد وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم بالذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد ونصر بن عبد الرحمن الاودى قالا ثنا حكام عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قول الله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال المساجد حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع وهى المساجد تكرم ونهى عن اللغو فيها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع يعنى كل مسجد يصلى فيه جامع أو غيره حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال مساجد تبنى حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا

معروفة بأنها بالقول دون الفعل ثم صرف الكلام من الغيبة الى الخطاب لمزيد التبكيت والعتاب ومعنى (فان تولوا) فان تتولوا فحذف احدى التاءين وما حمل الرسول هو أداء الرسالة وما حمل على الامة هو الطاعة والانقياد والبلاغ المبين كون التبليغ مقرونا بالآيات والمعجزات أو كونه واقعا على سبيل المجاهرة لا المداهنة وههنا شبه اضمار والتقدير بلغ أيها (١١١) الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون فقد وعد الله الذين آمنوا منكم أى جمعوا بين الايمان والعمل الصالح وفى الوعد معنى القسم لأن وعد الله محقق الوقوع ولذلك قال فى جوابه (ليستخلفنهم) أو القسم محذوف أى أقسم لجعلنكم خلفاء فى الارض كما فعل ببنى اسرائيل حين أورثهم مصر والشأم بعد اهلاك الجبابرة (وليمكنن) لاجلهم الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكين الدين تثبيته واشادة قواعده كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه فسئموا وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل فى الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وورثوا ملك الاكاسرة وخزائنهم وهذا اخبار بالغيب فيكون معجزا ومحل (يعبدوننى) نصب على الحال أى وعدهم ذلك فى حال عبادتهم واخلاصهم أو هو استئناف كأن قائلا قال مالهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى وعلى الوجهين فقوله (لا يشركون) بدل من يعبدوننى أو بيان لها وفيه دليل على أن المقصود من الكل هو عبادة الله تعالى والاخلاص له (ومن كفر) بهذه النعم الجسام وهى الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف بعد حصول ذلك أو بعد ما ذكر (فأولئك هم) الكاملون فى الفسق قال أهل السنة فى الآية دلالة على امامة الخلفاء الراشدين لان قوله (منكم) للتبعيض وذلك البعض يجب أن يكون من الحاضرين فى وقت الخطاب ومعلوم أن الأئمة الاربعة كانوا من أهل الايمان والعمل الصالح وكانوا حاضرين وقتئذ وقد حصل لهم الاستخلاف والفتوح فوجب أن يكونوا مرادين من الآية واعترض بأن قوله منكم لم لا يجوز أن يكون للبيان ولم لا يجوز أن يراد بالاستخلاف فى الارض هو امكان التصرف والتوطن

فيها كما في حق بني اسرائيل سلمنا لكن لم لا يجوز أن يراد به خلافة علي عليه السلام والجمع للتعظيم أو يراد هو وأولاده الاحد عشر بعده وقيل ان في قوله (ومن كفر بعد ذلك) اشارة الى الخلفاء المتغلبين بعد الراشدين يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا (وأقيموا الصلاة) معطوف (٢ ١ ١) على أطيعوا وليس ببدع أن يقع بين المعطوفين فاصلة وان طالت وكررت طاعة الرسول للتأكيد من قرأ لا يحسبن على الغيبة فمفعولاه معجزين في الارض أي لا يحسبن الكفرة أحدا يعجز الله في الأرض حتى يطمعوهم في مثل ذلك وفاعله ضمير النبي أو المفعول الاول محذوف لأنه هو الفاعل بعينه أي لا يحسبن الكفار أنفسهم معجزين والمراد بهم الذين أقسموا أو عام قوله (ومأواهم) قال جار الله هو معطوف على ما تقدم معنى كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله عز وجل ومأواهم النار وحين ذكر من دلائل التوحيد وأحوال المكلفين ما ذكر تنشيطا للاذهان وترغيبا فيما هو الغرض الأصلي من التكاليف وهو العرفان عاد الى ما انجر منه الكلام وهو الحكم العام في باب الاستئذان فذكره ههنا على وجه أخصر فقال (ليستأذنكم) قال القاضي هذا الخطاب للرجال ظاهرا ولكنه من باب التغليب فيدخل فيه النساء وقال الامام فخر الدين الرازي يثبت للنساء بقياس جلي لأنهن في باب حفظ العورة أشد حالا من الرجال وظاهر قوله (الذين ملكت أيمانكم) يشمل البالغين والصغار فالأمر للبالغين على الحقيقة وللصغار على وجه البيان والتأديب كما يؤمرون بالصلاة لسبع أو هو تكليف لنا لما فيه من المصلحة لتناولهم بعد البلوغ كقولك للرجل ليخفك أهلك وولدك فظاهره الامر لهم وحقيقة الامر له بفعل ما يخافون عنده وعن ابن عباس أن المراد الصغار وليس للكبار أن ينظروا الى مالكيهم الا الى ما يجوز للحر أن ينظر اليه ثم انه هل يشمل الاماء فعن ابن عمر ومجاهد لا وعن غيرهما نعم لأن الانسان كما يكره اطلاع الذكور على أحواله فقد يكره أيضا اطلاع الاناث عليها عن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله في بيوت أذن الله أن ترفع قال في المساجد * قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون المساجد بيوت الله وانه حق على الله أن يكرم من زاره فيها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن سالم بن عمر في قوله في بيوت أذن الله أن ترفع قال هي المساجد **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله في بيوت أذن الله أن ترفع قال المساجد * وقال آخرون عني بذلك البيوت كلها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد ونصر ابن عبد الرحمن الأودي قالا حدثنا حكام بن سلم عن اسمعيل بن أبي خالد عن عكرمة في بيوت أذن الله أن ترفع قال هي البيوت كلها وانما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لدلالة قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله على أنها بيوت بنيت للصلاة فلذلك قلنا هي المساجد واختلف أهل التأويل في تأويل قوله أذن الله أن ترفع فقال بعضهم معناه أذن الله أن تبنى ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أذن الله أن ترفع قال تبنى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معناه أذن الله أن تعظم ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله أذن الله أن ترفع يقول أن تعظم لذكره وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله مجاهد وهو أن معناه أذن الله أن ترفع بناء كما قال جل ثناؤه واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية وقوله ويذكر فيها اسمه يقول وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها وقد قيل عني به أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فيها ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم قال ويذكر فيها اسمه يقول يتلى فيها كتابه وهذا القول قريب المعنى مما قلناه في ذلك لأن تلاوة كتاب الله من معاني ذكر الله غير أن الذي قلنا به أظهر معنييه فلذلك اخترنا القول به وقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اختلفت القراء في قراءة قوله يسبح له فقرأ ذلك عامة قراء الامصار يسبح له بضم الياء وكسر الباء بمعنى يصلي له فيها رجال ويجعل يسبح فعلا للرجال وخبرا عنهم وترفع به الرجال سوى عاصم وابن عامر فانهما قرآ ذلك يسبح له بضم الياء وفتح الباء على ما لم يسم فاعله ثم يرفعان الرجال بخبر ثان مضمر كأنهما أرادا يسبح لله في البيوت التي أذن الله أن ترفع فسبح له رجال فرفعا الرجال بفعل مضمر والقراءة التي هي أولاهما بالصواب قراءة من كسر الباء وجعله خبرا للرجال وفعلا لهم وانما كان الاختيار رفع الرجال بمضمر من الفعل لو كان الخبر عن البيوت لا يتم الا بقوله يسبح له فيها فأما والخبر عنها دون ذلك تام فلا وجه لتوجيه قوله يسبح له الى غيره (١) فالى غير الخبر عن الرجال وعني بقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يصلي له في هذه البيوت بالغدوات والعشيات رجال وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من

(١) لعله أي غير الخ تأمل كتبه مصححه

قال

وانى لآمر جارتى أن تستأذن على" أراد امرأته وكان ابن عباس ينام بين جاريتين ومن العلماء من قال هذا الامر للاستحباب ومنهم من قال للوجوب ومن هؤلاء من قال انه ناسخ لقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا لأن ذلك يدل على أن الاستئذان واجب فى كل حال وهذا يدل على وجوبه فى الأوقات الثلاثة فقط ومنع لزوم النسخ بأن الأولى فى المكلفين وهذه فى غير المكلفين قالوا الذين

قال ذلك حدثنى على بن الحسن الازدى قال ثنا المعافى بن عمران عن سفيان عن عمار الدهنى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ثم قال يسبح له فيها بالغدو والآصال يقول يصلى له فيها بالغداة والعشى يعنى بالغدو صلاة الغداة ويعنى بالآصال صلاة العصر وهما أول ما افترض الله من الصلاة فأحب أن يذكرهما ويذكر بهما عباده حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال أذن الله أن تبنى فيصلى فيها بالغدو والآصال حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول فى قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يعنى الصلاة المفروضة وقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول تعالى ذكره لا يشغل هؤلاء الرجال الذين يصلون فى هذه المساجد التى أذن الله أن ترفع عن ذكر الله فيها واقام الصلاة تجارة ولا بيع كما حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سعيد بن أبى الحسن عن رجل نسى اسمه فى هذه الآية فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الى قوله والابصار قال هم قوم فى تجاراتهم وبيوعهم لا تلهيهم تجاراتهم ولا بيوعهم عن ذكر الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جعفر بن سليمن عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله أنه نظر الى قوم من السوق قاموا وتركوا بياعاتهم الى الصلاة فقال هؤلاء الذين ذكر الله فى كتابه لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية * قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن سيار عمن حدثه عن ابن مسعود بنحو ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن سيار قال حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودى بالصلاة تركوا بياعاتهم ونهضوا الى الصلاة فقال عبد الله هؤلاء من الذين ذكر الله فى كتابه لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله * وقال بعضهم معنى ذلك لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن صلاتهم المفروضة عليهم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ثم قال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول عن الصلاة المكتوبة وقوله واقام الصلاة يقول ولا يشغلهم ذلك أيضا عن اقام الصلاة بحدودها فى أوقاتها * وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد قال ثنا عوف عن سعيد بن أبى الحسن عن رجل نسى عوف اسمه فى واقام الصلاة قال يقومون للصلاة عند مواقيت الصلاة فان قال قائل أو ليس قوله واقام الصلاة مصدرا من قوله أقمت قيل بلى فان قال أو ليس المصدر منه اقامة كالمصدر من أجرت اجارة قيل بلى فان قال وكيف قال واقام الصلاة أو تجيز أن تقول أقمت اقاما قيل ولكنى أجيز أعجبنى اقام الصلاة فان قيل وما وجه جواز ذلك قيل ان الحكم فى أقمت اذا جعل منه مصدر أن يقال اقواما كما يقال أقعدت فلانا اقعادا وأعطيته اعطاء ولكن العرب لما سكنت الواو من أقمت فسقطت لاجتماعها وهى ساكنة والميم وهى ساكنة بنوا المصدر على ذلك اذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الافعال وهى ساكنة فسقطت الاولى منهما فأبدلوا منها هاء فى آخر الحرف

ملكت أيمانكم يشمل البالغين قلنا لو سلم فلا نسخ أيضا لأن قوله غير بيوتكم لا يشمل العبد لأن الاضافة توجب الاختصاص والملكية والعبد لا علك شيأ فلا علك البيت أمر المماليك والأطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وهذا معنى قوله (منكم) أن يستأذنوا ثلاث مرات فى اليوم والليلة احداها قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع ووقت استبدال ثياب اليقظة بثياب النوم وثانيتها عند الظهيرة وهو نصف النهار عند اشتداد الحر وظهوره فحينئذ يضع الناس ثيابهم غالبا وثالثها بعد صلاة العشاء يعنى الآخرة لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثم بين حكمة الاستئذان فى هذه الأوقات فقال (ثلاث عورات) فمن قرأ ثلاث بالرفع فظاهر كما مر فى الوقوف ومن قرأ بالنصب فقد قال فى الكشاف انه بدل من ثلاث مرات أى أوقات ثلاث عورات قلت هذا بناء على أن قوله ثلاث مرات ظرف ويجوز أن يكون ثلاث مرات مصدرا بمعنى ثلاثة استئذانات ويكون ثلاث عورات تفسيرا وبيانا للاوقات الثلاثة لأنها منصوبة تقديرا وأصل العورة الخلل ومنه الاعور المختل العين وأعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب وأعور المكان اذا خيف فيه القطع قال جار الله اذا رفعت ثلاث عورات فحل هذه الجملة الرفع على الوصف أى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستئذان فى تلك الاحوال خاصة ثم بين وجه العذر بقوله (طوافون عليكم) وهم الذين يكثرون الدخول والخروج والتردد يعنى أن بكم وبهم حاجة الى المداخلة والمخالطة للاستخدام ونحوه وارتفع

(بعضكم) بالابتداء وخبره (على بعض) أو بالفاعلية أى بعضكم طائف أو يطوف بعضكم على بعض يدل على المحذوف طوّافون وفى الآية دلالة على وجوب اعتبار العلل فى الأحكام ما أمكن يروى أن مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا

كالتكثير للحرف كما فعلوا ذلك فى قولهم وعدته عدة ووزنته زنة اذ ذهبت الواو من أوله كثروه من آخره بالهاء فلما اضيفت الاقامة الى الصلاة حذفوا الزيادة التى كانوا زادوها للتكثير وهى الهاء فى آخرها لأن الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد فاستغنوا بالمضاف اليه من الحرف الزائد وقد قال بعضهم فى نظير ذلك

ان الخليط أجدوا البين فانجردوا ✱ وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا

يريد عدة الامر فأسقط الهاء من العدة لما أضافها فكذلك ذلك فى اقام الصلاة وقوله وايتاء الزكاة قيل معناه واخلاص الطاعة لله ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وقوله وأوصانى بالصلاة والزكاة وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا وقوله وحنانا من لدنا وزكاة ونحو هذا فى القرآن قال يعنى بالزكاة طاعة الله والاخلاص وقوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار يقول يخافون يوما تتقلب فيه القلوب من هوله بين طمع بالنجاة وحذر بالهلاك والابصار أى ناحية يؤخذ بهم أذات اليمين أم ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل الأيمان أم من قبل الشمائل وذلك يوم القيامة كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الله بن عياش قال زيد بن أسلم فى قول الله فى بيوت أذن الله أن ترفع الى قوله تتقلب فيه القلوب والابصار يوم القيامة وقوله ليجزيهم الله أحسن ما عملوا يقول فعلوا ذلك يعنى أنهم لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا ربهم مخافة عذابه يوم القيامة كى يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ويزيدهم على ثوابه اياهم على أحسن أعمالهم التى عملوها فى الدنيا من فضله فيفضل عليهم من عنده بما أحب من كرامته لهم وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب يقول تعالى ذكره يتفضل على من شاء وأراد من طوله وكرامته مما لم يستحقه بعمله ولم يبلغه بطاعته بغير حساب يقول بغير محاسبة على ما بذل له وأعطاه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به فقال والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن وبمن جاء به مثل أعمالهم التى عملوها كسراب يقول مثل سراب والسراب ما لصق بالارض وذلك يكون نصف النهار وحين يشتد الحر والآل ما كان كالماء بين السماء والارض وذلك يكون أول النهار يرفع كل شئ ضحى وقوله بقيعة وهى جمع قاع كالجيرة جمع جار والقاع ما انبسط من الأرض واتسع وفيه يكون السراب وقوله يحسبه الظمآن ماء يقول يظن العطشان من الناس السراب ماء حتى اذا جاءه والهاء من ذكر السراب والمعنى حتى اذا جاء الظمآن السراب ملتمسا ماء يستغيث به من عطشه لم يجده شيأ يقول لم يجد السراب شيأ فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التى عملوها فى غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه كما حسب الظمآن الذى رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه حتى اذا هلك وصار الى الحاجة الى عمله الذى كان يرى أنه نافعه عند الله لم يجده ينفعه شيأ لأنه كان

وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية ثم بين حكم الأطفال الاحرار بعد البلوغ وهو أن لا يكون لهم الدخول الا باذن فى جميع الاوقات ومعنى (الذين من قبلهم) الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال الذين ذكروا من قبلهم فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا الآية ومتى يحكم ببلوغ الطفل اتفقوا على أنه اذا احتلم كان بالغا وأما اذا لم يحتلم فعند عامة العلماء وعليه الشافعى أنه اذا بلغ خمس عشرة سنة فهو بالغ حكما لما روى أن ابن عمر عرض على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد فلم يجزه وكان له أقل من خمس عشرة سنة وعرض عليه يوم الخندق وكان ابن خمس عشرة سنة فأجازه وعن بعض السلف ويروى عن على عليه السلام أيضا أنه كان يعتبر القامة ويقدر بخمسة الأشبار وعليه يحمل قول الفرزدق

مازال مذ عقدت يداه ازاره
فسما وأدرك خمسة الأشبار

وانبات العانة غير معتبر الا فى حق الأطفال الكفار وقد مر فى أوّل سورة النساء وانما ختم هذه الآية بقوله (كذلك يبين الله لكم آياته) وقبلها وبعدها لكم الآيات لأنهما يشتملان على علامات يمكن الوقوف عليها وهى فى الأولى الاوقات الثلاثة وفى الآخرة من بيوتكم أو بيوت آبائكم الى آخرها ومثلهما فى قوله يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات يعنى حد الزانيين وحد القاذف وأما بلوغ الأطفال فلم يذكر لها علامات يمكن الوقوف عليها بل تفرد سبحانه بعلم ذلك فخصها بالاضافة الى نفسه (والله عليم) بمصالح العباد (حكيم) فى أوامره ونواهيه ثم بين حكم

عمله على كفر بالله و وجـد الله هذا الكافر عند هلا كه بالمرصاد فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التى عملها فى الدنيا وجازاه بها جزاءه الذى يستحقه عليها منه فان قال قائل وكيف قيـل حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فان لم يكن السراب شيأ فعلام أدخلت الهاء فى قوله حتى اذا جاءه قيـل انه شئ يرى من بعيـد كالضباب الذى يرى كثيفا من بعيـد والهباء فاذا قرب منه المرء رق وصار كالهواء وقد يحتمل أن يكون معناه حتى اذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيأ فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه والله سريع الحساب يقول والله سريع حسابه لأنه تعالى ذكره لا يحتاج الى عقـد أصابع ولا حفظ بقلب ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد ما عمله * و بنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهـل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبـد الأعلى بن واصـل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال ثم ضرب مثلا آخر فقال والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعـة قال وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله خيرا فلا يجد فيدخله النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن أبى العالية عن أبى بن كعب بنحوه حدثنى على قال ثنا عبـد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله أعمالهم كسراب بقيعة يقول الأرض المستوية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الى قوله والله سريع الحساب قال هو مثل ضربه الله لرجل عطش فاشتد عطشه فرأى سرابا فحسبه ماء فطلبـه وظن أنه قد قدر عليـه حتى أتاه فلما أتاه لم يجده شيـأ وقبض عند ذلك يقول الكافر كذلك يحسب أن عمله مغن عنه أو نافعه شيأ ولا يكون آتيا على شئ حتى يأتيه الموت فاذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيـأ ولم ينفعه الا كما نفع العطشان المشتد الى السراب حدثنى محمـد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهـد فى قول الله كسراب بقيعـة قال بقاع من الارض والسراب عمله زاد الحرث فى حديثه عن الحسن والسراب عمل الكافر اذا جاءه لم يجده شيـأ اتيانه اياه موته وفراقـه الدنيا و وجد الله عند فراقه الدنيا فوفاه حسابه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبـد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله كسراب بقيعة قال بقيعة من الأرض يحسبه الظمآن ماء هو مثل ضربه الله لعمل الكافر يقول يحسب أنه فى شئ كما يحسب هذا السراب ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ وكذلك الكافر اذا مات لم يجد عمله شيأ و وجد الله عنده فوفاه حسابه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين كفروا الى قوله و وجد الله عنـده قال هذا مثل ضربه الله للذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة قـد رأى السراب و وثق بنفسـه أنه ماء فلما جاءه لم يجده شيأ قال وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة وأنهم سيرجعون منها الى خير فلم يرجعوا منها الا كما رجع صاحب السراب فهذا مثل ضربه الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده

النساء اللواتى خرجن عن محـل الفتنة والتهمة فقال (والقواعد) وهى جمع قاعد بغير هاء كالحائض والطالق وقد زعم صاحب الكشاف أنها جمع قاعـدة بالهاء وفيه نظر لانه من أوصاف النساء الخاصة بهن سميت بذلك لقعودها عن الحيض والولد لكبرها ولذلك أكد بقوله (اللاتى لا يرجون نكاحا) أى لا يطمعن فيه لعدم من يرغب فيهن وليست من القعود بمعنى الجلوس حتى يحتاج الى الفرق بين المذكر والمؤنث ولا شبهة أنه لا يحـل لهن وضع كل ثيابهن لما فيه من كشف كل عـورة فلذلك قال المفسرون المراد بالثياب ههنا الجلباب والرداء والقناع الذى فوق الخمار وعن ابن عباس أنه قرأ أن يضعن جلابيبهن وعن السـدى عن شيوخه يضعن خمرهن عن رؤسهن خصهن الله تعالى بذلك لان التهمـة مرتفعـة عنهن وقد بلغن هـذا المبلغ فلو غلب على ظنهن خلاف ذلك لم يحل لهن وضـع شئ من الثياب الظاهـرة وانما أبيح وضع الثياب حال كونهن (غير متبرجات بزينة) أى غير مظهرات شـيأ من الزين الخفية المذكورة فى قـوله ولا يبـدين زينتهـن الا لبعولتهن أو غـير قاصدات بالوضع التـبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليـه وحقيقة التـبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهـم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سـعة العـين يرى بياضها محيطا بسوادها لا يغيب منه شئ واختص التـبرج فى الاستعمال بتكشف المـرأة للرجال وحـين ذكر الجائز عقبه بالمستحب تنبيها على اختيار الافضـل فى كل باب فقـال (وأن يسـتعففن خير لهن) وذلك أنهن فى الجمـلة مظنة شـهوة وفتنة وان عرض عارض الكـبر والنحـول فلكل ساقطة لاقطة وسئل بعض الظرفاء المـذكورين عن حكمـة تستر النساء فقال لانهن محل فتنـة وشـهوة فقيـل فعـلى هـذا كان ينبغى أن لا يحسن تكليف العجائز بالتستر فأجاب بأنه كان يلزم اذ ذاك مصيبتان احداهما عدم رؤية الحسان والثانيـة لزوم رؤية القباح ثم ختم السورة بسائر الصور التى يعتبر فيها الاذن فقال (ليس على الاعمى حرج) نفى الحرج عن الاصناف الثلاثة ذوى العاهات ثم قال (ولا على أنفسكم أن تأكلوا) فذهب ابن زيد الى أن المراد نفى الحرج عنهم فى القعود عن الجهاد ثم عطف على ذلك أنه لا حرج عليكم أن تأكلوا من البيوت

المذكورة ووجه صحة العطف التقاء الطائفتين فى أن كل واحدة منهما منفى عنها الحرج قال جار الله مثال هذا أن يستفتيك مسافر عن الافطار فى رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر وقال آخرون كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء (116) وذوى الآفات الى بيوت أزواجهم وأولادهم والى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب الكل ريبة خوفا من أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على هؤلاء الضعفاء ولا على أنفسكم يعنى عليكم وعلى من فى مثل حالكم من المؤمنين حرج فى ذلك قال قتادة كانت الانصار فى أنفسها قزازة وكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا والقزازة احتراز مع القزة وهى مدح والكزازة ذم وروى الزهرى عن سعيد بن المسيب وغيره أن المسلمين كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء فى بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون كما يحكى عن الحرث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد فى ماله وبيته فلما رجع رآه مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندى شئ ولم يحل لى أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت قال الأكثرون كان هؤلاء الضعفاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم فيقول الاعمى انى لا أرى شيأ فربما آخذ الاجود وأترك الردىء والأعرج يفسح فى مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة أو غيرها من أسباب الكراهة وأيضا كان المؤمنون يقولون الأعمى لا يبصر الطعام الجيد ولا يأكله والاعرج لا يتمكن من الجلوس فلا يقدر على الاكل مما ينبغى والمريض لا يتأتى له أن يأكل كما يأكل الاصحاء فقيل ليس على هؤلاء ولا عليكم فى المؤاكلة حرج ثم انه تعالى عدد من مواضع الاكل أحد عشر موضعا الاول قوله (من بيوتكم) وفيه سؤال وهو أنه أى فائدة فى اباحة أكل الانسان طعامه من بيته والجواب أراد من بيوت أزواجكم وعيالكم

في

لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار يقول تعالى ذكره ومثل أعمال هؤلاء الكفار فى أنها عملت على خطا وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها وعلى غير هدى مثل ظلمات فى بحر لجى ونسب البحر الى اللجة وصفا له بأنه عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه يغشاه موج يقول يغشى البحر موج من فوقه موج يقول من فوق الموج موج آخر يغشاه من فوقه سحاب يقول من فوق الموج الثانى الذى يغشى الموج الأول سحاب فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم والبحر اللجى مثلا لقلب الكافر يقول عمل بنية قلب قد غمره الجهل وتغشته الضلالة والحيرة كما يغشى هذا البحر اللجى موج من فوقه موج من فوقه سحاب فكذلك قلب هذا الكافر الذى مثل عمله مثل هذه الظلمات يغشاه الجهل بالله بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله فتلك ظلمات بعضها فوق بعض * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب الى قوله من نور قال يعنى بالظلمات الأعمال وبالبحر اللجى قلب الانسان قال يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب قال ظلمات بعضها فوق بعض يعنى بذلك الغشاوة التى على القلب والسمع والبصر وهو كقوله ختم الله على قلوبهم الآية وكقوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه الى قوله أفلا تذكرون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أو كظلمات فى بحر لجى عميق وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل فى ضلالة وحيرة قال ظلمات بعضها فوق بعض وروى عن أبى بن كعب ما حدثنى عبد الأعلى ابن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب فى قوله أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج الآية قال ضرب مثلا آخر للكافر فقال أو كظلمات فى بحر لجى الآية قال فهو يتقلب فى خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة الى النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن أبى الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب بنحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج الى قوله ظلمات بعضها فوق بعض قال شر بعضه فوق بعض وقوله اذا أخرج يده لم يكد يراها يقول اذا أخرج الناظر يده فى هذه الظلمات لم يكد يراها فان قال لنا قائل وكيف قيل لم يكد يراها مع شدة هذه الظلمة التى وصف وقد علمت أن قول القائل لم أكد أرى فلانا انما هو اثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدة ومن دون الظلمات التى وصف فى هذه الآية ما لا يرى الناظر يده اذا أخرجها فيه فكيف فيها قيل فى ذلك أقوال نذكرها ثم نخبر بالصواب من ذلك أحدها أن يكون معنى الكلام اذا أخرج يده رائيا لها لم يكد يراها أى لم يعرف من أين يراها فيكون من المقدم الذى معناه التأخير ويكون تأويل الكلام على ذلك اذا أخرج يده لم يقرب أن يراها والثانى أن يكون معناه اذا أخرج يده لم يرها ويكون قوله لم يكد

في دخوله في الكلام نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام كقوله وظنوا ما لهم من محيص ونحو ذلك والثالث أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد كما يقول القائل لآخر ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه ولكن بعد يأس وشدة وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب أكاد في كلامها والقول الآخر الذي قلنا انه يتوجه الى أنه بمعنى لم يرها قول أوضح من جهة التفسير وهو أخفى معانيه وانما حسن ذلك في هذا الموضع أعني أن يقول لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر لان ذلك مثل لا خبر عن كائن كان ومن لم يجعل الله له نورا يقول من لم يرزقه الله ايمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه فما له من نور يقول فما له من ايمان وهدى ومعرفة بكتابه

القول في تأويل قوله تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فتعلم أن الله يصلي له من في السموات والارض من ملك وانس وجن والطير صافات في الهواء أيضا تسبح له كل قد علم صلاته وتسبيحه (٢) والتسبيح عندك صلاة فيقال قيل ان الصلاة لبني آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق ولذلك فصل فيما بين ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال والصلاة للانسان والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال صلاته للناس وتسبيحه عامة لكل شئ ويتوجه قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه لوجوه أحدها أن تكون الهاء التي في قوله صلاته وتسبيحه من ذكر كل فيكون تأويل الكلام كل مصل ومسبح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه ويكون الكل حينئذ مرتفعا بالعائد من ذكره في قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه وهو الهاء التي في الصلاة والوجه الآخر أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح أيضا للكل ويكون الكل مرتفعا بالعائد من ذكره عليه في علم ويكون علم فعلا للكل فيكون تأويل الكلام حينئذ قد علم كل مصل ومسبح منهم صلاة نفسه وتسبيحه الذي كلفه وألزمه والوجه الآخر أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح من ذكر الله والعلم للكل فيكون تأويل الكلام حينئذ قد علم كل مسبح ومصل صلاة الله التي كلفه اياها وتسبيحه وأظهر هذه المعاني الثلاثة على هذا الكلام المعنى الاول وهو أن يكون المعنى كل مصل منهم ومسبح قد علم الله صلاته وتسبيحه وقوله والله عليم بما يفعلون يقول تعالى ذكره والله ذو علم بما يفعل كل مصل ومسبح منهم لا يخفى عليه شئ من أفعالهم طاعتها ومعصيتها محيط بذلك كله وهو مجازيهم على ذلك كله وقوله ولله ملك السموات والارض يقول جل ثناؤه ولله سلطان السموات والارض وملكها دون كل من هو دونه من

(٢) يظهر أن في الكلام سقطا يدرك من قوله فيقال قيل الخ تأمل كتبه مصححه

لان بيت المرأة بيت الزوج قاله الفراء وقال ابن قتيبة أراد بيوت أولادهم ولهذا لم يذكر الأولاد في جملة الأقارب وان الولد أقرب الاقربين لانه بعض الرجل وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه وباقي البيوت لا اشكال فيها الى البيت العاشر وهو قوله (أو ما ملكتم مفاتحه) وفيه وجوه أحدها قال ابن عباس وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتيح كونها في يده وحفظه وثانيها قال الضحاك يريد الزمنى الذين يخلفون الغزاة وثالثها قال أراد بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه الحادي عشر قوله (أو صديقكم) ومعناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا كالعدو وعن الحسن أنه دخل داره واذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الاطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد أكابر الصحابة وعن جعفر الصادق بن محمد عليه السلام من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الانس والثقة والانبساط بمنزلة النفس والاب والاخ والابن قال العلماء اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه في الاكل منه احتج أبو يوسف بالآية على أنه لا قطع على من سرق من ذي رحم محرم وذلك أنه تعالى أباح الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذن فلا يكون ماله محرزا منهم وأورد عليه أن لا يقطع اذا سرق من صديقه فأجاب بأن السارق لا يكون صديقا للمسروق منه واعلم أن ظاهر الآية تدل على أن اباحة الاكل من هذه المواضع لا تتوقف على الاستئذان فعن قتادة أن الاكل مباح ولكن لا يحمل وجمهور العلماء أنكروا ذلك فقيل كان ذلك مباحا في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه ومما يدل على هذا النسخ قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وقال أبو مسلم هذا في الاقارب الكفرة وفي هذه الآية اباحة ما حظر وفي قوله لا تجد قوما يؤمنون

بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله وقيل ان هؤلاء القوم كانت تطيب أنفسهم بأكل من يدخل عليهم والعادة كالاذن في ذلك فلا حرج خصهم الله بالذكر لأن هذه العادة في الأغلب توجد فيهم ولذلك ضم اليهم الصديق واذا علمنا أن الاباحة انما حصلت في هذه الصورة لاجل حصول الرضا فلا حاجة الى القول بالنسخ (١١٨) وحين نفى الحرج عنهم في نفس الاكل أراد أن ينفي الحرج عنهم في كيفية الاكل فقال (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) وانتصب قوله (جميعا أو أشتاتا) على الحال أي مجتمعين أو متفرقين والأشتات جمع شت وهو نعت وقيل مصدر وصف به ثم أجمع أكثر المفسرين ومنهم ابن عباس على أنها نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون عن الانفراد في الطعام فربما قعد الرجل منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل وقال عكرمة وأبو صالح نزلت في قوم من الانصار لا يأكلون الا مع ضيفهم وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى طعاما على حدة وكذلك الزمن والمريض فبين الله لهم أن ذلك غير واجب وقال آخرون كانوا يأكلون فرادى خوفا من أن يحصل عند الجمعة ما ينفر أو يؤذي فرفع الله الحرج ثم علمهم أدبا جميلا قائلا (فاذا دخلتم بيوتا) أي من البيوت المذكورة لتأكلوا (فسلموا على أنفسكم) أي ابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وانتصب (تحية) بسلموا نحو قعدت جلوسا ومعنى (من عند الله) أنها ثابتة من عنده مشروعة من لدنه أو أراد أن التحية طلب حياة للمخاطب من عند الله وكذا التسليم طلب السلامة له من عنده ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق

بذلك

وتضعيف الثواب عن أنس قال كنت واقفا على رأس النبي صلى الله عليه وسلم أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبي وأمي يا رسول الله قال متى لقيت من أمتي أحدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين قال العلماء ان لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا

سلطان وملك فاياه فارهبوا أيها الناس واليه فارغبوا الا الى غيره فان بيده خزائن السموات والارض لا يخشى بعطاياكم منها فقرا والى الله المصير يقول وأنتم اليه بعد وفاتكم مصيركم ومعادكم فيوفيكم أجور أعمالكم التي عملتموها في الدنيا فأحسنوا عبادته واجتهدوا في طاعته وقدموا لأنفسكم الصالحات من الاعمال ⁂ القول في تأويل قوله تعالى (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء و يصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أن الله يزجي يعني يسوق سحابا حيث يريد ثم يؤلف بينه يقول ثم يؤلف بين السحاب وأضاف بين الى السحاب ولم يذكر معه غيره و بين لا تكون مضافة الا الى جماعة أو اثنين لان السحاب في معنى جمع واحده سحابة كما يجمع النخلة نخل والتمرة تمر فهو نظير قول قائل جلس فلان بين النخل وتأليف الله السحاب جمعه بين متفرقها وقوله ثم يجعله ركاما يقول ثم يجعل السحاب الذي يزجيه و يؤلف بعضه الى بعض ركاما يعني متراكبا بعضه على بعض وقد حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا خالد قال ثنا مطر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبيد بن عمير الليثي قال الرياح أربع يبعث الله الريح الاولى فتقم الارض قما ثم يبعث الثانية فتنشئ سحابا ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركاما ثم يبعث الرابعة فتمطره وقوله فترى الودق يخرج من خلاله يقول فترى المطر يخرج من بين السحاب وهو الودق قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها ⁂ ولا أرض أبقل ابقالها

والهاء في قوله من خلاله من ذكر السحاب والخلال جمع خلل وذكر عن ابن عباس وجماعة أنهم كانوا يقرؤن ذلك من خلله حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة قال ثنا قتادة عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف فترى الودق يخرج من خلاله من خلله ⁂ قال ثنا شعبة قال أخبرني عمارة عن رجل عن ابن عباس أنه قرأ هذا الحرف فترى الودق يخرج من خلاله من خلله حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال أخبرني عمارة بن أبي حفصة عن رجل عن ابن عباس أنه قرأها من خلله بفتح الخاء من غير ألف ⁂ قال هرون فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال انها لحسنة ولكن خلاله أعم وأما قراء الامصار فانهم على القراءة الاخرى من خلاله وهي التي نختار لاجماع الحجة من القراء عليها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فترى الودق يخرج من خلاله قال الودق القطر والخلال السحاب وقوله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل في ذلك قولان أحدهما أن معناه وأن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من برد مخلوقة هنالك خلقة كأن الجبال على هذا القول هي من برد كما يقال جبال من طين والقول الآخر أن الله ينزل من السماء قدر جبال وأمثال جبال من برد الى الارض كما يقال عندي بيتان تبنا والمعنى قدر بيتين من التبن والبيتان ليسا من التبن وقوله فيصيب به من يشاء و يصرفه عمن يشاء يقول فيعذب

بذلك الذي ينزل من السماء من جبال فيها من برد من يشاء فيهلكه أو يهلك به زروعه وماله ويصرفه عمن يشاء من خلقه يعني عن زروعهم وأموالهم وقوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقول يكاد شدة ضوء برق هذا السحاب يذهب بأبصار من لاقى بصره والسنا مقصور وهو ضوء البرق كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله يكاد سنا برقه قال ضوء برقه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله يكاد سنا برقه يقول لمعان البرق يذهب بالابصار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار قال سناه ضوءه يذهب بالابصار وقرأت قراء الامصار يكاد سنا برقه يذهب بفتح الياء من يذهب سوى أبي جعفر القارئ فانه قرأه بضم الياء يذهب بالابصار والقراءة التي لا أختار غيرها هي فتحها لاجماع الحجة من القراء عليها وأن العرب اذا أدخلت الباء في مفعول ذهبت لم يقولوا الا ذهبت به دون أذهبت به واذا أدخلوا الالف في أذهبت لم يكادوا أن يدخلوا الباء في مفعوله فيقولون أذهبته وذهبت به وقوله يقلب الله الليل والنهار يقول يعقب الله بين الليل والنهار ويصرفهما اذا أذهب هذا جاء هذا واذا أذهب هذا جاء هذا ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار يقول ان في انشاء الله السحاب وانزاله منه الودق ومن السماء البرد وفي تقليبه الليل والنهار لعبرة لمن اعتبر به وعظة لمن اتعظ به ممن له فهم وعقل لان ذلك ينبئ ويدل على أنه مدبرا ومصرفا ومقلبا لا يشبهه شيء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير) اختلفت القراء في قراءة قوله والله خلق كل دابة من ماء فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم والله خالق كل دابة وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وعاصم والله خلق كل دابة بنصب كل وخلق على مثال فعل وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى وذلك أن الاضافة في قراءة من قرأ ذلك خالق تدل على أن معنى ذلك المضي فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله خلق كل دابة من ماء يعني من نطفة فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات وما أشبهها وقيل انما قيل فمنهم من يمشي على بطنه والمشي لا يكون على البطن لان المشي انما يكون لما له قوائم على التشبيه وأنه لما خالط ماله قوائم ما لا قوائم له جاز كما قال ومنهم من يمشي على رجلين كالطير ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم فان قال قائل فكيف قيل فمنهم من يمشي ومن للناس وكل هذه الاجناس أو أكثرها لغيرهم قيل لانه تفريق ما هو داخل في قوله والله خلق كل دابة وكان داخلا في ذلك الناس وغيرهم ثم قال فمنهم لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم في ذلك واختلاطهم فكنى عن جميعهم كنايته عن بني آدم ثم فسرهم بمن اذ كان قد كنى عنهم كناية بني آدم خاصة يخلق الله ما يشاء يقول يحدث الله ما يشاء من الخلق ان الله على كل شيء قدير يقول ان الله على احداث ذلك وخلقه وخلق ما يشاء من الاشياء غيره ذو قدرة لا يتعذر عليه شيء أراد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره لقد أنزلنا أيها الناس علامات واضحات دالات على طريق الحق

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن صور الاذن قوله سبحانه (انما المؤمنون) الآية والمقصود أن يبين عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه (اذا كانوا معه على أمر جامع) وهو الذي يجمع له الناس فلما كان الامر سبب الجمع وصف به مجازا قال مجاهد هو أمر الحرب ونحوه من الامور التي يعم ضررها ونفعها وقال الضحاك هو الجمعة والاعياد وكل شيء تكون فيه الخطبة وذلك أنه لابد في الخطوب الجليلة من ذوي رأي وقوة يستعان بهم وبآرائهم وتجاربهم في كفايتها فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ويشعب عليه رأيه قال الجبائي في الآية دلالة على أن استئذانهم الرسول من ايمانهم ولولا ذلك لجاز أن يكونوا كاملي الايمان وان تركوا الاستئذان وأجيب بأن ترك الاستئذان من أهل النفاق لانزاع أنه كفر لانهم تركوه استخفافا قال جار الله ومما يدل على عظم هذه الجناية أنه جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه فيأذن لهم ثالث الايمان بالله والايمان برسوله ومع ذلك صدر الجملة بانما وأوقع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فجعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمان بالله والرسول وفيه تعريض بحال المنافقين وتسللهم لواذا وفي قوله (لبعض شأنهم) دليل على أن أمر الاستئذان مضيق لا يجوز ارتكابه في كل شأن وفي قوله (فأذن لمن شئت منهم) دلالة على أنه تعالى فوض بعض أمر الدين الى اجتهاد الرسول ورأيه وزعم قتادة أنها منسوخة بقوله لم أذنت لهم وفي قوله (واستغفر لهم الله) وجهان أحدهما أن هذا الاستغفار لاجل أنهم تركوا الاولى والافضل وهو أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه والآخر أنه جبر لهم على تمسكهم باذن الله تعالى في الاستئذان ثم حثهم على طاعة رسوله بقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول) أي لا تقيسوا دعاءه اياكم لخطب جليل على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي وذلك أن أمره فرض لازم وأمر غيره ليس بفرض وانما هو

وسبيل الرشاد والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم يقول والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه فيهديه الى دين الاسلام وهو الصراط المستقيم والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون﴾ يقول تعالى ذكره ويقول المنافقون صدقنا بالله وبالرسول وأطعنا الله وأطعنا الرسول ثم يتولى فريق منهم يقول ثم تدبر كل طائفة منهم من بعد ما قالوا هذا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعو الى المحاكمة الى غيره خصمها وما أولئك بالمؤمنين يقول وليس قائلو هذه المقالة يعني قوله آمنا بالله وبالرسول وأطعنا بالمؤمنين لتركهم الاحتكام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعراضهم عنه اذا دعوا اليه وقوله واذا دعوا الى الله ورسوله يقول واذا دعي هؤلاء المنافقون الى كتاب الله والى رسوله ليحكم بينهم فيما اختصموا فيه بحكم الله اذا فريق منهم معرضون عن قبول الحق والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره وان يكن الحق لهؤلاء الذين يدعون الى الله ورسوله ليحكم بينهم فيأبون ويعرضون عن الاجابة الى ذلك قبل الذين يدعونهم الى الله ورسوله يأتوا الى رسول الله مذعنين يقول مذعنين منقادين لحكمه مقرين به طائعين غير مكرهين يقال منه قد أذعن فلان بحقه اذا أقر به طائعا غير مستكره وانقاد له وسلم وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يأتوا اليه مذعنين قال سراعا وقوله أفي قلوبهم مرض يقول تعالى ذكره أفي قلوب هؤلاء الذين يعرضون اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم شك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لله رسول فهم يمتنعون من الاجابة الى حكمه والرضا به أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله اذا احتكموا الى حكم كتاب الله وحكم رسوله وقال أن يحيف الله عليهم ورسوله والمعنى أن يحيف رسول الله عليهم فبدأ بالله تعالى ذكره تعظيما لله كما يقال ما شاء الله ثم شئت بمعنى ما شئت ومما يدل على أن معنى ذلك كذلك قوله واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم فأفرد الرسول بالحكم ولم يقل ليحكما وقوله بل أولئك هم الظالمون يقول ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله اذا أعرضوا عن الاجابة الى ذلك مما دعوا اليه أن يحيف عليهم رسول الله فيجور في حكمه عليهم ولكنهم قوم أهل ظلم لانفسهم بخلافهم أمر ربهم ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحبوا وكرهوا والتسليم له ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ يقول تعالى ذكره انما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين اذا دعوا الى حكم الله والى حكم رسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا ما قيل لنا وأطعنا من دعانا الى ذلك ولم يعن بكان في هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضي ولكنه تأنيب من الله الذين أنزلت هذه الآية بسببهم وتأديب منه آخرين غيرهم وقوله وأولئك هم المفلحون

أدب مستحسن رعايته مع الأئمة والمتقدمين هذا ما عليه الاكثرون منهم المبرد والقفال وعن سعيد بن جبير لا تنادوه باسمه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض وقيل أراد احذروا دعاء الرسول ربه عليكم اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره والتسلل الانسلال والذهاب على سبيل التدرج واللواذ الملاوذة وهو أن يكون هذا بذاك وذاك بهذا وانتصابه على الحال والحاصل أنهم يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة وهو استتار بعضهم ببعض وقيل كان يلوذ من لم يؤذن له بالذي أذن له فينطلق معه قال مقاتل هذا في الخطبة وقال مجاهد في صف القتال وقال ابن قتيبة نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن ومعنى (قد يعلم) يكثر العلم والمبالغة فيه كما مر في البقرة في قوله قد نرى تقلب وجهك يقال خالفته عن القتال أي جبنت عنه وأقدم هو وخالفته الى القتال أي أقدمت وجبن هو الفتنة المحنة في الدنيا كالقتل أو الزلازل وسائر الاهوال والعذاب الاليم هو عذاب النار وعن جعفر بن محمد عليه السلام الفتنة أن يسلط عليهم سلطان جائر وقال الاصوليون في الآية دلالة على أن ظاهر الامر للوجوب لان تارك المأمور به مخالف لذلك الامر فان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه والموافقة ضد المخالفة فاذا أخل بمقتضاه كان مخالفا والمخالف مستحق للعقاب بالآية ولا نعني بالوجوب الا هذا واعترض عليه بأن موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه على الوجه الذي يقتضيه الامر فان الأمر لو اقتضاه على سبيل الندب وأنت تأتي على سبيل الوجوب كان ذلك مخالفة الامر ومنع من أن المندوب مأمور به فان هذا أول المسئلة والظاهر أن الضمير في أمره للرسول ولو كان لله لم يضر لانه لا فرق بين أمر الله وأمر رسوله وأمر الرسول متناول عند بعضهم للقول والفعل والطريقة كما يقال أمر فلان مستقيم وعلى هذا فكل ما فعله الرسول فانه يكون واجبا علينا ثم بين كمال قدرته وعلمه بقوله (ألا ان لله) الخ تأكيدا لوجوب الحذر قال جار الله الخطاب والغيبة في قوله (ما أنتم عليه ويوم يرجعون) كلاهما

للمنافقين على طريقة الالتفات اذ الاول عام والثاني لاهل النفاق وأقول يحتمل أن يكون كلاهما عاما للمنافقين والفاء في قوله (فينبئهم) لتلازم ما قبلها وما بعدها كقولك وربك فكبر ۞ التأويل ومن يطع الله ورسوله فيما يدعوانه الى الحضرة بترك ما سوى الله ويخشى الانقطاع عن الله ويتق به عما سواه فأولئك هم الفائزون بالوصول والوصال وصالا بلا انفصال وزوال لئن أمرتهم بالخروج عن غير

المفلحون يقول تعالى ذكره والذين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا المفلحون يقول هم المنجحون المدركون طلباتهم بفعلهم ذلك المخلدون في جنات الله

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه ويسلم لحكمهما له وعليه ويخف عاقبة معصية الله ويحذره ويتق عذاب الله بطاعته اياه في أمره ونهيه فأولئك يقول فالذين يفعلون ذلك هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة وأمنهم من عذابه

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله اذ دعوا اليه بالله جهد أيمانهم يقول أغلظ أيمانهم وأشدها لئن أمرتهم يا محمد بالخروج الى جهاد عدوك وعدو المؤمنين ليخرجن قل لا تقسموا لا تحلفوا فان هذه طاعة معروفة منكم فيها التكذيب كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قل لا تقسموا طاعة معروفة قال قد عرفت طاعتكم الي أنكم تكذبون ان الله خبير بما تعملون يقول ان الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله أو خلافكم أمرهما أو غير ذلك من أموركم لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو مجازيكم بكل ذلك

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين ﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المقسمين بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن وغيرهم من أمتك أطيعوا الله أيها القوم فيما أمركم به ونهاكم عنه وأطيعوا الرسول فان طاعته لله طاعة فان تولوا يقول فان تعرضوا وتدبروا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه وتأبوا أن تذعنوا لحكمه لكم وعليكم فانما عليه ما حمل يقول فانما عليه فعل ما أمر بفعله من تبليغ رسالة الله اليكم على ما كلفه من التبليغ وعليكم ما حملتم يقول وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم وأوجب عليكم من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء الى طاعته فيما أمركم ونهاكم وقلنا ان قوله فان تولوا بمعنى فان تتولوا فانه في موضع جزم لانه خطاب للذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يدل على أن ذلك كذلك قوله وعليكم ما حملتم ولو كان قوله تولوا فعلا ماضيا على وجه الخبر عن غيب لكان في موضع قوله وعليكم ما حملتم وعليهم ما حملوا وقوله وان تطيعوه تهتدوا يقول تعالى ذكره وان تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم ترشدوا وتصيبوا الحق في أموركم وما على الرسول الا البلاغ المبين يقول وغير واجب على من أرسله الله الى قوم برسالة الا أن يبلغهم رسالته بلاغا يبين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به يقول فليس على محمد أيها الناس الا أداء رسالة الله اليكم وعليكم الطاعة وان أطعتموه لحظوظ أنفسكم تصيبون وان عصيتموه بأنفسكم فتوبقون

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد

الله طاعة معروفة بالفعل دون القول ليستخلفنهم ليخرجن ما في استعدادهم من خلافة الله في أرض البشرية من القوة الى الفعل وليمكنن كل صنف حمل الامانة المودعة فيه على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم فمنهم حفاظ لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ومنهم علماء الاصول ومنهم علماء الفروع ومنهم أهل المعرفة وأصحاب الحقائق وأرباب السلوك الكاملون المكملون وانهم خلفاء الله على الحقيقة وأقطاب العالم وأوتاد الارض وليبدلنهم من بعد خوفهم من الشرك الخفي أمنا يعبدونني بالاخلاص لا يشركون بي شيأ من مطالب الدنيا والآخرة ليستأذنكم المريدون الذين هم تحت تصرفكم والذين لم يبلغوا أوان الشيخوخة ثلاث مرات في المبادي وفي أوساط السلوك وفي نهاية أمرهم فاذا صلحت أحوالهم في هذه الاوقات صلح سائرها في الاغلب والله المستعان والقواعد فيه اشارة الى أن المريد اذا صار بحيث أمن منه افشاء الاسرار وما استودع فيه من متولدات الاحوال فلا ضير عليه أن لا يبالغ في التستر والاخفاء من الاغيار والكتمان خير له ليس على الاعمى حرج قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بدايه رضي الله عنه فيه اشارة الى أن من لا يبصر الا بالله ولا يمشي الا بالله ولا يعلم الا بالله فانهم مخصوصون بالتكوين بكينونة الله كما قال كنت له سمعا الحديث فانهم مستعدون لقبول الفيض الالهي وهم السابقون المقربون فلا حرج في الشرع على من يكون مستعدا لهذا الكمال فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وفي قوله ولا على أنفسكم الخ اشارة الى أنه لا حرج على أرباب النفوس على أن يكونوا كلهم من بيوتهم أو بيوت أبناء جنسهم وهي

الجنات ومراتبها كما قال فيها ماتشتهى الانفس وفى قوله أوماملكتم مفاتحه اشارة الى أن درجات الجنة مساكن أهل المكاسب كما أن مقامات أهل القرب عند مليك مقتدر منازل أهل المواهب قوله أوصديقكم فيه أن درج الجنان ينالها المرء ببركة جليسه الصالح وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق فينال (١٢٢) به مرتبة لم يكن يصل اليها بمجرد أعماله ليس عليكم جناح فيه أنه لاحرج على أهل الجنة أن تكونوا كلهم من درجة واحدة أو من درجات شتى فاذا دخلتم بيوتا أى بلغتم منزلا من المنازل فسلموا أى استسلموا لأحكام الربوبية بمزيد العبودية حتى ترتقوا منها الى منازل أعلى وأطيب انما المؤمنون فيه أن المريد الصادق ينبغى أن لايتنفس الاباذن شيخه فان الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته أن تصيبهم فتنة من المال أو الجاه أو قبول الخلق أو التزويج أو السفر باذن الشيخ أو التردد على أبواب الملوك ونحو ذلك وما العصمة الا من واهبها وهو المستعان

﴿سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بطائف ألم تر الى ربك حروفها ٣٧٨٠ كلمها ٨٧٢ آياتها ٧٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيأ وهم يخلقون ولايملكون لانفسهم ضرا ولانفعا ولايملكون موتا ولاحياة ولانشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد

خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله منكم أيها الناس وعملوا الصالحات يقول وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه ليستخلفنهم فى الارض يقول ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها كما استخلف الذين من قبلهم يقول كما فعل من قبلهم ذلك ببنى اسرائيل اذ أهلك الجبابرة بالشأم وجعلهم ملوكها وسكانها وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم يقول وليوطئن لهم دينهم يعنى ملتهم التى ارتضاها لهم فأمرهم بها وقيل وعد الله الذين آمنوا ثم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله ليستخلفنهم لأن الوعد قول يصلح فيه أن وجواب اليمين كقوله وعدتك أن أكرمك ووعدتك لأكرمنك واختلف القراء فى قراءة قوله كما استخلف فقرأته عامة القراء كما استخلف بفتح التاء واللام بمعنى كما استخلف الله الذين من قبلهم من الامم وقرأ ذلك عاصم كما استخلف بضم التاء وكسر اللام على مذهب مالم يسم فاعله واختلفوا أيضا فى قراءة قوله وليبدلنهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار سوى عاصم وليبدلنهم بتشديد الدال بمعنى وليغيرن حالهم عما هى عليه من الخوف الى الامن والعرب تقول قد بدل فلان اذا غيرت حاله ولم يأت مكان فلان غيره وكذلك كل مغير عن حاله فهو عندهم مبدل بالتشديد وربما قيل بالتخفيف وليس بالفصيح فأما اذا جعل مكان الشئ المبدل غيره فذلك بالتخفيف أبدلته فهو مبدل وذلك كقولهم أبدل هذا الثوب أى جعل مكانه آخر غيره وقد يقال بالتشديد غير أن الفصيح من الكلام ما وصفت وكان عاصم يقرؤه وليبدلنهم بتخفيف الدال والصواب من القراءة فى ذلك التشديد على المعنى الذى وصفت قبل لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وأن ذلك تغيير حال الخوف الى الامن وأرى عاصما ذهب الى أن الأمن لما كان خلاف الخوف وجه المعنى الى أنه ذهب بحال الخوف وجاء بحال الامن فخفف ذلك ومن الدليل على ما قلنا من أن التخفيف انما هو ما كان فى ابدال شئ مكان آخر قول أبى النجم

* عزل الامير للامير المبدل *

وقوله يعبدوننى يقول يخضعون لى بالطاعة ويتذللون لأمرى ونهيى لايشركون بى شيأ يقول لايشركون فى عبادتهم اياى الأوثان والأصنام ولا شيأ غيرها بل يخلصون لى العبادة فيفردونها الى دون كل ما عبد من شئ غيرى وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه اليه فى بعض الاوقات التى كانوا فيها من العدو فى خوف شديد مما هم فيه من الرعب والخوف وما يلقون بسبب ذلك من الاذى والمكروه ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الآية قال مكث النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين خائفا يدعو الى الله سرا وعلانية قال ثم أمر بالهجرة الى المدينة قال فمكث بها هو وأصحابه خائفون يصبحون فى السلاح ويمسون فيه فقال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فأنزل الله هذه الآية وعد الله الذين آمنوا منكم الى قوله فمن كفر بعد ذلك قال يقول من كفر بهذه النعمة فأولئك هم الفاسقون وليس يعنى الكفر بالله قال فأظهره الله على

سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرّنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك (١٣٢) ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء

ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا ۞ القراآت جنة نأكل بالنون حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء التحتانية ويجعل لك بالرفع ابن عامر وأبو بكر وحماد والمفضل وابن كثير الباقون بالجزم وذلك أن الشرط إذا وقع ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم يحشرهم فيقول كلاهما بالياء ابن كثير ويزيد وسهل ويعقوب وعباس وحفص وقرأ ابن عامر بالنون فيهما الباقون بالنون في الأول وبالياء في الثاني أن يتخذ على البناء للمفعول زيد ويزيد بما تقولون بتاء الخطاب يعقوب وعباس وحفص والسرندبي عن قنبل تستطيعون على الخطاب حفص غير الخراز ۞ الوقوف نذيرا ٥ لا بناء على أن ما بعده بدل من الذي نزل والتعليل من تمام الصلة ولو قدر رفعه أو نصبه على المدح جاز الوقف تقديرا ٥ ولا نشورا ٥ آخرون ج لاجل الفاء مع اختلاف القائل أو لاحتمال أن يكون فقد جاؤا من قول الكفار أي جاء محمد ومن أعانه بظلم وزور وزورا ٥ ج للاحتمال المذكور أو لعطف المتفقتين مع عوارض وطول الكلام وأصيلا ٥ والارض ط رحيما ٥ الاسواق ط نذيرا ٥ منها ط مسحورا ٥ سبيلا ٥ الأنهار ط لمن جعل رفع يجعل على الاستئناف قصورا ٥ سعيرا ٥ لاحتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا وزفيرا ٥ ثبورا الاول ٥ ط كثيرا ٥ المتقون ط لانتهاء الاستفهام مصيرا ٥ خالدين ط مسؤلا ٥ السبيل ٥ الذكر ج لجواز أن يكون المراد

جزيرة العرب فآمنوا ثم تجبروا فغير الله ما بهم وكفروا بهذه النعمة فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم قال القاسم قال أبو علي بقتلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه * واختلف أهل التأويل في معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله فمن كفر بعد ذلك فقال أبو العالية ما ذكرنا عنه من أنه كفر بالنعمة لا كفر بالله وروي عن حذيفة في ذلك ما حدثنا به ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي الشعثاء قال كنت جالسا مع حذيفة وعبد الله بن مسعود فقال حذيفة ذهب النفاق وإنما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هو الكفر بعد الإيمان قال فضحك عبد الله فقال لم تقول ذلك قال علمت ذلك قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض حتى بلغ آخرها حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي قال ثنا شعبة عن أبي الشعثاء قال قعدت إلى ابن مسعود وحذيفة فقال حذيفة ذهب النفاق فلا نفاق وإنما هو الكفر بعد الإيمان فقال عبد الله تعلم ما تقول قال فتلا هذه الآية إنما كان قول المؤمنين حتى بلغ فأولئك هم الفاسقون قال فضحك عبد الله قال فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام فقلت من أي شيء ضحك عبد الله قال لا أدري إن الرجل ربما ضحك من الشيء الذي يعجبه وربما ضحك من الشيء الذي لا يعجبه فمن أي شيء ضحك لا أدري والذي قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية وذلك أن الله وعد الإنعام على هذه الأمة بما أخبر في هذه الآية أنه منعم به عليهم ثم قال عقيب ذلك فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يعبدونني لا يشركون بي شيأ قال تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد آمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ قال لا يخافون غيري ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير﴾ يقول تعالى ذكره وأقيموا أيها الناس الصلاة بحدودها فلا تضيعوها وآتوا الزكاة التي فرضها الله عليكم أهلها وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم لعلكم ترحمون يقول كي يرحمكم ربكم فينجيكم من عذابه وقوله لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض يقول تعالى ذكره لا تحسبن يا محمد الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض إذا أراد إهلاكهم ومأواهم بعد هلاكهم النار ولبئس المصير الذي يصيرون إليه ذلك المأوى وقد كان بعضهم يقول لا يحسبن الذين كفروا بالياء وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية وذلك أن تحسب محتاج إلى منصوبين وإذا قرئ يحسبن لم يكن واقعا إلا على منصوب واحد غير أني أحسب أن قائله بالياء ظن أنه قد عمل في معجزين وأن منصوبه الثاني في الأرض وذلك لا معنى له إن كان ذلك قصد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوّافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ اختلف أهل التأويل في المعنيّ

بقوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم فقال بعضهم عنى بذلك الرجال دون النساء ونهوا عن أن يدخلوا عليهم في هذه الاوقات الثلاثة هؤلاء الذين سموا في هذه الآية الا باذن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن نافع عن ابن عمر قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال هي على الذكور دون الاناث * وقال آخرون بل عنى به الرجال والنساء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن في قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال هي في الرجال والنساء يستأذنون على كل حال بالليل والنهار * وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى به الذكور والاناث لان الله عم بقوله الذين ملكت أيمانكم جميع أملاك أيماننا ولم يخصص منهم ذكرا ولا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل فتأويل الكلام يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم واماؤكم فلا يدخلوا عليكم الا باذن منكم لهم والذين لم يبلغوا الحلم منكم يقول والذين لم يحتلموا من أحراركم ثلاث مرات يعني ثلاث مرات في ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال عبيدكم المملوكون والذين لم يبلغوا الحلم منكم قال لم يحتلموا من أحراركم قال ابن جريج قال لي عطاء بن أبي رباح فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن كما قال ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء قال وهي العتمة قلت فاذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة استأذنوا عليهم حتى يصبحوا قال نعم قلت لعطاء هل استئذانهم الا عند وضع الناس ثيابهم قال لا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن صالح بن كيسان ويعقوب بن عتبة واسمعيل بن محمد قالوا الاستئذان على خدم الرجل عليه الا في العورات الثلاث حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم يقول اذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء فلا يدخل عليه خادم ولا صبي الا باذن حتى يصلي الغداة فاذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك حدثني يونس ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني قرة بن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن ثعلبة عن أبي مالك القرظي أنه سأل عبد الله بن سويد الحارثي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاذن في العورات الثلاث فقال اذا وضعت ثيابي من الظهيرة لم يلج على أحد من الخدم الذي بلغ الحلم ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الاحرار الا باذن حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول قال ابن عباس ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال الناس أكرمكم أعظمكم بيتا ونسيت الثالثة حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن في هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال كان الحسن يقول اذا أبات الرجل خادمه معه فهو اذنه وان لم يبته معه استأذن في هذه الساعات حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني موسى بن أبي عائشة عن الشعبي

وقد كانوا ولجواز أن يراد وصار وافيتصل بقوله بورا ه تقولون ه الا لمن قرأ تستطيعون بتاء الخطاب نصيرا ج ه للشرط مع العطف كبيرا ه في الاسواق ط فتنة ط أتصبرون ج لاحتمال كون الواو للحال بصيرا ه ¶ التفسير انه سبحانه تكلم في هذه السورة أولا في التوحيد لانه أقدم وأهم ثم في النبوة لانها الواسطة ثم في المعاد وسيختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين فما أشرف هذه المطالب وما أحسن هذا الترتيب ومعنى (تبارك) كثر خيره وزاد أو تعالى عن أوصاف الممكنات وقد مر في قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين وفي وصفه نفسه بتنزيل الفرقان الفارق بين الحق والباطل أو المفرق في الانزال بعد قوله تبارك دليل على أن كل البركة والخير انما هو في القرآن وكانت هذه الصفة معلومة بدلائل الاعجاز فلذلك صح ايقاعها صلة للذي والضمير في (ليكون) لعبده أو للفرقان كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والعالمون يشمل الخلائق كلهم الا أن الاجماع دل على خروج الملائكة وما عدا الثقلين فبقي أن يكون مبعوثا الى الجن والانس الى آخر مدة التكليف والنذير المنذر أو الانذار كالنكير قالت المعتزلة لو لم يرد الايمان من الكل لم يكن الرسول نذيرا للكل وعورض بنحو قوله ولقد ذرأنا لجهنم والانذار الموجب للخوف لا ينافي وصفه تعالى بالبركة والخير لان النظر على السعادات الاخروية التي تحصل بالانذار لا على فوات بعض اللذات العاجلة ثم وصف ذاته بصفاته الاربع أولها (الذي له ملك السموات والارض) وفيه تنبيه على افتقار الكل اليه في الوجود وفي توابعه من البقاء وغيره الثانية (ولم يتخذ ولدا) وفيه رد النصارى واليهود الثالثة (ولم يكن له شريك في الملك) وفيه رد على سائر المشركين من الثنوية والوثنية وأرباب الشرك الخفي أيضا ولكنه صرح بهذا الأخير في الصفة الرابعة وهي قوله (وخلق كل شئ فقدره تقديرا) قال جار الله المعنى أنه أحدث كل شئ احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية والتهيئة لما يصلح له أو المراد بالخلق الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق وهو ما فيه من معنى التقدير لئلا يلزم التكرار فكأنه قيل أوجد كل شئ فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا أو

في

أحدثه فقدره للبقاء الى أمد معلوم وعندى أن الكلام محمول على القلب الذى يشجع عليه أمن الالباس أى قدره فى الازل تقديرا لخلقه فى وقته موافقا لذلك التقدير والبحث فيه بين المعتزلة والاشاعرة كما مر فى قوله الله خالق كل شئ ثم صرح بتزييف مذاهب عبدة الاوثان قائلا (واتخذوا) الآية وحاصله أن اله العالم يجب أن يكون أقدر الاشياء وأشرفها لا أعجزها وأخسها وهو الجماد بل الملائكة والمسيح لانه لاقدرة لهم على الايجاد والتصرف فى شئ الا باذن الله فتكون الآية ردا على الكل وانما قال فى هذه السورة (من دونه) لتقدم الذكر مفردا وفى مريم ويس من دون الله لان ما قبلهما بلفظ الجمع تعظيما فلن يكن بد من التصريح وحين فرغ من بيان التوحيد ونفى الانداد شرع فى شبهات منكرى النبوة والاجوبة عنها فالشبهة الاولى قولهم (ان هذا الا افك افتراه) أرادوا أنه كذب فى نفسه وأرادوا أنه كذب فى اضافته الى الله تعالى وقوله (وأعانه عليه قوم آخرون) نظير قوله تعالى انما يعلمه بشر لسان الذى وقد مر ما قيل فى سبب نزوله فى النحل فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (فقد جاؤا ظلما وزورا) أى أتوهما فانتصب بوقوع المجئ عليه وعن الزجاج أنه انتصب بنزع الخافض أى أتوا بالظلم والزور فالظلم هو أنهم نسبوا هذا الفعل الشنيع وهو الافتراء على الله الى من هو عندهم فى غاية الامانة والصدق والزور وهو انحرافهم عن جادة العدل والانصاف فلو أنصفوا من أنفسهم لعلموا أن العربى لا يتلقن من العجمى كلاما عربيا أعجز بفصاحته دهماءهم ولو استعان محمد فى ذلك بغيره لأمكنهم أيضا أن يستعينوا بغيرهم قال أبو مسلم الظلم تكذيبهم الرسول والزور كذبهم عليه الشبهة الثانية قولهم (انه أساطير الاولين) أى أحاديث سطرها المتقدمون كأخبار الأعاجم (اكتتبها) لنفسه كقولك استكب الماء أى سكبه لنفسه وأخذه وقد يظن أن فى الكلام قلبا لانه يقال أمليت عليه فهو يكتتبها وأجيب بأن المعنى أرادا كتتابها فهى تقرأ عليه أو كتبت له وهو أمى فهى تملى عليه أى تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب قال الضحاك ما يملى عليه بكرة يقرأ عليكم عشية وما يملى عليه عشية

فى قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال لم تنسخ قلت ان الناس لا يعملون به قال الله المستعان * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبى عائشة عن الشعبى وسألته عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قلت منسوخة هى قال لا والله ما نسخت قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله المستعان * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال ان ناسا يقولون نسخت ولكنها مما يتهاون الناس به * قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الى آخر الآية قال لا يعمل بها اليوم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا حنظلة أنه سمع القاسم بن محمد يسئل عن الاذن فقال يستأذن عند كل عورة ثم هو طواف يعنى الرجل على أمه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا عبد العزيز بن أبى رواد قال أخبرنى رجل من أهل الطائف عن غيلان بن شرحبيل عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم قال الله ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم وانما العتمة عتمة الابل وقوله ثلاث عورات لكم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ثلاث عورات لكم برفع الثلاث بمعنى الخبر عن هذه الاوقات التى ذكرت كأنه عندهم قيل هذه الاوقات الثلاثة التى أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيهامن ذكرنا الا باذن ثلاث عورات لكم لأنكم تضعون فيها ثيابكم وتخلون بأهليكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ثلاث عورات بنصب الثلاث على الرد على الثلاث الاولى وكأن معنى الكلام عندهم ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ثلاث عورات لكم والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم يقول تعالى ذكره ليس عليكم معشر أرباب البيوت والمساكن ولا عليهم يعنى ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار حرج ولا اثم بعدهن يعنى بعد العورات الثلاث والهاء والنون فى قوله بعدهن عائدتان على الثلاث من قوله ثلاث عورات لكم وانما يعنى بذلك أنه لا حرج ولا جناح على الناس أن يدخل عليهم مماليكهم البالغون وصبيانهم الصغار بغير اذن بعد هذه الاوقات الثلاث اللاتى ذكرهن فى قوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ثم رخص لهم فى الدخول فيما بين ذلك بغير اذن يعنى فيما بين صلاة الغداة الى الظهر وبعد الظهر الى صلاة العشاء انه رخص لخادم الرجل والصبى أن يدخل عليه منزله بغير اذن قال وهو قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن فأما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأهله الا باذن على كل حال وقوله طوافون عليكم رفع الطوافون بمضمر وذلك هم يقول لهؤلاء المماليك والصبيان الصغار هم طوافون عليكم أيها الناس ويعنى بالطوافين أنهم يدخلون ويخرجون على مواليهم

وأقربائهم فى منازلهم غدوة وعشية بغير اذن يطوفون عليهم بعضكم على بعض فى غير الاوقات الثلاث التى أمرهم أن لا يدخلوا على ساداتهم وأقربائهم فيها الا باذن كذلك يبين الله لكم الآيات يقول جل ثناؤه كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان فى هذه الآية كذلك يبين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه والله عليم حكيم يقول والله ذو علم بما يصلح عباده حكيم فى تدبيره اياهم وغير ذلك من أموره القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره واذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم ويعنى بقوله منكم من أحراركم الحلم يعنى الاحتلام واحتلموا فليستأذنوا يقول فلا يدخلوا عليكم فى وقت من الأوقات الا باذن لا فى أوقات العورات الثلاث ولا فى غيرها وقوله كما استأذن الذين من قبلهم يقول كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الاحرار وخص الله تعالى ذكره فى هذه الآية الاطفال بالذكر وتعريف حكمهم عباده فى الاستئذان دون ذكر ما ملكت أيماننا وقد تقدمت الآية التى قبلها بتعريف حكم الاطفال الاحرار والمماليك لأن حكم ما ملكت أيماننا من ذلك حكم واحد سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم فى أن الاذن عليهم فى الساعات الثلاث التى ذكرها الله فى الآية التى قبل * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال أما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأهله يعنى من الصبيان الاحرار الا باذن على كل حال وهو قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا قال واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا اذا احتلموا على من كان من الناس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيب قال يستأذن الرجل على أمه قال انما أنزلت واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فى ذلك كذلك يبين الله لكم آياته يقول هكذا يبين الله لكم آياته أحكامه وشرائع دينه كما بين لكم أمر هؤلاء الاطفال فى الاستئذان بعد البلوغ والله عليم حكيم يقول والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الاشياء حكيم فى تدبيره خلقه القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره واللواتى قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء فلا يحضن ولا يلدن واحدتهن قاعد اللاتى لا يرجون نكاحا يقول اللاتى قد يئسن من البعولة فلا يطمعن فى الأزواج فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن يقول فليس عليهن حرج ولا اثم أن يضعن ثيابهن يعنى جلابيبهن وهى القناع الذى يكون فوق الخمار والرداء الذى يكون فوق الثياب لا حرج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال وغير المحارم من الغرباء غير متبرجات بزينة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا وهى المرأة لا جناح عليها أن تجلس فى بيتها بدرع وخمار وتضع عنها الجلباب ما لم تتبرج لما يكره الله وهو قوله فليس عليهن جناح أن

يضعن

يقرأ عليكم بكرة وقال جار الله (بكرة وأصيلا) أى دائما أو فى الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم فأجاب عن هذه الشبهة بقوله (قل أنزله الذى يعلم السر) الآية والمعنى أن العالم بكل سر هو الذى يقدر على الاتيان بمثل هذا الكتاب لفصاحة مبانيه وبلاغة معانيه وبراءته من التناقض والاختلاف واشتماله على الغيوب وعلى مصالح العباد فى المعاش والمعاد قال أبو مسلم أراد أنه يعلم كل سر خفى ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد والنفاق فهو مجازيكم عليه ولاجل هذا الوعيد ختم الآية بذكر المغفرة والرحمة فانه لا يوصف بهما الا القادر على العقوبة وقيل هو تنبيه على أنهم استحقوا بمكابرتهم العذاب العاجل ولكنه صرفه عنهم برحمته وغفرانه الشبهة الثالثة قولهم على سبيل الاستهانة وتصغير الشأن (مالهذا) الزاعم أنه رسول أى ما باله (يأكل الطعام) كما نأكل ويتردد فى الاسواق لطلب المعاش كما نتردد زعموا أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن هذا المقام فطلبوا أن يكون انسانا معه ملك يعضده ويساعده فى باب الانذار ثم نزلوا فاقترحوا أن يكون مستظهرا بكنز يلقى اليه من السماء حتى لا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فقالوا لا أقل من أن يكون كواحد من الدهاقين له بستان ينتفع هو أو ننتفع نحن بذلك على اختلاف القراءتين وانتصب (فيكون) لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام ومحل (أنزل) الرفع كما يقول لولا ينزل ولهذا عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين (وقال الظالمون) من وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش النضر بن الحرث وأمثاله والمسحور المغلوب على عقله والامثال الأقوال النادرة والاقتراحات الغريبة المذكورة فبقوا متحيرين لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق ولا يجدون طريقا اليه وقد مر مثل هذه الآية فى أواسط سورة بنى اسرائيل وحين حكى شبههم ومطاعنهم مدح نفسه بما يلجمهم ويفحمهم وهو قوله (تبارك) أى تكاثر خير (الذى ان شاء)

يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ثم قال وأن يستعففن خير لهن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يضعن ثيابهن يعنى الجلباب وهو القناع وهذا للكبيرة التى قد قعدت عن الولد فلا يضرها أن لا تجلبب فوق الخمار وأما كل امرأة مسلمة حرة فعليها اذا بلغت المحيض أن تدنى الجلباب على الخمار وقال الله فى سورة الاحزاب يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان بالمدينة رجال من المنافقين اذا مرت بهم امرأة سيئة الهيئة والزى حسب المنافقون أنها مزنية وأنها من بغيتهم فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ولا يعلمون الحرة من الامة فأنزل الله فى ذلك يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين يقول اذا كان زيهن حسنا لم يطمع فيهن المنافقون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله والقواعد من النساء التى قعدت من الولد وكبرت قال ابن جريج قال مجاهد اللاتى لا يرجون نكاحا قال لا يردنه فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال جلابيبهن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال وضع الخمار قال التى لا ترجو نكاحا التى قد بلغت أن لا يكون لها فى الرجال حاجة ولا للرجال فيها حاجة فاذا بلغن ذلك وضعن الخمار غير متبرجات بزينة ثم قال وأن يستعففن خير لهن كان أبى يقول هذا كله حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن ذر عن أبى وائل عن عبد الله فى قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الجلباب أو الرداء شك سفيان * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الرداء حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله فى هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال هى الملحفة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت أبا وائل قال سمعت عبد الله يقول فى هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الجلباب حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال أخبرنى الحكم عن أبى وائل عن عبد الله مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود فى قوله أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال هو الرداء قال الحسن قال عبد الرزاق قال الثورى وأخبرنى أبو حصين وسالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال هو الرداء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال تضع الجلباب المرأة التى قد عجزت ولم تزوج قال الشعبى فان أبى بن كعب يقرأ أن يضعن من ثيابهن حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال قلت لابن أبى نجيح قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال الجلباب قال يعقوب قال أبو يونس قلت له عن مجاهد قال نعم فى الدار والحجرة حدثنى

وهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا ثم فسر ذلك الخير بقوله (جنات) عن ابن عباس خيرا من ذلك أى مما عيروك بفقده الجنة الواحدة وعنه فى رواية عكرمة خيرا من المشى فى الاسواق لابتغاء المعاش وفى قوله ان شاء دليل على أنه لا حق لاحد من العباد عليه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وان حصول الخيرات معلق بمحض مشيئته وعنايته وقيل ان بمعنى اذ أى قد (١٢٧) جعلنا لك فى الآخرة و بنينا لك قصورا والقصر المسكن الرفيع فيحتمل أن يكون لكل جنة قصر وأن تكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل لك فى الآخرة جنات وفى الدنيا قصورا عن طاوس عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبرائيل عنده قال جبرائيل هذا ملك قد نزل من السماء استأذن ربه فى زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم وقال ان الله يخيرك بين أن يعطيك مفاتيح كل شئ ولم يعطها أحدا قبلك ولا يعطها أحدا بعدك من غير أن ينقصك مما ادخر لك شيأ فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها لى فى الآخرة فنزلت هذه الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم عرض على جبرائيل عليه السلام بطحاء مكة ذهبا فقلت بل شبعة وثلاث جوعات وفى رواية أشبع يوما وأجوع ثلاثا فأحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت قوله (بل كذبوا بالساعة) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة فلهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها اذ لا يرجون ثوابا ولا عقابا ويجوز أن يراد ليس ما تعلقوا به شبهة عالية فى نفس المسئلة بل انما حملهم على ذلك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها (وأعتدنا) جعلناها عدة ومعدة لهم وقد يستدل به على أن النار مخلوقة ويحتمل أن يقال هو كقوله ونادى وسيق قالت الاشاعرة البنية ليست شرطا فى الحياة وتوابعها فأجروا قوله (اذا رأتهم) على ظاهره وقالوا لا امتناع فى كون النار حية رائية مغتاظة على الكفار والمعتزلة أولوا فقالوا معنى رأتهم ظهرت لهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر فى البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر وقال

الجبائي ذكر النار وأراد خزنتها والمراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم قيل التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لا يكون مسموعا فكيف قال الله سبحانه سمعوا لها تغيظا وأجيب بأن المراد سماع ما يدل على الغيظ وهو الصوت أي سمعوا لها صوتا يشبه صوت المتغيظ قاله الزجاج وقال قطرب علموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر * متقلدا سيفا ورمحا *

محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال جلابيبهن وقوله غير متبرجات بزينة يقول ليس عليهن جناح في وضع أرديتهن اذا لم يردن بوضع ذلك عنهن أن يبدين ما عليهن من الزينة للرجال والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره وقوله وأن يستعففن خير لهن يقول وان تعففن عن وضع جلابيبهن وأرديتهن فيلبسنها خير لهن من أن يضعنها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن يستعففن خير لهن قال ان يلبسن جلابيبهن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي وأن يستعففن خير لهن قال ترك ذلك يعني ترك وضع الثياب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأن يستعففن خير لهن والاستعفاف لبس الخمار على رأسها كان أبي يقول هذا كله والله سميع ما تنطقون بألسنتكم عليم بما تضمره صدوركم فاتقوه أن تنطقوا بألسنتكم ما قد نهاكم عن أن تنطقوا بها أو تضمروا في صدوركم ما قد كرهه لكم فتستوجبوا بذلك منه عقوبة * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ * قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في هذه الآية في المعنى الذي أنزلت فيه فقال بعضهم أنزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين في الأكل مع العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة من طعامهم من أجل أنهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيئا مما نهاهم الله عنه بقوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو أشتاتا وذلك لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقال المسلمون ان الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام من أفضل الأموال فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فكف الناس عن ذلك فأنزل الله بعد ذلك ليس على الأعمى حرج الى قوله أو ما ملكتم مفاتحه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ليس على الأعمى حرج الآية كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض فقال بعضهم انما كان بهم التقذر والتقزز وقال بعضهم المريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح والأعرج

يروى أن جهنم تزفر زفرة لا يبقى أحد الا ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يجثو على ركبتيه ويقول نفسي نفسي وحين وصف حال الكفار اذا كانوا بالبعد من جهنم وصف حالهم عند ما يلقون فيها عن ابن عباس أنه يضيق عليهم المكان كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الأسفلون يرفعهم اللهب والأعلون يخفضهم الداخلون فيزدحمون في تلك الأبواب الضيقة وقال جار الله الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض وجاء في الأحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا وقال الصوفية المكان الضيق قلب الكافر في صدره كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا ثم ان أهل جهنم مع ما هم فيه يكونون مقرنين في السلاسل والأصفاد وقد مر في آخر سورة ابراهيم والثبور الهلاك ودعاؤه النداء واثبوراه أي يقال يا ثبور فهذا أوانك وههنا اضمار أي يقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا) ادعهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك وان لم يكن ثمة قول ومعنى (وادعوا ثبورا كثيرا) أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم أو لأنهم يجدون بسبب المنحبس

ذلك القول خفة فان المعذب اذا صاح وبكى وجد بسببه راحة قال الكلبي نزل هذا كله في أبي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات ثم وبخهم بقوله (قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي وعدوها فحذف الرابط للعلم به وليس هذا الاستفهام كقول القائل السكر

المحبس لا يستطيع المزاحمة على الطعام والاعمى لا يبصر طيب الطعام فأنزل الله ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والاعمى والاعرج فعنى الكلام على تأويل هؤلاء ليس عليكم أيها الناس في الاعمى حرج أن تأكلوا منه ومعه ولا في الاعرج حرج ولا في المريض حرج ولا في أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم فوجهوا معنى على في هذا الموضع الى معنى في * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية ترخيصا لاهل الزمانة في الاكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية لان قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن عندهم في بيوتهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله في هذه الآية فكان أهل الزمانة يتخوفون من أن يطعموا ذلك الطعام لانه أطعمهم غير ملكه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا جناح عليكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم قال كان رجال زمنى قال ابن عمرو في حديثه عميان وعرجان وقال الحرث عمى عرج أولو حاجة يستتبعهم رجال الى بيوتهم فان لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم ومن عدد منهم من البيوت فكره ذلك المستتبعون فأنزل الله في ذلك ليس عليكم جناح وأحل لهم الطعام حيث وجدوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كان الرجل يذهب بالاعمى والمريض والأعرج الى بيت أبيه أو الى بيت أخيه أو عمه أو خاله أو خالته فكان الزمنى يتحرجون من ذلك يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فنزلت هذه الآية رخصة لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث ابن عمرو عن أبي عاصم * وقال آخرون بل نزلت ترخيصا لأهل الزمانة الذين وصفهم الله في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من خلفهم في بيوته من الغزاة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال قلت للزهري في قوله ليس على الأعمى حرج ما بال الأعمى ذكر ههنا والاعرج والمريض فقال أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح أبوابهم يقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يتحرجون من ذلك يقولون لا ندخلها وهم غيب فأنزلت هذه الآية رخصة لهم * وقال آخرون بل عنى بقوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله قالوا وقوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم كلام منقطع عما قبله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج قال هذا في الجهاد في سبيل الله وفي قوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم قال هذا شئ قد انقطع انما كان هذا في الاول لم يكن لهم أبواب وكانت الستور مرخاة فربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد فربما وجد الطعام وهو جائع فسوغه الله أن يأكله قال وقد ذهب ذلك اليوم البيوت اليوم فيها أهلها واذا خرجوا أغلقوها فقد ذهب ذلك * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة في مؤاكلتهم اذا شاؤا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن مقسم في قوله ليس على الأعمى حرج قال كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج فنزلت ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا واختلفوا أيضا في معنى قوله أو ما ملكتم مفاتحه فقال بعضهم عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه أنه لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته

أحلى أم الصبر ولكن الغرض منه التقريع كما اذا أعطى السيد عبده مالا فتمرد وأبى واستكبر فضربه ضربا وجيعا ويقول على سبيل التوبيخ هذا أطيب أم ذاك والاضافة في جنة الخلد للتوضيح والتأكيد لا للتمييز فان الجنة معلوم أن نعيمها لا ينقطع قالت الأشاعرة في قوله (وعد) دلالة على أن الجنة انما تستحق بحسب الوعد والفضل لا لأجل العمل وقالت المعتزلة في قوله (المتقون) اشارة الى أن الجنة لا تنال الا بالتقوى ولذلك أكد بقوله على سبيل التخصيص بسبب تقديم الجار (كانت لهم جزاء ومصيرا) أجابت الأشاعرة بأن كونه

ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس في قوله أو ما ملكتم مفاتحه وهو الرجل يوكل الرجل بضيعته فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر ويشرب اللبن * وقال آخرون بل عنى بذلك منزل الرجل نفسه أنه لا بأس عليه أن يأكل ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو ما ملكتم مفاتحه يعنى بيت أحدهم فانه يملكه والعبيد منهم مما ملكوا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله أو ما ملكتم مفاتحه مما تخبون يا ابن آدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أو ما ملكتم مفاتحه قال خزائن لأنفسهم ليست لغيرهم * وأشبه الأقوال التى ذكرنا في تأويل قوله ليس على الأعمى حرج الى قوله أو صديقكم القول الذى ذكرنا عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله وذلك أن أظهر معانى قوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج أنه لا حرج على هؤلاء الذين سموا في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها على ما أباح لهم من الأكل منها فاذ كان ذلك أظهر معانيه فتوجيه معناه الى الأغلب الأعرف من معانيه أولى من توجيهه الى الأنكر منها فاذ كان ذلك كذلك كان ما خالف من التأويل قول من قال معناه ليس في الأعمى والأعرج حرج أولى بالصواب وكذلك أيضا الأغلب من تأويل قوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أنه بمعنى ولا عليكم أيها الناس ثم جمع هؤلاء والزمنى الذين ذكرهم قبل في الخطاب فقال أن تأكلوا من بيوت أنفسكم وكذلك تفعل العرب اذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب غلبت المخاطب فقالت أنت وأخوك قمتما وأنت وزيد جلستما ولا تقول أنت وأخوك جلسا وكذلك قوله ولا على أنفسكم والخبر عن الأعمى والأعرج والمريض غلب المخاطب فقال أن تأكلوا ولم يقل أن يأكلوا فان قال قائل فهذا الأكل من بيوتهم قد علمناه كان لهم حلالا اذ كان ملكا لهم أو كان أيضا حلالا لهم الأكل من مال غيرهم قيل له ليس الأمر في ذلك على ما توهمت ولكنه كما ذكرناه عن عبيد الله بن عبد الله أنهم كانوا اذا غابوا في مغازيهم وتخلف أهل الزمانة منهم دفع الغازى مفتاح مسكنه الى المتخلف منهم فأطلق له في الأكل مما يخلف في منزله من الطعام فكان المتخلفون يتخوفون الأكل من ذلك وربه غائب فأعلمه الله أنه لا حرج عليه في الأكل منه وأذن لهم في أكله فاذ كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال انما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستتبع أكل طعام غير المستتبع لان ذلك لو كان كما قال من قال ذلك لقيل ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غير من أضافكم أو من طعام آباء من دعاكم ولم يقل أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم وكذلك لا وجه لقول من قال معنى ذلك ليس على الأعمى حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله لأن قوله أن تأكلوا خبر ليس وأن في موضع نصب على أنها خبر لها فهى متعلقة بليس فمعلوم بذلك أن معنى الكلام ليس على الأعمى حرج أن يأكل من بيته لا ما قاله الذين ذكرنا من أنه لا حرج عليه في التخلف عن الجهاد فاذ كان الامر في ذلك على ما وصفنا تبين أن معنى الكلام لا ضيق على الأعمى ولا على الأعرج ولا على المريض ولا عليكم أيها الناس أن تأكلوا من بيوت أنفسكم أو من بيوت آبائكم أو من بيوت أمهاتكم أو من بيوت اخوانكم أو من بيوت أخواتكم أو من بيوت أعمامكم أو من بيوت عماتكم أو من بيوت أخوالكم أو من بيوت خالاتكم أو من البيوت التى ملكتم مفاتحها أو من بيوت صديقكم اذا أذنوا لكم في ذلك عند مغيبهم ومشهدهم والمفاتح الخزائن واحدها مفتح اذا أريد به المصدر واذا كان من المفاتيح التى يفتح بها فهى مفتح ومفاتح وهى ههنا

جزاء ثبت في الأزل ولا عمل هناك قالت المعتزلة لا غفران لصاحب الكبيرة لأن الجنة جاءت جزاء للمتقين خاصة فلا يعطى حقهم غيرهم أجابت الأشاعرة بأنه لم لا يجوز أن يرضى المتقون بادخال الله أهل العفو الجنة قال جار الله ذكر المصير مع ذكر الجزاء مدحا للثواب ومكانه كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا وفي قوله (لهم فيها ما يشاؤن) دلالة على أن حصول المرادات بأسرها لا تكون الا في الجنة وأما في الدنيا فالراحات فيها مخلوطة بالجراحات والضمير في (كان) لما يشاؤن واستدلت المعتزلة بقوله (على ربك) أن ذلك

علی التأویل الذی اخترناه جمع مفتح الذی یفتح به وکان قتادة یتأول فی قوله أو صدیقکم ما حدثنا به الحسن بن یحیی قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أو صدیقکم فلو أکلت من بیت صدیقک من غیر أمره لم یکن بذلک بأس قال معمر قلت لقتادة أولا أشرب من هذا الحب قال أنت لی صدیق وأما قوله لیس علیکم جناح أن تأکلوا جمیعا أو أشتاتا فان أهل التأویل اختلفوا فی تأویله فقال بعضهم کان الغنی من الناس یتخوف أن یأکل مع الفقیر فرخص لهم فی الاکل معهم ذکر من قال ذلک حدثنا القاسم قال ثنا الحسین قال ثنی حجاج عن ابن جریج عن عطاء الخراسانی عن ابن عباس قوله أن تأکلوا جمیعا أو أشتاتا قال کان الغنی یدخل علی الفقیر من ذوی قرابته وصدیقه فیدعوه الی طعامه لیأکل معه فیقول والله انی لأجنح أن آکل معک والجنح الحرج وأنا غنی وأنت فقیر فأمروا أن یأکلوا جمیعا أو أشتاتا * وقال آخرون بل عنی بذلک حی من أحیاء العرب کانوا لا یأکل أحدهم وحده ولا یأکل الا مع غیره فأذن الله لهم أن یأکل من شاء منهم وحده ومن شاء منهم مع غیره ذکر من قال ذلک حدثنی علی قال ثنا أبو صالح قال ثنی معاویة عن علی عن ابن عباس قال کانوا یأنفون ویتحرجون أن یأکل الرجل الطعام وحده حتی یکون معه غیره فرخص الله لهم فقال لیس علیکم جناح أن تأکلوا جمیعا أو أشتاتا حدثنا القاسم قال ثنا الحسین قال ثنی حجاج عن ابن جریج قال کانت بنو کنانة یستحی الرجل منهم أن یأکل وحده حتی نزلت هذه الآیة حدثت عن الحسین قال سمعت أبا معاذ یقول أخبرنا عبید قال سمعت الضحاک یقول کانوا لا یأکلون الا جمیعا ولا یأکلون متفرقین وکان ذلک فیهم دینا فأنزل الله لیس علیکم حرج فی مؤاکلة المریض والأعمی ولیس علیکم حرج أن تأکلوا جمیعا أو أشتاتا حدثنی یونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زید فی قوله لیس علیکم جناح أن تأکلوا جمیعا أو أشتاتا قال کان من العرب من لا یأکل أبدا جمیعا ومنهم من لا یأکل الا جمیعا فقال الله ذلک حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال نزلت لیس علیکم جناح أن تأکلوا جمیعا أو أشتاتا فی حی من العرب کان الرجل منهم لا یأکل طعامه وحده کان یحمله بعض یوم حتی یجد من یأکله معه قال وأحسب أنه ذکر أنهم من کنانة * وقال آخرون بل عنی بذلک قوم کانوا لا یأکلون اذا نزل بهم ضیف الا مع ضیفهم فرخص لهم فی أن یأکلوا کیف شاؤا ذکر من قال ذلک حدثنی أبو السائب قال ثنا حفص عن عمران بن سلیمن عن أبی صالح وعکرمة قالا کانت الانصار اذا نزل بهم الضیف لا یأکلون حتی یأکل الضیف معهم فرخص لهم قال الله لا جناح علیکم أن تأکلوا جمیعا أو أشتاتا * وأولی الأقوال فی ذلک بالصواب أن یقال ان الله وضع الحرج عن المسلمین أن یأکلوا جمیعا معا اذا شاؤا أو أشتاتا متفرقین اذا أرادوا وجائز أن یکون ذلک نزل بسبب من کان یتخوف من الاغنیاء الاکل مع الفقیر وجائز أن یکون نزل بسبب القوم الذین ذکر أنهم کانوا لا یطعمون وحدانا و بسبب غیر ذلک ولا خبر بشئ من ذلک یقطع العذر ولا دلالة فی ظاهر التنزیل علی حقیقة شئ منه والصواب التسلیم لما دل علیه ظاهر التنزیل والتوقف فیما لم یکن علی صحته دلیل وقوله فاذا دخلتم بیوتا فسلموا علی أنفسکم تحیة من عند الله اختلف أهل التأویل فی ذلک فقال بعضهم معناه فاذا دخلتم أیها الناس بیوت أنفسکم فسلموا علی أهلیکم وعیالکم ذکر من قال ذلک حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهری وقتادة فی قوله فسلموا علی أنفسکم قالا بیتک اذا دخلته فقل سلام علیکم حدثنا

واجب علی الله حتی انه لو لم یفعل استحق الذم وأجیب بأنه واجب بحکم الوعد لقوله (وعدا مسؤلا) کأن المکلفین سألوا بلسان الحال من حیث تحملوا المشقة الشدیدة فی طاعته أو سألوه حقیقة بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا علی رسلک أو سألته الملائکة فی قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التی وعدتهم أو من حقه أن یسئل ویطلب لانه حق واجب بحکم الاستحقاق أو بحسب الموعد علی المؤمنین قوله (ویوم نحشرهم) رجوع الی قوله واتخذوا من دونه آلهة وظاهر قوله (وما یعبدون) أنها الأصنام وظاهر قوله (أأنتم

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال سلم على أهلك قال ابن جريج وسئل عطاء بن أبي رباح أحق على الرجل اذا دخل على أهله أن يسلم عليهم قال نعم وقالها عمرو بن دينار وتلوا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة قال عطاء بن أبي رباح ذلك غير مرة * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير قال سمعت جابر بن عبد الله يقول اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته الا يوجبه قال ابن جريج وأخبرني زياد عن ابن طاوس أنه كان يقول اذا دخل أحدكم بيته فليسلم * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء اذا خرجت أواجب السلام هل أسلم عليهم فانما قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا قال ما أعلمه واجبا ولا آثر عن أحد وجوبه ولكن أحب الى وما أدعه الا ناسيا قال ابن جريج وقال عمرو بن دينار لا قال قلت لعطاء فان لم يكن في البيت أحد قال سلم قل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله قلت له قولك هذا اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد عمن تأثره قال سمعته ولم يؤثر لي عن أحد قال ابن جريج وأخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس قال السلام علينا من ربنا وقال عمرو بن دينار السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا أحمد بن عبد الرحيم قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال ثنا صدقة عن زهير عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته الا يوجبه حدثنا محمد بن عباد الرازي قال ثنا حجاج بن محمد الاعور قال قال لي ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فذكر مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم يقول سلموا على أهاليكم اذا دخلتم بيوتكم وعلى غير أهاليكم فسلموا اذا دخلتم بيوتهم * وقال آخرون بل معناه فاذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال هي المساجد يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم في قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت بيتك فقل السلام عليكم * وقال آخرون بل معنى ذلك اذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم فليسلم بعضكم على بعض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله فسلموا على أنفسكم أي ليسلم بعضكم على بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخل المسلم سلم عليه كمثل قوله لا تقتلوا أنفسكم انما هو لا تقتل أخاك المسلم وقوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم قال يقتل بعضكم بعضا قريظة والنضير * وقال آخرون معناه فاذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد فسلموا على أنفسكم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك قال اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين فقل مثل ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي سنان عن ماهان قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال تقول السلام علينا من ربنا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال

أضللتم) أنه من عبد من العقلاء كالملائكة والمسيح فلأجل هذا اختلفوا فحمله قوم ومنهم الكلبي على الأوثان ثم قالوا الا يبعد أن يخلق الله تعالى فيها الحياة والنور والنطق أو أراد أنهم تكلموا بلسان الحال وقال الأكثرون انه عام للاصنام وللمعبودين العقلاء نظيره قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ثم قالوا ان لفظة ماقد تستعمل في العقلاء أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم كما اذا أردت السؤال عن صفة زيد فتقول ما زيد تريد أطويل أم قصير والسائل الله وحده أو الملائكة

أخبرناشعبة عن منصور قال شعبة وسألته عن هذه الآية فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عندالله قال قال ابراهيم اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن بكير بن الأشج عن نافع أن عبدالله كان اذا دخل بيتا ليس فيه أحد قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير قال ثنا منصور عن ابراهيم فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت بيتا فيه يهود فقل السلام عليكم وان لم يكن فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه فاذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فليسلم بعضكم على بعض وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه قال فاذا دخلتم بيوتا ولم يخصص من ذلك بيتا دون بيت وقال فسلموا على أنفسكم يعني بعضكم على بعض فكان معلوما اذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض أنه معنيّ به جميعها مساجدها وغير مساجدها ومعنى قوله فسلموا على أنفسكم نظير قوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله تحية من عند الله ونصب تحية بمعنى تحيون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية فكأنه قال فليحي بعضكم بعضا تحية من عند الله وقد كان بعض أهل العربية يقول انما نصبت بمعنى أمركم بها تفعلونها تحية منه ووصف جل ثناؤه هذه التحية بالمباركة الطيبة لما فيها من الاجر الجزيل والثواب العظيم وقوله كذلك يبين الله لكم الآيات يقول تعالى ذكره هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم فيبينها لكم كما فصل لكم فى هذه الآية ما أحل لكم فيها وعرّفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه لعلكم تعقلون يقول لكى تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ما المؤمنون حق الايمان الا الذين صدّقوا الله ورسوله واذا كانوا معه يقول واذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر جامع يقول على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت أو صلاة اجتمع لها أو تشاور فى أمر نزل لم يذهبوا يقول لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الامر حتى يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه يقول اذا كان أمر طاعة لله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله واذا كانوا معه على أمر جامع قال أمر من طاعة الله عامّ حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال سأل مكحولا الشامى انسان وأنا أسمع ومكحول جالس مع عطاء عن قول الله فى هذه الآية واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه فقال مكحول فى يوم الجمعة وفى زحف وفى كل أمر جامع قد أمر أن لا يذهب أحد فى يوم جمعة حتى يستأذن الامام وكذلك فى كل جامع ألا ترى أنه يقول واذا كانوا معه على أمر جامع حدثني يعقوب قال ثنى ابن علية قال أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن قال كان الرجل اذا كانت له حاجة والامام يخطب قام فأمسك بأنفه فأشار اليه الامام أن يخرج قال فكان رجل قد أراد الرجوع الى أهله فقام الى هرم بن حيان وهو يخطب فأخذ بأنفه فأشار اليه هرم أن يذهب فخرج الى أهله فأقام فيهم ثم قدم قال له هرم أين كنت قال فى

باذنه وانما قال أنتم وهم ولم يقبل أأضللتم عبادى هؤلاء أم ضلوا السبيل لان السؤال وقع عمن تولى فعل الاضلال لا عن نفس الاضلال وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب أن يجيب المعبودون بما أجابوا به حتى يحصل لعبدتهم الالزام والتوبيخ كما قال لعيسى أأنت قلت للناس وكان القياس أن يقال ضلوا عن السبيل الا أنهم تركوا الجار كما تركوه فى هداه الطريق والأصل هداه الى الطريق أو للطريق (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل لهم لانهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الاضلال الذى هو مختص بابليس

أهلى قال أبا إذن ذهبت قال نعم قت اليك وأنت تخطب فأخذت بأنفي فأشرت اليّ أن اذهب فذهبت فقال أفاتخذت هذا دغلا أو كلمة نحوها ثم قال اللهم أخر رجال السوء الى زمان السوء حدثني الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله واذا كانوا معه على أمر جامع قال هو الجمعة اذا كانوا معه لم يذهبوا حتى يستأذنوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه قال الامر الجامع حين يكونون معه فى جماعة الحرب أو جمعة قال والجمعة من الامر الجامع لا ينبغى لأحد أن يخرج اذا قعد الامام على المنبر يوم الجمعة الا باذن سلطان اذا كان حيث يراه أو يقدر عليه ولا يخرج الا باذن واذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه ولا يصل اليه فالله أولى بالعذر وقوله ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله يقول تعالى ذكره ان الذين لا ينصرفون يا محمد اذا كانوا معك فى أمر جامع عنك الا باذنك لهم طاعة منهم لله ولك وتصديقا بما أتيتهم به من عندى أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقا لا من يخالف أمر الله وأمر رسوله فينصرف عنك بغير اذن منك له بعد تقدمك اليه أن لا ينصرف عنك الا باذنك وقوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم يقول تعالى ذكره فاذا استأذنك يا محمد الذين لا يذهبون عنك الا باذنك فى هذه المواطن لبعض شأنهم يعنى لبعض حاجاتهم التى تعرض لهم فأذن لمن شئت منهم فى الانصراف عنك لقضائها واستغفر لهم يقول وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعفو عن تبعات ما بينه وبينهم ان الله غفور لذنوب عباده التائبين رحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا أيها المؤمنون دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم نهى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعرضوا لدعاء الرسول عليهم وقال لهم اتقوا دعاءه عليكم بأن تفعلوا ما يسخطه فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس فان دعاءه موجبة ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا دعوة الرسول عليكم موجبة فاحذروها * وقال آخرون بل ذلك نهى من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم أن يدعوا يا رسول الله فى لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد فى تجهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم أن يدعوه يا رسول الله فى لين وتواضع حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم أن يفخموه ويشرفوه * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب عندى التأويل الذى قاله ابن عباس وذلك أن الذى قبل قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا نهى من الله المؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه فى الامر الذى يجمع جميعهم ما يكرهه والذى بعده وعيد للمنصرفين عنه بغير اذنه فالذى بينهما بأن يكون تحذيرا لهم سخطه أن يضطره الى الدعاء عليهم أشبه

من

وحزبه وأنطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له ملك أو نبي أو غيرهما ندا أو قصدوا تنزيهه من أن يكون مقصوده من هذا السؤال استفادة علم أو ايذاء من كان بريئا من الجرم بل انما سألهم تقريعا للكفار وتوبيخا لهم من قرأ (أن نتخذ) بفتح النون فظاهر وهو متعد الى واحد والأصل أن نتخذ أولياء من دونك فزيدت من لتأكيد معنى النفى ومن قرأ بضم النون فهو متعد الى اثنين الاول ضمير نحن والثانى من أولياء

من أن يكون أمرالهم بما لم يجر له ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا يقول تعالى ذكره انكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير اذنه تسترا وخفية منه وان خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يعلم ذلك ولا يخفى عليه فليتق من يفعل ذلك منكم الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا باذنه أن تصيبهم فتنة من الله أو يصيبهم عذاب أليم فيطبع على قلوبهم فيكفروا بالله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن جويبر عن الضحاك في قول الله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال كانوا يستتر بعضهم ببعض فيقومون فقال فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة قال يطبع على قلبه فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال خلافا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللواذ يلوذ عنه ويروغ ويذهب بغير اذن النبي صلى الله عليه وسلم فليحذر الذين يخالفون عن أمره الذين يصنعون هذا أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم الفتنة ههنا الكفر واللواذ مصدر لاوذت بفلان ملاوذة ولواذا ولذلك ظهرت الواو ولو كان مصدر الذت لقيل لياذا كما يقال قمت قياما واذا قيل قاومتك قيل قواما طويلا واللواذ هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض يستتر هذا بهذا وهذا بهذا كما قال الضحاك وقوله أو يصيبهم عذاب أليم يقول أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع على صنيعهم ذلك وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره وأدخلت عن لأن معنى الكلام فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويدبرون عنه معرضين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ألا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم ﴾ يقول تعالى ذكره ألا ان لله ملك جميع السموات والارض يقول فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكه فيعصيه فيستوجب بذلك عقوبته يقول فكذلك أنتم أيها الناس لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو مالككم فأطيعوه وأتمروا لامره ولا تنصرفوا عن رسوله اذا كنتم معه على أمر جامع الا باذنه وقوله قد يعلم ما أنتم عليه من طاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك كما حدثني أيضا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد يعلم ما أنتم عليه صنيعكم هذا أيضا ويوم يرجعون اليه يقول ويوم يرجع الى الله الذين يخالفون عن أمره فينبئهم يقول فيخبرهم حينئذ بما عملوا في الدنيا ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها من خلافهم على ربهم والله بكل شئ عليم يقول والله ذو علم بكل شئ عملتموه أنتم وهم وغيركم وغير ذلك من الامور لا يخفى عليه شئ بل هو محيط بذلك كله وهو موف كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون اليه

﴿ آخر تفسير سورة النور ﴾

﴿ تفسير سورة الفرقان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ قال أبو جعفر تبارك تفاعل من البركة كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن

ولا تكون من زائدة لانها لا تزاد في المفعول الثاني تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولي فمن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام والمعنى انا لا نصلح لذلك فكيف ندعوهم الى عبادتنا وفي تفسير الآية على القراءة الأولى وجوه الأول أن المعنى اذا كنا لا نرى أن نتخذ من دونك وليا فكيف ندعو غيرنا الى ذلك الثاني ما كان يصح لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة

سعيد قال ثنا بشر بن عمارة قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال تبارك تفاعل من البركة وهو كقول القائل تقدس ربنا فقوله تبارك الذى نزل الفرقان يقول تبارك الذى نزل الفصل بين الحق والباطل فصلا بعد فصل وسورة بعد سورة على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون محمد لجميع الجن والانس الذين بعثه الله اليهم داعيا اليه نذيرا يعنى منذرا ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه ان لم يوحدوه ولم يخلصوا له العبادة ويخلعوا كل مادونه من الآلهة والأوثان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قال النبى النذير وقرأ وان من أمة الا خلا فيها نذير وقرأ وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون قال رسل قال المنذرون الرسل قال وكان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب ذو القرنين ثم بلغ السدين وكان نذيرا ولم أسمع أحدا يحق أنه كان نبيا وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ قال من بلغه القرآن من الخلق فرسول الله نذيره وقرأ يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وقال لم يرسل الله رسولا الى الناس عامة الا نوحا بدأ به الخلق فكان رسول أهل الأرض كلهم ومحمد صلى الله عليه وسلم ختم به ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا﴾ يقول تعالى ذكره تبارك الذى نزل الفرقان الذى له ملك السموات والأرض فالذى الثانية من نعت الذى الأولى وهما جميعا فى موضع رفع الأولى بقوله تبارك والثانية نعت لها ويعنى بقوله الذى له ملك السموات والأرض الذى له سلطان السموات والأرض ينفذ فى جميعها أمره وقضاؤه وعضى فى كلها أحكامه يقول فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ومن فى سلطانه ولا يعصوه يقول فلا تعصوا نذيرى اليكم أيها الناس واتبعوه واعملوا بما جاءكم به من الحق ولم يتخذ ولدا يقول تكذيبا لمن أضاف اليه الولد وقال الملائكة بنات الله ما اتخذ الذى نزل الفرقان على عبده ولدا فمن أضاف اليه ولدا فقد كذب وافترى على ربه ولم يكن له شريك فى الملك يقول تكذيبا لمن كان يضيف الالوهة الى الاصنام ويعبدها من دون الله من مشركى العرب ويقول فى تلبيته لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك كذب قائلو هذا القول ما كان لله من شريك فى ملكه وسلطانه فيصلح أن يعبد من دونه يقول تعالى ذكره فأفردوا أيها الناس لربكم الذى نزل الفرقان على عبده محمد نبيه صلى الله عليه وسلم الألوهة وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والانس فان كل ذلك خلقه وفى ملكه فلا تصلح العبادة الا لله الذى هو مالك جميع ذلك وقوله وخلق كل شئ يقول تعالى ذكره وخلق الذى نزل على محمد الفرقان كل شئ فالأشياء كلها خلقه وملكه وعلى المماليك طاعة مالكهم وخدمة سيدهم دون غيره يقول وأنا خالقكم ومالككم فأخلصوا الىّ العبادة دون غيرى وقوله فقدره تقديرا يقول فسوّى كل ما خلق وهيأه لما يصلح له فلا خلل فيه ولا تفاوت ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾ يقول تعالى ذكره مقرعا مشركى العرب بعبادتهم مادونه من الآلهة ومعجبا أولى النهى منهم ومنبههم على موضع خطا فعلهم وذهابهم عن منهج الحق وركوبهم من سبل الضلالة مالا يركبه الا كل مدخول الرأى مسلوب العقل واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذى له ملك السموات والأرض وحده من غير شريك الذى خلق كل شئ فقدره آلهة يعنى أصناما بأيديهم يعبدونها لا تخلق شيأ وهى تخلق ولا تملك لانفسها نفعا تجره اليها ولا ضرا تدفعه عنها ممن أرادها بضر ولا تملك اماتة حى ولا احياء ميت ولا نشر من

عن أبى مسلم الثالث تقدير مضاف محذوف أى ما كان لنا أن نتخذ من دون رضاك من أولياء أى لما علمنا أنك لا ترضى بهذا ما فعلنا أو قالت الملائكة انا وهم عبيد ولا ينبغى لعبيدك أن يدعوا من دون اذنك وليا الرابع قالت الاصنام لا يصح منا أن نكون من العابدين فكيف يمكننا ادعاء أنا من المعبودين وفى الآية دلالة على أنه لا تجوز الولاية والعداوة الا باذن الله والولاية المبنية على ميل النفس وشهوة الطبع مذمومة شرعا و (الذكر) ذكر الله والايمان به أو القرآن والشرائع أو ما فيه حسن ذكرهم فى الدنيا والآخرة قالت

بعد مماته وتركوا عبادة خالق كل شئ وخالق آلهتهم ومالك الضر والنفع والذى بيده الموت والحياة والنشور والنشور مصدر نشر الميت نشورا وهو أن يبعث و يحيا بعد الموت ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بالله الذين اتخذوا من دونه آلهة ما هذا القرآن الذى جاءنا به محمد الا افك يعنى الا كذب وبهتان افتراه اختلقه وتخرصه بقوله وأعانه عليه قوم آخرون ذكر أنهم كانوا يقولون انما يعلم محمدا هذا الذى يجيئنا به اليهود فذلك قوله وأعانه عليه قوم آخرون يقول وأعان محمدا على هذا الافك الذى افتراه يهود ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وأعانه عليه قوم آخرون قال يهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فقد جاؤا ظلما وزورا يقول تعالى ذكره فقد أتى قائلو هذه المقالة يعنى الذين قالوا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ظلما يعنى بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله الى أنه إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم وقد بينا فيما مضى أن معنى الظلم وضع الشئ فى غير موضعه فكأن ظلم قائلى هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا وصفهم اياه بغير صفته والزور أصله تحسين الباطل فتأويل الكلام فقد أتى هؤلاء القوم فى قيلهم ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون كذبا محضا * وبنحو الذى قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد جاؤا ظلما وزورا قال كذبا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت فى النضر بن الحرث وأنه المعنى بقوله وقالوا أساطير الاولين ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى من شياطين قريش وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة تعلم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رستم واسفنديار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسا فذكر بالله وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله خلفه فى مجلسه اذا قام ثم يقول أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ثم يقول ما محمد أحسن حديثا منى قال فأنزل الله تبارك وتعالى فى النضر ثمانى آيات من القرآن قوله واذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وكل ما ذكر فيه الأساطير فى القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس نحوه الا أنه جعل قوله فأنزل الله فى النضر ثمانى آيات عن ابن اسحق عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أساطير الاولين أشعارهم وكهانتهم وقالها النضر بن الحرث فتأويل الكلام وقال هؤلاء المشركون بالله الذين قالوا لهذا القرآن ان هذا الا افك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم هذا الذى جاءنا به محمد أساطير الاولين يعنون أحاديثهم التى كانوا يسطرونها

المعتزلة فى قوله ولكن متعتهم الخ دليل بين على أن الله عز وجل لا يضل عباده على الحقيقة والا كان جواب العبد أن يقولوا بل أنت أضللتهم لا أن يقولوا بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وعلى آبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التى حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر فالحاصل أنهم ضلوا بأنفسهم لا باضلالنا وقالت الأشاعرة بل فيه دلالة على أن الله تعالى هو المضل حقيقة كأنهم قالوا الهنا أنت الذى أعطيتهم جميع مطالبهم فى الدنيا حتى استغرقوا فى بحر الشهوات وأعرضوا عن التوجه الى طاعتك

فى كتبهم اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود فهى تملى عليه يعنون بقوله فهى تملى عليه فهذه الأساطير تقرأ عليه من قولهم أمليت عليك الكتاب وأمللت بكرة وأصيلا يقول وتملى عليه غدوة وعشيا وقوله قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بآيات الله من مشركى قومك ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الاولين وأن محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه وأعانه عليه قوم آخرون بل هو الحق أنزله الرب الذى يعلم سر من فى السموات ومن فى الارض ولا يخفى عليه شئ ومحصى ذلك على خلقه ومجازيهم بما عزمت عليه قلوبهم وأضمروه فى نفوسهم انه كان غفورا رحيما يقول انه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم فيتفضل عليهم بعفوه يقول فلأن ذلك من عادته فى خلقه يمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الافك والفاعلون ما فعلتم من الكفر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض قال ما يسر أهل الارض وأهل السماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا﴾ ذكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة وعرضوا عليه أشياء وسألوه الآيات فكان فيما كلموه به حينئذ فيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أن قالوا له فان لم تفعل لنا هذا يعنى ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم واحياء آبائهم والمجئ بالله والملائكة قبيلا وما ذكره الله فى سورة بنى اسرائيل فخذ لنفسك سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فيجعل لك قصورا وجنانا وكنوزا من ذهب وفضة تغنيك عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفاعل فأنزل الله فى قولهم أن خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذها أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا أو يبعث معه ملكا يصدقه بما يقول ويرد عنه من خاصمه وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا فتأويل الكلام وقال المشركون مال هذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الذى يزعم أن الله بعثه الينا يأكل الطعام كما نأكل ويمشى فى أسواقنا كما نمشى لولا أنزل اليه يقول هلا أنزل اليه ملك ان كان صادقا من السماء فيكون معه منذرا للناس مصدقا له على ما يقول أو يلقى اليه كنز من فضة أو ذهب فلا يحتاج معه الى التصرف فى طلب المعاش أو تكون له جنة يقول أو يكون له بستان يأكل منها واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يأكل بالياء بمعنى يأكل منها الرسول وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين نأكل منها بالنون بمعنى نأكل من الجنة * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه بالياء وذلك للخبر الذى ذكرنا قبل بأن مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه لا لهم فاذ كانت مسألتهم اياه ذلك كذلك فغير جائز أن يقولوا له سل لنفسك ذلك لنأكل نحن وبعد فان فى قوله تعالى ذكره تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار دليلا بينا على أنهم انما قالوا له اطلب ذلك لنفسك لتأكل أنت منه لا نحن وقوله وقال الظالمون يقول وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله ان تتبعون أيها القوم باتباعكم

محمدا

والاشتغال بخدمتك فان هى الا فتنتك أما قوله (وكانوا قوما بورا) فالا كثرون على أن البور جمع بائر من البوار الهلاك كعائذ وعوذ وحائل وحول وحكى الأخفش أنه اسم جمع يقال رجل بور أى فاسد هالك لا خير فيه وامرأة بور وقوم بور وكما يقال أنت بشر وأنتم بشر قالت المعتزلة صاروا الى الهلاك بسبب اختيارهم الضلال وقالت الاشاعرة أراد انهم كانوا فى اللوح المحفوظ من جملة الهالكين ولو قيل انه فعل بالكافر ما صار معه بحيث لا يمكنه ترك الكفر صح القول بالقدر أيضا قوله (فقد كذبوكم) التفات لاجل الالزام والفاء

محمدا الا رجلا به سحر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك هو مسحور فضلوا بذلك عن قصد السبيل وأخطؤا طريق الهدى والرشاد فلا يستطيعون يقول فلا يجدون سبيلا الى الحق الا فيما بعثتك به ومن الوجه الذي ضلوا عنه وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أي التمسوا الهدى في غير ما بعثتك به اليهم فضلوا فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهدى في غيره * وقال آخرون في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا يستطيعون سبيلا قال مخرجا يخرجهم من الامثال التي ضربوا لك وقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار يقول تعالى ذكره تقدس الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك واختلف أهل التأويل في المعنى بذلك التي في قوله جعل لك خيرا من ذلك فقال بعضهم معنى ذلك خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد هلا أوتيته وأنت لله رسول ثم بين تعالى ذكره عن ذلك الذي لو شاء جعل له من خير مما قالوا فقال جنات تجري من تحتها الأنهار ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك خيرا مما قالوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك قال مما قالوا وعنوا لك فيجعل لك مكان ذلك جنات تجري من تحتها الانهار * وقال آخرون عنى بذلك المشي في الاسواق والتماس المعاش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد فيما يرى الطبري عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال ثم قال تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك من أن تمشي في الاسواق وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا * قال أبو جعفر والقول الذي ذكرناه عن مجاهد في ذلك أشبه بتأويل الآية لأن المشركين انما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها وأن لا يلقى اليه كنز واستنكروا أن يمشي في الأسواق وهو لله رسول فالذي هو أولى بوعد الله اياه أن يكون وعدا بما هو خير مما كان عند المشركين عظيما لا مما كان منكرا عندهم وعنى بقوله جنات تجري من تحتها الانهار بساتين تجري في أصول أشجارها الانهار كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد جنات تجري من تحتها الانهار قال حوائط وقوله ويجعل لك قصورا يعني بالقصور البيوت المبنية وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويجعل لك قصورا قال بيوتا مبنية مشيدة كان ذلك في الدنيا قال كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصرا كائنا ما كان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد

فيه تدل على شرط مقدر كأنه قال ان زعمتم أنهم آلهتكم فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة أو بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا على اختلاف قراءتي الخطاب والغيبة قال جار الله الباء في الاول كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من كاف الخطاب كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وفي الثاني كقولك كتبت بالقلم (فما تستطيعون) أنتم يا كفار أو فما يستطيع آلهتكم على القراءتين صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة لانها تصرف العاصي عن فعله وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف أي يحتال ثم

ويجعل لك قصورا مشيدة فى الدنيا كل هذا قالته قريش وكانت قريش ترى البيت من حجارة ما (١) كان صغيرا قصرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ان شئت أن نعطيك خزائن الارض ومفاتيحها مالم يعطنى قبلك ولا يعطى من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى فقال اجمعوها لى فى الآخرة فأنزل الله فى ذلك تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ يقول تعالى ذكره ما كذب هؤلاء المشركون بالله وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحق من أجل أنك تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق ولكن من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد ولا يصدقون بالثواب والعقاب تكذيبا منهم بالقيامة وبعث الله الاموات أحياء لحشر القيامة وأعتدنا يقول وأعددنا لمن كذب ببعث الله الاموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة نارا تسعر عليهم وتتقد اذا رأتهم من مكان بعيد يقول اذا رأت هذه النار التى أعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد تغيظت عليهم وذلك أن تغلى وتفور يقال فلان تغيظ على فلان وذلك اذا غضب عليه فغلى صدره من الغضب عليه وتبين فى كلامه وزفيرا وهو صوتها فان قال قائل وكيف قيل سمعوا لها تغيظا والتغيظ لا يسمع قيل معنى ذلك سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد حدثنى محمود بن خداش قال ثنا محمد بن يزيد الواسطى قال ثنا أصبغ بن زيد الوراق عن خالد بن كثير عن فديك عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقول على مالم أقل فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا قالوا يارسول الله وهل لها من عين قال ألم تسمعوا الى قول الله اذا رأتهم من مكان بعيد الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا قال أخبرنى منصور بن المعتمر عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبى إلا خر ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم ليجثو على ركبتيه فيقول يارب لا أسألك اليوم الا نفسى حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال ان الرجل ليجر الى النار فتنزوى وينقبض بعضها الى بعض فيقول لها الرحمن مالك فتقول انه ليستجير منى فيقول أرسلوا عبدى وان الرجل ليجر الى النار فيقول يارب ما كان هذا الظن بك فيقول فما كان ظنك فيقول أن تسعنى رحمتك قال فيقول أرسلوا عبدى وان الرجل ليجر الى النار فتشهق اليه النار شهوق البغلة الى الشعير وتزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا﴾ يقول تعالى ذكره واذا ألقى هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكانا ضيقا قد قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الاغلال دعوا هنالك ثبورا واختلف أهل التأويل فى معنى الثبور فقال بعضهم هو الويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وادعوا ثبورا كثيرا يقول ويلا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا يقول لا تدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا ۞ وقال آخرون الثبور الهلاك ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا الثبور الهلاك ۞ قال أبو جعفر والثبور فى كلام العرب

ذكر وعيد كل ظالم بقوله (ومن يظلم) الآية واستدلت المعتزلة به على وعيد الفاسق وخلوده وذلك أن الفسق ظلم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون والانصاف أنه لا دلالة فى الآية على مطلوبهم لان من ليست من صيغ العموم عند بعضهم ولئن سلم فلعل المراد الأكثر أو أقوام بأعيانهم لقوله منكم ولئن سلم فلعله مشروط بعدم العفو كما أنه مشروط عند المعتزلة بعدم التوبة ولو سلم الجميع فاذاقة العذاب لا تدل على الخلود ثم بين بقوله (وما أرسلنا) الآية أنه لا وجه لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام لان هذه عادة مستمرة

(١) لعله سقط من قلم الناسخ أو كبيرا كما يفيده ما قبله والذى فى ابن كثير صغيرا كان أو كبيرا فتنبه
كتبه مصححه

العرب أصله انصراف الرجل عن الشئ يقال منه ماثبرك عن هذا الأمر أى ماصرفك عنه وهو فى هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله فى الدنيا والايمان بما جاءهم به نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة منه كما يقول القائل واندامتاه واحسرتاه على ما فرطت فى جنب الله وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول فى قوله دعوا هنالك ثبورا أى هلكة و يقول هو مصدر من ثبر الرجل أى أهلك و يستشهد لقيله فى ذلك ببيت ابن الزبعرى

اذ أجارى الشيطان فى سنن الغى * ومن مال ميله مثبور

وقوله لا تدعوا اليوم أيها المشركون ندما واحدا أى مرة واحدة ولكن ادعوا ذلك كثيرا وانما قيل لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا لان الثبور مصدر والمصادر لا تجمع وانما توصف بامتداد وقتها وكثرتها كما يقال قعد قعودا طويلا وأكل أكلا كثيرا حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا حجاج قال ثنا حماد قال ثنا على بن زيد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه و يسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم فيقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة أهذه النار التى وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها خير أم بستان الخلد الذى يدوم نعيمه ولا يبيد الذى وعد من اتقاه فى الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه وقوله كانت لهم جزاء ومصيرا يقول كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله فى الدنيا بطاعته وثواب تقواهم اياه ومصيرا لهم يقول ومصيرا للمتقين يصيرون اليها فى الآخرة وقوله لهم فيها ما يشاؤن يقول لهؤلاء المتقين فى جنة الخلد التى وعدهموها الله ما يشاؤن مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين خالدين فيها يقول لابثين فيها ماكثين أبدا لا يزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها وقوله كان على ربك وعدا مسؤلا وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك فى الدنيا حين قالوا آتنا ما وعدتنا على رسلك يقول الله تبارك وتعالى كان اعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التى وصف صفتها فى الآخرة وعدا وعدهم الله على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس كان على ربك وعدا مسؤلا قال فسألوا الذى وعدهم وتنجزوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كان على ربك وعدا مسؤلا قال سألوها اياها فى الدنيا طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم اذ سألوه أن يعطيهم فأعطاهم فكان ذلك وعدا مسؤلا كما وقت أرزاق العباد فى الارض قبل أن يخلقهم فجعلها أقواتا للسائلين وقت ذلك على مسئلتهم وقرأ وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله وعدا مسؤلا الى أنه معنى به وعدا واجبا وذلك أن المسؤل واجب وان لم يسئل كالدين و يقول ذلك نظير قول العرب لأعطينك ألفا وعدا مسؤلا بمعنى واجب لك فتسأله

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة العابدين الأوثان وما يعبدون من دون الله من الملائكة والانس والجن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن

من الله فى كل رسله قال الزجاج الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف لان فى قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره وما منا الا له مقام معلوم أى وما منا أحد وقال الفراء المحذوف هو الموصول والتقدير الا من انهم وقال ابن الانبارى المحذوف هو الواو بعد الا فتكون الجملة حالا كقوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قوله (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) قال الكلبى والفراء والزجاج ان هذا فى رؤساء المشركين كأبى جهل وغيره وفى

أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء قال عيسى وعزير والملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه أبو جعفر القارئ وعبد الله بن كثير ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول بالياء جميعا بمعنى ويوم يحشرهم ربك ويحشر ما يعبدون من دونه فيقول وقرأته عامة قراء الكوفيين نحشرهم بالنون فنقول وكذلك قرأه نافع وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال انهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فصيب وقوله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء يقول فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء يقول أأنتم أزللتموهم عن طريق الهدى ودعوتموهم الى الغي والضلالة حتى تاهوا وهلكوا أم هم ضلوا السبيل يقول أم عبادي هم الذين ضلوا سبيل الرشد والحق وسلكوا العطب ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا﴾ يقول تعالى ذكره قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى تنزيها لك يا ربنا وتبرئة مما أضاف اليك هؤلاء المشركون ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم أنت ولينا من دونهم ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة حتى نسوا الذكر وكانوا قوما هلكى قد غلب عليهم الشقاء والخذلان * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا يقول قوم قد ذهبت أعمالهم وهم في الدنيا ولم تكن لهم أعمال صالحة حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وكانوا قوما بورا يقول هلكى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وكانوا قوما بورا يقول هلكى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وكانوا قوما بورا قال هم الذين لا خير فيهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكانوا قوما بورا قال يقول ليس من الخير في شئ البور الذي ليس فيه من الخير شئ واختلفت القراء في قراءة قوله ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فقرأ ذلك عامة قراء الامصار نتخذ بفتح النون سوى الحسن ويزيد بن القعقاع فانهما قرآه أن نتخذ بضم النون فذهب الذين فتحوها الى المعنى الذي بيناه في تأويله من أن الملائكة وعيسى ومن عبد من دون الله من المؤمنين هم الذين تبرؤا أن يكون كان لهم ولي غير الله تعالى ذكره وأما الذين قرؤا ذلك بضم النون فانهم وجهوا معنى الكلام الى أن المعبودين في الدنيا انما تبرؤا الى الله أن يكون كان لهم أن يعبدوا من دون الله جل ثناؤه كما أخبر الله عن عيسى أنه قال اذ قيل أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم * قال أبو جعفر وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون لعلل ثلاث احداهن اجماع الحجة من القراء عليها والثانية أن الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سبا فقال ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم فأخبر عن الملائكة أنهم اذا سئلوا عن عبادة من عبدهم تبرؤا الى الله من ولايتهم فقالوا لربهم أنت ولينا من دونهم فذلك

فقراء الصحابة كأنه اذا رأى الشريف الوضيع وقد أسلم قبله أنف أن يسلم فأقام على كفره لئلا يكون للوضيع السابقة والفضل عليه دليله قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه وعن ابن عباس والحسن أنه في أصحاب البلاء والعافية يقول أحدهم لم أجعل مثله في الخلق والخلق والعلم والعقل والرزق والاجل وغير ذلك يؤيده ما روي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان وويل للشديد من الضعيف وللضعيف من

يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء بمعنى ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء والثالثة أن العرب لا تدخل من هذه التي تدخل في الجحد الا في الاسماء ولا تدخلها في الأخبار لا يقولون ما رأيت أخاك من رجل وانما يقولون ما رأيت من أحد وما عندي من رجل وقد دخلت ههنا في الاولياء وهي في موضع الخبر ولو لم تكن فيها من كان وجها حسنا وأما البور فصدر واحد وجمع للبائر يقال أصبحت منازلهم بورا أي خالية لاشئ فيها ومنه قولهم بارت السوق وبار الطعام اذا خلا من الطلاب والمشتري فلم يكن له طالب فصار كالشئ الهالك ومنه قول ابن الزبعرى

يا رسول المليك ان لساني * راتق ما فتقت اذ أنا بور

وقد قيل ان بور مصدر كالعدل والزور والقطع لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وانما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة لانهم لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس ؓ القول في تأويل قوله تعالى (فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا) يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبري من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم قد كذبوكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم ودعوكم الى عبادتهم بما تقولون يعني بقولكم يقول كذبوكم بكذبكم * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فقد كذبوكم بما تقولون يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعزيرا والملائكة يكذبون المشركين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد كذبوكم بما تقولون قال عيسى وعزير والملائكة يكذبون المشركين بقولهم وكان ابن زيد يقول في تأويل ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الانبياء والمؤمنون آمنوا به وكذب هؤلاء فوجه ابن زيد تأويل قوله فقد كذبوكم الى فقد كذبوكم أيها المؤمنون المكذبون بما جاءهم به محمد من عند الله بما تقولون من الحق وهو أن يكون خبرا عن الذين كذبوا الكافرين في زعمهم أنهم دعوهم الى الضلالة وأمروهم بها على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرناه عنه أشبه وأولى لانه في سياق الخبر عنهم والقراءة في ذلك عندنا فقد كذبوكم بما تقولون بالتاء على التأويل الذي ذكرناه لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وقد حكي عن بعضهم أنه قرأه فقد كذبوكم بما يقولون بالياء بمعنى فقد كذبوكم بقولهم وقوله جل ثناؤه فما تستطيعون صرفا ولا نصرا يقول فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال المشركون لا يستطيعونه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال المشركون قال ابن جريج لا يستطيعون صرف العذاب عنهم ولا نصرا أنفسهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كذبوا ولا أن ينتصروا قال وينادي مناد يوم القيامة حين تجتمع الخلائق ما لكم لا تناصرون قال من عبد من دون الله لا ينتصر اليوم من عبده وقال العابدون من دون

الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرأ هذه الآية وقال آخرون انه احتجاج عليهم في اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مع مساواته اياهم في البشرية وصفاتها فابتلى المرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وأنواع الاذى وابتلى المرسل اليهم بالتكليف وبذل النفس والمال وصيرورتهم تابعين خادمين بعد أن كانوا متبوعين مخدومين قالت الاشاعرة في هذا الجعل اشارة الى مذهبنا في القدر وقال الجبائي هذا الجعل بمعنى التعريف كما يقال فيمن بين أن فلانا لص انه جعله لصا قال في الكشاف موقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة

الله لا ينصره اليوم الهه الذى يعبد من دون الله فقال الله تبارك وتعالى بل هم اليوم مستسلمون وقرأ قول الله جل ثناؤه فان كان لكم كيد فكيدون وروى عن ابن مسعود فى ذلك ما حدثنا به أحمد ابن يونس قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال هى فى حرف عبد الله بن مسعود فما يستطيعون لك صرفا فان تكن هذه الرواية عنه صحيحة صح التأويل الذى تأوله ابن زيد فى قوله فقد كذبوكم بما تقولون ويصير قوله فقد كذبوكم خبرا عن المشركين أنهم كذبوا المؤمنين ويكون تأويل قوله حينئذ فما يستطيعون صرفا ولا نصرا فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن الحق الذى هداك الله له ولا نصر أنفسهم مما بهم من البلاء الذى هم فيه بتكذيبهم اياك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ومن يظلم منكم أيها المؤمنون يعنى بقوله ومن يظلم ومن يشرك بالله فيظلم نفسه فذلك نذقه عذابا كبيرا كالذى ذكرنا أن نذيقه الذين كذبوا بالساعة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله ومن يظلم منكم قال يشرك نذقه عذابا كبيرا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله ومن يظلم منكم قال هو الشرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا) وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركى قومه الذين قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق من أكلك الطعام ومشيك فى الاسواق وأنت لله رسول فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين الا من أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق كالذى تأكل أنت وتمشى فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة فان قال قائل فان من ليست فى التلاوة فكيف قلت معنى الكلام الا من أنهم ليأكلون الطعام قيل قلنا فى ذلك معناه أن الهاء والميم فى قوله انهم كناية أسماء لم تذكر ولا بد لها من أن تعود على من كنى عنه بها وانما ترك ذكر من واظهاره فى الكلام اكتفاء بدلالة قوله من المرسلين عليه كما اكتفى فى قوله وما منا الا له مقام معلوم من اظهار من ولا شك أن معنى ذلك وما منا الا من له مقام معلوم كما قيل وان منكم الا واردها ومعناه وان منكم الا من هو واردها فقوله انهم ليأكلون الطعام صلة لمن المتروك كما يقال فى الكلام ما أرسلت اليك من الناس الا من انه ليبلغك الرسالة فانه ليبلغك الرسالة صلة لمن وقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة يقول تعالى ذكره وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض جعلنا هذا نبيا وخصصناه بالرسالة وهذا ملكا وخصصناه بالدنيا وهذا فقيرا وحرمناه الدنيا لنختبر الفقير بصبره على ما حرم مما أعطيه الغنى والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة وكيف رضى كل انسان منهم بما أعطى وقسم له وطاعته ربه مع ما حرم مما أعطى غيره يقول فمن أجل ذلك لم أعط محمدا الدنيا وجعلته يطلب المعاش فى الاسواق ولأبتليكم أيها الناس وأختبر طاعتكم ربكم واجابتكم رسوله الى ما دعاكم اليه بغير عرض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم اياه لأنى لو أعطيته الدنيا لسارع كثير منكم الى اتباعه طمعا فى دنياه أن ينال منها ۞ وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال ثنى عبد القدوس عن الحسن فى قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الآية يقول هذا الأعمى لو شاء الله لجعلنى بصيرا مثل فلان ويقول هذا الفقير لو شاء الله لجعلنى

موقع أيكم بعد الابتلاء فى قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا قلت أراد أن كلا من الابتلاء والفتنة يستدعى التمييز فحسن الاستفهام بعده أى يفتنكم لنظهر أنكم تصبرون على البلاء أم لا ولعل الأظهر أن الاستفهام غير متعلق بالفتنة وانما هو مستأنف للوعيد كقوله فهل أنتم منتهون ويؤيده قوله وكان ربك بصيرا عالما بمن صبر ومن لا يصبر فيجازى كلا منهم بحسب ذلك وقيل فى الآية تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر فقد جعل الاغنياء فتنة للفقراء وقيل جعلناك فتنة لهم حين بعثناك فقيرا لتكون

غنيا مثل فلان ويقول هذا السقيم لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج في قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون قال يمسك عن هذا ويوسع على هذا فيقول لم يعطنى مثل ما أعطى فلانا ويبتلى بالوجع كذلك فيقول لم يجعلنى ربى صحيحا مثل فلان في أشباه ذلك من البلاء ليعلم من يصبر ممن يجزع حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد فيما يرى الطبرى عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس قال وأنزل عليه في ذلك من قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق الآية وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون أى جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفون لفعلت ولكنى قد أردت أن أبتلى العباد بكم وأبتليكم بهم وقوله وكان ربك بصيرا يقول وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتحن به من المحن كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وكان ربك بصيرا ان ربك لبصير بمن يجزع ومن يصبر

طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله ولو كنت غنيا صاحب كنز كما اقترحوا لم يظهر الطائع من المخلص وقالت الصوفية أتصبرون يا معشر الأنبياء على ما يقولون ويا معشر الامم عما يقولون والله أعلم

﴿ تم الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير الطبرى ويليه الجزء التاسع عشر أوله القول في تأويل قوله تعالى وقال الذين لا يرجون ﴾

﴿ فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش ابن جرير ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير النيسابورى ﴾

الجزء التاسع عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير
أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان
للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدّست أسراره

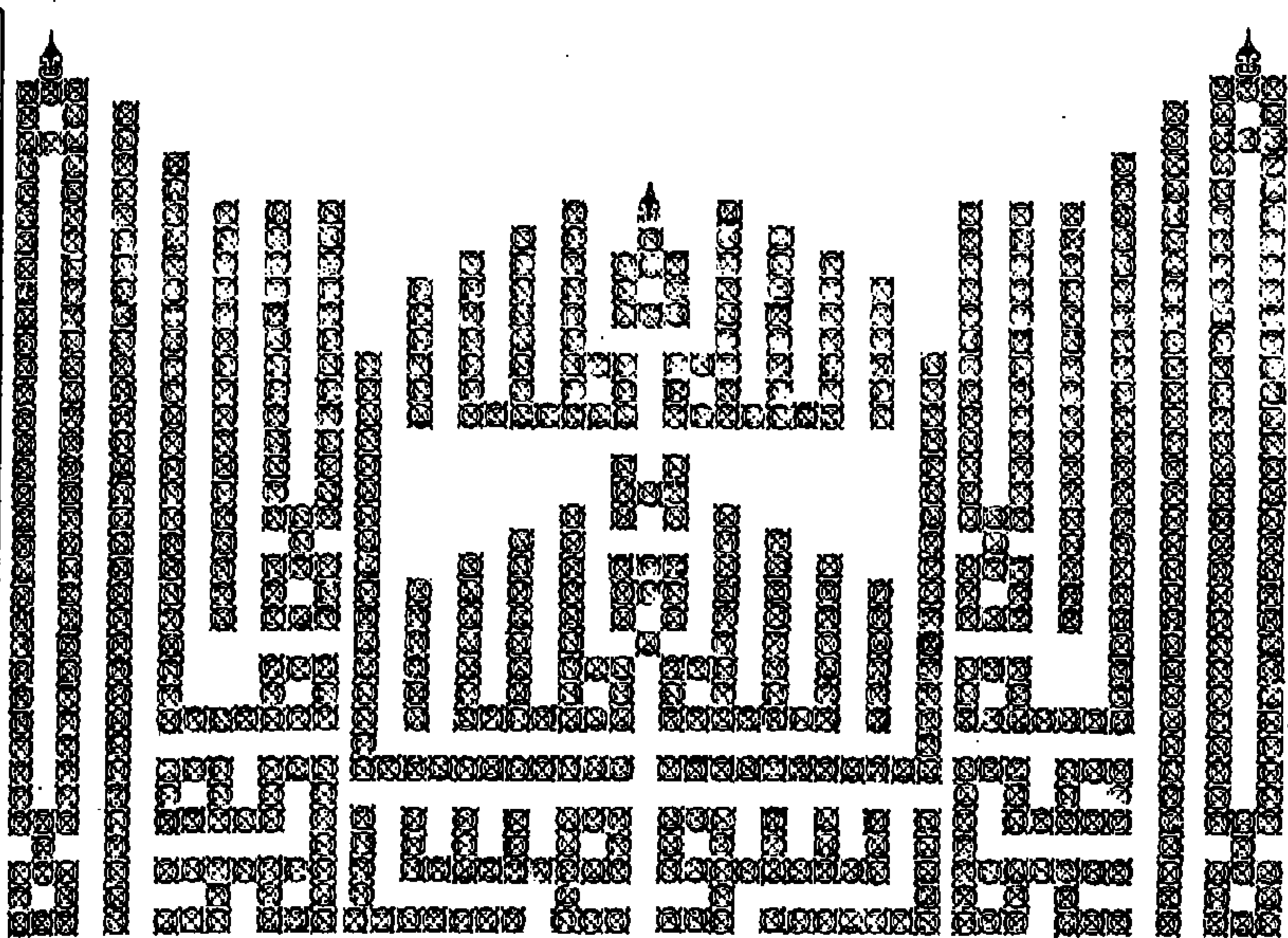
« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجلّ التفاسير وأعظمها فانه يتعرّض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا وإياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٨ هجريه



الجزء التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا﴾ يقول تعالى ذكره وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا ولا يخشون عقابنا هلا أنزل الله علينا ملائكته فتخبرنا أن محمدا محق فيما يقول وأن ما جاءنا به صدق أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك كما قال جل ثناؤه مخبرا عنهم وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ثم قال بعد أو تأتى بالله والملائكة قبيلا يقول الله لقد استكبر قائلو هذه المقالة فى أنفسهم وتعظموا وعتوا عتوا كبيرا يقول وتجاوزوا فى الاستكبار بقيلهم ذلك حده * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال كفار قريش لولا أنزل علينا الملائكة فيخبرونا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد استكبروا وعتوا عتوا الان عتا من ذوات الواو فأخرج مصدره على الاصل بالواو وقيل فى سورة مريم وقد بلغت من الكبر عتيا وانما قيل ذلك كذلك لموافقة المصادر فى هذا الوجه جمع الاسماء كقولهم قعد قعودا وهم قوم قعود فلما كان ذلك كذلك وكان العاتى يجمع عتيا بناء على الواحد جعل مصدره أحيانا موافقا لجمعه وأحيانا مردودا الى أصله

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا﴾ يقول تعالى ذكره يوم يرى هؤلاء الذين قالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا بتصديق محمد الملائكة فلا بشرى لهم يومئذ بخير ويقولون حجرا محجورا يعنى أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرا محجورا حراما محرما عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله ومن الحجر قول المتلمس

﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء

حنت الى نخلة القصوى فقلت لها * حجر حرام ألا تلك الدهاريس

ومنه قولهم حجر القاضى على فلان وحجر فلان على أهله ومنه حجر الكعبة لانه لايدخل اليه فى الطواف وانما يطاف من ورائه ومنه قول الآخر

فهممت أن (١) ألقى اليها محجرا * فلمثلها يلقى اليه المحجر

أى مثلها يركب منه المحرم * واختلف أهل التأويل فى المخبر عنهم بقوله ويقولون حجرا محجورا ومن قائلوه فقال بعضهم قائلو ذلك الملائكة للمجرمين نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا أبو أسامة عن الاجلح قال سمعت الضحاك بن مزاحم وسأله رجل عن قول الله ويقولون حجرا محجورا قال تقول الملائكة حراما محرما أن تكون لكم البشرى حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى عن جدى عن الحسن عن قتادة ويقولون حجرا محجورا قال هى كلمة كانت العرب تقولها كان الرجل اذا نزل به شدة قال حجرا يقول حراما محرما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا المجاءت زلازل الساعة فكان من زلازلها أن السماء انشقت فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها على شفة كل شئ تشقق من السماء فذلك قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون يعنى الملائكة تقول للمجرمين حراما محرما أيها المجرمون أن تكون لكم البشرى اليوم حين رأيتمونا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم يرون الملائكة قال يوم القيامة ويقولون حجرا محجورا قال عوذا معاذا حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وزاد فيه الملائكة تقوله * وقال آخرون ذلك خبر من الله عن قيل المشركين اذا عاينوا الملائكة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا قال ابن جريج كانت العرب اذا كرهوا شيأ قالوا حجرا فقالوا حين عاينوا الملائكة قال ابن جريج قال مجاهد حجرا عوذا يستعيذون من الملائكة * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذى اخترنا فى تأويل ذلك من أجل أن الحجر هو الحرام فمعلوم أن الملائكة هى التى تخبر أهل الكفر أن البشرى عليهم حرام وأما الاستعاذة فانها الاستجارة وليست بتحريم ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم فيوجه الكلام الى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) يقول تعالى ذكره وقدمنا وعمدنا الى ما عمل هؤلاء المجرمون من عمل ومنه قول الراجز

وقدم الخوارج الضلال * الى عباد ربهم فقالوا * ان دماءكم لنا حلال

يعنى بقوله قدم عمد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقدمنا قال عمدنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فجعلناه هباء منثورا يقول فجعلناه باطلا لأنهم لم يعملوه لله وانما عملوه للشيطان والهباء هو الذى يرى كهيئة الغبار اذا دخل ضوء الشمس من كوة يحسبه الناظر غبارا ليس بشئ تقبض عليه الأيدى ولا تمسه ولا يرى ذلك فى الظل

أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ام تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا) ۞ القراآت تشقق بتخفيف الشين على حذف تاء التفعل وكذلك فى سورة ق عاصم وحمزة وعلى وخلف وأبو عمرو والآخرون بالتشديد للادغام ونزل من الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير الباقون ونزل ماضيا مجهولا من التنزيل الملائكة بالرفع ياليتنى اتخذت بفتح ياء المتكلم أبو عمرو قومى اتخذوا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وثمود بغير تنوين فى الحالين حمزة وسهل ويعقوب وحفص الآخرون بالتنوين للمشاكلة أو بتأويل الحى لا القبيلة أو لأنه اسم الاب الأكبر الريح على التوحيد ابن كثير بشرا

(١) فى اللسان أن أغشى اليها محجرا * فلمثلها يغشى الخ وحرر

مذكور فى الاعراف ميتا بالتشديد يزيد ونسقيه بفتح النون المفضل والبرجمى الباقون بضمها ﴿ الوقوف ربنا ط كبيرا ه ط محجورا ه منثورا ه مقيلا ه تنزيلا ه (٤) للرحمن ط عسيرا ه سبيلا ه خليلا ه اذجاءنى ط لان مابعده من

* واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية هباء منثورا قال الغبار الذى يكون فى الشمس حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا قال الشعاع فى كوة أحدهم ان ذهب يقبض عليه لم يستطع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هباء منثورا قال شعاع الشمس من الكوة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله هباء منثورا قال ما رأيت شيأ يدخل البيت من الشمس تدخله من الكوة فهو الهباء * وقال آخرون بل هو ما تسفيه الرياح من التراب وتذروه من حطام الاشجار ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله هباء منثورا قال ما تسفى الريح وتبثه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة هباء منثورا قال هو ما تذرو الريح من حطام هذا الشجر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هباء منثورا قال الهباء الغبار * وقال آخرون هو الماء المهراق ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هباء منثورا يقال الماء المهراق وقوله جل ثناؤه أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا يقول تعالى ذكره أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرا وهو الموضع الذى يستقرون فيه من منازلهم فى الجنة من مستقر هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم وما أوتوا من عرض هذه الدنيا فى الدنيا وأحسن منهم فيها مقيلا فان قال قائل وهل فى الجنة قائلة فيقال وأحسن مقيلا فيها قيل معنى ذلك وأحسن فيها قرارا فى أوقات قائلتهم فى الدنيا وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يمر فيهم فى الآخرة الا قدر ميقات النهار من أوله الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم فى الجنة فذلك معنى قوله وأحسن مقيلا ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا يقول قالوا فى الغرف فى الجنة وكان حسابهم أن عرضوا على ربهم عرضة واحدة وذلك الحساب اليسير وهو مثل قوله فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم فى قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة فى نصف النهار فيقيل هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال لم ينتصف النهار حتى يقضى الله بينهم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار قال وفى قراءة ابن مسعود ثم ان مقيلهم لالى الجحيم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا

اخبار الله تعالى ظاهرا ويحتمل أن يكون من تتمة حكاية كلام الظالم خذولا ه مهجورا ه المجرمين ه ط ونصيرا ه واحدة ج على تقدير فرقنا انزاله كذلك أى كما ترى لنثبت وان وصلت وقفت على كذلك والتقدير جملة واحدة كذلك الكتاب المنزل وهو التوراة ثم أضمرت فعلا أى فرقناه لنثبت ترتيلا ه تفسيرا ه ط لأن ما بعده مبتدأ جهنم لا لأن ما بعده خبر سبيلا ه وزيرا ه ج للآية ولفاء العطف بآياتنا ط للفاء الفصيحة اى فذهبا وبلغا فعصوهما فدمرناهم تدميرا ه ط لان قوم نوح منصوب بمحذوف أى وأغرقنا قوم نوح أغرقناهم آية ط لان ما بعده مستأنف أليما ه ج للآية ولاحتمال عطف عادا على الضمير فى جعلناهم واحتمال انتصابه بمحذوف أى وأهلكنا عادا كثيرا ه الامثال ز فصلا بين الامرين المعظمين مع عطف الجملتين المتفقتين تتبيرا ه السوء ط يرونها لا للعطف مع الاضراب نشورا ه هزوا ط لحق المحذوف أى يقولون أهذا الذى رسولا ه عليها ط لانتهاء مقولهم سبيلا ه هواه ط وكيلا ه لا للعطف يعقلون ه ج لابتداء النفى سبيلا ه الظل ج لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع اتحاد المقصود ساكنا ج للعدول مع العطف دليلا ه يسيرا ه نشورا ه رحمته ج للعدول طهورا ه ج لتعلق اللام كثيرا ز والوصل أولى للفاء كفورا ه ﴿ التفسير هذه شبهة رابعة لمنكرى النبوة قال وانهم فى قول الكلبى أبو جهل والوليد وأضرابهما وتقريرها أن الحكيم لابد أن يختار فى مقصده طريقا يكون أسهل افضاء اليه ولاشك أن

قال قال ابن عباس كان الحساب من ذلك فى أوله وقال القوم حين قالوا فى منازلهم من الجنة وقرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث أن سعيدا الصوّاف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقضى على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس وأنهم يقيلون فى رياض الجنة حتى يفرغ من الناس فذلك قول الله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا * قال أبو جعفر وانما قلنا معنى ذلك خير مستقرا فى الجنة منهم فى الدنيا لان الله تعالى ذكره عم بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا جميع أحوال الجنة فى الآخرة أنها خير فى الاستقرار فيها والقائلة من جميع أحوال أهل النار ولم يخص بذلك أنه خير من أحوالهم فى النار دون الدنيا ولا فى الدنيا دون الآخرة فالواجب أن يعم كما عم ربنا جل ثناؤه فيقال أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرا فى الجنة من أهل النار فى الدنيا والآخرة وأحسن منهم مقيلا واذا كان ذلك معناه صح فساد قول من توهم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله خير مستقرا على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم فى قولهم هذا خير من هذا وهذا أحسن من هذا * القول فى تأويل قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) اختلف القراء فى قراءة قوله تشقق فقرأته عامة قراء الحجاز ويوم تشقق بتشديد الشين بمعنى تتشقق فأدغموا احدى التاءين فى الشين فشددوها كما قال لا يسمعون الى الملا الأعلى وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ويوم تشقق بتخفيف الشين والاجتزاء باحدى التاءين من الأخرى والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ويوم تتشقق السماء عن الغمام وقيل ان ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذى ظلل على بنى اسرائيل وجعلت الباء فى قوله بالغمام مكان عن كما تقول رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس بمعنى واحد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ويوم تشقق السماء بالغمام قال هو الذى قال فى ظلل من الغمام الذى يأتى الله فيه يوم القيامة ولم يكن قط الا لبنى اسرائيل قال ابن جريج الغمام الذى يأتى الله فيه غمام زعموا فى الجنة * قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن عبد الجليل عن أبى حازم عن عبد الله بن عمرو قال يهبط الله حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون حجابا منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء فى تلك صوتا تنخلع له القلوب * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فى قوله يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة يقول والملائكة حوله * قال ثنى حجاج عن مبارك بن فضالة عن على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران أنه سمع ابن عباس يقول ان هذه السماء اذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والانس وهو يوم التلاق يوم يلتقى أهل السماء وأهل الأرض فيقول أهل الارض جاء ربنا فيقولون لم يجئ وهو آت ثم تتشقق السماء الثانية ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف الى السماء السابعة فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والانس قال فتنزل الملائكة الكروبيون ثم يأتى ربنا تبارك وتعالى فى حملة العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة قال وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه وكل

انزال الملائكة ليشهدوا على صدق محمد أعون على المطلوب فلو كان محمد صادقا لكان مؤيدا بانزال الملائكة الشاهدين بصدقه قال الفراء معنى لا يرجون لا يخافون والرجاء فى لغة تهامة الخوف وقال غيره الرجاء على أصله وهو الامل الا أن الخوف يلزمه فى هذه الصورة فان من لا يرجوا الجزاء والمعاد لا يخاف العقاب أيضا واللقاء الوصول لا بمعنى المكان والجهة فانه تعالى منزه عن ذلك بل بمعنى الرؤية عند الاشاعرة أو على ارادة الجزاء والحساب عند المعتزلة وقدمر فى أوائل البقرة فى قوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون ولعل تفسيره بلقاء الجزاء أنسب فى هذا المقام لئلا يناقض قوله أو نرى ربنا أى جهرة وعيانا فيأمرنا بتصديقه واتباعه اللهم الا أن يراد ان الذين لا يرجون رؤيتنا فى الآخرة اقترحوا رؤيتنا فى الدنيا قال جار الله لا يخلوا اما أن يكونوا عالمين بأن الله عزوجل لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وانه تعالى لا يصح أن يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما أن لا يكونوا عالمين بذلك وانما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التى نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ثم انه سبحانه أجاب عن شبهتهم بقوله (لقد استكبروا فى أنفسهم) أى أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم واعتقدوه ثم نسبهم الى الافراط فى الظلم بقوله (وعتوا) ثم وصف العتو بالكبر قال جار الله اللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة فى حسن استئنافها غاية وفيها معنى التعجب كأنه قال ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وقال فى التفسير الكبير يحرر هذا الجواب من وجوه أحدها أن القرآن لما ظهر كونه معجزا فقد تمت دلالة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم فبعد ذلك لا يكون اقتراح أمثال هذه الآيات الا محض الاستكبار والاستنكار * وثانيها أن نزول الملائكة لو حصل لكان أيضا من جملة المعجزات ولا يدل على الصدق لخصوص

كونه بنزول الملك بل لعموم كونه معجزا فيكون قبول ذلك وردّ الآخر ترجيحا لأحد المثلين من غير مرجح * وثالثها انهم بتقدير رؤية الرب وتصديقه لرسوله لا يستفيدون علما أزيد (٦) من تصديق المعجزات لا فرق بين أن يقول النبي اللهم ان كنت صادقا فأحي هذا الميت فيحييه وبين أن يقول ان كنت صادقا فصدّقني فيصدّقه فتعيين أحد الطرفين محض العناد * ورابعها أن العبد ليس له أن يعترض على فعل مولاه اما بحكم المالكية عند الاشعري أو بحكم المصلحة عند المعتزلي * وخامسها أن السائل الملح المعاند الذي لا يرضى بما ينعم عليه مذموم واظهار المعجز من جملة الايادي الجسيمة فرد احداها واقتراح الاخرى ليس من الادب في شئ * وسادسها لعل المراد اني لو علمت أنهم ليسوا مستكبرين عاتين لأعطيتهم مطلوبهم لكني علمت انهم انما سألوا لأجل المكابرة والعناد فلا جرم لا أعطيهم * وسابعها لعلهم عرفوا من أهل الكتاب أن الله تعالى لا يرى في الدنيا وأنه لا ينزل الملائكة على عوام الخلق ثم انهم علقوا ايمانهم على ذلك فهم مستكبرون ساخرون واستدلت الاشاعرة بقوله لا يرجون لقاءنا على أن رؤية الله مرجوة واستدلت المعتزلة بقوله لقد استكبروا وعتوا أن اقتراح الرؤية مستنكر ولا يخفى ضعف الاستدلالين وانتصب يوم يرون باضمار اذكر فيكون لا بشرى مستأنفا أو بما دل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى بالجنة وبرؤية الحق ويومئذ للتكرير وقوله للمجرمين ظاهر في موضع الضمير أو عام فيتناول هؤلاء لعمومه ولاجل هذا العموم استدلت المعتزلة به على القطع بوعيد كل مجرم وان كان من أهل القبلة وحمل الاشاعرة المجرم على الكفر أما قوله (حجرا محجورا) فانها كلمة يتلفظ بها عند لقاء عدوّ أو هجوم نازلة يضعونها موضع الاستعاذة يقول الرجل للرجل تفعل كذا فيقول حجرا وقد ذكره سيبويه في باب المصادر

ملك منهم واضع رأسه بين ثدييه يقول سبحان الملك القدوس وعلى رؤسهم شئ مبسوط كأنه القباء والعرش فوق ذلك ثم وقف * قال ثنا الحسن قال ثنا جعفر بن سليمن عن هرون بن وثاب عن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال اذا نظر أهل الارض الى العرش يهبط عليهم فوقهم شخصت اليه أبصارهم ورجفت كلاهم في أجوافهم قال وطارت قلوبهم من مقرها في صدورهم الى حناجرهم حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا يعني يوم القيامة حين تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة تنزيلا وقوله ونزل الملائكة تنزيلا يقول ونزل الملائكة الى الارض تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن يقول الملك الحق يومئذ خالص للرحمن دون كل من سواه وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه وقد كان في الدنيا ملوك فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار وكان يوما على الكافرين عسيرا يقول وكان يوم تشقق السماء بالغمام يوما على أهل الكفر بالله عسيرا يعني صعبا شديدا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) يقول تعالى ذكره ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صدّه عن سبيل ربه يقول ياليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلا يعني طريقا الى النجاة من عذاب الله وقوله ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله الظالم وبقوله فلانا فقال بعضهم عني بالظالم عقبة بن أبي معيط لانه ارتد بعد اسلامه طلبا منه لرضا أبيّ بن خلف وقالوا فلان هو أبيّ ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال كان أبيّ بن خلف يحضر النبي صلى الله عليه وسلم فزجره عقبة بن أبي معيط فنزل ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الى قوله خذولا قال الظالم عقبة وفلانا خليلا أبيّ بن خلف حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي في قوله ليتني لم أتخذ فلانا خليلا قال كان عقبة بن أبي معيط خليلا لأمية ابن خلف فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام ان تابعت محمدا فكفر وهو الذي قال ليتني لم أتخذ فلانا خليلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان الجزري عن مقسم في قوله ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا قال اجتمع عقبة بن أبي معيط وأبيّ بن خلف وكانا خليلين فقال أحدهما لصاحبه بلغني أنك أتيت محمدا فاستمعت منه والله لا أرضى عنك حتى تتفل في وجهه وتكذبه فلم يسلطه الله على ذلك فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما أبيّ بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد في القتال وهما اللذان أنزل الله فيهما ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويوم يعض الظالم على يديه الى قوله فلانا خليلا قال هو أبيّ بن خلف كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم

فزجره

التي ترك اظهارفعلها نحومعاذالله وعمرك الله ومعناه منعا أي أسأل الله أن يمنع ذلك منعا كما أن المستعيذ طالب من الله عز وجل أن يمنع المكروه ووصفه بالمحجور للتأكيد كما يقال شعر شاعر وجد جده والاكثرون (٧) على أن القائلين هم الكفار اذا رأوا الملائكة

فزجره عقبة بن أبي معيط حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويوم يعض الظالم على يديه قال عقبة بن أبي معيط دعا مجلسا فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لطعام فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأكل وقال لا آكل حتى تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال ما أنت بآكل حتى أشهد قال نعم قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فلقيه أمية بن خلف فقال صبوت فقال ان أخاك على ما تعلم ولكني صنعت طعاما فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك فقلته وليس من نفسي * وقال آخرون عني بفلان الشيطان ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلانا خليلا قال الشيطان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني يقول جل ثناؤه مخبرا عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا من معصية ربه في طاعة خليله لقد أضلني عن الايمان بالقرآن وهو الذكر بعد اذ جاءني من عند الله فصدني عنه يقول الله وكان الشيطان للانسان خذولا يقول مسلما لما ينزل به من البلاء غير منقذه منه ولا منجيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ يقول تعالى ذكره وقال الرسول يوم يعض الظالم على يديه يارب ان قومي الذين بعثتني اليهم لأدعوهم الى توحيدك اتخذوا هذا القرآن مهجورا * واختلف أهل التأويل في معنى اتخاذهم القرآن مهجورا فقال بعضهم كان اتخاذهم ذلك هجرا قولهم فيه السيء من القول وزعمهم أنه سحر وأنه شعر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اتخذوا هذا القرآن مهجورا قال يهجرون فيه بالقول يقولون هو سحر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وقال الرسول الآية يهجرون فيه بالقول قال مجاهد وقوله مستكبرين به سامرا تهجرون قال مستكبرين بالبلد سامر المجالس تهجرون قال بالقول السيء في القرآن غير الحق حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم في قول الله ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا قال قالوا فيه غير الحق ألم تر الى المريض اذا هذى قال غير الحق * وقال آخرون بل معنى ذلك الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا لا يريدون أن يسمعوه وان دعوا الى الله قالوا لا وقرأ وهم ينهون عنه وينأون عنه قال ينهون عنه ويبعدون عنه * قال أبو جعفر وهذا القول أولى بتأويل ذلك وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وذلك هجرهم اياه وقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدوا من مشركي قومه فلم نخصص بذلك من بينهم يقول فاصبر لما نالك منهم

عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم الا بما يكرهون فيقولون ما كانوا يقولونه عند نزول كل شدة وقيل هم الملائكة ومعناه حراما محرما أي جعل الله الجنة والغفران أو البشرى حراما عليكم يروى أن الكفار اذا خرجوا من قبورهم قالت الحفظة لهم حجرا محجورا وقال الكلبي الملائكة على أبواب الجنة يبشرون المؤمنين بالجنة ويقولون للمشركين حجرا محجورا وقال عطية اذا كان يوم القيامة تأتي الملائكة المؤمنين بالبشرى فاذا رأى الكفار ذلك قالوا لهم بشرونا فيقولون حجرا محجورا ثم أخبر عن وعيد آخر لهم وذلك أنهم كانوا يعملون أعمالا لها صورة الخير من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف وأمثالها مع عدم بنائها على أساس الايمان فمثلت حالهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى أشيائهم وقصد الى ما تحت أيديهم فأفسدها بحيث لم يترك منها أثرا والا فلا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولتنزهه سبحانه عن الجسمية وصفاتها قال أهل المعاني القادم الى الشيء قاصد له فالقصد هو المؤثر في القدوم فاطلق اسم المسبب على السبب مجازا وقيل أراد قدوم الملائكة بأمره الى موضع الحساب في الآخرة والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وقال مقاتل انه الغبار الذي يسطع من

حوافر الدواب وفي أمثالهم أقل من الهباء شبه عملهم بالهباء في قلته وحقارته وأكد المعنى بوصف الهباء بالتناثر لأنك تراه منتظما مع الضوء حتى اذا حركته الريح تناثر وذهب كل مذهب والمراد جعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر ولام الهباء واو بدليل الهبوة بمعناه ثم ميز حال الابرار

عن حال الفجار بقوله (أصحاب الجنة يومئذ خير) ووجه صحة التفضيل ما بين في قوله قل أذلك خير أم جنة الخلد أو التفاوت بين المنزلتين انما يرجع الى الموضع والموضع من حيث انه موضع (٨) لا شر فيه أو هو على سبيل الفرض أى لو كان لهم مستقر كان مستقر أهل الجنة خيرا منه والمستقر مكان الاستقرار والمقيل المكان الذى يأوون اليه للاسترواح الى أزواجهم والاستمتاع بمغازلتهنّ وملامستهنّ كحال المترفين فى الدنيا ولا نوم فى الجنة وانما سمى مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفى اختيار لفظ الأحسن دون أن يقول خير مقيلا رمز الى التحسنات الحاصلة فى مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور وغير ذلك قال ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وعن سعيد بن جبير ان الله تعالى اذا أخذ فى فصل القضاء قضى بينهم كقدر ما بين صلاة الغداة الى نصف النهار فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وقال مقاتل يخفف الحساب على أهل الجنة حتى يكون بمقدار نصف يوم من أيام الدنيا ثم يقيلون من يومهم ذلك فى الجنة وحاصل الآية أن أصحاب الجنة من المكان فى أطيب مكان ومن الزمان فى أحسن زمان ثم أراد أن يصف أهوال يوم القيامة فقال (ويوم تشقق) أى واذكر يوم تنفتح السماء بسبب غمام يخرج منها وفى الغمام الملائكة فينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد قال الفراء الباء بمعنى عن لان السماء لا تنشقق بالغمام بل عن الغمام كما يقال انشقت الارض عن النبات أى ارتفع التراب عنه عند طلوعه وقال القاضى لا يمتنع أن يجعل الله تعالى الغمام بحيث يشقق السماء باعتماده عليها عن مقاتل تشقق سماء الدنيا فينزل أهلها وكذلك تنشقق سماء سماء ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش ثم ينزل الرب تعالى قال العلماء هذا نزول الحكم والقضاء لا نزول الذات وأما نزول الملائكة

كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن عباس وكذلك جعلنا لكل نبىّ عدوا من المجرمين قال يوطن محمدا صلى الله عليه وسلم أنه جاعل له عدوا من المجرمين كما جعل لمن قبله وقوله وكفى بربك هاديا ونصيرا يقول تعالى ذكره لنبيه وكفاك يا محمد بربك هاديا يهديك الى الحق ويبصرك الرشد ونصيرا يقول ناصرا لك على أعدائك يقول فلا يهولنك أعداؤك من المشركين فانى ناصرك عليهم فاصبر لأمرى وامض لتبليغ رسالتى اليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله لولا نزل عليه القرآن يقول هلا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة قال الله كذلك لنثبت به فؤادك تنزيله عليك الآية بعد الآية والشئ بعد الشئ لنثبت به فؤادك نزلناه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا قال كان الله ينزل عليه الآية فاذا علمها نبى الله نزلت آية أخرى ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب ويثبت به فؤاده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى قال كذلك لنثبت به فؤادك قال كان القرآن ينزل عليه جوابا لقولهم ليعلم محمد أن الله يجيب القوم بما يقولون بالحق ويعنى بقوله لنثبت به فؤادك لنصحح به عزيمة قلبك ويقين نفسك ونشجعك به وقوله ورتلناه ترتيلا يقول وشيأ بعد شئ علمناكه حتى تحفظته والترتيل فى القراءة الترسل والتثبت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله ورتلناه ترتيلا قال نزل متفرقا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله ورتلناه ترتيلا قال كان ينزل آية وآيتين وآيات جوابا لهم اذا سألوا عن شئ أنزله الله جوابا لهم وردّا عن النبى فيما يتكلمون به وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ورتلناه ترتيلا قال كان بين ما أنزل القرآن الى آخره أنزل عليه لأربعين ومات النبى صلى الله عليه وسلم لثنتين أو لثلاث وستين * وقال آخرون معنى الترتيل التبيين والتفسير ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ورتلناه ترتيلا قال فسرناه تفسيرا وقرأ ورتل القرآن ترتيلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا﴾ يقول تعالى ذكره ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه الا جئناك من الحق بما نبطل به ما جاؤا به وأحسن منه تفسيرا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق قال الكتاب بما تردّ به ما جاؤا به من الامثال التى جاؤا بها وأحسن تفسيرا وعنى بقوله وأحسن تفسيرا وأحسن مما جاؤا به من المثل بيانا وتفصيلا * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى

مع كثرتهم وصغر حجم الارض بالقياس الى السماء فقالوا لايبعد أن يوسع الله الارض عرضا وطولا بحيث تسع كل هؤلاء ومن المفسرين من قال الملائكة يكونون في الغمام وهو سترة بين السماء والارض والله تعالى فوق (٩) أهل القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس قال تتشقق كل سماء وينزل سكانها فيحيطون بالعالم ويصيرون سبع صفوف حول العالم والظاهر أن اللام في الغمام للجنس ومنهم من قال هي للعهد والمعهود قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة كما كان لبني اسرائيل في التيه ومعنى (تنزيلا) توكيد للنزول ودلالة على اسراعهم فيه قال الزجاج (الحق) صفة الملك أي الملك الثابت الذي لا يزول (للرحمن) يومئذ ونظيره مالك يوم الدين ويجوز أن يكون يومئذ تكريرا لقوله ويوم تشقق واعرابهما واحد والفائدة في تخصيص ذلك اليوم أن يعلم أنه لامالك فيه سواه لا بالصورة ولا في الحقيقة فيخضع له الملوك وتعنو له الوجوه وتذل رقاب الجبابرة قالت الاشاعرة ههنا لو وجب على الله يومئذ الثواب لاستحق الذم بتركه وكان خائفا أن لا يفعل فلم يكن له الملك على الاطلاق وأيضا لو كان العبد مالكا للثواب لم يكن الله تعالى مالكا مطلقا بل يكون عبدا ضعيفا لايقدر على أن لا يؤدي ماعليه من العوض أو فقيرا محتاجا الى أن يدفع الذم عن نفسه بأداء ماعليه وكان ذلك اليوم يوما عسيرا على الكافرين لا على المؤمنين واللام في الظالم ظاهر الاستغراق والشمول أو للجنس وعن ابن عباس أنه للعهد وذلك أن الآية نزلت في عقبة بن أبي معيط وكان يكثر مجالسة الرسول صلى الله عليه وسلم فاتخذ ضيافة ودعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل من طعامه حتى يأتي بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت ياعقبة قال لا ولكن

حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأحسن تفسيرا يقول أحسن تفصيلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأحسن تفسيرا قال بيانا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وأحسن تفسيرا يقول تفصيلا وقوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا يقول تعالى ذكره لنبيه هؤلاء المشركون يامحمد القائلون لك لولا نزل هذا القرآن جملة واحدة ومن كان على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم الى جهنم فيساقون الى جهنم شر مستقرا في الدنيا والآخرة من أهل الجنة في الجنة وأضل منهم في الدنيا طريقا * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم قال الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أولئك شر مكانا من أهل الجنة وأضل سبيلا قال طريقا حدثني محمد بن يحيى الأزدي قال ثنا الحسين بن محمد قال ثنا شيبان عن قتادة قوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم قال حدثنا أنس بن مالك أن رجلا قال يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه حدثنا أبو سفيان الغنوي يزيد بن عمرو قال ثنا خلاد بن يحيى الكوفي قال ثنا سفيان الثوري عن اسمعيل بن أبي خالد قال أخبرني من سمع أنس بن مالك يقول جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف يحشرهم على وجوههم قال الذي يحشرهم على أرجلهم قادر بأن يحشرهم على وجوههم حدثنا عبيد بن محمد الورّاق قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي داود عن أنس بن مالك قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحشر أهل النار على وجوههم فقال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا حزم قال سمعت الحسن يقول قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم فقالوا يانبي الله كيف يمشون على وجوههم قال أرأيت الذي أمشاهم على أقدامهم أليس قادرا أن يمشيهم على وجوههم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور بن زاذان عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي خالد عن أبي هريرة قال يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أقدامهم وصنف على وجوههم فقيل كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله وتكذيبهم رسوله ويخوفهم من حلول نقمته بهم نظير الذي يحل بمن كان قبلهم من الامم المكذبة رسلها ولقد آتينا يامحمد موسى الكتاب يعني التوراة كالذي آتيناك من الفرقان وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا يعني معينا وظهيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا يقول فقلنا لهما اذهبا الى فرعون وقومه الذين كذبوا بأعلامنا وأدلتنا فدمرناهم تدميرا وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ماذكر من ذكره وهو فذهبا فكذبوهما فدمرناهم حينئذ القول

أبى أن تأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى فقال وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه ولم تبزق فى وجهه فوجده ساجدا (١٠) فى دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة

في تأويل قوله تعالى ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما﴾ يقول تعالى ذكره وقوم نوح لما كذبوا رسلنا وردّوا عليهم ما جاؤهم به من الحق أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس آية يقول وجعلنا تغريقنا اياهم واهلاكنا عظة وعبرة للناس يعتبرون بها وأعتدنا للظالمين عذابا أليما يقول وأعددنا لهم من الكافرين بالله فى الآخرة عذابا أليما سوى الذى حل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا﴾ يقول تعالى ذكره ودمرنا أيضا عادا وثمود وأصحاب الرس واختلف أهل التأويل فى أصحاب الرس فقال بعضهم أصحاب الرس من ثمود ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وأصحاب الرس قال قرية من ثمود * وقال آخرون بل هى قرية من اليمامة يقال لها الفلج ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال ثنا ابن وهب قال ثنا جرير بن حازم قال قال قتادة الرس قرية من اليمامة يقال لها الفلج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة أصحاب الرس بفلج هم أصحاب يس * وقال آخرون هم قوم رسوا نبيهم فى بئر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى بكر عن عكرمة قال كان الرس بئرا رسوا فيها نبيهم * وقال آخرون هى بئر كانت تسمى الرس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وأصحاب الرس قال هى بئر كانت تسمى الرس حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد فى قوله وأصحاب الرس قال الرس بئر كان عليها قوم «قال أبو جعفر» والصواب من القول فى ذلك قول من قال هم قوم كانوا على بئر وذلك أن الرس فى كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك ومنه قول الشاعر

سبقت الى فرط باهل * تنابلة يحفرون الرساسا

يريد أنهم يحفرون المعادن ولا أعلم قوما كانت لهم قصة بسبب حفرة ذكرهم الله فى كتابه الا أصحاب الاخدود فان يكونوا هم المعنيين بقوله وأصحاب الرس فانا سنذكر خبرهم ان شاء الله اذا انتهينا الى سورة البروج وان يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبرا الا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا نبيهم فى حفرة الا ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الاسود وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث نبيا الى أهل قرية فلم يؤمن من أهلها أحد الا ذلك الأسود ثم ان أهل القرية عدوا على النبى عليه السلام فحفروا له بئرا فألقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر ضخم قال وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ثم يأتى بحطبه فيبيعه فيشترى به طعاما وشرابا ثم يأتى به الى ذلك البئر فيرفع تلك الصخرة فيعينه الله عليها فيدلى اليه طعامه وشرابه ثم يعيدها كما كانت قال فكان كذلك ما شاء الله أن يكون ثم انه ذهب يوما يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ثم انه هب فتمطى فتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على اذنه سبع سنين أخرى ثم انه هب فاحتمل حزمته ولا يحسب الا انه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان

الاعلوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر أمر عليا رضى الله عنه بقتله وفى روايات الشيعة أن الظالم هو رجل بعينه وأن المسلمين غيروا اسمه وكتموه وجعلوا فلانا بدلا من اسمه وذكروا فاضلين من الصحابة وفيه بعد لان تغيير القرآن كفر والعض على اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من لوازم الغيظ والتحسر غالبا ونظيره سقط فى يده وأكل من بنانه وأمثال ذلك وقال الضحاك يأكل يديه الى المرفق ثم تنبت فلا يزال كذلك كلما أكلها نبتت قال جار الله تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أراد انى كنت ضالا لم يكن لى سبيل قط فليتنى حصلت لنفسى فى صحبة الرسول سبيلا وفلان كناية عن الاعلام كما أن الهن كناية عن الاجناس فان أريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم اتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم فجعله كناية عنه قلت زعم بعض أئمة اللغة أنه لم يثبت استعمال فلان فى الفصيح الا حكاية لا يقال جاءنى فلان ولكن يقال قال زيد جاءنى فلان لانه اسم اللفظ الذى هو علم لا اسم مدلول العلم ولذلك جاء فى كلام الله تعالى يقول ياليتنى الخ والذكر ذكر الله والقرآن أو موعظة الرسول أو نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله الذى أضله كما يضله الشيطان ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة أو اشارة الى ابليس وأنه هو الذى حمله على أن صار خليلا لذلك المضل وخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خذله أو أراد الجنس فيدخل فيه كل من تشيطن يصنع

من الجن والانس ثم ان الكفار لما أكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت ضاق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وشكاهم الى الله عز وجل وقال (يا رب ان قومى) يعنى قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أى (١١) تركوه وصدّوا عنه وعن الايمان به وعن أبى مسلم أن المراد وقال الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة روى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى والجار محذوف أى جعلوه مهجورا فيه وعلى هذا فله معنيان أحدهما أنهم زعموا أنه كلام لا فائدة فيه والثانى أنهم كانوا اذا سمعوه لغوا فيه وجوز الكشاف أن يكون المهجور مصدرا بمعنى الهجر كالميسور والمجلود أى اتخذوه هجرا *سؤال هذا النداء بمنزلة قول نوح رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا فكيف صارت شكاية نوح سببا لحلول العذاب بامته ولم تصر شكاية نبينا صلى الله عليه وسلم سببا لذلك *الجواب ان الكلام بالتمام وكان من تمام كلام نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولم يكن كلام رسولنا الا مجرد الشكاية ولم يقتض الدعاء عليهم وذلك من غاية شفقته على الامة وان بلغ ايذاؤهم اياه الغاية ما أوذى نبى مثل ما أوذيت هذا مع أنه سبحانه سلاه وعزاه وأمره بالصبر على أذاهم حين قال (وكذلك جعلنا) بين ذلك أن له أسوة بسائر الانبياء فليصبر على ما يلقاه من قومه كما صبروا وتمام البحث فيه قد سلف فى الانعام فى قوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوّا شياطين الانس والجن (وكفى بربك هاديا ونصيرا) الى مصالح الدين والدنيا أو الى طريق قهرهم والانتصار منهم ونصيرا لك على أعدائك ثم حكى عنهم شبهة خامسة وهى قولهم هلا نزل عليه القرآن حال كونه جملة واحدة أى مجتمعا ومعنى التنزيل ههنا التعدية

يصنع ثم ذهب الى الحفرة فى موضعها التى كانت فيه فالتمسه فلم يجده وقد كان بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه قال فكان النبى عليه السلام يسألهم عن ذلك الاسود ما فعل فيقولون ما ندرى حتى قبض الله النبى فأهب الله الاسود من نومته بعد ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود لأول من يدخل الجنة غير أن هؤلاء فى هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم أنهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرته فلا ينبغى أن يكونوا المعنيين بقوله وأصحاب الرس لان الله أخبر عن أصحاب الرس أنه دمرهم تدميرا الا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذى استخرجوه من الحفرة وآمنوا به فيكون ذلك وجها وقرونا بين ذلك كثيرا يقول ودمرنا بين أضعاف هذه الامم التى سميناها لكم أمما كثيرة كما حدثنا الحسن ابن شبيب قال ثنا خلف بن خليفة عن جعفر بن على بن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلفت بالمدينة عمى ممن يفتى على أن القرن سبعون سنة وكان عمه عبيد الله بن أبى رافع كاتب على رضى الله عنه حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا حفص بن غياث عن الحجاج عن الحكم عن ابراهيم قال القرن أربعون سنة وقوله وكلا ضربنا له الامثال يقول تعالى ذكره وكل هذه الامم التى أهلكناها التى سميناها لكم أولم نسمها ضربنا له الأمثال يقول مثلنا له الأمثال ونبهناها على حججنا عليها وأعذرنا اليها بالعبر والمواعظ فلم نهلك منهم أمة الا بعد الابلاغ اليهم فى المعذرة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله وكلا ضربنا له الأمثال قال كل قد أعذر الله اليه ثم انتقم منه وقوله وكلا تبرنا تتبيرا يقول تعالى ذكره وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم استأصلناهم فدمرناهم بالعذاب ابادة وأهلكناهم جميعا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله وكلا تبرنا تتبيرا قال تبر الله كلا بعذاب تتبيرا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير وكلا تبرنا تتبيرا قال تتبير بالنبطية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله وكلا تبرنا تتبيرا قال بالعذاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا) يقول تعالى ذكره ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا على القرية التى أمطرها الله مطر السوء وهى سدوم قرية قوم لوط ومطر السوء هو الحجارة التى أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء قال حجارة وهى قرية قوم لوط واسمها سدوم قال ابن عباس خمس قريات فأهلك الله أربعا وبقيت الخامسة واسمها صعوة لم تهلك صعوة كان أهلها لا يعملون ذلك العمل وكانت سدوم أعظمها وهى التى نزل بها لوط ومنها بعث وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ينادى نصيحة لهم يا سدوم يوم لكم من الله أنهاكم أن تعرضوا لعقوبة الله زعموا أن لوطا ابن أخى ابراهيم صلوات الله عليهما وقوله أفلم يكونوا يرونها يقول جل ثناؤه أولم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم فيعتبروا ويتذكروا فيراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم بل كانوا لا يرجون نشورا يقول تعالى ذكره ما كذبوا محمدا فيما جاءهم به من عند

فقط لقرينة قوله جملة خلاف ما تقرر فى أكثر المواضع من ارادة التكثير المفيد للتدريج كما مر فى قوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل والقائلون قريش أو اليهود فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (لنثبت) الخ وتقريره من وجوه أحدها أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن قارئا كاتبا بخلاف موسى وداود وعيسى فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزله الله عليه منجما فى عشرين سنة وعن ابن جريج فى ثلاث وعشرين ليكون أقرب الى الضبط وأبعد عن النسيان والسهو وثانيها أن الاعتماد على الحفظ أقرب الى التحصيل من الاعتماد على الكتابة والحفظ لا بد فيه من التدرج وثالثها ان نزول الشرائع متدرجة أسهل على المكلف منها دفعة ورابعها أن نزول جبريل ساعة فساعة مما يقوى قلبه ويعينه على تحمل أعباء النبوة والرسالة وخامسها أن نزوله مفرقا يوجب وقوع التحدى على أبعاض القرآن وأجزائه ونزوله جملة يقتضى وقوع التحدى على مجموعه ولا ريب فى أن الاول ادخل فى الاعجاز وسادسها ان نزوله بحسب الوقائع والحوادث أوفق فى باب التكاليف والاستبصار وادل على الاخبار عن الحوادث فى أوقاتها وسابعها أن فى تجديد منصب السفارة فى كل حين مزيد شرف لجبريل وللترتيل معان منها أنه قدره آية بعد آية ودفعة عقيب دفعة ومنها التأنى فى القراءة ومعنى ورتلناه أمرنا بترتيل قراءته ومنه حديث عائشة فى قراءته لا يسرد كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعدّ حروفها لعدها وهو مأخوذ من ترتيل الاسنان أى تفليجها يقال ثغر مرتل ويشبه بنور الاقحوان فى تفليجه ومنها انه نزله فى مدد متباعدة الاطراف جملتها عشرون سنة ولم يفرقه فى مدد متقاربة ثم ذكر انهم محجوجون فى كل أوان بقوله (ولا يأتونك بمثل) أى بسؤال عجيب من أسئلتهم الباطلة الذى كأنه مثل فى

الله لأنهم لم يكونوا رأوا ما حل بالقرية التى وصفت ولكنهم كذبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشورا بعد الممات يعنى انهم لا يوقنون بالعقاب والثواب ولا يؤمنون بقيام الساعة فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصى الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا بعثا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم ان يتخذونك الا هزوا يقول ما يتخذونك الا سخرية يسخرون منك يقولون هذا الذى بعث الله الينا رسولا من بين خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزؤن برسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يقولون اذا رأوه قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التى نعبدها فيصدّنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها وثبوتنا على عبادتها وسوف يعلمون حين يرون العذاب يقول جل ثناؤه سيبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حل بهم على عبادتهم الآلهة من أضل سبيلا يقول من الراكب غير طريق الهدى والسالك سبيل الردى أنت أو هم وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله لولا أن صبرنا عليها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها قال ثبتنا عليها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ يعنى تعالى ذكره أرأيت يا محمد من اتخذ الهه شهوته التى يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فاذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ الآخر يعبده فكان معبوده والهه ما يتخيره لنفسه فلذلك قال جل ثناؤه أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا يقول تعالى ذكره أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظا فى أفعاله مع عظيم جهله أم تحسب يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين يسمعون ما يتلى عليهم فيعون أو يعقلون ما يعاينون من حجج الله فيفهمون ان هم الا كالانعام يقول ما هم الا كالبهائم التى لا تعقل ما يقال لها ولا تفقه بل هم من البهائم أضل سبيلا لأن البهائم تهتدى لمراعيها وتنقاد لأربابها وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم بل يكفرونها ويعصون من خلقهم وبرأهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد كيف مدّ ربك الظل وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل يقول ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل قال مدّه ما بين صلاة الصبح الى طلوع الشمس حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا قال الظل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثنا محمد بن عبد الله

البطلان الا ونحن نأتي بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم قال جار الله لما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا ووجه آخر وهو أن يراد ولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت صفته وحاله أن ينزل معه ملك أو يلقى اليه كنز أو ينزل عليه القرآن جملة الا أعطيناك نحن ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا وما هو أحسن بيانا لما بعثت به ومن جملة ذلك تنزيل القرآن مفرقا منجما فان ذلك أدخل في الاعجاز كما مر ثم أوعد هؤلاء الجهلة بأنهم شر مكانا من أهل الجنة والبحث عنه نظير ما مر في صفة أهل الجنة خير مستقرا قال جار الله كأنه قيل لهم ان الذي يحملكم على هذه الاسئلة هو أنكم تضللون سبيله صلى الله عليه وسلم وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوهكم الى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا ثم ذكر طرفا من قصص الاولين على عادة افتنانه في الكلام تنشيطا للاذهان وتسلية لنبيه كأنه قال لست يا محمد بأول من أرسلناه فكذب وآتيناه الآيات فرد بل آتينا موسى التوراة وقويناه بأخيه ومع ذلك كذب ورد ومعنى الوزير تقدم في طه والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا ولاشتراكهما في النبوة قيل لهما (اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) ان حملناه على تكذيب آيات الالهية فظاهر وان حملناه على تكذيب آيات النبوة فاللفظ ماض والمعنى على الاستقبال على عادة اخبار الله تعالى ويجوز أن يراد الى القوم الذين آل حالهم الى أن كذبوا

ابن بزيع قال ثنا أبو محصن عن حصين عن أبي مالك قال ألم تر الى ربك كيف مد الظل قال ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كيف مد الظل قال ظل الغداة قبل أن تطلع الشمس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الظل ظل الغداة * قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل قال مده من طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل يعني من صلاة الغداة الى طلوع الشمس قوله ولو شاء لجعله ساكنا يقول ولو شاء لجعله دائما لا يزول ممدودا لا تذهبه الشمس ولا تنقصه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولو شاء لجعله ساكنا يقول دائما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولو شاء لجعله ساكنا قال لا تصيبه الشمس ولا يزول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولو شاء لجعله ساكنا قال لا يزول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولو شاء لجعله ساكنا قال دائما لا يزول وقوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يقول جل ثناؤه ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس اياه عند طلوعها عليه أنه خلق من خلق ربكم يوجده اذا شاء ويفنيه اذا أراد والهاء في قوله عليه من ذكر الظل ومعناه ثم جعلنا الشمس على الظل دليلا وقيل معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس التي تنسخه لم يعلم أنه شئ اذ كانت الاشياء انما تعرف باضدادها نظير الحلو الذي انما يعرف بالحامض والبارد بالحار وما أشبه ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يقول طلوع الشمس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قال تحويه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قال أخرجت ذلك الظل فذهبت به وقوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يقول تعالى ذكره ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظل الينا قبضا خفيا سريعا بالفيء الذي نأتي به بالعشي وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا قال حوى الشمس الظل وقيل ان الهاء التي في قوله ثم قبضناه الينا عائدة على الظل وان معنى الكلام ثم قبضنا الظل الينا بعد غروب الشمس وذلك أن الشمس اذا غربت غاب الظل الممدود قالوا وذلك وقت

قبضه واختلف أهل التأويل فى معنى قوله يسيرا فقال بعضهم معناه سريعا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يقول سريعا * وقال آخرون بل معناه قبضا خفيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عن مجاهد ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا قال خفيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قبضا يسيرا قال خفيا قال ان ما بين الشمس والظل مثل الخيط واليسير الفعيل من اليسر وهو السهل الهين فى كلام العرب فمعنى الكلام اذ كان ذلك كذلك يتوجه لما روى عن ابن عباس ومجاهد لان سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء وقيل انما قيل ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة ولا يقبل الظلام كله جملة وانما يقبض ذلك الظل قبضا خفيا شيأ بعد شئ ويعقب كل جزء منه يقبضه جزء من الظلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا) يقول تعالى ذكره الذى مد الظل ثم جعل الشمس عليه دليلا هو الذى جعل لكم أيها الناس الليل لباسا وانما قال جل ثناؤه جعل لكم الليل لباسا لانه جعله لخلقه جنة يجتنون فيها ويسكنون فصار لهم سترا يستترون به كما يستترون بالثياب التى يكسونها وقوله والنوم سباتا يقول وجعل لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم وتهدأ به جوارحكم وقوله وجعل النهار نشورا يقول تعالى ذكره وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم نشر الميت كما قال الاعشى

حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

ومنه قول الله لا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والنهار نشورا قال ينشر فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما اخترنا القول الذى اخترنا فى تأويل ذلك لانه عقيب قوله والنوم سباتا فى الليل فاذ كان ذلك كذلك فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه اذ كان النوم أخا الموت والذى قال مجاهد غير بعيد من الصواب لان الله أخبر أنه جعل النهار معاشا وفيه الانتشار للمعاش ولكن النشور مصدر من قول القائل نشر فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه كما صحت الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا أصبح وقام من نومه الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى أرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا) يقول تعالى ذكره والله الذى ارسل الرياح الملقحة نشرا حياة أو من الحيا والغيث الذى هو منزله على عباده وأنزلنا من السماء ماء طهورا يقول وأنزلنا من السحاب الذى أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا يعنى أرضا قحطة عذية لا تنبت وقال بلدة ميتا ولم يقل ميتة لأنه أريد بذلك لنحيى به موضعا ومكانا ميتا ونسقيه من خلقنا أنعاما من البهائم وأناسى كثيرا يعنى بالأناسى جمع انسان وجمع أناسى فجعل الياء عوضا من النون التى فى انسان وقد يجمع انسان اناسين كما يجمع النشيان نشايين فان قيل

أناسى

فدمرناهم وعلى هذا فلا حذف والتدمير الاهلاك (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) بأن كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل صريحا كأنهم لم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة أولان تكذيب (٤١) واحد من الرسل كتكذيب كلهم (أغرقناهم وجعلناهم) أى اغراقهم وقصتهم (للناس آية) محل اعتبار (وأعتدنا للظالمين) وهم قوم نوح أو لكل من سلك سبيلهم فى التكذيب وقصة عاد وثمود مذكورة مرارا وأما الرس فعن أبى عبيدة أنه البئر غير المطوية والقوم كانوا من عبدة الاصنام أصحاب آبار ومواش بعث الله عز وجل اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فابوا فبيناهم حول الرس انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقيل هم أصحاب النبى حنظلة بن صفوان ابتلاهم الله بالعنقاء وهى أعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم وتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم أصحاب الاخدود والرس عند العرب الدفن يقال رس الميت اذا دفن وغيب فى الحفيرة وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وستجىء القصة فى سورة يس وعن على رضى الله عنه أنهم قوم يعبدون شجرة الصنوبر رسوا نبيهم فى الارض وقيل هم قوم كانت لهم قرى على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق فبعث الله تعالى اليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا ثم حفروا بئرا فرسوه فيها وقالوا نرجو أن يرضى عنا الهنا وكان عامة قومهم يسمعون أنين نبيهم يقول الهى وسيدى ترى ضيق مكانى وشدة كربى وضعف قلبى فعجل قبض روحى حتى مات فارسل الله تعالى ريحا عاصفة شديدة الحمرة وصارت الارض من تحتهم حجر كبريت متوقدا وأظلتهم سحابة سوداء فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص وروى ابن جرير

باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعث نبيا الى اهل قرية فلم يؤمن به من اهلها الا عبد أسود ثم عدوا على الرسول فحفروا له بئرا فألقوه فيها ثم أطبقوا عليه حجرا ضخما فكان ذلك العبد يحتطب فيشترى له طعاما وشرابا (١٥) ويرفع الصخرة ويدليه اليه وكان كذلك ماشاء الله فاحتطب يوما فلما أراد أن يحملها وجد نوما فاضطجع فضرب الله على آذانه سبع سنين ثم انتبه وتمطى وتحول لشقه الآخر فنام سبع سنين ثم هب فاحتمل حزمته وظن أنه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته فاشترى طعاما وشرابا وذهب الى الحفرة فلم يجد أحدا وكان قومه استخرجوه فآمنوا به وصدقوه وذلك النبي يسألهم عن الاسود فيقولون لا ندرى حاله حتى قبض الله تعالى النبي وقبض ذلك الاسود فقال صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود أول من يدخل الجنة قلت هذه الرواية ان صحت فلا مدخل لها في المقصود فان المقام يقتضى ان يكونوا قوما كذبوا نبيهم فأهلكوا لأجل ذلك أما قوله (وقرونا بين ذلك) فالمشار اليه ماذكر من الامم وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ومثله قول الحاسب فذلك كذا أى فماذكر من الاعداد مجموعها كذا (وكلا) من الامم والقرون (ضربنا له الامثال) بينا له القصص العجيبة ليعتبروا ويتعظوا (وكلا تبرنا) أهلكنا أشنع الاهلاك حين لم ينجع فيهم ضرب المثل والتتبير التفتيت والتكسير وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا وكلا الثانى منصوب بتبرنا لانه ليس بمشتغل عنه بضميره والضمير فى (ولقد أتوا) لقريش والقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا ومطر السوء الحجارة (أفلم يكونوا) فى مرات مرورهم على تلك القرية فى متاجرهم الى الشام (يرونها بل كانوا) قوما كفروا بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فمن ثم لم ينظروا الى آثار عذاب الله نظر عبرة وادكار (و) من جملة كفرهم وعنادهم أنهم (اذا رأوك ان يتخذونك الا) محل هزؤ ثم فسر

أناسى جمع واحده انسى فهو مذهب أيضا محكى وقد يجمع أناسى مخففة الياء وكأن من جمع ذلك كذلك أسقط الياء التى بين عين الفعل ولامه كما يجمع القرقور قراقير وقراقر ومما يصحح جمعهم اياه بالتخفيف قول العرب أناسية كثيرة القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ يقول تعالى ذكره ولقد قسمنا هذا الماء الذى أنزلناه من السماء طهورا لنحيى به الميت من الارض بين عبادى ليتذكروا نعمى عليهم ويشكروا أيادى عندهم وإحسانى اليهم فأبى أكثرهم إلا كفورا يقول الاجحود النعمى عليهم وأيادىّ عليهم * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا معتمر بن سليمن عن أبيه قال سمعت الحسن بن مسلم يحدث طاوسا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه بين خلقه قال ثم قرأ ولقد صرفناه بينهم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمن التيمى قال ثنا الحسن بن مسلم عن سعيد ابن جبير قال قال ابن عباس ما عام باكثر مطرا من عام ولكنه يصرفه فى الارضين ثم تلا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولقد صرفناه بينهم قال المطر ينزله فى الأرض ولا ينزله فى الارض الاخرى قال فقال عكرمة صرفناه بينهم ليذكروا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا قال المطر مرة ههنا ومرة ههنا حدثنا سعيد بن الربيع الرازى قال ثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن أبى زياد أنه سمع أبا جحيفة يقول سمعت عبد الله بن مسعود يقول ليس عام بأمطر من عام ولكنه يصرفه ثم قرأ عبد الله ولقد صرفناه بينهم وأما قوله فأبى أكثر الناس إلا كفورا فان القاسم حدثنا قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فأبى أكثر الناس إلا كفورا قال قولهم فى الانواء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾ يقول تعالى ذكره ولو شئنا يا محمد لأرسلنا فى كل مصر ومدينة نذيرا ينذرهم بأسنا على كفرهم بنا فيخف عنك كثير من أعباء ما حملناك منه ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة ولكنا حملناك ثقل نذارة جميع القرى لتستوجب بصبرك عليه ان صبرت ما أعد الله لك من الكرامة عنده والمنازل الرفيعة قبله فلا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من أن تعبد آلهتهم فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا حتى ينقادوا للاقرار بما فيه من فرائض الله ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعا وكرها * و بنحو الذى قلنا فى قوله وجاهدهم به قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله فلا تطع الكافرين وجاهدهم به قال بالقرآن * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجاهدهم به جهادا كبيرا قال الاسلام وقرأ واغلظ عليهم وقرأ وليجدوا فيكم غلظة وقال هذا الجهاد الكبير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى خلط البحرين فامرج أحدهما فى الآخر وأفاضه فيه وأصل المرج الخلط ثم يقال للتخلية مرج لأن الرجل اذا خلى الشئ حتى اختلط بغيره فكأنه قد مرجه ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله

لعبد الله بن عمرو كيف بك يا عبد الله اذا كنت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين أصابعه يعنى بقوله قد مرجت اختلطت ومنه قول الله فى أمر مريج أى مختلط وانما قيل للمرج مرج من ذلك لانه يكون فيه أخلاط من الدواب ويقال مرجت دابتك أى خليتها تذهب حيث شاءت ومنه قول الراجز * رعى بها مرج ربيع ممرجا * وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وهو الذى مرج البحرين يعنى أنه خلع أحدهما على الآخر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله مرج البحرين أفاض أحدهما على الآخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وهو الذى مرج البحرين يقول خلع أحدهما على الآخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد مرج أفاض أحدهما على الآخر وقوله هذا عذب فرات الفرات شديد العذوبة يقال هذا ماء فرات أى شديد العذوبة وقوله وهذا ملح أجاج يقول وهذا ملح مر يعنى بالعذب الفرات مياه الانهار والامطار وبالملح الاجاج مياه البحار وانما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه وعظيم سلطانه يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته وافساده اياه بقضائه وقدرته لئلا يضر افساده اياه بركبان الملح منهما فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم الى الماء فقال جل ثناؤه وجعل بينهما برزخا يعنى حاجزا يمنع كل واحد منهما من افساد الآخر وحجرا محجورا يقول وجعل كل واحد منهما حراما محرما على صاحبه أن يغيره ويفسده * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج يعنى أنه خلع أحدهما على الآخر فليس يفسد العذب المالح وليس يفسد المالح العذب وقوله وجعل بينهما برزخا قال البرزخ الارض بينهما وحجرا محجورا يعنى حجر أحدهما على الآخر بأمره وقضائه وهو مثل قوله وجعل بين البحرين حاجزا وحدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجعل بينهما برزخا قال محبسا قوله وحجرا محجورا قال لا يختلط البحر بالعذب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وجعل بينهما برزخا قال حاجزا لا يراه أحد لا يختلط العذب فى البحر قال ابن جريج فلم أجد بحرا عذبا الا الأنهار العذاب فان دجلة تقع فى البحر فأخبرنى الخبير بها أنها تقع فى البحر فلا تمور فيه بينهما مثل الخيط الأبيض فاذا رجعت لم ترجع فى طريقها من البحر والنيل يصب فى البحر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد وجعل بينهما برزخا قال البرزخ انهما يلتقيان فلا يختلطان وقوله حجرا محجورا أى لا تختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا لا يبغى أحدهما على الآخر حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن رجاء عن الحسن فى قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا

ذلك الاستهزاء بأنهم يقولون مشيرين اليه على سبيل الاستحقار هذا الذى بعثه الله حال كونه رسولا بزعمه ويجوز أن يكون تسميته رسولا استهزاء آخر من حيث انه تسليم واقرار فى معرض الجحود والانكار وفى هذا جهل عظيم لانهم ان استحقروا صورته فانه أحسنهم خلقا وأعدلهم مزاجا مع انه لم يكن يدعى التميز بالصورة وان استهزؤا بالمعنى فبه قد وقع التحدى بظهور المعجز عليه وقامت الحجة عليهم فهم أحق بالاستهزاء منه حين أصروا على الباطل بعد وضوح البرهان على الحق ولقد شهد عليهم بمضمون هذا التقرير ابن أخت خالتهم اذ قالوا (ان كاد) هى مخففة من الثقيلة واللام فى (ليضلنا) هى الفارقة كأنهم سلموا أنه لقوة العقل وسطوع الحجة شارف أن يغلبهم على دينهم ويقلبهم عن طريقتهم لولا فرط لجاجهم وصبرهم على عبادة آلهتهم أطلقوا المقاربة أولا ثم قيدوها بلولا الامتناعية ثانيا وفيه انه صلى الله عليه وسلم بذل قصارى مجهوده فى دعوتهم حتى شارفوا على الايمان بزعمهم وحين وصفوه بالاضلال والمضل لابد أن يكون ضالا فى نفسه فكأنهم وصفوه بالضلال فلا جرم أوعدهم الله على ذلك بقوله (وسوف يعلمون) الى آخر الآية وانما يرون العذاب عند كشف الغطاء عن بصر البصيرة ثم بين انه لا تمسك لهم فيما ذهبوا اليه سوى التقليد واتباع هوى النفس فقال معجبا لرسوله (أرأيت من اتخذ الهه هواه) قدم المفعول الثانى للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا ثم نفى أن يكون هو حافظا عليهم كقوله وما أنت عليهم بوكيل لست عليهم بمصيطر قال الكلبى نسختها آية القتال عن سعيد بن جبير كان الرجل يعبد الحجر فاذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ثم أضرب عن ذمهم باتخاذ الهوى الها الى نوع آخر أشنع فى الظاهر قائلا (أم تحسب) وهى منقطعة ومعناه بل أتحسب وخص أكثرهم بالذكر لما صون الكلام عن المنع على عادة الفصحاء

قال

قال هذا اليبس حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا قال جعل هذا ملحا أجاجا قال والاجاج المر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج يقول خلع أحدهما على الآخر فلا يغير أحدهما طعم الآخر وجعل بينهما برزخا هو الأجل ما بين الدنيا والآخرة وحجرا محجورا جعل الله بين البحرين حجرا يقول حاجزا حجز أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وجعل بينهما سترا لا يلتقيان قال والعرب اذا كلم أحدهم الآخر بما يكره قال حجرا قال ستر ادون الذى تقول «قال أبو جعفر» وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى معنى قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا دون القول الذى قاله من قال معناه انه جعل بينهما حاجزا من الارض أو من اليبس لان الله تعالى ذكره أخبر فى أول الآية أنه مرج البحرين والمرج هو الخلط فى كلام العرب على ما بينت قبل فلو كان البرزخ الذى بين العذب الفرات من البحرين والملح الاجاج أرضا أو يبسا لم يكن هناك مرج للبحرين وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما وانما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الاجاج عن افساده هذا العذب الفرات مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه فأما اذا كان كل واحد منهما فى حيز عن حيز صاحبه فليس هناك مرج ولا هناك من الاعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس ويذكرون به وان كان كل ما ابتدعه ربنا عجيبا وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى خلق من النطف بشرا انسانا فجعله نسبا وذلك سبعة وصهرا وهو خمسة كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فجعله نسبا وصهرا النسب سبع قوله حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله وبنات الاخت والصهر خمس قوله وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم الى قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وقوله وكان ربك قديرا يقول وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق وتصريفهم فيما شاء وأراد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم فتجلب اليهم نفعا اذا هم عبدوها ولا تضرهم ان تركوا عبادتها ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التى لا كفاء لأدناها وهى ما عدد علينا جل جلاله فى هذه الآيات من قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل الى قوله قديرا ومن قدرته القدرة التى لا يمتنع عليه معها شئ أراده ولا يتعذر عليه فعل شئ أراد فعله ومن اذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحل به ما أحل بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر ولا له عنه دافع وكان الكافر على ربه ظهيرا يقول تعالى ذكره وكان الكافر معينا للشيطان على ربه مظاهرا له على معصيته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد وكان الكافر على ربه ظهيرا قال يظاهر الشيطان على معصية الله يعينه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن

العقلاء واما الان منهم من كان يعرف الحق الا أن حب الرياسة يحمله على الخلاف وانما نفى عنهم السماع والعقل لانتفاء فائدتهما وأثرهما وباقى الآية تفسيرها مذكور فى آخر الاعراف فى قوله أولئك كالأنعام (١٧) بل هم أضل قال جار الله جعلوا أضل من الانعام لانها تنقاد لأربابها التى تعلفها وتعرف المحسن من المسىء وتجذب المنافع وتجتنب المضارّ وتهتدى للمراعى والمشارب وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون أعظم المنافع وهو الثواب ولا يتقون أشد المضارّ وهو العقاب ولا يهتدون للحق الذى هو المرتع الهنىّ والمشرب الروىّ قلت ويحسن أيضا أن يذكر فى وجه التفضيل أن جهل الانعام بسيط غير مضر وجهل هؤلاء مركب مضر ومنهم من قال ان الانعام تسبح لله تعالى بخلاف الكفار ثم ذكر طرفا من دلائل التوحيد مع ما فيها من عظيم الانعام فأولها الاستدلال من أحوال الظل والرؤية اما بمعنى البصر فالمراد ألم تر الى صنع ربك أو ألم تر الى الظل كيف مده ربك واما بمعنى العلم وهو ظاهر وذلك أن الظل متغير ولكل متغير موجد وصانع والخطاب لكل من له أهلية النظر والاستدلال وللكلام فى تفسير الآية مجال الا أن ملخص الاقوال فيه اثنان الاول أن الظل أمر متوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة كالكيفيات الحاصلة داخل السقوف الكاملة وأفنية الجدران وهو أعدل الاحوال لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الكامل لقوّته يبهر الحس البصرى ويؤذى بالتسخين ولذلك وصف الجنة به فى قوله وظل ممدود ثم ان الناظر فى الظل الى الجسم الملون كأنه لا يشاهد شيأ سوى الجسم واللون فاذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زال ظله فيظهر للعقول أنه كيفية زائدة على ما شاهده أوّلا فمعنى الآية ألم تر الى عجيب صنع

ربك (كيف مدّ الظل) أي جعله ممتدا منبسطا على الاجسام (ولو شاء لجعله ساكنا) لاصقا بكل مظل (ثم جعلنا الشمس) على وجوده (دليلا) فلولا الشمس ووقوع ضوئها على الاجرام لما عرف أن للظل وجودا لان الاشياء انما تعرف بأضدادها (ثم قبضناه) أي أزلنا الظل لا دفعة بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الاظلال في جانب المغرب شيأ بعد شئ وفي القبض على هذا الوجه منافع جمة * الثاني أنه سبحانه لما خلق السماء والارض ألقت السماء ظلها على الارض ممدودا منبسطا ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها دليلا على ذلك الظل لان الظل يتبعها كما يتبع الدليل في الطريق من حيث انه يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم لقبض الظل معنيان أحدهما انتهاء الاظلال الى غاية تما من النقصان بالتدريج وثانيهما قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهي الاجرام النيرة وقوله الينا يؤكد هذا المعنى الثاني فيكون قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير * الاستدلال الثاني من أحوال الليل والنهار شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الراحة قاله أبو مسلم وذلك أن النوم سبب الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة فيه عند طائفة وعلى هذا فالنشور بمعنى الانتشار والحركة قال جار الله السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وعلى هذا فالنشور بمعنى البعث وتكون الآية نظير قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل عن لقمان أنه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر

* الاستدلال الثالث قوله (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أي قدام المطر وقدمر تفسيره في الاعراف وأنه لم قال ههنا أرسل بلفظ الماضي وهناك يرسل أما قوله (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) فهو علم بين الفقهاء في

ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على ربه ظهيرا قال معينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج أبو جهل معينا ظاهر الشيطان على ربه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا قال عونا للشيطان على ربه على المعاصي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا قال على ربه عوينا والظهير العوين وقرأ قول الله فلا تكونن ظهيرا للكافرين قال لا تكونن لهم عوينا وقرأ أيضا قول الله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم قال ظاهروهم أعانوهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا يعني أبا الحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل بن هشام وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا الى وكان الكافر على ربه هينا من قول العرب ظهرت به فلم ألتفت اليه اذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت اليه وكأن الظهير كان عنده فعيل صرف من مفعول اليه من مظهور به كأنه قيل وكان الكافر مظهورا به والقول الذي قلناه هو وجه الكلام والمعنى الصحيح لان الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمه اياهم وذم فعلهم دون الخبر عن هوانهم على ربهم ولما يجر لاستكبارهم عليه ذكر فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسئلكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك يا محمد الى من أرسلناك اليه الا مبشرا بالثواب الجزيل من آمن بك وصدقك وآمن بالذي جئتهم به من عندي وعملوا به ونذيرا من كذبك وكذب ما جئتهم به من عندي فلم يصدقوا به ولم يعملوا قل ما أسألكم عليه من أجر يقول له قل لهؤلاء الذين أرسلتك اليهم ما أسألكم يا قوم على ما جئتكم به من عند ربي أجرا فتقولون انما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه فيه ولا نعطيه من أموالنا شيأ الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا يقول لكن من شاء منكم اتخذ الى ربه سبيلا طريقا بانفاقه من ماله في سبيله وفيما يقربه اليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوه وغير ذلك من سبل الخير

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا﴾ يقول تعالى ذكره وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها فثق به في أمر ربك وفوض اليه واستسلم له واصبر على ما نابك فيه قوله وسبح بحمده يقول واعبده شكرا منك له على ما أنعم به عليك قوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا يقول وحسبك بالحي الذي لا يموت خابرا بذنوب خلقه فانه لا يخفى عليه شئ منها وهو محص جميعها عليهم حتى يجازيهم بها يوم القيامة

القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا﴾ يقول تعالى ذكره وتوكل على الحي الذي لا يموت الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام فقال وما بينهما وقد ذكر السموات والارض والسموات جماع لانه وجه ذلك الى الصنفين والشيئين كما قال القطامي

ألم يحزنك أن حبال قيس * وتغلب قد تباينتا انقطاعا

يريد وحبال تغلب فثنى والحبال جمع لانه أراد الشيئين والنوعين وقوله في ستة أيام قيل كان ابتداء

ذلك

ذلك يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة ثم استوى على العرش الرحمن يقول ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه وذلك يوم السبت فيما قيل وقوله فاسأل به خبيرا يقول فاسأل يا محمد بالرحمن خبيرا بخلقه فانه خالق كل شئ ولا يخفى عليه ما خلق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله فاسأل به خبيرا قال يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتك شيأ فاعلم أنه كما أخبرتك أنا الخبير والخبير فى قوله فاسأل به خبيرا منصوب على الحال من الهاء التى فى قوله به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم اسجدوا للرحمن أى اجعلوا سجودكم لله خالصا دون الآلهة والاوثان قالوا أنسجد لما تأمرنا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة لما تأمرنا بمعنى أنسجد نحن يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له وقرأته عامة قراء الكوفة لما يأمرنا بالياء بمعنى أنسجد لما يأمرنا الرحمن وذكر بعضهم أن مسيلمة كان يدعى الرحمن فلما قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا أنسجد لما يأمرنا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة بالسجود له * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وزادهم نفورا يقول وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم اسجدوا للرحمن من اخلاص السجود لله وافراد الله بالعبادة بعدا ومما دعوا اليه من ذلك فرارا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ يقول تعالى ذكره تقدس الرب الذى جعل فى السماء بروجا يعنى بالبروج القصور فى قول بعضهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن العلاء ومحمد بن المثنى وسلم بن جنادة قالوا ثنا عبد الله بن ادريس قال سمعت أبى عن عطية بن سعد فى قوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قال قصورا فى السماء فيها الحرس حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى أبو معاوية قال ثنى اسمعيل عن يحيى بن رافع فى قوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قال قصورا فى السماء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم جعل فى السماء بروجا قال قصورا فى السماء حدثنى اسمعيل بن سيف قال ثنى على بن مسهر عن اسمعيل عن أبى صالح فى قوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قال قصورا فى السماء فيها الحرس * وقال آخرون هى النجوم الكبار ذكر من قال ذلك حدثنى ابن المثنى قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا اسمعيل عن أبى صالح تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قال النجوم الكبار * قال ثنا الضحاك عن مخلد عن عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الكواكب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بروجا قال البروج النجوم * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال هى قصور فى السماء لان ذلك فى كلام العرب ولو كنتم فى بروج مشيدة وقول الاخطل

كأنها برج رومى يشيده * بان بجص وآجر وأحجار

يعنى بالبرج القصر قوله وجعل فيها سراجا اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة

الاستدلال به على طهارة الماء فى نفسه وعلى مطهريته لغيره حتى فسر الطهور بعضهم ومنهم أحمد بن يحيى بأنه الذى يكون طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره واعترض عليهم صاحب الكشاف بأن الذى قالوه ان كان شرحا (١٩) لبلاغته فى الطهارة كان سديدا والا فليس فعول من التفعيل فى شئ وأقول ان الزمخشرى سلم أن الطهور فى العربية على وجهين صفة كقولك ماء طهور أى طاهر واسم غير صفة ومعناه ما يتطهر به كالوضوء والوقود بفتح الواو فيهما لما يتوضأ به وتوقد به النار وعلى هذا فالنزاع مدفوع لان الماء مما يتطهر به هو كونه مطهرا لغيره فكأنه سبحانه قال وأنزلنا من السماء ماء هو آلة للطهارة ويلزمه أن يكون طاهرا فى نفسه ومما يؤكد هذا التفسير أنه تعالى ذكره فى معرض الانعام فوجب حمله على الوصف الاكمل ولا يخفى أن المطهر أكمل من الطاهر نظيره وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به * ولا ضير أن نذكر بعض أحكام المياه المستنبطة من الآية فنقول ههنا نظران الاول أن عين الماء هو طهور أم لا مذهب الاصم والاوزاعى أنه يجوز الوضوء بجميع المائعات وقال أبو حنيفة يجوز الوضوء بنبيذ التمر فى السفر وتجوز ازالة النجاسة بجميع المائعات المزيلة لاعيان النجاسات وقال الشافعى وغيره من الائمة ان الطهورية مختصة بالماء لما مر فى أول المائدة من ايجاب التيمم عند عدم الماء ولو شارك الماء مائع آخر لما أمر بالتيمم الا بعد اعوازه أيضا ودليله فى الخبث قوله صلى الله عليه وسلم ثم اغسليه بالماء النظر الثانى فى الماء وفيه بحثان الاول فى الماء المستعمل وانه طاهر عند الشافعى وليس بمطهر فى قوله الجديد أما الاول فلاطلاق الآية وأنزلنا من السماء ماء طهورا والاصل بقاؤه ولحديث خلق الماء طهورا ولان السلف كانوا لا يحترزون عن تقاطر ماء الوضوء على ثيابهم وأبدانهم ولانه ماء طاهر لقى جسما طاهرا فأشبه ما اذا لاقى حجارة وأما الثانى فلقوله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل أحدكم

في الماء الدائم وهو جنب ولو بقي الماء كما كان طاهرا مطهرا لما كان للنع منه معنى وكانت الصحابة لا يعتنون بحفظه ليستعملوه ثانيا ولو كان طهورا لحفظوا امايغنيهم عن التيمم (٣٠) وقال مالك والسدى انه طاهر مطهر لاطلاق الآية والحديث والاصل بقاء صفته على ما كان عليه وروى أنه صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح رأسه بفضل ما في يده وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم اغتسل فرأى لمعة في جسده لم يصبها الماء فأخذ شعرة عليها بلل فأمرها على تلك اللمعة ولقياس ما انفصل من العضو على مالم ينفصل منه وقال أبو حنيفة انه نجس قياسا للنجاسة الحكمية على النجاسة الحقيقية والمراد باستعمال الماء في المسئلة تأدى عبادة الطهارة به أو انتقال المنع اليه فيه وجهان لاصحاب الشافعي ويتفرع عليه أن المستعمل في الكرة الثانية والثالثة وفي تجديد الوضوء والاغسال المسنونة ليس بطهور على الاول طهور على الثاني والماء المستعمل في الحدث لا يجوز استعماله في الخبث على الأصح لانه مائع لا يرفع الحدث فلا يزيل الخبث كسائر المائعات * البحث الثاني الماء المتغير ان تغير بنفسه لطول المكث جاز الوضوء به لانه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من بئر بضاعة وكان ماؤها كأنه نقاعة الحناء وان تغير بغيره ولم يتصل به كما لو وقع بقرب الماء جيفة فأنتن الماء فهو أيضا مطهر وان اتصل به وكان طاهرا ولم يخالطه كما لو تغير بدهن أو عود أو كافور صلب فهو أيضا مطهر وان خالطه فان لم يمكن صون الماء عنه كالمتغير بالتراب والحمأة والورق المتناثر والطحلب فلا بأس بذلك دفعا للحرج وكذا لو جرى الماء في طريقه على معدن زرنيخ أو نورة أو كحل وان أمكن بأن يكون الماء مستغنيا عن جنس ذلك الخليط فان كان التغير قليلا بحيث لا يضاف الماء اليه أولا يستحدث اسما جديدا جاز التوضؤ به والا فلا خلافا لابي حنيفة حجة الشافعي أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به فذلك وكما

والبصرة وجعل فيها سراجا على التوحيد ووجهوا تأويل ذلك الى أنه جعل فيها الشمس وهي السراج التي عنى عندهم بقوله جعل فيها سراجا كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا قال السراج الشمس وقرأته عامة قراء الكوفيين وجعل فيها سرجا على الجماع كأنهم وجهوا تأويله وجعل فيها نجوما وقمرا منيرا وجعلوا النجوم سرجا اذ كان يهتدى بها * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان مشهورتان في قرأة الامصار لكل واحدة منهما وجه مفهوم فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وقمرا منيرا يعني بالمنير المضيء ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾ * اختلف أهل التأويل في تأويل قوله جعل الليل والنهار خلفة فقال بعضهم معناه أن الله جعل كل واحد منهما خلفا من الآخر في أن ما فات في أحدهما من عمل يعمل فيه لله أدرك قضاؤه في الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال فاتتني الصلاة الليلة فقال أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة يقول من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار ومن النهار أدركه بالليل حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله جعل الليل والنهار خلفة قال جعل أحدهما خلفا للآخر ان فات رجلا من النهار شيء أدركه من الليل وان فاته من الليل أدركه من النهار * وقال آخرون بل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفا صاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الليل والنهار خلفة قال أسود وأبيض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن عمر بن قيس بن أبي مسلم الماصر عن مجاهد وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال أسود وأبيض * وقال آخرون بل معنى ذلك أن كل واحد منهما يخلف صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا واذا جاء هذا ذهب هذا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا قيس عن عمر بن قيس الماصر عن مجاهد قوله جعل الليل والنهار خلفة قال هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال لو لم يجعلهما خلفة لم يدر كيف يعمل لو كان الدهر ليلا كله كيف يدري أحد كيف يصوم أو كان الدهر نهارا كله كيف يدري أحد كيف يصلي قال والخلفة مختلفان يذهب هذا ويأتي هذا جعلهما الله خلفة للعباد وقرأ لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا والخلفة مصدر فلذلك وحدت وهي خبر عن الليل والنهار والعرب تقول خلف هذا من كذا خلفة وذلك اذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله كما قال الشاعر

ولها بالماطرون اذا * أكل النمل الذي جمعا
خلفة حتى اذا ارتبعت * سكنت من جلق بيعا

وكما قال زهير

بها العين والآرام يمشين خلفة * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

يعني بقوله يمشين خلفة تذهب منها طائفة وتخلف مكانها طائفة أخرى وقد يحتمل أن زهيرا أراد بقوله خلفة مختلفات الالوان وأنها ضروب في ألوانها وهيآتها ويحتمل أن يكون أراد أنها تذهب في مشيها كذا وتجيء كذا وقوله لمن أراد أن يذكر يقول تعالى ذكره جعل الليل والنهار وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكر أمر الله فينيب الى الحق أو أراد شكورا أو أراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أو أراد شكورا قال شكر نعمة ربه عليه فيهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لمن أراد أن يذكر ذاك آية له أو أراد شكورا قال شكر نعمة ربه عليه فيهما * واختلفت القراء في قراءة قوله يذكر فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يذكر مشددة بمعنى يتذكر وقرأه عامة قراء الكوفيين يذكر مخففة وقد يكون التشديد والتخفيف في مثل هذا بمعنى واحد يقال ذكرت حاجة فلان وتذكرتها والقول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيهما ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ يقول تعالى ذكره وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين ولا متجبرين ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا فقال بعضهم عنى بقوله يمشون على الارض هونا أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذين يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبي الوضاح عن عبد الكريم عن مجاهد يمشون على الارض هونا قال بالحلم والوقار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يمشون على الأرض هونا قال بالوقار والسكينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يمشون على الارض هونا بالوقار والسكينة حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد وعبد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قالا بالسكينة والوقار حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن شريك عن جابر عن عمار عن عكرمة في قوله يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة * قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب عن عمرو الملائي يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن

فيه قال وأيضا اذا اختلط ماء الورد بالماء فتوضأ الانسان به يحتمل أن ينغسل بعض الاعضاء بماء الورد لا بالماء فيكون الحدث يقينا والطهر مشكوكا فيه والشك لا يرفع اليقين وهذا بخلاف ما اذا كان قليلا لا يظهر أثره فانه كالمعدوم وأيضا الوضوء تعبد لا يعقل معناه ولهذا لو توضأ بماء الورد لم يصح وضوءه ولو توضأ بالماء الكدر والمتعفن صح وضوءه وما لا يعقل معناه وجب الاعتماد فيه على مورد النص حجة أبي حنيفة اطلاق الآية وقوله فاغسلوا وجوهكم وقوله فان لم تجدوا ماء وهذا الشخص غسل ووجد الماء ولانه صلى الله عليه وسلم أباح الوضوء بسؤر الهرة وسؤر الحائض وان خالطهما شيء من لعابهما ولانه لا خلاف في جواز الوضوء بماء السيول وان تغير لونها الى ألوان ما تمر عليها في الصحاري من الحشائش وغيرها هذا كله اذا كان الخليط طاهرا فان كان نجسا فمذهب الحسن البصري والنخعي ومالك وداود واليه ميل الغزالي في الاحياء أن الماء لا ينجس ما لم يتغير بالنجاسة سواء كان الماء كثيرا أو قليلا ومذهب أبي حنيفة أن الماء ينجس باستعماله في البدن لأداء عبادة وتيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن سواء تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير قال أبو بكر الرازي ولا يختلف على هذا الحدماء البحر وماء البئر والغدير والراكد

والجاري لان ماء البحر لو وقعت فيه نجاسة لم يجز استعمال الماء الذي فيه النجاسة وكذلك الماء الجاري قال وأما اعتبار أصحابنا للغدير الذي اذا حرك أحد طرفيه لم يتحرك الطرف الآخر فانما هو كلام في وجه يغلب على الظن عدم بلوغ النجاسة الواقعة في أحد طرفيه

عباس قوله الذين يمشون على الارض هونا بالطاعة والعفاف والتواضع حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال يمشون على الارض بالطاعة حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال كتب الى ابراهيم بن سويد قال سمعت زيد بن أسلم يقول التمست تفسير هذه الآية الذين يمشون على الارض هونا فلم أجدها عند أحد فأتيت فى النوم فقيل لى هم الذين لا يريدون يفسدون فى الارض حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه قال لا يفسدون فى الارض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال لا يتكبرون على الناس ولا يتجبرون ولا يفسدون وقرأ قول الله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبى الأشهب عن الحسن فى يمشون على الارض هونا قال حلماء وان جهل عليهم لم يجهلوا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة يمشون على الارض هونا قال حلماء حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله يمشون على الارض هونا قال علماء حلماء لا يجهلون وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما يقول واذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول أجابوهم بالمعروف من القول والسداد من الخطاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو الاشهب عن الحسن واذا خاطبهم الآية قال حلماء وان جهل عليهم لم يجهلوا حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى ابن المختار عن الحسن فى قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال ان المؤمنين قوم ذلل ذلت منهم والله الاسماع والابصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وانهم لأصحاء القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والله ما حزنهم حزن الدنيا ولا تعاظم فى أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار وانه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله عليه نعمة الا فى مطعم ومشرب فقد قل علمه وحضر عذابه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سدادا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن عبد الكريم عن مجاهد واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سدادا من القول حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما حلماء * قال ثنا الحسين قال ثنا يحيى بن يمان عن أبى الاشهب عن الحسن قال حلماء لا يجهلون وان جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا هذا نهارهم فكيف ليلهم خير ليل صفوا أقدامهم وأجروا دموعهم على خدودهم يطلبون الى الله جل ثناؤه فى فكاك رقابهم * قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبادة عن الحسن قال حلماء لا يجهلون وان جهل عليهم حلموا * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون

الى الطرف الآخر وليس كلاما فى أن بعض المياه الذى فيه النجاسة قد يجوز استعماله وبعضها لا يجوز استعماله * ومن الناس من فرق بين القليل والكثير ثم اختلفوا فى حد الكثير فعن عبد الله بن عمر اذا كان الماء أربعين قلة لم ينجسه شئ وقال سعيد بن جبير الماء الراكد لا ينجسه شئ اذا كان قدر ثلاث قلال وقال الشافعى اذا كان الماء قلتين بقلال هجر لم ينجسه الا ما غير طعمه أو ريحه أو لونه وقد ينصر من المذاهب قول مالك لوجوه منها قوله وأنزلنا من السماء ماء طهورا ترك العمل به فى الماء الذى تغير لونه أو طعمه أو ريحه لظهور النجاسة فيه ولقوله خلق الماء طهورا لا ينجسه شئ الا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه فبقى ما عداه على الاصل ومنها قوله تعالى فاغسلوا والمتوضئ بهذا الماء قد غسل أعضاءه ولا سيما اذا كانت النجاسة مستهلكة فيه لا يظهر عليه آثارها وخواصها من الطعم أو اللون أو الريح ومنها أن عمر توضأ من جرة نصرانية مع أن نجاسة أوانيهم غالبة على الظن فدل ذلك على أنه لم يعول الا على عدم التغير ومنها أن تقدير الماء بمقدار معلوم لو كان معتبرا كالقلتين عند الشافعى وعشر فى عشر عند أبى حنيفة لكان أولى المواضع بذلك مكة والمدينة لانه لا تكثر المياه هنالك لا الجارية ولا الراكدة ولم ينقل أنهم خاضوا فى تقدير المياه ولا أنهم سألوا عن كيفية حفظها وكانت أوانيهم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وكانوا لا يمنعون الهرة من شرب الماء وقد أصغى لها الاناء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا يرون أنها تأكل الفأرة ولم يكن فى بلادهم حياض تكرع السنانير فيها ومنها أن الشافعى نص على أن غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير بنجس وأى فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأى معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع أن قوة الورود لم تمنع

المخالطة ومنها أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة وقال الشافعي اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير جاز الوضوء به وأي فرق بين الجاري والراكد والتعويل على قوة الماء بسبب الجريان ليس أولى من (٣٣) التعويل على عدم التغير ومنها أنه لو وقعت نجاسة

يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما﴾ يقول تعالى ذكره والذين يبيتون لربهم يصلون لله يراوحون بين سجود في صلاتهم وقيام وقوله وقياما جمع قائم كما الصيام جمع صائم والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم يقول تعالى ذكره والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرا منه ووجلا وقوله ان عذابها كان غراما يقول ان عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار ومهلكا له ومنه قولهم رجل مغرم من الغرم والدين ومنه قيل للغريم غريم لطلبه حقه والحاحه على صاحبه فيه ومنه قيل للرجل المولع بالنساء انه لمغرم بالنساء وفلان مغرم بفلان اذا لم يصبر عنه ومنه قول الأعشى

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ * ـط جزيلا فانه لا يبالي

يقول ان يعاقب يكن عقابه عقابا لازما لا يفارق صاحبه مهلكا له وقول بشر بن أبي حازم

ويوم النسار ويوم الجفا * ر كانا عقابا وكانا غراما

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن الحسن اللاني قال أخبرنا المعافى بن عمران الموصلي عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب في قوله ان عذابها كان غراما قال ان الله سأل الكفار عن نعمه فلم يردوها اليه فأغرمهم فأدخلهم النار * قال ثنا المعافى عن أبي الاشهب عن الحسن في قوله ان عذابها كان غراما قال قد علموا أن كل غريم مفارق غريمه الا غريم جهنم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان عذابها كان غراما قال الغرام الشر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ان عذابها كان غراما قال لا يفارقه وقوله انها ساءت مستقرا ومقاما يقول ان جهنم ساءت مستقرا ومقاما يعني بالمستقر القرار وبالمقام الاقامة كأن معنى الكلام ساءت جهنم منزلا ومقاما واذا ضمت الميم من المقام فهو من الاقامة واذا فتحت فهو من قمت ويقال المقام اذا فتحت الميم أيضا هو المجلس ومن المقام بضم الميم بمعنى الاقامة قول سلامة بن جندل

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأويب

ومن المقام الذي بمعنى المجلس قول عباس بن مرداس

فأيي ما وأيك كان شرا * فقيد الى المقامة لا يراها

يعني المجلس

القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ يقول تعالى ذكره والذين اذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا في انفاقها * ثم اختلف أهل التأويل في النفقة التي عناها الله في هذا الموضع وما الاسراف فيها والاقتار فقال بعضهم الاسراف ما كان من نفقة في معصية الله وان قلت قال واياها عنى الله وسماها اسرافا قالوا والاقتار المنع من حق الله ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قال هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله ولا يقترون فيمنعون حقوق الله تعالى حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهبا في طاعة الله ما كان سرفا ولو أنفقت

في قلتين فكل كوز يؤخذ منه فهو طاهر عنده ومعلوم أن البول ينتشر فيه وهو قليل فأي فرق بينه اذا وقع ذلك البول في ذلك القدر من الماء ابتداء وبينه اذا وصل اليه عند اتصال غيره به ومنها أن الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ منها المتقشفون مع علمهم بان الايدي والاواني الطاهرة والنجسة كانت تتوارد عليها ولو كان التقدير بالقلتين وغير ذلك معتبرا لاشتهر وتواتر ومنها أن النصوص في التقدير متخالفة أما تقدير أبي حنيفة بالعشر في العشر فمجرد تحكم وأما تقدير الشافعي بالقلتين بناء على قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا فضعيف لان راويه مجهول فان الشافعي لما روى هذا الخبر قال أخبرني رجل فيكون الحديث مرسلا والمرسل عنده ليس بحجة سلمناه ولكن القلة مجهولة فانها تصلح للكوز وللجرة ولكل ما يقل باليد وهي أيضا اسم لهامة الرجل ولقلة الجبل سلمنا لكن في متن الخبر اضطراب فقد روي اذا بلغ الماء قلتين وروي اذا بلغ قلة وروي أربعين واذا بلغ كرين سلمنا صحة المتن لكنه متروك الظاهر لان قوله لم يحمل خبثا لا يمكن اجراؤه على ظاهره فان الخبث اذا ورد عليه فقد حمله سلمنا اجراءه على الظاهر لكن الخبث لغوي وشرعي وحمله على اللغوي لكونه حقيقة أولى فمعنى الحديث أن لا يصير مستقذرا طبعا ونحن نقول بموجبه لكن لم قلتم انه لا يتنجس شرعا سلمنا أن المراد هو الخبث الشرعي لكن لم لا يجوز أن يكون معنى قوله لم يحمل خبثا أنه يضعف عن حمله أي يتأثر به أجاب بعض الشافعية عن هذا المنوع بأن كثيرا من المحدثين عينوا اسم الراوي في حديث

صاعافى معصية الله كان سرفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال فى النفقة فيما نهاهم وان كان درهما واحدا ولم يقتروا ولم يقصروا عن النفقة فى الحق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قال لم يسرفوا فينفقوا فى معاصى الله كل ما أنفق فى معصية الله وان قل فهو اسراف ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة الله قال وما أمسك عن طاعة الله وان كثر فهو اقتار * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابراهيم بن نشيط عن عمر مولى غفرة أنه سئل عن الاسراف ماهو قال كل شئ أنفقته فى غير طاعة الله فهو سرف * وقال آخرون السرف المجاوزة فى النفقة الحد والاقتار التقصير عن الذى لابد منه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد السلام بن حرب عن مغيرة عن ابراهيم قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن يزيد بن خنيس أبو عبد الله المخزومى المكى قال سمعت وهيب بن الورد أبى الورد مولى بنى مخزوم قال لقى عالم عالما هو فوقه فى العلم فقال يرحمك الله أخبرنى عن هذا البناء الذى لا اسراف فيه ماهو قال هو ما سترك من الشمس وأكنك من المطر قال يرحمك الله فأخبرنى عن هذا الطعام الذى نصيبه لا اسراف فيه ماهو قال ما سد الجوع ودون الشبع قال يرحمك الله فأخبرنى عن هذا اللباس الذى لا اسراف فيه ماهو قال ما ستر عورتك وأدفأك من البرد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الرحمن بن شريح عن يزيد بن أبى حبيب فى هذه الآية والذين اذا أنفقوا الآية قال كانوا لا يلبسون ثوبا للجمال ولا يأكلون طعاما للذة ولكن كانوا يريدون من اللباس ما يسترون به عورتهم ويكتنون به من الحر والقر ويريدون من الطعام ما سد عنهم الجوع وقواهم على عبادة ربهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن العلاء بن عبد الكريم عن يزيد بن مرة الجعفى قال العلم خير من العمل والحسنة بين السيئتين يعنى اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وخير الاعمال أوساطها حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا كعب ابن فروخ قال ثنا قتادة عن مطرف بن عبد الله قال خير هذه الامور أوساطها والحسنة بين السيئتين فقلت لقتادة ما الحسنة بين السيئتين فقال الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآية * وقال آخرون الاسراف هو أن تأكل مال غيرك بغير حق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا سالم بن سعيد عن أبى معدان قال كنت عند عون بن عبد الله بن عتبة فقال ليس المسرف من يأكل ماله انما المسرف من يأكل مال غيره * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك قول من قال الاسراف فى النفقة الذى عناه الله فى هذا الموضع ما جاوز الحد الذى أباحه الله لعباده الى ما فوقه والاقتار ما قصر عما أمر الله به والقوام بين ذلك وانما قلنا ان ذلك كذلك لأن المسرف والمقتر كذلك ولو كان الاسراف والاقتار فى النفقة مرخصا فيهما ما كانا مذمومين ولا كان المسرف ولا المقتر مذموما لأن ما أذن الله فى فعله فغير مستحق فاعله الذم فان قال قائل فهل لذلك من حد معروف تبينه لنا قيل نعم ذلك مفهوم فى كل شئ من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البر وغير ذلك نكره تطويل الكتاب بذكر كل نوع من ذلك مفصلا غير أن جملة ذلك هو ما بينا وذلك نحو

القلتين فان يحيى بن معين قال انه جيد الاسناد فقيل له ان ابن علية وقفه على ابن عمر فقال ان كان ابن علية وقفه فحماد بن سلمة رفعه وقوله القلة مجهولة غير مسلم لان ابن جريج قال فى روايته بقلال هجر ثم قال وقد شاهدت قلال هجر وكانت القلة تسع قربتين وشيأ وإذا كانت هذه الرواية معتبرة فقط لم يكن فى متن الحديث اضطراب وحمل الخبث على الشرعى أولى لان المسئلة شرعية وتفسير عدم حمل الخبث بالتأثر تعسف لانه صح فى بعض الروايات اذا كان الماء قلتين لم ينجس ولانه لا يبقى لذكر القلتين حينئذ فائدة لان مادون القلتين أيضا بتلك المثابة وزيف بأنه بعد التصحيح يوجب تخصيص عموم الكتاب والسنة الظاهرة البعيدة عن الاحتمال بمثل هذا الخبر المجمل حجة من حكم بنجاسة الماء الذى خالطه نجاسة كيف كانت قوله تعالى ويحرم عليهم الخبائث وقوله انما حرم عليكم الميتة والدم وقال فى الخمر رجس من عمل الشيطان حرم هذه الاشياء مطلقا ولم يفرق بين حال انفرادها وحال اختلاطها بالماء فوجب تحريم استعمال كل ماء تيقنا فيه جزأ من النجاسة وأيضا الدلائل التى ذكرتموها مبيحة ودلائلنا حاظرة والحاظر غالب على المبيح بدليل أن الجارية المشتركة لا يحل لواحد منهما وطؤها وأيضا قال صلى الله عليه وسلم لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل فيه من جنابة أطلق من غير فرق بين القليل والكثير أجاب مالك بانه لا نزاع فى تحريم استعمال النجاسات لكن الكلام فى أنه متى مالم يتغير فليس للنجاسة أثر لانها انقلبت عن صفتها فكأنها معدومة والنهى عن البول فى الماء لتنفر الطبع او للتنزيه لا للتحريم واعلم أنه سبحانه بين فى سورة الانفال أن من غاية انزال الماء من السماء تطهير المكلفين به حين قال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ففى وصفه ههنا بكونه طهورا اشارة الى ذلك ثم رتب على الانزال غايتين أخريين أولاهما تتعلق بالنبات والثانية

أكل آكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه و ينهك قواه ويشغله عن طاعة ربه وأداء فرائضه فذلك من السرف وأن يترك الاكل وله اليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه وينهك قواه ويضعفه عن أداء فرائض ربه فذلك من الاقتار وبين ذلك القوام على هذا النحو كل ما جانس ما ذكرنا فأما اتخاذ الثوب للجمال يلبسه عند اجتماعه مع الناس وحضوره المحافل والجمع والاعياد دون ثوب مهنته أو أكله من الطعام ما قواه على عبادة ربه ممـا ارتفع عما قد يسد الجوع مما هو دونه من الاغذية غير أنه لا يعين البدن على القيام لله بالواجب معونتـه فذلك خارج عن معنى الاسراف بل ذلك من القوام لان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر ببعض ذلك وحض على بعضه كقوله ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين ثوبا لمهنته وثوبا لجمعته وعيـده وكقوله اذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه وما أشـبه ذلك من الاخبار التي قد بيناها في مواضعها وأما قوله وكان بين ذلك قواما فانه النفقة بالعدل والمعروف على ما قد بينا * و بنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبي سليمن عن وهب بن منبه في قوله وكان بين ذلك قواما قال الشطر من أموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وكان بين ذلك قواما النفقة بالحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكان بين ذلك قواما قال القوام أن ينفقوا في طاعة الله و يمسكوا عن محارم الله * قال أخبرني ابراهيم بن نشيط عن عمر مولى غفرة قال قلت له ما القوام قال القوام أن لا تنفق في غير حق ولا تمسك عن حق هو عليك والقوام في كلام العرب بفتح القاف وهو الشئ بين الشيئين تقول للمرأة المعتدلة الخلق انها لحسنة القوام في اعتدالها كما قال الحطيئة

طافت أمامة بالركبان آونة * يا حسنها من قوام مّا ومنتقبا

فأما اذا كسرت القاف فقلت انه قوام أهله فانه يعني به أن به يقوم أمرهم وشأنهم وفيـه لغات أخر يقال منه هو قيام أهله وقيمهم في معنى قوامهم فمعنى الكلام وكان انفاقهم بين الاسراف والاقتار قواما معتدلا لا مجاوزة عن حد الله ولا تقصيرا عما فرضه الله ولكن عدلا بين ذلك على ما أباحه جل ثناؤه وأذن فيه ورخص * واختلفت القراء في قراءة قوله ولم يقتروا فقرأته عامة قراء المدينة ولم يقتروا بضم الياء وكسر التاء من أقتر يقتر وقرأته عامة قراء الكوفيين ولم يقتروا بفتح الياء وضم التاء من قتر يقتر وقرأته عامة قراء البصرة ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء من قتر يقتر والصواب من القول في ذلك أن كل هذه القراآت على اختلاف ألفاظها لغات مشهورات في العرب وقراآت مستفيضات في قراء الامصار بمعنى واحد فبأيتها قرأ القارئ فمصيب وقد بينا معنى الاسراف والاقتار بشواهدهما فيما مضى في كتابنا من كلام العرب فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وفي نصب القوام وجهان أحدهما ما ذكرت وهو أن يجعل في كان اسم الانفاق بمعنى وكان انفاقهم ما أنفقوا بين ذلك قواما أي عدلا والآخر أن يجعل بين هو الاسم فتكون وان كانت في اللفظة نصبا في معنى رفع كما يقال كان دون هذا لك كافيا يعني به أقل من هذا كان لك كافيا فكذلك يكون في قوله وكان بين ذلك قواما لان معناه وكان الوسط من ذلك قواما ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات

بالحيوان الاعجم فالناطق وفي هـذا الترتيب تنبيه على أن الكائنات تبتدئ في الرجوع من الاخس الى الاشرف وفيـه ان الغرض من الكل هو نوع الانسان مع أن حياة الاناسي بحياة أرضهم وأنعامهم قال (٢٥) (ميتا) مع قوله بلدة بالتأنيث لان فيعلا غير جار على الفعل فكأنه اسم جامد وصـف به أو بتأويل البلد والمكان والأناسيّ جمع انسي أو جمع انسان على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء وفعيل قد يستوي فيـه الواحد والجمع فلهذا لم يقل وأناسي كثيرين ومثله وقرونا بين ذلك كثيرا * أسئلة أوردهـا جار الله مـع أجوبتهـا الاول أن انزال المـاء موصوفا بالطهارة وتعليـله بالاحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة الاحيـاء والسـقي كما تقول حملني الامير على فرس جواد لأصيد به الوحش الجواب لمـا كان سقي الاناسي من جمـلة ما أنزل له المـاء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم واشـارة الى أن من حق استعمال المـاء في الباطن والظاهر أن يكون طاهرا غير مخالط لشئ من القاذورات قلت قد قررنا فائدة هذا الوصف بوجه آخر آنفا * السؤال الثاني لم خص الانعـام من بين ما خلق من الحيوان المنتفع بالمـاء الجواب لان الطير والوحش تبعد في طلب المـاء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الانسان وعامة منافعه متعلقة بها فسقيها انعام عليه * الثالث ما معنى تنكير الأنعام والاناسي ووصفهم بالكثرة الجواب لان بعض الانعام والأناسي الذين هم بقرب الاودية والانهـار العظـام لا يحتاجون الى ماء السماء احتياجا بينا ولمثـل هـذا نكر البلدة في قوله بلدة ميتا قوله سبحانه (ولقد صرفناه) الاكثرون على أن الضمير عائد الى ما ذكر من الدلائل أي كررنا أحوال الاظـلال وذكر انشـاء السحاب وانزال المطر في القرآن وفي سائر الكتب السماوية ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيـه ويشـكروا فأبى

وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ﴾ يقول تعالى ذكره والذين لا يعبدون مع الله الها آخر فيشركون في عبادتهم اياه ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق اما بكفر بالله بعد اسلامها أو زنا بعد احصانها أو قتل نفس فتقتل بها ولا يزنون فيأتون ما حرم الله عليهم اتيانه من الفروج ومن يفعل ذلك يقول ومن يأت هذه الافعال فدعا مع الله الها آخر وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق وزنى يلق أثاما يقول يلق من عقاب الله عقوبة ونكالا كما وصفه ربنا جل ثناؤه وهو أنه يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ومن الأثام قول بلعام بن قيس الكناني

جزى الله ابن عروة حيث أمسى * عقوقا والعقوق له أثام

يعني بالأثام العقاب وقد ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول في الاسلام ممن كان منه في شركه هذه الذنوب فخافوا أن لا ينفعهم مع ما سلف منهم من ذلك اسلام فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى قوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال ابن جريج وقال مجاهد مثل قول ابن عباس سواء حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي قال ثنا سفيان عن أبي معاوية عن أبي عمرو الشيباني عن عبد الله قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم ما الكبائر قال أن تدعو لله ندا وهو خلقك وأن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك أو تزني بحليلة جارك وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه من كتاب الله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن الأعمش ومنصور عن أبي وائل عن عمرو ابن شرحبيل عن عبد الله قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أي قال ثم أن تزاني حليلة جارك فأنزل تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا علي بن قادم قال ثنا أسباط ابن نصر الهمداني عن منصور عن أبي وائل عن أبي ميسرة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال ثني عمي يحيي بن عيسى عن الأعمش عن سفيان عن عبد الله قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الذنب أكبر ثم ذكر نحوه حدثني أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا عامر بن مدرك قال ثنا السري يعني ابن اسمعيل قال ثنا الشعبي عن مسروق قال قال عبد الله خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاتبعته فجلس على نشز من الارض وقعدت أسفل منه ووجهي حيال ركبتيه فاغتنمت

أكثرهم الا كفران النعمة وجحودها * وقال آخرون انه يرجع الى أقرب المذكورات وهو المطر أي صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتباينة من وابل وطل وغير ذلك فأبوا الا كفورا وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا استقلالا فان جعلوا الانواء كالوسائط والامارات فلا بأس والنوء سقوط نجم من المنازل الثمانية والعشرين للقمر في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه وهو نجم آخر في المشرق يقابله من ساعته في كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما وهو أكثر أو الى أربعة عشر وهو أقل والعرب تضيف الامطار والحر والبرد الى الساقط منها أو الى الطالع فاذا مضت مدة النوء ولم يحدث شئ من مطر وغيره يقال خوى نجم كذا أي سقط ولم يكن عنده أثر علوى عن ابن عباس ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله عزوجل قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية ويؤيد هذا التفسير تنكير البلدة والانعام والاناسي قال الجبائي في قوله ليذكروا دليل على أنه تعالى أراد من الكل التذكر والايمان وفي قوله فأبى أكثر الناس دلالة على أن المكلف له قدرة على الفعل والترك اذ لا يقال للزمن مثلا انه أبى أن يسعى وقال الكعبي الضمير في بينهم لكل الناس فيكون الاكثر داخلا في ذلك العام اذ لا يجوز أن يقال أنزلناه على قريش ليؤمنوا فأبى أكثر بني تميم الا كفورا وعند هذا يظهر أنه أراد من جميع المكلفين أن يؤمنوا ويعتبروا ومعارضة الاشاعرة معلومة * التأويل ويوم تشقق السماء سماء القلب عن غمام البشرية وهو يوم سعادة الطالبين الصادقين ونزل ملائكة الصفات الروحانية الملك الحقيقي يومئذ للرحمن اذ لم يبق غيره ورجع الكل اليه وذلك مقام الوحدة والفناء في الله والبقاء به وكان يوما على الكافرين عسيرا اذ لم يبق من صفات النفوس الكافرة وحظوظها أثر ولا عين ويوم يعض الظالم

خلوته

نفسه وهو المشرك شركا ظاهرا أو خفيا على يديه والآية حكمها عام فى كل متحابين اجتمعا على معصية الله تعالى وعن مالك بن دينار انك ان تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار لنثبت به فؤادك (٣٢) بأن نخلق قلبك بقلب القرآن وكان بذر التوحيد

خلوته وقلت بأبى وأمى يا رسول الله أى الذنوب أكبر قال أن تدعو لله ندا وهو خلقك قلت ثم مه قال أن تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك قلت ثم مه قال أن تزانى حليلة جارك ثم تلا هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور قال ثنى سعيد بن جبير أو حدثت عن سعيد بن جبير أن عبد الرحمن بن ابزى أمره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التى فى النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا الى آخر الآية والآية التى فى الفرقان ومن يفعل ذلك يلق أثاما الى ويخلد فيه مهانا قال ابن عباس اذا دخل الرجل فى الاسلام وعلم شرائعه وأمره ثم قتل مؤمنا متعمدا فلا توبة له والتى فى الفرقان لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله بغير الحق فما ينفعنا الاسلام قال فنزلت الا من تاب قال فمن تاب منهم قبل منه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال ثنى سعيد بن جبير أو قال حدثنى الحكم عن سعيد بن جبير قال أمرنى عبد الرحمن بن أبزى فقال سل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما عن الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الآية والتى فى النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم فسألت ابن عباس عن ذلك فقال لما انزل الله التى فى الفرقان قال مشركو أهل مكة قد قتلنا النفس التى حرم الله ودعونا مع الله الها آخر فقال الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية فهذه لأولئك وأما التى فى النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية فان الرجل اذا عرف الاسلام ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم فلا توبة له فذكرته لمجاهد فقال الا من ندم حدثنا محمد بن عوف الطائى قال ثنا أحمد بن خالد الذهبى قال ثنا شيبان عن منصور بن المعتمر قال ثنى سعيد بن جبير قال قال لى سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى سل ابن عباس عن هاتين الآيتين عن قول الله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى من تاب وعن قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا الى آخر الآية قال فسألت عنها ابن عباس فقال أنزلت هذه الآية فى الفرقان بمكة الى قوله ويخلد فيه مهانا فقال المشركون فما يغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله وأتينا الفواحش قال فأنزل الله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية قال وأما من دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فى هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الآية قال نزلت فى أهل الشرك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن سعيد بن جبير قال أمرنى عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر فذكر نحوه حدثنى عبد الكريم بن عمير قال ثنا ابراهيم بن المنذر قال ثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان مولى لبنى الديل من أهل المدينة عن فليح الشماس عن عبيد بن أبى عبيد عن أبى هريرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العتمة ثم انصرفت فاذا امرأة عند بابى ثم سلمت ففتحت ودخلت فبينا أنا فى مسجدى أصلى اذ نقرت الباب فأذنت لها فدخلت فقالت انى جئتك أسألك عن عمل عملت هل لى من توبة فقالت انى زنيت وولدت فقتلته فقلت لا ولا نعمت العين ولا كرامة فقامت وهى تدعو بالحسرة تقول ياحسرتاه أخلق هذا الحسن للنار قال ثم صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح من تلك الليلة ثم جلسنا ننتظر الاذن عليه فأذن لنا فدخلنا

أوقع فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم فى سر ألم نشرح لك صدرك وكان يتربى بما أنزل عليه بل على قلبه منجما فلما أورق كان ورقه الرحمن علم القرآن فلما أزهر كان زهره فأوحى الى عبده ما أوحى فلما أثمر كانت ثمرته فاعلم أنه لا اله الا الله يحشرون على وجوههم لان توجههم الى أسفل سافلى الطبيعة فيحشرون منكوسين الى جهنم البعد عن الحضرة ألم ترالى ربك فيه أن نبينا صلى الله عليه وسلم رآه وقد قال لموسى لن ترانى وذلك لبقاء أنانيته كيف مد الظل عالم الاجسام ولو شاء لجعله ساكنا فى كتم العدم ثم جعلنا شمس عالم الارواح على وجود ذلك الظل دليلا بأن كانت محركة لها الى غاياتها المخلوقة هى لاجلها فعرف من ذلك أنه لولا الارواح لم تخلق الاجساد ولم تتكون بالاجسام وفى قوله ثم قبضناه الينا اشارة الى أن كل مركب فانه سيحل الى بسائطه اذا حصل على كماله الاخير وبوجه آخر الظل ماسوى نور الانوار يستدل به على صانعه الذى هو شمس عالم الوجود وهذا شأن الذاهبين من غيره اليه وفى قوله ثم جعلنا اشارة الى مرتبة أعلى من ذلك وهى الاستدلال به على غيره كقوله أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد وهذه مرتبة الصديقين وقوله ثم قبضناه كقوله كل شئ هالك ألا الى الله تصير الامور وبوجه آخر الظل هو حجاب الذهول والغفلة والشمس شمس التجلى المعروفة من أفق

العناية عند صباح الهداية ولو شاء لجعله دائما لا يزول وانما يستدل على الذهول بالعرفان وفى قوله ثم قبضناه اشارة الى أن الكشف التام يحصل بالتدريج عند انقضاء مدة التكليف ثم بين حكمة الاظلال بقوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا كيلا تحترقوا بدوام شمس

حياة العرفان الذي يطهر قلوب المشتاقين عن الجنوح الى المساكنات وما يتداخلها في بعض الاوقات من الغفلات لنحيي به بلدة القلوب الميتة عن نور الله بنور الله ونسقيه من جملة مخلوقاتنا من هو على طبع الانعام لغلبة الصفات الحيوانية عليه فيسقي زرع ايمانه بماء الرحمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله تنبت الايمان في القلب كما ينبت الماء البقلة ونسقيه من الانس من سكن الى رياض الانس يفطمه به عن مراضع الانسانية الى المشارب الروحانية ويطهره عن وصمة الملاحظات ويذيقه طعم المكاشفات ولقد صرفنا الذي هو ماء حياة القلوب بينهم ليذكروا به أيام جوار الحق وأوطانهم الحقيقية فأبى أكثر الناسين تلك المعاهدة والمشاهدة الا كفورا بنعمة القرآن وما عرفوا قدرها والله المستعان واليه المآب ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسئلكم عليه من اجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل

ثم خرج من كان معي وتخلفت فقال مالك يا أبا هريرة ألك حاجة فقلت له يا رسول الله صليت معك البارحة ثم انصرفت وقصصت عليه ما قالت المرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما قلت لها قال قلت لها لا والله ولا نعمت العين ولا كرامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما قلت أما كنت تقرأ هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الآية الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال أبو هريرة فخرجت فلم أترك بالمدينة حصنا ولا دارا الا وقفت عليها فقلت ان تكن فيكم المرأة التي جاءت أبا هريرة الليلة فلتأتني ولتبشر فلما صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء فاذا هي عند بابي فقلت أبشري فاني دخلت على النبي فذكرت له ما قلت لي وما قلت لك فقال بئس ما قلت لها أما كنت تقرأ هذه الآية فقرأتها عليها فخرت ساجدة فقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجا وتوبة مما عملت ان هذه الجارية وابنها حران لوجه الله واني قد تبت مما عملت حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا جعفر بن سليمن عن عمرو ابن مالك عن أبي الجوزاء قال اختلفت الى ابن عباس ثلاث عشرة سنة فما شيء من القرآن الا سألته عنه ورسولي يختلف الى عائشة فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول ان الله يقول لذنب لا أغفره ❊ وقال آخرون هذه الآية منسوخة بالتي في النساء ذكر من قال ذلك حدثني يونس ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني المغيرة بن عبد الرحمن الحراني عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد أنه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل العراق وهو يسأله عن هذه الآية التي في تبارك الفرقان والتي في النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فقال زيد بن ثابت قد عرفت الناسخة من المنسوخة نسختها التي في النساء بعدها بستة أشهر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال الضحاك بن مزاحم هذه السورة بينها وبين النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثمان حجج وقال ابن جريج وأخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جبير هل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة فقال لا فقرأ عليه هذه الآية كلها فقال سعيد بن جبير قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي فقال هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء وقد أتينا على البيان عن الصواب من القول في هذه الآية التي في سورة النساء بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في الاثام من القول قال أهل التأويل الا أنهم قالوا ذلك عقاب يعاقب الله به من أتى هذه الكبائر بواد في جهنم يدعى أثاما ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر ابن سليمن قال سمعت أبي يحدث عن قتادة عن أبي أيوب الازدي عن عبد الله بن عمرو قال الأثام واد في جهنم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يلق أثاما قال واديا في جهنم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة في قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما قال واديا في جهنم فيه الزناة حدثني العباس بن أبي طالب قال ثنا محمد بن زياد قال ثنا شرقي بن قطامي عن لقمان ابن عامر الخزاعي قال جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي فقلت حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فدعا لي بطعام ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن صخرة

فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون (٣٩) ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان

زنة عشر عشراوات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهى الى غى وأثام قلت وما غى وأثام قال بئران فى أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللذان ذكر الله فى كتابه أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقوله فى الفرقان ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يلق أثاما قال الأثام الشر وقال سيكفيك ما وراء ذلك يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يلق أثاما قال نكالا قال وقال انه واد فى جهنم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن هشيم قال أخبرنا زكريا بن أبى مريم قال سمعت أبا امامة الباهلى يقول ان ما بين شفير جهنم الى قعرها مسيرة سبعين خريفا بحجر يهوى فيها أو بصخرة تهوى عظمها كعشر عشراوات سمان فقال له رجل فهل تحت ذلك من شئ قال نعم غى وأثام قوله يضاعف له العذاب يوم القيامة اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء الأمصار سوى عاصم يضاعف جزما ويخلد جزما وقرأه عاصم يضاعف رفعا ويخلد رفعا كلاهما على الابتداء وأن الكلام عنده قد تناهى عند يلق أثاما ثم ابتدأ قوله يضاعف له العذاب والصواب من القراءة عندنا فيه جزم الحرفين كليهما يضاعف ويخلد وذلك أنه تفسير للاثام لا فعل له ولو كان فعلا له كان الوجه فيه الرفع كما قال الشاعر

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فرفع تعشو لأنه فعل لقوله تأته معناه متى تأته عاشيا وقوله ويخلد فيه مهانا ويبقى فيه الى ما لا نهاية فى هوان وقوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا يقول تعالى ذكره ومن يفعل هذه الأفعال التى ذكرها جل ثناؤه يلق أثاما الا من تاب يقول الا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك وانابته الى ما يرضاه الله وآمن يقول وصدق بما جاء به محمد نبى الله وعمل عملا صالحا يقول وعمل بما أمره الله من الاعمال وانتهى عما نهاه الله عنه قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فأولئك يبدل الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الأعمال فى الاسلام فيبدله بالشرك ايمانا وبقيل أهل الشرك بالله قيل اهل الايمان به وبالزناعفة واحصانا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال هم المؤمنون كانوا قبل ايمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن ذلك فحولهم الى الحسنات وأبدلهم مكان السيئات حسنات حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية قال هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة فيبدل الله سيئاتهم حسنات حين يتوبون حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن سعيد قال نزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآية فى وحشى وأصحابه قالوا كيف لنا بالتوبة وقد عبدنا الأوثان وقتلنا المؤمنين ونكحنا المشركات فأنزل الله فيهم الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله وأبدلهم بقتالهم مع المشركين قتالا مع المسلمين للشركين وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى

غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ﴿ القرا آت ملح بفتح الميم وكسر اللام كحذر أولانه مقصور مالح وكذلك فى فاطر قتيبة يأمرنا على الغيبة حمزة وعلى سرجا بضمتين حمزة وعلى وخلف أن يذكر من الذكر حمزة وخلف يقتروا بضم التاء حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى المفضل وبضم الياء وكسر التاء من الاقتار أبو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل الباقون بفتح الياء وكسر التاء يضاعف ويخلد بالرفع فيهما من المضاعفة ومن الخلود أبو بكر وحماد مثله ولكن يخلد مجهولا من الاخلاد المفضل يضعف بالتشديد والرفع ويخلد بالرفع من الخلود ابن عامر مثنا ولكن بالجزم فيهما ابن كثير ويعقوب ويزيد الآخرون كالاول ولكن بالجزم فيهما فيهى باشباع الكسرة ابن كثير وحفص يبدل من الابدال البرجمى وذريتنا على التوحيد أبو عمرو وعلى

وخلف وعاصم والمفضل ويلقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف من اللقاء حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف (٥ ٥) من باب التفعيل الوقوف نذيرا ه والوصل أولى للفاء كبيرا ه أجاج

حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس في قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال بالشرك إيمانا وبالقتل امساكا وبالزنا احصانا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر وهذه الآية مكية نزلت بمكة ومن يفعل ذلك يعني الشرك والقتل والزنا جميعا لما أنزل الله هذه الآية قال المشركون من أهل مكة يزعم محمد أن من أشرك وقتل وزنى فله النار وليس له عند الله خير فأنزل الله الا من تاب من المشركين من أهل مكة فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يقول يبدل الله مكان الشرك والقتل والزنا الايمان بالله والدخول في الاسلام وهو التبديل في الدنيا وأنزل الله في ذلك يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم يعنيهم بذلك لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني ما كان في الشرك يقول الله لهم أنيبوا الى ربكم وأسلموا له يدعوهم الى الاسلام فهاتان الآيتان مكيتان والتي في النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية هذه مدنية نزلت بالمدينة وبينها وبين التي نزلت في الفرقان ثمان سنين وهي مبهمة ليس منها مخرج حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا أبو حمزة عن جابر عن مجاهد قال سئل ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه يبدل الله سيئاتهم حسنات فقال

بدلن بعد حره خريفا ✽ وبعد طول النفس الوجيفا

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله يخلد فيه مهانا فقال المشركون ولا والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد الا معنا قال فأنزل الله الا من تاب وآمن قال تاب من الشرك وآمن قال وآمن بعقاب الله ورسوله وعمل عملا صالحا قال صدق فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل الله أعمالهم السيئة التي كانت في الشرك بالاعمال الصالحة حين دخلوا في الايمان ✽ وقال آخرون بل معنى ذلك فاولئك يبدل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن عمرو البصري قال ثنا قريش بن أنس أبو أنس قال ثني صالح بن رستم عن عطاء الخراساني عن سعيد بن المسيب فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة حدثنا الحسن ابن عرفة قال ثنا محمد بن حازم أبو معاوية عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل النار دخولا الجنة قال يؤتى برجل يوم القيامة فيقال نحوا كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها قال فيقال له عملت كذا وكذا وعملت كذا وكذا قال فيقول يا رب لقد عملت أشياء ما أراها ههنا قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال فيقال له لك مكان كل سيئة حسنة ✽ قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم أعمالهم في الشرك حسنات في الاسلام بنقلهم عما يسخطه الله من الاعمال الى ما يرضى وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لان الاعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القبح وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة الى خلاف ما كانت عليه الا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى فيجب ان فعل ذلك كذلك أن يصير شرك الكافر الذي كان شركا في الكفر بعينه ايمانا يوم القيامة بالاسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة وذلك ما لا يقوله ذو حجى وقوله وكان الله غفورا

ج لعطف الجملتين المتفقتين مع العارض محجورا ه وصهرا ه قديرا ه ولا يضرهم ط ظهيرا ه ونذيرا ه سبيلا ه بحمده ط خبيرا ه ج لأن الذي يصلح صفة للحي والوقف على العرش على تقدير هو الرحمن اذ لا وقف عليه أيضا بناء على أن الرحمن بدل من المستتر في استوى ويصلح أن يكون الذي مبتدأ والرحمن خبره خبيرا ه وما الرحمن ه قد قيل ولا وجه له لان الكل مقول قالوا نفورا ه سجدة منيرا ه شكورا ه سلاما ه وقياما ه جهنم ق قد قيل والوصل أولى لاتحاد القائل غراما ه كذلك ومقاما ه قواما ه ولا يزنون ج للشرط مع واو العطف أثاما ه لمن قرأ يضاعف بالرفع على الاستئناف دون الجزم على ابدال الجملة من الجملة لتقارب معنييهما مهانا ه لا وقد يوقف على جعل الا بمعنى لكن والوصل أولى لان لكن تقتضي الوصل أيضا حسنات ط رحيما ه متابا ه الزور ه لا كراما ه وعميانا ه اماما ه وسلاما ه لا لاتصال الحال فيها ط ومقاما ه دعاؤكم ج لاختلاف الجملتين لزاما ه ۞ التفسير انه سبحانه لما قرر سيرة القوم من كفران النعمة وايذاء النبي أراد تهييج نبيه على استمرار الدعوة وفي الآية لطف ممزوج بنوع تأديب وارشاد وفحواه ولو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى وبعثنا في كل قرية نبيا ولكن خصصناك برسالة الثقلين اجلالا وتعظيما فقابل هذا التفضل بالتشدد في الدين فني أول الآية بيان كمال الاقتدار وأنه لا حاجة به الى نبي محمدا كان أو غيره ولكن في مفهوم لو دلالة على أنه لم يفعل ذلك بل خصه بهذا المنصب الشريف

غفورا رحيما يقول تعالى ذكره وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده وراجع طاعته وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها قوله ومن تاب يقول ومن تاب من المشركين فآمن بالله ورسوله وعمل صالحا يقول وعمل بما أمره الله فأطاعه فان الله فاعل به من ابداله سيئ أعماله في الشرك بحسنها في الاسلام مثل الذي فعل من ذلك بمن تاب وآمن وعمل صالحا قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا قال هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت والذين لايدعون مع الله الها آخر الى قوله وكان الله غفورا رحيما لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان هؤلاء الا معنا قال ومن تاب وعمل صالحا فان لهم مثل ما لهؤلاء فانه يتوب الى الله متابا لم تحظر التوبة عليكم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين لايشهدون الزور واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الزور الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لايشهدونه فقال بعضهم معناه الشرك بالله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك في قوله لايشهدون الزور قال الشرك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين لايشهدون الزور قال هؤلاء المهاجرون قال والزور قولهم لآلهتهم وتعظيمهم اياها * وقال آخرون بل عني به الغناء ذكر من قال ذلك حدثني علي بن عبد الأعلى المحاربي قال ثنا محمد بن مروان عن ليث عن مجاهد في قوله والذين لايشهدون الزور قال لايسمعون الغناء * وقال آخرون هو قول الكذب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله والذين لايشهدون الزور قال الكذب * قال أبو جعفر وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل الى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به والشرك قد يدخل في ذلك لأنه محسن لأهله حتى قد ظنوا أنه حق وهو باطل ويدخل فيه الغناء لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحلي سامعه سماعه والكذب أيضا قد يدخل فيه لتحسين صاحبه اياه حتى يظن صاحبه أنه حق فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور فاذا كان ذلك كذلك فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال والذين لايشهدون شيأ من الباطل لاشركا ولاغناء ولا كذبا ولا غيره وكل ما لزمه اسم الزور لأن الله عم في وصفه اياهم أنهم لايشهدون الزور فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء الا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل وقوله واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما اختلف أهل التأويل في معنى اللغو الذي ذكر في هذا الموضع فقال بعضهم معناه ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين ويكلمونهم به من الأذى ومرورهم به كراما اعراضهم عنهم وصفحهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال صفحوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما قال اذا أوذوا مرّوا كراما قال صفحوا * وقال آخرون بل معناه واذا مروا بذكر النكاح كفوا عنه ذكر من قال ذلك حدثنا

لكمال العناية به وبأمته فعليه أن يترك طاعة الكافرين فيما يريدونه عليه مما يوافق أهواءهم النهي كقولك للمتحرك لاتسكن لا كقولك للساكن لاتسكن فانه صلى الله عليه وسلم لم يترك طاعة الله طرفة عين ثم بالغ في النهي أن أمره بضدّه قائلا (وجاهدهم به) أي بالقرآن أو بترك طاعتهم أو بسبب كونك نذير القرى كلها لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لم يكن على كل نذير الا مجاهدة قريته وحين اقتصر على نذير واحد لكل القرى وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلاجرم اجتمع عليه تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده وعظم وصار جامعا لكل مجاهدة ثم ذكر دليلا رابعا على التوحيد فقال (وهو الذي مرج البحرين) أي خلاهما وأرسلهما متجاورين متلاصقين يقال مرجت الدابة أي خليتها لترعى وسمى الماءين الكثيرين بحرين والفرات البليغ العذوبة والتركيب يدل على كسره العطش بخلاف الاجاج وهو الملح فانه يدل على الشدة والتوهج وقوله (هذا) اشارة الى ما ارتسم في الذهن بعد ذكر البحرين والبرزخ الحائل الذي جعل الله بينهما من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج (وحجرا محجورا) كلمة يقولها المتعوذ كما قلنا في السورة كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له هذا القول ونظيره في سورة الرحمن بينهما برزخ لايبغيان فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا وكل منهما مجاز في غاية الحسن ﴿ سؤال لاوجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى والجواب من وجهين أحدهما أن في البحار مواضع فيها مياه عذبة يعرفها الملاحون يحمل منها الماء الى حين الوصول الى الموضع الآخر وثانيهما لعل المراد من البحر العذب الأودية العظام كالنيل والفرات وجيحون ومن البحر الاجاج البحار المشهورة والبرزخ بينهما الحائل من الارض ووجه الاستدلال على هذا الوجه أن يقال العذوبة والملوحة ان كانتا بسبب طبيعة الارض أو الماء فلابد من الاستواء والافلابد

من قادر مختار يخص كل واحد من الماءين بصفة مخصوصة * الاستدلال الخامس من احوال خلقة الانسان والماء إما العنصر كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي اوالنطفة ومعنى (فجعله (٢٣) نسبا وصهرا) أنه قسم البشر قسمين ذوي نسب وذوات صهر والاول الذكور الذين ينسب اليهم فيقال فلان وفلانة بنت فلان ومنه أخذ الشاعر

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا
بنوهن أبناء الرجال الأباعد

والثاني الاناث التي يصاهر بهن ونحوه قوله عز من قائل فجعل منه الزوجين الذكر والانثى والأصهار أهل بيت المرأة عن الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان يقال صاهرت اليهم اذا تزوجت فيهم (وكان ربك قديرا) حين خلق من ماء واحد صنفين مختلفين بل أشخاصا متباينة لا تكاد تنحصر ثم عاد الى تهجين سيرة عبدة الاوثان فقال (ويعبدون) الآية يروى أنها نزلت في أبي جهل المراد بالكافر والاولى حمله على العموم والظهير المظاهر أي المعاون أي هذا الجنس يظاهر الشيطان على ربه بالشرك والعداوة والمظاهرة على الرب هي المظاهرة على رسوله أو على دينه ويجوز أن يكون الظهير جمعا كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير والمعنى أن بعض الكفرة مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله جل وعلا وقال أبو مسلم هو من قولهم ظهر فلان بحاجتي اذا نبذها وراء ظهره والمراد أن الكافر وكفره هين على ربه غير ملتفت اليه قوله (وما أرسلناك) الى قوله سبيلا وجه تعلقه بما قبله أن الكفار يطلبون العون على الله وعلى رسوله ولا أجهل ممن استفرغ جهده في ايذاء من يبذل وسعه في اصلاح مهماته دينا ودنيا حتى يبشرهم على الطاعة وينذرهم على المعصية ولا يسألهم على ذلك أجرا الا أن يشاؤا التقرب بالانفاق في الجهاد وغيره فيتخذوا به سبيلا الى رحمة ربهم ونيل ثوابه ومعنى الاستثناء

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا ذكروا النكاح كنوا عنه حدثني الحرث قال ثنا الاشيب قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن مجاهد في قول الله واذا مروا باللغو مروا كراما قال كانوا اذا أتوا على ذكر النكاح كفوا عنه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبي مخزوم عن سيار واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا مروا بالرفث كفوا * وقال آخرون اذا مروا بما كان المشركون فيه من الباطل مروا منكرين له ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال هؤلاء المهاجرون واللغو ما كانوا فيه من الباطل يعني المشركين وقرأ فاجتنبوا الرجس من الأوثان * وقال آخرون عني باللغو ههنا المعاصي كلها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال اللغو كله المعاصي * قال أبو جعفر وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال ان الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم اذا مروا باللغو مروا كراما واللغو في كلام العرب هو كل كلام او فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل أو ما يستقبح فسب الانسان الانسان بالباطل الذي لا حقيقة له من اللغو وذكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح في بعض الأماكن فهو من اللغو وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين فكل ذلك يدخل في معنى اللغو فلا وجه اذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو أن يقال عني به بعض ذلك دون بعض اذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام واذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه مروا كراما مرورهم كراما في بعض ذلك بأن لا يسمعوه وذلك كالغناء وفي بعض ذلك بأن يعرضوا عنه ويصفحوا وذلك اذا أوذوا باسماع القبيح من القول وفي بعضه بأن ينهوا عن ذلك وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول وفي بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم فيستصرخهم المراد ذلك منهم فيصرخونهم وكل ذلك مرورهم كراما وقد حدثني ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة قال مر ابن مسعود بلهو مسرعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أصبح ابن مسعود لكريما * وقيل ان هذه الآية مكية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال سمعت السدي يقول واذا مروا باللغو مروا كراما قال هي مكية وانما عنى السدي بقوله هذا ان شاء الله أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وأمرهم اذا مروا باللغو الذي هو شرك أن يقاتلوا أمراءه واذا مروا باللغو الذي هو معصية لله أن يغيروه ولم يكونوا أمروا بذلك بمكة وهذا القول نظير تأويلنا الذي تأولناه في ذلك (ق) القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا﴾ يقول تعالى ذكره والذين اذا ذكرهم مذكر بحجج الله لم يكونوا صما لا يسمعون وعميا لا يبصرونها ولكنهم يقاظ القلوب فهماء العقول يفهمون عن الله ما يذكرهم به ويفهمون عنه ما ينبههم عليه فيوعون مواعظه آذانا سمعته وقلوبا وعته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لم يخروا عليها صما وعميانا فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يفقهون حقا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال لا يفقهون ولا يسمعون ولا يبصرون حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال قلت للشعبي رأيت قوما قد سجدوا ولم أعلم ما سجدوا منه أسجد قال والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال هذا مثل ضربه الله لهم لم يدعوها الى غيرها وقرأ قول الله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فان قال قائل وما معنى قوله لم يخروا عليها صما وعميانا أو يخر الكافرون صما وعميانا اذا ذكروا بآيات الله فينفى عن هؤلاء ما هو صفة للكفار قيل نعم الكافر اذا تليت عليه آيات الله خر عليها أصم وأعمى وخره عليها كذلك اقامته على الكفر وذلك نظير قول العرب سببت فلانا فقام يبكي بمعنى فظل يبكي ولا قيام هنالك ولعله أن يكون بكى قاعدا وكما يقال نهيت فلانا عن كذا فقعد يشتمني ومعنى ذلك فجعل يشتمني وظل يشتمني ولا قعود هنالك ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب حتى قد فهموا معناه وذكر الفراء أنه سمع العرب تقول قعد يشتمني كقولك قام يشتمني وأقبل يشتمني قال وأنشدني بعض بني عامر

لا يقنع الجارية الخضاب * ولا الوشاحان ولا الجلباب

من دون أن تلتقي الأركاب * ويقعد الأير له لعاب

بمعنى يصير فكذلك قوله لم يخروا عليها صما وعميانا انما معناه لم يصموا عنها ولا عموا عنها ولم يصيروا على باب ربهم صما وعميانا كما قال الراجز * ويقعد الهن له لعاب * بمعنى ويصير القول في تأويل قوله تعالى ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما ﴾ يقول تعالى ذكره والذين يرغبون الى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقر به أعيننا من أن تريناهم يعملون بطاعتك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين يعنون من يعمل لك بالطاعة فتقر بهم أعيننا في الدنيا والآخرة حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا حزم قال سمعت كثيرا سأل الحسن قال يا أبا سعيد قول الله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين في الدنيا والآخرة قال لا بل في الدنيا قال وما ذاك قال المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله حدثنا الفضل بن اسحق قال ثنا سالم بن قتيبة قال ثنا حزم قال سمعت الحسن فذكر نحوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال قرأ حضرمي ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال وانما قرة أعينهم أن يروهم يعملون بطاعة الله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج فيما قرأنا عليه في قوله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال يعبدونك فيحسنون عبادتك ولا يجرون الجرائر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله ربنا هب لنا من ازواجنا

عن الاجر والتقدير الافعل من شاء هو معنى قولك لمن سعيت له في تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت الا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فيكون في تسمية حفظ المال ثوابا فائدتان احداهما قلع شبهة الطمع في شئ من الثواب والثانية اظهار الشفقة وأنه ان حفظ ماله رضي الساعي به كما يرضى المثاب بالثواب هذا ما قاله جار الله وقال القاضي معناه لا أسألكم أجرا لنفسي وأسألكم أن تطلبوا الأجر لأنفسكم باتخاذ السبيل الى ربكم بالايمان والطاعة ولما بين أن الكفار متظاهرون على ايذائه وأمره أن لا يطلب منهم أجرا البتة أمره بأن يتوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع وبتمسك بقاعدة التنزيه والتحميد وفي وصفه ذاته بالحي الذي لا يموت اشارة الى أن الذي يوثق به في المصالح يجب أن يكون موصوفا بهذه الصفة وليس الا الله وحده وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق والا صار ضائعا اذا مات ذلك المخلوق ثم ختم الآية بما لا مزيد عليه في الوعيد أي لا يحتاج معه الى غيره لأنه خبير بأحوالهم قادر على مجازاتهم ومعنى كفى به أي حسبك وهذه كلمة يراد بها المبالغة كقولك كفى بالعلم جمالا وكفى بالأدب مالا ثم زاد لعلمه وقدرته مبالغة وبيانا فقال (الذي خلق) الخ وقد سبق تفسيره في الأعراف وأما قوله (فاسأل به خبيرا) ففيه وجوه قال الكلبي الضمير في به يعود الى ما ذكر من خلق السماء والأرض والاستواء على العرش والباء من صلة الخبير قدمت لرعاية الفاصلة وذلك الخبير هو الله عز وجل لأن كيفية ذلك الخلق والاستواء لا يعلمها الا الله سبحانه وعن ابن عباس أن ذلك الخبير هو جبرائيل وقال الأخفش والزجاج الباء بمعنى عن فسأل به مثل اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه قال تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقال ابن جرير الباء زائدة

والمعنى فاسأله حال كونه عالما بكل شئ وجوز جار الله أن تكون الباء تجريدية كقولك رأيت به أسدا أى برؤيته والمراد فاسأل بسؤاله خبيرا اى ان سألته وجدته عالما به وقيل الباء (٤٣) للقسم ولعل الوجه الأول أقرب الى المراد نظيره ولا ينبئك مثل خبير ثم أخبر عن قوم

وذرياتنا قرة أعين قال يعبدونك يحسنون عبادتك ولا يجترون علينا الجرائر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للاسلام حدثنا محمد بن عون قال ثنا محمد بن اسمعيل ابن عياش قال ثنى أبى عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال جلسنا الى المقداد بن الأسود فقال لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشد حالة بعث عليها نبى من الانبياء فى فترة وجاهلية ما يرون دينا أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده حتى ان كان الرجل ليرى ولده ووالده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه بالاسلام فيعلم أنه ان مات دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه فى النار وانها اللتى قال الله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين الآية حدثني ابن عون قال ثنى على ابن الحسن العسقلانى عن عبد الله بن المبارك عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن المقداد نحوه وقيل هب لنا قرة أعين وقد ذكر الازواج والذريات وهم جمع وقوله قرة أعين واحدة لأن قوله قرة أعين مصدر من قول القائل قرت عينك قرة والمصدر لا تكاد العرب تجمعه وقوله واجعلنا للمتقين اماما اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه اجعلنا أئمة يقتدى بنا من بعدنا ذكر من قال ذلك حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنى عون بن سلام قال أخبرنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله واجعلنا للمتقين اماما يقول أئمة يقتدى بنا حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واجعلنا للمتقين اماما أئمة التقوى ولأهله يقتدى بنا قال ابن زيد كما قال لابراهيم انى جاعلك للناس اماما * وقال آخرون بل معناه واجعلنا للمتقين اماما نأتم بهم ويأتم بنا من بعدنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واجعلنا للمتقين اماما قال أئمة نقتدى بمن قبلنا ونكون أئمة لمن بعدنا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واجعلنا للمتقين اماما قال اجعلنا مؤتمين بهم مقتدين بهم * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك ويخافون عقابك اماما يأتمون بنا فى الخيرات لأنهم انما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم اماما وقال واجعلنا للمتقين اماما ولم يقل أئمة وقد قالوا واجعلنا وهم جماعة لأن الامام مصدر من قول القائل أم فلان فلانا اماما كما يقال قام فلان قياما وصام يوم كذا صياما ومن جمع الامام أئمة جعل الامام اسما كما يقال أصحاب محمد امام وأئمة للناس فمن وحد قال يأتم بهم الناس وهذا القول الذى قلناه فى ذلك قول بعض نحويى أهل الكوفة وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية الامام فى قوله للمتقين اماما جماعة كما تقول كلهم عدول قال ويكون على الحكاية كما يقول القائل اذا قيل له من أميركم هؤلاء أميرنا واستشهد لذلك بقول الشاعر

ياعاذلاتى لاتردن ملامتى * ان العواذل لسن لى بأمير

أنهم (قالوا وما الرحمن) والواو عاطفة وقعت فى كلام الحكى كما هو فاحتمل أنهم جهلوا الله سبحانه واحتمل أنهم عرفوه ولكن جحدوه واحتمل أنهم عرفوه بغير هذا الاسم فلهذا سألوا عنه ومن هنا ذهب بعضهم الى تفسير آخر لقوله فاسأل به خبيرا وهو أن الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره وكانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلمة قال القاضى والأقرب أن المراد انكارهم لله لا للاسم لأن هذه اللفظة عربية وهم يعلمون أنها تفيد المبالغة فى الانعام ثم ان قلنا انهم كانوا منكرين لله فالسؤال عن الحقيقة كقول فرعون وما رب العالمين وان قلنا انهم كانوا مقرين لكنهم جهلوا أنه تعالى سمى بهذا الاسم فالسؤال عن الاسم ومعنى (لما تأمرنا) للذى تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده مثل أمرتك الخير فاتسع أولا ثم حذف ثانيا ويجوز أن تكون ما مصدرية أى لأمرك لنا ومن قرأ على الغيبة فالضمير لمحمد أو للمسمى بالرحمن كأنهم قالوا هذا القول فيما بينهم والضمير فى (زادهم) للقول وهو اسجدوا للرحمن أى وزادهم أمره (نفورا) ومن حقه أن يكون باعثا على الفعل والقبول قال الضحاك لما رآهم المشركون يسجدون تباعدوا فى ناحية المسجد مستهزئين فمعنى الآية وزادهم سجودهم نفورا ومن السنة أن يقول الساجد والقارئ اذا بلغ القول هذا الموضع زادنا الله خضوعا ما زاد للاعداء نفورا ثم ذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود للرحمن فقال (تبارك) الخ فالبروج هى الأقسام

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادى وذلك من ابتداء قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا الى قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا الآية يجزون يقول يثابون على أفعالهم هذه التى فعلوها فى الدنيا الغرفة وهى منزلة من منازل الجنة رفيعة بما صبروا يقول بصبرهم على هذه الأفعال ومقاساة شدتها وقوله ويلقون فيها تحية وسلاما اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ويلقون مضمومة الياء مشددة القاف بمعنى وتتلقاهم الملائكة فيها بالتحية وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ويلقون بفتح الياء وتخفيف القاف والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الأمصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراءتين الى أن أقرأ بها ويلقون فيها بفتح الياء وتخفيف القاف لأن العرب اذا قالت ذلك بالتشديد قالت فلان يتلقى بالسلام وبالخير ونحن نتلقاهم بالسلام قرنته بالباء وقلما تقول فلان يلقى السلام فكان وجه الكلام لو كان بالتشديد أن يقال ويتلقون فيها بالتحية والسلام وانما اخترنا القراءة بذلك (٣) كما تجيز أخذت بالخطام وأخذت الخطام وقد بينا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل فأغنى عن اعادته فى هذا الموضع القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما﴾ يقول تعالى ذكره أولئك يجزون الغرفة بما صبروا خالدين فى الغرفة يعنى أنهم ماكثون فيها لابثون الى غير أمد حسنت تلك الغرفة قرارا لهم ومقاما يقول واقامة وقوله قل ما يعبأ بكم ربى يقول جل ثناؤه لنبيه قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت اليهم أى شئ يعد كم وأى شئ يصنع بكم ربى يقال منه عبأت به أعبأ عبأ وعبأت الطيب أعبؤه اذا هيأته كما قال الشاعر

كأن بنحره وبمنكبيه * عبيرا بات يعبؤه عروس

يقول يهيئه ويعمله يعبؤه عبأ وعبوأ ومنه قولهم عبأت الجيش بالتشديد والتخفيف فأنا أعبئه أهيئه والعبء الثقل * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل ما يعبأ بكم ربى يصنع لولا دعاؤكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قل ما يعبأ بكم ربى قال يعبأ يفعل وقوله لولا دعاؤكم يقول لولا عبادة من يعبده منكم وطاعة من يطيعه منكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم يقول لولا ايمانكم وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم اذ لم يخلقهم مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لحبب اليهم الايمان كما حببه الى المؤمنين وحدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لولا دعاؤكم قال لولا دعاؤكم اياه لتعبدوه وتطيعوه وقوله فقد كذبتم يقول تعالى ذكره لمشركى قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كذبتم أيها القوم رسولكم الذى أرسل

الاثنا عشر للفلك وأساميها مشهورة الحمل والثور والجوزاء الخ شبهت بالقصور العالية واشتقاق البروج من التبرج لظهوره والسراج الشمس ومن جمع أراد الشمس والكواكب الكبار والخلفة للهيئة من الخلافة يريد الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر أى جعلهما ذوى خلفة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ومثله قوله واختلاف الليل والنهار فى أحد تفاسيره وعن ابن عباس جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فمن فاته شئ من وظائف العبادة فى أحدهما قضاه فى الآخر وعن مجاهد وقتادة والكسائى يقال لكل مختلفين هما خلفتان فالمعنى ان أحدهما أسود والآخر أبيض أو هذا طويل وهذا قصير ثم بين أن هذه النعمة سبب للتذكر لمن أراد ذلك أو للشكر لمن أراده أما التذكر فلدلالة الانتقال والتغير على الناقل والمغير وأما الشكر فلأن الليل سبب الراحة والسكون والنهار سبب لسهولة التصرف فى المعايش قال بعضهم معنى أو الفاصلة أنه ان كان كافرا تذكر وان كان مؤمنا شكر وقيل أراد ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته فى أحدهما ورده من العبادة قام به فى الآخر والشكور مصدر كالكفور ثم أراد أن يختم السورة بوصف عباده المخلصين فقال (وعباد الرحمن) وهو مبتدأ خبره فى آخر السورة أولئك يجزون الغرفة أو خبره (الذين يمشون) والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتشريف وقرئ وعباد جمع عابد وصف سيرتهم مع الخلق بالنهار أولا ثم وصف معاملتهم مع الحق بالليل ثانيا ثم قسم الوصف الأول الى نوعين أحدهما ترك الايذاء وهو المراد بقوله (الذين يمشون على الارض هونا) مصدر وضع للمبالغة موضع الحال أو الصفة للمشى بمعنى هينين أو مشيا هينا والمعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذلك كره بعضهم الركوب فى الاسواق والمشى

اليكم وخالفتم أمر ربكم الذي أمر بالتمسك به لو تمسكتم به كان يعبأ بكم ربي فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم وخلافكم أمر بارئكم عذابا لكم ملازما قتلا بالسيوف وهلاكا لكم مفنيا يلحق بعضكم بعضا كما قال أبو ذؤيب الهذلي

ففاجأه بعادية لزام * كما يتفجر الحوض اللقيف

يعني باللزام الكبير الذي يتبع بعضه بعضا و باللقيف المتساقط الحجارة المتهدم ففعل الله ذلك بهم وصدقهم وعده وقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه وألحق بعضهم ببعض فكان ذلك العذاب اللزام * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرني مولى لشقيق بن ثور أنه سمع سلمان أبا عبد الله قال صليت مع ابن الزبير فسمعته يقرأ فقد كذب الكافرون حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سعيد بن أدهم السدوسي قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد المجيد قال سمعت مسلم بن عمار قال سمعت ابن عباس يقرأ هذا الحرف فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما يقول كذب الكافرون أعداء الله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود قال فسوف يلقون لزاما يوم بدر حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الرحمن خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله فسوف يكون لزاما قال أبي بن كعب هو القتل يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عمرو عن مغيرة عن ابراهيم قال اللزام يوم بدر حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد فسوف يكون لزاما قال هو يوم بدر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فسوف يكون لزاما قال يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن منصور عن سفيان عن ابن مسعود قال اللزام القتل يوم بدر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فقد كذبتم فسوف يكون لزاما الكفار كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم و بما جاء به من عند الله فسوف يكون لزاما وهو يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله قال قد مضى اللزام كان اللزام يوم بدر أسروا سبعين وقتلوا سبعين * وقال آخرون معنى اللزام القتال ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فسوف يكون لزاما قال فسوف يكون قتالا اللزام القتال * وقال آخرون اللزام الموت ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فسوف يكون لزاما قال موتا وقال بعض أهل العلم بكلام العرب معنى ذلك فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير أو شر وقد بينا الصواب من القول في ذلك وللنصب في اللزام وجه آخر غير الذي قلناه وهو ان يكون في قوله يكون

كسلام ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين قال لأبيه سلام عليك ولا نسخ في الآية على ما زعم الكلبي وابو العالية من أنها نسخت بآية القتال فان الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم بسوء الأدب مستحسن عقلا وشرعا والبيتوتة هي أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وصفهم باحياء الليل أو أكثره وقوله (لربهم) اما أن يتعلق بما قبله أو بما بعده أي يبيتون لله على اقدامهم و يفرشون خدودهم و يعفرون جباههم وقيل من قرأ شيأ من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء قاله ابن عباس ثم وصفهم بأنهم يقولون في سجودهم وقيامهم (ربنا اصرف عنا) الآية وقال الحسن خشعوا بالنهار وتعبوا بالليل خوفا من عذاب جهنم وقوله (غراما) أي هلاكا وخسرانا ملحا لازما ومنه الغريم لالحاحه والزامه وفلان مغرم بالنساء اذا كان مولعا بهن وسأل ابن عباس نافع بن الازرق عن الغرام فقال هو الموجع وعن محمد بن كعب في غراما انه سأل الكفار عن نعمه فما أدوها اليه فأغرمهم فأدخلهم النار (وساءت) اما بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز واما بمعنى بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم وهو الرابط أيضا محذوف أي ساءت مستقرا ومقاما هي والظاهر أن

الجملتين من قول الداعين وجوز جار الله أن يكون من كلام الله والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين بأن يكون مجهول قوله انها ساءت تعليلا لقوله ان عذابها كان غراما وأن يكونا مترادفين كل منهما تعليل لقوله ربنا اصرف قال المتكلمون التعليل الأول

اشارة الى أن عقاب أهل النار مضرة خالصة والتعليل الثانى اشارة الى كونها دائمة وقد يفرق بين المستقر والمقام بأن المستقر للعصاة من اهل الايمان والمقام للكفار الذين لا خلاص لهم منها ثم وصفهم بالتوسط فى الانفاق (٣٧) والقتر والاقتار التضييق نقيض الاسراف وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابا للجمال والزينة ولكن ما يسد جوعتهم ويستر عورتهم ويكنهم من الحر والقر عن عمر كفى شرها أن لا يشتهى رجل شيأ الا اشتراه فأكله ثم بالغ فى نسبة انفاقهم الى الاعتدال بقوله (وكان) أى الانفاق (بين ذلك قواما) والمنصوبان يجوز أن يكونا خبرين وأن يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وقال فى الكشاف يجوز أن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا ولعل معناه أنه يقوم مقام لفظ المستقر اذا كان متعلقا به فى قولك الانفاق بين ذلك وقد ذكر مثله فى أول الشعراء فى قوله انا معكم مستمعون والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ بكسر القاف وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل ولا ينقص وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبنى لاضافته الى غير متمكن كما يقال كان دون هذا كافيا يريد أقل من ذلك فيكون المعنى وكان الوسط بين ذلك قواما وضعفه فى الكشاف بأن ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة وأقول اذا أريد بالقوام حاق الوسط وبقوله بين ذلك أعم منه لم يلزم التكرار وعن ابن مسعود قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك فأنزل الله عز وجل تصديقه والذين لا يدعون الى قوله ولا يزنون قال جار الله نفى هذه الأمور الشنيعة عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة فى الدين تعريض بما

مجهول ثم ينصب اللزام على الخبر كما قيل * اذا كان طعنا بينهم وقتالا * وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول فى تأويل ذلك قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ما تدعون من دونه من الآلهة والانداد وهذا قول لا معنى للتشاغل به لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل

(آخر سورة الفرقان والحمد لله وحده)

(تفسير سورة الشعراء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين) قال أبو جعفر وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما فى ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الهجاء وما انتزع به كل قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة وقد بينا الذى هو أولى بالصواب من القول فيه فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته وقد ذكر عنهم من الاختلاف فى قوله طسم وطس نظير الذى ذكر عنهم فى الم والمر والمص وقد حدثنى على بن داود قال ثنا عبدالله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله طسم قال فانه قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله طسم قال اسم من أسماء القرآن فتأويل الكلام على قول ابن عباس والسميع ان هذه الآيات التى أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة لآيات الكتاب الذى أنزلته اليه من قبلها الذى بين لمن تدبره بفهم وفكر فيه بعقل أنه من عند الله جل جلاله لم يتخرصه محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتقوله من عنده بل أوحاه اليه ربه وقوله لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين يقول تعالى ذكره لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها ان لم يؤمن قومك بك ويصدقوك على ما جئتهم به والبخع هو القتل والاهلاك فى كلام العرب ومنه قول ذى الرمة

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه * لشئ نحته عن يديك المقادر

* وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس باخع نفسك قاتل نفسك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين قال لعلك من الحرص على ايمانهم مخرج نفسك من جسدك قال ذلك البخع حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لعلك باخع نفسك عليهم حرصا وأن من قوله أن لا يكونوا مؤمنين فى موضع نصب بباخع كما يقال زرت عبدالله أن زارنى وهو جزاء ولو كان الفعل الذى بعد أن مستقبلا لكان وجه الكلام فى أن الكسر كما يقال أزور عبدالله ان يزرنى القول فى تأويل قوله تعالى (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فظلت أعناقهم الآية فقال بعضهم معناه فظل القوم الذين أنزل عليهم من السماء آية خاضعة أعناقهم لها من الذلة ذكر من قال ذلك

كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه وقيل ان الموصوف بالصفات المذكورة قد يرتكب هذه الأمور تدينا فبين الله تعالى أن (٣٨) المكلف لا يصير بتلك الخلال وحدها من عباد الرحمن حتى ينضاف الى ذلك كونه مجانبا لهذه الكبائر والقتل بغير حق يشمل الوأد وغيره كما مر في سبب النزول (ومن يفعل ذلك) أي المذكور فترك المأمورات أو ارتكب المنهيات والأثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما وقيل هو الاثم والمضاف محذوف أي يلق جزاء الاثم وقرأ ابن مسعود أياما بتشديد الياء التحتانية يعني أيام الشدة ومعنى مضاعفة العذاب لمن ارتكب مخالفة المذكورات أن يعذب على الشرك وعلى المعاصي الاخر جميعا هذا عند من يرى تعذيب الكفار بفروع الشرائع والمخالف يدعي أن المشار اليه بقوله ذلك هو قوله والذين لا يدعون قال القاضي قوله (ويخلد فيه) أي في ذلك التضعيف أو المضعف ففيه دليل على أن حال الزيادة كحال الأصل في الدوام فيكون عقاب المعصية دائما واذا كان كذلك في حق الكافر لزم ان يكون كذلك في حق المؤمن وأجيب بأن الشيئين قد يكون كل واحد منهما قبيحا ويكون الجمع بينهما أقبح فلا يلزم أن يكون للانفراد حكم الاجتماع وفي قوله ويخلد فيه مهانا اشارة الى أن العقاب هو المضرة الخالصة الدائمة المقرونة بالاذلال والاهانة كما أن الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالاجلال والتعظيم وقوله (الا من تاب) لا يفهم منه الا أن التائب لا يضاعف له العذاب ولا يلزم منه أن يكون مثابا فلذلك قال (فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة أن هذا التبديل انما يكون في الدنيا فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا يبشرهم الله تعالى بأنه يوفقهم لهذه الأعمال الصالحة اذا تابوا وآمنوا

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله فظلت أعناقهم لها خاضعين قال فظلوا خاضعة أعناقهم لها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله خاضعين قال لو شاء الله لنزل عليه آية يذلون بها فلا يلوي أحد عنقه الى معصية الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أن لا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية قال لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده بمعصية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فظلت أعناقهم لها خاضعين قال ملقين أعناقهم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فظلت أعناقهم لها خاضعين قال الخاضع الذليل * وقال آخرون بل معنى ذلك فظلت سادتهم وكبراؤهم للآية خاضعين ويقول الأعناق هم الكبراء من الناس * واختلف أهل العربية في وجه تذكير خاضعين وهو خبر عن الأعناق فقال بعض نحويي البصرة يزعمون أن قوله أعناقهم على الجماعات نحو هذا عنق من الناس كثير أو ذكر كما يذكر بعض المؤنث كما قال الشاعر

تمززتها والديك يدعو صباحه * اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

فجماعات هذا أعناق أو يكون ذكره لاضافته الى المذكر كما يؤنث لاضافته الى المؤنث كما قال الأعشى

وتشرق بالقول الذي قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

وقال العجاج * لما رأى متن السماء أبعدت *

وقال الفرزدق

اذا القنبضات السود طوفن بالضحى * رقدن عليهن الحجال المسجف

وقال الاعشى

وان امرأ أهدى اليك ودونه * من الأرض يهماء وبيداء خيفق

لمحقوقة أن تستجيبي لصوته * وأن تعلمي أني المعان الموفق

قال ويقولون بنات نعش وبنو نعش ويقال بنات عرس وبنو عرس وقالت امرأة أنا امرؤ لا أخبر السر قال وذكر لرؤبة رجل فقال هو كان أحد بنات مساجد الله يعني الحصا وكان بعض نحويي الكوفة يقول هذا بمنزلة قول الشاعر

ترى أرماحهم متقلديها * اذا صدأ الحديد على الكماة

فمعناه عنده فظلت أعناقهم خاضعيها هم كما يقال يدك باسطها بمعنى يدك باسطها أنت فاكتفى بما ابتدأ به من الاسم أن يكون فصار الفعل كأنه للاول وهو للثاني وكذلك قوله لمحقوقة أن تستجيبي لصوته انما هو لمحقوقة أنت والمحقوقة الناقة الا أنه عطفه على المرء لما عاد بالذكر وكان آخر منهم يقول الأعناق الطوائف كما يقال رأيت الناس الى فلان عنقا واحدة فيجعل الاعناق الطوائف والعصب ويقول يحتمل أيضا أن تكون الاعناق هم السادة والرجال الكبراء فيكون كأنه قيل فظلت رؤس القوم وكبراؤهم لها خاضعين وقال أحب الي من هذين الوجهين في العربية أن يقال

وعملوا سائر الأعمال الصالحة وانما أفرد التوبة والايمان بالذكر أولا لعلو شأنهما وقال الزجاج السيئة بعينها لا تصير حسنة ولكن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط الله عمله ويثبت عليه (٩٣) السيآت وذهب سعيد بن المسيب ومكحول الى ظاهر الآية وهو أنه تعالى يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة وأكدوا هذا الظاهر بما روى عن أبي هريرة مرفوعا ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيآت قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سيآتهم حسنات وقال القاضي والقفال انه تعالى يبدل بالعقاب الثواب فذكر السبب وأراد المسبب ثم عمم الحكم فذكر أن جميع الذنوب بمنزلة الخصال المذكورة أى ومن يترك المعاصي كلها ويندم عليها وأتى بالعمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله عز وجل متابا مرضيا مكفرا للخطايا ويجوز أن ترجع الفائدة الى تخصيص اسم الله أى فانه تائب متابا الى الله الذى هو المفيض لكل الخيرات يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يليق بكرمه ويحتمل أن ترجع الفائدة الى تنكير متابا والمتاب المرجع أى يرجع الى الله مرجعا حسنا أى مرجع وقيل هو وعد للتائبين المخلصين فيما مضى بأنه سيوفقهم للتوبة في المستقبل ثم وصفهم بأنهم لا يشهدون الزور فان كان من الشهادة فالمضاف محذوف أى لا يشهدون شهادة الزور وان كان من الشهود الحضور فللمفسرين أقوال فعن قتادة هى مجالس الباطل وعن أبي حنيفة اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين وعن ابن عباس هى المجالس التى يقال فيها الزور والكذب على الله تعالى وعلى رسوله والتحقيق أنه يدخل فيه حضور كل موضع يجرى فيه ما لا ينبغى كمحاضر الكذابين ومجالس الخطائين وكالنظارة الى ما لم تسوغه الشريعة لأن الحضور والنظر الى تلك المجالس دليل الاهانة وبعث لفاعله عليه لا زجر له عنه وفى مواعظ عيسى بن مريم اياكم ومجالسة

ان الاعناق اذا خضعت فأربابها خاضعون فجعل الفعل أولا للاعناق ثم جعلت خاضعين للرجال كما قال الشاعر

على قبضة مرجوة ظهر كفه * فلا المرء مستحى ولا هو طاعم

فأنث فعل الظهر لأن الكف تجمع الظهر وتكفى منه كما أنك تكتفى بأن تقول خضعت لك من أن تقول خضعت لك رقبتى وقال ألا ترى أن العرب تقول كل ذى عين ناظر وناظرة اليك لان قولك نظرت اليك عينى ونظرت اليك بمعنى واحد بترك كل وله الفعل ورده الى العين فلو قلت فظلت أعناقهم لها خاضعة كان صوابا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل فى ذلك أن تكون الأعناق هى أعناق الرجال وأن يكون معنى الكلام فظلت أعناقهم ذليلة للآية التى ينزلها الله عليهم من السماء وأن يكون قوله خاضعين مذكرا لانه خبر عن الهاء والميم فى الأعناق فيكون ذلك نظير قول جرير

أرى مر السنين أخذن منى * كما أخذ السرار من الهلال

وذلك أن قوله مر لو أسقط من الكلام لأدى ما بقى من الكلام عنه ولم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سقوطه وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله فظلت أعناقهم لأدى ما بقى من الكلام عنها وذلك أن الرجال اذا ذلوا فقد ذلت رقابهم واذا ذلت رقابهم فقد ذلوا فان قيل فى الكلام فظلوا لها خاضعين كان الكلام غير فاسد لسقوط الأعناق ولا متغير معناه عما كان عليه قبل سقوطها فصرف الخبر بالخضوع الى أصحاب الأعناق وان كان قد ابتدأ بذكر الأعناق لما قد جرى به استعمال العرب فى كلامهم اذا كان الاسم المبتدأ به وما أضيف اليه يؤدى الخبر كل واحد منهما عن الآخر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين﴾ يقول تعالى ذكره وما يجىء هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون ما أتيتهم به يا محمد من عند ربك من تذكير وتنبيه على مواضع حجج الله عليهم على صدقك وحقيقة ما تدعوهم اليه مما يحدثه الله اليك ويوحيه اليك لتذكرهم به الا أعرضوا عن استماعه وتركوا اعمال الفكر فيه وتدبره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره فقد كذب يا محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذى أتاهم من عند الله وأعرضوا عنه فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن يقول فسيأتيهم أخبار الأمر الذى كانوا يسخرون وذلك وعيد من الله لهم أنه محل بهم عقابه على تماديهم فى كفرهم وتمردهم على ربهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ يقول تعالى ذكره أولم يرهؤلاء المشركون المكذبون بالبعث والنشر الى الارض كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها من كل زوج كريم يعنى بالكريم الحسن كما يقال للنخلة الطيبة الحمل كريمة وكما يقال للشاة أو الناقة اذا غزرتا فكثرت ألبانهما ناقة كريمة وشاة كريمة * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أنبتنا فيها من كل زوج كريم قال من نبات الأرض مما تأكل الناس والأنعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى

حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله من كل زوج كريم قال حسن ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) يقول تعالى ذكره ان في انباتنا في الارض من كل زوج كريم لآية يقول لدلالة لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث على حقيقته وأن القدرة التي بها أنبت الله في الأرض ذلك النبات بعد جدوبتها لن يعجزه أن ينشر بها الأموات بعد مماتهم أحياء من قبورهم وقوله وما كان أكثرهم مؤمنين يقول وما كان أكثر هؤلاء المكذبين بالبعث الجاحدين نبوتك يا محمد بمصدقيك على ما تأتيهم به من عند الله من الذكر يقول جل ثناؤه وقد سبق في علمي أنهم لا يؤمنون فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمي فيهم وقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم يقول وان ربك يا محمد لهو العزيز في نقمته لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه يقول تعالى ذكره واني ان أحللت بهؤلاء المكذبين بك يا محمد المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندي عقوبتي بتكذيبهم اياك فلن يمنعهم مني مانع لأني أنا العزيز الرحيم يعني أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته أن يعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته وكان ابن جريج يقول في معنى ذلك ما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني الحجاج عن ابن جريج قال كل شيء في الشعراء من قوله عزيز رحيم فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم يقول عزيز حين انتقم من أعدائه رحيم بالمؤمنين حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك في هذا الموضع لأن قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم عقيب وعيد الله قوما من أهل الشرك والتكذيب بالبعث لم يكونوا أهلكوا فيوجه الى أنه خبر من الله عن فعله بهم واهلاكه ولعل ابن جريج بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن اهلاكه من أهلك من الأمم وذلك ان شاء الله اذا كان عقيب خبرهم كذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون) يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد اذ نادى ربك موسى بن عمران أن ائت القوم الظالمين يعني الكافرين قوم فرعون ونصب القوم الثاني ترجمة عن القوم الاول وقوله ألا يتقون يقول ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به ومعنى الكلام قوم فرعون فقل لهم ألا يتقون وترك اظهار فقل لهم لدلالة الكلام عليه وانما قيل ألا يتقون بالياء ولم يقل ألا تتقون بالتاء لأن التنزيل كان قبل الخطاب ولو جاءت القراءة فيها بالتاء كان صوابا كما قيل قل للذين كفروا سيغلبون وستغلبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال رب اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل الى هرون ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) يقول تعالى ذكره قال موسى لربه رب اني أخاف من قوم فرعون الذين أمرتني أن آتيهم أن يكذبون بقيلي لهم انك ارسلتني اليهم ويضيق صدري من تكذيبهم اياي ان كذبوني ورفع قوله ويضيق صدري عطفا به على أخاف وبالرفع فيه قرأته عامة قراء الأمصار ومعناه واني يضيق صدري وقوله ولا ينطلق لساني يقول ولا ينطلق بالعبارة عما ترسلني به اليهم للعلة التي كانت بلسانه وقوله ولا ينطلق لساني كلام معطوف به على يضيق وقوله فأرسل الى هرون يعني هرون أخاه ولم يقل فأرسل الى هرون ليوازرني وليعينني اذ كان مفهوما معنى الكلام وذلك كقول القائل لو نزلت بنا نازلة لفزعنا اليك بمعنا لفزعنا اليك لتعيننا وقوله ولهم علي ذنب يقول ولقوم فرعون علي دعوى ذنب أذنبت اليهم وذلك قتله النفس التي قتلها منهم

الخاطئين (واذا مروا باللغو) وهو كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح (مروا كراما) مكرمين أنفسهم عن الخوض فيه مع المشتغلين به وأصل الكلمة من قولهم ناقة كريمة اذا كانت لا تبالي بما يحلب منها للغزارة فاستعير للصفح عن الذنب ويقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه وأكرم نفسه عن ذلك وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وقيل اذا ذكروا النكاح كفوا عنه قال جار الله قوله (لم يخروا عليها) ليس نفيا للخرور ولكنه اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمراد أنهم اذا ذكروا بآيات الله أي وعظوا بها ونبهوا حرصوا على استماعها بآذان واعية وعيون باكية لا كالمنافقين الذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان لا يعونها ولا يبصرون ما فيها فهم متساقطون عليها غير منتفعين بها قوله (من أزواجنا) من للبيان وتسمى في علم البيان تجريدية كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم فسرت القرة بالأزواج والذرية كقولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد ويجوز أن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا لا في الامور الدنيوية من الجاه والمال والجمال بل في الأمور الأخروية من الطاعة والصلاح عن محمد بن كعب ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله عز وجل بهم أولادهم وأزواجهم في الجنة ليتم لهم سرورهم وتنكير أعين اما لأنه أراد أعينا مخصوصة هي أعين المتقين ولهذا اختير جمع القلة لان أعين المتقين قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم وقليل من عبادي الشكور واما لاجل تنكير القرة فان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه أي هب لنا منهم سرورا وفرحا قال الزجاج يقال أقر الله عينك أي صادف فؤادك ما يحبه وقال المفضل في قرة العين وبنحو

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثني عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون قال قتل النفس التي قتل منهم حدثنا القاسم قال ثني الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قتل موسى النفس * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله ولهم علي ذنب قال قتل النفس وقوله فأخاف أن يقتلون يقول فأخاف أن يقتلون قودا بالنفس التي قتلت منهم ﷺ القول في تأويل قوله تعالى (قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني اسرائيل) يقول تعالى ذكره كلا أي لن يقتلك قوم فرعون فاذهبا بآياتنا يقول فاذهب أنت وأخوك بآياتنا يعني بأعلامنا وحججنا التي أعطيناك عليهم وقوله انا معكم مستمعون من قوم فرعون ما يقولون لكم ويجيبونكم به وقوله فأتيا فرعون فقولا الآية يقول فأت أنت يا موسى وأخوك هرون فرعون فقولا انا رسول رب العالمين اليك بأن أرسل معنا بني اسرائيل وقال رسول رب العالمين وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا لأنه أراد به المصدر من أرسلت يقال أرسلت رسالة ورسولا كما قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بسوء ولا أرسلتهم برسول

يعني برسالة وقال الآخر

ألا من مبلغ عني خفافا * رسولا بيت أهلك منتهاها

يعني بقوله رسولا رسالة فأنث لذلك الهاء ﷺ القول في تأويل قوله تعالى (قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر عليه منه وهو فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما اليه فقال فرعون ألم نربك فينا يا موسى وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وذلك مكثه عنده قبل قتله القتيل الذي قتله من القبط وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتله النفس التي قتل من القبط وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين قال قتل النفس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما قيل وفعلت فعلتك لأنها مرة واحدة ولا يجوز كسر الفاء اذا أريد بها هذا المعنى وذكر عن الشعبي أنه قرأ ذلك وفعلت فعلتك بكسر الفاء وهي قراءة لقراءة القراء من أهل الامصار مخالفة وقوله وأنت من الكافرين اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وأنت من الكافرين بالله على ديننا ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين يعني على ديننا هذا الذي تعيب وقال آخرون بل معنى ذلك وأنت من الكافرين نعمتنا عليك ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال ربيناك

ثلاثة أقوال أحدها برد دمعها لأنه دليل السرور والضحك كما أن حره دليل الحزن والغم والثاني قرتها أن تكون مع فراغ الخاطر وذهاب الحزن والثالث حصول الرضا وقوله (اماما) في معنى الجمع اكتفى به لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كما قال يخرجكم طفلا أو أريد كل واحد منا أو اجعلنا اماما واحدا لاتحاد كلمتنا أو هو جمع آم كصائم وصيام وصاحب وصحاب وقيل في الآية دلالة على أن الرياسة يجب أن تطلب ويرغب فيها والأقرب أنهم سألوا الله أن يبلغهم في الطاعة المبلغ الذي يشار اليهم ويقتدى بهم ومن هنا فسره القفال بأن المراد اجعلنا حجة للمتقين قالت الاشاعرة الامامة في الدين لا تكون الا بالعلم والعمل فدل ذلك على أن العلم والعمل بل جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وقالت المعتزلة انهم سألوا من الألطاف ما بها يختارون أفعال الخير الى أن يصيروا أئمة وأجيب بأن تلك الألطاف مفعولة لا محالة فيكون سؤالها عبثا ثم بين جزاء عبادة العباد بقوله (أولئك يجزون الغرفة) أي الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اكتفاء بالجنس وقيل الغرفة اسم للجنة وقوله (بما صبروا) أي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات أو على أذى الكفار وضر الفقر وغير ذلك ولهذا أطلق اطلاقا ليشمل كل مصبور عليه ثم بين بقوله (ويلقون) أن تلك المنافع مقرونة بالتعظيم والتحية والدعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة من الآفات وهما من الملائكة أو من الله أو من بعضهم لبعض ثم ذكر أنه غني عن طاعة الكل وأنه انما كلفهم لينتفعوا بذلك قال الخليل ما أعبأ بفلان أي ما أصنع به كأنه يستقله ويستحقره ويدعي أن وجوده وعدمه سواء وقال الزجاج ما يعبأ بكم ربي يريد أي وزن يكون لكم عنده والعبء الثقل وما استفهامية أو نافية والدعاء اما مضاف الى المفعول أي لولا دعاؤه اياكم الى الدين والطاعة واما الى الفاعل أي لولا

إيمانكم أو لولا عبادتكم أو لولا دعاؤكم إياه في الشدائد كقوله فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله أو لولا شكركم له على إحسانه كقوله ما يفعل الله
بعذابكم إن شكرتم أو ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة أو ما خلقتكم وبي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم أو

فينا وليدا فهذا الذي كافأتنا أن قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وأنت من الكافرين يقول كافرا للنعمة إن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر * قال أبو جعفر وهذا القول الذي قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية لأن فرعون لم يكن مقرا لله بالربوبية وإنما كان يزعم أنه هو الرب فغير جائز أن يقول لموسى إن كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتيل على ما قاله السدي فعلت الفعلة وأنت من الكافرين الإيمان عنده هو دينه الذي كان عليه موسى عنده إلا أن يقول قائل إنما أراد وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى على قولك اليوم فيكون ذلك وجها يتوجه فتأويل الكلام إذا وقتلت الذي قتلت منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك وإحساننا إليك في قتلك إياه وقد قيل معنى ذلك وأنت الآن من الكافرين لنعمتي عليك وتربيتي إياك ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ (قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين) يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون فعلت تلك الفعلة التي فعلت أي قتلت تلك النفس التي قتلت إذا وأنا من الضالين يقول وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني من الله وحي بتحريم قتله علي والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال فتقول قد جهل فلان الطريق وضل الطريق بمعنى واحد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأنا من الضالين قال من الجاهلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج وفي قراءة ابن مسعود وأنا من الجاهلين * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وأنا من الضالين قال من الجاهلين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وأنت من الكافرين فقال موسى لم أكفر ولكن فعلتها وأنا من الضالين وفي حرف ابن مسعود فعلتها إذا وأنا من الجاهلين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قال فعلتها إذا وأنا من الضالين قبل أن يأتيني من الله شيء كان قتلي إياه ضلالة خطأ قال والضلالة ههنا الخطأ لم يقل ضلالة فيما بينه وبين الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال فعلتها إذا وأنا من الضالين يقول وأنا من الجاهلين وقوله ففررت منكم لما خفتكم الآية يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لفرعون ففررت منكم معشر الملا من قوم فرعون لما خفتكم أن تقتلوني بقتلي القتيل منكم فوهب لي ربي حكما يقول فوهب لي ربي نبوة وهي الحكم كما حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فوهب لي ربي حكما والحكم النبوة وقوله وجعلني من المرسلين يقول وألحقني بعداد من أرسله إلى خلقه مبلغا عنه رسالته إليهم بإرساله إياي إليك يا فرعون ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون وتلك نعمة تمنها علي يعني بقوله وتلك تربية فرعون إياه يقول وتربيتك إياي وتركك استعبادي كما استعبدت بني إسرائيل نعمة منك تمنها علي بحق

تستغفروني فأغفر لكم قوله (فقد كذبتم) أي إذا أعلمتكم أني لا أعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي (فسوف يكون لزاما) وهو عقاب الآخرة نظيره قول الملك لمن استعصى عليه إن من عادتي أن أحسن إلى من يطيعني فقد عصيت فسوف ترى عقوبتي والخطاب لجنس الإنس وإذا وجد في جنسهم التكذيب فقد صح الخطاب والأوجه أن يترك اسم كان غير منطوق به ليذهب الوهم كل مذهب من أنواع الإيعاد وقيل يكون العقاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وقد لوزم إذ ذاك بين القتلى لزاما والله تعالى أعلم ﴿التأويل﴾ ولو شئنا لبعثنا فيه كمال القدرة وإن أمر النبوة ليس يتعلق بالقربات والمزاجات بل بمحض المشيئة الأزلية يروى أن موسى عليه السلام سئم الرسالة وتبرم في بعض الأيام فأوحى الله تعالى في ليلة واحدة إلى ألف من بني إسرائيل فأصبحوا أنبياء فضاق قلب موسى وغار وقال يارب إني لا أطيق ذلك فقبض الله أرواحهم في ذلك اليوم وفيه كمال الحكمة فإن العزة في القلة ومنه تظهر فائدة الخاتمة وعموم رسالته وفيه تأديب الخواص وعصمتهم عن رؤية الأعمال فلا تطع كفار النفس وسائر القوى البدنية وجاهدهم بهذا الخلاق جهادا كبيرا لا تواسيهم بالرخص ولكن بحملهم على العزائم وهو الذي مرج بحر الروح وبحر النفس
هذا عذب فرات من الأخلاق الحميدة الربانية وهذا ملح أجاج من الصفات الذميمة الحيوانية والبرزخ هو وفي
القلب وفائدة مرج الأجاج هو احتياج الإنسان إلى الأخلاق الذميمة لدفع المضرات الدنيوية والأخروية في مقامها وحرام على الروح أن،

وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه عنه وهو وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل وتركتني فلم تستعبدني فترك ذكر وتركتني لدلالة قوله أن عبدت بني اسرائيل عليه والعرب تفعل ذلك اختصارا للكلام ونظير ذلك في الكلام أن يستحق رجلان من ذي سلطان عقوبة فيعاقب أحدهما ويعفو عن الآخر فيقول المعفو عنه هذه نعمة علي من الامير أن عاقب فلانا وتركني ثم حذف وتركني لدلالة الكلام عليه ولأن في قوله أن عبدت بني اسرائيل وجهين أحدهما النصب لتعلق تمنها بها واذا كانت نصبا كان معنى الكلام وتلك نعمة تمنها علي لتعبدك بني اسرائيل والآخر الرفع على أنها رد على النعمة واذا كانت رفعا كان معنى الكلام وتلك نعمة تمنها علي تعبيدك بني اسرائيل ويعني بقوله أن عبدت بني اسرائيل أن اتخذتهم عبيدا لك يقال منه عبدت العبيد وأعبدتهم كما قال الشاعر

علام يعبدني قومي وقد كثرت * فيهم أباعر ماشاؤا وعبدان

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل قال قهرتهم واستعملتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال تمن علي أن عبدت بني اسرائيل قال قهرت وغلبت واستعملت بني اسرائيل حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل وربيتني قبل وليدا * وقال آخرون هذا استفهام كان من موسى لفرعون كأنه قال أتمن علي أن اتخذت بني اسرائيل عبيدا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وتلك نعمة تمنها علي قال يقول موسى لفرعون أتمن علي أن اتخذت أنت بني اسرائيل عبيدا * واختلف أهل العربية في ذلك فقال بعض نحويي البصرة وتلك نعمة تمنها علي فيقال هذا استفهام كأنه قال أتمنها علي ثم فسر فقال أن عبدت بني اسرائيل وجعله بدلا من النعمة وكان بعض أهل العربية ينكر هذا القول ويقول هو غلط من قائله لا يجوز أن يكون همز الاستفهام يلقى وهو يطلب فيكون الاستفهام كالخبر قال وقد استقبح ومعه أم وهي دليل على الاستفهام واستقبحوا

تروح من الحي أم تبتكر * وماذا يضرك لو تنتظر

قال وقال بعضهم هو أتروح من الحي وحذف الاستفهام أولا اكتفاء بأم وقال أكثرهم بل الأول خبر والثاني استفهام وكأن أم اذا جاءت بعد الكلام فهي الالف فأما وليس معه أم فلم يقله انسان وقال بعض نحويي الكوفة في ذلك ما قلنا وقال معنى الكلام وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين لنعمتي أي لنعمة تربيتي لك فأجابه فقال نعم هي نعمة علي أن عبدت الناس ولم تستعبدني وقوله قال فرعون وما رب العالمين يقول وأي شيء رب العالمين قال موسى هو رب السموات والارض وما بينهما يقول ومالك ما بين السموات والارض من شيء ان كنتم موقنين يقول ان كنتم موقنين أن ما تعاينونه كما تعاينونه فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو رب السموات والارض وما بينهما ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين

تكون منشأ الأخلاق الذميمة وعلى النفس أن تكون معدن الأخلاق الحميدة فجعله نسبا وصهرا أهل النسب هم الذين صحت نسبتهم الى عالم الأمر وهو قوله ونفخت فيه من روحي وأهل الصهر هم الذين بقوا في عالم الخلق واختلطوا بالصفات البشرية من الحرص والشهوة والغضب وأشار الى هذا الصنف بقوله ويعبدون من دون الله الآية وكان الكافر على ربه ظهيرا في اظهار صفة قهره لأنه مظهرها وما أرسلناك الا مبشرا لاهل النسب ونذيرا لأهل الصهر الا من شاء الأجر من شاء أن يتوسل الى الرب بطاعته اياي وبخدمته لي ومن ههنا قال المشايخ يصل المريد بالطاعة الى الجنة وبتعظيم الشيخ واجلاله الى الله وتوكل أصل التوكل أن يعلم العبد أن الحادثات بأسرها مستندة الى تكوين الله وتخليقه وهذا القدر من أصول الايمان وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ومازاد على هذا القدر من سكون القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فانه مقام أرباب الأحوال وأصحاب الكمال وسبح بحمده أي بما حمد به نفسه كقوله أنت كما أثنيت على نفسك والقديم لا يليق به الا الحمد القديم وزادهم نفورا لأن الرحمن اقبل عليهم بقهره ولو كان أقبل عليهم بلطفه لخضعوا واستكانوا تبارك الذي جعل في سماء القلوب بروج المنازل والمقامات وهي اثنا عشر التوبة والزهد والخوف والرجاء والتوكل والصبر والشكر واليقين والاخلاص والتسليم والتفويض والرضا وهي منازل الأحوال السيارة شمس التجلي وقمر المشاهدة وزهرة الشوق ومشترى المحبة وعطارد الكشوف ومريخ الفناء وزحل البقاء وهو الذي جعل ليل السر ونهار التجلي خلفة رعاية لحقوق القلب وحظوظ النفس ان أراد أن يتعظ عند السر أو أراد شكورا عند التجلي وعباد الرحمن دون الشيطان والدنيا والهوى والنفس يمشون في أرض الوجود عند السير الى الله هونا لئلا يتأذى باثارة غبار صفات بشريتهم أحد واذا

خاطبهم الجاهلون وهم كل ما سوى الله من الدنيا والآخرة وما فيهما من اللذة والنعيم قالوا سلاما سلام مودّع والذين يبيتون لربهم لا لحظ
أنفسهم في الرواح ساجدون وفي الصباح واجدون وأحسن الأشياء ظاهر بالسجود وباطن في الوجود ممزين ومع هذه
الأحوال والمقامات يقفون في
موقف الاعتذار والتذلل قائلين
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
القطيعة والبعد اذا أفنوا وجودهم
في ذات الله وصفاته لم يبالغوا
في الرياضة الى حد تلف البدن ولم
يقتروا في بذل الوجود بالركون الى
الشهوات لا يدعون مع الله إلها آخر
بأن لا يرفعوا حوائجهم الى الأغيار
ولا يشوبون أعمالهم بالرياء
والسمعة ولا يحبون مع الله غيره ولا
يقتلون النفس التي حرم الله قتلها
بكثرة المجاهدة الا بسطوات تجلي
صفات الحق في مثل هذا القتل
حياة أبدية ولا يزنون بالتصرف
في عجوز الدنيا بغير اذن الله يضاعف
له العذاب وهو عذاب النيران
وعذاب الحرمان عن نعيم الجنان
ومن قرب الرحمن الا من تاب من
عبادة الدنيا وهوى النفس وآمن
بكرامات الأولياء ومقامات
الأصفياء وعمل عملا صالحا هو
الاعراض عن غير الله وهو الاكسير
الأعظم الذي لو طرح ذرة منه على
ملء الأرض سيئة يبدلها ابريز
الحسنات ومن تاب رجع عن
انانيته الى هوية الحق وعمل صالحا
بالدوام على هذه الحالة فانه يتوب
يرجع الى الله متابا لا مزيد عليه
وهو جذبة ارجعي وحينئذ لا يشهد
الزور أي لا يساكن غير الحق
واذا مرّوا باللغو وهو ما سوى
الحق لا يلتفت اليه واذا ذكر بآيات
ربه تأمل فيها حق التأمل ودعا
الله بأن يهب له من ازدواج
الروح والجسد ومتولداتهما من القلب والنفس وملكات الأعمال الصالحة ما تقر به عين القلب وعين
السر وعين الروح أي يتنور بنورها ويصير اذ ذاك مقتدى للمتقين لمتقي الجسد من مخالفات الشريعة ولمتقي النفس من الأوصاف الذميمة

قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله قال لمن حوله ألا تستمعون قال فرعون لمن حوله من قومه ألا تستمعون لما يقول موسى فأخبره موسى عليه السلام القوم بالجواب عن مسئلة فرعون اياه وقيله له وما رب العالمين ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون وجوابه اياه عما سأله اذ قال لهم فرعون ألا تستمعون الى قول موسى فقال لهم الذي دعوته اليه والى عبادته ربكم الذي خلقكم ورب آبائكم الأولين فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك وأخبرهم عما يدعوا اليه فرعون وقومه إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون يقول ان رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل اليكم لمغلوب على عقله لأنه يقول قولا لا نعرفه ولا نفهمه وانما قال ذلك ونسب موسى عدو الله الى الجنة لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا رب غيره يعبد وأن الذي يدعوه اليه موسى باطل ليست له حقيقة فقال موسى عند ذلك محتجا عليهم ومعرفهم ربهم بصفته وأدلته اذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه ربهم في ذلك الوقت هو فرعون وأن الذي يعرفونه لآبائهم أربابا ملوك أخر كانوا قبل فرعون قد مضوا فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشئ له معنى يفهمونه ولا يعقلونه ولذلك قال لهم فرعون انه مجنون لأن كلامه كان عندهم كلاما لا يعقلون معناه الذي أدعوكم وفرعون الى عبادته رب المشرق والمغرب وما بينهما يعني ملك مشرق الشمس ومغربها وما بينهما من شئ لا الى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لآبائكم فمضوا ولا الى عبادة فرعون الذي هو ملكها ان كنتم تعقلون يقول ان كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح اذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عريش مصر وتبين لفرعون ولمن حوله من قومه أن الذي يدعوهم موسى الى عبادته هو الملك الذي يملك الملوك قال فرعون حينئذ استكبارا عن الحق وتماديا في الغي لموسى لئن اتخذت الها غيري يقول لئن أقررت بمعبود سواي لأجعلنك من المسجونين يقول لأسجننك مع من في السجن من أهله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال أولو جئتك بشئ مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون لما عرفه ربه وأنه رب المشرق والمغرب ودعاه الى عبادته واخلاص الالوهة له وأجابه فرعون بقوله لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين أتجعلني من المسجونين ولو جئتك بشئ مبين يبين لك صدق ما أقول يا فرعون وحقيقة ما أدعوك اليه وانما قال ذلك له لأن من أخلاق الناس السكون للانصاف والاجابة الى الحق بعد البيان فلما قال موسى له ما قال من ذلك قال له فرعون فأت بالشئ المبين حقيقة ما تقول فانا لن نسجنك حينئذ ان اتخذت الها غيري ان كنت من الصادقين يقول ان كنت محقا فيما تقول وصادقا فيما تصف وتخبر فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين يقول جل ثناؤه فألقى موسى عصاه فتحولت ثعبانا وهي الحية الذكر كما قد بينت فيما مضى قبل من صفته وقوله مبين يقول يبين لفرعون والملا من قومه أنه ثعبان ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قوله فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين يقول مبين له خلق حية وقوله ونزع يده فاذا هي بيضاء يقول وأخرج

موسى يده من جيبه فاذا هي بيضاء تلمع للناظرين لمن ينظر اليها ويراها حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن علي قال ثنا الاعمش عن المنهال قال ارتفعت الحية في السماء قدر ميل ثم سفلت حتى صار رأس فرعون بين نابيها فجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت فجعل فرعون يقول يا موسى أسألك بالذي أرسلك قال فأخذه بطنه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) يقول تعالى ذكره قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه حجة عليه لموسى بحقيقة ما دعاه اليه وصدق ما أتاه به من عند ربه للملا حوله يعني لأشراف قومه الذين كانوا حوله ان هذا الساحر عليم يقول ان موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعبانا عليم يقول ذو علم بالسحر وبصر به يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره يقول يريد أن يخرج بني اسرائيل من أرضكم الى الشام بقهره اياكم بالسحر وانما قال يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملا حوله من القبط والمعنيّ به بنو اسرائيل لأن القبط كانوا قد استعبدوا بني اسرائيل واتخذوهم خدما لأنفسهم ومهانا فلذلك قال لهم يريد أن يخرجكم وهو يريد أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر الى الشأم وانما قلت معنى ذلك كذلك لان الله انما أرسل موسى الى فرعون يأمره بارسال بني اسرائيل معه فقال له ولأخيه فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني اسرائيل وقوله فماذا تأمرون يقول فأي شيء تأمرون في أمر موسى وما به تشيرون من الرأي فيه قالوا أرجئه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يقول تعالى ذكره فأجاب فرعون الملأ حوله بأن قالوا له أخر موسى وأخاه وأنظره وابعث في بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون اليك كل سحار عليم بالسحر ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) يقول تعالى ذكره فجمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة لميقات يوم معلوم يقول لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم وذلك يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لتنظروا الى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة لموسى أو للسحرة فلعلنا نتبع السحرة ومعنى لعل ههنا كي يقول كي نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين موسى وانما قلت ذلك معناها لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون فغير معقول أن يقول من كان على دين أنظر الى حجة من هو على خلافي لعلي أتبع ديني وانما يقال أنظر اليها كي أزداد بصيرة بديني فأقيم عليه وكذلك قال قوم فرعون فاياها عنوا بقيلهم لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين وقيل ان اجتماعهم للميقات الذي اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالاسكندرية ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقيل للناس هل أنتم مجتمعون قال كانوا بالاسكندرية قال ويقال بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ قال وهربوا وأسلموا فرعون وهمت به فقال خذها يا موسى قال فكان فرعون مما يلي الناس منه أنه كان لا يضع على الارض شيئا قال فأحدث يومئذ تحته قال وكان ارساله الحية في القبة الحمراء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) يقول تعالى ذكره فلما جاء السحرة فرعون لوعد موسى

ولتلق الروح عما سوى الله فيجزى الغرفة في مقام العندية بما صبر في البداية على التكاليف الشرعية وفي الوسط على تبديل الأخلاق الحميدة بالذميمة وفي النهاية بافناء الوجود ثم أخبر عن استغنائه عن وجود الخلق (٤٥) وعدمهم لولا دعاؤهم اياه بلسان الحاجة في حس العدم أو لولا دعاؤه اياهم في الأزل بلسان القدرة فقد كذبتم حين ادعيتم الغنى عن الصانع فسوف يكون خسران السعادة الأبدية لازما لكم أعاذنا الله منه

(سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخرها حروفها ٤٥٤٢ كلمها ١٢٩٩ آياتها مائتان وسبع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل الى هرون ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني اسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم

لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الهاغيرى لأجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك بشئ مبين
قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه (٤٦) فاذاهى ثعبان مبين ونزع يده فاذاهى بيضاء للناظرين قال للملا حوله ان هذا
لساحر عليم يريد أن يخرجكم من
أرضكم بسحره فماذا تأمرون
قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن
حاشرين يأتوك بكل سحار عليم
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
وقيل للناس هل أنتم مجتمعون
لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن
لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال
نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم
موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون فألقى موسى
عصاه فاذاهى تلقف ما يأفكون
فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا
برب العالمين رب موسى وهرون
قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه
لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف
تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم
من خلاف ولأصلبنكم أجمعين
قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون انا
نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا
أن كنا أول المؤمنين وأوحينا الى
موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون
فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين
ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا
لغائظون وانا لجميع حاذرون
فأخرجناهم من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها
بنى اسرائيل فأتبعوهم مشرقين
فلما تراءى الجمعان قال أصحاب
موسى انا لمدركون قال كلا ان معى
ربى سيهدين فأوحينا الى موسى
أن اضرب بعصاك البحر فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم
وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان فى ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ ۞ القراآت طسم وما بعده بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وقرأ أبو جعفر ونافع
أول

وموعد فرعون قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا بسحرنا قبلك ان كنا نحن الغالبين موسى قال فرعون لهم نعم لكم الأجر على ذلك وانكم لمن المقربين منا فقالوا عند ذلك لموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين وترك ذكر قيلهم ذلك لدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون على أن ذلك معناه فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم فألقوا حبالهم وعصيهم من أيديهم وقالوا بعزة فرعون يقول أقسموا بقوة فرعون وشدة سلطانه ومنعة مملكته انا لنحن الغالبون موسى

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فألقى موسى عصاه فاذاهى تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره فألقى موسى عصاه حين ألقت السحرة حبالهم وعصيهم فاذاهى تلقف ما يأفكون يقول فاذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من الفرية والسحر الذى لا حقيقة له وانما هو مخاييل وخدعة فألقى السحرة ساجدين يقول فلما تبين السحرة أن الذى جاءهم به موسى حق لا سحر وأنه مما لا يقدر عليه غير الله الذى فطر السموات والأرض من غير أصل خروا لوجوههم سجدا لله مذعنين لله بالطاعة مقرين لموسى بالذى أتاهم به من عند الله أنه هو الحق وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل قائلين آمنا برب العالمين الذى دعانا موسى الى عبادته دون فرعون وملئه رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم يقول جل ثناؤه قال فرعون للذين كانوا سحرته فآمنوا آمنتم لموسى بأن ما جاء به حق قبل أن آذن لكم فى الايمان به انه لكبيركم الذى علمكم السحر يقول ان موسى لرئيسكم فى السحر وهو الذى علمكموه ولذلك آمنتم به فلسوف تعلمون عند عقابى اياكم وبال ما فعلتم وخطأ ما صنعتم من الايمان به

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لأقطعن أيدكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون﴾ يقول لأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا فى قطع ذلك منكم بين قطع الأيدى والأرجل وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى ونحو ذلك من قطع اليد من جانب ثم الرجل من الجانب الآخر وذلك هو القطع من خلاف ولأصلبنكم أجمعين فوكد ذلك بأجمعين اعلاما منه أنه غير مستبق منهم أحدا قالوا لاضير يقول تعالى ذكره قالت السحرة لاضير علينا وهو مصدر من قول القائل قد ضار فلان فلانا فهو يضيره ضيرا ومعناه لاضرر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لاضير قال يقول لا يضرنا الذى تقول وان صنعته بنا وصلبتنا انا الى ربنا منقلبون يقول انا الى ربنا راجعون وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك ايانا وثباتنا على توحيده والبراءة من الكفر به

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة انا نطمع انا نرجو أن يصفح لنا ربنا عن خطايانا التى سلفت منا قبل ايماننا به فلا يعاقبنا بها كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا قال السحر والكفر الذى كانوا فيه أن كنا أول المؤمنين يقول لأن كنا أول من آمن بموسى وصدقه بما جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون فى ادعائه بالربوبية فى دهرنا هذا وزماننا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أن كنا

بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وقرأ حمزة و يزيد مظهرة النون عند الميم الى أخاف بفتح الياء أبوجعفر ونافع وابن كثير وأبوعمرو
و يضيق ولا ينطلق بالنصب فيهما يعقوب أرجه مثل ما في الاعراف آين لنا بالمد (٤٧) وبالياء يزيد وأبوعمرو و زيد وقالون وقرأ

أول المؤمنين قال كانوا كذلك يومئذ أول من آمن بآياته حين رأوها وقوله وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي يقول وأوحينا الى موسى اذ تمادى فرعون في غيه وأبى الا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا أن أسر بعبادي يقول أن سر ببني اسرائيل ليلا من أرض مصر انكم متبعون ان فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني اسرائيل ليحولوا بينكم و بين الخروج من أرضهم أرض مصر

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون﴾ يقول تعالى ذكره فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده وقومه و يقول لهم ان هؤلاء يعني بهؤلاء بني اسرائيل لشرذمة قليلون يعني بالشرذمة الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة وشرذمة كل شئ بقيته القليلة ومنه قول الراجز

جاء الشتاء وقميصي أخلاق * شراذم يضحك منه التواق

وقيل قليلون لأن كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة فلما جمع جمع جماعاتهم قيل قليلون كما قال الكميت

فرد قواصي الاحياء منهم * فقد رجعوا كحي واحدينا

وذكر أن الجماعة التي سماها فرعون شرذمة قليلين كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي عبيدة ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال الشرذمة ستمائة ألف وسبعون ألفا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله ابن شداد بن الهاد قال اجتمع يعقوب وولده الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف فقال فرعون ان هؤلاء لشرذمة قليلون وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه في عسكره ثمانمائة ألف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سعيد الجريري عن أبي السليل عن قيس بن عباد قال وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بني اسرائيل قال فحدثنا أن الشرذمة الذين سماهم فرعون من بني اسرائيل كانوا ستمائة ألف قال وكان مقدمة فرعون سبعمائة ألف كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة وفي يده حربة وهو خلفهم في الدهم فلما انتهى موسى ببني اسرائيل الى البحر قالت بنو اسرائيل يا موسى أين ما وعدتنا هذا البحر بين أيدينا وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا فقال موسى للبحر انفلق أبا خالد قال لا لن أنفلق لك يا موسى أنا أقدم منك خلقا قال فنودي أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق البحر وكانوا اثني عشر سبطا قال الجريري فأحسبه قال انه كان لكل سبط طريق قال فلما انتهى أول جنود فرعون الى البحر هابت الخيل اللهب قال ومثل لحصان منها فرس وديق فوجد ريحها فاشتد فاتبعه الخيل قال فلما تتام آخر جنود فرعون في البحر وخرج آخر بني اسرائيل أمر البحر فانصفق عليهم فقالت بنو اسرائيل ما مات فرعون وما كان ليموت أبدا فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام قال فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمر يتراآه بنو اسرائيل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون يعني بني اسرائيل حدثني محمد بن عمرو

ابن كثير ونافع غير قالون وسهل و يعقوب غير زيد بهمزة ثم ياء وعن قنبل ان لنا على الخبر الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة آمنتم بالمد أبوجعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وسهل و يعقوب آمنتم على الخبر حفص غير الخزاز الآخرون أآمنتم بهمزتين بعبادي انكم بفتح الياء نافع وأبو جعفر حاذرون بالألف عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون بغير الالف فاتبعوهم بالتشديد زيد عن يعقوب الباقون بقطع الهمزة وسكون التاء تراءى الجمعان بكسر الراء والهمزة في الوصل حمزة ونصير وهبيرة في طريق الخزاز واختلفوا في الوقف فعن الكسائي بكسر الراء والهمزة على وزن تريعي وفي رواية أخرى عنه ترائي أي تراعي والمشهور عنه ترأ بكسر الراء وفتح الهمزة وأما حمزة فانه يقف ترى بترك الهمزة وكسر الراء و يمد و يشير الى موضع الهمزة وهو المصدر وأما هبيرة فانه يقف تريا بكسر الراء و يشير الى فتح الهمزة الباقون يقفون تراءى على وزن تراعى معي ربي بفتح الياء حفص ۞ الوقوف طسم ه المبين ه مؤمنين ه خاضعين ه معرضين ه يستهزؤن ه كريم ه لآية ط مؤمنين ه الرحيم ه الظالمين ه لا للابدال أو البيان تسجيلا عليهم بالظلم فرعون ط للعدول عن الأمر الى الاستفهام يتقون ه يكذبون ه لمن قرأ

و يضيق بالرفع على الاستئناف هرون ط يقتلون ه قال كلا لا للعطف معنى لا لفظا مستمعون ه العالمين ه لا لتعلق أن بني اسرائيل ط سنين ه الكافرين ه الضالين ه المرسلين ه اسرائيل ط العالمين ه وما بينهما ط لأن جواب الشرط محذوف أي ان كنتم موقنين

قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال هم يومئذ ستمائة ألف ولا يحصى عدد أصحاب فرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون قال أوحى الله الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على الأبواب فاني سآمر الملائكة أن لا تدخل بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي للبحر فيأتيك أمري ففعل فلما أصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا فأرسل في أثرهم ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك ألف رجل وخرج فرعون في الكرش العظمى وقال ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال قطعة وكانوا ستمائة ألف مائتا ألف منهم أبناء عشرين سنة الى أربعين * قال ثني حجاج عن أبي بكر عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال كان مع فرعون يومئذ ألف جبار كلهم عليه تاج وكلهم أمير على خيل * قال ثني حجاج عن ابن جريج قال كانوا ثلاثين ملكا ساقة خلف فرعون يحسبون أنهم معهم وجبرائيل أمامهم يرد أوائل الخيل على أواخرها فاتبعهم حتى انتهى الى البحر وقوله وانهم لنا لغائظون يقول وان هؤلاء الشرذمة لنا لغائظون فذكر أن غيظهم اياهم كان قتل الملائكة من قتلت من أبكارهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وانهم لنا لغائظون يقول بقتلهم أبكارنا من أنفسنا وأموالنا وقد يحتمل أن يكون معناه وانهم لنا لغائظون بذهابهم منهم بالعواري التي كانوا استعاروها منهم من الحلي ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم اياهم وخروجهم من أرضهم بكره لهم لذلك وقوله وانا لجميع حاذرون اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة وانا لجميع حاذرون بمعنى أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وانا لجميع حذرون بغير ألف وكان الفراء يقول كأن الحاذر الذي يحذرك الآن وكأن الحذر المخلوق حذرا لا تلقاه الا حذرا ومن الحذر قول ابن أحمر

هل أنسأن يوما الى غيره * اني حوالي واني حذر

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان عن أبي اسحق قال سمعت الأسود بن يزيد يقرأ وانا لجميع حاذرون قال مقوون مؤدون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى ابن عبيد عن أيوب عن أبي العوجاء عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأ وانا لجميع حاذرون يقول مؤدون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وانا لجميع حاذرون يقول حذرنا قال جمعنا أمرنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وانا لجميع حاذرون قال مؤدون معدون في السلاح والكراع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج أبو معشر عن محمد بن قيس قال كان مع فرعون ستمائة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو داود قال ثنا سليمن بن معاذ الضبي عن عاصم ابن بهدلة عن أبي رزين عن ابن عباس أنه قرأها وانا لجميع حاذرون قال مؤدون مقوون ﴿٤﴾ القول

والجمع للتعظيم والأصح أنه من تتمة قول فرعون تأمرون ه حاشرين ه لا لأن ما يتلوه جواب عليم ه معلوم ه لا للعطف مجتمعون لا لاتصال المعنى الغالبين ه لمن المقربين ه ملقون ه الغالبون ه ما يأفكون ه للآية وللدلالة على اسراعهم في السجود ساجدين ه العالمين ه وهرون ط لكم ه للابتداء بان مع اتحاد القول السحر ط للفاء ولام الابتداء فلسوف تعلمون ه لتقدير القسم أجمعين ه لا ضير ط توقية لحق ان والا فالأصل هو الوصل لأن ما بعده هو القول في الحقيقة كما في الاعراف منقلبون ه ج للآية مع اتحاد المقول المؤمنين ه متبعون ه حاشرين ه للآية مع ان التقدير بأن هؤلاء قليلون ه لغائظون ه حاذرون ه ط لابتداء الخبر من الله وعيون ه لا كريم ه لا لتعلق الكاف كذلك ط أي كما وعدنا بني اسرائيل ايراثهم أخبر عن وقوع الموعود لبني اسرائيل مشرقين ه لمدركون ه ووجه الوصل الاسراع في تداركهم عن خوف الادراك كلا ج لاحتمال أن يكون للردع وأن يكون بمعنى حقا سيهدين ه البحر ط لاجل الفاء الفصيحة أي فضرب فانفلق العظيم ه الآخرين ه أجمعين ه الآخرين ه لآية ط مؤمنين ه الرحيم ه ﴿التفسير﴾ قال جار الله معنى طسم ان آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين وقد مر مثله في أول يوسف والبخع الاهلاك في وقد مر في أول الكهف عزاه وعرفه أن غمه وحزنه لا ينفع كما أن وجود الكتاب على بيانه ووضوحه لا ينفع ثم بين أنه قادر على تنزيل آية

فى تأويل قوله تعالى ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل فأتبعوهم مشرقين﴾ يقول تعالى ذكره فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء وكنوز ذهب وفضة ومقام كريم قيل ان ذلك المقام الكريم المنابر وقوله كذلك يقول هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم فى هذه الآية والتى قبلها وأورثناها يقول وأورثنا تلك الجنات التى أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بنى اسرائيل وقوله فأتبعوهم مشرقين فأتبع فرعون وأصحابه بنى اسرائيل مشرقين حين أشرقت الشمس وقيل حين أصبحوا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فأتبعوهم مشرقين قال خرج موسى ليلا فكسف القمر وأظلمت الأرض وقال أصحابه ان يوسف أخبرنا أنا سننجى من فرعون وأخذ علينا العهد لنخرجن بعظامه معنا فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره فوجد عجوزا بيتها على قبره فأخرجته له بحكمها وكان حكمها أو كلمة تشبه هذا أن قالت احملنى فأخرجنى معك فجعل عظام يوسف فى كسائه ثم حمل العجوز على كسائه فجعله على رقبته وخيل فرعون هى ملء أعنتها خضراء فى أعينهم ولا تبرح حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فأتبعوهم مشرقين قال فرعون وأصحابه وخيل فرعون فى ملء أعنتها فى رأى عيونهم ولا تبرح حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ يقول تعالى ذكره فلما تناظر الجمعان جمع موسى وهم بنو اسرائيل وجمع فرعون وهم القبط قال أصحاب موسى انا لمدركون أى انا لملحقون الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا وذكر أنهم قالوا ذلك لموسى تشاؤما بموسى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال قلت لعبد الرحمن فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال تشاءموا بموسى وقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا حدثنا موسى قال ثنا أسباط عن السدى فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو اسرائيل الى فرعون قد رمقهم قالوا انا لمدركون قالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا انا لمدركون البحر من بين أيدينا وفرعون من خلفنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال لما انتهى موسى الى البحر وهاجت الريح العاصف فنظر أصحاب موسى خلفهم الى الريح والى البحر أمامهم قالوا يا موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار سوى الأعرج انا لمدركون وقرأه الأعرج انا لمدّركون كما يقال نزلت وأنزلت والقراءة عندنا التى عليها قراء الأمصار لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله كلا ان معى ربى سيهدين قال موسى لقومه ليس الأمر كما ذكرتم كلا لن تدركوا ان معى ربى سيهدين يقول سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه كما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال لقد ذكر لى أنه خرج فرعون فى طلب موسى على سبعين ألفا من دهم الخيل سوى ما فى جنده من شية الخيل وخرج موسى حتى اذا قابله

ووجه العدول الى الماضى كما قيل فى ونادى وسبق وجه مجىء خاضعين خبرا عن الأعناق اذ الاعناق تكون مقحما لبيان موضع الخضوع وأصل الكلام فظلوا لها خاضعين أى حين وصفت الاعناق بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين وقيل أعناقهم رؤساؤهم كما يقال لهم الرؤس والصدور وقيل أراد جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم عن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفى بنى أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة ومعنى (ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث) قد مر فى سورة الانبياء نبه سبحانه بذلك على أنه مع اقتداره على أن يجعلهم ملجئين الى الايمان حكيم يأتيهم بالقرآن حالا بعد حال رعاية لقاعدة التكليف ثم ذكر أنه تعالى لا يجددلهم توجيه موعظة وتذكير الا جددوا ما هو نقيض المقصود وذلك النقيض هو الاعراض والتكذيب والاستهزاء وهذا ترتيب فى غاية الحسن كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره حتى صار عرضة للاستهزاء وهذه درجات من أخذ فى الشقاء فانه يعرض أولا ثم يصرح بالتكذيب ثانيا ثم يبلغ فى التكذيب والانكار الى حيث

 يستهزئ وفى قوله (فسيأتيهم) وعيد لهم بعذاب بدر أو يوم القيامة وقد مر مثله فى أول الانعام
ثم بين أنه مع حكمته فى انزال القرآن حالا بعد حال رحيم يظهر من الدلائل الحسية ما يكفى للتأمل فى باب النظر والاستدلال والزوج الصنف

البحر ولم يكن عنه منصرف طلع فرعون في جنده من خلفهم فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين أي للنجاة وقد وعدني ذلك ولا خلف لموعوده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كلا ان معي ربي سيهدين يقول سيكفيني وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون وقوله فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ذكر أن الله كان قد أمر البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بعصاه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال فتقدم هرون فضرب البحر فأبى أن ينفتح وقال من هذا الجبار الذي يضربني حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد وضربه فانفلق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال أوحى الله فيما ذكر الى البحر اذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضرب بعضه بعضا فرقا من الله وانتظار أمره وأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه فانفلق حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سليمن التيمي عن أبي السليل قال لما ضرب موسى بعصاه البحر قال ايها أبا خالد فأخذه افكل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج وحجاج عن أبي بكر بن عبد الله وغيره قالوا لما انتهى موسى الى البحر وهاجت الريح والبحر يرمي بتياره ويموج مثل الجبال وقد أوحى الله الى البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بالعصا فقال له يوشع يا كليم الله أين أمرت قال ههنا قال فجاز البحر ما يواري حافره الماء فذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا وقال له الذي يكتم ايمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ثم قحمه البحر فأرسب في الماء فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه موسى البحر فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وقوله فكان كل فرق كالطود العظيم يقول تعالى ذكره فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم وذكر أنه انفلق اثنتي عشرة فلقة على عدد الأسباط لكل سبط منهم فرق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم يقول كالجبل العظيم فدخلت بنو اسرائيل وكان في البحر اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط وكان الطريق كما اذا انفلقت الجدران فقال كل سبط قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها قناطر كهيئة الطيقان فنظر آخرهم الى أولهم حتى خرجوا جميعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وحجاج عن أبي بكر بن عبد الله وغيره قالوا انفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط وكان بنو اسرائيل اثني عشر سبطا وكانت الطرق بجدران فقال كل سبط قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم بقناطر كهيئة الطيقان ينظر بعضهم الى بعض وعلى أرض يابسة كأن الماء لم يصبها قط حتى عبر * قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لما انفلق البحر لهم صار فيه كوى ينظر بعضهم الى بعض حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل على نشز من الارض حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فكان كل فرق كالطود العظيم يقول كالجبل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا

والكريم نعت لكل ما يرضى ويحمد في بابه منه وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في مبانيه ونبات كريم مرضي فيما يتعلق به من المنافع فما من نبت الا وفيه نفع وفائدة من جهة وان كانت فيه مضرة من جهة أخرى ويحتمل أن يراد بالكريم النافع منه وتكون المضار مسلوبة عنه قال جار الله معنى الجمع بين كم وكل دون أن يقول كم أنبتنا فيها من زوج كريم هو أن كلا قد دل على الاحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم دل على أن هذا محيط مفرط الكثرة قلت فالحاصل أن خلق النوع يصدق بخلق فرد واحد منه كما يصدق بخلق أفراد كثيرة فقوله كل زوج اشارة الى خلق كل نوع من أنواع النبات وقوله كم أنبتنا اشارة الى كثرة أفراد كل نوع منه وفيه تنبيه على كمال القدرة ونهاية الجود والرحمة ولهذا ختم الكلام بقوله (ان في ذلك) الانبات أو في كل واحد من تلك الازواج (لآية) على الابداء والاعادة (وما كان أكثرهم مؤمنين) لان الله تعالى طبع على قلوبهم (وان ربك لهو العزيز الرحيم) فمن عزته قدر على عقوبتهم ومن رحمته بين لهم الدلائل ليتفكروا ويعتبروا والرحمة اذا صدرت عن القدرة كانت أعظم موقعا واعلم أنه سبحانه كرر بعض الآيات في هذه السورة لاجل التأكيد والتقرير فمن ذلك أنه كرر قوله ان في ذلك لآية الى قوله الرحيم في ثمانية مواضع أولها في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والثانية في قصة موسى ثم ابراهيم ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم لوط ثم شعيب ومن ذلك قوله ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين وهو مذكور في خمسة مواضع في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن ذلك أنه كرر فاتقوا الله وأطيعون في قصة نوح وهود وصالح وليس في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين لذكرها في مواضع من غير هذه

السورة وليس فى قصة موسى لانه رباه فرعون حيث قال ألم نربك فينا وليدا ولا فى قصة ابراهيم لان أباه فى المخاطبين حيث يقول اذ قال لأبيه وقومه وهو قد رباه فاستحيا موسى وابراهيم أن يقولا وما أسألكم عليه من أجر (٥١) وان كانا منزهين من طلب الاجر ثم انه تعالى أعاد فى

أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله كالطود العظيم قال كالجبل العظيم ومنه قول الاسود بن يعفر

حلوا بأنقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجىء من أطواد

يعنى بالأطواد جمع طود وهو الجبل ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره وأزلفنا ثم الآخرين وقربنا هنالك آل فرعون من البحر وقدمناهم اليه ومنه قوله وأزلفت الجنة للمتقين بمعنى قربت وأدنيت ومنه قول العجاج

طىّ الليالى زلفا فزلفا * سماوة الهلال حتى احقوقفا

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله وأزلفنا ثم الآخرين قال قربنا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأزلفنا ثمّ الآخرين قال هم قوم فرعون قربهم الله حتى أغرقهم فى البحر حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال دنا فرعون وأصحابه بعد ما قطع موسى ببنى اسرائيل البحر من البحر فلما نظر فرعون الى البحر منفلقا قال ألا ترون البحر فرق منى قد تفتح لى حتى أدرك أعدائى فأقتلهم فذلك قول الله وأزلفنا ثم الآخرين يقول قربنا ثم الآخرين هم آل فرعون فلما قام فرعون على الطرق وأبت خيله أن تتقحم فنزل جبرائيل صلى الله عليه وسلم على ماذيانة فتشامت الحصن ريح الماذيانة فاقتحمت فى أثرها حتى اذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وتفرد جبرائيل بمقلة من مقل البحر فجعل يدسها فى فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال أقبل فرعون فلما أشرف على الماء قال أصحاب موسى يا مكلم الله ان القوم يتبعونا فى الطريق فاضرب بعصاك البحر فاخلطه فاراد موسى أن يفعل فأوحى الله اليه أن اترك البحر رهوا يقول أمره على سكناته انهم جند مغرقون انما أمكربهم فاذا سلكوا طريقكم غرقتهم فلما نظر فرعون الى البحر قال ألا ترون البحر فرق منى حتى تفتح لى حتى أدرك أعدائى فأقتلهم فلما وقف على أفواه الطرق وهو على حصان فرأى الحصان البحر فيه أمثال الجبال هاب وخاف وقال فرعون أنا راجع فمكر به جبرائيل عليه السلام فأقبل على فرس أنثى فأدناها من حصان فرعون فطفق فرسه لا يقر وجعل جبرائيل يقول تقدم ويقول ليس أحد أحق بالطريق منك فتشامت الحصن الماذيانة فما ملك فرعون فرسه أن ولج على أثره فلما انتهى فرعون الى وسط البحر أوحى الله الى البحر خذ عبدى الظالم وعبادى الظلمة سلطانى فيك فانى قد سلطتك عليهم قال فتغطمطت تلك الفرق من الأمواج كأنها الجبال وضرب بعضها بعضا فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين وكان جبرائيل صلى الله عليه وسلم شديد الأسف عليه لما رد من آيات الله ولطول علاج موسى اياه فدخل فى أسفل البحر فأخرج طينا فحشاه فى فم فرعون لكيلا يقولها الثانية فتدركه الرحمة قال فبعث الله اليه ميكائيل يعيره آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين و قال جبرائيل يا محمد ما بغضت أحدا من خلق الله ما أبغضت اثنين

هذه السورة قصص الانبياء المشهورين مع أممهم اعتبارا لهذه الامة وبدأ بقصة موسى لما فيها من غرائب الاحوال وعجائب الامور والنداء المسموع عند الاشعرى هو الكلام القديم الذى لا يشبه الحروف والاصوات وعند المعتزلة واليه ميل أبى منصور الماتريدى أنه من جنس الحروف والاصوات وأنه وقع على وجه علم به موسى أنه من قبل الله تعالى وقد عرفه أنه سيظهر عليه المعجزات اذا طولب بذلك قال جار الله قوله (ألا يتقون) كلام مستأنف فيه تعجيب لموسى من حالهم الشنعاء فى قلة خوفهم وكثرة ظلمهم أو هو حال أدخلت عليه همزة الانكار ثم ان موسى خاف أن يكذب عند أداء الرسالة فاستظهر بهرون وفى قراءة النصب خاف التكذيب المستتبع لضيق الصدر المستلزم لاحتباس اللسان عن الجريان فى الكلام ولعله أراد بهذا الحبسة عقدة فى لسانه قبل اجابة دعوته أو بقية يروى أنها بقيت بعد الاجابة كما مر فى طه ومعنى (فأرسل الى هرون) أرسل اليه جبريل واجعله نبيا يصدقنى فى أمرى فاختصر الكلام اختصارا ثم ذكر أن لهم عليه ذنبا فسمى جزاء الذنب ذنبا او المضاف محذوف أى تبعة ذنب وهو قوده قتل القبطى كما سيجىء تفصيله فى سورة القصص فيمكن أن يقتل قبل أداء الرسالة فلا يتمكن من المقصود وهذا قد جوزه الكعبى وغيره من البغداديين وقال الاكثرون الاقرب من حال الانبياء أنهم يعلمون اذا حملهم الله تعالى الرسالة أنه يمكنهم من أدائها فلا معنى للخوف من القتل قبل الأداء نعم لو خاف بعد الأداء جاز وذلك لما جبل عليه طبع الانسان من التنفر عن القتل فيسأل الله الامان من ذلك وقد جمع الله بقوله (كلا) الكلاءة وبقوله (فاذهبا) استنباء

احدهما من الجن وهو ابليس والآخر فرعون قال أنا ربكم الأعلى ولقد رأيتني يا محمد وأنا أحشو فى فيه مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها وقد زعم بعضهم أن معنى قوله وأزلفنا ثم الآخرين وجمعنا قال ومنه ليلة المزدلفة قال ومعنى ذلك أنها ليلة جمع وقال بعضهم وأزلفنا ثم وأهلكنا . وقوله وأنجينا موسى ومن معه أجمعين يقول تعالى ذكره وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه من الغرق فى البحر ومن مع موسى من بنى اسرائيل أجمعين وقوله ثم أغرقنا الآخرين يقول ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط فى البحر بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه وقوله ان فى ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان فيما فعلت بفرعون ومن معه من تغريقى اياهم فى البحر اذ كذبوا رسولى موسى وخالفوا أمرى بعد الاعذار اليهم والانذار لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش على أن ذلك سنتى فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلى وعظة لهم وعبرة ان ادّكروا واعتبروا وأن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك مع البرهان والآيات التى قد أتيتهم فيحل بهم من العقوبة نظير ما حل بهم ولك آية فى فعلى بموسى وتنجيتى اياه بعد طول علاجه فرعون وقومه منه واظهارى اياه وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم على أنى سالك فيك سبيله ان أنت صبرت صبره وقمت من تبليغ الرسالة الى من أرسلتك اليه قيامه ومظهرك على مكذبيك ومعليك عليهم وما كان أكثرهم مؤمنين يقول وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحق المبين فسابق لهم فى علمى أنهم لا يؤمنون وان ربك لهو العزيز فى انتقامه ممن كفر به وكذب رسله من أعدائه الرحيم بمن أنجى من رسله واتباعهم من الغرق والعذاب الذى عذب به الكفرة

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ﴾ يقول تعالى ذكره واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر ابراهيم حين قال لأبيه وقومه أى شئ تعبدون قالوا له نعبد أصناما فنظل لها عاكفين يقول فنظل لها خدما مقيمين على عبادتها وخدمتها وقد بينا معنى العكوف بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وكان ابن عباس فيما روى عنه يقول فى معنى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال الصلاة لأصنامهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لهم هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة اذ تدعونهم واختلف أهل العربية فى معنى ذلك فقال بعض نحويى البصرة معناه هل يسمعون منكم أو هل يسمعون دعاءكم فحذف الدعاء كما قال زهير

القائد الخيل منكوبا دوائرها * قد أحكمت حكمات القدّ والأبقا

وقال يريد أحكمت حكمات الابق فالق الحكمات وأقام الأبق مقامها وقال بعض من أنكر ذلك من قوله من أهل العربية الفصيح من الكلام فى ذلك هو ما جاء فى القرآن لأن العرب تقول سمعت زيدا متكلما يريدون سمعت كلام زيد ثم تعلم أن السمع لا يقع على الأناسى انما يقع على كلامهم ثم يقولون سمعت زيدا أى سمعت كلامه قال ولو لم يقدم فى بيت زهير حكمات القد لم يجز أن ينسق بالأبق عليها لأنه لا يقال رأيت الأبق وهو يريد الحكمة وقوله أو ينفعونكم أو يضرون يقول أو تنفعكم هذه

الاصنام

أخيه كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون ومعكم ومستمعون خبران لأن أو الخبر مستمعون ومعكم متعلق به ولا يخفى ما فى المعية من المجاز لأن المصاحبة من صفات الاجسام (٥٣) فالمراد معية النصرة والمعونة وأما الاستماع فمجاز أيضا وان كان اطلاق السمع على الله حقيقة لأن الاستماع جار مجرى الاصغاء ولا بد فيه من الجارحة فحاصل الآية انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجرى بينكما وبينه وانما وحد الرسول فى قوله (انا رسول رب العالمين) لأنه أراد كل واحد أو أراد الرسول بمعنى المصدر أى ذو رسالة رب العالمين يقال أرسلتهم برسول أى برسالة أو جعلا لاتفاقهما واتحاد مطلبهما كرسول واحد وههنا اضمار دل عليه سياق الكلام أى فأتيا فرعون فقالا له ذلك يروى أنهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف أنه موسى فعند ذلك قال (ألم نربك فينا وليدا) أى صبيا وذلك لقرب عهده من الولادة قيل مكث فيهم ثلاثين سنة من أول عمره وقيل وكز القبطى وهو ابن اثنتى عشرة سنة ففر منهم والفعلة الوكزة عدد عليه نعمه ثم وبخه بقتل نفس منهم وسماه كافرا لنعمه بسبب ذلك وجوز جار الله أن يراد وأنت اذ ذاك ممن يكفر بالساعة فيكون قد افترى على موسى أو جهل أمره لأنه كان يعاشرهم بالتقية وانما قلنا انه افتراء أو جهل لأن الكفر غير جائز على الانبياء ولو قبل النبوة ويجوز أن يراد انه من الكافرين بفرعون والهيته أو بآلهة كانوا يعبدونها قال تعالى ويذرك وآلهتك ثم ان موسى ما أنكر تربيته ولكن أنكر الكفر فلم ينسب نفسه الا الى الضلال وأراد به الذهاب عن الصواب أو أراد النسيان أو الخطأ وعدم التدبر فى أدبار الامور ثم ذكر موهبة ربه فى حقه حين فر من فرعون وملئه المؤتمرين بقتله والحكم العلم

بالتوحيد وكمال العقل والرأى ولا تدخل فيه النبوة ظاهرا لئلا يلزم شبه التكرار بقوله (وجعلنى من المرسلين) قال جار الله (وتلك) اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هى الا بعد أن فسرت بقوله (أن عبدت) نظيره قوله (٥٣) وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع

الأصنام فيرزقونكم شيأ على عبادتكموها أو يضرونكم فيعاقبونكم على تركتكم عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم أو يهلكوكم اذا هلكتم وأولادكم قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك وذلك جوابهم ابراهيم عن مسألته اياهم هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون فكان جوابهم اياه لا ما يسمعوننا اذا دعوناهم ولا ينفعوننا ولا يضرون يدل على أنهم بذلك أجابوه قولهم بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وذلك أن بل رجوع عن مجحود كقول القائل ما كان كذا بل كذا وكذا ومعنى قولهم وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وجدنا من قبلنا من آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم واتباعا لمنهاجهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدوّ لى الارب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لقومه أفرأيتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه الأصنام أنتم وآباؤكم الأقدمون يعنى بالأقدمين الأقدمين من الذين كان ابراهيم يخاطبهم وهم الأوّلون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم ابراهيم من عبادة الأصنام فانهم عدوّ لى الارب العالمين يقول قائل وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم فان معنى ذلك فانهم عدوّ لى لو عبدتهم يوم القيامة كما قال جل ثناؤه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقوله الارب العالمين نصبا على الاستثناء والعدو بمعنى الجمع ووحد لأنه أخرج مخرج المصدر مثل القعود والجلوس ومعنى الكلام أفرأيتم كل معبود لكم ولآبائكم فانى منه برىء لا أعبده الارب العالمين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين﴾ يقول فانهم عدو لى الارب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين للصواب من القول والعمل ويسددنى للرشاد والذى هو يطعمنى ويسقين يقول والذى يغذونى بالطعام والشراب ويرزقنى الأرزاق واذا مرضت فهو يشفين يقول واذا سقم جسمى واعتل فهو يبرئه ويعافيه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾ يقول والذى يميتنى اذا شاء ثم يحيينى اذا أراد بعد مماتى والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فربى هذا الذى بيده نفعى وضرى وله هذه القدرة والسلطان وله الدنيا والآخرة لا الذى لا يسمع اذا دعى ولا ينفع ولا يضر وانما كان هذا الكلام من ابراهيم احتجاجا على قومه فى أنه لا تصلح الألوهة ولا ينبغى أن تكون العبودة الا لمن يفعل هذه الأفعال لا لمن لا يطيق نفعا ولا ضرا وقيل ان ابراهيم صلوات الله عليه عنى بقوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين والذى أرجو أن يغفر لى قولى انى سقيم وقولى بل فعله كبيرهم هذا وقولى لسارة انها أختى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين قال قوله انى سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة انها أختى حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين قال قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة انها أختى * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة

والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على كأنه أبى أن يسمى نعمته الا نقمة لان تعبيدهم أى تذليلهم واتخاذهم عبيدا وقصدهم بذبح أبنائهم صار هو السبب فى حصوله عنده وفى تربيته فلهذا قال الزجاج أن مع ما بعده فى موضع نصب أى انما صارت نعمة على لان عبدت بنى اسرائيل اذ لو لم تفعل ذلك لكفلنى أهلى ولم يلقونى فى اليم ومن هنا قال جار الله ان قول موسى فعلتها اذن جواب لقول فرعون وفعلت فعلتك وجزاء له كأن فرعون قال جازيت نعمتى بما فعلت فقال موسى فعلتها مجازيا لك وان نعمتك جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء وقال الحسن أراد أنك استعبدتهم وأخذت أموالهم ومنها أنفقت على فلا نعمة لك بالتربية على ان التربية كانت من قبل أمى وعشيرتى ولم يكن منك الا انك لم تقتلنى وقيل أراد انك كنت تدعى أن بنى اسرائيل عبيدك ولا منة للمولى على العبد فى الاطعام والكسوة واعلم أن للعلماء خلافا فى نعمة الكافر فقيل انها لا تستحق الشكر لان الكافر يستحق الاهانة بكفره فلو استحق الشكر لنعامه لزم الجمع بين الاهانة والتعظيم فى حق شخص واحد فى وقت واحد وقيل لا يبطل بالكفر الا الثواب والمدح الذى يستحقه على الايمان وفى الآية نوع دلالة على كل من القولين ثم ان موسى حين ادى رسالته من قوله انا رسول رب العالمين (قال فرعون وما رب العالمين) وقد سبق مرارا أن كفره احتمل أن يكون كفر عناد وأن يكون كفر جهالة والذى يختص بالمقام هو ان ما انما يطلب به حقيقة الشئ وماهيته وهذا هو الذى قصده فرعون بسؤاله ولم يعرف أن الماهية لا تطلق على ذاته تعالى اذ لا أجزاء لها

عن أبي حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد نحوه ويعني بقوله يوم الدين يوم الحساب يوم المجازاة وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن مسألة خليله ابراهيم اياه رب هب لي حكما يقول رب هب لي نبوة وألحقني بالصالحين يقول واجعلني رسولا الى خلقك حتى تلحقني بذلك بعداد من أرسلته من رسلك الى خلقك وائتمنته على وحيك واصطفيته لنفسك وقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين يقول واجعل لي في الناس ذكرا جميلا وثناء حسنا باقيا فيمن يجيء من القرون بعدي وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن عكرمة قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين قوله وآتيناه أجره في الدنيا قال ان الله فضله بالخلة حين اتخذه خليلا فسأل الله فقال واجعل لي لسان صدق في الآخرين حتى لا تكذبني الأمم فأعطاه الله ذلك فان اليهود آمنت بموسى وكفرت بعيسى وان النصارى آمنت بعيسى وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم وكلهم يتولى ابراهيم قالت اليهود هو خليل الله وهو منا فقطع الله ولايتهم منه بعدما أقروا له بالنبوة وآمنوا به فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم ألحق ولايته بكم فقال ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين فهذا أجره الذي عجل له وهي الحسنة اذ يقول وآتيناه في الدنيا حسنة وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين قال اللسان الصدق الذكر الصدق والثناء الصالح والذكر الصالح في الآخرين من الناس من الأمم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم﴾ يعني ابراهيم صلوات الله عليه بقوله واجعلني من ورثة جنة النعيم أورثني يارب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة وأسكني ذلك واغفر لأبي يقول واصفح لأبي عن شركه بك ولا تعاقبه عليه انه كان من الضالين يقول انه كان ممن ضل عن سبيل الهدى فكفر بك وقد بينا المعنى الذي من أجله استغفر ابراهيم لأبيه صلوات الله عليه واختلاف أهل العلم في ذلك والصواب عندنا من القول فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ولا تخزني يوم يبعثون يقول ولا تذلني بعقابك اياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون يقول لا تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مال كان له في الدنيا ولا بنوه الذين كانوا له فيها فيدفع ذلك عنه عقاب الله اذا عاقبه ولا ينجيه منه وقوله الا من أتى الله بقلب سليم يقول ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع الا القلب السليم والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله والبعث بعد الممات * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن عون قال قلت لمحمد ما القلب السليم قال أن يعلم أن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد الا من أتى الله بقلب سليم قال لا شك فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

تحديةً ولا تقديرية ولا بأي وجه فرض ضرورة انتهاء الكل اليه واستغنائه عن الكل من كل الوجوه فلا يصح أن يسئل عنه بما هو ولا بكيف هو ولا بأي شئ هو ولا بهل هو غاية (٥٤) ذلك أن ينبه على وجوده الذي هو أظهر الاشياء بلوازمه وآثاره على وجه يعم الكل كما يقال انه رب السموات والارض وما بينهما أو بأخص من ذلك بأن يقال مثلا ربكم ورب آبائكم الاولين وهو الاستدلال بالأنفس أو يقال رب المشرق والمغرب وما بينهما من الجهات المفروضة على السماء من لدن طلوع الكواكب الى غروبها وبالعكس وهو الاستدلال بالآفاق وقد راعى في الجواب الأول طريقة اللطف فختم بقوله (ان كنتم موقنين) أي ان كنتم موقنين بشئ قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وجلائه وخاشنهم في الأخير بقوله (ان كنتم تعقلون) حين نسبوه الى الجنون بعد أن تهكموا به بقوله ان رسولكم ويمكن أن يراد بقوله وما بينهما ثانيا ما بين المشرق والمغرب من المخلوقات فيكون الفرق بين هذا الاستدلال وبين الاول أن الاول هو الاستدلال بالامكان على طريقة الحكيم والثاني هو الاستدلال بالحدوث على طريقة المتكلمين والاول أقرب الى اليقين فلهذا قال ان كنتم موقنين والثاني أقرب الى الحس فلهذا قال ان كنتم تعقلون ولما انجر الكلام الى حد العناد والمخاشنة هدده فرعون بقوله (ان اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين) وهذا أبلغ من أن لو قال لأسجننك والمعنى لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه يطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع وحينئذ عدل موسى الى الحجة الأصلية في الباب وهو ادعاء المعجز المنبئ عن صدقه فقال (أولو جئتك) أي أتفعل في ذلك قال ولو جئتك بشئ أي جائيا بالمعجزة وفي قوله (ان كنت من الصادقين) ان سلم أنه قاله جدا لا هزلا وجدالا دلالة على ما ركز في العقول من أن

دعوى الرسالة ان اقترنت بظهور المعجزة على يده تحقق صدقها وقد شنع فى الكشاف ههنا أن فى أهل القبلة من خفى عليهم ما لم يخف على
فرعون حتى جوّزوا القبيح عليه سبحانه ولزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وفى التخطئة سهو من وجهين أحدهما أنه لا قبيح
عند الأشاعرة عقلا والثانى أنه على تقدير التسليم لا يلزم تجويز كل قبيح وهذا من ذلك للزوم الاشتباه وباقى القصة سبق نظيرها فى الاعراف فلنقتصر فى التفسير على ما يختص بالسورة قوله (قال للملا حوله) قال فى الكشاف الظرف فى محل النصب على الحال وأقول الأصوب أن يجعل نعتا للملا أى الاشراف حوله على طريقة قوله

* ولقد أمرّ على اللئيم يسبنى *

قوله (لميقات يوم معلوم) اليوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى كما مر فى طه قوله (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم فى الاجتماع وحث عليه كقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد أن يحثه على الانطلاق قوله (لعلنا نتبع السحرة) لم يكن غرضهم اتباع السحرة فى دينهم وانما غرضهم الاصلى أن لا تتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق المجاز لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى قوله (بعزة فرعون) هى من أيمان الجاهلية ولا يصح الحلف فى الاسلام الا بالله تعالى وبصفاته كما مر فى البقرة والمائدة قوله (فألقى السحرة) لم يسم فاعله وهو الله تعالى فى الحقيقة حين ألقى داعية الايمان فى قلوبهم ويجوز أن ينسب الى ما عاينوا من المعجزات الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا أى خروا قوله (لا ضير) أى لا ضير علينا فيما يتوعدنا به من القتل قوله (انا نطمع) الطمع فى هذا الموضع يحتمل اليقين كقول ابراهيم والذى أطمع أن يغفر لى ويحتمل الظن بناء على أن المرء لا يعلم ما يختاره أو يؤل اليه عند الوفاة ومعنى (أن كنا) لأن كنا وكانوا أول طائفة مؤمنين من أهل زمانهم أو من قوم فرعون أو من أهل المشهد قوله (انكم متبعون) تعليل للاسراء أى بنيت تدبير أمركم على أن

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الا من أتى الله بقلب سليم قال ليس فيه شك فى الحق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بقلب سليم قال سليم من الشرك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الا من أتى الله بقلب سليم قال سليم من الشرك فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان ابن معاوية عن جويبر عن الضحاك فى قول الله الا من أتى الله بقلب سليم قال هو الخالص ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون} يعنى جل ثناؤه بقوله وأزلفت الجنة للمتقين وأدنيت الجنة وقربت للمتقين الذين اتقوا عقاب الله فى الآخرة بطاعتهم اياه فى الدنيا وبرزت الجحيم للغاوين يقول وأظهرت النار للذين غووا فضلوا عن سواء السبيل وقيل للغاوين أينما كنتم تعبدون من دون الله من الأنداد هل ينصرونكم اليوم من الله فينقذونكم من عذابه أو ينتصرون لأنفسهم فينجونها مما يراد بها وقوله فكبكبوا فيها هم والغاوون يقول فرمى ببعضهم فى الجحيم على بعض وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم وأصل كبكبوا كببوا ولكن الكاف كررت كما قيل بريح صرصر يعنى به صر ونههنى ينههنى يعنى به نههنى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فكبكبوا قال فدهوروا حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فكبكبوا فيها يقول فجمعوا فيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فكبكبوا فيها قال طرحوا فيها فتأويل الكلام فكبكب هؤلاء الأنداد التى كانت تعبد من دون الله فى الجحيم والغاوون وذكر عن قتادة أنه كان يقول الغاوون فى هذا الموضع الشياطين ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون قال الغاوون الشياطين فتأويل الكلام على هذا القول الذى ذكرنا عن قتادة فكبكب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين وقوله وجنود ابليس اجمعون يقول وكبكب فيها مع الأنداد والغاوين جنود ابليس أجمعون وجنوده كل من كان من تباعه من ذريته كان أو من ذرية آدم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين} يقول تعالى ذكره قال هؤلاء الغاوون والأنداد التى كانوا يعبدونها من دون الله وجنود ابليس وهم فى الجحيم يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين يقول تالله لقد كنا فى ذهاب عن الحق ان كنا لفى ضلال مبين يبين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه لمن تأمله وتدبره أنه ضلال وباطل وقوله اذ نسويكم برب العالمين يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله تالله ان كنا لفى ذهاب عن الحق حين نعدلكم برب العالمين فنعبدكم من دونه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اذ نسويكم برب العالمين قال لتلك الآلهة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين} يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الغاوين فى الجحيم وما أضلنا الا المجرمون

نتقدّموا لو يتبعكم فرعون وجنوده الى أن يغشاهم من اليم ما يغشاهم قوله (لشرذمة) هى الطائفة القليلة ثم وصفهم بالقلة واختار جمع السلامة ليدل على أن كل حزب منهم فى غاية القلة وذلك بالنسبة الى عسكره والا فهم كثير فى أنفسهم يروى أن فرعون

ارسل فى أثرهم ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون فى جمع عظيم وكانت على مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وكان قوم موسى اذ ذاك ستمائة ألف وسبعين ألفا ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والحقارة لا قلة العدد قوله (وانهم لنا لغائظون) معناه انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم ولكنهم يفعلون أفعالا لغيظنا كأخذ الحلى وادّعاء الاستقلال والاستخلاص عن ذل الاستخدام ونحن قوم مجموعون كلمة وائتلافا ومن عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الامور فالحذر المتيقظ وهو يفيد الثبات والحاذر الذى يجدد حذره وقيل هو تام السلاح لانه فعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه وكل هذه المعاذير لأجل أن لا يظن به العجز وخلاف ما ادّعاه من القهر والتسلط وقرئ حادرون بالدال غير المعجمة والحادر السمين القوى أراد أنهم أقوياء أشدّاء (فأخرجناهم من جنات) أى بساتينهم التى فيها عيون الماء (وكنوز) الذهب والفضة قال مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها فى طاعة الله تعالى والمقام الكريم المنازل الحسنة والمجالس البهية وقال الضحاك المنابر وقيل السرر فى الحجال (كذلك) يحتمل النصب أى أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفنا والجر على الوصف أى مقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم والرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أى الامر كذلك وعلى هذا فيوقف على كريم خفى (فأتبعوهم) أى فلحقوهم ومن قرأ بالتشديد فظاهر والاشراق الدخول فى وقت الشروق (فلما تراءى الجمعان) أى رأى قوم موسى قوم فرعون

يعنى بالمجرمين ابليس وابن آدم الذى سن القتل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله وما أضلنا الا المجرمون قال ابليس وابن آدم القاتل وقوله فما لنا من شافعين يقول فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأباعد فيعفو عنا و ينجينا من عقابه ولا صديق حميم من الأقارب واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بالشافعين و بالصديق الحميم فقال بعضهم عنى بالشافعين الملائكة و بالصديق الحميم النسيب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فما لنا من شافعين قال من الملائكة ولا صديق حميم قال من الناس قال مجاهد صديق حميم قال شقيق * وقال آخرون كل هؤلاء من بنى آدم ذكر من قال ذلك حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا اسحق بن سعيد البصرى المسمعى عن أخيه يحيى بن سعيد المسمعى قال كان قتادة اذا قرأ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قال يعلمون والله أن الصديق اذا كان صالحا نفع وأن الحميم اذا كان صالحا شفع وقوله فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين يقول فلو أن لنا رجعة الى الدنيا فنؤمن بالله فنكون بايماننا به من المؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان فيما احتج به ابراهيم على قومه من الحجج التى ذكرناه لدلالة بينة واضحة لمن اعتبر على أن سنة الله فى خلقه الذين يستنون بسنة قوم ابراهيم من عبادة الأصنام والآلهة و يقتدون بهم فى ذلك ما سن فيهم فى الدار الآخرة من كبكبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود ابليس فى الجحيم وما كان أكثرهم فى سابق علمه مؤمنين وان ربك يا محمد لهو الشديد الانتقام ممن عبد من دونه ثم لم يتب من كفره حتى هلك الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من اثم وجرم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين﴾ يقول تعالى ذكره كذبت قوم نوح رسل الله الذين أرسلهم اليهم لما قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون فتحذروا عقابه على كفركم به وتكذيبكم رسله انى لكم رسول من الله أمين على وحيه الىّ برسالته اياى اليكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون﴾ يقول تعالى ذكره فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به وأطيعونى فى نصيحتى لكم وأمرى اياكم باتقائه وما أسألكم عليه من أجر يقول وما أطلب منكم على نصيحتى لكم وأمرى اياكم باتقاء عقاب الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم من ثواب ولا جزاء ان أجرى الا على رب العالمين دونكم ودون جميع خلق الله فاتقوا عقاب الله على كفركم به وخافوا حلول سخطه بكم على تكذيبكم رسله وأطيعون يقول وأطيعونى فى نصيحتى لكم وأمرى اياكم باخلاص العبادة لخالقكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم نوح له مجيبيه عن قيله لهم انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك يا نوح ونقر بتصديقك فيما تدعونا اليه وانما اتبعك منا الأرذلون دون ذوى الشرف وأهل البيوتات قال وما علمى بما كانوا يعملون قال نوح لقومه وما علمى بما كان أتباعى يعملون انما لى منهم ظاهر أمرهم دون باطنه ولم أكلف علم باطنهم وانما كلفت الظاهر فمن أظهر حسنا ظننت به حسنا ومن أظهر سيئا ظننت به سيئا ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون يقول ان حساب باطن أمرهم الذى

وحصل كل من الفريقين بمرأى للآخر (قال أصحاب موسى) خوفا وفزعا (انا لمدركون) لملحقون قال موسى تثبيتا لهم وردعا عماهم عليه من الجزع والفزع (كلا ان معى ربى) بالنصرة والمعونة (سيهدين) سبيل النجاة (٥٧) والخلاص كما وعدنى ثم بين أنه كيف هداه بقوله

خفى عنى الا على ربى لو تشعرون فانه يعلم سر أمرهم وعلانيته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون قال هو أعلم بما فى نفوسهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعنى على التصديق بما جئت به من عند الله ان أنا الا نذير مبين يقول ما أنا الا نذير لكم من عند ربكم أنذركم بأسه وسطوته على كفركم به مبين يقول نذير قد أبان لكم انذاره ولم يكتمكم نصيحته قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين يقول قال لنوح قومه لئن لم تنته يا نوح عما تقول وتدعو اليه وتعيب به آلهتنا لتكونن من المشتومين يقول لنشتمنك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين﴾ يقول تعالى ذكره قال نوح رب ان قومى كذبون فيما أتيتهم به من الحق من عندك وردوا على نصيحتى لهم فافتح بينى وبينهم فتحا يقول فاحكم بينى وبينهم حكما من عندك تهلك به المبطل وتنتقم به ممن كفر بك وجحد توحيدك وكذب رسولك كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فافتح بينى وبينهم فتحا قال فاقض بينى وبينهم قضاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فافتح بينى وبينهم فتحا قال يقول اقض بينى وبينهم ونجنى يقول ونجنى من ذلك العذاب الذى تأتى به حكما بينى وبينهم ومن معى من المؤمنين يقول والذين معى من أهل الايمان بك والتصديق لى وقوله فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون يقول فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين حين فتحنا بينهم وبين قومهم وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين فى الفلك المشحون يعنى فى السفينة الموقرة المملوءة وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله الفلك المشحون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فى الفلك المشحون قال يعنى الموقر حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا الحسين بن الحسن الأشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المشحون الموقر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الفلك المشحون قال المفروغ منه المملوء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال المشحون المفروغ منه تحميلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قول الله الفلك المشحون قال هو المحمل وقوله ثم أغرقنا بعد الباقين من قومه الذين كذبوه وردوا عليه النصيحة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين فى الفلك المشحون حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا بقومه الذين كذبوه لآية لك ولقومك المصدقيك منهم والمكذبيك فى أن سنتنا تنجية رسلنا وأتباعهم اذا نزلت نقمتنا بالمكذبين بهم من قومهم واهلاك المكذبين بالله وكذلك سنتى فيك وفى قومك وما كان أكثرهم مؤمنين يقول

(فأوحينا) الآية ومعنى (فانفلق) فضرب فانفلق (فكان كل فرق) أى كل جزء متفرق منفلق منه (كالطود) وهو الجبل العظيم ومع ذلك وصفه بالعظيم (وأزلفنا ثم) أى قربنا حيث انفلق البحر (الآخرين) وهم قوم فرعون والمقرب منه بنو اسرائيل أو قوم فرعون أيضا أى أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد ويجوز أن يراد قدمناهم الى البحر وقرئ وأزلقنا بالقاف أى أزللنا أقدامهم حسا بأن لم يكن لهم البحر يبسا كما كان لبنى اسرائيل أو عقلا أى أذهبنا عزهم والبحر بحر القلزم أو بحر من وراء مصر يقال له اساف قالت الاشاعرة انه تعالى أضاف الازلاف الى نفسه مع ان اجتماعهم فى طلب موسى كفر أجاب الجبائى بأن قوم فرعون تبعوا بنى اسرائيل وبنو اسرائيل انما فعلوا ذلك بأمر الله تعالى فلما كان مسيرهم بتدبير الله وهؤلاء تبعوهم أضافه الى نفسه توسعا وهذا كما يتعب أحدنا فى طلب غلام له فيجوز أن يقول أتعبنى الغلام لما حدث ذلك عند فعله أو المراد أزلفناهم الى الموت والأجل وقال الكعبى أراد أنه جمع تفرقهم كيلا يصلوا الى موسى وقومه أو أراد أنه حلم عنهم وترك لهم البحر يابسا حتى طمعوا فى دخوله واعترض بأن كل ذلك لا بد أن يكون له أثر فى استجلاب داعية قوم فرعون الى الذهاب خلفهم فيعود المحذور (ان فى ذلك) الذى حدث فى البحر من انجاء البعض

واغراق البعض أو فى ذلك الذى ذكر من القصة بطولها (لآية) عجيبة للمتدبر المتفكر فى الامور الالهية (وما كان أكثرهم مؤمنين) حين سألوا بعد النجاة أن يجعل لهم موسى الها غير الله واتخذوا العجل واقترحوا

اقتراحات خارجة عن قانون الأدب ويحتمل أن يعود الضمير الى هذه الامة بدليل واتل عليهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يغتم بتكذيب قومه بعد ظهور المعجزات (٥٨) ونزول الآيات ﴿ التأويل الطاء طوله فى كمال عظمته والسين سلامته عن كل عيب ونقص والميم مجده الذى لا نهاية له أو الطاء طهارة قلب نبيه عن تعلقات الكونين والسين سيادته على الأنبياء والمرسلين والميم مشاهدته جمال رب العالمين أو الطاء طيران الطائرين بالله والسين سير السائرين الى الله والميم مشى الماشين لله الذين يمشون على الأرض هونا ان نشأ ننزل من سماء قلوبهم آية من واردات الحق فظلت أعناق نفوسهم لها خاضعين فسيأتيهم بعد مفارقة الارواح الأجساد أنباء ما كانوا به يستهزؤن لظهور نتائج معاملاتهم الخبيثة على أرواحهم أولم يروا الى أرض قلوب العارفين كم أنبتنا فيها من أشجار أصناف الايمان والتوكل واليقين والاخلاص وسائر الاخلاق الكريمة وما كان أكثرهم مؤمنين لان جناب الحق لعزته يجل عن أن يكون شرعة لكل وارد وان ربك لهو العزيز الذى لا يوجد بالسعى الرحيم حين أدرك أولياءه بجذبات العناية كما أدرك موسى حين ناداه من الشجرة وذلك لانه جعله مظهر لطفه كما أنه جعل فرعون مظهر قهره فصار من العتو والاستكبار فى غاية الكمال ويعلم منه أن الانسان له استعداد فى مظهرية صفة القهر ليس لابليس فلذلك عاند ابليس آدم وقال أنا خير منه وعاند فرعون الرب وقال أنا ربكم الأعلى وأن له استعدادا فى مظهرية صفة اللطف ليس للملك ولهذا صار الانسان مسجودا للملائكة أن أرسل معنا بنى اسرائيل فيه أن موسى القلب مرسل الى فرعون النفس لئلا تستعبد الصفات الروحانية فان لفرعون النفس فى البداية استيلاء على موسى القلب والصفات الروحانية فاستعملهم فى قضاء حوائجه وتحصيل مقاصده فعرفه فرعون النفس وقال ألم قال

ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدقونك مما سبق فى قضاء الله أنهم لن يؤمنوا وان ربك لهو العزيز فى انتقامه ممن كفر به وخالف أمره الرحيم بالتائب منهم أن يعاقبه بعد توبته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره كذبت عاد رسل الله اليهم اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون عقاب الله على كفركم به انى لكم رسول من ربى يأمركم بطاعته ويحذركم على كفركم بأسه أمين على وحيه ورسالته فاتقوا الله بطاعته والانتهاء الى ما يأمركم وينهاكم وأطيعون فيما آمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته وما أسألكم عليه من اجر يقول وما أطلب منكم على أمرى اياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابا ان أجرى الا على رب العالمين يقول ما جزائى وثوابى على نصيحتى اياكم الا على رب العالمين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه أتبنون بكل ريع آية تعبثون والريع كل مكان مشرف من الأرض مرتفع أو طريق أو واد ومنه قول ذى الرمة

طراق الخوافى مشرف فوق ريعه * لدى ليلة فى ريشه يترقرق

(وقول الاعشى)

ويهماء قفر تجاوزتها * اذا خب فى ريعها آلها

وفيه لغتان ريع وريع بكسر الراء وفتحها * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أتبنون بكل ريع آية تعبثون يقول بكل شرف حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بكل ريع قال فج حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله أتبنون بكل ريع آية قال بكل طريق حدثنى سليمن بن عبيد الله الغيلانى قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا مسلم بن خالد قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أتبنون بكل ريع قال الريع الثنية الصغيرة حدثنى يونس قال أخبرنا يحيى بن حسان عن مسلم ابن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة بكل ريع قال فج وواد قال وقال مجاهد بكل ريع بين جبلين * قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أتبنون بكل ريع قال شرف ومنظر حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بكل ريع قال بكل طريق حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بكل ريع بكل طريق ويعنى بقوله آية بنيانا علما وقد بينا فى غير موضع من كتابنا هذا أن الآية هى الدلالة والعلامة بالشواهد المغنية عن اعادتها فى هذا الموضع * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى ألفاظهم فى تأويله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى

قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس بكل ريع آية قال الآية علم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بكل ريع آية قال آية بنيان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد آية بنيان حدثني على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله بكل ريع آية قال بنيان الحمام وقوله تعبثون قال تلعبون وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس تعبثون قال تلعبون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تعبثون قال تلعبون وقوله وتتخذون مصانع اختلف أهل التأويل فى معنى المصانع فقال بعضهم هى قصور مشيدة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتتخذون مصانع قال قصور مشيدة وبنيان مخلد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مصانع قصور مشيدة وبنيان حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن مجاهد قال مصانع يقول حصون وقصور حدثني يونس قال أخبرنا يحيى بن حسان عن مسلم عن رجل عن مجاهد قوله مصانع لعلكم تخلدون قال أبرجة الحمام * وقال آخرون بل هى مآخذ للماء ذكر من قال ذلك حدثني الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مصانع قال مآخذ للماء * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان المصانع جمع مصنعة والعرب تسمى كل بناء مصنعة وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورا وحصونا مشيدة وجائز أن يكون كان مآخذ للماء ولا خبر يقطع العذر بأى ذلك كان ولا هو مما يدرك من جهة العقل فالصواب أن يقال فيه ما قال الله انهم كانوا يتخذون مصانع وقوله لعلكم تخلدون يقول كأنكم تخلدون فتبقون فى الأرض وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله لعلكم تخلدون يقول كأنكم تخلدون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال فى بعض الحروف وتتخذون مصانع كأنكم تخلدون وكان ابن زيد يقول لعلكم فى هذا الموضع استفهام ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قال هذا استفهام يقول لعلكم تخلدون حين تبنون هذه الأشياء وكان بعض أهل العربية يزعم أن لعلكم فى هذا الموضع بمعنى كيما وقوله واذا بطشتم بطشتم جبارين يقول واذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف وضربا بالسياط كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج واذا بطشتم بطشتم جبارين قال القتل بالسيف والسياط ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه من عاد اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم وانتهوا عن اللهو واللعب وظلم الناس وقهرهم بالغلبة والفساد

نربك فينا وليدا فان موسى القلب كان فى حجر فرعون النفس الى أن بلغ أوان الحلم وهى خمس عشرة سنة فقتل قبطى الشهوة حين كفر بالله الهوى وكان قبل القتل ضالا عن حضرة الربوبية ففررت منكم الى الله لما خفت (٥٩) أن تقطعوا على الطريق الى الله رب سموات القلوب وأرض البشرية وما بينهما من المنازل قال لمن حوله من صفات النفس ألا تستمعون قال موسى القلب لتعارفه بربه ربكم ورب آبائكم الأولين يعنى الآباء العلوية الروحانية وفى قوله ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون اشارة الى كمال ضدية القلب والنفس فما يصدر عن القلب تعده النفس من الجنون وبالعكس رب مشرق الروح من أفق البدن ورب مغربه فيه وما بينهما من مدة التعلق وقد مر نظيره فى محاجة ابراهيم فى البقرة لأجعلنك من المسجونين فى سجن حب الدنيا فان القلب اذا توجه الى الله فلا استيلاء للنفس عليه الا بشبكة حب الجاه والرياسة فانها آخر ما يخرج من رؤس الصديقين فقال موسى القلب لا تقدر على أن تسجنني فان معى عصا الذكر واليد المنزوعة عما سوى الله وباقى التأويل قد سبق قوله فأخرجناهم أى من جنات صفات الأوصاف الروحانية وعيون الحكمة وكنوز المعارف ومقام كريم فى حضرة أكرم الأكرمين وأورثناها بنى اسرائيل فيه أن النفس اذا فنيت ورث القلب منها صفاتها وبقوتها تصير الى مقامات لم يمكنه الوصول اليها بقوة صفاته ولو مات القلب ورثت النفس منه صفاته وبقوتها تتنزل الى دركات لم يمكنها الوصول اليها بمجرد صفاتها فأتبعوهم أى لحق أوصاف النفس أوصاف القلب عند اشراق شمس الروح فكان كل فرق فيه أن كل صفة من أوصاف الروح كجبل عظيم فى العبور عنه وأزلفنا ثم الآخرين أى قربنا صفات النفس بتبعية صفات القلب الى بحر الروح وأنجينا موسى ومن معه من الأوصاف فى بحر الروح بالوصول الى الحضرة ثم أغرقنا أوصاف النفس فى بحر الروحانية فان الوصول الى الحضرة

من خواص القلب وغاية سير النفس هو الاستغراق فى بحر الروحانية ان فى ذلك لآية لأرباب العرفان وما كان أكثرهم مؤمنين بهذه المنازل فانه لا يصير اليها الا الشاذ من المجذوبين بجذبة (٦٠) ارجعى الى ربك جعلنا الله من المستعدين لها والله أعلم ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال

لأبيه وقومه ماتعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى إلا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لأبى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين

فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم

فى الأرض واحذروا سخط الذى أعطاكم من عنده ما تعلمون وأعانكم به من بين المواشى والبنين والبساتين والأنهار انى أخاف عليكم عذاب يوم من الله عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الأولين وما نحن بمعذبين﴾ يقول تعالى ذكره قالت عاد لنبيهم هود صلى الله عليه وسلم معتدل عندنا وعظك ايانا وتركك الوعظ فلن نؤمن لك ولن نصدقك على ما جئتنا به وقوله ان هذا الا خلق الاولين اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة سوى أبى جعفر وعامة قراء الكوفة المتأخرين منهم ان هذا الا خلق الاولين من قبلنا وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو بن العلاء ان هذا الا خلق الاولين بفتح الخاء وتسكين اللام بمعنى ما هذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين وأحاديثهم واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك نحو اختلاف القراء فى قراءته فقال بعضهم معناه ما هذا الا دين الأولين وعادتهم واخلاقهم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان هذا الا خلق الأولين يقول دين الاولين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ان هذا الا خلق الأولين يقول هكذا خلقة الأولين وهكذا كانوا يحيون ويموتون * وقال آخرون بل معنى ذلك ما هذا الا كذب الأولين وأساطيرهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ان هذا الا خلق الاولين قال أساطير الاولين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا خلق الاولين قال كذبهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هذا الا خلق الاولين قال ان هذا الا أمر الاولين وأساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن علقمة عن ابن مسعود ان هذا الا خلق الأولين يقول ان هذا الا اختلاق الأولين * قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود عن الشعبى عن علقمة عن عبد الله أنه كان يقرأ ان هذا الا خلق الاولين ويقول شئ اختلقوه حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى قال قال علقمة ان هذا الا خلق الأولين قال اختلاق الأولين وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ ان هذا الا خلق الأولين بضم الخاء واللام بمعنى ان هذا الا عادة الأولين ودينهم كما قال ابن عباس لأنهم انما عوتبوا على البنيان الذى كانوا يتخذونه وبطشهم بالناس بطش الجبابرة وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم واقتفاء منهم آثارهم فقالوا ما هذا الذى نفعله الا خلق الأولين يعنون بالخلق عادة الأولين ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل قولهم وما نحن بمعذبين لأنهم لو كانوا لا يقرون بأن لهم ربا يقدر على تعذيبهم ما قالوا وما نحن بمعذبين بل كانوا يقولون ان هذا الذى جئتنا به يا هود الا خلق الأولين وما نحن بمعذبين ولكنهم كانوا مقرين بالصانع ويعبدون الآلهة على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها ويقولون انها تقربنا الى الله زلفى فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوته سواء

فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ۞ القراآت لي الا واغفر لأبي انه بفتح الياء فيهما (٦١) أبو جعفر ونافع وأجرى الا بفتح الياء أبو جعفر

علينا أوعظت ام لم تكن من الواعظين ثم قالوا له ماهذا الذي نفعله الاعادة من قبلنا وأخلاقهم وما الله معذبنا عليه كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا انهم كانوا يقولون لرسلهم انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره فكذبت عاد رسول ربهم هودا والهاء في قوله فكذبوه من ذكر هود فأهلكناهم يقول فأهلكنا عادا بتكذيبهم رسولنا ان في ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان في اهلاكنا عادا بتكذيبها رسولها العبرة وموعظة لقومك يا محمد المكذبيك فيما أتيتهم به من عند ربك وما كان أكثرهم مؤمنين يقول وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله وان ربك لهو العزيز في انتقامه من أعدائه الرحيم بالمؤمنين به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين﴾ يقول تعالى كذبت ثمود رسل الله اذ دعاهم صالح أخوهم الى الله فقال لهم ألا تتقون عقاب الله يا قوم على معصيتكم اياه وخلافكم أمره بطاعتكم أمر المفسدين في أرض الله اني لكم رسول من الله أرسلني اليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره أمين على رسالته التي أرسلها معي اليكم فاتقوا الله أيها القوم واحذروا عقابه وأطيعون في تحذيري اياكم وأمر ربكم باتباع طاعته وما أسألكم عليه من أجر يقول وما أسألكم على نصحي اياكم وانذاركم من جزاء ولا ثواب ان أجري الا على رب العالمين يقول ان جزائي وثوابي الا على رب جميع ما في السموات وما في الارض وما بينهما من خلق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أتتركون فيما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود أيترككم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمنين لا تخافون شيأ في جنات وعيون يقول في بساتين وعيون ماء وزروع ونخل طلعها هضيم يعني بالطلع الكفرى واختلف أهل التأويل في معنى قوله هضيم فقال بعضهم معناه اليانع النضيج ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ونخل طلعها هضيم يقول أينع وبلغ فهو هضيم وقال آخرون بل هو المتهشم المتفتت ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ونخل طلعها هضيم قال محمد بن عمرو في حديثه تهشم هشيما وقال الحرث تهشم تهشما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الكريم يقول سمعت مجاهدا يقول في قوله ونخل طلعها هضيم قال حين تطلع يقبض عليه فيهضمه قال ابن جريج قال مجاهد اذا مس تهشم وتفتت قال هو من الرطب هضيم تقبض عليه فتهضمه * وقال آخرون هو الرطب اللين ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة قوله ونخل طلعها هضيم قال الهضيم الرطب اللين * وقال آخرون هو الراكب بعضه بعضا ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله طلعها هضيم اذا كثر حمل النخلة فركب

ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص وأتباعك على أنه جمع تابع أوتبع يعقوب أنا الا بالمد أبو نشيط عن قالون معي من المؤمنين بفتح ياء المتكلم حفص وورش ۞ الوقوف ابراهيم م لئلا يوهم ان اذ ظرف اتل وانما هو منصوب باذكر ما تعبدون ه عاكفين ه تدعون ه يضرون ه يفعلون ه تعبدون ه لا لأن الضمير بعده توكيد الأقدمون ه والوصل أولى للفاء العالمين ه لا لأن الذي صفة الرب يهدين ه لا يشفين ه ويسقين ه يحيين ه لا الدين ه بالصالحين ه لا الآخرين ه لا النعيم ه لا الضالين ه لا يبعثون ه ولا بنون ه لا سليم ه ط بناء على أن ما بعده الى آخر أحوال الجنة والنار هو من كلام الله تعالى وهو الظاهر وقيل هو من تتمة كلام ابراهيم العالمين ه المجرمون ه شافعين ه حميم ه ط المؤمنين ه لآية ط مؤمنين ه الرحيم ه المرسلين ج ه لأن اذ تصلح ظرفا للتكذيب مفعولا لاذكر تتقون ج ه لان ما بعده من تمام المقول أمين ه لا للفاء وأطيعون ج ه من أجر ج العالمين ج ه وأطيعون ه لا الأرذلون ه ط يعملون ج ه لأن ما بعده من تمام المقول تشعرون ه لذلك المؤمنين ج ه مبين ه المرجومين ه ط كذبون ه ج المؤمنين ه المشحون ج ه الباقين ه لآية ط مؤمنين ه ط الرحيم ه

۞ التفسير القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام وكان يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم للالزام والتبكيت ومثله أهل المعاني بأن يقول أحد للتاجر ما مالك وهو يعلم أن ماله الرقيق ثم يقول له الرقيق جمال وليس بمال وانما قال في سورة الصافات ماذا تعبدون بزيادة ذا لانه أراد

بعضها بعضا حتى نقص بعضها بعضا فهو حينئذ هضيم وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال الهضيم هو المتكسر من لينه ورطوبته وذلك من قولهم هضم فلان فلانا حقه اذا انتقصه وتحيفه فكذلك الهضم فى الطلع انما هو التنقص منه من رطوبته ولينه اما بمس الايدى واما بركوب بعضه بعضا وأصله مفعول صرف الى فعيل وقوله وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين يقول تعالى ذكره وتتخذون من الجبال بيوتا فاختلفت القراء فى قراءة قوله فارهين فقرأته عامة قراء اهل الكوفة فارهين بمعنى حاذقين بنحتها وقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة فرهين بغير ألف بمعنى أشرين بطرين واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك على نحو اختلاف القراء فى قراءته فقال بعضهم معنى فارهين حاذقين ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح وعبدالله بن شداد وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قال أحدهما حاذقين وقال الآخر يتجبرون حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قال حاذقين بنحتها حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فارهين يقول حاذقين * وقال آخرون معنى فارهين مستفرهين متجبرين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن عبدالله بن شداد فى قوله فرهين قال يتجبرون * قال أبو جعفر والصواب فارهين * وقال آخرون ممن قرأه فارهين معنى ذلك كيسين ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فارهين قال كيسين حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك أنه قرأ فارهين قال كيسين * وقال آخرون فرهين أشرين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين يقول أشرين ويقال كيسين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بيوتا فرهين قال شرهين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بمثله * وقال آخرون معنى ذلك أقوياء ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين قال الفره القوى * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فرهين قال معجبين بصنيعكم * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان قراءة من قرأها فارهين وقراءة من قرأ فرهين قراءتان معروفتان مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما فى علماء القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ومعنى قراءة من قرأ فارهين حاذقين بنحتها متخيرين لمواضع نحتها كيسين من الفراهة ومعنى قراءة من قرأ فرهين مرحين أشرين وقد يجوز أن يكون معنى فاره وفره واحدا فيكون فارها مبنيا على بنائه وأصله من فعل يفعل ويكون فره صفة كما يقال فلان حاذق بهذا الامر وحذق ومن الفاره بمعنى المرح قول الشاعر عدى بن وادع العوفى من الازد

لا أستكين اذا ما أزمة أزمت * ولن ترانى بخير فاره الطلب

بقولهم (فنظل لها عاكفين) اظهارا للابتهاج والافتخار قال فى الكشاف وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قلت وهذا مبنى على النقل الصحيح والظن به حسن قال لابد فى يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم قلت ويحتمل أن يكون المحذوف مفعولا ثانيا أى هل يسمعونكم تدعون اذ تدعون وهو حكاية حال ماضية لان اذ للمضى ومعناه استحضار الاحوال الماضية التى كانوا يدعونها فيها وحين تمسكوا فى الجواب بطريقة التقليد قائلين على سبيل الاضراب (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) نبههم ابراهيم بقوله (أفرأيتم) على أن الباطل لا يتغير بأن يكون قديما أو حديثا ولا بأن يكون فى مرتكبيه كثرة أو قلة وصرح بأن معبوديه أعداء لقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا أو لأن الذى يغرى على عبادتها هو الشيطان وهو أعدى عدو للانسان وانما لم يقل عدو لكم لانه أراد تصوير المسئلة فى نفسه ليكون أدل على النصح وأقرب الى القبول كأنه قال انى فكرت فى أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو ويحكى عن الشافعى أن رجلا واجهه بشئ فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت الى أدب وقوله (الا رب العالمين) استثناء منقطع أى لكن رب العالمين حبيب لى ثم وصف لهم الرب بأنه (الذى خلقنى فهو يهدين) أى خلق بدنى على كماله الممكن له ثم يهدين فى الاستقبال الى ضروب مصالح الدين والدنيا كامتصاص الدم فى البطن والثدى بعد الولادة نظيره ما مر فى طه الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ثم نبه بقوله (والذى هو يطعمنى ويسقين) أى أن الذى يتعلق به قوام البدن

أي مرح الطلب وقوله فاتقوا الله وأطيعون يقول تعالى ذكره فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم وخلافكم أمره وأطيعون في نصيحتي لكم وانذاري اياكم عقاب الله ترشدوا

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله واجترائهم على سخطه وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون يقول الذين يسعون في أرض الله بمعاصيه ولا يصلحون يقول ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله وقوله انما أنت من المسحرين اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه انما أنت من المسحورين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما أنت من المسحرين قال من المسحورين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله انما أنت من المسحرين قال انما أنت من المسحورين * وقال آخرون معناه من المخلوقين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبيد قال ثنا موسى بن عمرو عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله انما أنت من المسحرين قال من المخلوقين واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك فكان بعض أهل البصرة يقول كل من أكل من انس أو دابة فهو مسحر وذلك لان له سحرا يقري ما أكل فيه واستشهد على ذلك بقول لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر

وقال بعض نحويي الكوفيين نحو هذا غير أنه قال أخذ من قولك انتفخ سحرك أي انك تأكل الطعام والشراب فتسحر به وتعلل وقال معنى قول لبيد من هذا الانام المسحر من هذا الانام المعلل المخدوع قال ويروى أن السحر من ذلك لانه كالخديعة * والصواب من القول في ذلك عندي القول الذي ذكرته عن ابن عباس أن معناه انما أنت من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب مثلنا ولست ربا ولا ملكا فنطيعك ونعلم أنك صادق فيما تقول والمسحر المفعل من السحرة وهو الذي له سحرة

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ثمود لنبيها صالح ما أنت يا صالح الا بشر مثلنا من بني آدم تأكل ما نأكل وتشرب ما نشرب ولست برب ولا ملك فعلام نتبعك فان كنت صادقا في قيلك وأن الله أرسلك الينا فأت بآية يعني بدلالة وحجة على أنك محق فيما تقول ان كنت ممن صدقنا في دعواه أن الله أرسله الينا وقد حدثني أحمد بن عمرو البصري قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابي قال ثنا داود بن أبي الفرات قال ثنا علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن صالحا النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله الى قومه فآمنوا به واتبعوه فمات صالح فرجعوا عن الاسلام فأتاهم صالح فقال لهم أنا صالح قالوا ان كنت صادقا فأتنا بآية فأتاهم بالناقة فكذبوه وعقروها فعذبهم الله وقوله قال

من الاغتذاء بالطعام والاساغة بالشراب هو من جملة انعام الله تعالى لأنه خلق هناك قوى جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها ولولاها لما تم أمر الانتفاع بالغذاء بل نفس الغذاء من جملة نعمه الشاملة ثم قال ﴿وإذا مرضت (٦٣) فهو يشفين﴾ وذلك أن البدن ليس دائما على النهج الطبيعي بحيث تصدر عنه الأفعال الموضوع هو لها سليمة فاسترداد الصحة بعد زوالها ليس الا باذن الله وبما خلق لكل داء دواء وانما لم يقل أمرضني لان كثيرا من أسباب المرض يحدث باسراف الانسان في المطعم والمشرب وأيضا الصحة تحتاج الى سبب قاهر يقسر الأخلاط والقوى على النسبة المطلوبة أما المرض فانه بسبب تنافر الاخلاط وطلب كل منها مركزه الاصلي وأيضا فيه رعاية الأدب في مقام المدح وتعداد النعم وانما لم يراع هذه النكتة في قوله (والذي يميتني) لان الاماتة ليست بضر كالمرض اما بعدم الاحساس وقتئذ واما لأنها مقدمة الوصول الى عالم الخير والراحة وانما زاد لفظة هو في الاطعام والشفاء لانهما قد ينسبان الى الانسان فيقال زيد يطعم وعمرو يداوي فأكد اعلاما بأن ذلك في الحقيقة من الله وأما الاماتة والاحياء فلا يدعيهما مدع فأطلق ثم أشار الى ما بعد الاحياء من المجازاة بقوله (والذي أطمع) فحمل الأشاعرة الطمع على مجرد الظن والرجاء بناء على أنه لا يجب لأحد على الله شيء وحمله المعتزلة على اليقين تارة وعلى هضم النفس والتواضع وتعليم الأمة أخرى كما أنه أضاف الخطيئة الى نفسه لمثل ذلك وقد تحمل الخطيئة على المعاريض المنسوبة اليه من قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي وانما علق المغفرة بيوم الدين لان أثرها يتبين يومئذ وهو في الدنيا خفي قال بعضهم فائدة زيادة لي هي أن يعلم أن المغفرة فائدتها تعود اليه والله سبحانه لا يستفيد بذلك كمالا لم يكن له والمراد أطمع أن يغفر لي لمجرد عبوديتي له واحتياجي اليه لا بواسطة شفيع كما قال لجبرئيل أما اليك فلا وحين قدم الثناء شرع

فى الدعاء تعليما لأمته اذا ارادوا مسألة فقال (رب هب لى حكما) وهو اشارة الى كمال القوة النظرية (وألحقنى بالصالحين) وهو اشارة الى كمال القوة العملية ولقد أجابه حيث قال وانه فى الآخرة (٦٤) لمن الصالحين وقيل الحكم النبوة اذ النبى ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله تعالى

وزيف بأنه كان حاصلا فكيف يطلبه والظاهر أنه أراد بالحكم النسب الذهنية المطابقة للخارجية أعنى العلوم النظرية كما بينا قالت الأشاعرة فى الآية دلالة على مسئلة خلق الاعمال انه طلب العلم من الله فلولا أن العلم بخلقه والا كان السؤال عبثا وحمله المعتزلة على منح الألطاف قيل الحكم المطلوب بالدعاء ان كان هو العلم بغير الله لزم أن يكون سائلا لما يشغله عن الله وهو باطل وان كان العلم بالله بقدر ما هو شرط صحة الايمان لزم طلب ما هو حاصل لأدنى المؤمنين فضلا عن ابراهيم فاذن هو العلم الزائد على ما هو ضرورى فى الايمان وهو الوقوف على حقيقة الذات والصفات ثم لا يكشف المقال عنها غير الخيال وبه يصير المؤمن من الواصلين الى العين دون السامعين الى الأثر ثم طلب الذكر الجميل بقوله (واجعل لى لسان صدق) والاضافة فيه كقوله قدم صدق وقال ابن عباس وقد أعطاه الله ذلك لقوله وتركنا عليه فى الآخرين ولهذا اتفق أهل الاديان قاطبة على حبه وادعاء متابعته ومدح الكافر ليس مقصودا لذاته من حيث هو كافر وانما المقصود أن يكون ممدوح كل انسان ومحمودا بكل لسان وفائدة الثناء على الشخص بعد وفاته هو انصراف الهمم الى ما به يحصل له عند الله زلفى وقد يصير ذلك المدح داعيا للمادح أو لمن يسمعه الى اكتساب مثل تلك الفضائل وقيل سأل ربه أن يجعل من ذريته فى آخر الزمان من يكون داعيا الى ملته وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم سأل ما هو غاية كل سعادة فقال (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) وقد مر معنى هذه الوراثة فى قوله وتلك الجنة التى أورثتموها وكذلك فى سورة مريم تلك الجنة التى نورث من عبادنا ثم طلب السعادة الحقيقية لاشد

هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم يقول تعالى ذكره قال صالح لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه فأتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة هذه ناقة يا قوم لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم ما لكم من الشرب ليس لكم فى يوم وردها أن تشربوا من شربها شيأ ولا لها أن تشرب فى يومكم مما لكم شيأ ويعنى بالشرب الحظ والنصيب من الماء يقول لها حظ من الماء ولكم مثله والشرب والشرب والشرب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر وقد حكى عن العرب سماعا آخرها أقلها شربا وشربا وقوله ولا تمسوها بسوء يقول لا تمسوها بما يؤذيها من عقر وقتل ونحو ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ولا تمسوها بسوء لا تعقروها وقوله فيأخذكم عذاب يوم عظيم يقول فيحل بكم من الله عذاب يوم عظيم عذابه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) يقول تعالى ذكره فخالفت ثمود أمر نبيها صالح صلى الله عليه وسلم فعقروا الناقة التى قال لهم صالح لا تمسوها بسوء فأصبحوا نادمين على عقرها فلم ينفعهم ندمهم وأخذهم عذاب الله الذى كان صالح توعدهم به فأهلكهم ان فى ذلك لآية يقول ان فى اهلاك ثمود بما فعلت من عقرها ناقة الله وخلافها أمر نبى الله صالح لعبرة لمن اعتبر به يا محمد من قومك وما كان أكثرهم مؤمنين يقول ولن يؤمن أكثرهم فى سابق علم الله وان ربك يا محمد لهو العزيز فى انتقامه من أعدائه الرحيم بمن آمن به من خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) يقول تعالى ذكره كذبت قوم لوط من أرسله الله اليهم من الرسل حين قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون الله أيها القوم انى لكم رسول من ربكم أمين على وحيه وتبليغ رسالته فاتقوا الله فى أنفسكم أن يحل بكم عقابه على تكذيبكم رسوله وأطيعون فيما دعوتكم اليه أهدكم سبيل الرشاد وما أسألكم عليه من أجر يقول وما أسألكم على نصيحتى لكم ودعايتكم الى ربى جزاء ولا ثوابا ان أجرى الا على رب العالمين يقول ما جزائى على دعايتكم الى الله وعلى نصحى لكم وتبليغ رسالات الله اليكم الا على رب العالمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) يعنى بقوله أتأتون الذكران من العالمين أتنكحون الذكران من بنى آدم فى أدبارهم وقوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم يقول وتدعون الذى خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهن فأحله لكم وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله وتذرون ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم قال تركتم أقبال النساء الى أدبار الرجال وأدبار النساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وقوله بل أنتم قوم عادون يقول بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم وأحله لكم من الفروج الى ما حرم عليكم منها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى

حجاج

الناس التصاقا به وهو أبوه قائلا (واغفر لأبى) وقد سبق فى آخر التوبة وفى مريم ما يتعلق به من المباحث * وههنا سؤال وهو أنه متى حصلت
الجنة بدعائه امتنع حصول الخزى فكيف قال بعده (ولا تخزنى) وأيضا قال تعالى ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين وما كان

حجاج عن ابن جريج بل أنتم قوم عادون قال قوم معتدون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم لوط لئن لم تنته يالوط عن نهينا عن اتيان الذكران لتكونن من المخرجين من بين أظهرنا وبلدنا قال انى لعملكم من القالين يقول لهم لوط انى لعملكم الذى تعملونه من اتيان الذكران فى أدبارهم من القالين يعنى من المبغضين المنكرين فعله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿رب نجنى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين﴾ يقول تعالى ذكره فاستغاث لوط حين توعده قومه بالاخراج من بلدهم ان هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة فقال رب نجنى وأهلى من عقوبتك اياهم على ما يعملون من اتيان الذكران فنجيناه وأهله من عقوبتنا التى عاقبنا بها قوم لوط أجمعين الا عجوزا فى الغابرين يعنى فى الباقين لطول مرور السنين عليها فصارت هرمة فانها أهلكت من بين أهل لوط لانها كانت تدل قومها على الاضياف وقد قيل انه انما قيل من الغابرين لانها لم تهلك مع قومها فى قريتهم وأنها انما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه فكانت من الغابرين بعد قومها ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادتها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير وأمطرنا عليهم مطرا وذلك ارسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء فساء مطر المنذرين يقول فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذبوه ان فى ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان فى اهلاكنا قوم لوط الهلاك الذى وصفنا بتكذيبهم رسولنا العبرة وموعظة لقومك يا محمد يتعظون بها فى تكذيبهم اياك وردهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحق وما كان أكثرهم مؤمنين فى سابق علم الله وان ربك لهو العزيز الرحيم بمن آمن به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون﴾ يقول تعالى ذكره كذب أصحاب الأيكة والايكة الشجر الملتف وهى واحدة الايك وكل شجر ملتف فهو عند العرب ايكة ومنه قول نابغة بنى ذبيان

تجلو بقادمتى حمامة ايكة * بردا أسف لثاته بالاثمد

وأصحاب الايكة هم أهل مدين فيما ذكر ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كذب أصحاب الايكة المرسلين يقول أصحاب الغيضة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كذب أصحاب الايكة المرسلين قال الايكة مجمع الشجر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله كذب أصحاب الايكة قال أهل مدين والايكة الملتف من الشجر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كذب أصحاب الأيكة المرسلين قال الايكة الشجر بعث الله شعيبا الى قومه من أهل مدين والى أهل البادية قال وهم أصحاب ليكة وليكة والايكة واحد وقوله اذ قال لهم شعيب ألا تتقون يقول تعالى ذكره قال لهم شعيب ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم انى لكم من الله رسول أمين على وحيه

نصيب الكافر كيف يستجير منه المعصوم أجاب عنه فى التفسير الكبير كما أن حسنات الابرار سيآت المقربين فكذلك درجات الابرار دركات المقربين وخزى كل واحد ما يليق بحاله فكأنه سأل الشركة أولا ثم الخصوصية ثانيا وأقول يحتمل أن يكون هذا الدعاء من تتمة دعائه لابيه اى لا تخزنى ولا تفضحنى بسبب تعذيب أبى يوم يبعث الضالون أو العباد كلهم ومثل هذا الضمير مما يعلم عوده بالقرينة ويجوز أن يكون سأل الجنة بشرط التعظيم والاجلال ويجوز أن يكون أخر هذا الدعاء لما يعقبه من حديث يوم القيامة وأهوالها وأحوالها فأراد أن لا ينقطع نظم الكلام وفى قوله (الا من أتى الله بقلب سليم) اشارة الى ما وصفه الله به فى قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وفى هذا الاستثناء وجوه منها أنه منقطع والمضاف محذوف أى الا حال من أتى الله بقلب سليم والمراد بالحال سلامة القلب والمعنى أن المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب عن الامراض الروحانية كالجهل وسائر الأخلاق الذميمة ويندرج فى سلامة القلب سلامة سائر الجوارح لانه رئيسها ولا شك أن المال والبنين ليسا من جنس سلامة القلب فيكون الاستثناء منقطعا ومنها أنه متصل وذلك على وجهين أحدهما الا ينفع غنى الاغنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما أن غناه فى دنياه بماله وبنيه
 وثانيهما أن يجعل من باب قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * والمضاف المحذوف الحال أو السلامة
نظيره أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفى المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك ومنها

أن يكون الموصول مفعولا لينفع والاستثناء مفرغ أي لا ينفع مال ولا بنون أحدا الا رجلا سلم قلبه مع ماله و بنيه حيث أنفقه في طاعة الله وما قصر في باب تأديبهم وارشادهم اوسلم قلبه (٦٦) من فتنة المال والبنين فلم يكفر ولم يعص وقد يفسر السليم بالذائب من خشية الله تعالى وحين

فاتقوا عقاب الله على خلافكم أمره وأطيعون ترشدوا ﴿ القول في قوله تعالى ﴿وما أسئلكم عليه من أجران أجرى الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ يقول وما أسألكم على نصحى لكم من جزاء وثواب ماجزائى وثوابى على ذلك الا على رب العالمين أوفوا الكيل يقول أوفوا الناس حقوقهم من الكيل ولا تكونوا من المخسرين يقول ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين﴾ يعني بقوله وزنوا بالقسطاس زنوا بالميزان المستقيم الذي لا بخس فيه على من وزنتم له ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن ولا تعثوا في الارض مفسدين يقول ولا تكثروا في الارض الفساد وقد بينا ذلك كله بشواهده واختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين﴾ يقول تعالى ذكره واتقوا أيها القوم عقاب ربكم الذي خلقكم وخلق الجبلة الاولين يعني بالجبلة الخلق الاولين وفي الجبلة للعرب لغتان كسر الجيم والباء وتشديد اللام وضم الجيم والباء وتشديد اللام فاذا نزعت الهاء من آخرها كان الضم في الجيم والباء أكثر كما قال جل ثناؤه ولقد أضل منكم جبلا كثيرا وربما سكنوا الباء من الجبل كما قال أبو ذؤيب

منايا يقربن الحتوف لاهلها * جهارا ويستمتعن بالأنس الجبل

* وبنحو ما قلنا في معنى الجبلة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يقول خلق الاولين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والجبلة الاولين قال الخليقة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والجبلة الاولين قال الخلق الاولين الجبلة الخلق وقوله قالوا انما أنت من المسحرين يقول قالوا انما أنت يا شعيب معلل تعلل بالطعام والشراب كما نعلل بهما نحن ولست ملكا وما أنت الا بشر مثلنا تأكل وتشرب وان نظنك لمن الكاذبين يقول وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا اليه الا ممن يكذب فيما يقول فان كنت صادقا فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم فأسقط علينا كسفا من السماء يعني قطعا من السماء وهي جمع كسفة جمع كذلك كما تجمع تمرة تمرا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كسفا يقول قطعا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله كسفا من السماء جانبا من السماء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأسقط علينا كسفا من السماء قال ناحية من السماء عذاب ذلك الكسف ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره قال شعيب لقومه ربي أعلم بما تعملون يقول بأعمالهم هو بها محيط لا يخفى عليه منها شئ وهو مجازيكم

انجرّ الكلام الى ذكر يوم القيامة وصف الله تعالى أوا براهيم أحواله وأهواله فقال (وأزلفت الجنة للمتقين) قال المفسرون الجنة تقرب من موقف السعداء ليكون لهم فرجا معجلا وتجعل النار بارزة مكشوفة للأشقياء ليزدادوا غما وحسرة ولمثل هذا اليوم وبخهم بقوله (أينما كنتم تعبدون) يعني الآلهة التي كنتم تعبدونها (من دون الله هل ينفعونكم) بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وذلك قوله (فكبكبوا فيها هم) أي الآلهة (والغاوون) الذين عبدوهم قال جار الله الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه اذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها أعاذنا الله منها والمراد بجنود ابليس شياطينهم أو متبعوه من عصاة الجن والانس (قالوا) يعني الغاوين وجنود ابليس (وهم) يعني والحال ان الاصنام وعبدتهم (فيها يختصمون) قال أكثر المفسرين يجوز ان ينطق الله الاصنام بحيث يصح منها التخاصم وقيل ان هذا التخاطب بين العصاة والشياطين اذ سووهم برب العالمين والمراد بالمجرمين على التفسيرين الرؤساء والكبراء وعن السدي الاولون الذين سنوا الشرك وعن ابن جريج ابليس وقابيل لانه سن القتل وأنواع المعاصي (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) خالص يهمه ما يهمنا وقيه نفي الشفعاء والصديق رأسا أو نفي للذين كانوا اعدوهم شفعاء وأصدقاء من الاصنام والرؤساء أو نفي للانتفاع بهم قصدوا بها بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من الفائدة فكل عديم النفع حكمه حكم المعدوم قال جار الله انما جمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء

بها جزاء كم فكذبوه يقول فكذبه قومه فأخذهم عذاب يوم الظلة يعنى بالظلة سحابة ظللتهم فلما تتاموا تحتها التهبت عليهم نارا وأحرقتهم وبذلك جاءت الآثار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن زيد بن معاوية فى قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة قال أصابهم حر أقلقهم فى بيوتهم فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة فابتدروها فلما تتاموا تحتها أخذتهم الرجفة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر فى قوله عذاب يوم الظلة قال كانوا يحفرون الاسراب ليتبردوا فيها فاذا دخلوها وجدوها أشد حرا من الظاهر وكانت الظلة سحابة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول بعث شعيب الى أمتين الى قومه أهل مدين والى أصحاب الايكة وكانت الايكة من شجر ملتف فلما أراد الله أن يعذبهم بعث الله عليهم حرا شديدا ورفع لهم العذاب كأنه سحابة فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء بردها فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا قال فذلك قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنى سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد قال ثنا حاتم بن أبى صغيرة قال ثنى يزيد الباهلى قال سألت عبد الله بن عباس عن هذه الآية فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فقال عبد الله بن عباس بعث الله عليهم ومدة وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا البيوت فدخل عليهم أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هرابا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها أرسلها الله عليهم نارا قال عبد الله بن عباس فذلك عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يوم الظلة قال أظلال العذاب اياهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عذاب يوم الظلة قال أظل العذاب قوم شعيب * قال ابن جريج لما أنزل الله عليهم أول العذاب أخذهم منه حر شديد فرفع الله لهم غمامة فخرج اليها طائفة منهم ليستظلوا بها فأصابهم منها روح وبرد وريح طيبة فصب الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذابا فذلك قوله عذاب يوم الظلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر بن راشد قال ثنى رجل من أصحابنا عن بعض العلماء قال كانوا عطلوا حدا فوسع الله عليهم فى الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم فى الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم فى الرزق فجعلوا كلما عطلوا حدا وسع الله عليهم فى الرزق حتى اذا أراد اهلاكهم سلط عليهم حرا لا يستطيعون أن يتقاروا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظلة فوجد روحا فنادى أصحابه هلموا الى الروح فذهبوا اليه سراعا حتى اذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم الظلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن ابن عباس قال من حدثك من العلماء ما عذاب يوم الظلة فكذبه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة قوم شعيب حبس الله عنهم الظل والريح فأصابهم حر شديد ثم بعث الله لهم سحابة فيها العذاب فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمونها زعموا يستظلون فاضطرمت عليهم نارا فأهلكتهم حدثنى

لنا كرة فأن نكون وعلى هذا جاز أن تكون لو على أصل الشرط والجواب محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت ثم بين أن فيما ذكره من قصة ابراهيم عليه السلام لآية لمن يريد أن يستدل بذلك وما كان أكثر قوم ابرهيم بمؤمنين * القصة الثالثة قصة نوح ولا ريب أن نبأه عظيم فقد كان يدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك لم يزد قومه الا التكذيب والقوم مؤنث بدليل قوله كذبت وكان أمينا فيهم مشهورا كمحمد صلى الله عليه وسلم فى قريش وكرر قوله فاتقوا الله وأطيعون تأكيدا وتقريرا فى النفوس مع أنه علق كل واحد بسبب وهو الأمانة فى الاول وقطع الطمع فى الثانى نظيره قول الرجل لغيره ألا تتقى الله فى عقوقى وقد ربيتك صغيرا ألا تتقى الله فى عقوقى وقد علمتك كبيرا وقدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته لأن تقوى الله علة طاعته قوله (وما علمى) يريد أى شئ علمى ومعناه انتفاء علمه باخلاص أعمالهم لله عز وجل واطلاعه على باطنهم ومكنون ضميرهم كأنهم طعنوا فى ايمانهم أيضا فذكر أن حسابهم على الله وأنه لم يبعث الا للنذارة ويجوز أن يكون فسر لهم الرذالة بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقائد فبنى جوابه على ذلك وقال ماعلمى الا اعتبار الظاهر والله يتولى السرائر وفى قوله (لو تشعرون) اشارة الى انهم لا يصدقون بالحساب

والجزاء وفيه انكار أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى (رب ان قومى كذبون) ليس اخبارا لانه علام الغيوب وانما هو تمهيد مقدمة لطلب الفتح والحكومة والفلك المشحون المملوء من كل زوجين اثنين مع نوح وأهله

﴿ التأويل واتل عليهم نبأ ابراهيم القلب اذقال لابيه وقومه وهو الروح وما يتولد منه نعبد اصناما وهو ماسوى الله فنظل لها عاكفين الا ان ادركتنا العناية فنعرض عنها بل وجدنا (٦٨) آباءنا وهم الارواح والآباء العلوية كذلك يتعلق بعضهم ببعض فانهم عدو لى ان تعلقت فصرت محجوبا بهم عن الله خلقنى فهو يهدين الى حضرته ويطعمنى من طعام العبودية الذى يعيش القلوب ويسقينى من شراب طهور التجلى واذا مرضت بتعلقات الكونين فهو يشفين بالجذبة الالهية والذى يميتنى عن أوصاف البشرية ثم يحيين بأوصاف الروحانية ويميتنى عن أوصاف الروحانية ثم يحيين بالأوصاف الربانية ثم يميتنى عن أنانيتى ثم يحيين بهويته والذى أطمع أن يستر ظلمة خطيئة وجودى بطلوع شمس نهار الدين رب هب لى من ربوبيتك حكما على بذل وجودى فى هويتك وألحقنى بالذين صلحوا لقبول الفيض الالهى بلا واسطة واجعل لى لسان صدق فى الآخرين من النفس وصفاتها ليعرضوا عما سوى الله واغفر لابى الروح انه كان من الضالين حين رد من العالم العلوى الى السفلى من قولهم ضل الماء فى اللبن ولا تخزنى بتعلقات الكونين قال نوح القلب وما علمى بما كانوا يعملون يعنى أراذل الجسد والاعضاء لانهم عملة عالم الشهادة وأنا من عملة عالم الغيب ان حسابهم الا على ربى فيما يعملون من الأعمال الحيوانية لحاجة ضرورية يعفو عنها والشهوة حيوانية يؤاخذهم بها لو تشعرون الفرق بينهما قالوا أى النفس وصفاتها لئن لم تنته يا نوح القلب عما تدعونا اليه على خلاف ارادتنا لتكونن من المرجومين بأحجار الوساوس والهواجس فى الفلك المشحون أى فى فلك الشريعة المملوءة بالاوامر والنواهى والحكم والمواعظ والاسرار والحقائق ثم أغرقنا بعد الباقين بطوفان استيلاء الاخلاق الذميمة وآفات الدنيا الدنية وباقى القصص اشارات الى رسول القلب المسلم من الله

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم قال بعث الله اليهم ظلة من سحاب وبعث الى الشمس فأحرقت ما على الارض فخرجوا كلهم الى تلك الظلة حتى اذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة وأحمى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد فى المقلى وقوله انه كان عذاب يوم عظيم يقول تعالى ذكره ان عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شعيب عظيم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان فى تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة بتكذيبهم نبيهم شعيبا لآية لقومك يا محمد وعبرة لمن اعتبر ان اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم اياك سنتنا فى أصحاب الأيكة وما كان أكثرهم مؤمنين فى سابق علمنا فيهم وان ربك يا محمد لهو العزيز فى نقمته ممن انتقم منه من أعدائه الرحيم بمن تاب من خلقه وأناب الى طاعته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين﴾ يقول تعالى ذكره وان هذا القرآن لتنزيل رب العالمين والهاء فى قوله وانه كناية الذكر الذى فى قوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لتنزيل رب العالمين قال هذا القرآن * واختلفت القراء فى قراءة قوله نزل به الروح الأمين فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة نزل به مخففة الروح الأمين رفعا بمعنى أن الروح الأمين هو الذى نزل بالقرآن على محمد وهو جبريل وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة نزل مشددة الزاى الروح الأمين نصبا بمعنى أن رب العالمين نزل بالقرآن الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن الروح الأمين اذ نزل على محمد بالقرآن لم ينزل به الا بأمر الله اياه بالنزول ولن يجهل أن ذلك كذلك ذو ايمان بالله وان الله اذا أنزله به نزل * وبنحو الذى قلنا فى أن المعنى بالروح الأمين فى هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله نزل به الروح الأمين قال جبريل حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قول الله نزل به الروح الأمين قال جبريل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الروح الامين جبريل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الروح الامين قال جبريل وقوله على قلبك يقول نزل به الروح الامين فتلاه عليك يا محمد حتى وعيته بقلبك وقوله لتكون من المنذرين يقول لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أرسلوا اليه من قومهم فتنذر بهذا التنزيل قومك المكذبين بآيات الله وقوله بلسان عربى مبين يقول لتنذر قومك بلسان عربى مبين يبين لمن سمعه أنه عربى وبلسان العرب نزل والباء من قوله بلسان من صلة قوله نزل وانما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربى مبين فى هذا الموضع اعلاما منه مشركى قريش أنه أنزله كذلك لئلا يقولوا انه نزل بغير لساننا فنحن انما نعرض عنه ولا نسمعه لانا لا نفهمه وانما هذا تقريع لهم وذلك أنه تعالى ذكره قال ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين

وقومه النفس وصفاتها واليه المرجع والمآب لما قررناه ﴿كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين
فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين (٦٩) أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع

ثم قال لم يعرضوا عنه لأنهم لا يفهمون معانيه بل يفهمونها لانه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين بلسانهم العربى ولكنهم أعرضوا عنه تكذيبا به واستكبارا فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن كما أتى هذه الامم التى قصصنا نبأها فى هذه السورة حين كذبت رسلها أنباء ما كانوا به يكذبون ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانه لفى زبر الاولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم﴾ يقول تعالى ذكره وان هذا القرآن لفى زبر الاولين يعنى فى كتب الأولين وخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص وانما هو وان هذا القرآن لفى بعض زبر الاولين يعنى أن ذكره وخبره فى بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله وقوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل يقول تعالى ذكره أولم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر من ربك دلالة على أنك رسول رب العالمين أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بنى اسرائيل وقيل عنى بعلماء بنى اسرائيل فى هذا الموضع عبد الله بن سلام ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى اسرائيل فى عصره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل قال كان عبد الله بن سلام من علماء بنى اسرائيل وكان من خيارهم فآمن بكتاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال لهم الله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل وخيارهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله علماء بنى اسرائيل قال عبد الله ابن سلام وغيره من علمائهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أولم يكن لهم آية قال محمد أن يعلمه قال يعرفه علماء بنى اسرائيل ❁ قال ابن جريج قال مجاهد علماء بنى اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره من علمائهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل قال أولم يكن للنبى آية علامة أن علماء بنى اسرائيل كانوا يعلمون أنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم وقوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين يقول تعالى ذكره ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التى لا تنطق وانما قيل على بعض الاعجمين ولم يقل على بعض الاعجميين لان العرب تقول اذا نعتت الرجل بالعجمة وأنه لا يفصح بالعربية هذا رجل أعجم وللمرأة هذه امرأة عجماء وللجماعة هؤلاء قوم عجم وأعجمون واذا أريد هذا المعنى وصف به العربى والاعجمى لانه انما يعنى أنه غير فصيح اللسان وقد يكون كذلك وهو من العرب ومن هذا المعنى قول الشاعر

من وائل لا حىّ يعدلهم ❁ من سوقة عرب ولا عجم

فأما اذا أريد به نسبة الرجل الى أصله من العجم لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان فانه يقال هذا رجل عجمى وهذان رجلان عجميان وهؤلاء قوم عجم كما يقال عربى وعربيان وقوم عرب واذا قيل هذا رجل أعجمى فانما نسب الى نفسه كما يقال للاحمر هذا أحمرى ضخم وكما قال العجاج ❁ والدهر بالانسان دوّارى ❁ ومعناه دوّار فنسبه الى فعل نفسه ❁ وبنحو الذى قلنا فى تأويل

لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدّكم بما تعلمون أمدّكم بأنعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الأولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من
العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين
رب نجنى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان فى ذلك

لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ۞ القراآت أو عظت مدغما عباس ونصير خلق الاولين بفتح الخاء وسكون
اللام ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب (٧٠) ويزيد وعلي كذبت ثمود مثل بعدت ثمود فارهين بالالف ابن عامر وعاصم

وحمزة وعلي وخلف ۞ الوقوف
المرسلين ه تتقون ه أمين
ه وأطيعون ه أجره العالمين
ه تعبثون ه لا تخلدون ه ج
جبارين ه وأطيعون ه ج
تعلمون ه ج وبنين ه لا وعيون
ه ج عظيم ه ط الواعظين ه لا
للاحتراز عن الابتداء بقولهم
الأولين ه لا لذلك بمعذبين ه ج
فأهلكناهم ط لآية ط مؤمنين ه
الرحيم ه المرسلين ه ط تتقون
ه أمين ه لا وأطيعون ه أجر
ه العالمين ه آمنين ه لا لتعلق
الظرف وعيون ه لا هضيم ه
فارهين ه ج للآية مع العطف
وأطيعون ه ج لذلك المسرفين
ه لا لأن الذين صفتهم ولا يصلحون
ه المسحرين ه ج لانقطاع
النظم مع اتحاد المقول مثلنا ز من
الصادقين ه معلوم ه ج عظيم ه
نادمين ه لا العذاب ط لآية ط
مؤمنين ه الرحيم ه المرسلين
ه لا ألا تتقون ه ج أمين
ه لا واطيعون ه ج أجر ج
العالمين ه ط من العالمين ه لا
للعطف من أزواجكم ه عادون
ط المخرجين ه القالين ه
يعملون ه أجمعين ه الغابرين
ه الآخرين ه ج مطر المنذرين
ه لآية ط مؤمنين ه الرحيم ه
۞ التفسير القصة الرابعة قصة
هود ولنذكر من تفسيرها ماهو غير
مكرر الريع بالكسر وقرئ بالفتح
المكان المرتفع ومنه الغلة لارتفاعها
والآية العلم وفي هذا البناء وجوه
فعن ابن عباس أنهم كانوا يبنون
بكل موضع مرتفع علما يعبثون فيه بمن يمر بالطريق الى هود وقيل كانوا يبنون ذلك ليعرف به حتى
فخرهم وغناهم فنهوا عنه ونسبوا الى العبث وقيل كانوا يقتنون الحمام قاله مجاهد والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون

ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى قال كنت واقفا الى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة فتلا هذه الآية ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين قال لو نزل على بعيري هذا فتكلم به ما آمنوا به لقالوا لولا فصلت آياته حتى يفقهه عربي وعجمي لو فعلنا ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى قال كان عبد الله بن مطيع واقفا بعرفة فقرأ هذه الآية ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم قال فقال جملي هذا أعجم فلو أنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين وروى عن قتادة في ذلك ما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولو نزلناه على بعض الاعجمين قال لو أنزله الله أعجميا كانوا أخسر الناس به لانهم لا يعرفون بالعجمية وهذا الذي ذكرناه عن قتادة قول لا وجه له لانه وجه الكلام الى أن معناه ولو أنزلناه أعجميا وانما التنزيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين يعني ولو نزلنا هذا القرآن العربي على بهيمة من العجم أو بعض مالا يفصح ولم يقل ولو نزلناه أعجميا فيكون تأويل الكلام ما قاله وقوله فقرأه عليهم يقول فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد الذين حتمت عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الاعجم ما كانوا به مؤمنين يقول لم يكونوا ليؤمنوا به لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء وهذا تسلية من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن قومه لئلا يشتد وجده بادبارهم عنه واعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم شديدا حرصه على قبولهم منه والدخول فيما دعاهم اليه حتى عاتبه ربه على شدة حرصه على ذلك منهم فقال له لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ثم قال مؤيسه من ايمانهم وأنهم هالكون ببعض مثلاته كما هلك بعض الامم الذين قص عليهم قصصهم في هذه السورة ولو نزلناه على بعض الاعجمين يا محمد لا عليك فانك رجل منهم ويقولون لك ما أنت الا بشر مثلنا وهلا نزل به ملك فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق وأنه تنزيل من عندي ما كانوا به مصدقين فخفض من حرصك على ايمانهم به ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين الذين آيس نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من ايمانهم من الشقاء والبلاء فقال كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم كذلك نسلكه التكذيب والكفر في قلوب المجرمين ويعني بقوله سلكناه أدخلناه والهاء في قوله سلكناه كناية من ذكر قوله ما كانوا به مؤمنين كأنه قال كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الايمان بهذا القرآن وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله كذلك سلكناه قال الكفر في قلوب المجرمين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم (١) حدثني علي بن سهل قال ثنا زيد ابن أبي الزرقاء عن سفيان عن حميد عن الحسن في هذه الآية كذلك سلكناه في قلوب المجرمين قال خلقناه * قال ثنا زيد عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن في بيت أبي خليفة عن قوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين قال الشرك سلكه في قلوبهم وقوله لا يؤمنون به

(١) لعل تفسير ابن زيد سقط من قلم الناسخ ان لم يكن مثل ما قبله فاقتصر عليه المؤلف اختصارا وحرر

حتى يروا العذاب الاليم يقول فعلنا ذلك بهم لئلا يصدقوا بهذا القرآن حتى يروا العذاب الاليم في عاجل الدنيا كما رأت ذلك الامم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة ورفع قوله لا يؤمنون لان العرب من شأنها اذا وضعت في موضع مثل هذا الموضع لا ربما جزمت ما بعدها وربما رفعت فتقول ربطت الفرس لا تنفلت وأحكمت العقد لا ينحل جزما ورفعا وانما تفعل ذلك لان تأويل ذلك ان لم أحكم العقد انحل فجزمه على التأويل ورفعه بأن الجازم غير ظاهر ومن الشاهد على الجزم في ذلك قول الشاعر

لو كنت اذ جئتنا حاولت رؤيتنا * أو جئتنا ماشيا لا تعرف الفرس

(وقول الآخر)

لطالما حلأتماها لا ترد * فخلياها والسجال تبترد

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون﴾ يقول تعالى ذكره فيأتي هؤلاء المكذبين بهذا القرآن العذاب الاليم بغتة يعني فجأة وهم لا يشعرون يقول لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه حتى يفجأهم بغتة فيقولوا حين يأتيهم بغتة هل نحن منظرون أي هل نحن مؤخرون العذاب ومنسأ في آجالنا لنتوب وننيب الى الله من شركنا وكفرنا بالله فنراجع الايمان به وننيب الى طاعته وقوله أفبعذابنا يستعجلون يقول تعالى ذكره أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون بقولهم لن نؤمن لك حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ يقول تعالى ذكره ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا وتكذيبهم رسولنا ما أغنى عنهم يقول أي شئ أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم والمتاع الذي متعناهم به من الحياة اذ لم يتوبوا من شركهم هل زادهم تمتيعنا اياهم ذلك الا خبالا وهل نفعهم شيأ بل ضرهم بازديادهم من الآثام واكتسابهم من الاجرام ما لو لم يمتعوا لم يكتسبوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أفرأيت ان متعناهم سنين الى قوله ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون قال هؤلاء أهل الكفر القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون﴾ يقول تعالى ذكره وما أهلكنا من قرية من هذه القرى التي وصفت في هذه السورة الا لها منذرون يقول الا بعد ارسالنا اليهم رسلا ينذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم ذكرى يقول الا لها منذرون ينذرونهم تذكرة لهم وتنبيها لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا ففي الذكرى وجهان من الاعراب أحدهما النصب على المصدر من الانذار على ما بينت والآخر الرفع على الابتداء(١) كأنه قيل ذكرى * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى قال الرسل قال ابن جريج وقوله ذكرى قال الرسل وقوله وما كنا ظالمين يقول وما كنا ظالميهم في تعذيبناهم واهلاكهم لأنا انما أهلكناهم اذ عتوا علينا وكفروا نعمتنا وعبدوا غيرنا بعد

(١) كذا في الاصل ولعله كأنه قيل هم ذكرى تأمل وحرر

ومعنى لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا أو ظلما وعلوا فوصفوا بكونهم اذ ذاك جبارين وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن أراد أنهم يبادرون العذاب من غير تفكر في العواقب والحاصل أن اتخاذ الأبنية الرفيعة يدل على حب العلو واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والبطش الشديد يدل على حب التفرد بالعلو فكأنهم أحبوا العلو وبقاء العلو والتفرد بالعلو وكل هذه لمن له الصفات الالهية لا العبدية ثم بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها بقوله (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) ايقاظا لهم عن سنة الغفلة مستشهدا بعلمهم ثم فصلها بقوله (أمدكم بأنعام) عليها تدور معايشكم (وبنين) بهم يتم أمر حفظها والقيام بها (وجنات) يحصل بها التفكه والتنزه (وعيون) بمائها يكمل النماء ثم ختم الكلام بتخويفهم تنبيها على أنه كما قدر أن يتفضل عليهم بهذه النعم الجسام فهو قادر على العذاب فيكون فيه مزيد حث على التقوى وكمال تنفر عن العصيان ثم شرع في حكاية جواب القوم وأنهم قالوا ان وعظه وعدم وعظه بالنسبة اليهم سيان وانما لم يقل أوعظت أم لم تعظ مع كونه أخصر لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أو لم تكن من مباشريه وذويه رأسا وهذا أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قرأ (خلق الاولين) بفتح الخاء فمعناه ان هذا الا اختلاق الاولين وأكاذيبهم أو ما هذا الا خلق الاقدمين نحيا ونموت ولا بعث ولا جزاء والقراءة الاخرى معناها لسنا نحن الا على دين الاولين من آبائنا أو ليس ما نحن عليه من الحياة والموت الا عادة جارية لا خرق لها أو ما هذا الذي جئت به من تلفيق الاكاذيب الاعادة مستمرة من المتنبين ثم أكدوا انكارهم المعاد بقولهم (وما نحن بمعذبين) فأظهروا بذلك جلادتهم وقوة نفوسهم فأخبر الله تعالى عن اهلاكهم وقد سبقت كيفية ذلك مرارا * القصة الخامسة قصة صالح قال جار الله الهمزة

الاعذار اليهم والانذار ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغى لهم أن يفعلوه فأبوا الا التمادى فى الغى
وقوله وما تنزلت به الشياطين يقول تعالى ذكره وما تنزلت بهذا القرآن الشياطين على محمد ولكنه
ينزل به الروح الامين وما ينبغى لهم يقول وما ينبغى للشياطين أن ينزلوا به عليه ولا يصلح لهم ذلك
وما يستطيعون يقول وما يستطيعون أن يتنزلوا به لانهم لا يصلون الى استماعه فى المكان الذى هو به
من السماء انهم عن السمع لمعزولون يقول ان الشياطين عن سمع القرآن من المكان الذى هو به
من السماء لمعزولون فكيف يستطيعون أن يتنزلوا به * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة
فى قوله وما تنزلت به الشياطين قال هذا القرآن وفى قوله انهم عن السمع لمعزولون قال عن سمع
السماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة بنحوه
الا أنه قال عن سمع القرآن والقراء مجمعة على قراءة وما تنزلت به الشياطين بالتاء ورفع النون لانها نون
أصلية واحدهم شيطان كما واحد البساتين بستان وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ ذلك وما تنزلت
به الشياطون بالواو وذلك لحن وينبغى أن يكون ذلك ان كان صحيحا عنه أن يكون توهم أن ذلك
نظير المسلمين والمؤمنين وذلك بعيد من هذا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلا تدع مع الله الها آخر
فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا تدع يا محمد مع الله الها آخر أى لا تعبد معه معبودا
غيره فتكون من المعذبين فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا وعبدوا غيرنا وقوله
وأنذر عشيرتك الاقربين يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك من قومك
الاقربين اليك قرابة وحذرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم وذكر أن هذه الآية لما نزلت بدأ
ببنى جده عبد المطلب وولده فحذرهم وأنذرهم ذكر الرواية بذلك حدثنى أحمد بن المقدام قال
ثنا محمد بن عبد الرحمن قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت لما نزلت هذه الآية
وأنذر عشيرتك الاقربين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا صفية بنت عبد المطلب
يا فاطمة بنت محمد يا بنى عبد المطلب انى لا أملك لكم من الله شيأ سلونى من مالى ما شئتم حدثنا
ابن وكيع قال ثنى أبى ويونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن هشام بن عروة
عن أبيه قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قام النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة بنت محمد
ويا صفية ابنة عبد المطلب ثم ذكر نحو حديث ابن المقدام حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال ثنا
سلامة قال قال عقيل ثنى الزهرى قال قال سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن ان
أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين يا معشر
قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيأ يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيأ
يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيأ يا فاطمة بنت رسول الله لا أغنى عنك من الله شيأ
سلينى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيأ حدثنى محمد بن عبد الملك قال ثنا أبو اليمان قال أخبرنا
شعيب عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال قال

فى (أتتركون) يجوز أن تكون للانكار أى لا تتركون مخلدين فى الأمن والراحة ولكل نعمة زوال ويجوز أن تكون للتقرير أى قد تركتم
فى أسباب الامن والفراغ أجمل أولا بقوله (٧٢) (فيما ههنا) أى فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون)
وذكر النخل بعد ذكر الجنات اما
تخصيص للجنات بغير النخل واما
تخصيص للنخل بالذكر تنبيها على
فضله ومزيته وطلع النخلة
ما يبدو منها كنصل السيف وقد
مر فى الانعام والهضيم اللطيف
الضامر من قولهم كشح هضيم أراد
أنه وهب لهم أجود النخل وألطفه
كالبرنى مثلا وقيل وصف نخيلهم
بالحمل الكثير فانه اذا كثر الحمل
هضم أى لطف وقيل الهضيم اللين
النضيج كأنه قال ونخل قد أرطب
ثمره والفراهة الكيس والنشاط
ومنه خيل فرهة وفارهين حال من
الناحتين قال علماء المعانى جعل
الأمر مطاعا مجاز حكمى وانما
المطاع بالحقيقة هو الآمر وفى قوله
(ولا يصلحون) اشارة الى ان افسادهم
فى الارض غير مقترن بالاصلاح
رأسا والمسحر الذى سحر كثيرا حتى
غلب على عقله وقيل هو من السحر
الرئة أرادوا أنه بشر ذو سحر
وهو ضعيف لانه يلزم التكرار
بقوله (ما أنت الا بشر مثلنا) الا أن
يقال انه بيان والشرب النصيب من
الماء كالسقى للحظ من السقى وقرئ
بالضم عن قتادة اذا كان يوم شربها
شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم
لا تشرب فيه الماء * سؤال لم أخذهم
العذاب وقد ندموا والندم توبة
جوابه كان ندمهم ندم خوف من
العقاب العاجل أو ندموا ندم
توبة فى غير أوانها وذلك عند
عيان العذاب وقيل ندموا على
ترك عقر ولدها وفيه بعد واللام فى
العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم
* القصة السادسة قصة لوط أنكر على قومه اتيانهم الذكور من الناس لا الاناث على كثرتهن أو أنكر عليهم رسول
كونهم مختصين من العالمين بهذه الفاحشة فقوله من العالمين يعود على الاول الى المأتى وعلى الثانى الى الآتى والعالمون على هذا كل

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين قال يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله ثم ذكر نحو حديث يونس عن سلامة غير أنه زاد فيه ياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ ولم يذكر في حديثه فاطمة حدثني يونس قال ثنا سلامة ابن روح قال قال عقيل ثني ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين جمع قريشا ثم أتاهم فقال لهم هل فيكم غريب فقالوا لا الا ابن أخت لنا لا نراه الا منا قال انه منكم فوعظهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لهم في آخر كلامه لا أعرفن ما ورد على الناس يوم القيامة يسوقون الآخرة وجئتم الى تسوقون الدنيا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيأ يابني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيأ ياعباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيأ ياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ يافاطمة بنت محمد سليني ماشئت لا أغني عنك من الله شيأ حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت الحجاج يحدث عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أنزل الله وأنذر عشيرتك الاقربين قال نبي الله صلى الله عليه وسلم يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ألا ان لكم رحما سأبلها ببلالها حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله يامعشر بني كعب بن لؤي يامعشر بني عبد مناف يامعشر بني هاشم يامعشر بني عبد المطلب يقول لكلهم أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فاني والله ما أملك لكم من الله شيأ الا ان لكم رحما سأبلها ببلالها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا أبو عثمان عن زهير بن عمرو وقبيصة بن مخارق أنهما قالا أنزل الله على نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين فحدثنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه علا صخرة من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم قال يا آل عبد منافاه ياصباحاه اني نذير ان مثلي ومثلكم مثل رجل أتى الجيش فخشيهم على أهله فذهب يربؤهم فخشي أن يسبقوه الى أهله فجعل يهتف بهم ياصباحاه أو كما قال حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الوهاب ومحمد بن جعفر عن عوف عن قسامة بن زهير قال بلغني أنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين جاء فوضع اصبعه في أذنه ورفع من صوته وقال يابني عبد مناف واصباحاه * قال ثني أبو عاصم قال ثنا عوف عن قسامة بن زهير قال أظنه عن الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني عبد الله بن أبي زياد قال ثنا أبو زيد الانصاري سعد بن أوس عن عوف قال قال قسامة بن زهير حدثني الاشعري قال لما نزلت ثم ذكر نحوه الا أنه قال وضع اصبعيه في أذنيه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن نمير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم

ماينكح من الحيوان ولاشئ من الحيوان يرتكب هذه الفعلة الا الانسان قوله (من أزواجكم) اما بيان لما خلق واما للتبعيض فيراد بما خلق العضو المباح منهن فلعلهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم والعادي المتجاوز (٧٣) الحد في ظلم أي (بل أنتم قوم عادون) في جميع المعاصي وهذه واحدة منها أو بل أنتم قوم أحقاء بأن تنسبوا الى العدوان حيث فعلتم هذه الجريمة العظيمة (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن نهينا (لتكونن) من جملة من أخرجناه من بلدنا ولعلهم كانوا يطردون من خالف أراد أنه كامل في قلاهم عصبية للدين أو أنه معدود في زمرة مبغضيهم كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك هو عالم ثم طلب النجاة من عقوبة عملهم أو سأل العصمة عن مثل عملهم ولقد عصمهم الله (الا عجوزا) رضيت بفعلهم وأعانت على ذلك وكانت من أهله بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان ومعنى (في الغابرين) الا عجوزا مقدرا غبورها أي بقاؤها في الهلاك واللام في المنذرين للجنس لتصلح الفاعلة فعل الذم والمخصوص محذوف أي ساء مطر جنس المنذرين مطر أولئك المعهودين والله أعلم (كذب أصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون

من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب (٧٤) المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿ القراآت ليكة بلام مفتوحة بعدها ياء ساكنة وبفتح التاء على أنها ممتنعة من الصرف للعلمية والتأنيث وكذلك في صاد أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر الآخرون الأيكة معرفا مجرورا كسفا بفتح السين حفص غير الحراز الآخرون بسكونها ربي أعلم بفتح الياء نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ونزل به مخففا الروح الأمين مرفوعين أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو زيد عن المفضل وزيد عن يعقوب الباقون نزل حتى مشددا الروح الامين منصوبين أولم تكن بتاء التأنيث آية بالرفع ابن عامر الباقون بالياء التحتانية آية بالنصب فتوكل بالفاء أبو جعفر

على الصفا ثم نادى ياصباحاه فاجتمع الناس اليه فبين رجل يجيء وبين آخر يبعث رسوله فقال يابني هاشم يابني عبد المطلب يابني فهر يابني يابني أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لكم سائر اليوم ما دعوتموني الا لهذا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا فقال ياصباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا له مالك فقال أرأيتكم ان أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ألا كنتم تصدقونني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا أو جمعتنا فأنزل الله تبت يدا أبي لهب الى آخر السورة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يابني فلان يابني فلان يابني فلان يابني عبد المطلب يابني عبد مناف فاجتمعوا اليه فقال أرأيتكم ان أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا أبي لهب وقد تب كذا قرأ الاعمش الى آخر السورة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية بن هشام عن سفيان عن حبيب عن سعيد عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على الصفا فقال ياصباحاه * قال ثنا خالد ابن عمرو قال ثنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال ياصباحاه فجعل يعددهم يابني فلان ويابني فلان ويابني عبد مناف حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عمرو بن مرة الجملي قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قال أتى جبلا فجعل يهتف ياصباحاه فأتاه من خف من الناس وأرسل اليه المتثاقلون من الناس رسلا فجعلوا يجيئون يتبعون الصوت فلما انتهوا اليه قال ان منكم من جاء لينظر ومنكم من أرسل لينظر من الهاتف فلما اجتمعوا وكثروا قال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا مصبحتكم من هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا فقرأ عليهم هذه الآيات التي أنزلن وأنذرهم كما أمر فجعل ينادي ياقريش يابني هاشم حتى قال يابني عبد المطلب اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عمرو أنه كان يقرأ وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك المخلصين * قال ثنا سلمة قال ثني محمد ابن اسحق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث ابن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي ياعلي ان الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين قال فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى ما أنادهم بهذا الامر أر منهم ما أكره فصمت حتى جاء جبرائيل فقال يامحمد انك الا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب

ونافع وابن عامر الباقون بالواو من تنزل الشياطين بتشديد التاء وكذلك تنزل البزى وابن فليح يتبعهم بالتخفيف نافع وادى بالياء فى الوقف يعقوب والسرنديبى عن قنبل وقرأ قتيبة بالامالة ﴿الوقوف﴾ المرسلين ج ٥ تتقون ٥ أمين ٥ لا و طيعون ٥ ج أجر ج

حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبولهب فلما اجتمعوا اليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشئ حاجة وما أرى الا مواضع أيديهم وأيم الله الذى نفس على بيده ان كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق الناس فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا وأيم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبولهب الى الكلام فقال لهذ ما سحركم به صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد ياعلى ان هذا الرجل قد سبقنى الى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام مثل الذى صنعت ثم اجمعهم لى قال ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالامس فأكلوا حتى ما لهم بشئ حاجة قال اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يابنى عبد المطلب انى والله ما أعلم شابا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرنى على هذا الامر على أن يكون أخى وكذا وكذا قال فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وانى لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يانبى الله أكون وزيرك فأخذ برقبتى ثم قال ان هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبى الحسن قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الأقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ثم قال يابنى عبد المطلب يابنى عبد مناف يابنى قصى قال ثم فخذ قريشا قبيلة قبيلة حتى مر على آخرهم انى أدعوكم الى الله وأنذركم عذابه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأنذر عشيرتك الاقربين قال أمر محمد أن ينذر قومه ويبدأ بأهل بيته وفصيلته قال وكذب به قومك وهو الحق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين قال النبى صلى الله عليه وسلم يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب اتقوا النار ولو بشق تمرة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأنذر عشيرتك الاقربين بدأ بأهل بيته وفصيلته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين جمع النبى صلى الله عليه وسلم بنى هاشم فقال يابنى هاشم ألا لا ألفينكم تأتونى تحملون الدنيا ويأتى الناس يحملون الآخرة الا ان أوليائى منكم المتقون فاتقوا النار ولو بشق تمرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما نزلت هذه الآية بدأ بأهل بيته وفصيلته قال وشق ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقوله واخفض جناحك يقول وألن جانبك وكلامك لمن اتبعك من المؤمنين كما حدثنى

العالمين ٥ ط المخسرين ج ٥ المستقيم ج ٥ مفسدين ج ٥ الاولين ٥ ط المسحرين ٥ لا الكاذبين ٥ ج ﴿نصف آى القرآن﴾ الصادقين ٥ ط تعملون ٥ الظلة ط عظيم ٥ لآية ط مؤمنين ٥ الرحيم ٥ العالمين ٥ الأمين ٥ لا المنذرين ٥ لا مبين ٥ الاولين ٥ اسرائيل ط ٥ الأعجمين ٥ لا مؤمنين ٥ ط المجرمين ٥ ط بناء على أن لا يؤمنون مستأنف للبيان ولو جعل حالا فلا وقف الأليم ٥ لا لا يشعرون ٥ لا منظرون ٥ ط يستعجلون ٥ سنين ٥ لا للعطف يوعدون ٥ لا لان قوله ما أغنى جملة نفى أو استفهام قامت مقام الشرط يمتعون ٥ ط منذرون ٥ وقد يوقف عليها بناء على أن ذكرى ليس بمفعول له والمراد ذكرناهم والوقف على ذكرى جائز ظالمين ٥ الشياطين ٥ يستطيعون ٥ ط لمعزولون ٥ ط المعذبين ج ٥ الأقربين ج ٥ للعطف المؤمنين ٥ تعملون ٥ ج الرحيم ٥ لا تقوم ٥ لا الساجدين ٥ العليم ٥ الشياطين ٥ ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار أثيم ج ٥ بناء على أن يلقون حال من ضمير الشياطين أى تنزل ملقين السمع أو صفة لكل أفاك وان جعل مستأنفا كأن قائلا قال لم تنزل فقيل يفعلون كيت وكيت فلك الوقف كاذبون ٥ ط الغاوون ٥ ط يهيمون ٥ لا لا يفعلون ٥ ظلموا ط ينقلبون ٥ ﴿التفسير﴾

القصة السابعة قصة شعيب وأنه كان أخا مدين دون أصحاب الايكة ولهذا لم يقل أخوهم شعيب يروى أن أصحاب الايكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهى التى حملها المقل قال فى الكشاف قرئ أصحاب ليكة بتخفيف الهمزة وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ

بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاده اليه خط المصحف في هذه السورة وفي سورة ص ثم اعترض عليه بان ليكة اسم لا يعرف قلت انه لا يلزم من عدم العلم بالشيء عدم ذلك الشيء (٧٦) والظن بالمتواتر يجب أن يكون أحسن من ذلك أمرهم شعيب بايفاء الكيل

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قال يقول لن لهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره فان عصتك يا محمد عشيرتك الاقربون الذين أمرتك بانذارهم وأبوا الا الاقامة على عبادة الاوثان والاشراك بالرحمن فقل لهم اني بريء مما تعملون من عبادة الاصنام ومعصية باريء الأنام وتوكل على العزيز في نقمته من أعدائه الرحيم بمن أناب اليه وتاب من معاصيه الذي يراك حين تقوم يقول الذي يراك حين تقوم الى صلاتك وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الذي يراك حين تقوم قال أينما كنت وتقلبك في الساجدين اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ويرى تقلبك في صلاتك حين تقوم ثم تركع وحين تسجد ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وتقلبك في الساجدين يقول قيامك وركوعك وسجودك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال سمعت أبي وعلي بن بذيمة يحدثان عن عكرمة في قوله يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال عكرمة في قوله وتقلبك في الساجدين قال قائما وساجدا وراكعا وجالسا * وقال آخرون بل معنى ذلك ويرى تقلبك في المصلين وابصارك منهم من هو خلفك كما تبصر من هو بين يديك منهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد وتقلبك في الساجدين كان يرى من خلفه كما يرى من قدامه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وتقلبك في الساجدين قال المصلين كان يرى من خلفه في الصلاة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وتقلبك في الساجدين قال المصلين قال كان يرى في الصلاة من خلفه * وقال آخرون بل معنى ذلك وتقلبك مع الساجدين أي تصرفك معهم في الجلوس والقيام والقعود ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس قال وتقلبك في الساجدين قال يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعد معهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وتقلبك في الساجدين قال في المصلين حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتقلبك في الساجدين قال في الساجدين المصلين * وقال آخرون بل معنى ذلك ويرى تصرفك في الناس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال سألت الحسن عن قوله وتقلبك في الساجدين قال في الناس * وقال آخرون بل معنى ذلك وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله والساجدون في قول قائل هذا القول الأنبياء ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله الذي يراك الآية قال كما كانت الانبياء من قبلك * قال أبو جعفر وأولى الاقوال

ونهاهم عن الاخسار وهو التطفيف وأن يجعل الشخص خاسرا فكأنه أمره بالايفاء مرتين توكيدا ثم زاد في البيان بقوله (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وقد مر في سورة سبحان قال في الكشاف ان كان من القسط وهو العدل وجعلت السين مكررة فوزنه فعلاس والافهو رباعي قلت ان كان مكررا فوزنه فعلال أيضا وقوله (ولا تبخسوا) تأكيد آخر وقد سبق في هود والجبلة الخليقة حذرهم الله الذي تفضل عليهم بخلقهم وخلق من تقدمهم ممن لولا خلقهم لما كانوا مخلوقين قال في الكشاف الفرق بين ادخال الواو ههنا في قوله (وما أنت الا بشر) وبين تركها في قصة ثمود هو أنه قصد ههنا معنيان منافيان عندهم للرسالة كونه مسحرا وكونه بشرا وهناك جعل المعنى الثاني مقررا للاول قلت الفرق بين والاشكال في تخصيص كل من القصتين بما خصت به ولعل السبب فيه هو أن صالحا قلل في الخطاب فقللوا في الجواب وأكثر شعيب في الخطاب ولهذا قيل له خطيب الانبياء فأكثروا في الجواب وان في قولهم (وان نظنك) هي المخففة من الثقيلة عملت في ضمير شأن مقدر واللام في قوله (لمن الكاذبين) هي الفارقة والكسف بالسكون والحركة جمع كسفة وهي القطعة وقد مر في سبحان في اقتراحات قريش والمعنى ان كنت صادقا في دعوة النبوة فادع الله أن يسقط

علينا قطع السماء وانما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فأرادوا بذلك اظهار كذبه فلم عنهم شعيب ولم يدع عليهم بل فوض الامر الى الله بقوله ربي أعلم بما تعملون يروى أن شعيبا بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الايكة فأهلكت مدين

بصيحة جبرائيل وأهلكت أصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة وذلك أنه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الحر فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شراب فاضطروا الى أن خرجوا الى الصحراء فأظلتهم سحابة وجدوا (٧٧) لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا

الاقوال فى ذلك بتأويله قول من قال تأويله ويرى تقلبك مع الساجدين فى صلاتهم معك حين تقوم معهم وتركع وتسجد لان ذلك هو الظاهر من معناه فأما قول من وجهه الى أن معناه وتقلبك فى الناس فانه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة وان كان له وجه لانه وان كان لا شئ الا وظله يسجد لله فانه ليس المفهوم من قول القائل فلان مع الساجدين أو فى الساجدين أنه مع الناس أو فيهم بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود السجود المعروف وتوجيه معانى كلام الله الى الأغلب أولى من توجيهه الى الأنكر وكذلك أيضا فى قول من قال معناه تتقلب فى أبصار الساجدين وان كان له وجه فليس ذلك الظاهر من معانيه فتأويل الكلام اذا وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم الى صلاتك ويرى تقلبك فى المؤتمين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس وقوله انه هو السميع العليم يقول تعالى ذكره ان ربك هو السميع تلاوتك يا محمد وذكرك فى صلاتك ما تتلو وتذكر العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلب فيها معك مؤتما بك يقول فرتل فيها القرآن وأقم حدودها فانك بمرأى من ربك ومسمع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾ يقول تعالى ذكره هل أنبئكم أيها الناس على من تنزل الشياطين من الناس تنزل على كل أفاك يعنى كذاب بهات أثيم يعنى آثم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله كل أفاك أثيم قال كل كذاب من الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تنزل على كل أفاك أثيم قال كذاب من الناس حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله كل أفاك أثيم قال هم الكهنة تسترق الجن السمع ثم يأتون به الى أوليائهم من الانس حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى اسحق عن سعيد بن وهب قال كنت عند عبد الله بن الزبير فقيل له ان المختار يزعم أنه يوحى اليه فقال صدق ثم تلا هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم وقوله يلقون السمع يقول تعالى ذكره يلقى الشياطين السمع وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعه من حين حدث من السماء الى كل أفاك أثيم من أوليائهم من بنى آدم * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يلقون السمع قال الشياطين ما سمعته ألقته على كل أفاك كذاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يلقون السمع الشياطين ما سمعته ألقته على كل أفاك قال يلقون السمع قال القول وقوله وأكثرهم كاذبون يقول وأكثر من تنزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله وأكثرهم كاذبون عن عروة عن عائشة قالت الشياطين تسترق السمع فتجىء بكلمة حق فيقذفها فى أذن وليه قال ويزيد فيها أكثر من مائة كذبة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم

فاحترقوا وحين سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه القصص المؤكدة بالمكررات المختتمة بالمقررات عاد الى مخاطبته قائلا (وانه) أى وان الذى نزل عليك من الاخبار (لتنزيل رب العالمين) أى منزله والباء فى نزل به على القراءتين للتعدية ولكنها فى قراءة التشديد تقتضى مفعولا آخر هو الروح أى جعل الله تعالى الروح الأمين نازلا به على قلبك محفوظا مفهوما (لتكون من المنذرين) من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون قوله بلسان متعلقا بنزل أى نزله (بلسان عربى) لتنذر به فانه لو نزله بالاعجمى لقالوا ما نصنع بما لا نفهمه ومن هذا الوجه ينشأ فائدة أخرى لقوله على قلبك أى نزلناه بحيث تفهمه ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك والظاهر من نقل أئمة اللغة أن القلب والفؤاد مترادفان ونقل الامام فخر الدين الرازى عن بعضهم أن القلب هو العلقة السوداء فى جوف الفؤاد وذكر كلاما طويلا فى أن محل العقل هو القلب دون الدماغ وهو المخاطب فى الحقيقة فلهذا قال نزله على قلبك ونحن قد تركناه لقلة تعلقه بالمقام ولضعف دلائله مع مخالفته لما عليه معظم أرباب المعقول قوله (وانه لفى زبر الاولين) يعنى ان ذكر القرآن مثبت فى الكتب السماوية للامم المتقدمة وان معانى القرآن فى

تلك الزبر وقد يحتج به لابى حنيفة فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة وقيل الضمير فيه وفى أن يعلمه للنبى صلى الله عليه وسلم وأنه حجة ثابتة على نبوته قد شهد بها علماء بنى اسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره من الذين أسلموا منهم واعترفوا أن نعته وصفته فى كتبهم مذكور وكان

مشركو قريش يذهبون الى اليهود يتعرفون منهم هذا الخبر من قرأ يكن بالتذكير و آية بالنصب على الخبر والاسم أن يعلمه فظاهر ومن قرأ تكن بالتأنيث وآية بالرفع على الاسم والخبر أن يعلمه فقيل ليست بقوية لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا ويمكن أن يجاب بأن الفعل المضارع مع أن ليس من المعارف الصريحة وقد توجه هذه القراءة بتقدير ضمير القصة في تكن وجملته آية أن يعلمه ولهم لغوا أو لهم آية وأن يعلمه بدل من آية قال جار الله انما كتب علموء بالواو على لغة من يميل الالف الى الواو ولذلك كتبت الصلوة والزكوة بالواو ثم أكد بقوله (ولو نزلناه) ما مر من آية لو نزله بالأعجمي فقرأه عليهم بعض الأعجمين لم يؤمنوا به لأنهم لم يكونوا يفهمونه وقال جار الله معناه ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدّى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك) أي مثل هذا السلك (سلكناه) في قلوبهم وقررناه فيها فعلى أيّ وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى تغييرهم عما هم عليه من الانكار والاصرار وقد سبق مثل هذه الآية في أول الحجر والحاصل أنهم لا يزالون على التكذيب حتى يعاينوا الوعيد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان اليأس احدى الراحتين قال في الكشاف ليس الفاء في قوله (فيأتيهم بغتة فيقولوا) لأجل ترادف العذاب ومفاجآته وسؤال النظرة وانما المعنى ترتيبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة نظيره قولك ان أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله لا تريد الترتيب في الوجود ولكن في الشدة قلت هذا في معنى صحيح ولكن لا مانع من ارادة الترتيب والتعذيب في الوجود يظهر بالتأمل ان شاء الله العزيز ثم نكرهم بقوله (أفبعذابنا يستعجلون) وفيه

يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾ يقول تعالى ذكره والشعراء يتبعهم أهل الغيّ لا أهل الرشاد والهدى * واختلف أهل التأويل في الذين وصفوا بالغيّ في هذا الموضع فقال بعضهم رواة الشعر ذكر من قال ذلك حدثني الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا اسحق بن منصور قال ثنا قيس عن يعلى عن عكرمة عن ابن عباس وحدثني أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن قيس وحدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن يعلى بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس والشعراء يتبعهم الغاوون قال الرواة * وقال آخرون هم الشياطين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الشياطين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبر عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يتبعهم الغاوون قال يتبعهم الشياطين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عكرمة في قوله والشعراء يتبعهم الغاوون قال عصاة الجن * وقال آخرون هم السفهاء وقالوا نزل ذلك في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر الآية قال كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين وانهما تهاجيا وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فقال الله والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والشعراء يتبعهم الغاوون قال كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين تهاجيا مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء * وقال آخرون هم ضلال الجن والانس ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والشعراء يتبعهم الغاوون قال هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله والشعراء يتبعهم الغاوون قال الغاوون المشركون * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه ان شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ومردة الشياطين وعصاة الجن وذلك أن الله عم بقوله والشعراء يتبعهم الغاوون فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية وقوله ألم تر أنهم في كل واد يهيمون يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد أنهم يعني الشعراء في كل واد يذهبون كالهائم على وجهه على غير قصد بل جائرا عن الحق وطريق الرشاد وقصد السبيل وانما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ألم تر أنهم

انكار وتهكم أى كيف يستعجل العذاب من لا طاقة له به حتى استمهل بعد أن كان من العمر فى مهلة وجوز فى الكشاف أن يكون يستعجلون حكاية حال ماضية يوبخون بها عند استنظارهم أو يكون متصلا بما بعده وذلك أنهم اعتقدوا العذاب غير كائن فلذلك استعجلوه

فى كل واد يهيمون يقول فى كل لغو يخوضون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى كل واد يهيمون قال فى كل فن يفتنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أنهم فى كل واد قال فن يهيمون قال يقولون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فى كل واد يهيمون قال يمدحون قوما بباطل ويشتمون قوما بباطل وقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون يقول وأن أكثر قيلهم باطل وكذب كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وأنهم يقولون ما لا يفعلون يقول أكثر قولهم يكذبون وعنى بذلك شعراء المشركين كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد قال رجل لابى يا أبا أسامة أرأيت قول الله جل ثناؤه والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فقال له أبى انما هذا لشعراء المشركين وليس شعراء المؤمنين ألا ترى أنه يقول الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخره فقال فرجت عنى يا أبا أسامة فرج الله عنك وقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهذا استثناء من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكر أن هذا الاستثناء نزل فى شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كحسان بن ثابت وكعب بن مالك ثم هو لكل من كان بالصفة التى وصفه الله بها وبالذى قلنا فى ذلك جاءت الاخبار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة وعلى بن مجاهد وابراهيم بن المختار عن ابن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى الحسن سالم البراد مولى تميم الدارى قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون قال جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر السورة فى حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك * قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة وطاوس قالا قال والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فنسخ من ذلك واستثنى فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ثم استثنى المؤمنين منهم يعنى الشعراء فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فذكر مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا قال هم الانصار الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن أبى حسن البراد قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة وقوله وذكروا الله كثيرا اختلف أهل التأويل فى حال الذكر الذى وصف الله به هؤلاء

وظنوا أنهم يتمتعون بأعمار طوال فى سلامة وأمن فأنكر الله عليهم استعجالهم الصادر عن الأشر والبطر والاستهزاء والاتكال على طول الأمل ثم قال هب أن الامر كما ظنوه من التمتع والتعمير فاذا لحقهم الوعيد أو الأجل أو القيامة هل ينفعهم ذلك عن ميمون بن مهران أنه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظنى فتلا عليه هذه الآية فقال له ميمون لقد وعظت فأبلغت ثم بين أنه ما أهلك قرية الا بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم وعلى هذا يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له ويجوز أن يكون مفعولا مطلقا لأنذر بمعنى التذكرة فان أنذر وذكر متقاربان أو حالا من الضمير فى منذرون أو مفعولا له متعلقا به أى ينذرونهم ذوى تذكرة أو لأجل الموعظة والتذكير أو التقدير هذه ذكرى فالجملة اعتراض ويجوز أن يكون صفة لمنذرون على حذف المضاف أى ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لبلوغهم فى التذكرة أقصى غاياتها والبحث عن وجود الواو وعدمه فى مثل هذا التركيب قدمر فى أول الحجر فى قوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم الا أنا نذكر ههنا سبب تخصيص تلك الآية بالواو وهذه بعدم الواو فنقول لا ريب أن الواو تفيد مزيد الربط والاجتماع فى الحال وفى الوصف ان جوزناه فسواء قدرنا الجملتين أعنى قوله ولها كتاب معلوم وقوله لها منذرون حالا أو وصفا فالمقام يقتضى ورود النسق على ما ورد وذلك أن قوله ولها كتاب صفة لازمة للقرية فان الكتب فى اللوح وصف أزلى فناسب أن يكون فى اللفظ ما يدل على اللزوم واللصوق وهو الواو ثم زيد فى التأكيد بقوله

معلوم وبقوله ما تسبق وهذا بخلاف قوله لهـا منذرون فانها صفة حادثة فأطلقت وجود صدر الجملة عن الواو لذلك والله أعلم ثم انه لما احتج على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بكون القرآن (٨٠) معجزا منزلا من رب العالمين مشتملا على معانى كتب الأولين وكان الكفار يقولون

المستثنين من الشعراء فقال بعضهم هى حال منطقهم ومحاورتهم الناس قالوا معنى الكلام وذكروا الله كثيرا فى كلامهم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا فى كلامهم * وقال آخرون بل ذلك فى شعرهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وذكروا الله كثيرا قال ذكروا الله فى شعرهم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال فى كتابه ولا على لسان رسوله فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا فى كل أحوالهم وقوله وانتصروا من بعد ما ظلموا يقول وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما بشعرهم وهجائهم اياهم واجابتهم عما هجوهم به * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وانتصروا من بعد ما ظلموا قال يردّون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانتصروا من المشركين من بعد ما ظلموا وقيل عنى بذلك كله الرهط الذين ذكرت ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا على بن مجاهد وابراهيم بن المختار عن ابن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى الحسن سالم البراد مولى تميم الدارى قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى النبى صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن ابى حسن البراد قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون ثم ذكر نحوه حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وانتصروا من بعد ما ظلموا قال عبد الله بن رواحة وأصحابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وانتصروا من بعد ما ظلموا قال عبد الله بن رواحة وقوله وسيعلم الذين ظلموا يقول تعالى ذكره وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة أىّ منقلب ينقلبون يقول أىّ مرجع يرجعون اليه وأىّ معاد يعودون اليه بعد مماتهم فانهم يصيرون الى نار لا يطفأ سعيرها ولا يسكن لهبها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة وعلى ابن مجاهد وابراهيم بن المختار عن ابن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى الحسن سالم البراد مولى تميم الدارى وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون يعنى أهل مكة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون قال وسيعلم الذين ظلموا من المشركين أىّ منقلب ينقلبون

(آخر تفسير سورة الشعراء)

انه من القاء الجن كحال الكهنة أراد أن يزيل شبهتهم بقوله (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم) التنزل بالوحى (وما يستطيعون) ثم بين عدم اقتدارهم بقوله (انهم عن السمع) أى عن سماع كلام أهل السماء (لمعزولون) وذلك بواسطة رجم الشهب كما أخبر عنه الصادق والمعجزات يتساند بعضها ببعض ولو فرض أنهم غير مرجومين بالشهب فالعقل يدل على أن الاهتمام بشأن الصديق أقوى منه بشأن العدو وكان محمد صلى الله عليه وسلم يلعن الشياطين ويأمر الناس بلعنهم فلو كان الغيب بالقاء الشياطين لكان الكفار أولى بأن يحصل لهم ذلك وحين أثبت حقية القرآن أمر نبيه بجوامع مكارم الأخلاق ومحاسن العادات قائلا (فلا تدع) والمراد أمته كما مر فى نظائره من قوله ولئن اتبعت أهواءهم وغير ذلك (وأنذر عشيرتك الاقربين) فيه أن الاهتمام بشأن من هو أقرب الى المرء أولى وفيه أنه يجب أن لا يأخذه فى باب التبليغ ما يأخذ القريب للقريب من المساهلة ولين الجانب يروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الاية صعد الصفا فنادى الأقرب فالأقرب فخذا فخذا وقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف يا عباس عم النبى يا صفية عمة رسول الله انى لا أملك لكم من الله شيأ سلونى من المال ما شئتم وروى أنه جمع بنى عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة فأكلوا وشربوا حتى شبعوا ثم أنذرهم فقال يا بنى عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقىّ قالوا نعم قال فانى نذير

لكم بين يدي عذاب شديد قوله (واخفض جناحك) قدمر تفسيره في آخر الحجر وفي سبحان وزادههنا (لمن اتبعك) كيلا يذهب الوهم الى أن خفض الجناح وهو التواضع ولين الجانب مختص بالمؤمنين من عشيرته وانما (٨١) لم يقتصر على قوله لمن اتبعك لان كثيرا منهم كانوا يتبعونه للقرابة والنسب لا للدين وقال في الكشاف سبب الجمع بين اللفظين هو أنه سماهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك أو أراد بالمؤمنين المصدقين بالالسنة فزاد قوله لمن اتبعك ليخرج من صدق باللسان دون الجنان أو صدق بهما ولم يتبعه في العمل وحين أمره بالتواضع لاهل الاخلاص في الايمان أمره بالتبرئة من أرباب العصيان فاستدل الجبائي به على أن الله تعالى أيضا بريء من عملهم فكيف يكون فاعلاله وأجيب بأنه ان أراد ببراءة الله أنه ما أمر بها فمسلم وان أراد أنه لا يريدها فممنوع لانتهاء جميع الحوادث الى ارادته ضرورة قوله (وتوكل) معطوف على قوله فلا تدع أو على قوله فقل أمره بتفويض الامر في دفع أعاديه الى العزيز الذي يقهر من ناوأ أولياءه الرحيم الذي لا يخذل من ينصر دينه قال بعض العلماء المتوكل من ان دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما فيه معصية الله عز وجل ولو وقع في محنة واستعان في دفعها ببعض المخلوقين لم يخرج من حد المتوكلين ثم عدد مواجب الرحمة وهي رؤيته قيامه وتقلبه في الساجدين أي في المصلين وللمفسرين فيه وجوه منها ما روى انه حين نسخ فرض التهجد طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه حرصا عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات فوجدها كبيوت الزنابير ذكرا وتلاوة فالمراد بتقلبه في الساجدين تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم كيف يعملون لآخرتهم ومنها أن المراد تصرفه فيما بين المؤمنين به بالقيام والركوع والسجود والقعود وروى عن مقاتل أنه استدل به على وجود فضل

﴿ تفسير سورة النمل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ * قال ابو جعفر وقد بينا القول فيما مضى من كتابنا هذا فيما كان من حروف المعجم في فواتح السور فقوله طس من ذلك وقد روى عن ابن عباس أن قوله طس قسم أقسمه الله هو من أسماء الله حدثني علي بن داود قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فالواجب على هذا القول أن يكون معناه والسميع اللطيف ان هذه الآيات التي أنزلتها اليك يا محمد لآيات القرآن وآيات كتاب مبين يقول يبين لمن تدبره وفكر فيه بفهم أنه من عند الله أنزله اليك لم تتخرصه أنت ولم تتقوله ولا أحد سواك من خلق الله لأنه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثله ولو تظاهر عليه الجن والانس وخفض قوله وكتاب مبين عطفا به على القرآن وقوله هدى من صفة القرآن يقول هذه آيات القرآن بيان من الله بين به طريق الحق وسبيل السلام وبشرى للمؤمنين يقول وبشارة لمن آمن به وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد وفي قوله هدى وبشرى وجهان من العربية الرفع على الابتداء بمعنى هو هدى وبشرى والنصب على القطع من آيات القرآن فيكون معناه تلك آيات القرآن الهدى والبشرى للمؤمنين ثم أسقطت الالف واللام من الهدى والبشرى فصارا نكرة وهما صفة للمعرفة فنصبا وقوله الذين يقيمون الصلاة يقول هو هدى وبشرى لمن آمن بها وأقام الصلاة المفروضة بحدودها وقوله ويؤتون الزكاة يقول ويؤدون الزكاة المفروضة وقيل معناه ويطهرون أجسادهم من دنس المعاصي وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وهم بالآخرة هم يوقنون يقول وهم مع اقامتهم الصلاة وايتائهم الزكاة الواجبة بالمعاد الى الله بعد الممات يوقنون فيذلون في طاعة الله رجاء جزيل ثوابه وخوف عظيم عقابه وليسوا كالذين يكذبون بالبعث ولا يبالون أحسنوا أم أساؤا أو أطاعوا أم عصوا لأنهم ان أحسنوا لم يرجوا ثوابا وان أساؤا لم يخافوا عقابا القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وقيام الساعة وبالمعاد الى الله بعد الممات والثواب والعقاب زينا لهم أعمالهم يقول حببنا اليهم قبيح أعمالهم وسهلنا ذلك عليهم فهم يعمهون يقول فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زيناها لهم يترددون حيارى يحسبون أنهم يحسنون وقوله أولئك الذين لهم سوء العذاب يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب في الدنيا وهم الذين قتلوا ببدر من مشركي قريش وهم في الآخرة هم الأخسرون يقول وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة والأوكسوها باشترائهم الضلالة بالهدى فخابت تجارتهم وما كانوا مهتدين القول في تأويل قوله تعالى ﴿وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار

صلاة الجماعة في القرآن ومنها أنه اشارة الى ما جاء في الحديث أتموا الركوع والسجود فوالله انى لأراكم من خلف ظهرى فالتقلب تقلب بصره فيمن يصلي خلفه وقيل أراد أنه لا يخفى علينا كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية أمور الدين وقد احتج بالآية علماء الشيعة على مذهبهم أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم (٨٣) لا يكونون كفارا قالوا أراد تقلب روحه من ساجد الى ساجد كما في الحديث المعتمد عليه عندهم لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وناقشهم أهل السنة في التأويل المذكور وفي صحة الحديث والاصوب عندى أن لا نشتغل بمنع أمثال هذه الدعوى ونسرح الى بقعة الامكان على أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول ثم أكد قوله وما تنزلت به الشياطين بقوله (هل أنبئكم على من تنزل) قال في الكشاف تقديره أعلى من تنزل ليكون الاستفهام في صدر الكلام كقولك أعلى زيد مررت قلت هذا تكلف بارد لان الاستفهام في من ضمني لا يصرح به قط والافاك الكثير الافك والاثيم مبالغة آثم وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح ومسيلمة وأمثالهما والضمير في (يلقون) عائد الى الشياطين كانوا قبل الرجم بالشهب يختطفون بعض الغيوب من الملا الأعلى بالقاء (السمع) أى بالاصغاء ثم يرجعون به الى أوليائهم (وأكثرهم كاذبون) لانهم يخلطون الحق المسموع بكلامهم الباطل كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقر الصب وقيل السمع بمعنى المسموع أى يلقي الشياطين الى أوليائهم ما يسمعونه من الملائكة ويحتمل أن يكون الضمير في يلقون للافاكين والسمع الاذن أو المسموع أى يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وانما لم يقل وكلهم كاذبون لان الكذوب قد يصدق فيصدق عليه أنه صادق في الجملة لان هذه عبارة الفصحاء لا يحكمون حكما كليا ما لم تدع اليه ضرورة والحاصل أنهم كانوا يقيسون حال النبي صلى الله عليه وسلم على حال الكهنة فقيل لهم ان الاغلب على الكهنة الكذب ولم يظهر من أحوال محمد صلى الله عليه وسلم الا الصدق

ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) يقول تعالى ذكره وانك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه من لدن حكيم عليم يقول من عند حكيم بتدبير خلقه عليم بأنباء خلقه ومصالحهم والكائن من أمورهم والماضي من أخبارهم والحادث منها اذ قال موسى واذ من صلة عليم ومعنى الكلام عليم حين قال موسى لاهله وهو في مسيره من مدين الى مصر وقد آذاهم برد ليلهم لما أصلد زنده انى آنست نارا أى أبصرت نارا أو أحسستها فامكثوا مكانكم سآتيكم منها بخبر يعني من النار والهاء والالف من ذكر النار أو آتيكم بشهاب قبس * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة بشهاب قبس باضافة الشهاب الى القبس وترك التنوين بمعنى أو آتيكم بشعلة نار أقتبسها منها وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة بشهاب قبس بتنوين الشهاب وترك اضافته الى القبس يعني أو آتيكم بشهاب مقتبس * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قرأة الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وكان بعض نحويي البصرة يقول اذا جعل القبس بدلا من الشهاب فالتنوين في الشهاب وان أضاف الشهاب الى القبس لم ينون الشهاب وقال بعض نحويي الكوفة اذا أضيف الشهاب الى القبس فهو بمنزلة قوله ولدار الآخرة مما يضاف الى نفسه اذا اختلف اسماه ولفظاه توهما بالثاني أنه غير الاول قال ومثله حبة الخضراء وليلة القمراء ويوم الخميس وما أشبهه وقال آخر منهم ان كان الشهاب هو القبس لم تجز الاضافة لان القبس نعت ولا يضاف الاسم الى نعته الا في قليل من الكلام وقد جاء ولدار الآخرة وللدار الآخرة والصواب من القول في ذلك أن الشهاب اذا أريد به أنه غير القبس فالقراءة فيه بالاضافة لان معنى الكلام حينئذ ما بينا من أنه شعلة قبس كما قال الشاعر

في كفه صعدة مثقفة * فيها سنان كشعلة القبس

واذا أريد بالشهاب أنه هو القبس أو أنه نعت له فالصواب في الشهاب التنوين لان الصحيح في كلام العرب ترك اضافة الاسم الى نعته والى نفسه بل الاضافات في كلامها المعروفة اضافة الشئ الى غير نفسه وغير نعته وقوله لعلكم تصطلون يقول كى تصطلوا بها من البرد وقوله فلما جاءها يقول فلما جاء موسى النار التى آنسها نودى أن بورك من في النار ومن حولها كما حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله نودى أن بورك من في النار يقول قدس * واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله من في النار فقال بعضهم عنى جل جلاله بذلك نفسه وهو الذى كان في النار وكانت النار نوره تعالى ذكره في قول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس في قوله فلما جاءها نودى أن بورك من في النار يعني نفسه قال كان نور رب العالمين في الشجرة حدثني اسمعيل بن الهيثم أبو العالية العبدى قال ثنا أبو قتيبة عن ورقاء عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير في قول الله بورك من في النار قال ناداه وهو في النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن في قوله نودى أن بورك من في النار ومن حولها قال هو النور * قال معمر قال قتادة بورك من في النار قال نور الله بورك * قال ثنا الحسين قال ثنى

فكيف يكون كاهنا ثم بين ما يعرف منه أن النبي ليس بشاعر كما أنه ليس بكاهن فقال (والشعراء يتبعهم الغاوون) قيل أي الشياطين والاظهر أنهم الذين يروون أشعارهم وكان شعراء قريش مثل عبدالله بن الزبعرى وأمية بن أبي الصلت يهجون النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون أهاجيهم فنزلت ثم بين غوايتهم بقوله (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) وهو تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول يمدحون انسانا معينا تارة ويذمونه أخرى غالين في كلا الطرفين مستعملين التخييل في كل ما يرومونه وذكر من قبائح خصالهم (أنهم يقولون) عند الطلب والدعاوى (ما لا يفعلون) ولعمري انها خصلة شنعاء تدل على الدناءة واللؤم

قالوا وما فعلوا وأين هم * من معشر فعلوا وما قالوا

وعن الفرزدق أن سليمن بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عني الحد يا أمير المؤمنين وتلا الآية ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين أغلب أحوالهم الذكر والفكر فيما لا بأس به من المواعظ والنصائح ومدح الحق وذويه ويكون هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم مثل عبدالله ابن رواحة وحسان بن ثابت وكعب ابن زهير كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان هاجهم وروح القدس معك والحاصل أن النظر في الشعر الى المعنى لا على مجرد النظم والروي فان كان المعنى صحيحا مطابقا للحق والصدق فلا بأس بادخاله في سلك النظم والقافية بل لعل النظم يروجه ويهيج الطبع على قبوله وهو الذي عناه صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وان كان المعنى فاسدا والغرض غير صحيح فهو الذي توجه الذم اليه وللانتصار حد معلوم وهو أن لا يزيد على الجواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يتعدى المظلوم ثم ختم السورة بآية جامعة للوعيد كله فقال (وسيعلم الذين ظلموا) خصصه بعضهم

ثني حجاج عن ابن جريج قال قال الحسن البصري بورك من في النار (١) * وقال آخرون بل معنى ذلك بوركت النار ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الأشيب قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نودي أن بورك من في النار بوركت النار كذلك قال ابن عباس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أن بورك من في النار قال بوركت النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد بورك من في النار قال بوركت النار حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا مكي بن ابراهيم قال ثنا موسى عن محمد بن كعب في قوله أن بورك من في النار نور الرحمن والنور هو الله وسبحان الله رب العالمين * واختلف أهل التأويل في معنى النار في هذا الموضع فقال بعضهم معناه النور كما ذكرت عمن ذكرت ذلك عنه * وقال آخرون معناه النار لا النور ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن سعيد بن جبير أنه قال حجاب العزة وحجاب الملك وحجاب السلطان وحجاب النار وهي تلك النار التي نودي منها قال وحجاب النور وحجاب الغمام وحجاب الماء وانما قيل بورك من في النار ولم يقل بورك فيمن في النار على لغة الذين يقولون باركك الله والعرب تقول باركك الله وبارك فيك * وقوله ومن حولها يقول ومن حول النار وقيل عني بمن حولها الملائكة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومن حولها قال يعني الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن الحسن مثله * وقال آخرون هو موسى والملائكة حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا مكي بن ابراهيم قال ثنا موسى عن محمد بن كعب ومن حولها قال موسى النبي والملائكة ثم قال يا موسى اني أنا الله العزيز الحكيم وقوله وسبحان الله رب العالمين يقول وتنزيها لله رب العالمين مما يصفه به الظالمون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لموسى انه أنا الله العزيز في نقمته من أعدائه الحكيم في تدبيره في خلقه والهاء التي في قوله انه هاء عماد وهو اسم لا يظهر في قول بعض أهل العربية وقال بعض نحويي الكوفة يقول هي الهاء المجهولة ومعناها ان الأمر والشأن أنا الله وقوله وألق عصاك فلما رآها تهتز في الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ذكر عما حذف وهو فألقاها فصارت حية تهتز فلما رآها تهتز كأنها جان يقول كأنها حية عظيمة والجان جنس من الحيات معروف وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان قال حين تحولت حية تسعى وهذا الجنس من الحيات عنى الراجز بقوله

(١) أي واقرأ تمام الحديث قبله وهو قال النور وكثيرا ما يجيء له مثل ذلك اختصارا فتنبه

بالشعراء اذا خرجوا عن حد الانصاف وما والى الجور والاعتساف ولعله عام يتناول لكل من ظلم نفسه بالاعراض عن تدبر ما فى هذه السورة بل القرآن كله وقوله (أى منقلب) صفة لمصدر محذوف والعامل (ينقلبون) أى ينقلبون فى الدركات السفلى انقلابا أى منقلب ولا يعمل فيه يعلم لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله (٨٤) وعن ابن عباس أنه قرأه بالفاء والتاء والمراد سيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة

يرفعن بالليل اذا ما أسدفا * أعناق جنان وهاما رجفا * وعنقا نافى الرسيم خيطفا

وقوله ولى مدبرا يقول تعالى ذكره ولى موسى هاربا خوفا منها ولم يعقب يقول ولم يرجع من قولهم عقب فلان اذا رجع على عقبه الى حيث بدأ * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولم يعقب قال لم يرجع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال لم يلتفت حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولم يعقب قال لم يرجع يا موسى قال لما ألقى العصا صارت حية فرعب منها وجزع فقال الله انى لا يخاف لدى المرسلون قال فلم يرعو لذلك قال فقال الله له أقبل ولا تخف انك من الآمنين قال فلم يقف أيضا على شئ من هذا حتى قال سنعيدها سيرتها الاولى قال فالتفت فاذا هى عصا كما كانت فرجع فأخذها ثم قوى بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها وقوله يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم يقول تعالى ذكره فناداه ربه يا موسى لا تخف من هذه الحية انى لا يخاف لدى المرسلون يقول انى لا يخاف عندى رسلى وأنبيائى الذين أختصهم بالنبوة الا من ظلم منهم فعمل بغير الذى أذن له فى العمل به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قوله يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون قال لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يأخذه منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الله الفزارى عن عبد الله بن المبارك عن أبى بكر عن الحسن قال قوله يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم قال انى انما أخفتك لقتلك النفس قال وقال الحسن كانت الانبياء تذنب فتعاقب * واختلف أهل العربية فى وجه دخول الا فى هذا الموضع وهو استثناء مع وعد الله الغفران المستثنى من قوله انى لا يخاف لدى المرسلون بقوله فانى غفور رحيم وحكم الاستثناء أن يكون ما بعده بخلاف معنى ما قبله وذلك أن يكون ما بعده ان كان ما قبله منفيا مثبتا كقوله ما قام الا زيد فزيد مثبت له القيام لانه مستثنى مما قبل الا وما قبل الا منفى عنه القيام وأن يكون ما بعده ان كان ما قبله مثبتا منفيا كقولهم قام القوم الا زيدا فزيد منفى عنه القيام ومعناه ان زيدا لم يقم والقوم مثبت لهم القيام والا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فقد أمنه الله بوعده الغفران والرحمة وأدخله فى عداد من لا يخاف لديه من المرسلين فقال بعض نحويى البصرة أدخلت الا فى هذا الموضع لان الا تدخل فى مثل هذا الكلام كمثل قول العرب ما أشتكى الا خيرا فلم يجعل قوله الا خيرا على الشكوى ولكنه علم أنه اذا قال ما اشتكى شيأ أنه يذكر عن نفسه خيرا كأنه قال ما أذكر الا خيرا وقال بعض نحويى الكوفة يقول القائل كيف صير خائفا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء وهو مغفور له فأقول له فى هذه الآية وجهان أحدهما أن يقول ان الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو فهذا وجه والآخر أن يجعل الاستثناء

التأويل ولو نزلناه على بعض الأعجميين فيه اظهار القدرة من وجهين الاول جعل الأعجمى بحيث يقرأ العربى عليهم كقول القائل أمسيت كرديا وأصبحت عربيا والثانى أن أهل الانكار لا يصيرون أهل الاقرار ولو أتاهم مثل هذا الاعجاز البين وذلك لأن الله كذلك يسلكه فى قلوبهم فيأتيهم عذاب البعد والطرد فى الدنيا بغتة وهم لا يشعرون لأنهم نيام فاذا ماتوا انتبهوا فيقولون هل نحن منظرون وما ينبغى لهم وما يستطيعون لانهم خلقوا من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة قوة حمل النور القديم ولهذا تستغيث النار من نور المؤمن وتقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى فتكون من المعذبين لان كل من طلب مع الله شيأ آخر حتى الجنة فله عذاب البعد والحرمان من الله وأنذر عشيرتك فيه أن النسب نسب النفوس فان أكل المرء يشبعه ولا يشبع ولده الا اذا أكل الطعام كما كل والده وهذا معنى المتابعة انى برىء مما تعملون لم يقل انى برىء منكم لان المراد لا تبرأ منهم وقل لهم قولا جميلا بالنصح والموعظة الحسنة حتى يرجعوا ببركة دعوتك الى القول الحق أو ينالوا الجنة بواسطة شفاعتك وتقلبك فى الساجدين بأن خلق روح كل ساجد من روحك انه هو السميع فى الازل مقالتك أنا سيد ولد آدم ولا فخر لأن أرواحهم خلقت من روحك العليم باستحقاقك لهذه الكرامة الله تعالى حسبى

﴿سورة النمل مكية حروفها أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون كلمها ألف ومائة وتسعة آياتها ثلاث وتسعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين

الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن (٨٥) حولها وسبحان الله رب العالمين ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾

من الذين تركوا فى الكلمة لان المعنى لايخاف لدى المرسلون انما الخوف على من سواهم ثم استثنى فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا يقول كان مشركا فتاب من الشرك وعمل حسنا فذلك مغفور له وليس يخاف قال وقد قال بعض النحويين ان الا فى اللغة بمنزلة الواو وانما معنى هذه الآية لايخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا قال وجعلوا مثله كقول الله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم قال ولم أجد العربية تحتمل ما قالوا لانى لا أجيز قام الناس الا عبد الله وعبد الله قائم انما معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذى بعد الا من معنى الاسماء التى قبل الا وقد أراه جائزا أن يقول لى عليك ألف سوى ألف آخر فان وضعت الا فى هذا الموضع صلحت وكانت الا فى تأويل ما قالوا فأما مجردة قد استثنى قليلها من كثيرها فلا ولكن مثله مما يكون معنى الا كمعنى الواو وليست بها قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك هو فى المعنى والذى شاء ربك من الزيادة فلا تجعل الا بمنزلة الواو ولكن بمنزلة سوى فاذا كانت سوى فى موضع الا صلحت بمعنى الواو لانك تقول عندى مال كثير سوى هذا أى وهذا عندى كأنك قلت عندى مال كثير وهذا أيضا عندى وهو فى سوى أبعد منه فى الا لانك تقول عندى سوى هذا ولا تقول عندى الا هذا * قال ابو جعفر والصواب من القول فى قوله الا من ظلم ثم بدل عندى غير ما قاله هؤلاء الذين حكينا قولهم من أهل العربية بل هو القول الذى قاله الحسن البصرى وابن جريج ومن قال قولهما وهو أن قوله الا من ظلم استثناء صحيح من قوله لايخاف لدى المرسلون الا من ظلم منهم فأتى ذنبا فانه خائف لديه من عقوبته وقد بين الحسن رحمه الله معنى قيل الله لموسى ذلك وهو قوله قال انى انما أخفتك لقتلك النفس فان قال قائل فما وجه قيله ان كان قوله الا من ظلم استثناء صحيحا وخارجا من عداد من لايخاف لديه من المرسلين وكيف يكون خائفا من كان قد وعد الغفران والرحمة قيل ان قوله ثم بدل حسنا بعد سوء كلام آخر بعد الاول وقد تناهى الخبر عن الرسل من ظلم منهم ومن لم يظلم عند قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عمن ظلم من الرسل وسائر الناس غيرهم وقيل فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى له غفور رحيم فان قال قائل فعلام تعطف ان كان الأمر كما قلت بثم ان لم يكن عطفا على قوله ظلم قيل على متروك استغنى بدلالة قوله ثم بدل حسنا بعد سوء عليه عن اظهاره اذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره وهو فمن ظلم من الخلق وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية فقد قالوا على مذهب العربية غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة وحملوها على غير وجهها من التأويل وانما ينبغى أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل ويلتمس له على ذلك الوجه للاعراب فى الصحة مخرج لا على احالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل وقوله ثم بدل حسنا بعد سوء يقول تعالى ذكره فمن أتى ظلما من خلق الله وركب مأثما ثم بدل حسنا يقول ثم تاب من ظلمه ذلك وركوبه المأثم فانى غفور يقول فانى ساتر على ذنبه وظلمه ذلك بعفوى عنه وترك عقوبته عليه رحيم به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بضده * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

﴿القراآت﴾ انى آنست بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بشهاب منونا على أن قبسا وهو بمعنى مقبوس بدل أو صفة عاصم وحمزة وعلى وخلف ورويس الباقون بالاضافة من فى النار ممالة على غير ليث وأبى حمدون وحمدويه وحمزة وفى رواية ابن سعدان والنجارى عن ورش وأبو عمرو غير ابراهيم بن حماد وكذلك فى القصص ﴿الوقوف﴾ طس ه مبين ه لا بناء على أن هدى حال والعامل معنى الاشارة فى تلك أوهو مرفوع بدلا من الآيات أوخبرا بعد خبر وان كان التقدير هى هدى به فلك الوقف للمؤمنين ه لا لأن الذين صفتهم يوقنون ه يعمهون ه ط تنصيصا على أن أولئك مبتدأ مستأنف الأخسرون ه عليم ه نارا ط تصطلون ه حولها ط العالمين ه الحكيم ه لا لعطف الجملتين الداخلتين تحت النداء عصاك ط للعدول عن بيان حال الخطاب الى ذكر حال المخاطب مع حذف أى فالقاها فحييت ولم يعقب ط لابتداء النداء المرسلون ه لا لان الا ان كان بمعنى لكن فالاستدراك يوجب الوصل أيضا رحيم ه وقومه ط فاسقين ه مبين ج ه للآية والعطف وعلوا ط لاختلاف الجملتين وتعظيم الامر بالاعتبار بعد حذف أى

فأغرقناهم المفسدين ٥ ۞ التفسير تلك الآيات التي تضمنتها هذه السورة آيات القرآن الذي علم أنه منزل مبارك مصدق لما بين يديه وكتاب مبين فان أريد به اللوح فآياته أنه أثبت فيه كل كائن وان أريد به السورة أو القرآن فالغرض تفخيم شأنهما من قبل التنكير فآياتهما أن اعجازهما ظاهر مكشوف وفيهما من العلوم والحكم مالا يخفى ولان الواو لا تفيد الترتيب فلا حكمة ظاهرة في عكس الترتيب بين ماههنا و بين مافي أول الحجر ومعنى كون الآيات هدى و بشرى أنها تزيد في ايمانهم وتبشرهم بالثواب قال جار الله يحتمل أن يكون قوله و بالآخرة هم يوقنون من تمة الموصول الا أن الأوجه أن يكون جملة مستقلة ابتدائية شبيهة بالمعترضة بدليل تكرير المبتدا الذي هو هم فكأنه قيل وما يؤمن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة هو الذي يسهل عليهم متاعب التكاليف وأقول انه وصفهم بالايمان ليكون اشارة الى معرفتهم المبتدأ ثم وصفهم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهما الطاعة بالنفس والمال وهذه اشارة الى وسط ثم وصفهم بمعرفة المعاد فلا أحسن من هذا النسق وفيه أن المهتدي بالقرآن حقيقة هو الذي يكون موقنا بأحوال المعاد لا شاكا فيها آتيا بالطاعات للاحتياط قائلا ان كنت مصيبا فيها فقد نلت السعادة وان كنت مخطئا فلم تفتني الا لذات يسيرة زائلة ثم أورد وعيد المنكرين للمعاد واسناد تزيين الاعمال الى الله ظاهر على قول الاشاعرة وأما المعتزلة فتأولوه بوجوه منها أنه استعارة فكأنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا ذلك التمتع ذريعة الى اتباع الشهوات وايثار اللذات فقد زين لهم بذلك أعمالهم ومنها أنه مجاز حكمي وهو الذي يصححه بعض الملابسات ولا ريب أن امهال الشيطان وتخليته حتى الآيات
زين لهم أعمالهم كما قال وزين لهم الشيطان أعمالهم ملابسة ظاهرة للتزيين ومنها أنه أراد زينا لهم أمر الدين ولا يلزمهم أن يتمسكوا به وذلك بأن بينا لهم حسنه وما لهم فيه من الثواب (فهم يعمهون) يعدلون و يتحيرون عما زينا لهم قاله الحسن (لهم سوء العذاب) أي القتل والاسر

قوله الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء ثم تاب من بعد اساءته فاني غفور رحيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لنبيه موسى وأدخل يدك في جيبك ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه في جيبه وانما أمره بادخاله في جيبه لان الذي كان عليه يومئذ مدرعة من صوف قال بعضهم لم يكن لها كم وقال بعضهم كان كمها الى بعض يده ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأدخل يدك في جيبك قال الكف فقط في جيبك قال كانت مدرعة الى بعض يده ولو كان لها كم أمره أن يدخل يده في كمه * قال ثنى حجاج عن يونس بن أبي اسحق عن أبيه عن عمرو بن ميمون قال قال ابن مسعود ان موسى أتى فرعون حين أتاه في ذونانقة يعني جبة صوف وقوله تخرج بيضاء يقول تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى من غير سوء يقول من غير برص في تسع آيات يقول تعالى ذكره أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فهي آية في تسع آيات مرسل أنت بهن الى فرعون وترك ذكر مرسل لدلالة قوله الى فرعون وقومه على أن ذلك معناه كما قال الشاعر

رأتني بحبليها فصدت مخافة * وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق

ومعنى الكلام رأتني مقبلا بحبليها فترك ذكر مقبل استغناء بمعرفة السامعين معناه في ذلك اذ قال رأتني بحبليها ونظائر ذلك في كلام العرب كثيرة والآيات التسع هن الآيات التي بيناهن فيما مضى وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تسع آيات الى فرعون وقومه قال هي التي ذكر الله في القرآن العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والطوفان والدم والحجر والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم وقوله انهم كانوا قوما فاسقين يقول ان فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين يعني كافرين بالله وقد بينا معنى الفسق فيما مضى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا يعني أدلتنا وحججنا على حقيقة ما دعاهم اليه موسى وصحته وهي الآيات التسع التي ذكرناها قبل وقوله مبصرة يقول يبصر بها من نظر اليها ورآها حقيقة ما دلت عليه * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قال بينة قالوا هذا سحر مبين يقول قال فرعون وقومه هذا الذي جاءنا به موسى سحر مبين يقول يبين للناظرين له أنه سحر وقوله و جحدوا بها يقول وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجحدوا بها قال الجحود التكذيب بها وقوله واستيقنتها أنفسهم يقول وأيقنتها قلوبهم وعلموا يقينا أنها من عند الله فعاندوا بعد تبينهم الحق ومعرفتهم به كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس واستيقنتها أنفسهم قال يقينهم في قلوبهم حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا قال استيقنوا أن

الآيات من الله حق فلم يجحدوا بها قال ظلما وعلوا وقوله ظلما وعلوا يعني بالظلم الاعتداء والعلو الكبر كأنه قيل اعتداء وتكبرا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ظلما وعلوا قال تعظما واستكبارا ومعنى ذلك وجحدوا بالآيات التسع ظلما وعلوا واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله فعاندوا الحق بعد وضوحه لهم فهو من المؤخر الذي معناه التقديم وقوله فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة وماذا حل بهم من افسادهم في الارض ومعصيتهم فيها ربهم وأعقبهم ما فعلوا فان ذلك أخرجهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم الى هلاكهم في العاجل بالغرق وفي الآجل الى عذاب دائم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون يقول وكذلك يا محمد سنتي في الذين كذبوا بما جئتهم به من الآيات على حقيقة ما تدعوهم اليه من الحق من قومك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا داود وسليمان علما وذلك علم كلام الطير والدواب وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يقول جل ثناؤه وقال داود وسليمن الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتاناه دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده من المؤمنين به في دهرنا هذا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وورث سليمن داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين﴾ يقول تعالى ذكره وورث سليمن أباه داود العلم الذي كان آتاه الله في حياته والملك الذي كان خصه به على سائر قومه فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير يقول وقال سليمن لقومه يا أيها الناس علمنا منطق الطير يعني فهمنا كلامها وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم اذ فهمه عنها وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير قال بلغنا أن سليمن كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة صريحة وسبعمائة سرية فأمر الريح العاصف فرفعته وأمر الرخاء فسيرته فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء الا جاءت الريح فأخبرته وقوله وأوتينا من كل شيء يقول وأعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات ان هذا لهو الفضل المبين يقول ان هذا الذي أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين يقول الذي يبين لمن تأمله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون﴾ يقول تعالى ذكره وجمع لسليمن جنوده من الجن والانس والطير في مسيرهم فهم يوزعون * واختلف أهل التأويل في معنى قوله فهم يوزعون فقال بعضهم معنى ذلك فهم يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

كيوم بدر ثم مهد مقدمة لما سيذكر في السورة من الأخبار العجيبة فقال (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه من عند أي حكيم وأي عليم و (اذ قال) منصوب بعليم أو باذكر كأنه قيل خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى العجيبة الشأن والخبر خبر الطريق لانه كان قد ضله وفي قوله (سآتيكم) مع قوله في طه والقصص لعلي آتيكم دليل على أنه كان قوي الرجاء الا أنه كان يجوز النقيض وعد أهله بأنه يأتيهم بأحد الامرين وان أبطأ لبعد المسافة أو غيره قالوا في أو دليل على أنه جزم بوجدان أحد الامرين ثقة بعناية الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده والاصطلاء بالنار الاستدفاء بها والاجتماع عليها وانما خصت هذه السورة بقوله (فلما جاءها) وقد قال في طه والقصص فلما أتاها (نودي) لأنه كرر لفظ آتيكم ههنا بخلاف السورتين فاحترز من تكرار ما يقاربه في الاشتقاق مرة أخرى و (أن) مفسرة لأن النداء فيه معنى القول لا مخففة من الثقيلة بدليل فقدان قد في فعلها قال جار الله معنى (بورك من في النار) بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت النار فيها كما قال في القصص نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة وسبب البركة حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله اياه واظهار المعجزات عليه وقيل معنى بورك تبارك والنار بمعنى النور أي تبارك من في النار وهو الله سبحانه مروي عن ابن عباس وعن قتادة والزجاج أن من في النار هو نور الله ومن حولها الملائكة وقال الجبائي ناداه بكلام سمعه من الشجرة في البقعة المباركة وهي الشأم فكانت الشجرة محلا للكلام والمتكلم هو الله بأن خلقه فيها ثم ان الشجرة كانت في النار ومن حولها الملائكة وقيل من في النار هو موسى لقربه منها ومن حولها الملائكة وفي الابتداء بهذا الخطاب عند مجيء موسى بشارة له بأنه قد قضي أمر عظيم تنتشر منه البركة في أرض الشأم وفي قوله (وسبحان الله رب العالمين) تنزيه له عما لا يليق بذاته من الحدوث والحلول ونحوهما مما هو من خواص المحدثات وتنبيه على أن الكائن من جلائل الامور التي لا يقدر عليها الا رب العالمين والهاء في (انه) اما للشأن واما راجع الى ما دل عليه سياق الكلام أي ان المتكلم (انا) وعلى هذا

فالله مع وصفيه بيان لانا وفيه تلويح الى ما اراد اظهاره عليه يريد أنا القادر القوى على اظهار الخوارق الحكيم الذى لا يفعل جزافا ولا عبثا وقوله (وألق عصاك) معطوف على بورك وكلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك وألق ومعنى (لم يعقب) لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اقتصر ههنا على قوله (لا تخف) (٨٨) ولم يضف اليه أقبل كما فى القصص لأنه أراد أن يبنى عليه قوله (انى لا يخاف لدى

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال جعل على كل صنف من يرد أولاها على أخراها لئلا يتقدموا فى المسير كما تصنع الملوك حدثنا القاسم قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فى قوله وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون قال يرد أولهم على آخرهم * وقال آخرون معنى ذلك فهم يساقون ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون قال يوزعون يساقون * وقال آخرون بل معناه فهم يتقدمون ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال الحسن يوزعون يتقدمون * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال معناه يرد أولهم على آخرهم وذلك أن الوازع فى كلام العرب هو الكاف يقال منه وزع فلان فلانا عن الظلم اذا كفه عنه كما قال الشاعر

ألم يزع الهوى اذ لم يوات * بلى وسلوت عن طلب الفتاة

(وقال الآخر)

على حين عاتبت المشيب على الصبا * وقلت ألما أصح والشيب وازع

وانما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والامراء وزعة لكفهم اياهم عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون) يعنى تعالى ذكره بقوله حتى اذا أتوا على وادى النمل حتى اذا أتى سليمن وجنوده على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده يقول لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون يقول وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا سفيان عن الاعمش عن رجل يقال له الحكم عن عوف فى قوله قالت نملة يا أيها النمل قال كان نمل سليمن بن داود مثل الذباب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) يقول تعالى ذكره فتبسم سليمن ضاحكا من قول النملة التى قالت ما قالت وقال رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى أنعمت على يعنى بقوله أوزعنى ألهمنى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك يقول اجعلنى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على قال فى كلام العرب تقول أوزع فلان بفلان يقول حرض عليه وقال ابن زيد أوزعنى ألهمنى وحرضنى على أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وقوله وأن أعمل صالحا ترضاه يقول وأوزعنى أن أعمل بطاعتك وما ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين يقول وأدخلنى برحمتك مع عبادك الصالحين الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك يقول أدخلنى من الجنة

المرسلون) وسبب نفى الخوف عن الرسل مشاهدة مزيد فضل الله وعنايته فى حقهم ثم استثنى من ظلم منهم بترك ما هو أولى به وقد مر بحث عصمة الأنبياء فى أول البقرة وفى الآية لطائف واشارات منها أنه اشار بقوله انى لا يخاف لدى المرسلون الى أن موسى قد جعل رسولا ومنها أنه أشار بقوله الا من ظلم الى ما وجد من موسى فى حق القبطى وبقوله ثم بدل حسنا بعد سوء أى توبة بعد ذنب الى قول موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى وقرئ ألا بحرف التنبيه ومنها أنه أشار بقوله ثم بدل معطوفا على ظلم الى أن النبى المرسل بدل النية ولم يصر على فعله والا كان هذا العطف مقطوعا عن الكلام ضائعا فانه اذا ظلم ولم يبدل كان خائفا أيضا ومنها أنه أشار بقوله (فانى غفور رحيم) الى أن الخوف وان لحق المستثنى الا أنه منفى عنه أيضا بسبب غفرانه ورحمته فنفى الخوف ثابت على كل حال فهذا الاستثناء قريب من تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله

* هو البدر الا أنه البحر زاخر *

وكقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب

وهذه اللطائف مما سمح بها الخاطر اوان الكتابة أرجو أن تكون صوابا ان شاء العزيز قوله (وأدخل يدك) وفى القصص اسلك يدك

موافقة لاضمم ولان المبالغة فى أدخل أكثر منها فى اسلك لان سلك لازم ومتعد وهنالك قال فذانك برهانان مداخلهم وههنا قال فى تسع آيات وكان أبلغ فى العدد فناسب الأبلغ فى اللفظ قال النحويون متعلق الجار محذوف مستأنف أى اذهب فى تسع آيات أو المراد وأدخل يدك فى تسع أى فى جملتهن وعدادهن اذهب الى فرعون وتفسير التسع قد مر فى آخر سبحان وانما قال ههنا الى فرعون

مداخلهم * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين قال مع عبادك الصالحين الانبياء والمؤمنين ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتفقد الطير فقال مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أولأذبحنه أوليأتينى بسلطان مبين﴾ يقول تعالى ذكره وتفقد سليمن الطير فقال مالى لاأرى الهدهد وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير ما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت عمران عن أبى مجلز قال جلس ابن عباس الى عبد الله بن سلام فسأله عن الهدهد لم تفقده سليمن من بين الطير فقال عبد الله بن سلام ان سليمن نزل منزلة فى مسيرله فلم يدر ما بعد الماء فقيل له من يعلم بعد الماء قالوا الهدهد فذاك حين تفقده حدثنا محمد قال ثنا يزيد قال ثنا عمران بن حدير عن أبى مجلز عن ابن عباس وعبد الله بن سلام بنحوه حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان سليمن بن داود يوضع له ستمائة كرسى ثم يجىء أشراف الانس فيجلسون مما يليه ثم تجىء أشراف الجن فيجلسون مما يلى الانس قال ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتحملهم قال فيسير فى الغداة الواحدة مسيرة شهر قال فبيناهو فى مسيره اذا احتاج الى الماء وهو فى فلاة من الارض قال فدعا الهدهد فجاءه فنقر الارض فيصيب موضع الماء قال ثم تجىء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب قال ثم يستخرجون الماء فقال له نافع بن الازرق قف ياوقاف أرأيت قولك الهدهد يجىء فينقر الأرض فيصيب الماء كيف يبصر هذا ولا يبصر الفخ يجىء حتى يقع فى عنقه قال فقال له ابن عباس ويحك ان القدر اذا جاء حال دون البصر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كان سليمن بن داود اذا خرج من بيته الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره حتى اذا كان ذات غداة فى بعض زمانه غدا الى مجلسه الذى كان يجلس فيه فتفقد الطير وكان فيما يزعمون يأتيه نوبا من كل صنف من الطير طائر فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره الا الهدهد فقال مالى لاأرى الهدهد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أوّل ما فقد سليمن الهدهد نزل بواد فسأل الانس عن مائه فقالوا انما نعلم له ماء فان يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجن فدعا الجن فسألهم فقالوا ما نعلم له ماء وان يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالطير فدعا الطير فسألهم فقالوا ما نعلم له ماء وان يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد فلم يجده قال فذاك أوّل ما فقد الهدهد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وتفقد الطير فقال مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين قال تفقد الهدهد من أجل أنه كان يدله على الماء اذا ركب وان سليمن ركب ذات يوم فقال أين الهدهد ليدلنا على الماء فلم يجده فمن أجل ذلك تفقده فقال ابن عباس ان الهدهد كان ينفعه الحذر ما لم يبلغه الاجل فلما بلغ الاجل لم ينفعه الحذر وحال القدر دون البصر فقد اختلف عبد الله بن سلام والقائلون بقوله ووهب بن منبه فقال عبد الله كان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه ليستخبره

وقومه دون أن يقول وملئه كما فى القصص لان الملأ أشراف القوم وقد وصفهم ههنا بقوله فلما جاءتهم الى قوله ظلما وعلوا فلم يناسب أن يطلق عليهم لفظ ينبئ عن المدح ومعنى (مبصرة) ظاهرة بينة كأنها تبصر بطباق العين فتهدى ويجوز أن يكون الابصار مجازا باعتبار ابصار صاحبها وهو كل ذى عقل أو فرعون وقومه والواو فى (واستيقنتها) للحال وقد مضمرة وفى زيادة (أنفسهم) اشارة الى أنهم أظهروا خلاف ما أبطنوا والاستيقان أبلغ من الايقان وقوله (ظلما وعلوا) أى كبرا وترفعا مفعول لاجلهما وقرئ مبصرة بفتح الميم نحو مبخلة قرأها على بن الحسين وقتادة والله أعلم ❁ التأويل طا طلب الطالبين وسين سلامة قلوبهم من تعلقات غير الله تلك دلالات القرآن وشواهد أنواره وكتاب مبين فيه بيان كيفية السلوك ولذلك قال هدى وبشرى للمؤمنين بالوصول الى الله الذين يستقيمون فى المعارج لحقائق الصلوات ويؤتون الزكاة أموالهم وأحوالهم بالاضافة على المستحقين زينا لهم أعمالهم الدنيوية النفسانية فهم يعمهون لعمى قلوبهم عن رؤية الآخرة ونعيمها ولايكون فى عالم الآخرة أعمى الا كان أصم وأبكم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حبك للشئ يعمى ويصم فبحب الدنيا عميت عين القلب وصمت أذنه وصار أبكم عن العلم اللدنى والنطق به وهو سوء العذاب وهو الموجب لخسران الدارين مع خسران المولى وانما يكون خسران الدارين ممدوحا اذا ربح المولى وجد أبو زيد فى البادية خفا مكتوبا عليه خسر الدنيا والآخرة فبكى وقبله وقال هذا رأس صوفى وحين أخبر عن مقامات المؤمنين ودركات الكافرين أخبر عن مقام النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وانك لتلقى القرآن لا من عند جبريل بل من لدن حكيم تجلى لقلبك بحكمة القرآن عليم يعلم حيث يجعل رسالته ثم ضرب مثالا لذلك وهو أن موسى القلب لما كشف له أنوار شواهد الحق فى ليلة الهوى وظلمة الطبيعة قال لاهله وهم النفس وصفاتها انى آنست نارا بوادى أيمن السر لعلكم تصطلون بتلك النار عن جمود الطبيعة فلما جاءها على قدمى

،سوق وصدق الطلب نودى من الشجرة الروحانية أن بورك من فى نار المحبة نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ومن حولها كالفراش يريد أن يقع فيها وألق عن يدهمتك كل ما تعتمد عليه سوى فضل الله فانه جان فى الحقيقة ولى مدبراهارباالى الله ولم يعقب لم يرجع الى غيره فلذلك نودى بلا تخف فان القلوب الملهمة الموصلة اليها الهدايا والتحف والالطاف لاتخاف سوى الله الامن ظلم نفسه بالرجوع الى الغير وأدخل يدهمتك فى جيب قناعتك تخرج بيضاء نقية من لوث الدارين فى تسع آيات من أسباب هلاك النفس وصفاتها فانظر كيف كان عاقبة الذين أفسدوا الاستعداد الفطرى والله اعلم ﴿ولقد آتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمن داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمن وجنوده وهم لايشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ماتخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة

عن بعد الماء فى الوادى الذى نزل به فى مسيره وقال وهب بن منبه كان تفقده اياه وسؤاله عنه لاخلاله بالنوبة التى كان ينوبها والله أعلم بأى ذلك كان اذ لم يأتنا بأى ذلك كان تنزيل ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح فالصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن سليمن أنه تفقد الطير اما للنوبة التى كانت عليها وأخلت بها واما لحاجة كانت اليها عن بعد الماء وقوله فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين يعنى بقوله مالى لا أرى الهدهد أخطأه بصرى فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين أخطأه بصرى فى الطير أم غاب فلم يحضر وقوله لأعذبنه عذابا شديدا يقول فلما أخبر سليمن عن الهدهد أنه لم يحضر وأنه غائب غير شاهد أقسم لأعذبنه عذابا شديدا وكان تعذيبه الطير فيما ذكر عنه اذا عذبها أن ينتف ريشها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الحمانى عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله لأعذبنه عذابا شديدا قال نتف ريشه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن شريك عن عطاء عن مجاهد عن ابن عباس فى لأعذبنه عذابا شديدا عذابه نتفه وتشميسه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لأعذبنه عذابا شديدا قال نتف ريشه وتشميسه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لأعذبنه عذابا شديدا قال نتف ريشه كله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لاعذبنه عذابا شديدا قال نتف ريش الهدهد كله فلا يعفو سنة * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال نتف ريشه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لأعذبنه عذابا شديدا يقول نتف ريشه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن يزيد بن رومان أنه حدث أن عذابه الذى كان يعذب به الطير نتف جناحه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قيل لبعض أهل العلم هذا الذبح فما العذاب الشديد قال نتف ريشه بتركه بضعة تنزو حدثنا سعيد بن الربيع الرازى قال ثنا سفيان عن عمرو بن بشار عن ابن عباس فى قوله لأعذبنه عذابا شديدا قال نتفه حدثنى سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن حسين بن أبى شدّاد قال نتفه وتشميسه أو لأذبحنه يقول أو لأقتلنه كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو لأذبحنه يقول أو لأقتلنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا

وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمن قال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى (٩١) ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما

ثنا عباد بن العوام عن حصين عن عبد الله بن شداد لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه الآية قال فتلقاه الطير فأخبره فقال ألم يستثن وقوله أو ليأتينى بسلطان مبين يقول أو ليأتينى بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على بن الحسين الازدى قال ثنا المعافى بن عمران عن سفيان عن عمار الدهنى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كل سلطان فى القرآن فهو حجة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو ليأتينى بسلطان مبين يقول ببينة أعذره بها وهو مثل قوله الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان يقول بغير بينة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن رجل عن عكرمة قال كل شئ فى القرآن سلطان فهو حجة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الله بن يزيد عن قباث بن رزين أنه سمع عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول كل سلطان فى القرآن فهو حجة كان للهدهد سلطان حدثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أو ليأتينى بسلطان مبين قال بعذر بين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أو ليأتينى بسلطان مبين أى بحجة عذر له فى غيبته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو ليأتينى بسلطان مبين يقول ببينة وهو قول الله الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان بغير بينة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو ليأتينى بسلطان مبين قال بعذر أعذره فيه * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فمكث غير بعيد فمكث سليمن غير طويل من حين سأل عن الهدهد حتى جاء الهدهد واختلف القراء فى قراءة قوله فمكث فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم فمكث بضم الكاف وقرأه عاصم بفتحها وكلتا القراءتين عندنا صواب لانهما لغتان مشهورتان وان كان الضم فيها أعجب الى لانها أشهر اللغتين وأفصحهما وقوله فقال أحطت بما لم تحط به يقول فقال الهدهد حين سأله سليمن عن تخلفه وغيبته أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمن كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أحطت بما لم تحط به قال ما لم تعلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه فمكث غير بعيد ثم جاء الهدهد فقال له سليمن ما خلفك عن نوبتك قال أحطت بما لم تحط به وقوله وجئتك من سبإ بنبإ يقين يقول وجئتك من سبإ بخبر يقين وهو ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه وجئتك من سبإ بنبإ يقين أى أدركت ملكا لم يبلغه ملكك * واختلفت القراء فى قراءة قوله من سبإ فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة من سبإ بالاجراء المعنى أنه رجل اسمه سبأ وقرأه بعض قراء أهل مكة والبصرة من سبأ بترك الاجراء على أنه اسم قبيلة

يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت ربى انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين ﴾ القراآت وادى النمل ممالة عباس وقتيبة وقرأ يعقوب وعلى والسرنديبى عن قنبل بالياء فى الوقف لا يحطمنكم بالنون الخفيفة عباس ورويس أوزعنى بفتح الياء ابن كثير وكذلك فى الاحقاف مالى لا بفتح ياء المتكلم ابن كثير وعلى وعاصم ليأتينى بنون الوقاية بعد الثقيلة ابن كثير فمكث بفتح الكاف عاصم وسهل ويعقوب غير رويس الآخرون بضمها من سبأ بفتح الهمزة لامتناع الصرف البزى وأبو عمرو وعن قنبل بهمزة ساكنة وفى رواية أخرى عنه وعن ابن فليح وزمعة بغير همز الباقون بهمزة منونة مكسورة وكذلك فى سورة سبا ألا يسجدوا مخففا يزيد وعلى ورويس الآخرون بالتشديد

وقال ابن مجاهد اذا وقفوا على الا وقفوا على ألا يا والابتداء اسجدوا تخفون وتعلنون بتاء الخطاب فيهما على وحفص والباقون على الغيبة فألقه بسكون الهاء حمزة وعاصم غير المفضل وأبو عمرو غير عباس وقرأ باختلاس حركة الهاء يزيد وقالون و يعقوب غير زيد وأبو عمرو من طريق الهاشمى عن اليزيدى الباقون بالاشباع انى ألقى بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع أتمدوننى بالياء فى الحالين ابن كثير وسهل وافق به أبو جعفر ونافع وأبو عمرو فى الوصل اتمدونى بتشديد النون و بالياء فى الحالين حمزة و يعقوب الآخرون باظهار النونين

وحذف الياء آتانى الله بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن فليح وحفص فمن فتح الياء فالوقف بالياء لاغير ومن حذف الياء فانه يقف بغير الياء الاسهلا و يعقوب فانهما يقفان بالياء وقرأ على آتانى الله بالامالة أنا آتيك بالامالة وكذلك ما بعده حمزة فى رواية خلف وابن سعدان والعجلى وأبى عمرو وخلف لنفسه فلما رأيه بكسر الراء نصير ليبلونى بفتح الياء أبو جعفر ونافع ساقيها و بابه بالهمز ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل والاحسن تركها قال فى الكشاف (٩٢) من همز فوجهه انه سمع سؤقا فأجرى عليه الواحد ۞ الوقوف علما

ج للعدول عن بيان ايتاء الفضل ابتداء الى ذكر قول المنعم عليهما شكرا ووفاء المؤمنين ه شئ ط المبين ه يوزعون ه النمل لا لأن ما بعده جواب اذا مساكنكم ج لانقطاع النظم لنهى الغائب مع اتحاد القائل وجنوده لا لأن الواو للحال لايشعرون ه الصالحين ه الهدهد ز على معنى بل أ كان من الغائبين على معنى التهديد والاصح أن أم متصل بمعنى الاستفهام فى مالى أى أنا لا أراه أو هو غائب الغائبين ه مبين ه يقين ه عظيم ه لايهتدون ه لا ومن خفف ألا وقف مطلقا تعلنون ه العظيم ه سجدة الكاذبين ه يرجعون ه كريم ه الرحيم ه لا لتعلق أن مسلمين ه أمرى ج لانقطاع النظم مع اتحاد القائل تشهدون ه تأمرين ه أذلة ج لان قوله وكذلك يحتمل أن يكون من تمة قولها أو هو تصديق من الله لما قالت يفعلون ه المرسلون ه بمال ز لانتهاء الاستفهام مع فاء التعقيب و بيان الاستغناء على التعجيل آتاكم ج لاختلاف الجملتين على أن بل ترجح جانب الوقف تفرحون ه صاغرون

أولا امرأة * والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فالاجراء فى سبا وغير الاجراء صواب لان سبأ ان كان رجلا كما جاء به الاثر فانه اذا أريد به اسم الرجل أجرى وان أريد به اسم القبيلة لم يجر كما قال الشاعر فى اجرائه

الواردون وتيم فى ذرا سبا * قد عض أعناقهم جلد الجواميس

يروى ذرا وذرى وقد حدثت عن الفراء عن الرؤاسى أنه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجر سبأ قال لست أدرى ما هو فكأن أبا عمرو ترك اجراءه اذ لم يدر ما هو كما تفعل العرب بالاسماء المجهولة التى لاتعرفها من ترك الاجراء حكى عن بعضهم هذا أبو معرور قد جاء فترك اجراءه اذ لم يعرفه فى أسمائهم وان كان سبأ جبلا فأجرى لانه يراد به الجبل بعينه وان لم يجر فلانه يجعل اسما للجبل وما حوله من البقعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون﴾ يقول تعالى مخبرا عن قيل الهدهد لسليمن مخبرا بعذره فى مغيبه عنه انى وجدت امرأة تملكهم يعنى تملك سبأ وانما صار هذا الخبر للهدهد عذرا وحجة عند سليمن درأ به عنه ما كان أوعده به لان سليمن كان لا يرى أن فى الارض أحدا له مملكة معه وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلا حبب اليه الجهاد والغزو فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الارض هو لغيره وقوم كفرة يعبدون غير الله فى جهادهم وغزوهم الاجر الجزيل والثواب العظيم فى الآجل وضم مملكة لغيره الى ملكه حقت للهدهد المعذرة وصحت له الحجة فى مغيبه عن سليمن وقوله وأوتيت من كل شئ يقول وأوتيت من كل شئ يؤتاه الملك فى عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى عبيدة الباجى عن الحسن قوله وأوتيت من كل شئ يعنى من كل أمر الدنيا وقوله ولها عرش عظيم يقول ولها كرسى عظيم وعنى بالعظيم فى هذا الموضع العظيم فى قدره وعظم خطره لا لعظمه فى الكبر والسعة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله ولها عرش عظيم قال سرير كريم قال حسن الصنعة وعرشها سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ * قال ثنى حجاج عن أبى عبيدة الباجى عن الحسن قوله ولها عرش عظيم يعنى سرير عظيم وقوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله يقول وجدت هذه المرأة ملكة سبا وقومها من سبا يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله وقوله و زين لهم الشيطان أعمالهم يقول وحسن لهم ابليس عبادتهم الشمس وسجودهم لها من دون الله

ه مسلمين ه مقامك ج للابتداء بان مع اتحاد القائل أمين ه وحبب طرفك ط للعدول أم أكفر ه لنفسه ج كريم ه لايهتدون ه عرشك ط هو ج لاحتمال أن يكون ما بعده من كلامها أو من كلام سليمن مسلمين ه من دون الله ط كافرين ه الصرح ج ساقيها ط قوارير ه العالمين ه ۞ التفسير لما فرغ من قصة موسى شرع فى قصة ثانية وهى قصة داود وابنه سليمن والتنوين فى علما اما للنوع أى طائفة من العلم أو للتعظيم أى علما

غزيرا قال علماء المعانى الواو فى وقالا للعطف على محذوف لان هـذا مقام الفاء كقولك أعطيته فشكر فالتقدير ولقد آتينا هما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة والفضيلة فيه وقالا الحمد لله و بيانه ان الشكر باللسان انما يحسن اذا كان مسبوقا بعمل القلب وهو العزم على فعل الطاعة وترك المعصية و بعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات فكأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به قلبا وقالبا (وقالا) باللسان (الحمد لله) قلت لقائل أن يقول الاصل عدم الاضمار وقوله هذا مقام الفاء ممنوع وانما يكون كذلك اذا أريد التعقيب والتسبيب فان كان المراد مجرد الاخبار عما فعل بهما وعما فعلا فالواو كقولك أعطيته وشكر وقوله (على كثير من عباده) يجوز أن يكون واردا على سبيل التواضع وان كانا مفضلين على جميع أهل زمانهما و يجوز أن يكون واردا على الحقيقة بالنسبة الى زمانهما أو بالنسبة الى سائر الازمنة وهذا أظهر وانما وصف العباد بالمؤمنين لئلا يظن أن سبب الفضيلة هو مجرد الايمان ولكن ما يزيد عليه من الاستغراق فى بحر العبودية والعرفان وفى الآية دليل على شرف العلم وأن العالم يجب أن يتلقى علمه بشكر الله تعالى قلبا وقالبا وما التوفيق الا منه قوله (وورث سليمن داود) عن الحسن أنه المال لان النبوة عطية مبتدأة وزيف بأن المال أيضا عطية مبتدأة ولذلك يرث الولد اذا كان مؤمنا ولا يرث اذا كان كافرا أو قاتلا وما المانع من أن يوصف بأنه ورث النبوة لما قام بها عند موته كما يرث الولد المال اذا قام به عند موته والظاهر أنه أراد وراثة النبوة والملك معا دليله قوله تشهيرا لنعمة الله ودعاء للناس الى تصديق المعجزة (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) والمنطق يشمل كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف مفيدا أو غير مفيد ومنه قولهم نطقت الحمامة قال المفسرون انه تعالى جعل الطير فى أيامه مما له عقل وليس كذلك حال الطيور فى أيامنا وان كان فيها ما ألهمه الله تعالى الدقائق التى خصت بالحاجة اليها يحكى أنه مر على بلبل فى شجرة فقال لاصحابه انه يقول انى أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا أى التراب وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وأخبر أن الهدهد يقول استغفروا الله يا مذنبون والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه والرخمة تقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه والقمرى يقول سبحان ربى الأعلى

وحبب ذلك اليهم فصدهم عن السبيل يقول فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم وهو دين الله الذى بعث به أنبياءه ومعناه فصدّهم عن سبيل الحق فهم لا يهتدون يقول فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه ولكنهم فى ضلالهم الذى هم فيه يترددون ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض و يعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ألا يسجدوا لله فقرأ بعض المكيين و بعض المدنيين والكوفيين ألا بالتخفيف بمعنى ألا يا هؤلاء اسجدوا فأضمر وا هؤلاء اكتفاء بدلالة يا عليها وذكر بعضهم سماعا من العرب ألا يا ارحمنا ألا يا تصدق علينا واستشهد أيضا ببيت الاخطل

ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بدر * وان كان حى قاعدا آخر الدهر

فعلى هذه القراءة اسجدوا فى هـذا الموضع جزم ولا موضع لقوله ألا فى الاعراب وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والبصرة ألا يسجدوا بتشديد ألا بمعنى و زين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله ألا فى موضع نصب لما ذكرت من معناه أنه لئلا و يسجدوا فى موضع نصب بأن * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الامصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع صحة معنييهما * واختلف أهل العربية فى وجه دخول يا فى قراءة من قرأه على وجه الامر فقال بعض نحويى البصرة من قرأ ذلك كذلك فكأنه جعله أمرا كأنه قال لهم اسجدوا و زاد ياء بينهما يا التى تكون للتنبيه ثم أذهب ألف الوصل التى فى اسجدوا وأذهبت الالف التى فى يا لانها ساكنة لقيت السين فصار ألا يسجدوا وقال بعض نحويى الكوفة هذه يا التى تدخل للنداء يكتفى بها من الاسم و يكتفى بالاسم منها فتقول يا أقبل وزيد أقبل وما سقط من السواكن فعلى هذا و يعنى بقوله يخرج الخبء يخرج المخبوء فى السموات والارض من غيث فى السماء ونبات فى الارض ونحو ذلك و بالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت عباراتهم عنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد يخرج الخبء فى السموات قال الغيث حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يخرج الخبء قال الغيث حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض قال خبء السماء والارض ما جعل الله فيها من الارزاق والمطر من السماء والنبات من الارض كانتا رتقا لا تمطر هذه ولا تنبت هذه ففتق السماء وأنزل منها المطر وأخرج النبات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن اسمعيل بن أبى خالد عن حكيم بن جابر فى قوله ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض و يعلم كل

خفية في السموات والارض حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أسامة بن زيد عن معاذ بن عبد الله قال رأيت ابن عباس على بغلة يسأل تبيعا ابن امرأة كعب هل سألت كعبا عن البذر تنبت الارض العام لم يصب العام الآخر قال سمعت كعبا يقول البذر ينزل من السماء ويخرج من الارض قال صدقت * قال أبو جعفر وانما هو تبيع ولكن هكذا قال محمد وقيل يخرج الخبء في السموات والارض لأن العرب تضع من مكان في وفي مكان من في الاستخراج ويعلم ما تخفون وما تعلنون يقول ويعلم السر من أمور خلقه هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها وذلك على قراءة من قرأ ألا بالتشديد وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فان معناه ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم بالسجود بقوله ألا يا هؤلاء اسجدوا وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي ألا تسجدون لله الذي يعلم سركم وما تعلنون وقوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم يقول تعالى ذكره الله الذي لا تصلح العبادة الا له لا اله الا هو لا معبود سواه تصلح له العبادة فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالطاعة ولا تشركوا به شيأ رب العرش العظيم يعني بذلك مالك العرش العظيم الذي كل عرش وان عظم فدونه لا يشبهه عرش ملكة سبا ولا غيره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أحطت بما لم تحط به الى قوله لا اله الا هو رب العرش العظيم هذا كله كلام الهدهد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بنحوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره قال سليمن للهدهد سننظر فيما اعتذرت به من العذر واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا وفيما جئتنا به من الخبر أصدقت في ذلك كله أم كنت من الكاذبين فيه اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون * فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم منصرفا الي فقال هو من المؤخر الذي معناه التقديم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فأجابه سليمن يعني أجاب الهدهد لما فرغ قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم وانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم منصرفا الي وقال وكانت لها كوة مستقبلة الشمس ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدها واستبطأت الشمس فقامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها من تحت جناحه وطار حتى قامت تنظر الشمس * قال أبو جعفر فهذا القول من قول ابن زيد يدل على أن الهدهد تولى الى سليمن راجعا بعد القائه الكتاب وأن نظره الى المرأة ما الذي ترجع وتفعل كان قبل القائه كتاب سليمن اليها * وقال آخرون بل معنى ذلك اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فكن قريبا منهم وانظر ماذا يرجعون قالوا وفعل الهدهد وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها وقولها لهم اني ألقي الي كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم

بعضا

والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس ومعنى (من كل شئ) بعض كل شئ وقال في الكشاف أراد كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصده كل أحد تريد كثرة قاصديه وانما قال علمنا وأوتينا لانه أراد نفسه وأباه ويجوز أن يريد نفسه فقط لا على طريق التكبر بل على عادة الملوك يعظمون أنفسهم لمصلحة التهييب وقوله (ان هذا لهو الفضل المبين) قول وارد على سبيل الشكر والتحدث بالنعم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا شكرا لا فخرا يروى أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن ومثله للانس ومثله للطير ومثله للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر وانه كان يقول مع ذلك لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتي آل داود ومعنى (يوزعون) يحبسون قيل كانوا يمنعون من يتقدم من عسكره ليكون مسيره مع جنوده على ترتيب ومنه يعلم أنه كان في كل قبيل منها وازع يكون له تسلط على الباقين يكفهم ويصرفهم ومعنى (أتوا على واد النمل) قطعوه وبلغوا آخره من قولهم أتى على الشئ اذا أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي ويجوز أن يقصد اتيانهم من فوق لان الريح كانت تحملهم في الهواء فلذلك عدى بعلى عن قتادة أنه دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمن أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى لقوله تعالى قالت نملة ولو كان ذكرا لم تجز التاء لان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فلابد من التمييز بالعلامة وحين عبر عن تفاهم النمل بلفظ التقاول جعل خطابهم خطاب

بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قوله فألقه اليهم ثم تول عنهم أى كن قريبا فانظر ماذا يرجعون وهذا القول أشبه بتأويل الآية لان مراجعة المرأة قومها كانت بعد أن ألقى اليها الكتاب ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أمر بأن ينظر الى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمن ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين﴾ يقول تعالى ذكره فذهب الهدهد بكتاب سليمن اليها فألقاه اليها فلما قرأته قالت لقومها يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كتب يعنى سليمن بن داود مع الهدهد بسم الله الرحمن الرحيم من سليمن بن داود الى بلقيس بنت ذى سرح وقومها أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين قال فأخذ الهدهد الكتاب برجله فانطلق به حتى أتاها وكانت لها كوة فى بيتها اذا طلعت الشمس نظرت اليها فسجدت لها فأتى الهدهد الكوة فسدها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم ثم ألقى الكتاب من الكوة فوقع عليها فى مكانها الذى هى فيه فأخذته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال بلغنى أنها امرأة يقال لها بلقيس أحسبه قال ابنة شراحيل أحد أبويها من الجن مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة وكانت فى بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثنى عشر كل رجل منهم على عشرة آلاف وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فلما جاء الهدهد بخبرها الى سليمان بن داود كتب الكتاب وبعث به مع الهدهد فجاء الهدهد وقد غلقت الابواب وكانت تغلق أبوابها وتضع مفاتيحها تحت رأسها فجاء الهدهد فدخل من كوة فألقى الصحيفة عليها فقرأتها فاذا فيها انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين وكذلك كانت تكتب الانبياء لا تطنب انما تكتب جملا * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لم يزد سليمن على ما قص الله فى كتابه انه وانه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم فمضى الهدهد بالكتاب حتى اذا حاذى بالملكة وهى على عرشها ألقى اليها الكتاب وقوله قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم والملأ أشراف قومها يقول تعالى ذكره قالت ملكة سبا لاشراف قومها يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم واختلف أهل العلم فى سبب وصفها الكتاب بالكريم فقال بعضهم وصفته بذلك لانه كان مختوما * وقال آخرون وصفته بذلك لانه كان من ملك فوصفته بالكرم لكرم صاحبه وممن قال ذلك ابن زيد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى ألقى الى كتاب كريم قال هو كتاب سليمن حيث كتب اليها وقوله انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم كسرت ان الاولى والثانية

أولى العقل فحكى أنها (قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم) اما جواب للامر واما نهى بدلا من الامر أى لا تكونوا بحيث يحطمكم أى يكسركم سليمن وجنوده على طريقة لا أرينك ههنا وفى قوله (سليمن وجنوده) دون أن يقول جنود سليمن مبالغة أخرى كما تقول أعجبنى زيد وكرمه وفى الآية دلالة على أن من يسير فى الطريق لا يلزمه التحرز وانما يلزم من فى الطريق التحرز وفى قولها (وهم لا يشعرون) تنبيه على وجود الجزم بعصمة الانبياء كأنها عرفت أن النبى لعصمته لا يقع منه قتل هذه الحيوانات الا على سبيل السهو وعن بعضهم أنها خافت على قومها أن يقعوا فى كفران نعمة الله تعالى اذا رأوا جلالة سليمن وهذا معنى الحطم فلذلك أمرتهم بدخول المساكن وفيه تنبيه على أن مجالسة أرباب الدنيا محذورة قيل سمع سليمن كلامها من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكا) أى شارعا فى الضحك آخذا فيه ولكن لم يبلغ حد القهقهة وكال الضحك وما روى أنه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فعلى وجه المبالغة فى الضحك النبوى وانما أضحكه من قولها شفقتها على قومها وسروره بما آتاه الله من ادراك الهمس واشتهاره بالتحرز والتقوى ولذلك مال الى الدعاء قائلا (رب أوزعنى) قال جار الله حقيقته اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى وأربطه لا ينفلت عنى فلا أزال شاكرا لك وانما أدرج ذكر الوالدين لان النعمة على الولد نعمة عليهما وبالعكس ثم طلب أن يضيف لواحق نعمه الى سوابقها ولاسيما النعم الدينية فقال (وأن أعمل صالحا ترضاه) ثم دعا أن يجعله فى الآخرة من زمرة الصالحين لان ذلك غاية كل مقصود يروى أن النملة أحست بصوت الجنود ولم تعلم أنها فى الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة

القصة الثالثة قصة بلقيس وماجرى بينها وبين سليمن وذلك بدلالة الهدهد يروى أن سليمن حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج مع حشمه فأتى الحرم ومكث به أياما يقرب كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا أعجبته بهجتها الا أنهم لم يجدوا الماء فطلب الهدهد لانه يرى الماء من تحت الارض وعن وهب أنه أخل بالنوبة التى كانت تنوب به فلذلك تفقده وقيل انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمن

على الرد على انى من قوله انى ألقى الىّ كتاب كريم ومعنى الكلام قالت يا أيها الملاء انى ألقى الىّ كتاب وانه من سليمن وقوله أن لا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين يقول ألقى الىّ كتاب كريم ألا تعلوا علىّ ففى أن وجهان من العربية ان جعلت بدلا من الكتاب كانت رفعا بما رفع به الكتاب وبدلا منه وان جعل معنى الكلام انى ألقى الىّ كتاب كريم أن لا تعلوا علىّ كانت نصبا بتعلق الكتاب بها وعنى بقوله أن لا تعلوا علىّ أن لا تتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم اليه كما حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ألا تعلوا علىّ أن لا تمتنعوا من الذى دعوتكم اليه ان امتنعتم جاهدتكم فقلت لابن زيد أن لا تعلوا علىّ أن لا تتكبروا علىّ قال نعم قال وقال ابن زيد أن لا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين ذلك فى كتاب سليمن اليها وقوله وأتونى مسلمين يقول وأقبلوا الىّ مذعنين لله بالوحدانية والطاعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين﴾ يقول تعالى ذكره قالت ملكة سبا لأشراف قومها يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى تقول أشيروا علىّ فى أمرى الذى قد حضرنى من أمر صاحب هذا الكتاب الذى ألقى الىّ فجعلت المشورة فتيا وقوله ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون تقول ما كنت قاضية أمرا فى ذلك حتى تشهدون فأشاوركم فيه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد دعت قومها تشاورهم أيها الملاء أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون يقال فى الكلام ما كنت لأقطع أمرا دونك ولا كنت لأقضى أمرا فلذلك قالت ما كنت قاطعة أمرا بمعنى قاضية وقوله قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد يقول تعالى ذكره قال الملأ من قوم ملكة سبأ اذ شاورتهم فى أمرها وأمر سليمن نحن ذوو القوة على القتال والبأس الشديد فى الحرب والأمر أيتها الملكة اليك فى القتال وفى تركه فانظرى من الرأى ما ترين فمرينا نأتمر لأمرك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عرضوا لها القتال يقاتلون لها والامر اليك بعد هذا فانظرى ماذا تأمرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مجاهد قال كان مع ملكة سبا اثنا عشر ألف قيول مع كل قيول مائة ألف حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال كان مع بلقيس مائة ألف قيل مع كل قيل مائة ألف * قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش قال سمعت مجاهدا يقول كان تحت يد ملكة سبا اثنا عشر ألف قيول والقيول بلسانهم الملك تحت يد كل ملك مائة ألف مقاتل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره قالت صاحبة سبا للملا من قومها اذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمن ان أمرتهم بذلك ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وغلبة أفسدوها يقول خربوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وذلك باستعبادهم الاحرار واسترقاقهم اياهم

فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علىّ به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فأقسم عليها بالله لتتركنه فتركته وقالت ان نبى الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال أو ليأتينى بسلطان مبين أى بعذر واضح فلما قرب من سليمن أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه أخذ سليمن برأسه فمده اليه فقال يا نبى الله اذكر وقوفك

بين يدى الله عز وجل فارتعد سليمن وعفا عنه ثم سأله عما لقى فى غيبته وفى تفقد الهدهد اشارة الى أن الملوك يجب عليهم التيقظ وعدم الغفلة عن أصغر رعيتهم وأرجع الى التفسير قوله (مالى لا أرى) استبعاد منه أنه لا يراه وهو حاضر فى الجند كأن ساترا ستره ثم لاح له أنه غائب فقال (أم كان من الغائبين) وقد مر فى الوقوف قوله (لاعذبنه) لاشك أن تعذيبه انما يكون بما يحتمله حاله فقيل أراد أن ينتف ريشه ويشمسه وكان هذا عذابه للطير وقيل كان يطلى بالقطران ويشمس وقيل هو أن يلقيه للنمل لتأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل أراد لألزمنه صحبة الاضداد كما قيل اضيق السجون مجالسة الاضداد وقيل لألزمنه خدمة أقرانه ولعل تعذيب الهدهد وذبحه فى عصره جائز لمصلحة السياسة كما أباح لنا ذبح كل مأكول لحمه لمصلحة التغذى وحاصل القسم يرجع الى قوله ليكونن أحد هذه الامور الثلاثة التعذيب أو الذبح أو الاتيان بعذر بين وحجة واضحة ويحتمل أن يكون قد عرف اتيانه بالعذر بطريق الوحى فلذلك أدرجه فى سلك ما هو قادر على فعله فأقسم عليه ثم أخبر الله سبحانه أنه أتى بسلطان مبين وذلك قوله (فمكث غير بعيد) أى غير زمان بعيد (فقال) مخاطبا لسليمن (أحطت بما لم تحط به) قالوا فيه ابطال قول من زعم أن امام الزمان لا يخفى عليه شئ ولا يكون فى زمانه أحد أعلم منه وفيه دليل على شرف وتناهى العلم وأن صاحبه له أن يكافح به من هو أعلى حالا منه والاحاطة بالشئ علما أن يعلمه من جميع جهاته وقوله (من سبا بنبا) من جملة صنائع البديع على أن النبأ خبر له شأن فذكره فى هذا الموضع دون أن يقول من سبا بخبر حسن على حسن وسبأ اسم للقبيلة فلا ينصرف أو اسم للحى أو الاب الاكبر فينصرف وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مأرب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ويحتمل

وتناهى الخبر منها عن الملوك فى هـذا الموضع فقال الله وكذلك يفعلون يقول تعالى ذكره وكما قالت صاحبة سبا تفعل الملوك اذا دخلوا قرية عنوة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر فى قوله وجعلوا أعزة أهلها أذلة قال أبو بكر هـذا عنوة حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا أبو بكر قال ثنا الاعمش عن مسلم عن ابن عباس فى قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها قال اذا دخلوها عنوة خربوها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة قال ابن عباس يقول الله وكذلك يفعلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمن قال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) ذكر أنها قالت انى مرسلة الى سليمن لتختبره بذلك وتعرفه به أملك هو أم نبى وقالت ان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا أن نتبعه على دينه وان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قالت وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون قال وبعثت اليه بوصائف ووصفاء وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى فقالت ان زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الانثى ثم رد الهدية فانه نبى وينبغى لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وانى مرسلة اليهم بهدية قال بجوار لباسهم لباس الغلمان وغلمان لباسهم لباس الجوارى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قولها وانى مرسلة اليهم بهدية قال مائتى غلام ومائتى جارية قال ابن جريج قال مجاهد قوله بهدية قال جوار ألبستهن لباس الغلمان وغلمان ألبستهم لباس الجوارى قال ابن جريج قال قالت فان خلص الجوارى من الغلمان ورد الهدية فانه نبى وينبغى لنا أن نتبعه قال ابن جريج قال مجاهد فخلص سليمن بعضهم من بعض ولم يقبل هديتها * قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان عن معمر عن ثابت البنانى قال أهدت له صفائح الذهب فى أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمن أمر الجن فموّهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقى فى الطرق فلما جاؤا فرأوه ملقى ما يلتفت اليه صغر فى أعينهم ما جاؤا به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الآية وقالت ان هذا الرجل ان كان انما همته الدنيا فسنرضيه وان كان انما يريد الدين فلن يقبل غيره وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كانت بلقيس امرأة لبيبة أديبة فى بيت ملك لم تملك الا البقايا من مضى من أهلها انه قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك وكان دينها ودين قومها فيما ذكر الزنديقية فلما قرأت الكتاب سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التى كانت قبلها فبعثت الى المقاولة من أهل اليمن فقالت لهم يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين الى قوله بم يرجع المرسلون ثم قالت انه قد جاءنى كتاب لم يأتنى مثله من ملك من الملوك قبله فان يكن

أن يراد بسبا المدينة أو القوم ثم شرع فى النبا وهو قوله (انى وجدت امرأة) واسمها بلقيس بنت شراحيل ملك اليمن كابرا عن كابر الى تبع الاول ولم يكن له ولد غيرها فورثت الملك وكانت هى وقومها مجوسا عبدة الشمس والضمير فى (تملكهم) يعود الى سبا ان أريد به القوم والى الاهل المحذوف ان أريد به المدينة (وأوتيت من كل شئ) أى بعض كل ما يتعلق بالدنيا من الاسباب (ولها عرش عظيم) كأنه استعظم لها ذلك مع صغر حالها الى حال سليمن أو استعظمه فى نفسه لانه لم يكن لسليمن مثله مع علو شأنه وقد يتفق لبعض الامراء شئ لا يكون مثله لمن فوقه فى الملك وقد يطلع بعض الاصاغر على مسئلة لم يطلع عليها أحد كما اطلع الهدهد على حال بلقيس دون سليمن ووصف عرش الله بالعظم انما هو بالاضافة الى سائر ما خلق من السموات والارض يحكى من عظم شأنه أنه كان مكعبا ثلاثين فى ثلاثين أو ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكذا قوائمه وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال بعض المعتزلة فى قوله (وزين لهم الشيطان أعمالهم) دليل على أن المزين للكفر والمعاصى هو الشيطان وأجيب بأن قول الهدهد لا يصلح للحجة والتحقيق فيه قد مر ولا يبعد أن يلهم الله الهدهد وجوب معرفته والانكار على من يعبد غيره خصوصا فى زمن سليمن عليه السلام قوله (الا يسجدوا) من قرأ بالتشديد على أن الجار محذوف فان كان متعلقا بالصد فالتقدير صدهم لأن لا يسجدوا وان كان متعلقا بلا يهتدون فلا مزيدة أى لا يهتدون الى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فقوله ألا حرف تنبيه ويا حرف النداء والمنادى محذوف والتقدير ألا يا قوم اسجدوا كقوله

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

اطلاع الكواكب من أفق الشرق بعد اختفائها فى أفق الغرب ومنها الاقضية والاحكام والوحى والالهام ومنها ازال الملك وكل أثر علوى وفى تخصيص وصف الله تعالى فى هذا المقام باخراج الخبء اشارة الى ماعهده الهدهد من قدرة الله تعالى فى اخراج الماء من الارض ألهمه هذا التخصيص كما ألهمه تلك المعرفة ولما انجر كلام الهدهد الى هذه الغاية (قال) سليمن (سننظر) أى نتأمل فى صفحات حالك (اصدقت أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أن لو قال له كذبت لانه اذا كان معروفا بالكذب كان متهما فى كل ما أخبر به ثم ذكر كيفية النظر فى أمره فقال (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم) لم يقل اليها لانه كان قد قال وجدتها وقومها فكأن سليمن قال فألقه الى الذين هذا دينهم اهتماما فيه بأمر الدين ولمثل هذا قال فى الكتاب ألا تعلوا على وأتونى مسلمين ومعنى (ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه تسمع ما يقولون (يرجعون) من رجع القول كقوله يرجع بعضهم الى بعض القول يروى أنها كانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على حجرها وهى مستلقية نائمة وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والجنود حواليها من فوق والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألق الكتاب فى حجرها وقيل كان

الرجل نبيا مرسلا فلا طاقة لنا به ولا قوة وان يكن الرجل ملكا يكاثر فليس بأعز منا ولا أعد فهيأت هدايا مما يهدى للملوك مما يفتنون به فقالت ان يكن ملكا فسيقبل الهدية ويرغب فى المال وان يكن نبيا فليس له فى الدنيا حاجة وليس اياها يريد انما يريد أن ندخل معه فى دينه ونتبعه على أمره أو كما قالت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وانى مرسلة اليهم بهدية بعثت بوصائف ووصفاء لباسهم لباس واحد فقالت ان زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الانثى ثم رد الهدية فهو نبى وينبغى لنا أن نتبعه وندخل فى دينه فزيل سليمن بين الغلمان والجوارى ورد الهدية فقال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان فى الهدايا التى بعثت بها وصائف ووصفاء يختلفون فى ثيابهم ليميز الغلمان من الجوارى قال فدعا بماء فجعل الجوارى يتوضأن من المرفق الى أسفل وجعل الغلمان يتوضؤن من المرفق الى فوق قال وكان أبى يحدثنا هذا الحديث حدثنا عبد الأعلى قال ثنا مروان بن معاوية قال ثنا اسمعيل عن أبى صالح وانى مرسلة اليهم بهدية قال أرسلت بلبنة من ذهب وقالت ان كان يريد الدنيا علمته وان كان يريد الآخرة علمته وقوله فناظرة بم يرجع المرسلون تقول فأنظر بأى شئ من خبره وفعله فى هديتى التى أرسلها اليه ترجع رسلى أبقبول وانصراف عنا أم برد الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه وأسقطت الالف من ما فى قوله بم وأصله بما لان العرب اذا كانت ما بمعنى أى ثم وصلوها بحرف خافض أسقطوا ألفها تفريقا بين الاستفهام وغيره كما قال جل ثناؤه عم يتساءلون وقالوا فيم كنتم وربما أثبتوا فيها الالف كما قال الشاعر

على ما قام يشتمنا لئيم * كخنزير تمرغ فى رماد

وقالت وانى مرسلة اليهم وانما أرسلت الى سليمن وحده على النحو الذى بينا فى قوله على خوف من فرعون وملائهم وقوله فلما جاء سليمن قال أتمدوننى بمال ان قال قائل وكيف قيل فلما جاء سليمن فجعل الخبر فى مجىء سليمن عن واحد وقد قال قبل ذلك فناظرة بم يرجع المرسلون فان كان الرسول كان واحدا فكيف قيل بم يرجع المرسلون وان كانوا جماعة فكيف قيل فلما جاء سليمن قيل هذا نظير ما قد بينا قبل من اظهار العرب الخبر فى أمر كان من واحد على وجه الخبر عن جماعة اذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه يشار اليه بعينه فسمى فى الخبر وقد قيل ان الرسول الذى وجهته ملكة سبا الى سليمن كان امرأ واحدا فلذلك قال فلما جاء سليمن يراد به فلما جاء الرسول سليمن واستدل قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك بقول سليمن للرسول ارجع اليهم وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله فلما جاؤا سليمن على الجمع وذلك للفظ قوله بم يرجع المرسلون فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى وقوله قال أتمدوننى بمال يقول قال سليمن لما جاء الرسول من قبل المرأة بهداياها أتمدوننى بمال * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء أهل المدينة أتمدوننى بنونين واثبات الياء وقرأه بعض الكوفيين مثل ذلك غير أنه حذف الياء من آخر ذلك وكسر النون الاخيرة وقرأه بعض قراء البصرة بنونين واثبات الياء فى الوصل وحذفها فى الوقف وقرأه بعض قراء الكوفة بتشديد النون واثبات الياء وكل هذه القراآت متقاربات وجميعها صواب

فى البيت كوة تقع الشمس فيها كل يوم فاذا نظرت اليها سجدت فجاء الهدهد فسد تلك الكوة بجناحيه لانها
فلما رأت ذلك قامت اليه فألقى الكتاب اليها وههنا اضمار أى فذهب فألقى ثم توارى ثم كأن سائلا سأل فما ذا قالت بلقيس فقيل (قالت

لانها معروفة فى لغات العرب مشهورة فى منطقها وقوله فما آتانى الله خير مما آتاكم يقول فما آتانى الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل بل أنتم بهديتكم تفرحون يقول ما أفرح بهديتكم التى أهديتم الىّ بل أنتم تفرحون بالهدية التى تهدى اليكم لانكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها وليست الدنيا وأموالها من حاجتى لان الله تعالى ذكره قد مكننى منها وملكنى فيها مالم يملك أحدا ارجع اليهم وهذا قول سليمن لرسول المرأة ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما أتت الهدايا سليمن فيها الوصائف والوصفاء والخيل العراب وأصناف من أصناف الدنيا قال للرسل الذين جاؤا به أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لانه لا حاجة لى بهديتكم وليس رأيى فيه كرأيكم فارجعوا اليها بما جئتم به من عندها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها قال لا طاقة لهم بها وقوله ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون يقول ولنخرجن من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون ان لم يأتونى مسلمين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون أو لتأتينى مسلمة هى وقومها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوىّ أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم) اختلف أهل العلم فى الحين الذى قال فيه سليمن يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها فقال بعضهم قال ذلك حين أتاه الهدهد بنبأ صاحبة سبا وقال له جئتك من سبا بنبا يقين وأخبره أن لها عرشا عظيما فقال له سليمن صلى الله عليه وسلم سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين فكان اختباره صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء أيكم يأتينى بعرش هذه المرأة قبل أن يأتونى مسلمين وقالوا انما كتب سليمن الكتاب مع الهدهد الى المرأة بعد ما صح عنده صدق الهدهد بمجىء العالم بعرشها اليه على ما وصفه به الهدهد قالوا ولولا ذلك كان محالا أن يكتب معه كتابا الى من لا يدرى هل هو فى الدنيا أم لا قالوا وأخرى أنه لو كان كتب مع الهدهد كتابا الى المرأة قبل مجىء عرشها اليه وقبل علمه صدق الهدهد بذلك لم يكن لقوله له سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين معنى لانه لا يعلم بخبره الثانى من ابلاغه اياها الكتاب أو ترك ابلاغه اياها ذلك الا نحو الذى علم بخبره الاول حين قال له جئتك من سبا بنبا يقين قالوا واذ لم يكن فى الكتاب معه امتحان صدقه من كذبه وكان محالا أن يقول نبى الله قولا لا معنى له وقد قال له سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين علم أن الذى امتحن به صدق الهدهد من كذبه هو مصير عرش المرأة اليه على ما أخبره به الهدهد الشاهد على صدقه ثم كان الكتاب معه بعد ذلك اليها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى

يا أيها الملأ انى ألقى الىّ كتاب كريم) مصدر بالتسمية أوحسن مضمونه أوهو من عند ملك كريم أوهو مختوم يروى أنه طبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه وقال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وعن ابن المقفع من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به ثم ان سائلا كأنه قال لها ممن الكتاب وما هو فقالت (انه من سليمان وانه) كيت وكيت * سؤال لم قدم سليمن اسمه على اسم الله والجواب أنها لما وجدت الكتاب على وسادتها ولم يكن لأحد اليها طريق ورأت الهدهد علمت أنه من سليمن وحين فتحت الكتاب رأت التسمية ولذلك قالت ما قالت أو لعل سليمن كتب على عنوان الكتاب انه من سليمن فقرأت عنوانه أولا ثم أخبرت بما فى الكتاب أو لعل سليمن قصد بذلك أنها لو شتمت لاجل كفرها حصل الشتم لسليمن لا لله تعالى وأن فى (أن لا تعلوا) مفسرة لما ألقى اليها أى لا تتكبروا كما تفعل الملوك يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمن بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين وكان كتب الانبياء عليهم السلام جملا وأنه مع وجازته مشتمل على تمام المقصود لان قوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على اثبات الصانع وصفاته والباقى نهى عن الترفع والتكبر وأمر بالانقياد للتكاليف كل ذلك بعد اظهار المعجز برسالة الهدهد قوله (قالت يا أيها الملأ) استئناف آخر وهكذا الى تمام القصة ومعنى (أفتونى) أشيروا على بما يحدث لكم من الرأى والفتوى الجواب فى الحادثة وأصلها من الفتاء فى السن وقطع الأمر فصله والقضاء فيه أرادت بذلك استعطافهم وتطييب نفوسهم واستطلاع آرائهم فأجابوا بأنهم أصحاب القوى الجسدانية والخارجية ولهم النجدة والبلاء فى الحرب ومع ذلك فوضوا الأمر اليها فما أحسن هذا الأدب و يحتمل أن يراد نحن من أبناء الحرب لا من

أبي عن أبيه عن ابن عباس قال ان سليمن أوتي ملكا وكان لا يعلم أن أحدا أوتي ملكا غيره فلما فقد الهدهد سأله من أين جئت ووعده وعيدا شديدا بالقتل والعذاب قال جئتك من سبا بنبا يقين قال له سليمن ماهذا النبأ قال الهدهد اني وجدت امرأة بسبا تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم فلما أخبر الهدهد سليمن أنه وجد سلطانا أنكر أن يكون لاحد في الارض سلطان غيره فقال لمن عنده من الجن والانس يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين قال سليمن أريد أعجل من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب وهو رجل من الانس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الاكبر الذي اذا دعي به أجاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فدعا بالاسم وهو عنده قائم فاحتمل العرش احتمالا حتى وضع بين يدي سليمن والله صنع ذلك فلما أتى سليمن بالعرش وهم مشركون يسجدون للشمس والقمر أخبره الهدهد بذلك فكتب معه كتابا ثم بعثه اليهم حتى اذا جاء الهدهد الملكة ألقى اليها الكتاب قالت يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم الى وأتوني مسلمين فقالت لقومها ما قالت واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون قال وبعثت اليه بوصائف ووصفاء وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى فقالت ان زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الانثى ثم رد الهدية فانه نبي وينبغي لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به فرد سليمن الهدية وزيل بينهم فقال هؤلاء غلمان وهؤلاء جوار وقال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون الى آخر الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اني وجدت امرأة تملكهم الآية قال وأنكر سليمان أن يكون لاحد على الارض سلطان غيره قال لمن حوله من الجن والانس أيكم يأتيني بعرشها الآية * وقال آخرون بل انما اختبر صدق الهدهد سليمن بالكتاب وانما سأل من عنده احضاره عرش المرأة بعد ما خرجت رسلها من عنده وبعد أن أقبلت المرأة اليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما رجعت اليها الرسل بما قال سليمن قالت قد والله عرفت ما هذا بملك وما لنا به طاقة وما نصنع بمكاثرته شيئا وبعثت اني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ثم أقفلت عليه الابواب وكانت انما يخدمها النساء معها ستمائة امرأة يخدمنها ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وبسرير ملكي فلا يخلص اليه أحد من عباد الله ولا يرينه أحد حتى آتيك ثم شخصت الى سليمن في اثني عشر ألف قيل معها من ملوك اليمن تحت يد كل قيل منهم ألوف كثيرة فجعل سليمن يبعث الجن فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة حتى اذا دنت جمع من عنده من الجن والانس ممن تحت يده فقال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين وتأويل الكلام قال سليمن لأشراف من حضره من جنده من الجن والانس يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها يعني سريرها كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أيكم يأتيني بعرشها

قال

أرباب الرأي والمشورة وانما الرأي اليك وحيث كان يلوح من وصفهم أنفسهم بالشجاعة والعلم بأمور الحرب أنهم مائلون الى المحاربة أرادت أن تنبههم الى الأمر الأصوب وهو الميل الى الصلح فلذلك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) وذلك اذا أرادوا قهرها والتسلط عليها ابتداء والا فالافساد غير لازم بل لعل الاصلاح ألزم اذا سلكت سبيل العدل والانصاف فأيس للظلمة في الآية حجة ومفعول (مرسلة) محذوف أي مرسلة رسلا مع هدية وهي اسم المهدى كالعطية اسم المعطى وانما رأت الاهداء أولا لان الهدية سبب استمالة القلوب قال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا قال في الكشاف روى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج مرصعة اللجم والسروج بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمن فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان وعن يساره على اللبنات وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين وعن اليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس كذلك والوحش والطير كذلك فلما

قال سرير في أريكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال عرشها سرير في أريكة قال ابن جريج سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أيكم يأتيني بعرشها بسريرها * وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أيكم يأتيني بعرشها قال مجلسها * واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله خص سليمن مسألة الملا من جنده احضار عرش هذه المرأة من بين أملاكها قبل اسلامها فقال بعضهم انما فعل ذلك لانه أعجبه حين وصف له الهدهد صفته وخشي أن تسلم فيحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال أخبر سليمن الهدهد أنها قد خرجت لتأتيه وأخبر بعرشها فأعجبه كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ فعرف أنهم ان جاؤه مسلمين لم تحل له أموالهم فقال للجن أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين * وقال آخرون بل فعل ذلك سليمن ليعاتبها به ويختبر به عقلها هل تثبته اذا رأته أم تنكره ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أعلم الله سليمن أنها ستأتيه فقال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين حتى يعاتبها وكانت الملوك يتعاتبون بالعلم * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله قبل أن يأتوني مسلمين فقال بعضهم معناه قبل أن يأتوني مستسلمين طوعا ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قبل أن يأتوني مسلمين يقول طائعين * وقال آخرون بل معنى ذلك قبل أن يأتوني مسلمين الاسلام الذي هو دين الله ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين بحرمة الاسلام فيمنعهم وأموالهم يعني الاسلام يمنعهم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خص سليمن بسؤاله الملأ من جنده باحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه انها خلفته في بيت في جوف أبيات بعضها في جوف بعض مغلق مقفل عليها فأخرجه الله من ذلك كله بغير فتح أغلاق وأقفال حتى أوصله الى وليه من خلقه وسلمه اليه فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها اليه سليمن وعلى صدق سليمن فيما أعلمها من نبوته فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله قبل أن يأتوني مسلمين بتأويله فقول ابن عباس الذي ذكرناه قبل من أن معناه طائعين لان المرأة لم تأت سليمن اذ أتته مسلمة وانما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة وقوله قال عفريت من الجن يقول تعالى ذكره قال رئيس من الجن مارد قوي وللعرب فيه لغتان عفريت وعفرية فمن قال عفرية جمعه عفاري ومن قال عفريت جمعه عفاريت * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قال عفريت من الجن قال مارد من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وغيره مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن بعض أصحابه قال عفريت قال داهية * قال ثني

دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب على اللبنات فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ماوراءكم وقال أين الحق وأخبرهم بما فيه ثم أمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجر وأخذت دودة بيضاء الخيط فأدخلته في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله على سبيل الانكار (أتمدونني بمال) ثم قال على سبيل الاعلام وتعليل الانكار (فما آتاني الله) من الكمالات والقربات والدرجات (خير مما آتاكم) ثم أضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون الفرح الا في أن يهدى اليهم حظ من الدنيا فعلى هذا تكون الهدية مضافة الى المهدى اليه والمعنى (بل أنتم بهديتكم) هذه التي أهديتموها (تفرحون) فرح افتخار على الملوك ويحتمل أن يكون الكلام عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم ان تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها ثم قال للرسول أو للهدهد معه كتاب آخر (ارجع اليهم) ومعنى (لا قبل) لا طاقة ولا مقابلة والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار أن يقعوا مع ذلك في أسر واستعباد يروى أنه لما رجعت اليها الرسل عرفت أن سليمن نبي وليس لهم به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر ألف قيل مع كل قيل ألوف وأمرت عند خروجها أن يجعل عرشها في آخر سبعة أبيات في آخر قصر من قصور سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حرسا فلعل سليمن أوحى اليه ذلك فأراد أن يريها بعض ما خصه الله به من المعجزات فلذلك (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها) وعن قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل أراد بذلك اختبار عقلها كما يجيء وقيل أراد أن يعرف تجملها ومقدار مملكتها قبل وصولها اليه والعفريت من الرجال الخبيث المنكر الذي

يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد ووزنه فعليت قالوا كان اسمه ذكوان وآتيك به في الموضعين يجوز أن يكون فعلا مضارعا وأن يكون اسم فاعل ومعنى (أن تقوم من مقامك) اماعلى ظاهره وهو أن يقوم فيقعد واما أن يكون المقام

هو المجلس ولابد فيه من عادة معلومة حتى يصح أن يؤقت به وعلى هذا قيل المراد مجلس الحكم وقيل مقدار فراغه من الخطبة وقيل الى انتصاف النهار (واني عليه) أي على حمله (لقوي أمين) آتي به على حاله لا أتصرف فيه بشئ واختلفوا في الذي عنده علم من الكتاب فقيل هو الخضر عليه السلام وقيل جبرائيل وقيل ملك ايدالله به سليمن وقيل آصف بن برخيا وزيره أو كاتبه وقيل هو سليمن نفسه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وقد يرجح هذا القول بوجوه منها أن الشخص المشار اليه بالذي يجب أن يكون معلوما للمخاطب وليس سوى سليمن ولو سلم أن آصف أيضا كان كذلك فسليمن أولى باحضار العرش في تلك اللحة والا لزم تفضيل آصف عليه من هذا الوجه ومنها قول سليمن (هذا من فضل ربي) ويمكن أن يقال الضمير راجع الى استقرار العرش عنده ولو سلم رجوعه الى الاتيان بالعرش فلا يخفى أن كمال حال التابع والخادم من جملة كمالات المتبوع والمخدوم ولا يلزم من أن يأمر الانسان غيره بشئ أن يكون الآمر عاجزا عن الاتيان بذلك الشئ واختلفوا أيضا في الكتاب فقيل هو اللوح وقيل الكتاب المنزل الذي فيه الوحي والشرائع وقيل كتاب سليمن أو كتاب بعض الانبياء وما ذلك العلم قيل نوع من العلم لا يعرف الآن والاكثرون على أنه العلم باسم الله الاعظم وقد مر في تفسير البسملة كثير مما قيل فيه ومما وقفت عليه بعد ذلك أن غالب بن قطان مكث عشرين سنة يسأل الله الاسم الاعظم الذي اذا دعي به أجاب سمع

حجاج عن ابن جريج قال أخبرني وهب بن سليمن عن شعيب الجبائي قال العفريت الذي ذكره الله اسمه كوزن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم قال عفريت اسمه كوزن وقوله أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يقول أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقعدك هذا وكان فيما ذكر قاعدا للقضاء بين الناس فقال أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم بين الناس وذكر أنه كان يقعد الى انتصاف النهار * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وغيره مثله قال وكان يقضي قال قبل أن تقوم من مجلسك الذي تقضي فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يعني مجلسه وقوله واني عليه لقوي أمين على ما فيه من الجواهر ولا أخون فيه وقد قيل أمين على فرج المرأة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله واني عليه لقوي أمين يقول قوي على حمله أمين على فرج هذه قوله قال الذي عنده علم من الكتاب يقول جل ثناؤه قال الذي عنده علم من كتاب الله وكان رجلا فيما ذكر من بني آدم فقال بعضهم اسمه بليخا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عثمة قال ثنا شعبة عن بشر عن قتادة في قوله قال الذي عنده علم من الكتاب قال كان اسمه بليخا حدثنا يحيى بن داود الواسطي قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله الذي عنده علم من الكتاب رجل من الانس حدثنا ابن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية الفزاري عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد في قول الله قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قال أنا أنظر في كتاب ربي ثم آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش تحت الارض حتى خرج اليهم حدثنا ابن عرفة قال ثني حماد بن محمد عن عثمان بن مطر عن الزهري قال دعا الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها قال فمثل بين يديه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال الذي عنده علم من الكتاب قال رجل من بني آدم أحسبه قال من بني اسرائيل كان يعلم اسم الله الذي اذا دعي به أجاب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الذي عنده علم من الكتاب قال الاسم الذي اذا دعي به أجاب وهو يا ذا الجلال والاكرام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول قال سليمن لمن حوله أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين فقال عفريت أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك قال سليمن أريد أعجل من ذلك فقال رجل من الانس عنده علم من الكتاب يعني اسم الله الذي اذا دعي به أجاب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين لا آتيك بغيره أقول غيره أمثله لك قال وخرج يومئذ رجل عابد في جزيرة من البحر فلما

واذا سئل به أعطى فأري في منامه ثلاث ليال متواليات قل يا غالب يا فارج الهم يا كاشف الغم يا صادق الوعد يا موفيا بالعهد يا منجز
الوعد يا حي يا لا اله الا انت صل اللهم على محمد وآل محمد وسلم والطرف تحريك الاجفان عند النظر فوضع

سمع العفريت قال أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال ثم دعا باسم من أسماء الله فاذا هو يحمل بين عينيه وقرأ فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي حتى بلغ ان ربي غني كريم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال رجل من الانس * قال وقال مجاهد الذي عنده علم من الكتاب علم اسم الله * وقال آخرون الذي عنده علم من الكتاب كان آصف ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال عفريت لسليمن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين فزعموا أن سليمن بن داود قال أبتغي أعجل من هذا فقال آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم الاسم الاعظم الذي اذا دعي الله به أجاب واذا سئل به أعطى أنا يا نبي الله آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وقوله أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه أنا آتيك به قبل أن يصل اليك من كان منك على مد البصر ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني ابراهيم قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن سعيد بن جبير قبل أن يرتد اليك طرفك قال من قبل أن يرجع اليك أقصى من ترى فذلك قوله من قبل أن يرتد اليك طرفك * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال غير قتادة قبل ان يرتد اليك طرفك قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر * وقال آخرون بل معنى ذلك من قبل ان يبلغ طرفك مداه وغايته ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قبل أن يرتد اليك طرفك تمد عينيك فلا ينتهي طرفك الى مداه حتى أمثله بين يديك قال ذلك أريد حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن اسمعيل عن سعيد بن جبير قال أخبرت أنه قال ارفع طرفك من حيث يجيء فلم يرجع اليه طرفه حتى وضع العرش بين يديه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن عطاء عن مجاهد في قوله قبل أن يرتد اليك طرفك قال مد بصره حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قبل أن يرتد اليك طرفك قال اذا مد البصر حتى يرد الطرف خاسئا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قبل أن يرتد اليك طرفك قال اذا مد البصر حتى يحسر الطرف * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال قبل أن يرجع اليك طرفك من أقصى أثره وذلك أن معنى قوله يرتد اليك يرجع اليك البصر اذا فتحت العين غير راجع بل انما يمتد ماضيا الى أن يتناهى ما امتد نوره فاذا كان ذلك كذلك وكان الله انما أخبرنا عن قائل ذلك أنا آتيك به قبل أن يرتد لم يكن لنا أن نقول انه قال أنا آتيك به قبل أن يرتد راجعا اليك طرفك من عند منتهاه وقوله فلما رآه مستقرا عنده يقول فلما رأى سليمن عرش ملكة سبا مستقرا عنده وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ظهر عما ترك وهو فدعا الله فأتي به فلما رآه سليمن مستقرا عنده وذكر أن العالم دعا الله فغار العرش في المكان الذي كان به ثم نبع من تحت الارض بين يدي سليمن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال ذكروا أن آصف بن برخيا توضأ ثم ركع ركعتين ثم قال يا نبي الله امدد عينك حتى ينتهي طرفك فمد سليمن عينه ينظر اليه نحو اليمن ودعا آصف فانخرق بالعرش

موضع النظر فاذا فتحت العين توهمت أن نور العين يمتد الى المرئي واذا غمضت توهمت أن ذلك النور قد ارتد فمعنى الآية أنك ترسل طرفك الى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك يروى أن آصف قال له مد عينك حتى ينتهي طرفك فمد عينه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغاص العرش في مكانه ثم ظهر عند مجلس سليمن بالشام بقدرة الله قبل أن يرتد طرفه ومن استبعد هذا في قدرة الله فليتأمل في الحركات السماوية على ما يشهد به علم الهيئة حتى يزول استبعاده وقال مجاهد هو تمثيل لاستقصار مدة الاتيان به كما تقول لصاحبك افعل هذا في لحظة أو لمحة وحين عرف سليمن نعمة الله في شأنه وأن ذلك صورة الابتلاء بين أن شكر الشاكر انما يعود الى نفس الشاكر لانه يرتبط به العتيد ويطلب المزيد كما قيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وروى في الكشاف عن بعضهم أن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار قوله أقشعت نافرة أي ذهبت في حال نفارها وراهنها أي ثابتها (ومن كفر فان ربي غني) عن عبادة كل عابد فضلا عن شكر شاكر (كريم) لا يقطع امداد نعمه عنه لعله يتوب ويصلح حاله زعم المفسرون ان الجن كرهوا أن يتزوجها سليمن فتفضي اليه بأسرارهم لانها كانت بنت جنية أو خافوا أن يولد له منها ولد تجمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمن الى ملك هو أشد فقالوا له ان في عقلها شيأ وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش وذلك قوله (نكروا لها عرشها)

أى اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل لغيره لئلا يعرفه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله وقوله (ننظر) بالجزم جواب للامر وقرئ بالرفع على (١٠٤) الاستئناف (أتهتدى) لمعرفة العرش أو للجواب الصائب اذا سئلت عنه أو للدين والايمان بنبوة سليمن اذا رأت تلك الخوارق وقوله (أم تكون من الذين لا يهتدون) أبلغ من أن لو قال أم لا تهتدى كما مر فى قوله أم كنت من الكاذبين (فلما جاءت قيل أهكذا) أى مثل ذا (عرشك) لئلا يكون شبه تلقين فقالت (كأنه هو) ولم تقل هو هو مع أنها عرفته ليكون دليلا على وفور عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل وتوقفت فى مقام التوقف أما قوله (واوتينا العلم) فمعطوف على مقدر كأنهم قالوا عند قولها كأنه هو قد أصابت فى جوابها وطابقت المفصل وهى عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة نبوة سليمن بهذه الخوارق (وأوتينا) نحن (العلم) بالله وبقدرته قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام (وصدّها) عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس وكونها بين ظهرانى الكفرة والغرض تلقى نعمة الله بالشكر على سابقة الاسلام وقيل هو موصول بكلام بلقيس والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمن قبل هذه المعجزة أو الحالة وذلك عند وفدة المنذر ثم قال سبحانه وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه (ما كانت تعبد من دون الله) وقيل الجار محذوف أى وصدها الله اوسليمن عما كانت تعبد واختبر ساقها بأن أمر أن يبنى على طريقها قصر من زجاج أبيض فأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى آخره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس ثم (قيل لها ادخلى الصرح) أى القصر أو صحن الدار (فلما رأته حسبته لجة) أى ماء غامرا (وكشفت عن ساقيها) لتخوض فى الماء فاذا هى أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها شعراء فصرف سليمن بصره وناداها منه

مكانه الذى هو فيه ثم نبع بين يدى سليمن فلما رآه سليمن مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نبع عرشها من تحت الارض وقوله قال هذا من فضل ربى ليبلونى يقول هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذى أنا فيه حتى حمل الىّ عرش هذه فى قدر ارتداد الطرف من مأرب الى الشام من فضل ربى الذى أفضله علىّ وعطائه الذى جاد به علىّ ليبلونى يقول ليختبرنى ويمتحننى أأشكر ذلك من فعله علىّ أم أكفر نعمته علىّ بترك الشكر له وقد قيل ان معناه أأشكر على عرش هذه المرأة اذ أتيت به أم أكفر اذ رأيت من هو دونى فى الدنيا أعلم منى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر على السرير اذ أتيت به أم أكفر اذ رأيت من هو دونى فى الدنيا أعلم منى وقوله ومن شكر فانما يشكر لنفسه يقول ومن شكر نعمة الله عليه وفضله عليه فانما يشكر طلب نفع نفسه لانه ليس ينفع بذلك غير نفسه لانه لا حاجة لله الى أحد من خلقه وانما دعاهم الى شكره تعريضا منه لهم للنفع لا لاجتلاب منه بشكرهم اياه نفعا الى نفسه ولا دفع ضر عنها ومن كفر فان ربى غنى كريم يقول ومن كفر نعمه واحسانه اليه وفضله عليه لنفسه ظلم وحظها بخس والله غنى عن شكره لا حاجة به اليه لا يضره كفر من كفر به من خلقه كريم ومن كرمه افضاله على من يكفر نعمه ويجعلها وصلة يتوصل بها الى معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ يقول تعالى ذكره قال سليمن لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبا وقدمت هى عليه لجنده غيروا لهذه المرأة سريرها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله نكروا لها عرشها قال غيروا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فلما أتته قال نكروا لها عرشها قال وتنكير العرش أنه زيد فيه ونقص حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله نكروا لها عرشها قال غيروه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله نكروا لها عرشها قال مجلسها الذى تجلس فيه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله نكروا لها عرشها أمرهم أن يزيدوا فيه وينقصوا منه وقوله ننظر أتهتدى يقول ننظر أتعقل فتثبت عرشها أنه هو الذى لها أم تكون من الذين لا يهتدون يقول من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها وقيل ان سليمن انما نكر لها عرشها وأمر بالصرح يعمل لها من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنه لا عقل لها وأن رجلها كحافر حمار فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون قال زيد فى عرشها ونقص

منه لينظر الى عقلها فوجدت ثابتة العقل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ننظر أتهتدى اتعرفه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنى ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ننظر أتهتدى قال تعرفه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون أى أتعقل أم تكون من الذين لا يعقلون ففعل ذلك لينظر أتعرفه أم لا تعرفه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) يقول تعالى ذكره لما جاءت صاحبة سبا سليمن أخرج لها عرشها فقال لها أهكذا عرشك فقالت وشبهته به كأنه هو * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما انتهت الى سليمن وكلمته أخرج لها عرشها ثم قال أهكذا عرشك قالت كأنه هو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو قال شبهته وكانت قد تركته خلفها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان أبي يحدثنا هذا الحديث كله يعنى حديث سليمن وهذه المرأة فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو شكت وقوله وأوتينا العلم من قبلها يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل سليمن وقال سليمن وأوتينا العلم من قبل هذه المرأة بالله وبقدرته على ما يشاء وكنا مسلمين لله من قبلها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وأوتينا العلم من قبلها قال سليمن يقوله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وصدّها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين) يقول تعالى ذكره ومنع هذه المرأة صاحبة سبا ما كانت تعبد من دون الله وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وصدّها ما كانت تعبد من دون الله قال كفرها بقضاء الله غير الوثن أن تهتدى للحق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وصدّها ما كانت تعبد من دون الله قال كفرها بقضاء الله صدها أن تهتدى للحق ولو قيل معنى ذلك وصدّها سليمن ما كانت تعبد من دون الله بمعنى منعها وحال بينها وبينه كان وجها حسنا ولو قيل أيضا وصدّها الله ذلك بتوفيقها للاسلام كان أيضا وجها صحيحا وقوله انها كانت من قوم كافرين يقول ان هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين وكسرت الالف من قوله انها على الابتداء ومن تأول قوله وصدّها ما كانت تعبد من دون الله التأويل الذى تأولنا كانت ما من قوله ما كانت تعبد فى موضع رفع بالصدّ لان المعنى فيه لم يصدّها عن عبادة الله جهلها وأنها لا تعقل انما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر وكان ذلك من دين قومها وآبائها فاتبعت فيه آثارهم ومن تأوله على الوجهين الآخرين كانت ما فى موضع نصب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين) ذكر أن سليمن لما أقبلت صاحبة سبا تريده

(انه صرح ممرد) أى مملس (من قوارير) هذا عند من يقول تزوجها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا له همدان وكان يزورها فى الشهر مرّة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له قالوا كون ساقها شعراء هو السبب فى اتخاذ النورة أمر به الشياطين فاتخذوها وقال آخرون المقصود من الصرح تهويل المجلس وحصل كشف الساق على سبيل التبع عن ابن عباس لما أسلمت قال لها اختارى من أزوجكه فقالت مثلى لا ينكح الرجال مع سلطان فقال النكاح من الاسلام فقالت ان كان كذلك فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم ردها الى اليمن ولم يزل بها ملكا (قالت رب انى ظلمت نفسى) أى بالكفر فى الزمن السالف

أمر الشياطين فبنوا له صرحا وهو كهيئة السطح من قوارير وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك وفهمها على نحو الذى كانت تفعل هى من توجيهها اليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكور منهم والاناث معاتبة بذلك كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال أمر سليمن بالصرح وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا ثم أرسل الماء تحته ثم وضع له فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس ثم قال ادخلى الصرح ليريها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لا تشك انه ماء تخوضه قيل لها ادخلى انه صرح ممرد من قوارير فلما وقفت على سليمن دعاها الى عبادة الله وعابها فى عبادتها الشمس دون الله فقالت بقول الزنادقة فوقع سليمن ساجدا اعظاما لما قالت وسجد معه الناس وسقط فى يديها حين رأت سليمن صنع ما صنع فلما رفع سليمن رأسه قال ويحك ماذا قلت قال وأنسيت ما قالت فقالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين وأسلمت فحسن اسلامها وقيل ان سليمن انما أمر ببناء الصرح على ما وصفه الله لان الجن خافت من سليمن أن يتزوجها فارادوا أن يزهدوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وان أمها كانت من الجن فأراد سليمن أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجن من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى قال قالت الجن لسليمن تزهده فى بلقيس ان رجلها رجل حمار وان أمها كانت من الجن فأمر سليمن بالصرح فعمل فسجن فيه دواب البحر الحيتان والضفادع فلما بصرت بالصرح قالت ما وجد ابن داود عذابا يقتلنى به الا الغرق فحسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال فاذا أحسن الناس ساقا وقدما قال فضن سليمن بساقها عن الموسى قال فاتخذت النورة بذلك السبب وجائز عندى أن يكون سليمن أمر باتخاذ الصرح للامرين الذى قاله وهب والذى قاله محمد بن كعب القرظى ليختبر عقلها وينظر الى ساقها وقدمها ليعرف صحة ما قيل له فيها وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه فى معنى الصرح ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الصرح قال بركة من ماء ضرب عليها سليمن قوارير ألبسها قال وكانت بلقيس هلباء شعراء قدمها كحافر الحمار وكانت أمها جنية حدثنى أحمد بن الوليد الرملى قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحد أبوى صاحبة سبا جنيا * قال ثنا صفوان بن صالح قال ثنى الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر النضر بن أنس وقوله فلما رأته حسبته لجة يقول فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر كشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة قال وكان من قوارير وكان الماء من خلفه فحسبته لجة * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله حسبته لجة قال بحرا حدثنا عمرو بن على قال ثنا ابن سوار قال ثنا روح بن القاسم عن عطاء بن السائب عن مجاهد فى قوله وكشفت عن ساقيها فاذا هما شعراوان فقال ألا شئ يذهب هذا قالوا الموسى قال لا الموسى له أثر فأمر بالنورة فصنعت حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص عن عمران بن سليمن عن عكرمة وأبى صالح قالا لما تزوج سليمن بلقيس قالت له لم تمسنى حديدة

قط

أو بسوء ظنى بسليمن اذ حسبت انه يغرقنى فى الماء وهذا التفسير أنسب بما قبله ولعل فى قولها مع سليمن أى مصاحبة له اشارة الى أن اسلامها تبع لاسلام سليمن وأنها تريد أن تكون معه فى الدارين جميعا والله أعلم ﴿التأويل ولقد آتينا داود الروح وسليمن القلب علما الدنيا على كثير من عباده وهم الاعضاء والجوارح المستعملة فى العبودية وورث سليمن داود لان كل الهام وفيض يصدر من الحضرة الالهية يكون عبوره على داود الروح الا أنه للطافته لا يحفظها وانما يحفظها القلب لكثافته ولذلك كان سليمن أقضى من داود قوله منطق الطير يعنى الرموز والاشارات التى يحفظها بلسان الحال أرباب

قط قال سليمن للشياطين انظروا ما يذهب الشعر قالوا النورة فكان أول من صنع النورة وقوله انه صرح ممرد من قوارير يقول جل ثناؤه قال سليمن لها ان هذا ليس بحر انه صرح ممرد من قوارير يقول انما هو بناء مبنى مشيد من قوارير * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ممرد قال مشيد وقوله قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن الآية يقول تعالى ذكره قالت المرأة صاحبة سبا رب انى ظلمت نفسى فى عبادتى الشمس وسجودى لها دونك وأسلمت مع سليمن لله تقول وانقدت مع سليمن مذعنة لله بالتوحيد مفردة له بالالوهة والربوبية دون كل من سواه وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى حسبته لجة قال انه صرح ممرد من قوارير فعرفت أنها قد غلبت قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله وحده لا شريك له ولا تجعلوا معه الها غيره فاذا هم فريقان يختصمون يقول فلما أتاهم صالح داعيا لهم الى الله صار قومه من ثمود فيما دعاهم اليه فريقين يختصمون ففريق مصدق صالحا مؤمن به وفريق مكذب به كافر بما جاء به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فريقان يختصمون قال مؤمن وكافر قولهم صالح مرسل وقولهم صالح ليس بمرسل ويعنى بقوله يختصمون يختلفون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاذا هم فريقان يختصمون قال مؤمن وكافر وقوله قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة يقول تعالى ذكره قال صالح لقومه يا قوم لأى شئ تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة قال السيئة العذاب قبل الحسنة قبل الرحمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قال بالعذاب قبل الحسنة قال العافية وقوله لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون يقول هلا تتوبون الى الله من كفركم فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم يصفح لكم عن عقوبته اياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة وقوله لعلكم ترحمون يقول ليرحمكم ربكم باستغفاركم اياه من كفركم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون﴾ يقول تعالى ذكره قالت ثمود لرسولها صالح اطيرنا بك وبمن معك أى تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب فأجابهم صالح فقال لهم طائركم عند الله أى ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه لا يدرى أى ذلك كائن أما تظنون من المصائب أو المكاره أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله قال طائركم عند الله يقول مصائبكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله طائركم عند الله علمكم عند الله وقوله

الاحوال الطائرين فى سماء سناء الفناء وقيل أراد الخواطر الملكية الروحانية قوله من الجن والانس والطير أى من الصفات الشيطانية والانسانية والملكية فهم يوزعون على طبيعتهم بالشريعة وادى النمل هوى النفس الحريصة على الدنيا وشهواتها قالت نملة هى النفس اللوامة يا أيها النمل هى الصفات النفسانية ادخلوا مساكنكم محالكم المختلفة وهى الحواس الخمس وهم لا يشعرون أنهم على الحق وأنتم على الباطل لان الشمس لا حس عندها من نورها ولا من الظلمة التى تزيلها نعمتك التى أنعمت على بتسخير جنودى لى وعلى والدى وهما الروح والجسد أنعم على الروح بافاضة الفيوض وعلى الجسد باستعماله فى أركان

بل أنتم قوم تفتنون يقول بل أنتم قوم تختبرون يختبركم ربكم اذ أرسلني اليكم أتطيعونه فتعملون بما أمركم به فيجزيكم الجزيل من ثوابه أم تعصونه فتعملون بخلافه فيحل بكم عقابه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون﴾ يقول تعالى ذكره وكان في مدينة صالح وهي حجر ثمود تسعة أنفس يفسدون في الارض ولا يصلحون وكان افسادهم في الارض كفرهم بالله ومعصيتهم اياه وانما خص الله جل ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون وان كان أهل الكفر كلهم في الارض مفسدين لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا في عقر الناقة وتعاونوا عليه وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تسعة رهط قال من قوم صالح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون هم الذين عقروا الناقة وقالوا حين عقروها نبيت صالحا وأهله فنقتلهم ثم نقول لاولياء صالح ماشهدنا من هذا شيأ ومالنا به علم فدمرهم الله أجمعين وقوله قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله يقول تعالى ذكره قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في أرض حجر ثمود ولا يصلحون تقاسموا بالله تحالفوا بالله أيها القوم ليحلف بعضكم لبعض لنبيتن صالحا وأهله فلنقتلنه ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تقاسموا بالله قال تحالفوا على اهلاكه فلم يصلوا اليه حتى هلكوا وقومهم أجمعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه ويتوجه قوله تقاسموا بالله الى وجهين أحدهما النصب على وجه الخبر كأنه قيل قالوا متقاسمين وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ولا يصلحون تقاسموا بالله وليس فيها قالوا فذلك من قراءته يدل على وجه النصب في تقاسموا على ماوصفت والوجه الآخر الجزم كأنهم قال بعضهم لبعض أقسموا بالله فعلى هذا الوجه الثاني تصلح قراءة لنبيتنه بالياء والنون لان القائل لهم تقاسموا وان كان هو الآمر فهو فيمن أقسم كما يقال في الكلام انهضوا بنا نمض الى فلان وانهضوا نمضي اليه وعلى الوجه الاول الذي هو وجه النصب القراءة فيه بالنون أفصح لان معناه قالوا متقاسمين لنبيتنه وقد تجوز الياء على هذا الوجه كما يقال في الكلام قالوا لنكرمن أباك وليكرمن أباك وبالنون قرأ ذلك قراء المدينة وعامة قراء البصرة وبعض الكوفيين وأما الاغلب على قراء أهل الكوفة فقراءته بالياء وضم التاء جميعا وأما بعض المكيين فقرأه بالياء وأعجب القراآت في ذلك الى النون لان ذلك أفصح الكلام على الوجهين اللذين بينت من النصب والجزم وان كان كل ذلك صحيحا غير فاسد لما وصفت وأكرهها الى القراءة بها الياء لقلة قارئ ذلك كذلك وقوله لنبيتنه قال ليبيتن صالحا ثم يفتكوا به حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا يعني فيما وعدهم من العذاب بعد

الشريعة وفي قوله بنبا يقين اشارة الى أن من أدب المخبر أن لا يخبر الا عن يقين وبصيرة ولا سيما عند الملوك وفي قول سليمن سننظر أصدقت اشارة الى أن خبر الواحد وان زعم اليقين لا يعول عليه الا بامارات أخر كتاب كريم كأنها عرفت أنها بكرامته تهتدي الى حضرة الكريم ان ملوك الصفات الربانية اذا دخلوا قرية الشخص الانساني أفسدوها بافساد الطبيعة الحيوانية وجعلوا أعزة أهلها وهم النفس الامارة وصفاتها أذلة بسطوات التجلي وكذلك يفعلون مع الانبياء والاولياء وفي قوله أيكم يأتيني بعرشها اشارة

الثلاث عجلناه قبله وان كان كاذبا نكون قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة وقوله وانا لصادقون نقول لوليه وانا لصادقون انا ماشهدنا مهلك أهله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون فى الارض بصالح بمصيرهم اليه ليلا ليقتلوه وأهله وصالح لا يشعر بذلك ومكرنا مكرا يقول فأخذناهم بعقوبتنا اياهم وتعجيلنا العذاب لهم وهم لا يشعرون بمكرنا وقد بينا فيما مضى معنى مكر الله بمن مكر به وما وجه ذلك وأنه أخذه من أخذه منهم على غرة أو استدراجه من استدرج منهم على كفره به ومعصيته اياه ثم احلاله العقوبة به على غرة وغفلة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن شمر بن عطية عن رجل عن على قال المكر غدر والغدر كفر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا قال احتالوا لامرهم واحتال الله لهم مكروا بصالح مكرا ومكرنا بهم مكرا وهم لا يشعرون بمكرنا وشعرنا بمكرهم قالوا زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك وكان له مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فخرجوا الى كهف وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا اذا فرغنا منه الى أهله ففرغنا منهم وقرأ قول الله تبارك وتعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فخشوا أن تشدخهم فبادروا الغار فطبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار فلا يدرى قومهم أين هم ولا يدرون ما فعل بقومهم فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا وأنجى الله صالحا ومن معه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة ومكروا مكرا ومكرنا مكرا قال فسلط الله عليهم صخرة فقتلتهم وقوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم يقول تعالى ذكره فانظر يا محمد بعين قلبك الى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح كيف كانت وما الذى أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم فان ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا وطغى علينا من سائر الخلق فحذر قومك من قريش أن ينالهم بتكذيبهم اياك ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلات وقوله انا دمرناهم وقومهم أجمعين يقول انا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون فى الارض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين فلم نبق منهم أحدا * واختلفت القراء فى قراءة قوله انا فقرأ بكسرها عامة قراء الحجاز والبصرة على الابتداء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة أنا دمرناهم بفتح الالف واذا فتحت كان فى أنا وجهان من الاعراب أحدهما الرفع على ردها على العاقبة على الاتباع لها والآخر النصب على الرد على موضع كيف لانها فى موضع نصب ان شئت وان شئت على تكرير كان عليها على وجه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم كان عاقبة مكرهم تدميرنا اياهم * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فتلك بيوتهم خاوية فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم ليس فيها منهم أحد قد أهلكهم الله فأبادهم بما ظلموا يقول تعالى ذكره بظلمهم أنفسهم بشركهم بالله وتكذيبهم رسولهم ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون يقول تعالى ذكره ان فى فعلنا بثمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة

الى أن سليمن كان واقفا على أن فى قومه من هو أهل لهذه الكرامة وكرامات الاولياء من قوة اعجاز الانبياء قيل لها ادخلى الصرح فيه دليل على أن سليمن أراد أن ينكحها والا لم يجز النظر الى ساقيها وأسلمت نفسى للنكاح مع سليمن لله وفى الله * تأويل آخر وتفقد الطير هم أهل العشق الطيارة فى فضاء سماء القدس وجوعا لم الانس والهدهد الرجل العلمى الذى عول على فكره واعمال قريحته فى استنباط خبايا الاسرار وكوامن الاستار عذابا شديدا بالرياضة والمجاهدة أو لأذبحنه بسكين مخالفات الارادة سبا مدينة الاختلاط والانس بالانس والمرأة الدنيا وبهجتها وعرشها العظيم حب الجاه والمناصب يسجدون لشمس عالم

لعظة لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا من قومك الذين يكذبونك فيما جئتهم به من عند ربك وعبرة وأنجينا الذين آمنوا يقول وأنجينا من نقمتنا وعذابنا الذى أحللناه بثمود رسولنا صالحا والمؤمنين به وكانوا يتقون يقول وكانوا يتقون بإيمانهم وبتصديقهم صالحا الذى حل بقومهم من ثمود ما حل بهم من عذاب الله فكذلك ننجيك يا محمد وأتباعك عند احلالنا عقوبتنا بمشركى قومك من بين أظهرهم وذكر أن صالحا لما أحل الله بقومه ما أحل خرج هو والمؤمنون به الى الشام فنزل رملة فلسطين

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلنا لوطا الى قومه اذ قال لهم يا قوم أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أنها فاحشة لعلمكم بأنه لم يسبقكم الى ما تفعلون من ذلك أحد وقوله أئنكم لتأتون الرجال شهوة منكم بذلك من دون فروج النساء التى أباحها الله لكم بالنكاح وقوله بل أنتم قوم تجهلون يقول ماذلك منكم الا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم فخالفتم لذلك أمره وعصيتم رسوله

﴿تم الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء العشرون أوله القول فى تأويل قوله تعالى (فما كان جواب قومه)﴾

الطبيعة وهو الهوى والهدية عرض الدنيا وزينتها والاتيان بالعرش قبل اتيانهم هو اخراج حب الجاه من الباطن حتى تنقاد الاعضاء والجوارح بالكلية لاشتغال العبودية آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الجاه والعفريت الرياضة الشديدة والذى عنده علم من الكتاب هو الجذبة التى توازى عمل الثقلين وتنكير العرش تغيير حب الجاه للهوى بحبه للحق والقصر قصر التصرف فى الدنيا للحق بالحق وكشف الساق كناية عن اشتداد الامر عليه والقوارير عبارة عن رؤية بواطن الامور مع الاشتغال بظواهرها وهذه من جملة منطق الطير يفهم ان شاء العزيز وحده والله أعلم

﴿ فهرست الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

﴿ تمت فهرست الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء التاسع عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء التاسع عشر من تفسير ابن جرير ﴾

﴿ تمت فهرست الجزء التاسع عشر من النيسابورى ﴾

الجزء العشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

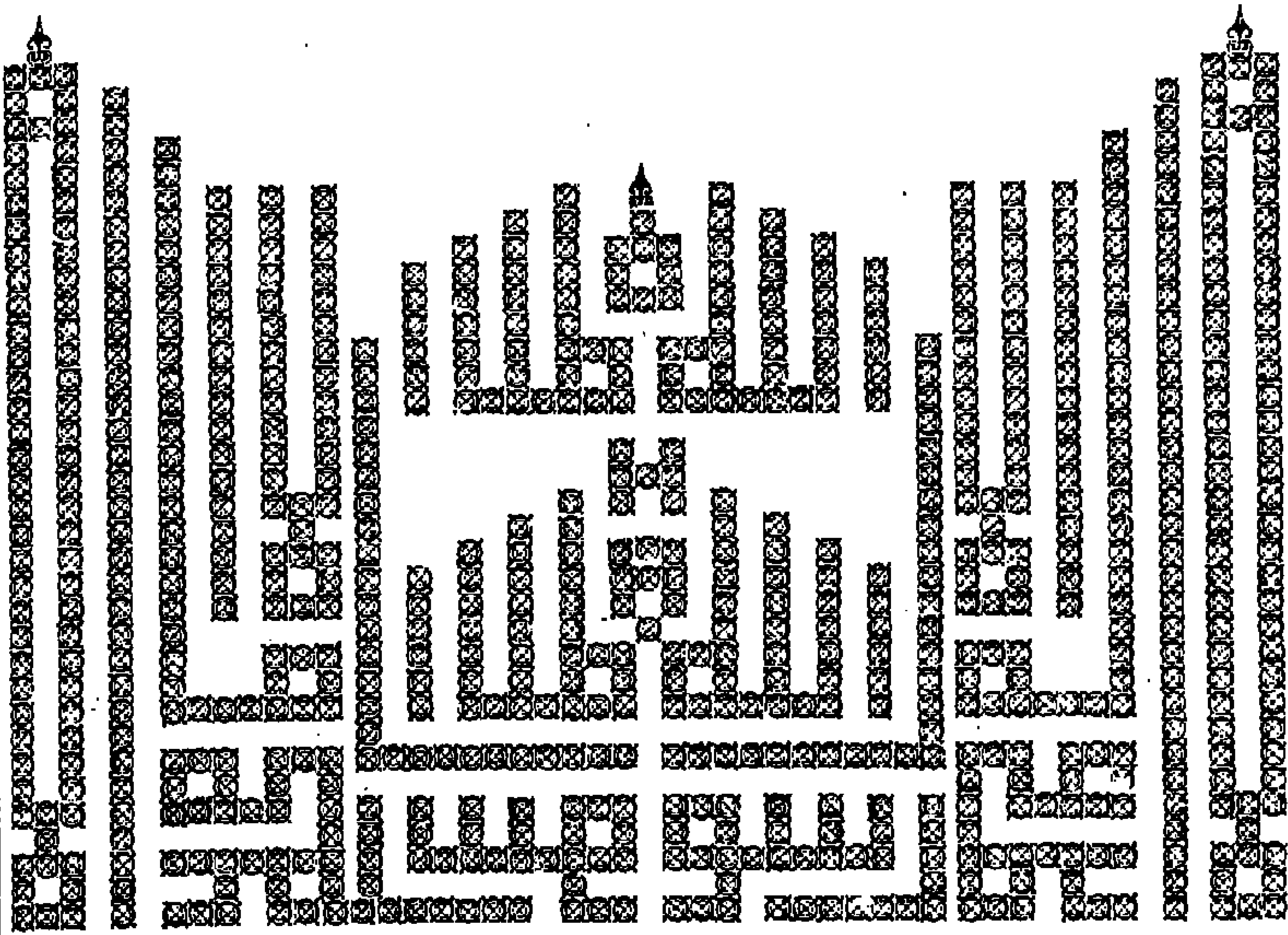
طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٨ هجريه



الجزء العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون﴾ يقول تعالى ذكره فلم يكن لقوم لوط جواب له اذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من اتيان الرجال الا قيل بعضهم لبعض أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون عما نفعله نحن من اتيان الذكران فى أدبارهم كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال سمعت الحسن ابن عمارة يذكر عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله أناس يتطهرون قال من اتيان الرجال والنساء فى أدبارهن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله انهم أناس يتطهرون قال من أدبار الرجال وأدبار النساء استهزاء بهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال يتطهرون من أدبار الرجال والنساء استهزاء بهم يقولون ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أنه تلا انهم أناس يتطهرون قال عابوهم بغير عيب أى انهم يتطهرون من أعمال السوء القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين﴾ يقول تعالى ذكره فأنجينا لوطا وأهله سوى امرأته من عذابنا حين أحللناه بهم ثم قدرناها يقول فان امرأته قدرناها جعلناها بتقديرنا من الغابرين من الباقين وأمطرنا عليهم مطرا وهو امطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل فساء مطر المنذرين يقول فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم اياه وخوفهم بأسه بارسال الرسول اليهم بذلك القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل الحمد لله

﴿ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أءله مع الله قليلا ماتذكرون أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح

وسلام

بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون امن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض اءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من السموات والارض الغيب الا الله (٣) وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون)

وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد الحمد لله على نعمه علينا وتوفيقه ايانا لما وفقنا من الهداية وسلام يقول وأمنة منه من عقابه الذى عاقب به قوم لوط وقوم صالح على الذين اصطفاهم يقول الذين اجتباهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذى بعثه بالدعاء اليه دون المشركين به الجاحدين نبوة نبيه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق يعنى ابن غنام عن ابن ظهير عن السدى عن أبى مالك عن ابن عباس وسلام على عباده الذين اصطفى قال أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد ابن مسلم قال قلت لعبد الله بن المبارك أرأيت قول الله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى من هؤلاء فحدثنى عن سفيان الثورى قال هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله آلله خير أما يشركون يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء الذين زين لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون آلله الذى أنعم على أوليائه هذه النعم التى قصها عليكم فى هذه السورة وأهلك أعداءه بالذى أهلكهم به من صنوف العذاب التى ذكرها لكم فيها خير أما تشركون من أوثانكم التى لا تنفعكم ولا تضركم ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سوأ ولا تجلب اليها ولا اليهم نفعا يقول ان هذا الامر لا يشكل على من له عقل فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم ولا دفع ضر عنكم فى عبادة من بيده النفع والضر وله كل شئ ثم ابتدأ تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم وأياديه عندهم وتعريفهم بقلة شكرهم اياه على ما أولاهم من ذلك فقال أمن خلق السموات والارض ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون) يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش أعبادة ما تعبدون من أوثانكم التى لا تضر ولا تنفع خير أم عبادة من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء يعنى مطرا وقد يجوز أن يكون مريدا به العيون التى فجرها فى الارض لان كل ذلك من خلقه فأنبتنا به يعنى بالماء الذى أنزل من السماء حدائق وهى جمع حديقة والحديقة البستان عليه حائط محوط وان لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة وقوله ذات بهجة يقول ذات منظر حسن وقيل ذات بالتوحيد وقد قيل حدائق كما قال ولله الاسماء الحسنى وقد بينت ذلك فيما مضى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله حدائق ذات بهجة قال البهجة الفقاح مما يأكل الناس والانعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله حدائق ذات بهجة قال من كل شئ تأكله الناس والانعام وقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها يقول تعالى ذكره أنبتنا بالماء الذى أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق اذ لم يكن لكم لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحدائق ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك لانه لا يصلح ذلك الا بالماء وقوله أءله مع الله يقول تعالى ذكره أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك وأنزل من السماء الماء فأنبت به لكم الحدائق فقوله أءله مردود على تأويل أمع الله اله بل هم قوم يعدلون يقول جل ثناؤه بل هؤلاء المشركون قوم ضلال يعدلون عن الحق ويجورون عليه على عمد منهم لذلك مع علمهم بأنهم على خطا وضلال

۞ القراآت لتبيتنه على الجمع المخاطب وهكذا لتقولن حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون فيهما على التكلم مهلك بفتح الميم واللام أبو بكر غير البرجمى وحماد والمفضل وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام الباقون بضم الميم وفتح اللام والكل يحتمل المصدر والمكان والزمان أنا دمرناهم وأن الناس بالفتح فيهما عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ورويس أئنكم مذكور فى الانعام يشركون بياء الغيبة أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم أءله مثل أئنكم الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف يذكرون بياء الغيبة أبو عمرو وهشام الآخرون بتاء الخطاب بل أدرك بقطع الهمزة وسكون الدال ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد المفضل بل اذرك بهمزة موصولة ودال مشددة الشمونى الباقون مثله ولكن بألف بعد الدال ۞ الوقوف يختصمون ه الحسنة ج لابتداء استفهام آخر مع اتحاد القائل ترحمون ه معك ط تفتنون ه ولا يصلحون ه لصادقون ه لا يشعرون ه مكرهم ط لمن قرأ انا بكسر الالف على الاستئناف أجمعين ه ظلموا ط يعلمون ه يتقون ه تبصرون ه النساء ط تجهلون ه قريتكم ج لاحتمال تقدير لام التعليل يتطهرون ه الا امرأته ز لاحتمال أن ما بعده مستأنف والاظهر أنه حال تقديره استثناء امرأته مقدرة فى الغابرين ه مطر المنذرين ه اصطفى ط يشركون ه ط لان ما بعده استفهام مستأنف وأم منقطعة تقديره بل أمن خلق السموات خير أما يشركون وكذلك نظائره ماء ج للعدول مع اتحاد المقول بهجة ط

ولم يعدلوا عن جهل منهم بأن من لا يقدر على نفع ولا ضر خير ممن خلق السموات والارض وفعل هذه الافعال ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آبائهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضر ولا ينفع أم الذى جعل الارض لكم قرارا تستقرون عليها لا تميد بكم وجعل لكم خلالها أنهارا يقول بينها أنهارا وجعل لها رواسى وهى ثوابت الجبال وجعل بين البحرين حاجزا بين العذب والملح أن يفسد أحدهما صاحبه أءله مع الله سواه فعل هذه الاشياء فأشركتموه فى عبادتكم اياه وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله وما عليهم من الضر فى اشراكهم فى عبادة الله غيره وما لهم من النفع فى افرادهم الله بالالوهة واخلاصهم له العبادة وبراءتهم من كل معبود سواه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أءله مع الله قليلا ما تذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره أم ما تشركون بالله خير أم الذى يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء النازل به عنه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ويكشف السوء قال الضر وقوله ويجعلكم خلفاء الارض يقول ويستخلف بعد أمرائكم فى الارض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم وقوله أءله مع الله يقول أءله مع الله سواه يفعل هذه الاشياء بكم وينعم عليكم هذه النعم وقوله قليلا ما تذكرون يقول تذكرا قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرا فلذلك أشركتم بالله غيره فى عبادته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ يقول تعالى ذكره أم ما تشركون بالله خير أم الذى يهديكم فى ظلمات البر والبحر اذا ضللتم فيهما الطريق فأظلمت عليكم السبل فيهما كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر والظلمات فى البر ضلاله الطريق والبحر ضلاله طريقه وموجه وما يكون فيه قوله ومن يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته يقول والذى يرسل الرياح نشرا لموتان الارض بين يدى رحمته يعنى قدام الغيث الذى يحيى موات الارض وقوله أءله مع الله تعالى الله عما يشركون يقول تعالى ذكره أءله مع الله سوى الله يفعل بكم شيأ من ذلك فتعبدوه من دونه أو تشركوه فى عبادتكم اياه تعالى الله يقول لله العلو والرفعة عن شرككم الذى تشركون به وعبادتكم معه ما تعبدون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ﴾ يقول تعالى ذكره أم ما تشركون أيها القوم خير أم الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده فينشئه من غير أصل ويبتدعه ثم يفنيه اذا شاء ثم يعيده اذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه والذى يرزقكم من السماء والارض فينزل من هذه الغيث وينبت من هذه النبات لاقواتكم وأقوات أنعامكم أءله مع الله سوى الله يفعل ذلك وان زعموا أن الها غير الله يفعل ذلك أو شيأ منه فقل لهم يا محمد هاتوا برهانكم أى حجتكم على أن شيأ سوى الله يفعل ذلك ان كنتم صادقين فى دعواكم ومن التى فى أمن وما مبتدأ فى قوله أما يشركون والآيات بعدها الى قوله ومن يرزقكم من السماء والارض

لاحتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا شجرها ط مع الله ط يعدلون ه حاجزا ط مع الله ط لا يعلمون ه ط خلفاء الارض ه ط مع الله ط ما تذكرون ه ط رحمته (ع) ط مع الله ط يشركون ط والارض ط مع الله ط صادقين ه الا الله ط يبعثون ه عمون ه ۞ التفسير القصة الرابعة قصة ثمود والفريقان المؤمن والكافر وقيل صالح وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد والاختصام قول كل فريق الحق معى وفيه دليل على أن الجدال فى باب الدين حق ومعنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة أنه تعالى قد مكنهم من التوصل الى رحمة الله وثوابه فعدلوا الى استعجال عذابه وقال جار الله خاطبهم صالح على حسب اعتقادهم وذلك أنهم قدروا فى أنفسهم ان التوبة مقبولة عند رؤية العذاب فقالوا متى وقعت العقوبة تبنا حينئذ فالسيئة العقوبة والحسنة التوبة ولولا للتحضيض أى هلا تستغفرون قبل عيان عذابه (لعلكم ترحمون) بأن يكشف العذاب عنكم والحاصل أن التوبة يجب أن تقدم على رؤية العذاب ولا يجوز أن تؤخر وفيه تنبيه على خطئهم وتجهيل لهم (قالوا اطيرنا) أى تشاءمنا (بك وبمن معك) وكانوا قد قحطوا (قال طائركم) أى سببكم الذى يجىء منه خيركم وشركم (عند الله) وهو قضاؤه وقدره أو أراد عملكم مكتوب عنده ومنه ينزل بكم العذاب ومعنى التطير والطائر قد مر فى الاعراف وفى سبحان ثم جزم بنزول العذاب بقوله (بل أنتم قوم تفتنون) أى تعذبون او تختبرون أو يفتنكم الشيطان بوسوسة الطيرة ثم حكى سوء معاملتهم مع نبيهم بقوله (وكان فى المدينة) يعنى منزلهم المسمى بالحجر وكان بين المدينة والشام (تسعة رهط) لم يجمع المميز لان الرهط فى معنى الجمع وهو من الثلاثة الى العشرة أو من السبعة الى بمعنى العشرة وقد عد فى الكشاف أسماءهم منهم قدار بن سالف عاقر الناقة وكانوا مفسدين لا يخلطون الافساد بشئ من الاصلاح ومن جملة

بمعنى الذى لا بمعنى الاستفهام وذلك أن الاستفهام لا يدخل على الاستفهام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هى قائمة لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الذى قد استأثر الله بعلمه وحجب عنه خلقه غيره والساعة من ذلك وما يشعرون يقول وما يدرى من فى السموات والارض من خلقه متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة وقد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق قال قالت عائشة من زعم أنه يخبر الناس بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله واختلف أهل العربية فى وجه رفع الله فقال بعض البصريين هو كما تقول الا قليل منهم وفى حرف ابن مسعود قليلا بدلا من الاول لانك نفيته عنه وجعلته للآخر وقال بعض الكوفيين ان شئت أن تتوهم فى من المجهول فتكون معطوفة على قل لا يعلم أحد الغيب الا الله قال ويجوز أن تكون من معرفة ونزل ما بعد الا عليه فيكون عطفا ولا يكون بدلا لان الاول منفى والثانى مثبت فيكون فى النسق كما تقول قام زيد الا عمرو فيكون الثانى عطفا على الاول والتأويل جحد ولا يكون أن يكون الخبر جحدا أو الجحد خبرا قال وكذلك ما فعلوه الا قليل وقليلا من نصب فعلى الاستثناء فى عبادتكم اياه ومن رفع فعلى العطف ولا يكون بدلا وقوله بل ادارك علمهم فى الآخرة اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة سوى أبى جعفر وعامة قراء أهل الكوفة بل ادارك بكسر اللام من بل وتشديد الدال من ادارك بمعنى بل تدارك علمهم أى تتابع علمهم بالآخرة هل هى كائنة أم لا ثم أدغمت التاء فى الدال كما قيل اثاقلتم الى الارض وقد بينا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من اعادته وقرأته عامة قراء أهل مكة بل أدرك علمهم فى الآخرة بسكون الدال وفتح الالف بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة وكان أبو عمرو بن العلاء ينكر فيما ذكر عنه قراءة من قرأ بل أدرك ويقول ان بل ايجاب والاستفهام فى هذا الموضع انكار ومعنى الكلام اذا قرئ كذلك بل أدرك لم يكن ذلك لم يدرك علمهم فى الآخرة وبالاستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذى ذكرت أن أبا عمرو أنكره وبنحو الذى ذكرت عن المكيين أنهم قرؤه ذكر عن مجاهد أنه قرأه غير أنه كان يقرأ فى موضع بل أم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الله بن موسى قال ثنا عثمان بن الاسود عن مجاهد أنه قرأ أم أدرك علمهم وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقرأ باثبات ياء فى بل ثم يبتدئ آدارك بفتح ألفها على وجه الاستفهام وتشديد الدال حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن أبى حمزة عن ابن عباس فى هذه الآية بلى أدارك علمهم فى الآخرة أى لم يدرك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى حمزة قال سمعت ابن عباس يقرأ بلى أدارك علمهم فى الآخرة انما هو استفهام انه لم يدرك وكأن ابن عباس وجه ذلك الى أن مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذبين بالبعث والصواب من القراآت عندنا فى ذلك القراءتان اللتان ذكرت احداهما عن قراءة أهل مكة والبصرة وهى بل أدرك علمهم بسكون لام بل وفتح ألف أدرك وتخفيف دالها والأخرى منهما عن قراءة الكوفة وهى بل ادارك بكسر اللام وتشديد الدال من ادارك لانهما القراءتان المعروفتان فى قراء الامصار

الافساد همهم بقتل نبيهم والتقاسم التحالف فان كان أمرا فظاهر وان كان خبرا فمحله نصب باضمار قد أى قالوا متقاسمين والتبييت العزم على اهلاك العدو ليلا وأشير على الاسكندر بالبيات فقال ليس من آيين الملوك (٥) استراق الظفر قال فى الكشاف كأنهم اعتقدوا أنهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا لولاة دمه ما شهدنا مهلك أهله فاذا ذكروا أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما قلت انما ارتكب هذا التكلف لانه استقبح أن يأتى العاقل بالخبر على خلاف المخبر عنه يروى أنه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب مبادرين وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فهذا مكرهم فبعث الله صخرة فطبقت عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا فى مكانه ونجى صالحا ومن معه وهذا مكر الله وقيل جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا من قرأ أنا دمرناهم بالفتح فمرفوع المحل بدلا من العاقبة أو خبرا لمحذوف أى هى تدميرهم أو منصوب على أنه خبر كان أى كان عاقبة مكرهم الدمار أو مجرور تقديره لأنا وجوز فى الكشاف على هذا التقدير أن يكون منصوبا بنزع الخافض وانتصب خاوية على الحال والعامل معنى الاشارة فى تلك وانما قال فى هذه السورة (وأنجينا الذين آمنوا) موافقة لما بعده فأنجيناه وأهله وأمطرنا وكله على أفعل وقال فى حم السجدة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون موافقة لما قبله وما بعده وزينا وقيضنا والله أعلم ۞ القصة الخامسة قصة لوط (و) انتصب (لوطا) باضمار اذكر أو بما دل عليه ولقد أرسلنا واذ بدل على الاول بمعنى مجرد الوقت ظرف على الثانى و يبصرون اما من بصر الحاسة فكأنهم كانوا معلنين بتلك المعصية فى ناديهم أو أراد ترون

فبأيتهماقرأ القارئ فمصيب عندنا فأماالقراءةالتى ذكرت عن ابن عباس فانهاوان كانت صحيحة المعنى والاعراب فخلاف لما عليه مصاحف المسلمين وذلك أن فى بلى زيادة ياء فى قراءته ليست فى المصاحف وهى مع ذلك قراءة لانعلمهاقرأ بها أحد من قراء الامصار وأما القراءةالتى ذكرت عن ابن محيصن فان الذى قال فيهاأبو عمرو قول صحيح لان العرب تحقق ببل ما بعدها لاتنفيه والاستفهام فى هذا الموضع انكار لااثبات وذلك أن الله قد أخبر عن المشركين أنهم من الساعة فى شك فقال بل هم فى شك منها بل هم منها عمون واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه بل أدرك علمهم فى الآخرة فأيقنوها اذ عاينوها حين لم ينفعهم يقينهم بها اذ كانوا بها فى الدنيا مكذبين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء الخراسانى عن ابن عباس بل أدرك علمهم قال بصرهم فى الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر * وقال آخرون بل معناه بل غاب علمهم فى الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على ابن عباس قوله بل أدرك علمهم فى الآخرة يقول غاب علمهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بل اذارك علمهم فى الآخرة قال يقول ضل علمهم فى الآخرة فليس لهم فيها علم هم منها عمون * وقال آخرون معنى ذلك لم يبلغ لهم فيها علم ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى عن جدى قال ثنا الحسين عن قتادة فى قوله بل أدرك علمهم فى الآخرة قال كان يقرؤها بل أدرك علمهم فى الآخرة قال لم يبلغ لهم فيها علم ولا يصل اليها منهم رغبة * وقال آخرون معنى ذلك بل أدرك أم أدرك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بل أدرك علمهم قال أم أدرك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عثمان عن مجاهد بل أدرك علمهم قال أم أدرك علمهم من أين يدرك علمهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ بل أدرك القول الذى ذكرناه عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وهو أن معناه اذا قرئ كذلك وما يشعرون أيان يبعثون بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك فى الآخرة حين يبعثون فلا ينفعهم علمهم به حينئذ فأما فى الدنيا فانهم منها فى شك بل هم منها عمون وانما قلت هذا القول أولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب على القراءة التى ذكرت لان ذلك أظهر معانيه واذ كان ذلك معناه كان فى الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ماظهر منه عنه وذلك أن معنى الكلام وما يشعرون أيان يبعثون بل يشعرون ذلك فى الآخرة فالكلام اذا كان ذلك معناه وما يشعرون أيان يبعثون بل أدرك علمهم بذلك فى الآخرة بل هم فى الدنيا فى شك منها وأما على قراءة من قرأه بل اذارك بكسر اللام وتشديد الدال فالقول الذى ذكرنا عن مجاهد وهو أن يكون معنى بل أم والعرب تضع أم موضع بل وموضع بل أم اذا كان فى أول الكلام استفهام كما قال الشاعر

فوالله ما أدرى أسلمى تغولت * أم النوم أم كل الىّ حبيب

يعنى بذلك بل كل الىّ حبيب فيكون تأويل الكلام وما يشعرون أيان يبعثون بل تدارك علمهم فى

آثار العصاة قبلكم أومن بصر القلب والمراد تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا بمثلها وعلى هذا فمعنى قوله (بل أنتم قوم تجهلون) أنكم تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو أراد جهلهم (٦) بالعاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها والخطاب فى قوله تجهلون تغليب ولو قرئ بياء الغيبة نظرا الى الموصوف وهو قوم لجاز من حيث العربية وباقى القصة مذكور فى الاعراف (قل الحمد لله) قيل هو خطاب للوط عليه السلام أن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الذنوب وبالنجاة من العذاب وقيل أمر لنبينا صلى الله عليه وسلم بالتحميد على الهالكين من كفار الامم وبالتسليم على الانبياء وأشياعهم الناجين والاكثرون على أنه خطاب مستأنف لانه صلى الله عليه وسلم كان كالمخالف لمن تقدمه من الانبياء من حيث ان عذاب الاستئصال مرتفع عن قومه فأمره الله سبحانه بأن يشكر ربه على هذه النعمة ويسلم على الانبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة ثم شرع فى الدلالة على الوحدانية والرد على عبدة الاوثان وفيه توقيف على ادب حسن وبعث على التيمن بالحمد والصلاة قبل الشروع فى كل كلام يعتد به ولذا توارثه العلماء خلفا عن سلف فافتتحوا بهما أمام كل كتاب وخطبة وعند التكلم بكل أمر له شأن قال جار الله معنى الاستفهام وأم المتصلة فى قوله آلله خير أما يشركون الزام وتبكيت وتهكم بحالهم وتنبيه على الخطا المفرط والجهل المفرط فمن المعلوم انه لاخير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه قلت يحتمل أن يكون هذا من قبيل الكلام المنصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدل عن الاستفهام بذكر الذات الى الاستفهام بذكر الصفات مبتدئا بما هو أبين الحسيات فقال (أمن خلق السموات) وانما قال ههنا (وانزل لكم) واقتصر فى ابراهيم على قوله وأنزل

الآخرة

لان لفظة لكم وردت هناك بالآخرة وليس قوله ما كان لكم مغنيا عن ذكره لانه نفى لا يفيد معنى الاول ومعنى الالتفات من الغيبة الى التكلم فى قوله فأنبتنا تأكيد معنى اختصاص الانبات بذاته لان الانسان قد يتوهم (٧) أن له مدخلا فى ذلك من حيث الغرس والسقى والحدائق جمع حديقة البستان عليه حائط من الاحداق الاحاطة والبهجة الحسن والنضارة لان الناظر يبتهج به وانما لم يقل ذوات بهجة على الجمع لان المعنى جماعة حدائق كما يقال النساء ذهبت ومعنى (أءله مع الله) أغيره يقرن به و يجعل شريكا له قال فى الكشاف قوله (بل هم) بعد الخطاب أبلغ فى تخطئة رأيهم قلت انما تعين الغيبة ههنا لان الخطاب فى قوله ما كان لكم انما هو لجميع الناس أى ما صح وما ينبغى للانسان أن يتأتى منه الانبات ولو قال بعد ذلك بل أنتم لزم أن يكون كل الناس مشركين وليس كذلك وقوله (يعدلون) من العدل أو من العدول أى يعدلون به غيره أو يعدلون عن الحق الذى هو التوحيد ثم شرع فى الاستدلال بأحوال الارض وما عليها والقرار المستقر أى دحاها وسواها بحيث يمكن الاستقرار عليها والحاجز البرزخ كما فى الفرقان ثم استدل بحاجة الانسان اليه على العموم والمضطر الذى عراه ضر من فقر أو مرض فألجأه الى التضرع الى الله سبحانه وانه افتعال من الضر وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدى الذى لا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب ودعاؤه استغفاره والمضطر اسم جنس يصلح للكل وللبعض فلا يلزم من الآية اجابة جميع المضطرين نعم يلزم الاجابة بشرائط الدعاء كما مر فى البقرة وفى ادعونى وقوله (ويكشف السوء) كالبيان لقوله يجيب المضطر والخلافة فى الارض اما بتوارث السكنى واما بالملك والتسلط وقد مر فى آخر الانعام وقوله (قليلا ما تذكرون) معناه تذكرون تذكرا قليلا ويجوز أن يراد بالقلة العدم ثم استدل لحاجة الناس وخصوصا الهداية فى البر والبحر بالعلامات وبالنجوم ثم استدل

الآخرة يعنى تتابع علمهم فى الآخرة أى بعلم الآخرة أى لم يتتابع بذلك ولم يعلموه بل غاب علمهم عنه وضل فلم يبلغوه ولم يدركوه وقوله بل هم فى شك منها يقول بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة فى شك من قيامها لا يوقنون بها ولا يصدقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت بل هم منها عمون يقول بل هم من العلم بقيامها عمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين ﴾ يقول تعالى ذكره قال الذين كفروا بالله أئنا لمخرجون من قبورنا أحياء كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن كنا فيها ترابا قد بلينا لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل يقول لقد وعدنا هذا من قبل محمد واعدون وعدوا ذلك آباءنا فلم نر لذلك حقيقة ولم نتبين له صحة ان هذا الا أساطير الاولين يقول قالوا ما هذا الوعد الا ما سطر الاولون من الاكاذيب فى كتبهم فأثبتوه فيها وتحدثوا به من غير أن يكون له صحة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المكذبين ما جئتهم به من الأنباء من عند ربك سيروا فى الارض فانظروا الى ديار من كان قبلكم من المكذبين رسل الله ومساكنهم كيف هى ألم يخربها الله ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم وردهم عليهم نصائحهم فخلت منهم الديار وتعفت منهم الرسوم والآثار فان ذلك كان عاقبة اجرامهم وذلك سنة ربكم فى كل من سلك سبيلهم فى تكذيب رسل ربهم والله فاعل ذلك بكم ان أنتم لم تبادروا الانابة من كفركم وتكذيبكم رسول ربكم وقوله ولا تحزن عليهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تحزن على ادبار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك ولا تكن فى ضيق مما يمكرون يقول ولا يضق صدرك من مكرهم بك فان الله ناصرك عليهم ومهلكهم قتلا بالسيف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون ﴾ يقول تعالى ذكره ويقول مشركو قومك يا محمد المكذبوك فيما أتيتهم به من عند ربك متى يكون هذا الوعد الذى تعدناه من العذاب الذى هو بنا فيما تقول حال ان كنتم صادقين فيما تعدوننا به قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى يقول جل جلاله قل لهم يا محمد عسى أن يكون اقترب لكم ودنا بعض الذى تستعجلون من عذاب الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قل عسى أن يكون ردف لكم يقول اقترب لكم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون يقول اقترب لكم بعض الذى تستعجلون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله عسى أن يكون ردف لكم قال ردف أعجل لكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون قال أزف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ردف لكم اقترب لكم * واختلف أهل العربية فى وجه دخول اللام فى قوله ردف لكم

بأحوال المبدا والمعاد وما بينهما وذلك أنهم كانوا معترفين بالابداء ودلالة الابداء على الاعادة دلالة ظاهرة فكأنهم كانوا مقرين بالاعادة أيضا فاحتج عليهم بذلك لذلك والرزق من السماء المـاء (٨) ومن الارض النبات واعلم أن الله سبحانه ذكر قوله أءله مع الله فى خمس آيات على التوالى وختم الاولى بقوله بل هم قوم يعدلون ثم بقوله بل أكثرهم لا يعلمون ثم بقوله قليلا ما تذكرون ثم بقوله تعالى الله عما يشركون ثم هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين والسر فيه أن أول الذنوب العدول عن الحق ثم لم يعلموا ولو علموا ما عدلوا ثم لم يتذكروا فيعلموا بالنظر والاستدلال فأشركوا من غير حجة وبرهان قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين أن مع الله الها آخر وحين بين اختصاصه بكمال القدرة أراد أن يبين اختصاصه بعلم الغيب قال فى الكشاف هذا على لغة بنى تميم يرفعون المستثنى المنقطع على البدل اذا كان المبدل منه مرفوعا يقولون ما فى الدار أحد الا حمار كأن أحدا لم يذكر كقوله

وبلدة ليس بها أنيس * الا اليعافير والا العيس

والمعنى ان كان الله ممن فى السموات والارض فهم يعلمون الغيب كما أن معنى البيت ان كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول بخلوها عن الانيس قلت لقائل أن يقول ان استثناء نقيض المقدم غير منتج فلا يلزم من استحالة كون الله سبحانه فى كل مكان ممن فى السموات والارض أنهم لا يعلمون الغيب ولا من امتناع كون اليعافير أنيسا القطع بخلو البلدة عن الانيس وقال غيره ان الاستثناء متصل لان الله سبحانه فى كل مكان بالعلم فيصح الرفع عند الحجازيين أيضا وزيفه فى الكشاف بأن كونه فى السموات والارض بالعلم مجاز وكون الخلق فيهن حقيقة من حيث حصول ذواتهم فى تلك الاحياز ولا يصح أن يريد المتكلم بلفظ واحد حقيقة ومجازا معا وأجيب بأنا نحمل كون الخلق فيهن على المعنى المجازى أيضا لانهم أيضا عالمون بتلك الاماكن لا أقل من العلم الاجمالى وضعفه فى الكشاف بأن فيه ايهام

المحسن

وكلام العرب المعروف ردفه أمر وأردفه كما يقال تبعه وأتبعه فقال بعض نحويى البصرة أدخل اللام فى ذلك فأضاف بها الفعل كما يقال للرؤيا تعبرون ولربهم يرهبون وقال بعض نحويى الكوفة أدخل اللام فى ذلك للمعنى لان معناه دنا لهم كما قال الشاعر * فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى * فأدخل الباء فى يطرحن وانما يقال طرحته لان معنى الطرح الرمى فأدخل الباء للمعنى اذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى وهذا القول الثانى هو أولاهما عندى بالصواب وقد مضى البيان عن نظائره فى غير موضع من الكتاب بما أغنى عن تكراره فى هذا الموضع وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله تستعجلون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ردف لكم بعض الذى تستعجلون قال من العذاب ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ يقول تعالى ذكره وان ربك يا محمد لذو فضل على الناس بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم اياه وكفرهم به وذو احسان اليهم فى ذلك وفى غيره من نعمه عنـدهم ولكن أكثرهم لا يشكرونه على ذلك من احسانه وفضلـه عليهم فيخلصوا له العبادة ولكنهم يشركون معه فى العبادة ما يضرهم ولا ينفعهم ومن لا فضل له عندهم ولا احسان وقوله وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يقول وان ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه ومكنون أنفسهم وخفى أسرارهم وعلانية أمورهم الظاهرة لا يخفى عليه شئ من ذلك وهو محصيها عليهم حتى يجازى جميعهم بالاحسان احسانا وبالاساءة جزاءها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم قال السر ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره وما من مكتوم سر وخفى أمر يغيب عن أبصار الناظرين فى السماء والارض الا فى كتاب وهو أم الكتاب الذى أثبت ربنـا فيه كل ما هو كائن من لدن ابتدأ خلق خلقه الى يوم القيامة ويعنى بقوله مبين أنه يبين لمن نظر اليـه وقرأ ما فيه مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنا عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين يقول ما من شئ فى السماء والارض سر ولا علانية الا يعلمه وقوله ان هـذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون يقول تعالى ذكره ان هذا القرآن الذى أنزلته اليك يا محمد يقص على بنى اسرائيل الحق فى أكثر الاشياء التى اختلفوا فيها وذلك كالذى اختلفوا فيه من أمر عيسى فقالت اليهود فيه ما قالت وقالت النصارى فيه ما قالت وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء وغير ذلك من الامور التى اختلفوا فيها فقال جل ثناؤه لهم ان هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فاتبعوه وأقروا لما فيه فانه يقص عليكم بالحق ويهديكم الى سبيل الرشاد ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ﴾ يقول تعـالى ذكره وان هذا القرآن لهدى يقول لبيان من الله بين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم ورحمة للمؤمنين يقول ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه ان ربك يقضى بينهم يقول ان ربك يقضى بين المختلفين من بنى اسرائيـل بحكمه فيهـم فينتقم من المبطل منهم ويجازى

المحسن منهم المحق بجزائه وهو العزيز العليم يقول وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه اذا انتقم العليم بالمحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بني اسرائيل فيما اختلفوا فيه ومن غيرهم من المبطل الضال عن الهدى القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ففوض الى الله يا محمد أمورك وثق به فيها فانه كافيك انك على الحق المبين لمن تأمله وفكر ما فيه بعقل وتدبره بفهم أنه الحق دون ما عليه اليهود والنصارى المختلفون من بني اسرائيل ودون ما عليه أهل الاوثان المكذبوك فيما أتيتهم به من الحق يقول فلا يحزنك تكذيب من كذبك وخلاف من خالفك وامض لامر ربك الذي بعثك به وقوله انك لا تسمع الموتى يقول انك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته لان الله قد ختم عليه أن لا يفهمه ولا تسمع الصم الدعاء يقول ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه اذا ولوا مدبرين يقول اذا هم أدبروا معرضين عنه لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم ولا يصغون للحق ولا يتدبرونه ولا ينصتون لقائله ولكنهم يعرضون عنه وينكرون القول به والاستماع له القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين وما أنت بهادي بالباء والالف واضافته الى العمي بمعنى لست يا محمد بهادي من عمي عن الحق عن ضلالته وقرأته عامة قراء الكوفة وما أنت تهدي العمي بالتاء ونصب العمي بمعنى ولست تهديهم عن ضلالتهم ولكن الله يهديهم ان شاء والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مشهورتان في قراء الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ما وصفت وما أنت يا محمد بهادي من أعماه الله عن الهدى والرشاد فجعل على بصره غشاوة عن أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التي هو فيها الى طريق الرشاد وسبيل الرشاد وقوله ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا يقول ما تقدر أن تفهم الحق وتوعيه سمع أحد الا سمع من يصدق بآياتنا يعني بأدلته وحججه وآي تنزيله فهم مسلمون فان أولئك يسمعون منك ما تقول ويتدبرونه ويفكرون فيه ويعملون به فهم الذين يسمعون(١) ذكر من قال مثل الذي قلنا في قوله تعالى وقع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله واذا وقع القول عليهم قال حق عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا وقع القول عليهم يقول اذا وجب القول عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقع القول عليهم قال حق العذاب قال ابن جريج القول العذاب ذكر من قال قولنا في معنى القول حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا وقع القول عليهم والقول الغضب حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام عن حفصة قالت سألت أبا العالية عن قوله واذا وقع القول عليهم فقال أوحى الله الى نوح أنه

(١) يظهر أن فيه سقطا يعلم من ايراد كلام أهل التأويل بعد فتنبه

تسوية بين الله وبين العبد في العلم وهو خروج عن الأدب ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت لمن قال ومن يعصهما فقد غوى والحق أن وقوع اللفظ على الواجب وعلى الممكن بمعنى واحد لابد أن يكون بالتشكيك اذ هو في الواجب أدل وأولى لا محالة فهذا الوهم مدفوع عند العاقل ولا يلزم منه سوء الأدب ولهذا جاز اطلاق العالم والرحيم والكريم ونحوهما على الواجب وعلى الممكن معا من غير محذور شرعي ولا عقلي وليس هذا كالجمع بين الضميرين اذا كان يمكن للقائل أن يفرق بينهما فيزداد الكلام جزالة وفخامة عن عائشة من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن الخلق مكره قال المفسرون سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة فنزلت وأيان بمعنى متى الا أنه لا يسئل به الا عن أمر ذي بال وهو فعال من آن يئين فلو سمي به لانصرف وحين ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث الكائن ووقته بين أن عندهم عجزا آخر أبلغ منه وهو أنهم ينكرون الأمر الكائن مع أن عندهم أسباب معرفته فقال (بل اداراك) أي تدارك ومن قرأ بغير الألف فهو افتعل من الدرك أي تتابع واستحكم ومعنى أدرك بقطع الهمزة انتهى وتكامل علمهم في الآخرة أي في شأنها ومعناها ويمكن أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما يقول لأجهل الناس ما أعلمك واذا لم يعرفوا نفس البعث يقينا فلأن لا يعرفوا وقته أولى ويحتمل أن تكون أدرك بمعنى انتهى وفني من قولهم أدركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث

ثم أضرب عن ذلك قائلا انهم لا يعلمون القيامة فضلا عن وقتها ثم ان عدم العلم قد يكون مع الغفلة الكلية فأضرب عن ذلك قائلا انهم ليسوا غافلين بالكلية ولكنهم في شك ومرية ثم ان الشك قد يكون بسبب عدم الدليل فأضرب عن ذلك قائلا انهم عمون عن ادراك الدليل مع وضوحه وقد جعل الآخرة مبدأ أعمالهم ومنشأه فلهذا عداه بمن دون عن والضمائر تعود الى من في السموات والارض وذلك أن المشركين كانوا في جملتهم فنسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا وانما فعله ناس منهم قاله في الكشاف قلت قد تقدم ذكر المشركين في قوله بل هم قوم يعدلون وغيره فلا حاجة الى هذا التكلف ولو لم يتقدم جاز للقرينة ۞ التأويل ولقد أرسلنا صالح القلب بالالهام الرباني الى صفات القلب وهو الفريق المؤمن والى النفس وصفاتها وهو الفريق الكافر والسيئة طلب الشهوات واللذات الفانية والحسنة طلب السعادات الباقية وكان في مدينة القالب الانساني تسعة رهط هم خواص العناصر الاربعة والحواس الخمس يفسدون في أرض القلب بافساد الاستعداد الفطري تقاسموا بالموافقة على السعي في اهلاك القلب وصفاته وأن يقولوا لوليه وهو الحق سبحانه ما أهلكناهم وما حضرنا مع النفس الامارة حين قصدت هلاكهم ومكروا مكرا في هلاك القلب بالهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية ومكرنا مكرا بتوارد الواردات الربانية وتجلي صفات الجمال والجلال وهم لا يشعرون أن صلاحهم في هلاكهم فمن قتلته فأنا ديته فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا أفنينا خواص التسعة وآفاتها وأفنينا قومهم أجمعين وهم النفس وصفاتها فتلك بيوتهم وهي القالب والاعضاء التي هي مساكن الحواس خالية عن الحواس المهلكة والآفات الغالبة بما ظلموا أي وضعوا من نتائج خواص العناصر وآفات الحواس في غير موضعها وهو القلب وكان موضعها النفس بأمر الشارع لا بالطبع لصلاح

لن يؤمن من قومك الا من قد آمن قالت فكأنما كان على وجهي غطاء فكشف وقال جماعة من أهل العلم خروج هذه الدابة التي ذكرها حين لا يأمر الناس بمعروف ولا ينهون عن منكر ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية العوفي عن ابن عمر في قوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض قال هو حين لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا محمد بن الحسن أبو الحسن قال ثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن ابن عمر في قوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض قال ذلك اذا ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية عن ابن عمر في قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال حين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر حدثني محمد بن عمرو المقدسي قال ثنا أشعث بن عبد الله السجستاني قال ثنا شعبة عن عطية في قوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال اذا لم يعرفوا معروفا ولم ينكروا منكرا وذكر أن الارض التي تخرج منها الدابة مكة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثني الأشجعي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر قال تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن الفرات القزاز عن عامر ابن واثلة أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال ان الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون والله لقد رأينا الدابة حتى يبلغ ذلك الامام فيطلب فلا يقدر على شئ قال ثم تخرج فيراها الناس فيقولون والله لقد رأيناها فيبلغ ذلك الامام فيطلب فلا يرى شيأ فيقول أما اني اذا حدث الذي يذكرها قال حتى يعد فيها القتل قال فتخرج فاذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون فتجيء اليهم فتقول الآن تصلون فتخطم الكافر وتمسح على جبين المسلم غرة قال فيعيش الناس زمانا يقول هذا يا مؤمن وهذا يا كافر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عثمان بن مطر عن واصل مولى أبي عيينة عن أبي الطفيل عن حذيفة * وأبي سفيان ثنا عن معمر عن قيس بن سعد عن ابي الطفيل عن حذيفة بن أسيد في قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال للدابة ثلاث خرجات خرجة في بعض البوادي ثم تكمن وخرجة في بعض القرى حين يهريق فيها الأمراء الدماء ثم تكمن فبينا الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها اذا رتفعت بهم الارض فانطلق الناس هرابا وتبقى طائفة من المؤمنين ويقولون انه لا ينجينا من الله شئ فتخرج عليهم الدابة تجلو وجوههم مثل الكوكب الدري ثم تنطلق فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وتأتي الرجل يصلي فتقول والله ما كنت من أهل الصلاة فيلتفت اليها فتخطمه قال تجلو وجه المؤمن وتخطم الكافر قلنا فما الناس يومئذ قال جيران في الرباع وشركاء في الاموال وأصحاب في الاسفار حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن ابن البيلماني عن ابن عمر يبيت الناس يسيرون الى جمع وتبيت دابة الارض تسايرهم فيصبحون وقد خطمتهم من رأسها وذنبها فما من مؤمن الا مسحته ولا من كافر ولا منافق الا تخبطه حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا الحبيري عن حيان بن عمير عن حسان بن حمصة قال سمعت

القالب وبقائه وأنجينا الذين آمنوا وهم القلب وصفاته من شر النفس وصفاتها ولوط الروح اذ قال لقومه وهم القلب والسر والعقل عند تبدل أوصافهم بمجاورة النفس أتأتون الفاحشة وهي كل ما زلت به أقدامهم (١١) عن الصراط المستقيم وأماراتها في الظاهر اتيان

سمعت عبد الله بن عمرو يقول لو شئت لانتعلت بنعلي هاتين فلم أمس الارض قاعدا حتى أقف على الاحجار التي تخرج الدابة من بينها ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج قال فما حججت قط الا خفت تخرج بعقبنا حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا أبو أسامة عن هشام عن قيس بن سعد عن عطاء قال رأيت عبد الله بن عمرو وكان منزله قريبا من الصفا رفع قدمه وهو قائم وقال لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذي تخرج منه الدابة حدثنا عصام ابن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا سفيان بن سعيد الثوري قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر الدابة فقال حذيفة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها ململمة ذات وبر وريش لم يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمن وكافر أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب درى وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء كافر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الحسين عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أوس بن خالد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة معها خاتم سليمن وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل البيت ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال هي دابة ذات زغب وريش ولها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة قال قال عبد الله بن عمر انها تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء فتفشو في وجهه فيسود وجهه وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه فيجلس أهل البيت على المائدة فيعرفون المؤمن من الكافر ويتبايعون في الاسواق فيعرفون المؤمن من الكافر حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا ابن لهيعة ويحيى بن أيوب قالا ثنا ابن الهاد عن عمر بن الحكم أنه سمع عبد الله ابن عمرو يقول تخرج الدابة من شعب فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الارض ما خرجتا فتمر بالانسان يصلي فتقول ما الصلاة من حاجتك فتخطمه حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا ابن أبي فديك قال ثنا يزيد بن عياض عن محمد بن اسحق أنه بلغه عن عبد الله بن عمرو قال تخرج دابة الارض ومعها خاتم سليمن وعصا موسى فأما الكافر فتختم بين عينيه بخاتم سليمن وأما المؤمن فتمسح وجهه بعصا موسى فيبيض * واختلفت القراء في قراءة قوله تكلمهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار تكلمهم بضم التاء وتشديد اللام بمعنى تخبرهم وتحدثهم وقرأه أبو زرعة بن عمرو تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنى تسمهم والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك ما عليه قراء الامصار وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال تحدثهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم وهي في بعض القراءة تحدثهم تقول لهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله تكلمهم قال كلامها

المناهي على وفق الطبع وفي الباطن حب الدنيا وشهواتها وأنتم تبصرون تميزون الخير من الشر واتيان الرجال دون النساء عبارة عن صرف الاستعداد فيما يبعد عن الحق لا فيما يقرب منه فما كان جواب قومه وهم القلب المريض بتعلق حب الدنيا والسر المكدر بكدورات الرياء والنفاق والعقل المشوب بآفة الوهم والخيال اخرجوا الصفات الروحانية من قرية الشخص الانساني انهم أناس يتطهرون من لوث الدنيا وشهواتها فأنجيناه وأهله وهم السر والعقل وصفاتهما من عذاب تعلق الدنيا الا امرأته وهي النفس الامارة بالسوء وأمطرنا على النفس وصفاتها مطرا بترك الشهوات فساء مطر المنذرين أي صعب فان الفطام من المألوفات شديد وهذه حالة مستدعية للحمد والشكر فلهذا قال قل الحمد لله وسلام من تعلقات الكونين وآفات الوجود المجازي على عباده أمن خلق سموات القلوب وأرض النفوس وأنزل من سماء القلب ماء نظر الرحمة فأنبتنا به حدائق من العلوم والمعاني والاسرار أإله مع الله من الهوى أمن جعل أرض النفس قرارا في الجسد وجعل خلالها أنهارا من دواعي البشرية وجعل لها رواسي من القوى والحواس وجعل بين بحر الروح وبحر النفس حاجزا القلب فان في اختلاطهما فساد حالها أإله مع الله كما زعمت الطبائعية أمن يجيب المضطر اذا دعاه في العدم بلسان الحال ويجعلكم مستعدين الخلافته في الارض أإله مع الله كما يزعم أرباب الحلول والاتحاد أمن يهديكم في ظلمات بر البشرية وبحر الروحانية وان كانت الروحانية نورانية بالنسبة الى ظلمة البشرية والمراد يهديكم باخراجكم من ظلمات البشرية الى نور

الروحانية ومن ظلمات خلقته الروحانية الى نور الربوبية وذلك حين يرسل رياح العناية بين يدى سحاب الهداية أءله مع الله كما يقوله المنجمون مطرنا بنوء كذا وكما يقوله قاصرو النظر هدانا (١٢) الشيخ والمعلم الى كذا أمن يبدأ الخلق بالوجود المجازى ثم يعيده بالوجود الحقيق الى عالم الوحدة ومن يرزقكم من سماء الربوبية لتربية الارواح ومن أرض بشرية الاشباح أءله مع الله كائنا من كان دليله انه لا يعلم الغيب الا هو ومن جملته علم قيام الساعة والله أعلم ﴿وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين

١

تنبئهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وقوله أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة والشام ان الناس بكسر الألف من ان على وجه الابتداء بالخبر عن الناس أنهم كانوا بآيات الله لا يوقنون وهى وان كسرت فى قراءة هؤلاء فان الكلام لها متناول وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض أهل البصرة أن الناس كانوا بفتح أن بمعنى تكلمهم بأن الناس فيكون حينئذ نصبا بوقوع الكلام عليها والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضتان فى قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نجمع من كل قرن وملة فوجا يعنى جماعة منهم وزمرة ممن يكذب بآياتنا يقول ممن يكذب بأدلتنا وحججنا فهو يحبس أولهم على آخرهم ليجتمع جميعهم ثم يساقون الى النار وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون يعنى الشيعة عند الحشر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من كل أمة فوجا قال زمرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله نحشر من كل أمة فوجا قال زمرة زمرة فهم يوزعون حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون قال يقول فهم يدفعون حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله فهم يوزعون قال يحبس أولهم على آخرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهم يوزعون قال وزعة تردّ أولاهم على أخراهم وقد بينت معنى قوله يوزعون فيما مضى قبل بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وقوله حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى يقول تعالى ذكره حتى اذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله أكذبتم بآياتى أى بحججى وأدلتى ولم تحيطوا بها علما يقول ولم تعرفوها حق معرفتها أم ماذا كنتم تعملون فيها من تكذيب أو تصديق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ووجب السخط والغضب من الله على المكذبين بآياته بما ظلموا يعنى بتكذيبهم بآيات الله يوم يحشرون فهم لا ينطقون يقول فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حل بهم ووقع عليهم من القول وقوله ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه يقول تعالى ذكره ألم يرهؤلاء المكذبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار ومخالفتنا بينهما بتصييرنا هذا سكنا لهم يسكنون فيه ويهدؤن راحة أبدانهم من تعب التصرف والتقلب نهارا وهذا مضيأ يبصرون فيه الاشياء ويعاينونها فيتقلبون فيه لمعايشهم فيتفكروا فى ذلك ويتدبروا ويعلموا أن مصرف ذلك كذلك هو الاله الذى لا يعجزه شئ ولا يتعذر عليه اماتة الاحياء واحياء الاموات بعد الممات كما لم يتعذر عليه الذهاب بالنهار والمجئ بالليل والمجئ بالنهار والذهاب بالليل مع اختلاف أحوالهما ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول تعالى ذكره ان فى تصييرنا الليل سكنا والنهار مبصرا لدلالة

لقوم

وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ انه خبير بمـا تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون انمـا أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانمـا يهتدى لنفسـه ومن ضل فقل انمـا أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونهـا وما ربك بغافـل عمـا تعملون ﴾ ۞ القراآت أيذا أينا بيـاء مكسورة بعد همزة مفتوحة ابن كثير و يعقوب غير زيد مثله ولكن بالمـد أبو عمرو و زيد أيذا بهمزة مفتوحة ثم ياء مكسـو رة انا بكسر الهمزة و بعدها نون مشـددة سهل اذا من غير همزة الاستفهام آينا بهمزة ممـدودة بعدها ياء مكسورة يزيد وقالون مثله ولكن من غير مد نافع غير قالون أئذا بهمزتين مفتوحة ثم مكسورة انا بهمزة مكسورة بعدها نون مشددة على وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة أئذا أئنا بهمزتين مفتوحة ثم مكسـورة فيهما حمزة وخلف وعاصم ولا يسـمع بفتح الياء التحتانية الصم بالرفع ابن كثير وعباس وكذلك فى الروم الآخرون بضم التـاء الفوقانيـة وكسر الميم ونصب الصم وما أنت تهدى على أنه فعل العمى بالنصب وكذلك فى الروم حمـزة الباقون بهادى على أنه اسم فاعل العمى بالجر أتوه مقصورا على أنه فعـل ماض حمزة وخلف وحفص والمفضل الآخرون بالمد على أنه اسم فاعل بمـا يفـعلون على الغيبـة ابن كثير وأبو عمرو و يعـقوب وحمـاد والاعشى والبرجمى والحلوانى عن هشام فـزع بالتنوين عاصم وحمـزة وعلى وخلف يومئذ بفتح الميم حمزة وأبو جعفر ونافع الباقون بكسرها تعملون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن عامر و يعقوب وحفص

۞ الوقوف لمخرجون ه من قبل لا تحرزا عن الابتداء بقول الكفار الاولين ه المجرمين ه يمكرون ه صادقين ه تستعجلون ه

لقوم يؤمنون بالله على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت وحجة لهم على توحيد الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى و يوم ينفخ فى الصور وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى و بينا الصواب من القول فى ذلك عنـدنا بشواهده غير أنا نذكر فى هذا الموضع بعض ما لم نذكر هنالك من الاخبار فقال بعضهم هو قرن ينفخ فيه ذكر بعض من لم يذكر فيما مضى قبل من الخبر عن ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله و يوم ينفخ فى الصور قال كهيئة البوق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الصور البوق قال هو البوق صاحبه آخذ به يقبض قبضتين بكفيه على طرف القرن بين طرفه و بين فيه قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة احدى رجليه فأشار فبرك على ركبة يساره مقعيا على قدمها عقبها تحت فخذه وأليتـه وأطراف أصابعها فى التراب * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال الصور كهيئة القرن قد رفع احدى ركبتيه الى السماء وخفض الأخرى لم يلق جفون عينيه على غمض منذ خلق الله السموات مستعدا مستجدا قد وضع الصور على فيـه ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمـد المحاربى عن اسمعيـل بن رافع المدنى عن يزيد بن زياد «قال أبو جعفر والصواب يزيد بن أبى زياد» عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى هريرة أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسـلم يا رسول الله ما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لله رب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله و يأمره الله فيمدها و يطولها فلا يفتر وهى التى يقول الله ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتكون سرابا وترج الارض بأهلها رجا وهى التى يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون الارض كالسفينة الموثقة فى البحر تضربها الامواج تكفأ بأهلها أو كالقنديل المعلق بالوتر ترجحه الارياح فتميد النـاس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتى الاقطار فتتلقاهـا الملائكة فتضرب وجوهها فترجع و يولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهو الذى يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعـلم به ثم نظروا الى السماء فاذا هى كالمهـل ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم والاموات لا يعلمون بشئ من ذلك فقال أبو هريرة يا رسول الله فمن استثنى الله حين يقول ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانمـا يصـل الفزع الى الاحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن رافع عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم ان الله تبارك وتعالى لمـا فرغ من السموات والارض خلق

الصور فأعطاه ملكا فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال قلت يا رسول الله وما الصور قال قرن قلت فكيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده ان عظم دارة فيه لكعرض السموات والارض يأمره فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والارض الا من شاء الله ثم ذكر باقى الحديث نحو حديث أبى كريب عن المحاربى غير أنه قال فى حديثه كالسفينة المرفأة فى البحر * وقال آخرون بل معنى ذلك ونفخ فى صور الخلق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم ينفخ فى الصور أى فى الخلق قوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض يقول ففزع من فى السموات من الملائكة ومن فى الارض من الجن والانس والشياطين من هول ما يعاينون ذلك اليوم فان قال قائل وكيف قيل ففزع فجعل فزع وهى فعل مردودة على ينفخ وهى يفعل قيل العرب تفعل ذلك فى المواضع التى تصلح فيها اذا لأن اذا يصلح معها فعل ويفعل كقولك أزورك اذا زرتنى وأزورك اذا تزورنى فاذا وضع مكان اذا يوم أجرى مجرى اذا فان قيل فأين جواب قوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع قيل جائز أن يكون مضمرا مع الواو كأنه قيل ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون وذلك يوم ينفخ فى الصور وجائز أن يكون متروكا اكتفى بدلالة الكلام عليه منه كما قيل ولو يرى الذين ظلموا فترك جوابه وقوله الا من شاء الله قيل ان الذين استثناهم الله فى هذا الموضع من أن ينالهم الفزع يومئذ الشهداء وذلك أنهم أحياء عند ربهم يرزقون وان كانوا فى عداد الموتى عند أهل الدنيا وبذلك جاء الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه فى الخبر الماضى وحدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عمن حدثه عن أبى هريرة أنه قرأ هذه الآية ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال هم الشهداء وقوله وكل أتوه داخرين يقول وكل أتوه صاغرين

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وكل أتوه داخرين يقول صاغرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكل أتوه داخرين قال صاغرين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكل أتوه داخرين قال الداخر الصاغر الراغم قال لان المرء الذى يفزع اذا فزع انما همته الهرب من الامر الذى فزع منه قال فلما نفخ فى الصور فزعوا فلم يكن لهم من الله منجى واختلفت القراء فى قراءة قوله وكل أتوه داخرين فقرأته عامة قراء الامصار وكل آتوه بمد الالف من أتوه على مثال فاعلوه سوى ابن مسعود فانه قرأه وكل أتوه على مثال فعلوه واتبعه على القراءة به المتأخرون الأعمش وحمزة واعتل الذين قرؤا ذلك على مثال فاعلوه باجماع القراء على قوله وكلهم آتيه قالوا فكذلك قوله آتوه فى الجمع وأما الذين قرؤا على قراءة عبد الله فانهم ردوه على قوله ففزع كأنهم وجهوا معنى الكلام الى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض وأتوه كلهم داخرين كما يقال فى الكلام رأى وفر وعاد وهو صاغر والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار ومتقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ انه خبير بما يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره وترى الجبال يا محمد تحسبها قائمة

لايشكرون ٥ ومايعلنون ٥ مبين ٥ يختلفون ٥ للمؤمنين ٥ بحكمه ج تعظيما للابتداء بالصفتين مع اتفاق الجملتين العليم ٥ ج للآية واختلاف الجملتين والفاء واتصال (١٤) المعنى أى اذا كان الحكم لله فأسرع التوكل على الله ط المبين ٥ مدبرين ٥ ضلالتهم ط مسلمون ٥ تكلمهم ج لمن قرأ بكسر الالف فانه يحتمل أن يكون الكسر للابتداء ولكونها بعد التكليم لانه فى معنى القول ومن فتح فلا وقف اذ التقدير تكلمهم بأن لا يوقنون ٥ يوزعون ٥ تعملون ٥ لاينطقون ٥ مبصرا ط يؤمنون ٥ من شاء الله ط داخرين ٥ السحاب ط كل شئ ط تفعلون ٥ خير منها لا لأن ما بعده من تتمة الجزاء آمنون ٥ لا لعطف جملتى الشرط فى النار ٥ تعملون ٥ شئ ز للعارض وطول الكلام مع العطف المسلمين ٥ لا للعطف القرآن ج لنفسه ج المنذرين ٥ فتعرفونها ط تعملون ٥ (التفسير) لما ذكر أن المشركين فى شك من أمر البعث عمون عن النظر فى دلائله أراد أن يبين عامة شبههم وهى مجرد استبعاد احياء الاموات بعد صيرورتهم ترابا عند الحس قال النحويون العامل فى اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج والمراد الاخراج من الارض أو من حال الفناء الى حال الحياة وانما ذهبوا الى هذا التكلف بناء على أن ما بعد همزة الاستفهام وكذا ما بعد ان واللام لا يعمل فيما قبلها لان هذه الاشياء تقتضى صدر الكلام وتكرير حرف الاستفهام فى اذا وان جميعا انكار على انكار والضمير فى انا لهم ولآبائهم جميعا وقد مر فى سورة المؤمنين تفسير قوله لقد وعدنا وبيان المتشابه فليذكر ثم أوعدهم على عدم قبول قول الانبياء بالنظر فى حال الامم السالفة المكذبة ولم تؤنث كان لان تأنيث العاقبة غير حقيقى أو لان المراد كيف كان وهى عاقبة أمرهم والمراد بالمجرمين الكافرون لان الكفر جرم مخصوص وفيه تنبيه على قبح موقع الجرم أيا ما كان فعلى المؤمن أن يتخوف

وهي تمر كالذي حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وترى الجبال تحسبها جامدة يقول قائمة وانما قيل وهي تمر مر السحاب لانها تجمع ثم تسير فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة وهي تسير سيرا حثيثا كما قال الجعدي

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

قوله صنع الله الذي أتقن كل شيء وأوثق خلقه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله صنع الله الذي أتقن كل شيء يقول أحكم كل شيء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله صنع الله الذي أتقن كل شيء يقول أحسن كل شيء خلقه وأوثقه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الذي أتقن كل شيء قال أوثق كل شيء وسوى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أتقن أوثق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه خبير بما يفعلون يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم وخبرة بما يفعل عباده من خير وشر وطاعة له ومعصية وهو مجازي جميعهم على جميع ذلك على الخير الخير وعلى الشر الشر نظيره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره من جاء الله بتوحيده والايمان به وقول لا اله الا الله موقنا به قلبه فله من هذه الحسنة عند الله خير يوم القيامة وذلك الخير أن يثيبه الله منها الجنة ويؤمنه من فزع الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور ومن جاء بالسيئة يقول ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه وجحود وحدانيته فكبت وجوههم في نار جهنم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال ثني الفضل بن دكين قال ثنا يحيى بن أيوب البجلي قال سمعت أبا زرعة قال قال أبو هريرة قال يحيى أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون قال وهي لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار قال وهي الشرك حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا أبو يحيى الحماني عن النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون قال من جاء بلا اله الا الله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار قال بالشرك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله من جاء بالحسنة فله خير منها يقول من جاء بلا اله الا الله ومن جاء بالسيئة وهو الشرك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن جاء بالسيئة قال بالشرك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من جاء بالحسنة قال كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه قال ابن جريج وسمعت عطاء يقول فيها الشرك يعني في قوله ومن جاء بالسيئة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أبي المحجل

عاقبتها ويترك الجرائم كلها كيلا يشارك الكفرة في هذا الاسم الشنيع ومعنى قوله (ولا تحزن عليهم) الآية قد مر في آخر النحل وفي هذه الآي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان يناله من قومه ثم انهم استعجلوا العذاب الموعود على سبيل السخرية فأمره ان يقول لهم (عسى أن يكون) وهذه على قاعدة وعد الملوك ووعيدهم يعنون بذلك القطع بوقوع ذلك الأمر مع اظهار الوقار والوثوق بما يتكلمون وان كان على سبيل الرجاء والطمع ولمثل هذا قال (ردف لكم بعض الذي) دون أن يقول ردف لكم الذي واللام زائدة للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم أو أريد أزف لكم ودنا لكم بتضمن فعل يتعدى باللام ومعناه تبعكم ولحقكم وقال بعضهم المقتضي للعذاب والمؤثر فيه حاصل في الدنيا الا أن الشعور به غير حاصل كما للسكران أو النائم فتمام العذاب انما يحصل بعد الموت وان كان طرف منه حاصلا في الدنيا فلهذا ذكر البعض ثم ذكر أنه متفضل عليهم بتأخير العقوبة في الدنيا ولكنهم لا يشكرون هذه النعمة فيستعجلون وقوع العقاب بجهلهم وفيه دليل على أن نعمة الله تعم الكافر والمؤمن ثم بين أنه مطلع على ما في صدورهم مما يخفون كالقصود والدواعي وعلى ما يظهرون من أفعال الجوارح وغيرها ولعل الغرض أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك ثم أكد ذلك بأن المغيبات كلها ثابتة في اللوح المحفوظ والعاقبة اما مصدر كالعافية واما اسم غير صفة كالذبيحة والرمية واما صفة والتاء للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قيل وما من شيء شديد الغيبوبة الا وهو مثبت في الكتاب الظاهر المبين لمن ينظر فيه من الملائكة ثم بين لدفع شبه القوم اعجاز القرآن الموافق قصصه لما في التوراة والانجيل مع كونه صلى الله عليه وسلم أميا والمطابق غرضه لما هو الحق في نفس الأمر وقد حرفه بنو اسرائيل عن

وجهه كاختلافهم في شأن المسيح في كثير من الشرائع والاحكام وذكر انه هدى ورحمة لمن آمن منهم وأنصف أو منهم ومن غيرهم ثم ذكر
أن من لم ينصف منهم فالله يقضي بينهم بحكمه (١٦) أي بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما (وهو العزيز)
الذي لا يغالب فيما يريد (العليم) بما يحكم وبمن يحكم لهم أو عليهم ثم أمره بالتوكل وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل ذلك بأمرين أحدهما أنه على الحق الأبلج وفيه أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بنصرة الله وثانيهما قوله (انك لا تسمع الموتى) لانه اذا علم أن حالهم لا انتفاء جدوى السماع كحال الموتى أو كحال الصم الذين لا يسمعون ولا يفهمون والعمى الذين لا يبصرون ولا يهتدون صار ذلك سببا قويا في اظهار مخالفتهم وعدم الاعتداد بهم وقوله (اذا ولوا مدبرين) تأكيد لان الاصم اذا توجه الى الداعي لم يرج منه سماع فكيف اذا ولى مدبرا وهداه عن الضلالة كقولك سقاه عن العيمة ثم بين أن اسماعه لا يجدي الا على الذين علم الله أنهم يصدقون بآياته (فهم مسلمون) أي مخلصون منقادون لامر الله بالكلية ثم هدد المكلفين بذكر طرف من أشراط الساعة وما بعدها فقال (واذا وقع القول) أي دنا وشارف أن يحصل مؤداه ومفهومه (عليهم) وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب (أخرجنا لهم دابة من الارض) وهي الجساسة وقد تكلم علماء الحديث فيها من وجوه أحدها في مقدار جسمها فقيل ان طولها ستون ذراعا وقيل ان رأسها يبلغ السحاب وعن أبي هريرة ما بين قرنيها فرسخ للراكب وثانيها في كيفية خلقتها فروى لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها
رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش من
وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا وثالثها في كيفية خروجها عن علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا

عن أبي معشر عن ابراهيم قال كان يحلف ما يستثني أن من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار قال الشرك حدثني أبو السائب قال ثنا حفص قال ثنا سعد بن سعيد عن علي بن الحسين وكان رجلا غزاء قال بينا هو في بعض خلواته حتى رفع صوته لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير قال فردّ عليه رجل ما تقول يا عبد الله قال أقول ما تسمع قال أما انها الكلمة التي قال الله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من جاء بالحسنة قال الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول اخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومن جاء بالسيئة يعني الشرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن ومن جاء بالسيئة يقول الشرك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار قال السيئة الشرك الكفر حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر العدني قال ثنا الحكم ابن أبان عن عكرمة قوله من جاء بالحسنة قال شهادة أن لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال السيئة الشرك قال الحكم قال عكرمة كل شئ في القرآن السيئة فهو الشرك وبنحو الذي قلنا في معنى قوله فله خير منها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فله خير منها فمنها وصل اليه الخير يعني ابن عباس بذلك من الحسنة وصل الى الذي جاء بها الخير حدثنا محمد بن بشار قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا حسين الشهيد عن الحسن من جاء بالحسنة فله خير منها قال له منها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قال من جاء بلا اله الا الله فله خير منها خيرا (٣) حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فله خير منها يقول له منها حظ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج من جاء بالحسنة فله خير منها قال له منها خير فأما أن يكون خيرا من الايمان فلا ولكن منها خير يصيب منها خيرا حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم عن عكرمة قوله من جاء بالحسنة فله خير منها قال ليس شئ خيرا من لا اله الا الله ولكن له منها خير وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله من جاء بالحسنة فله خير منها قال أعطاه الله بالواحدة عشرا فهذا خير منها واختلفت القراء في قراءة قوله وهم من فزع يومئذ آمنون فقرأ ذلك بعض قراء البصرة وهم من فزع يومئذ آمنون باضافة فزع الى اليوم وقرأ ذلك جماعة قراء أهل الكوفة من فزع يومئذ بتنوين فزع * والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الاضافة أعجب الي لانه فزع معلوم واذا كان ذلك كذلك كان معرفة على أن ذلك في سياق قوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاذا كان ذلك كذلك فمعلوم أنه عني بقوله وهم من فزع يومئذ آمنون

من الفزع الذي قد جرى ذكره قبله واذا كان كذلك كان لا شك أنه معرفة وأن الاضافة اذا كان معرفة به أولى من ترك الاضافة وأخرى أن ذلك اذا أضيف فهو أبين أنه خبر عن أمانه من كل أهوال ذلك اليوم منه اذا لم يضف ذلك وذلك أنه اذا لم يضف كان الأغلب عليه أنه جعل الامان من فزع بعض أهواله وقوله هل تجزون الا ما كنتم تعملون يقول تعالى ذكره يقال لهم هل تجزون أيها المشركون الا ما كنتم تعملون اذ كبكم الله لوجوهكم في النار والاجزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم وترك يقال لهم اكتفاء بدلالة الكلام عليه ◆ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة وهي مكة التي حرمها على خلقه أن يسفكوا فيها دما حراما أو يظلموا فيها أحدا أو يصاد صيدها أو يختلى خلاها دون الاوثان التي تعبدونها أيها المشركون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها يعني مكة وقوله وله كل شئ يقول ولرب هذه البلدة الأشياء كلها ملكا فاياه أمرت أن أعبد لا من لا يملك شيأ وانما قال جل ثناؤه رب هذه البلدة الذي حرمها فخصها بالذكر دون سائر البلدان وهو رب البلاد كلها لانه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم أهل مكة بذلك نعمته عليهم واحسانه اليهم وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرم بلدهم فمنع الناس منهم وهم في سائر البلاد يأكل بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا لا من لم تجر له عليهم نعمة ولا يقدر لهم على نفع ولا ضر وقوله وأمرت أن أكون من المسلمين يقول وأمرني ربي أن أسلم وجهي له حنيفا فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله ابراهيم وجدكم أيها المشركون لا من خالف دين جده المحق ودان دين ابليس عدو الله ◆ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين ﴾ يقول تعالى ذكره قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة وأن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى يقول فمن اتبعني وآمن بي وبما جئت به فسلك طريق الرشاد فانما يهتدي لنفسه يقول فانما يسلك سبيل الصواب باتباعه اياي وايمانه بي وبما جئت به لنفسه لانه بايمانه بي وبما جئت به يأمن نقمته في الدنيا وعذابه في الآخرة وقوله ومن ضل يقول ومن جار عن قصد السبيل بتكذيبه بي وبما جئت به من عند الله فقل انما أنا من المنذرين يقول تعالى ذكره فقل يا محمد لمن ضل عن قصد السبيل وكذبك ولم يصدق بما جئت به من عندي انما أنا ممن ينذر قومه عذاب الله وسخطه على معصيتهم اياه وقد أنذرتكم ذلك معشر كفار قريش فان قبلتم وانتهيتم عما يكرهه الله منكم من الشرك به فحظوظ أنفسكم تصيبون وان رددتم وكذبتم فعلى أنفسكم جنيتم وقد بلغتكم ما أمرت بابلاغه اياكم ونصحت لكم ◆ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك من مشركي قومك متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الحمد لله على نعمته علينا بتوفيقه ايانا للحق الذي أنتم عنه عمون سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه فتعرفون بها حقيقة نصحي كان لكم ويتبين صدق ما دعوتكم اليه من الرشاد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال

يخرج الا ثلثها وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام ورابعها مكان خروجها سئل النبي صلى الله عليه وسلم من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وقيل تخرج من الصفا (١٧) فتكلمهم بالعربية وخامسها في عدد خروجها روى أنها تخرج ثلاث مرات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وسادسها فيما يصدر عنها من الآثار والعجائب فظاهر الآية أنها تكلم الناس وقرى الكلام (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) قال جار الله معناه أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات ومن قرأ إن مكسورة فقولها حكاية قول الله فلذلك قالت بآياتنا أو المعنى بآيات ربنا فحذف المضاف أو بسبب الاضافة اختصاصها بالله كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده عن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك روى بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون واذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمن فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه ويكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه ويكتب بين عينيه كافر وروى أنها تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقيل تكلمهم

من الكلم على معنى التبكيت والمراد به الجرح وهو الوسم بالعصا والخاتم ثم ذكر طرفا مجملا من أهوال يوم القيامة قائلا (ويوم) أي واذكر يوم (نحشر من كل أمة فوجا) أي جماعة (١٨) كثيرة (ممن يكذب) هذه للتبيين والاولى للتبعيض وقوله (بآياتنا) يحتمل معجزات

ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سيريكم آياته فتعرفونها قال في أنفسكم وفي السماء والارض والرزق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله سيريكم آياته فتعرفونها قال في أنفسكم والسماء والارض والرزق وقوله وما ربك بغافل عما تعملون يقول تعالى ذكره وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون ولكن لهم أجل هم بالغوه فاذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا يحزنك تكذيبهم اياك فاني من وراء اهلاكهم واني لهم بالمرصاد فأيقن لنفسك بالنصر ولعدوك بالذل والخزى

﴿ آخر تفسير سورة النمل ولله الحمد والمنة وبه الثقة والعصمة ﴾

﴿ تفسير سورة القصص ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴾ قال أبو جعفر قد بينا قبل فيما مضى تأويل قول الله عز وجل طسم وذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويله وأما قوله تلك آيات الكتاب المبين فانه يعني هذه آيات الكتاب الذي أنزلته اليك يا محمد المبين أنه من عند الله وأنك لم تتقوله ولم تتخرصه وكان قتادة فيما ذكر عنه يقول في ذلك ما حدثني بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله طسم تلك آيات الكتاب المبين يعني مبين والله بركته ورشده وهداه وقوله نتلوا عليك يقول نقرأ عليك ونقص في هذا القرآن من خبر موسى وفرعون بالحق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون يقول في هذا القرآن نبؤهم وقوله لقوم يؤمنون يقول لقوم يصدقون بهذا الكتاب ليعلموا أن ما نتلو عليك من نبئهم فيه نبؤهم وتطمئن نفوسهم بأن سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين سنتنا فيمن عادى موسى ومن آمن به من بني اسرائيل من فرعون وقومه أن نهلكهم كما أهلكناهم وننجيهم منهم كما أنجيناهم منهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ﴾ يقول تعالى ذكره ان فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر وعلا أهلها وقهرهم حتى أقروا له بالعبودة كما حدثنا محمد بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي ان فرعون علا في الارض يقول تجبر في الارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان فرعون علا في الارض أي بغى في الأرض وقوله وجعل أهلها شيعا يعني بالشيع الفرق يقول وجعل أهلها فرقا متفرقين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل أهلها شيعا أي فرقا يذبح طائفة منهم ويستحيي طائفة ويعذب طائفة ويستعبد طائفة قال الله عز وجل يذبح أبناءهم

ويستحيي

جميع الرسل أو القرآن خاصة وقد مر معنى قوله (فهم يوزعون) في وصف جنود سليمان أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وعن ابن عباس الفوج أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين أيديهم الى النار والواو في قوله (ولم تحيطوا) للحال كأنه قيل أكذبتم بآياتي بادي الرأي من غير الوقوف على حقيقتها وأنها جديرة بالتصديق او بالتكذيب ويجوز أن تكون الواو للعطف والمعنى أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتفهمها فقد يجحد المكتوب اليه كون الكتاب من عند من كتبه ومع ذلك لا يدع تفهم مضمونه وأن يحيط بمعانيه قال جار الله (أماذا كنتم تعملون) للتبكيت لا غير لانهم لم يعملوا الا التكذيب ولم يشتهر من حالهم الا ذلك وجوز أن يراد ما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك كأنكم لم تخلقوا الا لأجله وقال غيره أراد لما لم يشتغلوا بذلك العمل المهم وهو التصديق فأي شئ يعملونه بعد ذلك لأن كل عمل سواه فكأنه ليس بعمل قال المفسرون يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله (ووقع القول عليهم) أي العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار ثم بعد أن خوفهم بأهوال القيامة وأحوالها ذكر ما يصلح أن يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة في الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال (ألم يروا) الآية ووجه دلالته على التوحيد أن التقليب من النور الى الظلمة

و بالعكس لايتم الابقدرة قاهرة ودلالته على الحشر أن النوم يشبه الموت والانتباه يشبه الحياة ودلالته على النبوة أن كل هذه المنافع المكلفين وفى بعثة الرسل الى الخلق أيضا منافع جمة فما المانع لمفيض الخيرات من ايصال بعض المنافع دون البعض أومن رعاية بعض

و يستحيي نساءهم انه كان من المفسدين حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا فى منامه أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل وأحرقت بيوت مصر فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة فسألهم عن رؤياه فقالوا له يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو اسرائيل منه يعنون بيت المقدس رجل يكون على وجهه هلاك مصر فأمر ببنى اسرائيل أن لا يولد لهم غلام الاذبحوه ولا تولد لهم جارية الا تركت وقال للقبط انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا فأدخلوهم واجعلوا بنى اسرائيل يلون تلك الاعمال القذرة فجعل بنى اسرائيل فى أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم فذلك حين يقول ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يعنى بنى اسرائيل حين جعلهم فى الاعمال القذرة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجعل أهلها شيعا قال فرق بينهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وجعل أهلها شيعا قال فرقا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعل أهلها شيعا قال الشيع الفرق وقوله يستضعف طائفة منهم ذكر أن استضعافه اياها كان استعباده ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة يستعبد طائفة منهم ويذبح طائفة ويقتل طائفة ويستحيي طائفة وقوله انه كان من المفسدين يقول انه كان ممن يفسد فى الارض بقتله من لا يستحق منه القتل واستعباده من ليس له استعباده وتجبره فى الارض على أهلها وتكبره على عبادة ربه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ قوله ونريد عطف على قوله يستضعف طائفة منهم ومعنى الكلام أن فرعون علا فى الارض وجعل اهلها من بنى اسرائيل فرقا يستضعف طائفة منهم ونحن نريد أن نمن على الذين استضعفهم فرعون فى الارض من بنى اسرائيل ونجعلهم أئمة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض قال بنو اسرائيل قوله ونجعلهم أئمة أى ولاة وملوكا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونجعلهم أئمة أى ولاة الامر وقوله ونجعلهم الوارثين يقول ونجعلهم وراث آل فرعون يرثون الارض من بعد مهلكهم وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونجعلهم الوارثين أى يرثون الارض بعد فرعون وقومه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى ابو سفيان عن معمر عن قتادة ونجعلهم الوارثين يقول يرثون الارض بعد فرعون وقوله ونمكن لهم فى الارض يقول ونوطئ لهم فى أرض الشأم ومصر ونرى فرعون وهامان وجنودهما كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بنى اسرائيل فكانوا من ذلك على وجل منهم ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما من بنى اسرائيل على يد موسى بن عمران نبيه ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

المصالح دون البعض ووصف النهار بالابصار انما هو باعتبار صاحبه وقد مر فى يونس والتقابل مراعى فى الآية من حيث المعنى كأنه قيل ليسكنوا فيه وليبصروا فيه طرق التقلب فى المكاسب ثم عاد الى ذكر علامة أخرى للقيامة فقال (و يوم ينفخ فى الصور) وقد تقدم تفسيره فى طه والمؤمنين وقوله (ففزع) كقوله ونادى وسيق والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الا من شاء الله) قال أهل التفسير الا من ثبت الله قلبه من الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل هم الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر أن منهم موسى لانه صعق مرة قال أهل البرهان انما قال فى هذه السورة ففزع موافقة لقوله وهم من فزع يومئذ آمنون وفى الزمر قال فصعق لأن معناه فمات وقد سبق انك ميت وانهم ميتون ومعنى (داخرين) صاغرين أذلاء وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية وجوز أن يراد رجوعهم الى أمره وانقيادهم له قال أهل المناظرة ان الأجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد فى السمت والكيفية ظن الناظر أنها واقفة مع أنها تمر مرا حثيثا فأخبر الله سبحانه أن حال الجبال يوم القيامة كذلك تجمع فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر الناظر حسبها جامدة أى واقفة فى مكان واحد (وهى تمر مر السحاب)

قال جار الله (صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله الا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى و يوم ينفخ فى الصور فكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين من صنع الله فجعل الاثابة والمعاقبة من جملة الاشياء التى أتقنها وأتى بها على وجه الحكمة

والصواب قلت لا يبعد أن يكون الناصب ليوم ينفخ هو اذكر مقدرا ويكون صنع الله مصدرا مؤكدا لنفسه أي صنع تسيير الجبال ومرها صنع الله قال القاضي عبد الجبار في قوله (٢٠) (أتقن كل شئ) دلالة على أن القبائح ليست من خلقه والا وجب وصفها بأنها متقنة ولكن الاجماع مانع منه وأجيب بأن الآية مخصوصة بغير الأعراض فان الأعراض لا يمكن وصفها بالاتقان وهو الاحكام لانه من أوصاف المركبات قلت ولو سلم وصف الأعراض بالاتقان فوصف كل الأعراض به ممنوع فما من عام الا وقد خص ولو سلم فالاجماع المذكور لعله ممنوع يؤيده قوله (انه خبير بما تفعلون) واذا كان خبيرا بكل أفعال العباد على كل نحو يصدر عنهم وخلاف معلومه يمتنع أن يقع فقد صحت معارضة الاشعري وعلى مذهب الحكيم وقاعدته صدور الشر القليل من الحكيم لاجل الخير الكثير لا ينافي الاتقان والله أعلم ثم فصل أعمال العباد وجزاءها بقوله (من جاء بالحسنة فله خير منها) الى آخر الآيتين وبيان الخيرية بالاضعاف وبأن العمل منقض والثواب دائم وبأن فعل السيد بينه وبين فعل العبد بون بعيد على أن الاكل والشرب انما هو جزاء الاعمال البدنية وأما الاعمال القلبية من المعرفة والاخلاص فلا جزاء لها سوى الالتذاذ بلقاء الله والاستغراق في بحار الجمال والجلال جعلنا الله أهلا لذلك وقيل المراد فله خير حاصل منها وعن ابن عباس أن الحسنة كلمة الشهادة التي هي أعلى درجات الايمان واعترض عليه بأنه يلزم منه أن لا يعاقب مسلم وأجيب بأنه يكفي في الخيرية أن لا يكون عقابه مخلدا ثم وعد المحسنين أمرا آخر وهو قوله (وهم من فزع يومئذ آمنون) وآمن يعدى بالجار وبنفسه والتنوين في فزع في احدى القراءتين اما للنوع وهو فزع نوع العقاب فان فزع الهيبة والجلال يلحق كل مكلف وهو الذي أثبته في قوله ففزع من في السموات ومن في الارض

ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون شيأ ما حذر القوم قال وذكر لنا أن حازيا حزا لعدو الله فرعون فقال يولد في هذا العام غلام من بني اسرائيل يسلبك ملكك فتتبع أبناءهم ذلك العام يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم حذرا مما قال له الحازي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال كان لفرعون رجل ينظر له ويخبره يعني أنه كاهن فقال له انه يولد في هذا العام غلام يذهب بملككم فكان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم حذرا فذلك قوله ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون واختلفت القراء في قراءة قوله ونرى فرعون وهامان فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين ونري فرعون وهامان بمعنى ونري نحن بالنون عطفا بذلك على قوله ونمكن لهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ويرى فرعون على أن الفعل لفرعون بمعنى ويعاين فرعون بالياء من يرى ورفع فرعون وهامان والجنود والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قراء الامصار متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب لانه معلوم أن فرعون لم يكن ليرى من موسى ما رأى الا بأن يريه الله عز وجل منه ولم يكن ليريه الله تعالى ذكره ذلك منه الا رآه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين﴾ يقول تعالى ذكره وأوحينا الى أم موسى حين ولدت موسى أن أرضعيه وكان قتادة يقول في معنى ذلك وأوحينا الى أم موسى قذفنا في قلبها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأوحينا الى أم موسى وحيا جاءها من الله فقذف في قلبها وليس بوحي نبوة أن أرضعي موسى فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله وأوحينا الى أم موسى قال قذف في نفسها حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أمر فرعون أن يذبح من ولد من بني اسرائيل سنة ويتركوا سنة فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه فأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم واختلف أهل التأويل في الحال التي أمرت أم موسى أن تلقي موسى في اليم فقال بعضهم أمرت أن تلقيه فيه بعد ميلاده بأربعة أشهر وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر مما يطلب الصبي بعد حال سقوطه من بطن أمه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أن أرضعيه فاذا خفت عليه قال اذا بلغ أربعة أشهر وصاح وابتغى من الرضاع أكثر من ذلك فألقيه حينئذ في اليم فذلك قوله فاذا خفت عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال لم يقل لها اذا ولدتيه فألقيه في اليم انما قال لها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم بذلك أمرت قال جعلته في بستان فكانت تأتيه كل يوم فترضعه وتأتيه كل ليلة فترضعه فيكفيه ذلك * وقال آخرون بل أمرت أن تلقيه في اليم بعد ولادها اياه وبعد رضاعها ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما وضعته أرضعته ثم دعت له نجارا فجعل له تابوتا وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته في اليم * وأولى قول قيل في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه فاذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم (٣) وجائز أن تكون

(٣) لعله سقط من الناسخ فجائز أن تكون خافتهم عليه بعد ولادها وجائز الخ كتبه مصححه

خافتهم

الا من شاء الله واما للتعظيم أى من فزع شديد لا يكتنهه الواصف وهو خوف النار آمنون وأما حال العصاة فأن تكب فى النار فعبر عن الجملة بالوجه لانه أشرف أو لانهم يلقون فى الجحيم منكوسين وقوله (هل تجزون) الخطاب (٢١) فيه اما على طريقة الالتفات واما على سبيل الحكاية باضمار القول أى يقال لهم عند الكب هذا القول ثم ختم السورة بخلاصة ما أمر به رسوله وذلك أشياء منها عبادة الرب سبحانه ثم وصف الرب بأمرين احترازا من أرباب أهل الشرك أولهما كونه ربا لما هو أقرب فى نظر قريش وهو بلدة مكة حرسها الله وفيه نوع منة عليهم كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وثانيهما عام وهو قوله (وله كل شئ) ومنها امره بالاسلام وهو الاذعان الكلى لاوامر الله بجميع أعضائه وجوارحه ومنها أمره بتلاوة القرآن أى بتلوه أى اتباعه وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به أتم قيام حتى خوطب بقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ثم لما بين سيرته ذكر أن نفع الاهتداء ووبال الضلال لا يعود الا الى المكلف أو عليه وليس على الرسول الا البلاغ والانذار ثم جعل ختم الخاتمة الأمر بالحمد كما هو صفة أهل الجنة وبعد أمره بالحمد على نعمة النبوة والرسالة هدد أعداءه بما سيريهم فى الآخرة من الآيات الملجئة الى الاقرار وذلك حين لا ينفعهم الايمان قاله الحسن وعن الكلبى هى الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من العقوبات فى الدنيا (وما ربك بغافل عما تعملون) ولكنه من وراء جزاء العاملين ۞ التأويل قل سيروا فى أرض البشرية فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين لان خواص نفوسهم انموذج من جهنم كما أن خواص أهل القلوب انموذج من الجنة وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم لانه خمر طينة آدم بيديه أربعين صباحا ونفخ فيه من روحه فهو مطلع على قالبه وعلى قلبه ولهذا قال وما من غائبة من الخواص فى سماء القلب وأرض القالب الا فى كتاب مبين وهو علم الله تعالى ان هذا القرآن

خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها ايا ه وأى ذلك كان فقد فعلت ما أوحى الله اليها فيه ولا خبر قامت به حجة ولا فى فطرة العقل بيان أى ذلك كان من أى فأولى الاقوال فى ذلك بالصحة أن يقال كما قال جل ثناؤه واليم الذى أمرت أن تلقيه فيه هو النيل كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فألقيه فى اليم قال هو البحر وهو النيل وقد بينا ذلك بشواهده وذكر الرواية فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقوله ولا تخافى ولا تحزنى يقول لا تخافى على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه ولا تحزنى لفراقه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولا تخافى ولا تحزنى قال لا تخافى عليه البحر ولا تحزنى لفراقه انا رادوه اليك وقوله انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين يقول انا رادو ولدك اليك للرضاع لتكونى أنت ترضعيه وباعثوه رسولا الى من تخافينه عليه أن يقتله وفعل الله ذلك بها وبه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انا رادوه اليك وباعثوه رسولا الى هذه الطاغية وجاعلوه هلاكه ونجاة بنى اسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ يقول تعالى ذكره فالتقطه آل فرعون فأصابوه وأخذوه وأصله من اللقطة وهو ما وجد ضالا فأخذ والعرب تقول لما وردت عليه فجأة من غير طلب له ولا ارادة أصبته التقاطا ولقيت فلانا التقاطا ومنه قول الراجز

ومنهل وردته التقاطا * لم ألق اذ وردته فراطا

يعنى فجأة واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله آل فرعون فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بذلك جوارى امرأة فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغسلن فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية وظنن أن فيه مالا فلما نظرت اليه آسية وقعت عليها رحمته فأحبته فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها قال انى أخاف أن يكون هذا من بنى اسرائيل وأن يكون هذا الذى على يديه هلاكنا فذلك قول الله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا * وقال آخرون بل عنى به ابنة فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال كانت بنت فرعون برصاء فجاءت الى النيل فاذا التابوت فى النيل تخفقه الامواج فأخذته بنت فرعون فلما فتحت التابوت فاذا هى بصبى فلما اطلعت فى وجهه برأت من البرص فجاءت به الى أمها فقالت ان هذا الصبى مبارك لما نظرت اليه برئت فقال فرعون هذا من صبيان بنى اسرائيل هلم حتى أقتله فقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه * وقال آخرون عنى به أعوان فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أصبح فرعون فى مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة فبينما هو جالس اذ مر النيل بالتابوت يقذف به وآسية بنت مزاحم امرأته جالسة الى جنبه فقالت ان هذا لشئ فى البحر فأتونى به فخرج اليه أعوانه حتى جاؤا به ففتح التابوت فاذا فيه صبى فى مهده فألقى الله عليه محبته وعطف عليه نفسه قالت امرأته آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ولا قول فى ذلك عندنا أولى بالصواب مما قال الله عز وجل فالتقطه آل فرعون

يقص لان كل كتاب كان مشتملا على شرح مقام ذلك النبي ولم يكن لنبي مقام في القرب مثل نبينا فلا جرم لم يكن في كتبهم من الحقائق مثل ما في القرآن ولهذا قال ان ربك يقضي بينهم (٣٣) أي بين هذه الامة و بين أمة كل نبي بحكمه أي بحكمته بأن يبلغ متابعي كل نبي الى مقام نبيهم و يبلغ متابعي نبينا صلى الله عليه وسلم الى مقام المحبة فاتبعوني يحببكم الله وهو العزيز الذي لعزته لا يهدي كل متمني الى مقام حبيبه العليم بمن يستحق هذا المقام فتوكل على الله انك على الحق المبين في دعوة الخلق الى الله واذا وقع القول عليهم وذلك بعد البلوغ ومضى زمان الرعي في مراتع البهيمية أخرجنا لهم من تحت ارض البشرية دابة تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وهي النفس الناطقة فانها الى الآن كانت موصوفة بصفة الصمم والبكم بتبعية النفس الامارة التي لا توقن هي وصفاتها بالدلائل ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون من كلامه وهي صفات الروح والقلب وذلك بعد التصفية والمداومة على الذكر والفكر حتى اذا رجعوا الى الحضرة قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أما ذا كنتم تعملون بعد أن كنتم مصدقيها عند خطاب ألست بربكم وهذا خطاب فيه استبطاء وعتاب ووقع قول يحبهم عليه بدل ماظلموا فهم لا ينطقون كقوله من عرف الله كل لسانه ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا جعلنا ليل البشرية سببا لاستجمام القلب ونهار الروحانية بتجلي شمس الربوبية مبصرا يبصر به الحق من الباطل ويوم ينفخ اسرافيل المحبة في صور القلب ففزع من في سموات الروح من الصفات الروحانية ومن في أرض البشرية من الصفات النفسانية الا من شاء الله من أهل البقاء الذين أحيوا بحياته وأفاقوا بعد صعقة الفناء وهي النفخة الاولى في بداية تأثير العناية للهداية والقاء المحبة التي تظهر القيامة في شخص

وقد بينا معنى الآل فيما مضى بما فيه الكفاية من اعادته ههنا وقوله ليكون لهم عدوّا وحزنا فيقول القائل ليكون موسى لآل فرعون عدوّا وحزنا التقطوه فيقال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا قيل انهم حين التقطوه لم يلتقطوه لذلك بل لما تقدم ذكره ولكنه ان شاء الله كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا قال ليكون لهم في عاقبة أمره عدوّا وحزنا لما أراد الله به وليس لذلك أخذوه ولكن امرأة فرعون قالت قرة عين لي ولك فكان قول الله ليكون لهم عدوّا وحزنا لما هو كائن في عاقبة أمره لهم وهو كقول القائل لآخر اذا قرعه لفعل كان فعله وهو يحسب محسنا في فعله فأدّاه فعله ذلك الى مساءة مندما له على فعله فعلت هذا لضر نفسك ولتضرّ به نفسك فعلت وقد كان الفاعل في حال فعله ذلك عند نفسه يفعله راجيا نفعه غير أن العاقبة جاءت بخلاف ما كان يرجو فكذلك قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا انما هو فالتقطه آل فرعون ظنا منهم أنهم محسنون الى أنفسهم ليكون قرة عين لهم فكانت عاقبة التقاطهم اياه منه هلاكهم على يديه وقوله عدوّا وحزنا يقول يكون لهم عدوا في دينهم وحزنا على ما ينالهم منه من المكروه و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا عدوّا لهم في دينهم وحزنا لما يأتيهم واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة و بعض أهل الكوفة وحزنا بفتح الحاء والزاي وقرأته عامة قراء الكوفة وحزنا بضم الحاء وتسكين الزاي والحزن بفتح الحاء والزاي مصدر من حزنت حزنا والحزن بضم الحاء وتسكين الزاي الاسم كالعدم والعدم ونحوه والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وهما على اختلاف اللفظ فيهما بمنزلة العدم والعدم فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين يقول تعالى ذكره ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا بربهم آثمين فلذلك كان لهم موسى عدوّا وحزنا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالت امرأت فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون﴾ يقول تعالى ذكره وقالت امرأة فرعون له هذا قرة عين لي ولك يا فرعون فقرة عين مرفوعة بمضمر هو هذا أو هو وقوله لا تقتلوه مسئلة من امرأة فرعون أن لا يقتله وذكر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون قال فرعون أما لك فنعم وأما لي فلا فكان كذلك ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا قال فرعون قرة عين لك أما لي فلا قال محمد بن قيس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون قرة عين لي ولك لكان لهما جميعا **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال اتخذه فرعون ولدا ودعي على أنه ابن فرعون فلما تحرك الغلام أرته أمه آسية صبيا فبينما هي ترقصه وتلعب به اذ ناولته فرعون وقالت خذه قرة عين لي ولك قال فرعون هو قرة عين لك لا لي قال عبد الله بن عباس لو أنه قال وهو لي قرة عين اذا لآمن به ولكنه أبى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك تعني بذلك موسى **حدثنا** العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أتت بموسى امرأة فرعون فرعون قالت قرة عين لي ولك قال

فرعون

فرعون يكون لك فأمالى فلا حاجة لى فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله به كما هدى به امرأته ولكن الله حرمه ذلك وقوله لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ذكر أن امرأة فرعون قالت هذا القول حين هم بقتله قال بعضهم حين أتى به يوم التقطه من اليم وقال بعضهم يوم نتف من لحيته أو ضربه بعصا كانت فى يده ذكر من قال قالت ذلك يوم نتف لحيته حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما أتى فرعون به صبيا أخذه اليه فأخذ موسى بلحيته فنتفها قال فرعون علىّ بالذباحين هو هذا قالت آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا انما هو صبى لا يعقل وانما صنع هذا من صباه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا قال ألقيت عليه رحمتها حين أبصرته وقوله وهم لا يشعرون اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وهم لا يشعرون هلاكهم على يده ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم لا يشعرون قال وهم لا يشعرون أن هلكتهم على يديه وفى زمانه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى سفيان عن معمر عن قتادة أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون قال ان هلاكهم على يديه حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وهم لا يشعرون قال آل فرعون أنه لهم عدوّ * وقال آخرون بل معنى ذلك وهم لا يشعرون بما هو كائن من أمرهم وأمره ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالت امرأة فرعون آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون يقول الله وهم لا يشعرون أى بما هو كائن بما أراد الله به * وقال آخرون بل معنى قوله وهم لا يشعرون وبنو اسرائيل لا يشعرون أنا التقطناه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون قال يقول لا تدرى بنو اسرائيل أنا التقطناه * والصواب من القول فى ذلك قول من قال معنى ذلك وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه وانما قلنا ذلك أولى التأويلات به لانه عقيب قوله وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا واذا كان ذلك عقبه فهو بأن يكون بيانا عن القول الذى هو عقبه أحق من أن يكون بيانا عن غيره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عنى الله أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا فقال بعضهم الذى عنى جل ثناؤه أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا كل شئ سوى ذكر ابنها موسى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن العلاء قال ثنا جابر ابن نوح قال ثنا الاعمش عن مجاهد وحسان أبى الاشرس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فرغ من كل شئ الا من ذكر موسى حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى حدثنا محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن رجل عن ابن عباس وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من كل شئ الا من هم موسى حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن

المحب وفزع الصفات هيجانها للطلب بتهييج أنوار المحبة الا من شاء الله وهو الخفى وهى لطيفة فى الروح بالقوة وانما تصير بالفعل عند طلوع شموع الشواهد وآثار التجلى فلا يصيبه الفزع بالنفخة الاولى ولا تدركه الصعقة بالنفخة الثانية وترى جبال الاشخاص جامدة على حالها وهى تمر بالسير فى الصفات وتبديل الاخلاق مر السحاب رب هذه البلدة وهى القلب والرب هو الله كما أن رب بلدة القالب هو النفس الامارة وانه تعالى حرم بلدة القلب على الشيطان كما قال يوسوس فى صدور الناس دون أن يقول فى قلوب الناس سيريكم آياته فتعرفونها فيه اذا لم ير الآيات لم يمكن عرفانها اللهم اجعلنا من العارفين واكشف عنا غطاءنا بحق محمد وآله صلى الله وسلم عليهم

﴿سورة القصص مكية سوى آية نزلت بجحفة ان الذى فرض الخ حروفها ٥٨٠٠ كلمها ١٤٤١ آياتها ٨٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على أهل

بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ۝ فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ۝ ولما بلغ أشده
واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ۝ (٢٤) ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من

ابن عباس قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال يقول لا تذكر الا موسى حدثنا محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال ثنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال من كل شئ غير ذكر موسى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فرغ من كل شئ الا من ذكر موسى حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملى قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر فى قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من كل شئ الا من هم موسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أى لاغيا من كل شئ الا من ذكر موسى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فرغ من كل شئ غير ذكر موسى * وقال آخرون بل عنى أن فؤادها أصبح فارغا من الوحى الذى كان الله أوحاه اليها اذ أمرها أن تلقيه فى اليم فقال ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين قال فحزنت ونسيت عهد الله اليها فقال الله عز وجل وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من وحينا الذى أوحيناه اليها ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من الوحى الذى أوحى الله اليها حين أمرها أن تلقيه فى البحر ولا تخاف ولا تحزن قال فجاءها الشيطان فقال يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فيكون لك أجره وثوابه وتوليت قتله فألقيتيه فى البحر وغرقتيه فقال الله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الوحى الذى أوحاه اليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال ثنى الحسن قال أصبح فارغا من العهد الذى عهدنا اليها والوعد الذى وعدناها أن نرد عليها ابنها فنسيت ذلك كله حتى كادت أن تبدى به لولا أن ربطنا على قلبها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق قد كانت أم موسى ترفع له حين قذفته فى البحر هل تسمع له بذكر حتى أتاها الخبر بأن فرعون أصاب الغداة صبيا فى النيل فى التابوت فعرفت الصفة ورأت أنه وقع فى يدى عدوه الذى فرت به منه وأصبح فؤادها فارغا من عهد الله اليها فيه قد أنساها عظيم البلاء ما كان من العهد عندها من الله فيه وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب معنى ذلك وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الحزن لعلمها بأنه لم يغرق قال وهو من قولهم دم فرغ أى لا قود ولا دية وهذا قول لا معنى له لخلافه قول جميع أهل التأويل * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب عندى قول من قال معناه وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من كل شئ الا من هم موسى وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فيه بالصواب لدلالة قوله ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها ولو كان عنى بذلك فراغ قلبها من الوحى لم يعقب بقوله ان كادت لتبدى به لانها ان كانت قاربت أن تبدى الوحى فلم تكد أن تبديه الا لكثرة ذكرها اياه وولوعها به ومحال أن تكون به ولعة الا وهى ذاكرة واذا كان ذلك كذلك بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحى اليها وأخرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة القلب ولم يخصص فراغ قلبها من شئ دون شئ فذلك على العموم الا ما قامت حجته أن قلبها لم يفرغ منه وقد ذكر عن فضالة بن عبيد أنه كان يقرؤه وأصبح فؤاد أم موسى فازعا من الفزع وقوله ان كادت لتبدى به اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عادت عليه الهاء فى قوله به فقال بعضهم هى من ذكر موسى وعليه عادت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا الاعمش

شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفرله انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين فأصبح فى المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ۝ القراآت ويرى بفتح الياء وامالة الراء فرعون وهامان وجنودهما مرفوعات حمزة وعلى وخلف وهكذا قرؤا قوله وحزنا بضم الحاء وسكون الزاى الباقون بفتحها ۝ الوقوف طسم كوفى المبين ۝ يؤمنون ۝ نساءهم ط المفسدين ۝ الوارثين ۝ لا للعطف يحذرون ۝ أرضعيه ج للفاء مع احتمال الابتداء باذا الشرطية ولا تحزنى ج للابتداء بان مع أن التقدير فانا من المرسلين ۝ وحزنا ط خاطئين ۝ ولك ط لا تقتلوه ق والوجه الوصل لأن الرجاء بعده تعليل للنهى لا يشعرون ۝ فارغا ط المؤمنين ۝ قصيه ز بناء على أن التقدير فتبعته فبصرت لا يشعرون ۝ لا بناء على أن الواو للحال أى وقد حرمنا وقوله فقالت عطف على قوله فبصرت والحال معترض ناصحون ۝ عن لا يعلمون ۝ وعلما ۝ المحسنين ۝ يقتتلان لا لأن ما بعده صفة الرجلين ظاهرا ولكن مع اضمار أى يقال لهما هذا من شيعته وهذا من عدوه

عن مجاهد وحسان أبى الأشرس عن سـعيد بن جبير عن ابن عباس ان كادت لتبدى به أن تقول يا ابناه * قال ثنى يحيى بن سعيد عن سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان كادت لتبدى به أن تقول يا ابناه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان كادت لتبدى به أن تقول يا بنياه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان كادت لتبدى به أى لتبدى به أنه ابنها من شدة وجدها حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما جاءت أمه أخذ منها يعنى الرضاع فكادت أن تقول هو ابنى فعصمها الله فذلك قول الله ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها * وقال آخرون بمـا أوحيناه اليها أى تظفر * والصواب من القول فى ذلك ما قاله الذين ذكرنا قولهم أنهم قالوا ان كادت لتقول يا بنياه لاجمـاع الحجة من أهل التأويل على ذلك وأنه عقيب قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا فلأن يكون لو لم يكن ممن ذكرنا فى ذلك اجمـاع على ذلك من ذكر موسى لقربه منه أشبه من أن يكون من ذكر الوحى * وقال بعضهم بل معنى ذلك ان كادت لتبدى بموسى فتقول هو ابنى قال وذلك أن صدرها ضاق اذ نسب الى فرعون وقيل ابن فرعون وعنى بقوله لتبدى به لتظهره وتخبر به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول اخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان كان كادت لتبدى به لتشعر به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان كادت لتبدى به قال لتعلن بأمره لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقوله لولا أن ربطنا على قلبها يقول لولا أن عصمناها من ذلك بتثبيتنا اها وتوفيقنا اها للسكوت عنه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله لولا أن ربطنا على قلبها أى بالايمان لتكون من المؤمنين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السـدى قال كادت تقول هو ابنى فعصمها الله فذلك قول الله ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها وقوله لتكون من المؤمنين يقول تعالى ذكره عصمناها من اظهار ذلك وقيـله بلسانهـا وثبتناها للعهد الذى عهدنا اليها لتكون من المؤمنين بوعد الله الموقنين به

القول فى تأويل قوله تعـالى ﴿ وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ﴾ يقول تعـالى ذكره وقالت أم موسى لاخت موسى حين ألقته فى اليم قصيه يقول قصى أثر موسى اتبعى أثره تقول قصصت آثار القوم اذا اتبعت آثارهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لاخته قصيه قال اتبعى أثره كيف يصنع به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قصيه أى قصى أثره حدثنا ابن حميد ثنـا سلمة عن ابن اسحق وقالت لاخته قصيه قال اتبعى أثره حدثنا بشر بن معاذ قال ثنـا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالت لاخته قصيه أى انظرى ماذا يفعلون به حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وقالت لأخته قصيه يعنى قصى أثره حدثنى العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد

وليس ببعيد أن يكون مستأنفا من عدوه الاول ج لان ما يتلوه معطوف على قوله فوجد مع اعتراض عارض من عدوه الثانى لا للعطف عليه مع عدم اتحاد القائل الشيطان ط مبين ه فغفر له ط الرحيم ه (٣٥) للمجرمين ه يستصرخه ط مبين ط لهما لا لان ما بعده جواب لمـا بالأمس ط للابتداء بالنفى والوصـل أوجه لاتحـاد القـائل المصلحين ه يسعى ز لعـدم العاطف مع اتحـاد القول من الناصحين ه يترقب ز لمـا قلنا فى يسعى الظالمين ه ﴿التفسير﴾ فاتحة هذه السورة كفاتحة سورة الشعراء (نتلو عليك) على لسان جبرائيـل (من نبا موسى وفرعون) أى طرفا من خبرهما متلبسا (بالحق) أو محقين (لقوم يؤمنون) لأن التلاوة انمـا تنفع هؤلاء ثم شرع فى تفصيل هذا المجمل وفى تفسيره كأن سائلا سأل وكيف كان نبؤهما فقـال مستأنفا (ان فرعون علا فى الارض) أى طغى وتكبر فى أرض مملكته (وجعل أهلها شـيعا) فرقا يشـيعونه على ما يريد ويطيعونه أو جعلهم أصنافا فى استخدامه فمن بان وحارث وغير ذلك أو فرقا مختلفة بينهم عداوة ليكونوا له أطوع وهم بنو اسرائيل والقبط وقوله (يستضعف) حال من الضمير فى جعل أو صفة لشيعا أو مستأنف و(يذبح) بدل منه وقوله (انه كان من المفسدين) بيـان أن القتل من فعل أهل الفساد لا غير لأن الكهنة ان صدقوا فلا فائدة فى القتل وان كذبوا فلا وجه للقتل اللهم الا أن يقال ان النجوم دلت على أنه يولد ولد لو لم يقتل لصار كذا وكذا وضعفه ظاهر لأن المقدر كائن البتة (ونريد) حكاية حال ماضـية معطوفة على قوله ان فرعون علا فهذه أيضا تفسـير للنبـا وجوز أن يكون حالا من الضمير فى يستـضعف أى يسـتضعفهم هو ونحن نريد أن نمنّ عليهـم فى المآل بجعلت ارادة الوقوع كالوقوع (ونجعلهم أئمة) مقدمين فى أمور الدين والدنيا وعن ابن عباس قادة يقتـدى بهم فى الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير

وعن قتادة ولاة أي ملوكا ومعنى الوراثة والتمكين في أرض مصر والشام هو أن يرثوا ملك فرعون وينفذ فيه أمرهم والذي كانوا يحذرون منه هو ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم (٣٦) يروى أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد قال ابن عباس ان أم موسى لما قربت ولادتها أرسلت الى قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بالحبالى وكانت مصافية لأم موسى وقالت لها قد نزل بي ما نزل ولينفعني حبك فعالجتها فلما وقع على الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك هذا حبا شديدا فاحفظيه فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها نفر من بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعقل ما تصنع لما طاش من عقلها فدخلوا فاذا التنور مسجور واذا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لم دخلت القابلة عليك قالت انها حبيبة لي دخلت للزيارة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت يا أخت موسى أين الصبي فقالت لا أدري سمعت بكاءه في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها أن يذبح فألهمها الله تعالى أن تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت في النيل فجاءت الى النجار وأمرته بنجر تابوت طوله خمسة أشبار في عرض خمسة فعلم النجار بذلك فجاء الى موكل بذبح الابناء فاعتقل لسانه فرجع ثم عاد مرات فعلم أنه من الله فأقبل على النجر وقيل لما فرغ من صنعة التابوت ثم أتى فرعون يخبره فبعث معه من يأخذه فطمس الله على عينيه وقلبه فلم يعرف الطريق وأيقن أنه من الله وأنه هو المولود الذي يخافه فرعون فآمن في الوقت وهو مؤمن من آل فرعون وانطلقت أم موسى وألقته في النيل وكانت لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث

قال ثنا القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس وقالت لاخته قصيه أي قصي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحي ابني أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه ونسيت الذي كان الله وعدها وقوله فبصرت به عن جنب يقول تعالى ذكره فقصت أخت موسى أثره فبصرت به عن جنب يقول فبصرت بموسى عن بعد لم تدن منه ولم تقرب لئلا يعلم أنها منه بسبيل يقال منه بصرت به وأبصرته لغتان مشهورتان وأبصرت عن جنب وعن جنابة كما قال الشاعر

أتيت حريثا زائرا عن جنابة * فكان حريث عن عطائي جاحدا

يعني بقوله عن جنابة عن بعد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عن جنب قال بعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن جنب قال عن بعد قال ابن جريج عن جنب قال هي على الحد في الارض وموسى يجري به النيل وهما متحاذيان كذلك تنظر اليه نظرة والى الناس نظرة وقد جعل في تابوت مقير ظهره وبطنه وأقفلته عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي سفيان عن معمر عن قتادة فبصرت به عن جنب يقول بصرت به وهي محاذيته لم تأته حدثني العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثني القاسم ابن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس فبصرت به عن جنب والجنب أن يسمو بصر الانسان الى الشيء البعيد وهو الى جنبه لا يشعر به وقوله وهم لا يشعرون يقول وقوم فرعون لا يشعرون بأخت موسى أنها أخته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهم لا يشعرون قال آل فرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون أنها أخته قال جعلت تنظر اليه كأنها لا تريده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وهم لا يشعرون أنها أخته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وهم لا يشعرون أي لا يعرفون أنها منه بسبيل ۞ القول في تأويل قوله تعالى {وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون} يقول تعالى ذكره ومنعنا موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أمه ذكر أن أختا لموسى هي التي قالت لآل فرعون هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع فأبى أن يأخذ فذلك قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فلما جاءت أمه أخذ منها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل قال لا يقبل ثدي امرأة حتى يرجع الى أمه

حدثنا

حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وحرمنا عليه المراضع من قبل قال كان لا يؤتى بمرضع فيقبلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل قال لا يرضع ثدى امرأة حتى يرجع الى أمه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحرمنا عليه المراضع من قبل قال جعل لا يؤتى بامرأة الا لم يأخذ ثديها قال فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال جمعوا المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرمضهم ذلك فيؤتى بمرضع بعد مرضع فلا يقبل شيأ منهن فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم و يعنى بقوله يكفلونه لكم يضمنونه لكم وقوله وهم له ناصحون ذكر أنها أخذت فقيل قد عرفته فقالت انما عنيت أنهم للملك ناصحون ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما قالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون أخذوها وقالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفه ولكنى انما قلت هم للملك ناصحون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون قال فعلقوها حين قالت وهم له ناصحون قالوا قد عرفته قالت انما أردت هم للملك ناصحون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وهم له ناصحون أى لمنزلته عندكم وحرصكم على مسرة الملك قالوا هاتى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره فرددنا موسى الى أمه بعد أن التقطه آل فرعون لتقر عينها بابنها اذ رجع اليها سليما من قتل فرعون ولا تحزن على فراقه اياها ولتعلم أن وعد الله الذى وعدها اذ قال لها فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى الآية حق و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فرددناه الى أمه فقرأ حتى بلغ لا يعلمون ووعدها أنه رادّه اليها وجاعله من المرسلين ففعل الله ذلك بها وقوله ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق لا يصدّقون بأن ذلك كذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره ولما بلغ موسى أشدّه يعنى حان شدة بدنه وقواه وانتهى ذلك منه وقد بينا معنى الأشد فيما مضى بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وقوله واستوى يقول تناهى شبابه وتم خلقه واستحكم وقد اختلف فى مبلغ عدد سنى الاستواء فقال بعضهم يكون ذلك فى أربعين سنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد فى قوله واستوى قال أربعين سنة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة قوله واستوى قال بلغ أربعين سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس ولما بلغ أشده قال بضعا وثلاثين سنة * قال ثنا سفيان عن

حاجات ترفعها الى أبيها وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطباء والسحرة فى أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ هذه الا من قبل البحر يوجد منه شبيه الانس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك فى يوم (٢٧) كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون فى مجلس له على شفير النيل ومعه آسية زوجته وأقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على الشاطئ اذ أقبل النيل بتابوت تضربه الارياح والامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرأت نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو صبى صغير فى مهده يمص ابهامه لبنا واذا نور بين عينيه فألقى الله محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرئت وضمته الى صدرها فقال الاعزة من قوم فرعون انا نظن أن هذا هو الذى تحذر منه فهم فرعون بقتله فاستوهبته امرأة فرعون وتبنته فترك قتله قال علماء البيان اللام فى قوله (ليكون لهم عدوا) لام العاقبة وأصلها التعليل الا أنه واردها على سبيل المجاز استعيرت لما يشبه التعليل من حيث ان العداوة والحزن كان نتيجة التقاطهم كما أن الاكرام مثلا نتيجة المجيء فى قولك جئتك لتكرمنى وبعبارة أخرى ان مقصود الشئ والغرض منه هو الذى يؤول اليه أمره فاستعملوا هذه اللام فيما يؤول اليه الامر على سبيل التشبيه وان لم يكن غرضا ومعنى كونهم خاطئين هو أنهم أخطؤا فى التدبير حيث ربوا عدوهم فى حجرهم أو أنهم أذنبوا وأجرموا وكان عاقبة ذلك أن يجعل الله فى تربيتهم من على يديه هلاكهم قال النحويون (قرة عين) خبر مبتدا محذوف أى هو قرة عين ولا يقوى أن يجعل مبتدأ ولا تقتلوه خبرا لان الطلب لا يقع خبرا الا بتأويل ولو نصب لكان أقوى لان الطلب من مظان النصب روى

في حديث أن آسية حين قالت قرة عين لي ولك قال فرعون لك لا لي ولو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ثم انها رأت فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وتوسمت فيه أمارات النجابة (٢٨) فقالت (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) فانه أهل للتبني وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء قال في الكشاف (وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطا عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه قلت لا يبعد أن تكون الجملة حالا من فاعل قالت أي قالت كذا وكذ في حال عدم شعورهم بالمآل وهو أن هلاكهم على يده وبسببه وقال الكلبي أي لا يشعرون بنو اسرائيل وأهل مصر أنا التقطناه قوله سبحانه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) قال الحسن أي فارغا من كل هم الا من هم موسى وقال أبو مسلم فراغ الفؤاد هو الخوف والاشفاق كقوله وأفئدتهم هواء أي جوف لا عقول فيها وذلك أنها حين سمعت بوقوعه عند فرعون طار عقلها جزعا ودهشا وقال محمد بن اسحق والحسن في رواية أي فارغا من الوحي الذي أوحينا اليها وذلك قولنا فألقيه في اليم ولا تخافي الغرق وسائر المخاوف ولا تحزني والخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع فنهيت عنهما جميعا فجاءها الشيطان وقال لما كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجر فتوليت اهلاكه ولما أتاها خبر موسى أنه وقع الى يد فرعون أنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله اليها وقال أبو عبيدة فارغا من الخوف فالله تعالى يقول لولا أن ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون أما من فسر الفراغ بحصول الخوف فعنده معنى قوله ان كادت لتبدي به هو أنها كادت تحدث بأن الذي وجدتموه ابني قاله ابن عباس وفي رواية وهو

ابن أبي نجيح عن مجاهد ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أشده واستوى قال أربعين سنة وأشده ثلاثا وثلاثين سنة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولما بلغ أشده واستوى قال كان أبي يقول الأشد الجلد والاستواء أربعون سنة * وقال بعضهم يكون ذلك في ثلاثين سنة وقوله آتيناه حكما وعلما يعني بالحكم الفهم بالدين والمعرفة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد آتيناه حكما وعلما قال الفقه والعقل والعمل قبل النبوة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد آتيناه حكما وعلما قال الفقه والعمل قبل النبوة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما فقها في دينه ودين آبائه وعلما بما في دينه وشرائعه وحدوده وقوله وكذلك نجزي المحسنين يقول تعالى ذكره وكما جزينا موسى على طاعته ايانا واحسانه بصبره على أمرنا كذلك نجزي كل من أحسن من رسلنا وعبادنا فصبر على أمرنا وأطاعنا وانتهى عما نهيناه عنه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين﴾ يقول تعالى ذكره ودخل موسى المدينة مدينة منف من مصر على حين غفلة من أهلها وذلك عند القائلة نصف النهار واختلف أهل العلم في السبب الذي من اجله دخل موسى هذه المدينة في هذا الوقت فقال بعضهم دخلها متبعا أثر فرعون لان فرعون ركب وموسى غير شاهد فلما حضر علم بركوبه فركب واتبع أثره وأدركه المقيل في هذه المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كان موسى حين كبر يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعى موسى بن فرعون ثم ان فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي يقول الله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها * وقال آخرون بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه لانه كان قد خالفهم في دينهم وعاب ما كانوا عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما بلغ موسى أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما فكانت له من بني اسرائيل شيعة يسمعون منه ويطيعونه ويجتمعون اليه فلما استد رأيه وعرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقا في دينه فتكلم وعادى وأنكر حتى ذكر ذلك منه وحتى أخافوه وخافهم حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفا مستخفيا فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها *وقال آخرون بل كان فرعون قد أمر باخراجه من مدينته حين علاه بالعصا فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشده قالوا ومعنى الكلام ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى أي من بعد نسيانهم خبره وأمره ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله على حين غفلة من أهلها قال ليس غفلة من ساعة ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره وقال فرعون لامرأته أخرجيه عني حين ضرب رأسه بالعصا هذا الذي قتلت فيه بنو اسرائيل فقالت هو صغير

عكرمة كادت تقول وا ابناه من شدة وجدها به وذلك حين رأت الموج يرفع ويضع وقال الكلبي ذلك حين سمعت الناس يقولون انه ابن فرعون ثم قال (لولا أن ربطنا على قلبها) بالهام الصبر كما يربط على الشئ المتفلت ليستقر (٢٩) ويطمئن (لتكون من المؤمنين) المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك وأما من فسره بعدم الخوف فالمعنى عنده أنها صارت مبتهجة مسرورة حين سمعت أن فرعون تبناه وعطف عليه وأن الشأن أنها قاربت أن تظهر أنه ولدها لولا أن ألهمناها الصبر لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لتبنى فرعون وتعطفه والاول أظهر بدليل قوله (وقالت لاخته قصيه) أى اقتفى أثره وانظرى أين وقع والى من صار وكانت أخته لأبيه وأمه واسمها مريم (فبصرت به) أى أبصرته (عن جنب) عن بعد أى نظرت اليه مزورة متجانفة (وهم لا يشعرون) بحالها وغرضها والتحريم ههنا لا يمكن حمله على النهى والتعبد ظاهرا فلذلك قيل انه مستعار للمنع لان من حرم عليه شئ فقد منعه وكان لا يقبل ثدى مرضع اما لانه تعالى منع حاجته الى اللبن وأحدث فيه نفار الطبع عن لبن سائر النساء واما لانه أحدث فى ألبانهن من الطعم ما ينفر عنه طبعه وعن الضحاك أن أمه أرضعته ثلاثة أشهر فعرف ريحها و (المراضع) جمع مرضعة وهى المرأة التى تصلح للارضاع او جمع مرضع وهو الثدى أو الرضاع فالأول مكان والثانى مصدر و (من قبل) أى من قبل قصصها أثره أو من قبل أن رددناه الى أمه أو من قبل ولادته فى حكمنا وقضائنا روى أنها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف أهله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد

وهو كذا هات جمرا فأتى بجمر فأخذ جمرة فطرحها فى فيه فصارت عقدة فى لسانه فكانت تلك العقدة التى قال الله واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى قال أخرجيه عنى فأخرج فلم يدخل عليهم حتى كبر فدخل على حين غفلة من ذكره * وأولى الاقوال بالصحة فى ذلك أن يقال كما قال الله جل ثناؤه ولما بلغ أشده واستوى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها * واختلفوا فى الوقت الذى عنى بقوله على حين غفلة من أهلها فقال بعضهم ذلك نصف النهار ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن محمد بن المنكدر عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قوله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال نصف النهار قال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال يقولون فى القائلة قال وبين المغرب والعشاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال دخلها بعد ما بلغ أشده عند القائلة نصف النهار حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال دخل نصف النهار وقوله فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يقول هذا من أهل دين موسى من بنى اسرائيل وهذا من عدوه من القبط من قوم فرعون فاستغاثه الذى من شيعته يقول فاستغاثه الذى هو من أهل دين موسى على الذى من عدوه من القبط فوكزه موسى فقضى عليه يقول فلكزه ولهزه فى صدره بجمع كفه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا حفص عن الأعمش عن سعيد بن جبير قال أساء موسى من حيث أساء وهو شديد الغضب شديد القوة فمر برجل من القبط قد تسخر رجلا من المسلمين قال فلما رأى موسى استغاث به قال يا موسى فقال موسى خل سبيله فقال قد هممت أن أحمله عليك فوكزه موسى فقضى عليه قال حتى اذا كان الغد نصف النهار خرج ينظر الخبر قال فاذا ذاك الرجل قد أخذه آخر فى مثل حده قال فقال يا موسى قال فاشتد غضب موسى قال فأهوى قال فخاف أن يكون اياه يريد قال فقال أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس قال فقال الرجل ألا أراك يا موسى أنت الذى قتلت حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام ابن على قال ثنا الاعمش عن سعيد بن جبير فوجد فيها رجلين يقتتلان قال رجل من بنى اسرائيل يقاتل جبارا لفرعون فاستغاثه فوكزه موسى فقضى عليه فلما كان من الغد استصرخ به فوجده يقاتل آخر فأغاثه فقال أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فعرفوا أنه موسى فخرج منها خائفا يترقب قال عثام أو نحو هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه أما الذى من شيعته فمن بنى اسرائيل وأما الذى من عدوه فقبطى من آل فرعون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه يقول من القبط فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم ابن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما بلغ موسى أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بنى اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينا هو يمشى ذات يوم فى ناحية المدينة اذا هو برجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فغضب موسى واشتد غضبه لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا أنما ذلك من قبل الرضاعة

والمراد أنهم يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه ولا يمنعون ما ينفعه فى تربيته وغذائه فانطلقت الى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبى يعلله فرعون شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك

قالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبى الاقبلنى فدفعه اليها وعين أجرها * قال فى الكشاف انما أخذت الاجر على ارضاع ولدها لانه مال حربى استطابته على وجه الاستباحة قلت (٣٠) ولعل ذلك لدفع التهمة فان مال الحربى لم يكن مستطابا بدليل قوله وأحلت

من أم موسى الا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على علم مالم يطلع عليه غيره فوكزه موسى الفرعونى فقتله ولم يرهما أحد الا الله والاسرائيلى فقال موسى حين قتل الرجل هـذا من عمل الشيطان الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته مسلم وهذا من أهل دين فرعون كافرا فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق وشدة فى البطش فغضب بعدوّهما فنازعه فوكزه موسى وكزة قتله منها وهو لا يريد قتله فقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هذا من شيعته قال من قومه من بنى اسرائيـل وكان فرعون من فارس من اصطخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * قال ثنى حجاج عن أبى بكر ابن عبد الله عن أصحابه هذا من شيعته اسرائيلى وهـذا من عدوه قبطى فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه * وبنحو الذى قلنا أيضا قالوا فى معنى قوله فوكزه موسى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فوكزه موسى قال بجمع كفه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فوكزه موسى نبى الله ولم يتعمد قتله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قتله وهو لا يريد قتله وقوله فقضى عليـه يقول ففرغ من قتله وقد بينت فيما مضى أن معنى القضاء الفراغ بما أغنى عن اعادته ههنا ذكر أنه قتله ثم دفنه فى الرمل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله عن أصحابه فوكزه موسى فقضى عليه ثم دفنه فى الرمل وقوله قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين يقول تعالى ذكره قال موسى حين قتل القتيل هذا القتل من تسبب الشيطان لى بأن هيج غضبى حتى ضربت هـذا فهلك من ضربتى انه عدو يقول ان الشيطان عدو لابن آدم مضـل له عن سبيل الرشاد بتزيينه له القبيح من الاعمال وتحسينه ذلك له مبين يعنى أنه يبين عداوته لهم قديما واضلاله اياهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بمـا أنعمت علىّ فلن أكون ظهيرا للمجرمين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التى قتلها وتوبته اليه منه ومسئلته غفرانه من ذلك رب انى ظلمت نفسى بقتل النفس التى لم تأمرنى بقتلها فاعف عن ذنبى ذلك واستره علىّ ولا تؤاخذنى به فتعاقبنى عليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله رب انى ظلمت نفسى قال بقتلى من أجل أنه لا ينبغى لنبى أن يقتل حتى يؤمر ولم يؤمر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال عرف المخرج فقال ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له وقوله فغفر له يقول تعـالى ذكره فعفا الله لموسى عن ذنبه ولم يعاقبه به انه هو الغفور الرحيم يقول ان الله هو الساتر على المنيبين اليه من ذنوبهم على ذنوبهم المتفضل عليهم بالعفو عنها الرحيم للناس أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد ما تابوا منها وقوله قال رب بما أنعمت علىّ يقول تعالى ذكره قال موسى رب بانعامك علىّ بعفوك عن قتل هـذه النفس فلن أكون ظهيرا للمجرمين يعنى المشركين كأنه أقسم بذلك وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله

لى الغنائم قالوا كانت عالمـة بأن الله تعالى سينجز وعده ولكن ليس الخبر كالعيان فلهذا قال سبحانه (ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم) أى أكثر الناس (لا يعلمون) حقية وعـده فى ذلك العهـد وبعـده لاعراضهم عن النظر فى آيات الله وقال الضحاك ومقاتل يعنى أهـل مصر لا يعلمون أن الله وعد رده اليها قلت ويؤيد هـذا القول أنه اقتصر على الضمير دون أن يقول ولكن أكثر النـاس كما قال فى سـورة يوسف والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقيل هذا تعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا وعلى هـذا يحتمل أن يكون قوله ولكن أكثرهـم لا يعلمون من جملة ما يعلمها أى ولتعلم حقية وعد الله وهذا الاستدراك وجوز فى الكشاف أن يتعلق الاستدراك بقوله ولتعلم المقصود أن الرد به انما كان لهذا الغرض الدينى وهو العـلم بصـدق وعد الله ولكن أكثرهم لا يعلمون أن هذا هو الغرض الاصلى الذى ماسواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن ثم بين سبحانه كمال عنايتـه فى حقه كما بين فى قصـة يوسف قائلا (ولمـا بلغ أشـده) وزاد ههنا قوله (واستوى) فقيل بلوغ الاشد والاستواء بمعنى واحد والأصح أنهما متغايران والأشـد عبارة عن البلوغ والاستواء اشارة الى كمال الخلقـة وعن ابن عباس الاشـد ما بين الثمـانيـة عشر الى ثلاثين والاستواء من الثلاثين الى الاربعين وهو عند الاطباء سن الوقوف فلعل يوسف أعطى النبوة فى سن النمو وأعطى موسى اياها فى سن الوقوف والعـلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قيل ليس فى الآية دلالة على أن هـذه النبوة كانت قبل قتل القبطى أو بعده فلا

لان الواو فى قوله (ودخل المدينة) لا تفيد الترتيب قلت يشبه أن يستدل على أن النبوة كانت بعد قتل القبطى بأنها كانت بعد تزوجه بنت شعيب والتزوج كان بعد فراره منهم الى مدين كما قرره تعالى فى هذه السورة (٣١) وقد أجمل ذلك فى الشعراء حيث قال حكاية عن موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وعلى هذا يمكن أن يراد بالواو الترتيب ويكون المعنى آتيناه سيرة الحكماء والعلماء قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه أما المدينة فالجمهور على انها القرية التى كان يسكنها فرعون عن فرسخين من مصر وقال الضحاك هى عين شمس وقيل هى مصر وحين غفلتهم بين العشاءين أو وقت القائلة أو يوم عيد اشتغلوا فيه باللهو وقيل أراد غفلتهم عن ذكر موسى وأمره وذلك أنه حين ضرب رأس فرعون بالعصا ونتف لحيته فى الصغر أمر فرعون بقتله فجيء بجمر فأخذه فى فيه فقال فرعون لا أقتله ولكن أخرجوه عن الدار والبلد فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر والقوم نسوا ذكره قاله السدى وقيل ان الغفلة لموسى من أهلها وذلك أنه لما بلغ أشده وآتاه الله الرشد علم أن فرعون وقومه على الباطل فكان يتكلم بالحق ويعيب دينهم وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وتستر قال الزجاج قوله هذا وهذا وهما غائبان على جهة الحكاية أى وجد فيها رجلين يقتتلان اذا نظر الناظر اليهما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه عن مقاتل أن الرجلين كانا كافرين الا أن أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من القبط واحتج عليه بأن موسى قال له (انك لغوى مبين) والمشهور أن الذى من شيعته كان مسلما كأنه قال ممن

فلا تجعلنى ظهيرا للمجرمين كأنه على هذه القراءة دعا ربه فقال اللهم لن أكون ظهيرا ولم يستثن عليه السلام حين قال فلن أكون ظهيرا للمجرمين فابتلى وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلن أكون ظهيرا للمجرمين يقول فلن أعين بعدها ظالما على فجرة قال وقلما قالها رجل الا ابتلى قال فابتلى كما تسمعون ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فأصبح فى المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين ﴾ يقول تعالى ذكره فأصبح موسى فى مدينة فرعون خائفا من جنايته التى جناها وقتله النفس التى قتلها أن يؤخذ فيقتل بها يترقب يقول يترقب الأخبار أى ينتظر ما الذى يتحدث به الناس مما هم صانعون فى أمره وأمر قتيله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس ابن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم بن أبى أيوب قال ثنا سعيد ابن جبير عن ابن عباس فأصبح فى المدينة خائفا يترقب قال خائفا من قتله النفس يترقب أن يؤخذ حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فأصبح فى المدينة خائفا يترقب قال خائفا أن يؤخذ وقوله فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يقول تعالى ذكره فرأى موسى لما دخل المدينة على خوف مترقبا الأخبار عن أمره وأمر القتيل فاذا الاسرائيلى الذى استنصره بالامس على الفرعونى يقاتله فرعونى آخر فرآه الاسرائيلى فاستصرخه على الفرعونى يقول فاستغاثه أيضا على الفرعونى وأصله من الصراخ كما يقال قال بنو فلان يا صباحاه قال له موسى انك لغوى مبين يقول جل ثناؤه قال موسى للاسرائيلى الذى استصرخه وقد صادف موسى نادما على ما سلف منه من قتله بالامس القتيل وهو يستصرخه اليوم على آخر انك أيها المستصرخ لغوى يقول انك لذو غواية مبين يقول قد تبينت غوايتك بقتالك أمس رجلا واليوم آخر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ بن زيد قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك قال ابغونى قاتله ومن يشهد عليه لا يستقيم أن نقضى بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون شيأ اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالامس وكره الذى رأى فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونى فقال للاسرائيلى لما فعل بالامس واليوم انك لغوى مبين فنظر الاسرائيلى الى موسى بعد ما قال هذا فاذا هو غضبان كغضبه بالامس اذ قتل فيه الفرعونى فخاف أن يكون بعد ما قال له انك لغوى مبين اياه أراد ولم يكن أراده انما أراد الفرعونى فخاف الاسرائيلى فحاجه فقال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وانما قال ذلك مخافة أن يكون اياه أراد موسى ليقتله فتتاركا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال الاستنصار والاستصراخ واحد حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه يقول يستغيثه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قتل موسى القتيل خرج فلحق بمنزله من مصر وتحدث الناس بشأنه وقيل قتل موسى رجلا حتى انتهى ذلك الى فرعون فأصبح موسى غاديا الغد واذا

شايعه على دينه وانما وصفه بالغى لأنه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر على أن بنى اسرائيل فيهم غلظة الطباع فيمكن أن ينسبوا الى الغواية بذلك الاعتبار ألا ترى أنهم قالوا بعد مشاهدة الآيات اجعل لنا الها كما يروى أن القبطى أراد أن يستسخر الاسرائيلى فى حمل الحطب

الى مطبخ فرعون وقيل ان الاسرائيلي هو السامري (فاستغاثه) سأله أن يخلصه منه (فوكزه) أى دفعه بأطراف الاصابع أو بجمع الكف (فقضى عليه) أى أماته وقتله (٣٢) الطاعنون فى عصمة الانبياء قالوا ان كان القبطي مستحق القتل فلم قال هذا من عمل الشيطان وقال رب انى ظلمت نفسي وان لم يكن مستحق القتل كان قتله معصية وذنبا وأيضا قوله هذا من عدوه يدل على أنه كان كافرا حربيا وكان دمه مباحا والاستغفار من القتل المباح غير جائز وأجيب أنا نختار أنه للكفرة كان مباح الدم الا أن الاولى تأخير قتله الى زمان آخر فقوله (هذا من عمل الشيطان) معناه اقدامى على ترك المندوب من عمل الشيطان أو هذا اشارة الى عمل المقتول وهو كونه مخالفا الله أو هو اشارة الى المقتول يعنى أنه من جند الشيطان وحزبه والاستغفار من ترك الاولى سنة المرسلين أو أراد انى ظلمت نفسي حيث قتلت هذا الكافر ولو عرف ذلك فرعون لقتلني به (فاغفر لى) فاستره على هذا كله اذا سلم أنه كان نبيا فى ذلك الوقت وفيه ما فيه قالت المعتزلة فى قوله هذا من عمل الشيطان دليل على أن المعاصي ليست بخلق الله ولقائل أن يقول الشيطان من خلق الله فضلا عما يصدر عن الشيطان على ان المشار اليه يحتمل أن يكون شيئا آخر كما قررنا قوله (بما أنعمت علىّ) قيل أراد به القوة وأنه لن يستعملها الا فى مظاهرة أولياء الله وعلى هذا يكون ما أقدم عليه من اعانة الاسرائيلي على القبطي طاعة اذ لو كانت معصية لصار حاصل الكلام بما أنعمت علىّ بقبول توبتى فانى أكون مواظبا على مثل تلك المعصية وقال القفال الباء للقسم كأنه أقسم بما أنعم الله عليه من المغفرة أن لا يظاهر مجرما وأراد بمعاونة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه فى جملته حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من تؤدى مظاهرته الى ترك الاولى وقال الكسائى والفراء انه خبر ومعناه الدعاء كأنه قال فحينئذ

صاحبه بالامس معانق رجلا آخر من عدوه فقال له موسى انك لغوى مبين أمس رجلا واليوم آخر حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا حفص عن الأعمش عن سعيد بن جبير والشيبانى عن عكرمة قال الذى استنصره هو الذى استصرخه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ يقول تعالى ذكره فلما أن أراد موسى أن يبطش بالفرعونى الذى هو عدو له وللاسرائيلي قال الاسرائيلي لموسى وظن أنه اياه يريد أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال خافه الذى من شيعته حين قال له موسى انك لغوى مبين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال موسى للاسرائيلي انك لغوى مبين ثم أقبل لينصره فلما نظر الى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذى يقاتل الاسرائيلي قال الاسرائيلي وفرق من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ له الكلام يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين فتركه موسى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله عن أصحابه قال ندم بعد أن قتل القتيل فقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال ثم استنصره بعد ذلك الاسرائيلي على قبطي آخر فقال له موسى انك لغوى مبين فلما أن أراد أن يبطش بالقبطي ظن الاسرائيلي أنه اياه يريد فقال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس قال وقال ابن جريج أو ابن أبى نجيح «الطبرى يشك» وهو فى الكتاب ابن أبى نجيح ان موسى لما أصبح أصبح نادما تائبا يود أن لم يبطش بواحد منهما وقد قال للاسرائيلي انك لغوى مبين فعلم الاسرائيلي أن موسى غير ناصره فلما أراد الاسرائيلي أن يبطش بالقبطي نهاه موسى ففرق الاسرائيلي من موسى فقال أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فسعى بها القبطي وقوله ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الاسرائيلي لموسى ان تريد ما تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وكان من فعل الجبابرة قتل النفوس ظلما بغير حق وقيل انما قال ذلك لموسى الاسرائيلي لانه كان عندهم من قتل نفسين من الجبابرة ذكر من قال ذلك حدثنا مجاهد ابن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا هشيم بن بشير عن اسمعيل بن سالم عن الشعبي قال من قتل رجلين فهو جبار قال ثم قرأ أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض ان الجبابرة هكذا تقتل النفس بغير النفس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض قال تلك سيرة الجبابرة أن تقتل النفس بغير النفس وقوله وما تريد أن تكون من المصلحين يقول ما تريد أن تكون ممن يعمل فى الارض بما فيه صلاح أهلها من طاعة الله وذكر عن ابن اسحق أنه قال فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما تريد أن تكون من المصلحين أى ما هكذا يكون الاصلاح ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين﴾ ذكر أن قول الاسرائيلي سمعه سامع فأفشاه وأعلم به أهل القتيل

فلا تجعلني ظهيرا والفاء للدلالة على تلازم ما قبلها وما بعدها وفي الآية دلالة على عدم جواز اعانة الظلمة والفسقة حتى برى القلم وليق الدواة عن ابن عباس أنه لم يستثن أي لم يقل فلن أكون ان شاء الله فابتلي به مرة أخرى وفي هذه الرواية نوع ضعف فانه ترك

فحينئذ طلب فرعون موسى وأمر بقتله فلما أمر بقتله جاء موسى مخبر وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره وأشار عليه بالخروج من مصر بلد فرعون وقومه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك حدثني العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم ابن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انطلق الفرعوني الذي كان يقاتل الاسرائيلي الى قومه فأخبرهم بما سمع من الاسرائيلي من الخبر حين يقول أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس فأرسل فرعون الذباحين لقتل موسى فأخذوا الطريق الأعظم وهم لا يخافون أن يفوتهم وكان رجل من شيعة موسى في أقصى المدينة فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم الى موسى فأخبره الخبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أعلمهم القبطي الذي هو عدوهما فأتمر الملأ ليقتلوه فجاء رجل من أقصى المدينة وقرأ الى آخر الآية قال كان يحدث أنه مؤمن آل فرعون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال ذهب القبطي يعني الذي كان يقاتل الاسرائيلي فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل فطلبه فرعون وقال خذوه فانه صاحبنا وقال للذين يطلبونه اطلبوه في بنيات الطريق فان موسى غلام لا يهتدي الطريق وأخذ موسى في بنيات الطريق وقد جاءه الرجل فأخبره ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن أصحابه قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي لموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس سعى بها الى أهل المقتول فقال ان موسى هو قتل صاحبكم ولو لم يسمعه من الاسرائيلي لم يعلمه أحد فلما علم موسى أنهم قد علموا خرج هاربا فطلبه القوم فسبقهم قال وقال ابن أبي نجيح سعى القبطي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال الاسرائيلي لموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس وقبطي قريب منهما يسمع فأفشى عليهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمع ذلك عدو فأفشى عليهما وقوله وجاء رجل ذكر أنه مؤمن من آل فرعون وكان اسمه فيما قيل سمعان وقال بعضهم بل كان اسمه شمعون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أخبرني وهب بن سليمن عن شعيب الجبائي قال اسمه شمعون الذي قال لموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أصبح الملأ من قوم فرعون قد أجمعوا لقتل موسى فيما بلغهم عنه فجاء رجل من أقصى المدينة يسعى يقال له سمعان فقال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى الى موسى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين وقوله من أقصى المدينة يقول من آخر مدينة فرعون يسعى يقول يعجل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يعجل ليس بالشد وقوله قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يقول جل ثناؤه قال الرجل الذي جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى يا موسى ان أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك ويتشاورون ويرتؤون فيك ومنه قول الشاعر

ما تأتمر فينا فأمرك ... في يمينك أو شمالك

يعني ما ترتئي وتهم به ومنه قول النمر بن تولب

الاعانة في المرة الثانية ولئن صحت فلعله أراد أنه جرت صورة تلك القضية عليه الا أن الله عصمه وبعد موت القبطي من الوكز (أصبح موسى من غد ذلك اليوم (خائفا يترقب) الأخبار وما يقال فيه (فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) يطلب نصرته بصياح وصراخ فنسبه موسى لذلك الى الغواية فان كثرة المخاصمة على وجه يؤدي الى الاستنصار خلاف طريقة الرشد فغوي بمعنى غاو وجوز بعض اهل اللغة أن يكون بمعنى مغو لأنه أوقع موسى فيما أوقع ثم طلب منه مثل ذلك وهو نوع من الاغواء قال بعضهم لما خاطب موسى الاسرائيلي بأنه غوي ورأى فيه الغضب ظن لما هم بالبطش أنه يريده فقال (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس) وزعموا أنه لم يعرف قتله بالامس الا هو وصار ذلك سببا لظهور القتل ومزيد الخوف وقال آخرون بل هو قول القبطي وقد كان عرف القضية من الاسرائيلي وهذا القول أظهر لأن قوله (ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض) لا يليق الا أن يكون قولا للكافر قال جار الله الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقيل هو العظيم الذي لا يتواضع لأمر الله عز وجل وحين وقعت هذه الواقعة انتشر الحديث في المدينة وهموا بقتل موسى فأخبره بذلك رجل وهو قوله (وجاء رجل من أقصى المدينة) أي من أبعد مسافاتها اليه وقوله (يسعى) صفة أخرى لرجل أو حال لأنه قد تخصص بالوصف وان جعل الظرف صلة لجاء حتى يكون المجيء من هنالك تعين أن يكون يسعى وصفا قال العلماء الأظهر في هذه السورة أن

يكون الظرف وصفا وفي يس ان يكون صلة ولذلك خصصت بالتقدم ويؤيده ماجاء في التفسير أنه كان يعبد الله في جبل فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلا والائتمار التشاور لان كل واحد من المتشاورين يأمر صاحبه بشئ أو يشير عليه بأمر ومعنى (يأتمرون بك)

أرى الناس قد أحدثوا شيمة * وفي كل حادثة يؤتمر

أي يتشاورون ويرتأون فيها وقوله فاخرج انى لك من الناصحين يقول فاخرج من هذه المدينة انى لك في اشارتي عليك بالخروج منها من الناصحين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) يقول تعالى ذكره فخرج موسى من مدينة فرعون خائفا من قتله النفس أن يقتل به يترقب يقول ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فخرج منها خائفا يترقب خائفا من قتله النفس يترقب الطلب قال رب نجني من القوم الظالمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة فخرج منها خائفا يترقب قال خائفا من قتل النفس يترقب أن يأخذه الطلب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر لي أنه خرج على وجهه خائفا يترقب ما يدري أي وجه يسلك وهو يقول رب نجني من القوم الظالمين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فخرج منها خائفا يترقب قال يترقب الطلب مخافة وقوله قال رب نجني من القوم الظالمين يقول تعالى ذكره قال موسى وهو شاخص عن مدينة فرعون خائفا رب نجني من هؤلاء القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بك وقوله ولما توجه تلقاء مدين يقول تعالى ذكره ولما جعل موسى وجهه نحو مدين ماضيا اليها شاخصا عن مدينة فرعون وخارجا عن سلطانه قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل وعنى بقوله تلقاء نحو مدين ويقال فعل ذلك من تلقاء نفسه يعني به من قبل نفسه ويقال داره تلقاء دار فلان اذا كانت محاذيتها ولم يصرف اسم مدين لانها اسم بلدة معروفة كذلك تفعل العرب بأسماء البلاد المعروفة ومنه قول الشاعر

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا * والعصم من شعف العقول الفادر

وقوله عسى ربي أن يهديني سواء السبيل يقول عسى ربي أن يبين لي قصد السبيل الى مدين وانما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق اليها وذكر أن الله قيض له اذ قال رب نجني من القوم الظالمين ملكا سدده الطريق وعرفه اياه ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما أخذ موسى في بنيات الطريق جاءه ملك على فرس بيده عنزة فلما رآه موسى سجد له من الفرق قال لا تسجد لي ولكن اتبعني فاتبعه فهداه نحو مدين وقال موسى وهو متوجه نحو مدين عسى ربي أن يهديني سواء السبيل فانطلق به حتى انتهى به الى مدين حدثنا العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ بن زيد قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى متوجها نحو مدين وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه فانه قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر لي أنه خرج وهو يقول رب نجني من القوم الظالمين فهيأ الله الطريق الى مدين فخرج من مصر بلا زاد ولا حذاء ولا ظهر ولا درهم ولا رغيف خائفا يترقب حتى وقع الى أمة من الناس يسقون بمدين حدثنا ابو عمار الحسين بن حريث المروزي قال ثنا الفضل بن موسى عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينها وبينها مسيرة ثمان قال وكان يقال نحو من الكوفة الى البصرة ولم يكن له طعام الا ورق الشجر وخرج حافيا فما وصل اليها حتى وقع خف

يتشاورون بسببك وقوله (لك من الناصحين) كقوله فيه من الزاهدين وقد مر ان الجار في مثل هذه الصورة بيان لا صلة (فخرج منها خائفا يترقب) المكروه من جهتهم وأن يلحق به (قال) ملتجئا الى الله (رب نجني من القوم الظالمين) وفيه دليل على أن قتله القبطي لم يكن ذنبا والا لم يكونوا ظالمين بطلب القصاص ۞ التأويل ان فرعون النفس الامارة استولى على من في الارض الانسانية وجعل أهلها وهم الروح والسر والعقل أصنافا في الاستخدام لاستيفاء الشهوات يستضعف طائفة وهم صفات القلب الأبناء الصفات الحميدة المتولدة من ازدواج الروح والقلب والنساء الصفات الذميمة المتولدة من ازدواج النفس والبدن انه كان من المفسدين للاستعداد الفطري ونرى فرعون النفس وهامان الهوى وجنودهما من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية أم موسى السر لان القلب تولد من ازدواج الروح والسر أن أرضعيه من لبن الروحانية فقد حرم عليه مراضع الحيوانية أو الدنيوية فألقيه في اليم في الدنيا في تابوت القالب وجاعلوه من المرسلين أي من القلوب المحدثين كما قال بعضهم حدثني قلبي عن ربي فالتقطه آل فرعون وهم صفات النفس والقوى البشرية من الجاذبة والماسكة والهاضمة وغيرها فانها أسباب لتربية الطفل ليكون لهم في العاقبة عدوا لجهادهم بطريق الرياضات والمخالفات وحزنا بترك الشهوات واللذات وبالدعوة الى مالا يلائم هواهم من طاعة الله وقالت امرأة فرعون النفس وهي الجثة لا تقتلوا القلب بسيف الشهوات والانهماك في أسباب اللذات الحسيات عسى أن ينفعنا بأن ينجينا من

قدمه

النار قال أهل التحقيق لما كان اعتقاد الجثة في تربية موسى القلب أنه يكون قرة عينها وولدها فلا جرم نفعها الله بالنجاة ورفع الدرجات وحين لم يكن لفرعون النفس في حقه هذا الاعتقاد بل كان يتوقع الهلاك منه كان هلاكه على يده بسيف الصدق وسم الذكر

قدمه حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام قال ثنا الاعمش عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس قال لما خرج موسى من مصر الى مدين و بينه و بينها ثمان ليال كان يقال نحو من البصرة الى الكوفة ثم ذكر نحوه ومدين كان بها يومئذ قوم شعيب عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما توجه تلقاء مدين ومدين ماء كان عليه قوم شعيب قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل وأما قوله سواء السبيل فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سواء السبيل قال الطريق الى مدين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل قال قصد السبيل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن عسى ربي أن يهديني سواء السبيل قال الطريق المستقيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾ يقول تعالى ذكره ولما ورد موسى ماء مدين وجد عليه أمة يعني جماعة من الناس يسقون نعمهم ومواشيهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وجد عليه أمة من الناس يسقون يقول كثرة من الناس يسقون حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أمة من الناس قال أناسا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وقع الى أمة من الناس يسقون بمدين أهل نعم وشاء حدثنا علي بن موسى وابن بشار قالا ثنا أبو داود قال أخبرنا عمران القطان قال ثنا أبو حمزة عن ابن عباس في قوله ولما ورد ماء مدين قال علي بن موسى قال مثل ماء جو بكم هذا يعني المحدثة وقال ابن بشار مثل محدثتكم هذه يعني جو بكم هذا وقوله ووجد من دونهم امرأتين تذودان يقول ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء امرأتين تذودان يعني بقوله تذودان تحبسان غنمهما يقال منه ذاد فلان غنمه وماشيته اذا أراد شيء من ذلك يشذ ويذهب فرده ومنعه يذودها ذودا وقال بعض أهل العربية من الكوفيين لا يجوز أن يقال ذدت الرجل بمعنى حبسته انما يقال ذلك للغنم والابل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اني لبعقر حوضي أذود الناس عنه بعصاي فقد جعل الذود صلى الله عليه وسلم في الناس ومن الذود قول سويد بن كراع

أبيت على باب القوافي كأنما * أذود بها سربا من الوحش نزعا

وقول الآخر

وقد سلبت عصاك بنو تميم * فما تدري بأي عصا تذود

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله تذودان يقول تحبسان حدثني العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس ووجد من دونهم

وهم لا يشعرون أنه لو لم يوفق لاهلاكهم لكان هلاكه على أيديهم فؤاد أم موسى هو سر السر أخت موسى القلب هو العقل ودخل مدينة القالب على حين غفلة من أهلها وهم الصفات النفسانية فوجد فيها رجلين صفتين احداهما من صفات القلب والاخرى من صفات النفس وفي قوله هذا من عمل الشيطان اشارة الى أن قتل كافر صفات النفس بالجهاد معها ان لم يكن بأمر الحق وعلى سبيل المتابعة لم يعتد به فلن أكون ظهيرا للمجرمين الذين أجرموا بأن جاهدوا كفار صفات النفس بالطبع والهوى لا بالشرع كالفلاسفة والبراهمة انك لغوي مبين لأنك تنازع ذا سلطان قوي قبل أوانه وهو فرعون النفس وجاء رجل هو العقل من أقصى مدينة الانسانية أي من أعلى مرتبة الروحانية يسعى في طلب نجاة موسى القلب فاخرج من مدينة البشرية الى صحراء الروحانية خائفا من سطوات فرعون النفس يترقب مكايدهم ۞ ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير فجاءته احداهما تمشي على استحياء

قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن

عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول
وكيل فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس (٣٦) من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو
جذوة من النار لعلكم تصطلون
فلما أتاها نودي من شاطئ الواد
الأيمن في البقعة المباركة من
الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب
العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها
تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب
يا موسى أقبل ولا تخف إنك من
الآمنين اسلك يدك في جيبك
تخرج بيضاء من غير سوء واضمم
إليك جناحك من الرهب فذانك
برهانان من ربك إلى فرعون وملئه
إنهم كانوا قوما فاسقين قال رب
إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن
يقتلون وأخي هرون هو أفصح مني
لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني
أخاف أن يكذبون قال سنشد
عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا
فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن
اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى
بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر
مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين
وقال موسى ربي أعلم بمن جاء
بالهدى من عنده ومن تكون له
عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون وقال
فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم
من إله غيري فأوقد لي يا هامان
على الطين فاجعل لي صرحا لعلي
أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من
الكاذبين واستكبر هو وجنوده في
الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا
لا يرجعون فأخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى
النار ويوم القيامة لا ينصرون
وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم
القيامة هم من المقبوحين ﴿في القراآت﴾ ربي أن بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويصدر بفتح الياء وضم الدال ابن عامر ويزيد وأبو عمرو وأبو أيوب الآخرون بضم الياء وكسر الدال إني أريد ستجدني إني بفتح ياء المتكلم فيهما أبو جعفر

في

امرأتين تذودان يعني بذلك أنهما حابستان حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم عن سعيد بن جبير في قوله امرأتين تذودان قال حابستين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ووجد من دونهم امرأتين تذودان يقول تحبسان غنمهما واختلف أهل التأويل في الذي كانت عنه تذود هاتان المرأتان فقال بعضهم كانتا تذودان غنمهما عن الماء حتى يصدر عنه مواشي الناس ثم يسقيان ماشيتهما لضعفهما ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك قوله امرأتين تذودان قال تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا وتخلو لهما البئر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ووجد من دونهم امرأتين يعني دون القوم تذودان غنمهما عن الماء وهو ماء مدين * وقال آخرون بل معنى ذلك تذودان الناس عن غنمهما ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال أي حابستين شاءهما تذودان الناس عن شائهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن أصحابه تذودان قال تذودان الناس عن غنمهما * وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال معناه تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لدلالة قوله ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء على أن ذلك كذلك وذلك أنهما إنما شكتا أنهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء إذ سألهما موسى عن ذودهما ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس كان لا شك أنهما كانتا تخبران عن سبب ذودهما عنها الناس لا عن سبب تأخر سقيهما إلى أن يصدر الرعاء وقوله قال ما خطبكما يقول تعالى ذكره قال موسى للمرأتين ما شأنكما وأمركما تذودان ماشيتكما عن الناس هلا تسقونها مع مواشي الناس والعرب تقول للرجل ما خطبك بمعنى ما أمرك وحالك كما قال الراجز * يا عجبا ما خطبه وخطبي * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا العباس قال ثنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال أخبرنا القاسم قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال لهما ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وجد لهما رحمة ودخلته فيهما خشية لما رأى من ضعفهما وغلبة الناس على الماء دونهما فقال لهما ما خطبكما أي ما شأنكما وقوله قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يقول جل ثناؤه قالت المرأتان لموسى لا نسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم لأنا لا نطيق أن نسقي وإنما نسقي مواشينا ما أفضلت مواشي الرعاء في الحوض والرعاء جمع راع والراعي جمعه رعاء ورعاة ورعيان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ قال ثنا القاسم قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قال موسى للمرأتين ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير أي لا نستطيع أن نسقي حتى يسقي الناس ثم نتبع فضلاتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله حتى يصدر الرعاء قال تنتظران تسقيان من فضول ما في الحياض حياض الرعاء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال وأبونا شيخ كبير لا يقدر أن يمس ذلك من نفسه ولا يسقي ماشيته فنحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا أسقينا ثم انصرفنا واختلفت القراء

فى قراءة قوله حتى يصدر الرعاء فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز سوى أبى جعفر القارئ وعامة قراء العراق سوى أبى عمرو يصدر الرعاء بضم الياء وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو بفتح الياء من يصدر الرعاء عن الحوض وأما الآخرون فانهم ضموا الياء بمعنى أصدر الرعاء مواشيهم وهما عندى قراءتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وأبونا شيخ كبير يقولان لا يستطيع من الكبر والضعف أن يسقى ماشيته وقوله فسقى لهما ذكر أنه عليه السلام فتح لهما عن رأس بئر كان عليها حجر لا يطيق رفعه الا جماعة من الناس ثم استسقى فسقى لهما ماشيتهما منه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال فتح لهما عن بئر حجرا على فيها فسقى لهما منها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج بنحوه وزاد فيه قال ابن جريج حجرا كان لا يطيقه الا عشرة رهط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن الحكم عن شريح قال انتهى الى حجر لا يرفعه الا عشرة رجال فرفعه وحده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رحمهما موسى حين قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فأتى الى البئر فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما موسى دلوا فأروتا غنمهما فرجعتا سريعا وكانتا انما تسقيان من فضول الحياض حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس فسقى لهما فجعل يغرف فى الدلو ماء كثيرا حتى كانتا أول الرعاء ريا فانصرفتا الى أبيهما بغنمهما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال تصدق عليهما نبى الله صلى الله عليه وسلم فسقى لهما فلم يلبث أن أروى غنمهما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أخذ دلوهما موسى ثم تقدم الى السقاء بفضل قوته فزاحم القوم على الماء حتى أخرهم عنه ثم سقى لهما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير﴾ يقول تعالى ذكره فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما ثم تولى الى ظل شجرة ذكر أنها سمرة ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ثم تولى موسى الى ظل شجرة سمرة فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير حدثنى العباس قال ثنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انصرف موسى الى شجرة فاستظل بظلها فقال رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير حدثنى الحسين بن عمرو العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال حثثت على جمل لى ليلتين حتى صبحت مدين فسألت عن الشجرة التى أوى اليها موسى فاذا شجرة خضراء ترف فأهوى اليها جملى وكان جائعا فأخذها جملى فعالجها ساعة ثم لفظها فدعوت الله لموسى عليه السلام ثم انصرفت وقوله فقال رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير محتاج وذكر أن نبى الله موسى عليه السلام قال هذا القول وهو بجهد شديد وعرض ذلك للمرأتين تعريضا لهما لعلهما أن يطعماه مما به من شدة الجوع وقيل ان الخير الذى قال نبى الله انى لما أنزلت الىّ من خير فقير انما عنى به شبعة من طعام وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد عن ابن عباس قال لما هرب موسى من فرعون أصابه جوع شديد حتى كانت ترى أمعاؤه

ونافع انى آنست انى أنا الله وانى أخاف بفتح ياء المتكلم فى الكل أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ولعلى آتيكم بفتح الياء هم وابن عامر جذوة بفتح الجيم عاصم وبضمها حمزة وخلف الباقون بكسرها من الرهب بفتح الراء وسكون الهاء حفص وبفتحهما أبو عمرو وسهل ويعقوب وأبو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون بضم الراء وسكون الهاء فذانك بتشديد النون ابن كثير ويعقوب وأبو عمرو معى بالفتح حفص ردا بغير همز أبو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون (٣) بضم الراء وهمزة فى الوقف يصدقنى بالرفع حمزة وعاصم يكذبون بالياء فى الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل قال موسى بغير واو ابن كثير ربى أعلم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ومن يكون على التذكير حمزة وعلى وخلف والمفضل لا يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم نافع ويعقوب وعلى وخلف ۞ الوقوف السبيل ه يسقون ه لانه رأس آية عند الاكثرين مع عطف المتفقتين تذودان ج لعدم العاطف وطول الكلام مع اتحاد الفاعل خطبكما ط الرعاء ز لان ما بعده منقطع لفظا ومعنى كأنه قال فلم خرجتما فقالتا تعريضا بالاستقامة وأبونا شيخ كبير ط فقير ه على استحياء ز لعدم العاطف مع اتحاد القائل ومن وقف على تمشى ويجعل على استحياء حالا مقدما أى قالت مستحيية فلا وجه له فى الوقف لنا ط لان جواب لما منتظر وقبله حذف أى فذهب معها فلما جاءه فكأن الفاء لاستئناف القصص لان قال جواب لما لا تخف ز لان قوله نجوت غير متصل به نظما وليفصل بين البشارتين أى لا تخف ضيما وقد نجوت من ظلم فرعون الظالمين ه استأجره ج للابتداء بان مع اتحاد القول واحتمال التعليل الأمين ه حجج ج للشرط مع الفاء عندك ج لابتداء النفى مع الواو عليك ج الصالحين ه وبينك ج لابتداء الشرط علىّ ط وكيل ه نارا ه لعدم العاطف وطول الكلام مع اتحاد القائل تصطلون ه

العالمين ٥ لاعصاك ط لحق الحذف أى فالقاها فحييت فلما رآهاولم يعقب ط لاتخف ج لمثل مامر أى لاتخف بأس العصا انك أمنت بها بأس فرعون الآمنين ٥ سوء ز لعطف الجملتين (٣٨) المتفقتين مع طول الكلام وملئه ط فاسقين ٥ يقتلون ٥ يصدقنى ز للابتداء بان مع اتحاد القول واحتمال التعايل يكذبون ٥ بآياتنا ج أى لايصلون اليكما بسبب آياتنا وعلى اليكما أوجه أى أنتم الغالبون بآياتنا الغالبون ٥ الاولين ٥ الدار ط الظالمون ٥ غيرى ج لتنويع الكلام الى اله موسى لا لأن ما بعده مقوله أيضا الكاذبين ٥ لايرجعون ٥ فى اليم ج للابتداء بأمر الاعتبار واختلاف الجملتين مع فاء التعقيب الظالمين ٥ الى النار ج لعطف الجملتين المختلفتين لاينصرون ٥ لعنة ط لمثل ذلك المقبوحين ٥ ۞ التفسير ذهب بعض المفسرين الى أن موسى خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله تعالى وأخذ يمشى من غير معرفة طريق فأوصله الله الى مدين وقد يؤيد هذا التفسير ماروى عن ابن عباس أنه خرج وليس له علم بالطريق الاحسن ظنه بربه ويحتمل أن يكون معنى قول ابن عباس انه لما خرج قصد مدين لانه وقع فى نفسه أن بينه وبينهم قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم وهو كان من بنى اسرائيل لكن لم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله تعالى أما أنه قصد مدين فلقوله سبحانه (ولما توجه تلقاء مدين) أى قصد نحو هذه القرية ولم تكن فى سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وأما أنه اعتمد على فضل الله فلقوله (عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) أى وسطه وجادّته نظيره قول جده ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى سيهدين وكذا الخلف الصدق يقتدى بالسلف الصالح فيهتدى قال السدى لما أخذ فى المسير جاءه ملك على فرس فسجد له موسى من الفرح فقال لاتفعل واتبعنى فاتبعه نحو مدين عن ابن جريج أنه

من

من ظاهر الصفاق فلما سقى للمرآتين وأوى الى الظل قال رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ولما ورد ماء مدين قال ورد الماء وانه ليترا أى خضرة البقل فى بطنه من الهزال فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال شبعة حدثنى نصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ولما ورد ماء مدين قال ورد الماء وان خضرة البقل لترى فى بطنه من الهزال حدثنى نصر بن عبد الرحمن قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عن أبى حصين عن سعيد بن جبير انى لما أنزلت الى من خير فقير قال شبعة يومئذ حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله فقال ربه انى لما أنزلت الى من خير فقير قال قال هذا وما معه درهم ولادينار * قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ماسأل الا الطعام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن سفيان الثورى عن ليث عن مجاهد فى قوله فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ماسأل ربه الا الطعام حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال قال ابن عباس لقد قال موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع وما يسأل الله الا أكلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير قال كان نبى الله بجهد حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن عطاء ابن السائب فى قوله انى لما أنزلت الىّ من خير فقير قال بلغنى أن موسى قالها وأسمع المرأة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من خير فقير قال طعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد من خير فقير قال طعام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى لما أنزلت الى من خير فقير قال الطعام يستطعم لم يكن معه طعام وانما سأل الطعام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فجاءت موسى احدى المرأتين اللتين سقى لهما تمشى على استحياء من موسى قد سترت وجهها بثوبها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو السائب والفضل بن الصباح قالا ثنا ابن فضيل عن ضرار بن عبد الله بن أبى الهذيل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قوله فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال مستترة بكم درعها أو بكم قميصها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن حماد بن عمرو الأسدى عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل عن عمر رضى الله عنه قال واضعة يدها على وجهها مستترة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن نوف فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال قد سترت وجهها بيديها * قال ثنا يحيى عن سفيان عن أبى اسحق عن نوف بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن نوف فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال قائلة بيديها على وجهها ووضع أبى يده على وجهه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال ليست بسلفع

خرج بغير زاد ولا ظهر ولم يكن له طعام الا ورق الشجر (ولما ورد ماء مدين) وكان بئرا فيما روى وورود الماء مجيئه والوصول اليه ضد الصدور (وجد عليه) أى على شفيره ومستقاه (أمة من الناس) جماعة كثيرة العدد أصنافا (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم)

من النساء خراجة ولاجة واضعة ثوبها على وجهها تقول ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال لم تكن سلفعا من النساء خراجة ولاجة قائلة بيدها على وجهها ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول فى قوله فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال بعيدة من البذاء حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى تمشى على استحياء قال أتته تمشى على استحياء منه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال واضعة يدها على جبينها وقوله قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا يقول تعالى ذكره قالت المرأة التى جاءت موسى تمشى على استحياء ان أبى يدعوك ليجزيك تقول يثيبك أجر ما سقيت لنا وقوله فلما جاءه وقص عليه القصص يقول فمضى موسى معها الى أبيها فلما جاء أباها وقص عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط قال له أبوها لا تخف فقد نجوت من القوم الظالمين يعنى من فرعون وقومه لانه لا سلطان له بأرضنا التى أنت بها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال ثنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال استنكر أبو الجاريتين سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا فقال ان لكما اليوم لشأنا * قال أبو جعفر أحسبه قال فأخبرتاه الخبر فلما أتاه موسى كلمه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا فى مملكته حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما رجعت الجاريتان الى أبيهما سريعا سألهما فأخبرتاه خبر موسى فأرسل اليه احداهما فأتته تمشى على استحياء وهو يستحى منه قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام معها وقال لها امضى فمشت بين يديه فضربتها الريح فنظر الى عجيزتها فقال لها موسى امشى خلفى ودلينى على الطريق ان أخطأت فلما جاء الشيخ وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا قال قال مطرف أما والله لو كان عند نبى الله شئ ما تتبع مذقيهما ولكن انما حمله على ذلك الجهد فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال رجعتا الى أبيهما فى ساعة كانتا لا ترجعان فيها فأنكر شأنهما فسألهما فأخبرتاه الخبر فقال لاحداهما عجلى علىّ به فأتته على استحياء فجاءته فقالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام معها فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق وأنا أمشى أمامك فانا لا ننظر الى أدبار النساء فلما جاءه أخبره الخبر وما أخرجه من بلاده فلما قص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين وقد أخبرت أباها بقوله انا لا ننظر الى أدبار النساء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين﴾ يقول تعالى ذكره قالت احدى المرأتين اللتين سقى لهما موسى لأبيها حين أتاه موسى وكان اسم احداهما صفورا واسم الأخرى ليا وقيل شرفا كذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمن الرمادى عن شعيب الجبائى قال اسم الجاريتين

أى فى مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) أى تدفعان وتطردان أغنامهما لان على الماء من هو أقوى منهما فلم يتمكنا من السقى وكانتا تكرهان المزاحمة على الماء واختلاط أغنامهما بأغنامهم أو اختلاطهما بالرجال وقيل تذودان الناس عن غنمهما وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر وبالجملة حذف مفعول تذودان لان الغرض تقرير الذود لا المذود وكذا فى يسقون ولا نسقى المقصود هو ذكر السقى لا المسقى وكذا فى قراءة من قرأ حتى يصدر من الاصدار أى حتى يصدر الرعاء مواشيهم الغرض بيان الاصدار (قال ما خطبكما) هو مصدر بمعنى المفعول أى ما مخطوبكما من الذياد (قالتا لا نسقى) الآية سألهما عن سبب الذود فذكرتا أنا ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقى الى أن يفرغوا ومالنا رجل يقوم بذلك (وأبونا شيخ) قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به وهذه الضرورة هى التى سوغت لنبى الله شعيب أن رضى لابنتيه بسقى الماشية على أن الأمر فى نفسه ليس بمحظور ولعل العرب وخصوصا أهل البدو منهم لا يعدونه قادحا للمروءة وزعم بعضهم أن أباهما هو ثيرون ابن أخى شعيب وشعيب مات بعدما عمى وهو اختيار أبى عبيد يميه الى ابن عباس وعن الحسن أنه رجل مسلم قبل الدين من شعيب أما قوله

(فسقى لهما) فمعناه فسقى غنمهما لاجلهما وفيه قولان أحدهما أنه سأل القوم فسمحوا وكان لهم دلو يجتمع عليها أربعون رجلا فيخرجونها من البئر فاستقى موسى بها وحده وصب الماء فى الحوض ودعا بالبركة ثم قرب غنمهما فشربت حتى رويت ثم سرحهما مع غنمهما والثانى

أنه عمد الى البئر وعليها صخرة لا يقلها الا سبعة رجال أو عشرة أو أربعون أو مائة أقوال فأقلها وحده وسقى أغنامهما كل ذلك فى شمس وحر (ثم تولى الى الظل) ظل شجرة (فقال رب انى لما (٤٠) أنزلت الىّ من خير فقير) ذهب أكثر المفسرين الظاهريين ومنهم ابن عباس الى أنه طلب من الله طعاما يأكله وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب وعن الضحاك انه مكث سبعة أيام لم يذق فيها طعاما الا بقل الارض وان خضرته تتراأى فى بطنه من الهزال وفيه دليل على أنه نزع الدلو وأقل الصخرة بقوة ربانية وقال بعض اهل التحقيق أراد انى فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت الىّ من خير الدين وذلك انه كان عند فرعون فى ملك وثروة فاظهر الرضا بهذا الذل شكرا لله يروى أنهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لى وذلك قوله سبحانه (فجاءته احداهما تمشى على استحياء) قيل من جملة حيائها أنها قد استترت بكم درعها ثم (قالت ان أبى يدعوك) عن عطاء بن السائب أنه حين قال رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له (ليجزيك أجر ما سقيت لنا) وضعفت الرواية بأن هذا نوع من الدناءة وضعف اليقين بالله فلا يليق بالنبي وقد روى أنها حين قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنيانا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا * سؤال كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وأن يمشى معها وهى أجنبية الجواب العمل بقول الواحد حرا أو عبدا ذكرا كان أو أنثى سائغ فى الاخبار والمشى مع الاجنبية لا بأس به فى حال الاضطرار مع التورع والعفاف ويؤيده ما روى أن موسى تبعها فألزقت الريح ثوبها بجسدها ما رأيت فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق قال الضحاك لما دخل عليه قال له من أنت يا عبد الله قال أنا موسى بن عمران بن يصهر

ليا وصفورا وامرأة موسى صفورا ابنة يثرون كاهن مدين والكاهن حبر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال احداهما صفورا ابنة يثرون وأختها شرفا ويقال ليا وهما اللتان كانتا تذودان وأما أبوهما ففى اسمه اختلاف فقال بعضهم كان اسمه يثرون ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة قال كان الذى استأجر موسى ابن أخى شعيب يثرون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة قال الذى استأجر موسى يثرون ابن أخى شعيب عليه السلام * وقال آخرون بل اسمه يثرى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا العلاء بن عبد الجبار عن حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس قال الذى استأجر موسى يثرى صاحب مدين حدثنى أبو العالية العبدى اسمعيل بن الهيثم قال ثنا أبو قتيبة عن حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس قال الذى استأجر موسى يثرى صاحب مدين حدثنى أبو العالية العبدى اسمعيل بن الهيثم قال ثنا أبو قتيبة عن حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس قال اسم أبى المرأة يثرى * وقال آخرون بل اسمه شعيب وقالوا هو شعيب النبى عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول يقولون شعيب صاحب موسى ولكنه سيد أهل الماء يومئذ * قال أبو جعفر وهذا مما لا يدرك علمه الا بخبر ولا خبر بذلك تجب حجته فلا قول فى ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه ووجد من دونهم امرأتين تذودان قالت احداهما يا أبت استأجره تعنى بقولها استأجره ليرعى عليك ماشيتك ان خير من استأجرت القوى الأمين تقول ان خير من تستأجره للرعى القوى على حفظ ماشيتك والقيام عليها فى اصلاحها وصلاحها الأمين الذى لا تخاف خيانته فيما تأمنه عليه منها وقيل انها لما قالت ذلك لأبيها استنكر أبوها ذلك من وصفها اياه فقال لها وما علمك بذلك فقالت أما قوته فما رأيت من علاجه ما عالج عند السقى على البئر وأما الأمانة فما رأيت من غض البصر عنى وبنحو ذلك جاءت الاخبار عن أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين قال فأحفظته الغيرة أن قال وما يدريك ما قوته وأمانته قالت أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى فى ذلك السقى منه وأما أمانته فانه نظر حين أقبلت اليه وشخصت له فلما علم أنى امرأة صوب رأسه فلم يرفعه ولم ينظر الىّ حتى بلغته رسالتك ثم قال امشى خلفى وانعتى لى الطريق ولم يفعل ذلك الا وهو أمين فسرى عن أبيها وصدقها وظن به الذى قالت حدثنى على قال ثنا أبو صالح ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لموسى ان خير من استأجرت القوى الأمين يقول أمين فيما ولى أمين على ما استودع حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين قال ان موسى لما سقى لهما رأت قوته وحرك حجرا على الركية لم يستطعه ثلاثون رجلا فازاله عن الركية وانطلق مع الجارية حين دعته فقال لها امشى خلفى وأنا أمامك كراهية أن يرى شيئا من خلفها مما حرم الله أن ينظر اليه وكان يوما فيه ريح حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عبد الرحمن بن أبى نعم فى قوله يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين قال لها أبوها

ما رأيت من أمانته قالت لما دعوته مشيت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثيابي فتلزق بجسدي فقال كوني خلفي فاذا بلغت الطريق فاذهبي قالت ورأيته يملأ الحوض بسجل واحد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله القوي الأمين قال غض طرفه عنهما قال محمد بن عمرو في حديثه حين أو حتى سقى لهما فصدرتا وقال الحرث في حديثه حتى سقى بغير شك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال فتح عن بئر حجرا على فيها فسقى لهما بها والأمين أنه غض بصره عنهما حين سقى لهما فصدرتا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الأحمر وهانئ بن سعيد عن الحجاج عن القاسم عن مجاهد ان خير من استأجرت القوي الأمين قال رفع حجرا لا يرفعه الا فئام من الناس حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق قال عمرو ابن ميمون في قوله القوي الأمين قال كان يوم ريح فقال لا تمشي أمامي فيصفك الريح لي ولكن امشي خلفي ودليني على الطريق قال فقال لها كيف عرفت قوته قالت كان الحجر لا يطيقه الا عشرة فرفعه وحده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن شريح في قوله القوي الأمين قال أما قوته فانتهى الى حجر لا يرفعه الا عشرة فرفعه وحده وأما أمانته فانها مشت أمامه فوصفها الريح فقال لها امشي خلفي وصفي لي الطريق حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن عمرو عن زائدة عن الأعمش قال سألت تميم بن ابراهيم بم عرفت أمانته قال في طرفه بغض طرفه عنها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان خير من استأجرت القوي الأمين قال القوي في الصنعة الأمين فيما ولي قال وذكر لنا أن الذي رأت من قوته أنه لم تلبث ماشيتها حتى رواها وان الأمانة التي رأت منه أنها حين جاءت تدعوه قال لها كوني ورائي وكره أن يستدبرها فذلك ما رأت من قوته وأمانته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين قال بلغنا أن قوته كانت سرعة ما أروى غنمهما وبلغنا أنه ملأ الحوض بدلو واحد وأما أمانته فانه أمرها أن تمشي خلفه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين وهي الجارية التي دعته قال الشيخ هذه القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة أرأيت أمانته ما يدريك ماهي قالت مشيت قدامه فلم يحب أن يخونني في نفسي فأمرني أن أمشي خلفه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين فقال لها وما علمك بقوته وأمانته فقالت أما قوته فانه كشف الصخرة التي على بئر آل فلان وكان لا يكشفها دون سبعة نفر وأما أمانته فاني لما جئت أدعوه قال كوني خلف ظهري وأشيري لي الى منزلك فعرفت أن ذلك منه أمانة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين لما رأت من قوته وقوله لها ما قال أن امشي خلفي لئلا يرى منها شيئا مما يكره فزاده ذلك فيه رغبة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره قال أبو المرأتين اللتين سقى لهما موسى لموسى اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني

ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب (وقص عليه القصص) أي المقصوص من لدن ولادته الى قتل القبطي وفراره خوفا من فرعون وملئه (قال) له شعيب (لا تخف) من فرعون أو ضيما (نجوت من القوم الظالمين) فلا سلطان (٤١) لفرعون بأرضنا (قالت احداهما) وهي كبراهما اسمها صفراء وكانت الصغرى صفيراء (يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين) قال النحويون جعل القوي الامين اسما لكونه معرفة صريحة أولى من جعل أفعل التفضيل المضاف اسما لكونه قريبا من المعرفة ولكن كمال العناية صار سببا للتقديم وورود الفعل وهو استأجرت بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف وقال المحققون ان قولها هذا كلام حكيم جامع لا مزيد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني الكفاية والامانة اللتين هما ثمرتا الكياسة والديانة في الذي يقوم بأمرك فقد حصل مرادك وكمل فراغك عن ابن عباس أن شعيبا أحفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه أي خفضه حين بلغته رسالته وأنه أمرها بالمشي خلفه فلذلك قال (أريد أن أنكحك احدى ابنتي) وليس هذا عقدا حتى تلزم الجهالة في المعقود عليها ولكنه حكاية عزم وتقرير وعد ولو كان عقدا لقال أنكحتك ابنتي فلانة وفي قوله (هاتين) دليل على أنه كانت له غيرهما قال أهل اللغة (تأجرني) من أجرته اذا كنت له أجيرا فيكون (ثماني) حجج ظرفه أو من أجرته كذا اذا أثبته اياه فيكون الثماني مفعولا به ثانيا ومعناه رعية ثماني حجج (فان أتممت عشرا) أي عمل عشر حجج (فمن عندك) اي فاتمامه من عندك لا من عندي اذ هو تفضل منك وتبرع (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين أو بالتكاليف الشاقة في مدة الرعي وانما أعامل معك معاملة الانبياء يأخذون بالأسمح بالحاء لا بالجيم قال أهل الاشتقاق حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر أنه اذا

ثمانى حجج يعنى بقوله على أن تأجرنى على أن تثيبنى من تزويجكها رعى ماشيتى ثمانى حجج من قول الناس أجرك الله فهو يأجرك بمعنى أثابك الله والعرب تقول أجرت الأجير أجره بمعنى أعطيته ذلك كما يقال أخذته فأنا آخذه وحكى بعض أهل العربية من أهل البصرة أن لغة العرب أجرت غلامى فهو مأجور وآجرته فهو مؤجر يريد أفعلته قال وقال بعضهم آجره فهو مؤاجر أراد فاعلته وكأن أباها عندى جعل صداق ابنته التى زوجها موسى رعى موسى عليه ماشيته ثمانى حجج والحجج السنون وقوله فان أتممت عشرا فمن عندك يقول فان أتممت الثمانى الحجج التى شرطتها عليك بانكاحى اياك احدى ابنتى فجعلتها عشر حجج فاحسان من عندك وليس مما اشترطته عليك بسبب تزويجك ابنتى وما أريد أن أشق عليك باشتراط الثمانى الحجج عشرا عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين فى الوفاء بما قلت لك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ستجدنى ان شاء الله من الصالحين أى فى حسن الصحبة والوفاء بما قلت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لابى المرأتين ذلك بينى وبينك أى هذا الذى قلت من أنك تزوجنى احدى ابنتيك على أن آجرك ثمانى حجج واجب بينى وبينك على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه وقوله أيما الاجلين قضيت يقول أى الاجلين من الثمانى الحجج والعشر الحجج قضيت يقول فرغت منها فوفيتكها رعى غنمك وماشيتك فلا عدوان على يقول فليس لك أن تعتدى على فتطالبنى بأكثر منه وما فى قوله أيما الاجلين صلة يوصل بها أى على الدوام وزعم أهل العربية أن هذا أكثر فى كلام العرب من أى وأنشد قول الشاعر

وأيهما ما أتبعن فاننى * حريص على اثر الذى أنا تابع

وقال عباس بن مرداس

فأيى ما وأيك كان شرا * فقيد الى المقامة لا يراها

وقوله والله على ما نقول وكيل كان ابن اسحق يرى هذا القول من أبى المرأتين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال موسى ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على قال نعم والله على ما نقول وكيل فزوجه وأقام معه يكفيه ويعمل له فى رعاية غنمه وما يحتاج اليه منه وزوجه موسى صفورا وأختها شرفا أو ليا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قال ابن عباس الجارية التى دعته هى التى تزوج حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال له انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى الى آخر الآية قال وأيتهما تريد أن تنكحنى قال التى دعتك قال لا الا وهى بريئة مما دخل نفسك عليها فقال هى عندك كذلك فزوجه وبنحو الذى قلنا فى قوله أيما الاجلين قضيت قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت اما ثمانيا واما عشرا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن يحيى ابن سعيد عن القاسم بن محمد وسأله رجل قال أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على قال فقال القاسم ما أبالى أى ذلك كان انما هو موعد وقضاء وقوله والله على ما نقول وكيل يقول والله على ما أوجب كل واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول شهيد وحفيظ كالذى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

صعب الامر فكأنه شق عليه ظنه بأثنين يقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه ثم أكد وعد المسامحة بقوله (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) عموما أو فى باب حسن المعاملة وقوله ان شاء الله أدب (٤٢) جميل كقول اسمعيل ستجدنى ان شاء الله من الصابرين أى على الذبح وفيه أن الاعتماد فى جميع الامور على معونة الله والامر موكول الى مشيئته استدل الفقهاء بالآية على أن العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى أن الحاق الزيادة بالثمن والمثمن جائز وعلى أن عقد النكاح لا يفسده الشروط التى لا يوجبها العقد ويمكن أن يقال انه شرع من قبلنا فلا يلزمنا وجوز فى الكشاف أن يكون استأجره لرعية ثمانى سنين بمبلغ معلوم ووفاه اياه ثم أنكحه ابنته وجعل قوله على أن تأجرنى عبارة عما جرى بينهما (قال) موسى (ذلك) الذى شارطتنى عليه قائم (بينى وبينك أيما الأجلين قضيت) وما مؤكدة لابهام أى زائدة فى شيوعها (فلا عدوان على) أى لا يعتدى على فى طلب الزيادة فان قضيت الثمانى فلا أطالب بالزيادة وان قضيت العشر باختيارى فلم أطالب بالزيادة أيضا وقيل أراد أيهما قضيت فلا أكون متعديا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تزوج كبراهما وقيل صغراهما ولا خلاف فى أنه قضى أوفى الأجلين قال القاضى فى قوله (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس) دليل على أنه لم يزد على العشرة وفيه نظر لأنه لا يفهم من هذا التركيب الا أن الايناس حاصل على عقيب مجموع الامرين ولا يدل على أن ذلك حصل عقيب أحدهما وهو قضاء الاجل ويؤيده ماروى عن مجاهد أنه بعد العشر المشروط مكث عشر سنين أخر قال أهل اللغة الجذوة بحركات الجيم العود الغليظ كانت فى رأسه نار أولم تكن وشاطئ الوادى جانبه ومن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية أى أتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة فالثانية بدل من الاولى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد والله على ما نقول وكيل قال شهيد على قول موسى وختنه وذكر أن موسى وصاحبه لما تعاقدا بينهما هذا العقد أمر احدى ابنتيه أن تعطى موسى عصا من العصى التى تكون مع الرعاة فأعطته اياها فذكر بعضهم أنها العصا التى جعلها الله له آية وقال بعضهم تلك عصا أعطاه اياها جبريل عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أمر يعنى أبا المرأتين احدى ابنتيه أن تأتيه يعنى أن تأتى موسى بعصا فأتته بعصا وكانت تلك العصا عصا استودعها اياه ملك فى صورة رجل فدفعها اليه فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها فلما رآها الشيخ قال لا ائتيه بغيرها فألقتها تريد أن تأخذ غيرها فلا يقع فى يدها الا هى وجعل يردّدها وكل ذلك لا يخرج فى يدها غيرها فلما رأى ذلك عمد اليها فأخرجها معه فرعى بها ثم ان الشيخ ندم وقال كانت وديعة فخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال أعطنى العصا فقال موسى هى عصاى فأبى أن يعطيه فاختصما فرضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما فأتاهما ملك يمشى فقال ضعوها فى الارض فمن حملها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها وأخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ فرعى له عشر سنين قال عبد الله بن عباس كان موسى أحق بالوفاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال يعنى أبا الجارية لما زوّجها موسى لموسى أدخل ذلك البيت فخذ عصا فتوكأ عليها فدخل فلما وقف على باب البيت طارت اليه تلك العصا فأخذها فقال ارددها وخذ أخرى مكانها قال فردّها ثم ذهب ليأخذ أخرى فطارت اليه كما هى فقال لا ارددها فعل ذلك ثلاثا فقال ارددها فقال لا أجد غيرها اليوم فالتفت الى ابنته فقال لابنته ان زوجك لنبى ذكر من قال التى كانت آية عصا أعطاها موسى جبرائيل عليه السلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر قال سألت عكرمة قال أما عصا موسى فانها خرج بها آدم من الجنة ثم قبضها بعد ذلك جبرائيل عليه السلام فلقى موسى بها ليلا فدفعها اليه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾ يقول تعالى ذكره فلما وفى موسى صاحبه الاجل الذى فارقه عليه عند انكاحه اياه ابنته وذكر أن الذى وفاه من الأجلين أتمهما وأكملهما وذلك العشر الحجج على أن بعض أهل العلم قد روى عنه أنه قال زاد مع العشر عشرا أخرى ذكر من قال الذى قضى من ذلك هو الحجج العشر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس أىّ الأجلين قضى موسى قال خيرهما وأوفاهما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس سئل أىّ الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأخيرهما حدثنى محمد ابن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا موسى بن عبيدة عن أخيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قضى موسى آخر الأجلين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن الحكم بن أبان عن عكرمة سئل ابن عباس أىّ الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأوفاهما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال قال يهودى بالكوفة وأنا أتجهز للحج انى أراك رجلا تتبع العلم أخبرنى أىّ الأجلين قضى موسى قلت لا أعلم وأنا الآن قادم على حبر العرب يعنى ابن عباس فسائله عن ذلك فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك

الشاطئ ووصفت البقعة بالمباركة لان فيها ابتداء الرسالة والتكليم احتجت المعتزلة على مذهبهم أن الله تعالى يتكلم بكلام يخلقه فى جسم بقوله (من الشجرة) وقال أهل السنة مما وراء النهران الكلام القديم القائم بذات الله غير مسموع والمسموع من الشجرة وهو الصوت والحرف دال على كلام الله وذهب الاشعرى الى أن الكلام الذى ليس بحرف ولا صوت يمكن أن يكون مسموعا كما أن الذات التى ليست بجسم ولا عرض يمكن أن تكون مرئية روى أن شعيبا كانت عنده عصى الانبياء فقال لموسى بالليل أدخل البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم تزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فشعر بها فقال غيرها فما وقع فى يده الاهى سبع مرات فعلم أن له شأنا وعن الكلبى الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ هناك أكثر لان فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على منعها فمشى على ثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى موسى دامية فارتاح لذلك وحين رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا قيل كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فان موسى ذهب ليقتبس النار فكلمه الملك الجبار وقد مر فى النمل تفسير قوله فلما رآها تهتز الى قوله من غير سوء أما قوله (واضمم اليك جناحك من الرهب) فذكر جار الله له معنيين أحدهما حقيقة وهو أنه لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه نقصان قدرك عند الاعداء فان ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب النقص واظهار معجزة أخرى

وثانيهما مجاز وهو أن يراد بضم الجناح التجلد وضبط النفس حتى لا يضطرب فيكون استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف أرخى جناحيه والاضمهما ومعنى (من الرهب) من أجل الخوف والفرق بين هذه العبارة وبين قوله أسلك يدك فى جيبك أن الغرض هناك خروج

وأخبرته بقول اليهودى فقال ابن عباس قضى أكثرهما وأطيبهما ان النبى اذا وعد لم يخلف قال سعيد فقدمت العراق فلقيت اليهودى فأخبرته فقال صدق وما أنزل على موسى هذا والله العالم ۞ قال ثنا يزيد قال ثنا الأصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب عن سعيد بن جبير قال سألنى رجل من أهل النصرانية أى الأجلين قضى موسى قلت لا أعلم وأنا يومئذ لا أعلم فلقيت ابن عباس فذكرت له الذى سألنى عنه النصرانى فقال أما كنت تعلم أن ثمانيا واجب عليه لم يكن نبى الله ينقص منها شيئا وتعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عدته التى وعده فانه قضى عشر سنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما قضى موسى الأجل قال حدث ابن عباس قال رعى عليه نبى الله أكثرها وأطيبها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاجلين قضى موسى فقال أوفاهما وأتمهما حدثنا أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا الحميدى أبو بكر عبد الله بن الزبير قال ثنا سفيان قال ثنى ابراهيم بن يحيى بن أبى يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت جبرائيل أى الاجلين قضى موسى قال أتمهما وأكملهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل أى الأجلين قضى موسى قال سوف أسأل اسرافيل فسأله فقال سوف أسأل الله تبارك وتعالى فسأله فقال أبرهما وأوفاهما ذكر من قال قضى العشر الحجج وزاد على العشر عشرا أخرى حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فلما قضى موسى الأجل قال عشر سنين ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قضى الاجل عشر سنين ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى حدثنى المثنى قال ثنا معاذ ابن هشام قال ثنا أبى عن قتادة قال ثنا أنس قال لما دعا نبى الله موسى صاحبه الى الاجل الذى كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على غير لونها فلك ولدها فعمد فرفع خيالا على الماء فلما رأت الخيال فزعت فجالت جولة فولدن كلهن بلقا الا شاة واحدة فذهب بأولادهن ذلك العام وقوله وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا يقول تعالى ذكره فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله شاخصا بهم الى منزله من مصر آنس من جانب الطور يعنى بقوله آنس أبصر وأحس كما قال العجاج

آنس خربان فضاء فانكدر ۞ دانى جناحيه من الطور فمر

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل غير أنا نذكر ههنا بعض ما لم نذكر قبل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا أى أحسست نارا وقد بينا معنى الطور فيما مضى بشواهده وما فيه من الرواية عن أهل التأويل وقوله لأهله امكثوا انى آنست نارا يقول قال موسى لاهله تمهلوا وانتظروا انى أبصرت نارا لعلى آتيكم منها يعنى من النار بخبر أو جذوة من النار يقول أو آتيكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار وهى مثل الجذمة من أصل الشجرة ومنه قول ابن مقبل

اليد بيضاء وههنا الغرض اخفاء الخوف او اراد بالجناح المضموم ههنا اليد اليمنى و بالجناح المضموم اليه فى قوله واضمم يدك الى جناحك اليد اليسرى وقيل ان الرهب هو الكم بلغة حمير وزيفه النقاد من قرأ فذانك بالتخفيف فمثنى ذاك ومن قرأ بالتشديد فمثنى ذلك وأصله ذان لك قلبت اللام نونا وأدغمت وسميت الحجة برهانا لبياضها وانارتها من قولهم امرأة برهرهة أى بيضاء والعين واللام مكررتان والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره السلطان من السليط الزيت لانارتها وظاهر الكلام يقتضى أنه تعالى أمره بذلك قبل لقاء فرعون والسر فيه أن يكون على بصيرة من أمره عند لقاء المعاند اللجوج وزعم القاضى أنه فى حال أداء الرسالة لان المعجز انما يظهر ليستدل المرسل اليه على الرسالة ولا يخفى ضعف هذا الكلام لان الحكمة فى الاظهار لا تحصر فى الاستدلال بل لعل هناك أنواعا أخر من الحكم والمقاصد قد ذكرنا واحدا منها ومما يؤكد أن هذا الكلام قد جرى ولم يكن هناك أحد غير موسى قوله معتذرا (رب انى قتلت منهم نفسا) الآية والردء اسم ما يعان به من ردأته أى أعنته فعل بمعنى مفعول به و (يصدقنى) بالرفع صفة و بالجزم جواب كما مر فى قوله ولياً يرثنى والمراد بتصديق أخيه أن يذب و يجادل عنه لا أن يقول صدقت فان هذا القدر لا يفتقر الى البيان والفصاحة لان سحبان و باقلا يستويان فيه و يجوز أن يكون الضمير فى يصدقنى لفرعون وجوز جار الله أن يكون من الاسناد المجازى بناء على أن يصدق مسند الى هرون وهو ببيانه و بلاغته سبب تصديق فرعون يؤيده قوله (انى أخاف أن يكذبون) قال الجبائى انما

باتت

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذا غير خوار ولا دعر

وفي الجذوة لغات للعرب ثلاث جذوة بكسر الجيم وبها قرأت قراء الحجاز والبصرة وبعض أهل الكوفة وهي أشهر اللغات الثلاث فيها وجذوة بفتح الجيم وبها قرأ أيضا بعض قراء الكوفة (١) وهذه اللغات الثلاث وإن كن مشهورات في كلام العرب فالقراءة بأشهرها أعجب إلي وإن لم أنكر قراءة من قرأ بغير الأشهر منهن وبنحو الذي قلنا في معنى الجذوة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أو جذوة من النار يقول شهاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو جذوة والجذوة أصل شجرة فيها نار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار قال أصل الشجرة في طرفها النار فذلك قوله أو جذوة (٣) قال السعف فيه النار قال معمر وقال غير قتادة أو جذوة أو شعلة من النار حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أو جذوة من النار قال أصل شجرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أو جذوة من النار قال أصل شجرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو جذوة من النار قال الجذوة العود من الحطب الذي فيه النار ذلك الجذوة وقوله لعلكم تصطلون يقول لعلكم تسخنون بها من البرد وكان في شتاء

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره فلما أتى موسى النار التي آنس من جانب الطور نودي من شاطئ الوادي الأيمن يعني بالشاطئ الشط وهو جانب الوادي وعدوته والشاطئ يجمع شواطئ وشطآن والشط الشطوط والأيمن من نعت الشاطئ عن يمين موسى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من شاطئ الواد الأيمن قال ابن عمرو في حديثه عند الطور وقال الحرث في حديثه من شاطئ الوادي الأيمن عند الطور عن يمين موسى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن قال شق الوادي عن يمين موسى عند الطور وقوله في البقعة المباركة من صلة الشاطئ وتأويل الكلام فلما أتاها ناداه الله موسى من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة منه من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وقيل إن معنى قوله من الشجرة عند الشجرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة قال نودي من عند الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وقيل إن الشجرة التي نادى موسى منها ربه شجرة عوسج وقال بعضهم بل كانت شجرة العليق ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة في قوله البقعة المباركة من الشجرة قال الشجرة

(١) سقط من قلم الناسخ اللغة الثالثة وهي جذوة بضم الجيم وبها قرئ أيضا فتنبه كتبه مصححه

سأل موسى أن يرسل هرون بأمر الله تعالى ولم يكن ليسأل ما لا يأمن أن يجاب أو لا يكون حكمة ولقائل أن يقول لعله سأله مشروطا على معنى إن اقتضت الحكمة ذلك كما يقول الداعي في دعائه وقال السدي علم أن الاثنين أقوى من الواحد ولهذا سأل اعترض القاضي بأن هذا من حيث العادة وأما من حيث الدلالة فلا فرق بين معجزة ومعجزتين لأن المبعوث إليه في أيهما نظر علم وإن لم ينظر فالحال واحدة هذا إذا كانت طريقة الدلالة بين المعجزتين واحدة فأما إذا اختلف وأمكن في إحداهما من إزالة الشبهة ما لا يمكن في الأخرى فغير ممتنع أن يقال إنهما بمجموعهما أقوى من واحدة كما قال السدي لكن ذلك لا يتأتى في موسى وهرون لأن معجزتهما كانت واحدة قال جار الله معنى (سنشد عضدك) سنقويك بأخيك إما لأن اليد تشتد بشدة العضد وجملة البدن تقوى على مزاولة الأمور بشدة اليد وإما لأن الرجل واشتداده بالأخ شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد والسلطان التسلط والغلبة والحجة الواضحة وقوله (بآياتنا) إما متعلق بمقدر أي اذهبا بآياتنا أو متعلق بظاهر وهو نجعل أو لا يصلون ويجوز أن يكون بيانا للغالبون كأنه قيل بما ذا نغلب فقيل بآياتنا وامتنع أن تكون صلة للغالبون لتقدمه ويجوز أن تكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه مثله ويجوز أن يكون من لغو القسم الذي لا جواب له كقولك زيد وأبيك منطلق والمراد الغلبة بالحجة والبرهان في الحال أو بالدولة والمملكة في المآل وصلب السحرة بعد تسليم ثبوته لا يقدح في قوله (ومن اتبعكما الغالبون) لأن الدولة الباقية أعلى شأنا أو (سحر مفترى) أي سحر تعمله أنت ثم تنسبه إلى الله فهو كذب من هذا الوجه أو سحر ظاهر افتراؤه لا سحر يخفى افتراؤه أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر فإن كل سحر ففاعله يوهم خلافه فهو المفترى ومعنى (ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) قد مر في سورة المؤمنين قال جار الله في آبائنا حال عن هذا أي كائنا

عوسج قال معمر عن قتادة عصا موسى من العوسج والشجرة من العوسج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض من لا يتهم عن بعض أهل العلم انى آنست نارا قال خرج نحوها فاذا هى شجرة من العليق وبعض أهل الكتاب يقول هى عوسجة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله قال رأيت الشجرة التى نودى منها موسى عليه السلام شجرة سمر خضراء ترف ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ يقول تعالى ذكره نودى موسى أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فألقاها موسى فصارت حية تسعى فلما رآها موسى تهتز يقول تتحرك وتضطرب كأنها جان والجان واحد الجنان وهى نوع معروف من أنواع الحيات وهى منها عظام ومعنى الكلام كأنها جان من الحيات ولى مدبرا يقول ولى موسى هاربا منها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولى مدبرا فارا منها ولم يعقب يقول ولم يرجع على عقبه وقد ذكرنا الرواية فى ذلك وما قاله أهل التأويل فيما مضى فكرهنا اعادته غير أنا نذكر فى ذلك بعض ما لم نذكره هنالك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولم يعقب يقول ولم يعقب أى لم يلتفت من الفرق حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ولم يعقب يقول لم ينتظر وقوله يا موسى أقبل ولا تخف يقول تعالى ذكره فنودى موسى يا موسى أقبل الىّ ولا تخف من الذى تهرب منه انك من الآمنين من أن يضرك انما هو عصاك وقوله اسلك يدك فى جيبك يقول أدخل يدك وفيه لغتان سلكته وأسلكته فى جيبك يقول فى جيب قميصك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أسلك يدك فى جيبك أى فى جيب قميصك وقد بينا فيما مضى السبب الذى من أجله أمر أن يدخل يده فى الجيب دون الكم وقوله تخرج بيضاء من غير سوء يقول تخرج بيضاء من غير برص كما حدثنا بشر قال ثنا ابن المفضل قال ثنا قرة بن خالد عن الحسن فى قوله اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء قال فخرجت كأنها المصباح فأيقن موسى أنه لقى ربه وقوله واضمم اليك جناحك يقول واضمم اليك يدك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واضمم اليك جناحك قال يدك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد واضمم اليك جناحك قال وجناحاه الذراع والعضد هو الجناح والكف اليد اضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء وقوله من الرهب يقول من الخوف والفرق الذى قد نالك من معاينتك ما عاينت من هول الحية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من الرهب قال الفرق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واضمم اليك جناحك من الرهب أى من الرعب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من الرهب قال مما دخله من الفرق من الحية والخوف وقال ذلك الرهب وقرأ قول الله يدعوننا رغبا ورهبا قال خوفا وطمعا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء

فى زمانهم وإياه ثم قالت لا مانع من أن يكون الظرف لغوا ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين فى ذلك وقد سمعوا بنحوه او يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله فى فظاعته أو أرادوا أن الكهان لم يخبروا بمجىء ما جاء به موسى وكل هذه المقالات لا تصدر الا عن المحجوج اللجوج الذى قصارى أمره التمسك بحبل التقليد من قرأ (قال موسى) بغير واو فعلى طريقة السؤال والجواب ووجه قراءة الاكثرين أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن العاقل الناظر بين القولين فيتبين له الغث من السمين وقوله (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) الخام للخصم المعاند اذ لا سبيل الى دفاعه بالحجة أى يعلم أنى محق وأنهم مبطلون وقوله (ومن تكون له عاقبة الدار) يعنى العاقبة الحميدة كأن المذمومة غير معتد بها ضم طريقة الوعيد الى الافحام المذكور وقيل معناه ربى أعلم بالانبياء السالفة فهو جواب لقولهم ما سمعنا بهذا وقال جار الله ربى أعلم بحال من أهله للفلاح حيث جعله نبيا ووعده حسنى العقبى ولو كان كاذبا كما يزعمون لم يؤهله لذلك لانه لا يفلح عنده الظالمون واعلم أن فرعون كان من عادته عند ظهور حجة لموسى أن يتعلق فى دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على أغمار قومه فذكر ههنا أمرين الاول قوله (ما علمت لكم من اله غيرى) فكأنه استدل بعدم الدليل على عدم المدلول وهو خطأ من جهة أن الدليل على المدلول وهو وجود الصانع أكثر من أن يحصى ومن جهة أن عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول وأما قوله غيرى فقد تكلف له بعضهم أنه لم يرد به أنه خالق السموات والارض وما فيهما فان امتناع ذلك بديهى وانما أراد به نفى الصانع والاقتصار على الطبائع وانه لا تكليف على الناس الا أن يطيعوا ملكهم وينقادوا والأمر الثانى قوله (فأوقد لى يا هامان على الطين) وقد تكلفوا له ههنا أهل أيضا فقيل انه يبعد من العاقل أن يروم صعود السماء بآلة ولكنه أراد أنه لا سبيل الى اثبات الصانع من حيث العقل كما مر ولا من حيث

الحس فان الاحساس به يتوقف على الصعود وهو متعذر والا فان ياهامان مثل هذا البناء وانما قال ذلك تهكما فبمجموع هذه الاشياء قرر أنه لا دليل على الصانع ثم رتب النتيجة عليه وهو قوله (وانى لأظنه من الكاذبين) يحتمل (٤٧) أن يريد لأعلمه من الكاذبين والاكثرون من المفسرين على أنه بنى مثل هذا البناء جهلا منه أو تلبيسا على ملئه حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن يروى أن هامان جمع العمال حتى اجتمع منهم خمسون ألف بناء سوى الاجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ مبلغا لا يقدر البانى أن يقوم عليه فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا قد هلك وروى فى القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت اليه وهى ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعند ذلك بعث الله جبرائيل لهدمه قال أهل البيان ان صح حديث رد النشابة ملطوخة فقد تهكم به بالفعل كما ثبت التهكم بالقول فى غير موضع وانما قال فأوقد لى ياهامان على الطين ولم يقل اطبخ لى الآجر لان هذه العبارة أحسن ولان فيه تعليم الصنعة وقد كان أول من عمل الآجر فرعون عن عمر أنه حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت أن أحدا بنى الآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع وفى قوله سبحانه (واستكبر هو وجنوده فى الارض) يعنى أرض مصر (بغير الحق) اشارة الى أن الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى كما جاء فى الحديث القدسى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فهو كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق وفى قوله (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) دليل على أنهم كانوا منكرى البعث كالطبائعيين وفى قوله (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) دلالة على علو شأنه تعالى وعظمة سلطانه واشارة الى استحقار فرعون وجنوده وعدده وان كانوا أكثر من رمال الدهناء كأنه شبههم بحصيات أخذهن أحد فى كفه فطرحهن

أهل الحجاز والبصرة من الرهب بفتح الراء والهاء وقرأته عامة قراء الكوفة من الرهب بضم الراء وتسكين الهاء والقول فى ذلك أنهما قراءتان متفقتا المعنى مشهورتان فى قراء الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله فذانك برهانان من ربك يقول تعالى ذكره فهذان اللذان أريتكهما يا موسى من تحول العصا حية ويدك وهى سمراء بيضاء تلمع من غير برص برهانان يقول آيتان وحجتان وأصل البرهان البيان يقال للرجل يقول القول اذا سئل الحجة عليه هات برهانك على ما تقول أى هات تبيان ذلك ومصداقه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فذانك برهانان من ربك العصا واليد آيتان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فذانك برهانان من ربك تبيانان من ربك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فذانك برهانان من ربك هذان برهانان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فذانك برهانان من ربك فقرأ هاتوا برهانكم هاتوا على ذلك آية نعرفها وقال برهانان آيتان من الله واختلفت القراء فى قراءة قوله فذانك فقرأته عامة قراء الأمصار سوى ابن كثير وأبى عمرو فذانك بتخفيف النون لانها نون الاثنين وقرأه ابن كثير وأبو عمرو فذانك بتشديد النون واختلف أهل العربية فى وجه تشديدها فقال بعض نحويى البصرة ثقل النون من ثقلها للتوكيد كما أدخلوا اللام فى ذلك وقال بعض نحويى الكوفة شددت فرقا بينها وبين النون التى تسقط للاضافة لان هاتان وهذان لا تضاف وقال آخر منهم هو من لغة من قال هذا آ قال ذلك فزاد على الألف ألفا كذا زاد على النون نونا ليفصل بينهما وبين الاسماء المتمكنة وقال فى ذانك انما كانت ذلك فيمن قال هذان ياهذا فكرهوا تثنية الاضافة فأعقبوها باللام لان الاضافة تعقب باللام وكان أبو عمرو يقول التشديد فى النون فى ذانك من لغة قريش الى فرعون وملئه يقول الى فرعون وأشراف قومه حجة عليهم ودلالة على حقيقة نبوتك ياموسى انهم كانوا قوما فاسقين يقول ان فرعون وملأه كانوا قوما كافرين ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى انى أخاف أن يكذبون﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى رب انى قتلت من قوم فرعون نفسا فأخاف ان أتيتهم فلم أبن عن نفسى بحجة أن يقتلون لأن فى لسانى عقدة ولا أبين معها ما أريد من الكلام وأخى هرون هو أفصح منى لسانا يقول أحسن بيانا عما يريد أن يبينه فأرسله معى ردءا يقول عونا يصدقنى أى يبين لهم عنى ما أخاطبهم به كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى أى يبين لهم عنى ما أكلمهم به فانه يفهم ما لا يفهمون وقيل انما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه لان الاثنين اذا اجتمعا على الخبر كانت النفس الى تصديقهما أسكن منها الى تصديق خبر الواحد ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأرسله معى ردءا يصدقنى لان الاثنين أحرى أن يصدقا من واحد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فأرسله معى ردءا يصدقنى قال عونا حدثنا القاسم قال ثنا

في البحر استدلت الاشاعرة بقوله (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) ان خالق الشر وجاعل الكفر هو الله سبحانه وقالت المعتزلة معنى الجعل التسمية والحكم بذلك كما يقال جعله بخيلا وفاسقا اذا حكم (٤٨) بالبخل والفسق عليه وسماه بالبخيل والفاسق أو أراد خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى كانوا أئمة الكفر داعين الى النار أى الى موجباتها من الكفر والمعاصي وقال أبو مسلم معنى الامامة التقدم وذلك أنه تعالى يعجل لهم العذاب فصاروا متقدمين لمن وراءهم من الكفرة الى النار وقال بعضهم اراد بالامامة أنهم بلغوا فى ذلك الباب أقصى النهايات حتى استحقوا أن يقتدى بهم ثم بين بقوله (ويوم القيامة لا ينصرون) أن عقاب الآخرة سينزل بهم على وجه لا يمكن التخلص منه وقال فى الكشاف أراد وخذلناهم فى الدنيا ويوم القيامة هم مخذولون كما قال (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) أى طردا وابعادا عن الرحمة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين وقال الليث قبحه الله قبحا بالفتح وقبحا بالضم أى نحاه عن كل خير وقال ابن عباس من المشهورين بسواد الوجه وزرقة العين وعن بعضهم أنه تعالى يقبح صورهم ويقبح عليهم عملهم فيجمع لهم بين الفضيحتين ۞ التأويل وحين توجه تلقاء مدين عالم الروحانية وجد عليه أمة من أوصاف الروح يسقون مواشى اخلاقهم من ماء فيض الالهى ووجد من دونهم امرأتين السر والخفى ابنتا شعيب الروح يمنعان من استقاء ماء الفيض الالهى قال الشيخ الامام الربانى نجم الدين المعروف بداية وذلك لان لمعان أنوار الفيض يرد على الروح فى البداية بالتدريج فينشأ منه الخفى وهو لطيفة ربانية مودعة فى الروح بالقوة فلا يحصل بالفعل الا بعد غلبة الواردات الربانية ليكون واسطة بين الحضرة والروح فى قبول تجليات صفات الربوبية والفيوض الالهية فيكون فى هذه المدة بمعزل عن الاستقاء وكذا السر وهو لطيفة روحانية متوسطة بين القلب والروح قابلة لفيض الروح مؤدية

الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ردأ يصدقنى أى عونا * وقال آخرون معنى ذلك كيما يصدقنى ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ردأ يصدقنى يقول كى يصدقنى حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فأرسله معى ردأ يصدقنى يقول كيما يصدقنى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ردأ يصدقنى يقول كيما يصدقنى والردء فى كلام العرب هو العون يقال منه قد أردأت فلانا على أمره أى أكفيته وأعنته واختلفت القراء فى قراءة قوله يصدقنى فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة ردأ يصدقنى بجزم يصدقنى وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى برفعه فمن رفعه جعله صلة للردء بمعنى فأرسله معى ردأ من صفته يصدقنى ومن جزمه جعله جوابا لقوله فارسله فانك اذا أرسلته صدقنى على وجه الخبر والرفع فى ذلك أحب القراءتين الى لانه مسألة من موسى ربه أن يرسل أخاه عونا له بهذه الصفة وقوله انى أخاف أن يكذبون يقول انى أخاف أن لا يصدقون على قولى لهم انى أرسلت اليكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى سنشد عضدك أى نقويك ونعينك بأخيك تقول العرب اذا أعز رجل رجلا وأعانه ومنعه ممن أراده بظلم قد شد فلان على عضد فلان وهو من عاضده على أمره اذا أعانه ومنه قول ابن مقبل

عاضدتها بعتود غير معتلث * كأنه وقف عاج بان مكسوبا

يعنى بذلك قوسا عاضدها بسهم وفى العضد لغات أربع أجودها العضد ثم العضد ثم العضد والعضد يجمع جميع ذلك على أعضاد وقوله ونجعل لكما سلطانا يقول ونجعل لكما حجة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لكما سلطانا حجة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ونجعل لكما سلطانا والسلطان الحجة وقوله فلا يصلون اليكما يقول تعالى ذكره فلا يصل اليكما فرعون وقومه بسوء وقوله بآياتنا يقول تعالى ذكره فلا يصل اليكما فرعون بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فالباء فى قوله بآياتنا من صلة غالبون ومعنى الكلام أنتما ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملأه بآياتنا أى بحجتنا وسلطاننا الذى نجعله لكما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه قالوا لموسى ما هذا الذى جئتنا به الا سحر افتريته من قبلك وتخرصته كذبا وباطلا وما سمعنا بهذا الذى تدعونا اليه من عبادة من تدعونا الى عبادته فى أسلافنا وآبائنا الاولين الذين مضوا قبلنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره وقال موسى مجيبا لفرعون ربى أعلم بالمحق منا يا فرعون من المبطل ومن الذى جاء بالرشاد الى سبيل

الصواب

الى القلب وهو ايضا بمعزل عن استقاء ماء فيض الروح عند اشتغال القلب بمعالجات النفس واصلاح القالب الى حين توجه موسى القلب الى مدين عالم الروحانية وذلك قولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء وهم صفات الروح ويصرفوا مواشيهم وهى الصفات الانسانية عن ماء الفيض الالهى فاذا اصدروا واستقينا مواشينا من الاوصاف والاخلاق من أفضلة مواشيهم فى حوض القوى وأبونا وهو شعيب

الصواب والبيان عن واضح الحجة من عنده ومن الذى له العقبى المحمودة فى الدار الآخرة منا وهذه معارضة من نبى الله موسى عليه السلام لفرعون وجميل مخاطبة اذ ترك أن يقول له بل الذى غر قومه وأهلك جنوده وأضل أتباعه أنت لا أنا ولكنه قال ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار ثم بالغ فى ذم عدو الله بأجمل من الخطاب فقال انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا ينجح ولا يدرك طلبتهم الكافرون بالله تعالى يعنى بذلك فرعون انه لا يفلح ولا ينجح لكفره بربه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لأظنه من الكاذبين ﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون لأشراف قومه وسادتهم يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فتعبدوه وتصدقوا قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله ربا غيرى ومعبودا سواى فأوقد لى ياهامان على الطين يقول فاعمل لى آجرا وذكر أنه أول من طبخ الآجر وبنى به ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فأوقد لى ياهامان على الطين قال على المدر يكون لبنا مطبوخا قال ابن جريج أول من أمر بصنعة الآجر وبنى به فرعون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأوقد لى ياهامان على الطين قال فكان أول من طبخ الآجر يبنى به الصرح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فأوقد لى ياهامان على الطين قال المطبوخ الذى يوقد عليه هو من طين يبنون به البنيان وقوله فاجعل لى صرحا يقول ابن لى بالآجر بناء وكل بناء مسطح فهو صرح كالقصر ومنه قول الشاعر

بهن نعام بناها الرجا * ل تحسب أعلامهن الصروحا

يعنى بالصروح جمع صرح وقوله لعلى أطلع الى اله موسى يقول أنظر الى معبود موسى الذى يعبده ويدعو الى عبادته وانى لأظنه فيما يقول من أن له معبودا يعبده فى السماء وأنه هو الذى يؤيده وينصره وهو الذى أرسله الينا من الكاذبين فذكر لنا أن هامان بنى له الصرح فارتقى فوقه فكان من قصته وقصة ارتقائه ما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قال فرعون لقومه يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أذهب فى السماء فأنظر الى اله موسى فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى متلطخة دما فقال قد قتلت اله موسى تعالى الله عما يقولون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ يقول تعالى ذكره واستكبر فرعون وجنوده فى أرض مصر عن تصديق موسى واتباعه على ما دعاهم اليه من توحيد الله والاقرار بالعبودية له بغير الحق يعنى تعديا وعتوا على ربهم وظنوا أنهم الينا لا يرجعون يقول وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون ولا ثواب ولا عقاب فركبوا أهواءهم ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد وأنه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة وقوله فأخذناه وجنوده يقول تعالى ذكره فجمعنا فرعون وجنوده من القبط فنبذناهم فى اليم يقول فألقيناهم جميعهم فى البحر فغرقناهم فيه كما قال أبو الأسود الدؤلى

الروح لا يقدر على سقيه من الاوصاف الانسانية الا بالاجر والوسائط وانا لا نطيق أن نسقى لضعف حالنا فسقى موسى القلب مواشيهما بقوة استفادها من الجسد وقوة استفادها من الروح لانه متوسط بين العالمين ولهذا سمى قلبا ثم تولى الى الظل الى العناية فطلب الفيض الالهى بلا واسطة وهكذا ينبغى أن يكون السالك لا يقنع بما وجد من المعارف أبدا فجاءته احداهما فيه أن القلب يحتاج فى الوصول الى حضرة شعيب الروح أن يستمد من الخفى أو السر لا تخف نجوت فيه أن القلب اذا وصل الى مقام الروح نجا من ظلمات النفس وصفاتها ان خير من استأجرت من النفس والجسد القوى الامين لان القلب استفاد القوة من الجسد والامانة من الروح ثمانى حجج فيه أن الروح فى تبليغ القلب الى مقام الخفى يحتاج الى تسييره فى مقامات صفاته الثمانية المخصوصة به فى خلافة الحق وهى الحياة والارادة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والبقاء وتمام ذلك الى العشرة راجع الى خصوصيته وهما المحبة والانس مع الله أيما الاجلين قضيت فى التخلق بأخلاق الثمانية وفى المحبة والانس مع الله فلا عدوان على أى ليس لك أن تمنعنى العبور عن المحبة لانك من خصوصيتك بالخلافة مجبول على تلك الصفات الثمانية وأما المحبة والانس مع الله فصفتان مخصوصتان بالحضرة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولهذا كل انسان من المؤمن والكافر فانه مجبول على تلك الاوصاف وليس من زمرة يحبهم ويحبونه الا مؤمن موحد فلما اتصف موسى القلب بالاوصاف الثمانية وغلبت عليه محبة الله واستأنس به وصار بجميع صفاته متوجها الى حضرة القدس

آنس من طور الحضرة نار نور الالوهيــة وفى قوله لأهله امكثوا اشارة الى أن السالك لابد له من تجريد الظاهر عن الاهــل والمــال وتفريد الباطن عن تعلقات الكونين نور يبدو واذا بدا استمكن شمس طلعت ومن رآها آمن وفى قوله لعلكم تصطلون اشارة الى أن الاوصاف الانسانيــة جامدة من برودة الطبيعة لا تتسخن (٥٠) الا بجذوة نار المحبة بل بنار الجذبة الالهية من شاطئ الواد الايمن وهو السر في بقعة البدن من شجرة وجود الانسان من الرهب أى رهبــة من فوات وصال الحضرة وأخى هرون هو العقل فمن خصوصيته تصديق الناطق بالحق قالوا ماهــذا الا سحر مفترى لان النفس خلقت من أسـفل عالم الملكوت ومنكسة والقلب خلق وسط عالم الملكوت متوجها الى الحضرة فلهذا ما كذب الفؤاد ما رأى وما صدقت النفس ما رأت فى آبائنــا الاولين أى فى طبائع الكواكب فانها آباء النفس وأمهاتها العناصر والطبائع منكوسة الى عالم السفل لا يعرفون مقام الوحدة فلا يعرفون بالتوحيد فأوقد لى يا هـامان الشــيطان على الطين البشرية بنفخ الوساوس والغرور فاجعل لى صرحا من المقدمات الخيالية والوهمية فانظر كيف كان عاقبة المكذبين أغرقوا فى ماء شهوات الدنيــا ويم همها فأدخلوا نار الحسرة والنــدامة

﴿ولقــد آتينا موسى الكتاب من بعــد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتــذكرون وما كنت بجــانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهــدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهــم العمر وما كنت ثاويا فى أهــل مدين تتلوا عليهــم آياتنــا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينــا ولكن رحمــة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بمــا قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن

نظرت الى عنوانه فنبــذته * كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

وذكر أن ذلك بحر من وراء مصر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنبذناهم فى اليم قال كان اليم بحرا يقال له إساف من وراء مصر غرقهم الله فيه وقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يقول تعالى ذكره فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بربهم وردّوا على رسوله نصيحته ألم نهلكهم فنورث ديارهم وأموالهم أولياءنا ونخوّلهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم بعــد أن كانوا مستضعفين تقتــل ابناؤهم وتستحيا نساؤهم فانا كذلك بك وبمن آمن بك وصــدّقك فاعلون مخوّلوك وإياهم ديار من كذبك وردّ عليك ما أتيتهم به من الحق وأموالهم ومهلكوهم قتلا بالسيف سنة الله فى الذين خلوا من قبل

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ يقول تعالى ذكره وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتم بهم أهل العتو على الله والكفر به يدعون الناس الى أعمال أهل النار ويوم القيامة لا ينصرون يقول جل ثناؤه ويوم القيامة لا ينصرهم من الله اذا عذبهم ناصر وقد كانوا فى الدنيا يتناصرون فاضمحلت تلك النصرة يومئذ وقوله وأتبعناهم فى هــذه الدنيا لعنة ويوم القيامة يقول تعــالى ذكره وألزمنا فرعون وقومه فى هذه الدنيــا خزيا وغضبا منا عليهم فحتمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السيئ ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة فمخزوهم بها الخزى الدائم ومهينوهم الهوان اللازم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة قال لعنوا فى الدنيا والآخرة قال هو كقوله وأتبعوا فى هذه لعنــة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وأتبعناهم فى هــذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لعنة أخرى ثم استقبل فقال هم من المقبوحين وقوله هم من المقبوحين يقول تعــالى ذكره هم من القوم الذين قبحهم الله فأهلكهم بكفرهم بربهم وتكذيبهم رسوله موسى عليه السلام فجعلهم عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين

القول فى تأويل قوله تعــالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ يقول تعــالى ذكره ولقــد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الامم التى كانت قبله كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين بصائر للناس يقول ضياء لبنى اسرائيل فيما بهم اليه الحاجة من أمر دينهم وهدى يقول وبيانا لهم ورحمة لمن عمل به منهم لعلهم يتذكرون يقول ليتذكروا نعم الله بذلك عليهم فيشكروه عليها ولا يكفروا * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعــد ما أهلكنا القرون الاولى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد وعبد الوهاب قالا ثنا عوف عن أبى نضرة عن أبى سـعيد الخدرى قال ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء ولا من الارض بعــد ما أنزلت التوراة على وجه الارض غير القرية التى مسخوا قردة ألم تر أن الله يقول ولقــد آتينا موسى الكتاب من بعــد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون

القول فى تأويل قوله تعــالى

اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة
ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا (٥١) ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين
انك لا تهدى من أحببت ولكن
الله يهدى من يشاء وهو أعلم
بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى
معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن
لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل
شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم
لا يعلمون وكم أهلكنا من قرية
بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم
تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا
نحن الوارثين وما كان ربك مهلك
القرى حتى يبعث فى أمها رسولا
يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى
القرى الا وأهلها ظالمون وما أوتيتم
من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها
وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون
أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه
كمن متعناه متاع الحياة الدنيا
ثم هو يوم القيامة من المحضرين
ويوم يناديهم فيقول أين شركائى
الذين كنتم تزعمون قال الذين حق
عليهم القول ربنا هؤلاء الذين
أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا
اليك ما كانوا ايانا يعبدون
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب
لو أنهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم
فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت
عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون
فأما من تاب وآمن وعمل صالحا
فعسى أن يكون من المفلحين
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان
لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما
يشركون وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله
الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون ﴾ ۞ القرا آت سحران عاصم وحمزة وعلى وخلف الآخرون ساحران تظاهرا
بالتخفيف اتفاقا تجبى اليه بتاء التأنيث أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون على التذكير يعقلون بياء الغيبة شجاع واليزيدى الباقون
بتاء الخطاب الا أبا عمرو فانه مخير ثم هو بسكون الهاء على والحلوانى عن قالون تبرأنا مثل أنشأنا ۞ الوقوف يتذكرون ه الشاهدين ه لا

﴿وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما كنت يا محمد بجانب غربى الجبل اذ قضينا الى موسى الامر يقول اذ فرضنا الى موسى الامر فيما ألزمناه وقومه وعهدنا اليه من عهد وما كنت من الشاهدين يقول وما كنت لذلك من الشاهدين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت يا محمد بجانب الغربى يقول بجانب غربى الجبل اذ قضينا الى موسى الامر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال غربى الجبل حدثنا ابن بشار قال ثنا الضحاك بن مخلد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن على بن مدرك عن أبى زرعة بن عمرو قال انكم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أجبتم قبل أن تسألوا وقرأ وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ولكنا أنشأنا قرونا ولكنا خلقنا أمما فأحدثناها من بعد ذلك فتطاول عليهم العمر وقوله وما كنت ثاويا فى أهل مدين يقول وما كنت مقيما فى أهل مدين يقال ثويت بالمكان أثوى به ثواء قال أعشى ثعلبة

أثوى وقصر ليله ليزودا ＊ ومضى وأخلف من قتيلة موعدا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كنت ثاويا فى أهل مدين قال الثاوى المقيم تتلوا عليهم آياتنا يقول تقرأ عليهم كتابنا ولكنا كنا مرسلين يقول لم تشهد شيأ من ذلك يا محمد ولكنا كنا نحن نفعل ذلك ونرسل الرسل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾ يقول تعالى ذكره وما كنت يا محمد بجانب الجبل اذ نادينا موسى بأن سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الآية كما حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن على بن مدرك عن أبى زرعة فى قول الله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نادى يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى وأجبتكم قبل أن تدعونى حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى واستجبت لكم قبل أن تدعونى حدثنى ابن وكيع قال ثنا حرملة بن قيس النخعى قال سمعت هذا الحديث من أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن أبى هريرة وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى واستجبت لكم قبل أن تدعونى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر عن سليمن وسفيان عن سليمن وحجاج عن حمزة الزيات عن الاعمش عن على بن مدرك عن أبى زرعة بن عمرو عن أبى هريرة فى قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى واستجبت لكم قبل أن تدعونى قال وهو قوله حين قال موسى واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة

للاستدراك العمر ج لاختلاف الجملتين مع العطف آياتنا ج لما مر مرسلين ه يتذكرون ه المؤمنين ه ما أوتي موسى ط
من قبل ج للفصل بين الخبر والطلب مع اتحاد القائل تظاهرا ج للتعجب من عنادهم كافرون ه صادقين ه أهواءهم ط من الله
ط الظالمين ه يتذكرون ه لان الذين (٥٣) مبتدأ يؤمنون ه مسلمين ه ينفقون ه أعمالكم ط لابتداء الكلام
مع اتحاد المقول عليكم ط لذلك
الجاهلين ه من يشاء ط لعطف
الجملتين المتفقتين. بالمهتدين ه
أرضنا ط لا يعلمون ه معيشتها
ج للفصل بين الاستفهام والاخبار
مع فاء التعقيب قليلا ط الوارثين
ه آياتنا ج للعدول مع اتفاق
الجملتين ظالمون ه وزينتها ج
فصلا بين المعنيين المتضادين وأبقى
ط تعقلون ه المحضرين ه
تزعمون ه أغوينا ج غوينا ج
لعدم العاطف مع اتحاد القائل
اليك ج لما قلنا مع زيادة النفي
المقتضي للفصل يعبدون ه العذاب
ج لجواز تعلق لو بمحذوف أي
لو اهتدوا لما لقوا ما لقوا ويجوز
تعلقها بيهتدون والوقف على لهم
أي لو كانوا يهتدون لرأوا العذاب
بقلوبهم يهتدون ه المرسلين ه
لا يتساءلون ه المفلحين ه
ويختار ز وقد يوصل على معنى
ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة
وفيه بعد الخيرة ه يشركون ه
يعلنون ه الا هو ط والآخرة
ز لعطف الجمل ترجعون ه
۞ التفسير انه سبحانه بعد تتميم قصة
موسى أراد أن يبين اعجاز نبينا صلى
الله عليه وسلم فذكر أولا أنه أعطى
موسى الكتاب بعد اهلاك فرعون
وقومه حال كون الكتاب أنوارا
للقلوب وارشادا لأهل الضلال
وسببا لنيل الرحمة ارادة أن
يتذكروا ويجوز أن يعود ترجي
التذكر الى موسى ثم أجمل عظائم
أحوال موسى وبين أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك فقال (وما كنت بجانب الغربي) أي بجانب المكان الواقع في شق
الغرب وهو ناحية الشام التي فيها قضى الى موسى أمر الوحي والاستنباء (وما كنت من الشاهدين) على ذلك فقد يكون الشخص حاضرا
ولا يكون شاهدا ولا مشاهدا قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت فما شاهدت تلك الوقائع فانه يجوز ان يكون هناك

وفي الآخرة الآية . قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج مثل ذلك وقوله ولكن
رحمة من ربك يقول تعالى ذكره لم تشهد شيئا من ذلك يا محمد فتعلمه ولكنا عرفناكه وأنزلناه اليك
فاقتصصنا ذلك كله عليك في كتابنا وابتعثناك بما أنزلنا اليك من ذلك رسولا الى من ابتعثناك اليه من
الخلق رحمة منا لك ولهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولكن رحمة من ربك
ما قصصنا عليك لتنذر قوما الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج
عن مجاهد ولكن رحمة من ربك قال كان رحمة من ربك النبوة وقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير
من قبلك يقول تعالى ذكره ولكن أرسلناك بهذا الكتاب وهذا الدين لتنذر قوما لم يأتهم من قبلك
نذير وهم العرب الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الله اليهم رحمة لينذرهم بأسه
على عبادتهم الأصنام واشراكهم به الأوثان والأنداد وقوله لعلهم يتذكرون يقول ليتذكروا
خطأ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بربهم فينيبوا الى الاقرار لله بالوحدانية وافراده بالعبادة دون
كل ما سواه من الآلهة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولكن رحمة من ربك قال الذي أنزلنا عليك من القرآن
لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة
بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ يقول
تعالى ذكره ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتك يا محمد اليهم لو حل بهم بأسنا أو أتاهم عذابنا من
قبل أن نرسلك اليهم على كفرهم بربهم واكتسابهم الآثام واجترامهم المعاصي ربنا هلا أرسلت الينا
رسولا من قبل أن يحل بنا سخطك وينزل بنا عذابك فنتبع أدلتك وآي كتابك الذي تنزله على
رسولك ونكون من المؤمنين بألوهيتك المصدقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا لعاجلناهم العقوبة
على شركهم من قبل ما أرسلناك اليهم ولكنا بعثناك اليهم نذيرا بأسنا على كفرهم لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل والمصيبة في هذا الموضع العذاب والنقمة ويعني بقوله بما قدمت أيديهم
بما اكتسبوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل
ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون﴾
يقول تعالى ذكره فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يا محمد نذير فبعثناك اليهم نذيرا الحق من عندنا
وهو محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة من الله اليهم قالوا تمردا على الله وتماديا في الغي هلا أوتي هذا
الذي أرسل الينا وهو محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتي موسى بن عمران من الكتاب يقول الله
تبارك وتعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقومك من قريش القائلين لك
لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفر الذين علموا هذه الحجة من اليهود بما أوتي موسى من قبلك
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد قال يهود تأمر قريشا أن تسأل محمدا مثل ما أوتي موسى يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
قل لقريش يقولوا لهم أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

ثني

ولا يشهد ولا يرى ثم قال (ولكنا أنشأنا) بعد عهد موسى الى عهدك (قرونا فتطاول عليهم العمر) فاندرست العلوم والشرائع ووجب ارسالك الى آخرهم قرنا وهو القرن الذى أنت فيه فأرسلناك وعرفناك أحوال الانبياء وحاصل الآية أنه ذكر سبب الوحى الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب والغرض بيان اعجازه كأنه قال ان فى اخبارك عن هذه الاشياء من غير (٥٣) حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من أهله دلالة ظاهرة على نبوتك ثم فصل ما أجمل فذكر أوّل أمر موسى وبين أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك وهو قوله (وما كنت ثاويا) مقيما (فى أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) قال مقاتل أى لم تشهد أهل مدين وأنت تقرأ على أهل مكة خبرهم ولكنا أرسلناك الى أهل مكة وأنزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك ما علمتها وقال الضحاك يقول يا محمد انك لم تكن رسولا الى أهل مدين تتلو عليهم الكتاب وانما الرسول غيرك (ولكنا كنا مرسلين) فى كل زمان رسولا فأرسلنا الى أهل مدين شعيبا وأرسلناك الى العرب لتكون خاتم الانبياء ثم ذكر أوسط أمر موسى وأشرف أحواله وبين أنه لم يكن هناك فقال (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) الاظهر أنه يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه وعن بعض المفسرين أنه أراد قوله ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها الى قوله المفلحون وقال ابن عباس اذ نادينا أمتك فى أصلاب آبائهم يا أمة محمد أجيبكم قبل أن تدعونى وأعطيكم قبل أن تسألونى وأغفر لكم قبل أن تستغفرونى قال وانما قال الله تعالى ذلك حين اختار موسى سبعين رجلا لميقات ربه وقال وهب لما ذكر الله لموسى فضل امة محمد صلى الله عليه وسلم قال يارب أرنيهم قال انك لن تدركهم وان شئت اسمعتك اصواتهم قال بلى يارب فقال يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم فقال سبحانه أجبتكم قبل أن تدعونى الحديث كما ذكر ابن عباس وروى سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال كتب الله كتابا قبل أن يخلق الخلق بألفى عام ثم وضعه على العرش ثم نادى يا امة محمد ان رحمتى سبقت غضبى أعطيتكم قبل أن تسألونى وغفرت لكم قبل أن تستغفرونى من لقينى منكم

ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى قال اليهود تأمر قريشا ثم ذكر نحوه قالوا ساحران تظاهرا واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة قالوا ساحران تظاهرا بمعنى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل وقالوا له ولمحمد صلى الله عليه وسلم فى قول بعض المفسرين وفى قول بعضهم لموسى وهرون عليهما السلام وفى قول بعضهم لعيسى ومحمد ساحران تعاونا وقرأ عامة قراء الكوفة قالوا سحران تظاهرا بمعنى وقالوا للتوراة والفرقان فى قول بعض أهل التأويل وفى قول بعضهم للانجيل والفرقان واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك على قدر اختلاف القراء فى قراءته ذكر من قال عنى بالساحرين اللذين تظاهرا محمد وموسى صلى الله عليهما حدثنا سليمن بن محمد بن معدى كرب الرعينى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا شعبة عن أبى حمزة قال سمعت مسلم بن يسار يحدث عن ابن عباس فى قول الله ساحران تظاهرا قال موسى ومحمد حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى حمزة قال سمعت مسلم بن يسار قال سألت ابن عباس عن هذه الآية ساحران تظاهرا قال موسى ومحمد حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن أبى حمزة عن مسلم بن يسار أن ابن عباس قرأ ساحران قال موسى ومحمد عليهما السلام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن كيسان أبى حمزة عن مسلم بن يسار عن ابن عباس مثله * ومن قال موسى وهرون عليهما السلام حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ساحران تظاهرا قال يهود لموسى وهرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قالوا ساحران تظاهرا قول يهود لموسى وهرون عليهما السلام حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير وأبى رزين أن أحدهما قرأ ساحران تظاهرا والآخر سحران تظاهرا قال الذى قرأ سحران قال التوراة والانجيل وقال الذى قرأ ساحران قال موسى وهرون * وقال آخرون عنوا بالساحرين عيسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قوله ساحران تظاهرا قال عيسى ومحمد أو قال موسى صلى الله عليه وسلم * ذكر من قال عنوا بذلك التوراة والفرقان ووجه تأويله الى قراءة من قرأ سحران تظاهرا حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سحران تظاهرا يقول التوراة والقرآن حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قالوا سحران تظاهرا يعنى التوراة والفرقان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالوا سحران تظاهرا قال كتاب موسى وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال عنوا به التوراة والانجيل حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن حميد الاعرج عن مجاهد قال كنت الى جنب ابن عباس وهو يتعوّذ بين الركن والمقام فقلت كيف تقرأ سحران أو ساحران فلم يردّ علىّ شيأ فقال عكرمة ساحران وظننت أنه لو كره ذلك أنكره علىّ قال حميد فلقيت عكرمة بعد ذلك

يشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أدخله الجنة قوله (ولكن رحمة) أي ولكنا علمناك (رحمة من ربك) ثم فسر الرحمة بقوله (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) أي في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة وقيل كانت حجة الانبياء قائمة عليهم ولكنه ما بعث اليهم من يجدد تلك الحجة عليهم (٥٤) فبعثه الله تعالى تقريرا لتلك التكاليف وازالة لتلك الفترة قوله (ولولا أن تصيبهم) هي امتناعية وجوابها محذوف والفاء في قوله (فيقولوا) للعطف على أن تصيبهم وقوله (لولا أرسلت) هي تحضيضية والفاء في فنتبع جواب لولا وذلك أن التحضيض في حكم الامر لان كلا منهما بعث على الفعل والمعنى ولولا أنهم قائلون اذا عوقبوا على ما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم والحاصل أن ارسال الرسول لأجل ازالة هذا العذر قال أصحاب البيان القول هو المقصود بأن يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول أدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بفاء السببية تنبيها على أنهم لو لم يعاقبوا على كفرهم ولم يعاينوا العذاب لم يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فالسبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان وفي هذا بيان استحكام كفرهم وتصميمهم قال الجبائي في الآية دلالة على وجوب اللطف والا لم يكن لهم أن يقولوا لولا أرسلت وقال الكعبي فيه دليل على أنه تعالى يقبل حجة العباد فلا يكون فعل العبد بخلق الله والا لكان للكافر أعظم حجة على الله تعالى وقال القاضي فيه ابطال الجبر لان اتباع الآيات لو كان موقوفا على خلق الله فأي فائدة في قولهم هذا ومعارضة الاشاعرة بالعلم والداعي معلومة ثم بين أنهم

وذكرت ذلك له وقلت كيف كان يقرؤها قال كان يقرأ سحران تظاهرا أي التوراة والانجيل * ذكر من قال عنوا به الفرقان والانجيل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك أنه قرأ سحران تظاهرا يعنون الانجيل والفرقان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قالوا سحران تظاهرا قالت ذلك أعداء الله اليهود للانجيل والفرقان فمن قال ساحران فيقول محمد وعيسى ابن مريم * قال أبو جعفر وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه قالوا سحران تظاهرا بمعنى كتاب موسى وهو التوراة وكتاب عيسى وهو الانجيل وانما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لان الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب وهو قوله وقالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى والذي يليه من بعده ذكر الكتاب وهو قوله فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه فالذي بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبه بأن يكون من ذكر غيره واذ كان ذلك هو الأولى بالقراءة فمعلوم أن معنى الكلام قل يا محمد أولم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتي موسى من قبل وقالوا لما أوتي موسى من الكتاب (١) وما أوتيته أنت سحران تعاونا وقوله وقالوا انا بكل كافرون يقول تعالى ذكره وقالت اليهود انا بكل كتاب في الارض من توراة وانجيل وزبور وفرقان كافرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل وخالفه فيه مخالفون ذكر من قال مثل الذي قلنا في ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله انا بكل كافرون قالوا نكفر أيضا بما أوتي محمد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقالوا انا بكل كافرون قال يهود أيضا نكفر بما أوتي محمد أيضا * وقال آخرون بل معنى ذلك وقالوا انا بكل الكتابين الفرقان والانجيل كافرون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك وقالوا انا بكل كافرون يقول بالانجيل والقرآن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وقالوا انا بكل كافرون يعنون الانجيل والفرقان (٢) حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقالوا انا بكل كافرون قال هم أهل الكتاب يقول بالكتابين التوراة والفرقان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقالوا انا بكل كافرون الذي جاء به موسى والذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين للتوراة والانجيل هما سحران تظاهرا ائتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما لطريق الحق ولسبيل الرشاد أتبعه ان كنتم صادقين في زعمكم أن هذين الكتابين سحران وأن الحق في غيرهما وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد

(١) لعله وما أوتيه عيسى تأمل (٢) هذا الاثر والذي بعده يشيران الى أن المراد بكل التوراة والفرقان فلعله سقط من الناسخ هنا شيء تأمل كتبه مصححه

قبل البعثة يتعلقون بشبهة وبعد البعثة يتعلقون بأخرى فلا مقصود لهم الا العناد فقال (فلما جاءهم الحق) أي الرسول المصدق بالكتاب المعجز (قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) من الكتاب المنزل جملة ومن سائر المعجزات كقلب العصا حية واليد البيضاء وفلق البحر فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (أولم يكفروا) وفيه وجوه أحدها أن اليهود أمروا قريشا أن يسألوا محمدا مثل ما أوتي موسى قال

فقال تعالى أولم يكفر هؤلاء اليهود الذين اقترحوا هذا السؤال بموسى مع تلك الآيات الباهرة والذين أوردوا هذا الاقتراح يهود مكة والذين كفروا بموسى من قبل أو بما أوتي موسى من قبل هم الذين كانوا في زمن موسى الا أنه تعالى جعلهم كالشئ الواحد لتجانسهم في الكفر والتعنت وقال الكلبي ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة يسألهم عن محمد وشأنه فقالوا انا نجده في التوراة بنعته

قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قال فقال الله تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فقال الله ائتوني بكتاب من عند الله هو أهدى منهما من هذين الكتابين الذي بعث به موسى والذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فان لم يجبك هؤلاء القائلون للتوراة والانجيل سحران تظاهرا الزاعمون أن الحق في غيرهما من اليهود يا محمد الى أن يأتوك بكتاب من عند الله هو أهدى منهما فاعلم أنما يتبعون أهواءهم وأن الذي ينطقون به ويقولون في الكتابين قول كذب وباطل لا حقيقة له ولعل قائلا أن يقول أولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن ما قال القائلون من اليهود وغيرهم في التوراة والانجيل من الافك والزور المسموهما سحرين باطل من القول الا بأن لا يجيبوه الى اتيانهم بكتاب هو أهدى منهما قيل هذا كلام خرج مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به المقول لهم أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل من كفار قريش وذلك أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قريش أولم يكفر هؤلاء الذين أمروكم أن تقولوا هلا أوتي محمد مثل ما أوتي موسى بالذي أوتي موسى من قبل هذا القرآن ويقولوا للذي أنزل عليه وعلى عيسى سحران تظاهرا فقولوا لهم ان كنتم صادقين أن ما أوتي موسى وعيسى سحر فأتوني بكتاب من عند الله هو أهدى من كتابيهما فان هم لم يجيبوكم الى ذلك فاعلموا أنهم كذبة وأنهم انما يتبعون في تكذيبهم محمدا وما جاءهم به من عند الله أهواء أنفسهم ويتركون الحق وهم يعلمون يقول تعالى ذكره ومن أضل عن طريق الرشاد وسبيل السداد ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله وعهد من الله ويترك عهد الله الذي عهده الى خلقه في وحيه وتنزيله ان الله لا يهدي القوم الظالمين يقول تعالى ذكره ان الله لا يوفق لاصابة الحق وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته وكذبوا رسوله وبدلوا عهده واتبعوا أهواء أنفسهم ايثارا منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد وصلنا يا محمد لقومك من قريش ولليهود من بني اسرائيل القول بأخبار الماضين والنبأ عما أحللنا بهم من بأسنا اذ كذبوا رسلنا وعما نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم واحتذى في الكفر بالله وتكذيب رسله مثالهم ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا وأصله من وصل الحبال بعضها ببعض ومنه قول الشاعر

فقل لبني مروان ما بال ذمة ✽ وحبل ضعيف ما يزال يوصل

❁ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم ببيانهم عن تأويله فقال بعضهم معناه بينا وقال بعضهم معناه فصلنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن ليث عن مجاهد قوله ولقد وصلنا لهم القول قال فصلنا لهم القول حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد وصلنا لهم القول قال وصل الله لهم القول في هذا القرآن يخبرهم كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع لعلهم يتذكرون حدثنا القاسم قال ثنا محمد بن عيسى

وصفته فلما رجع الرهط اليهم فأخبروهم بقول اليهود قالوا انه كان ساحرا كما أن محمدا ساحر فقال الله تعالى في حقهم (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) وقال الحسن قد كان للعرب أصل في أيام موسى فالتقدير أولم يكفر آباؤهم بأن قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا أي تعاونا وقال قتادة أولم يكفر اليهود في عصر محمد بما أوتي موسى من قبل من البشارة بعيسى ومحمد عليه السلام (قالوا ساحران) والاظهر أن كفار مكة وقريش كانوا منكرين لجميع النبوات ثم انهم طلبوا من محمد معجزات موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى بل بما أوتي جميع الانبياء من قبل فعلم أنه لا غرض لهم في هذا الاقتراح الا التعنت من قرأ ساحران بالالف فظاهر وأما من قرأ سحران فاما بمعنى ذوي سحر أو على جعلهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر أو على ارادة نوعين من السحر أو على أن المراد هو القرآن والتوراة وضعفه أبو عبيدة بأن المظاهرة بالناس وأفعالهم أشبه منها بالكتب وأجيب بأن الكتابين لما كان كل واحد منهما يقوي الآخر لم يبعد أن يقال على سبيل المجاز تعاونا كما يقال تظاهرت الأخبار وفي تكرار قالوا وجهان أحدهما قالوا ساحران مرة (وقالوا انا بكل) من موسى ومحمد أو بكل من الكتابين (كافرون) مرة وثانيهما أن يكون قوله وقالوا معطوفا على أولم يكفروا ثم عجزهم بقوله (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) أي مما أنزل على موسى ومما أنزل علي قال ابن عباس (فان لم يستجيبوا لك) معناه فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج وقال مقاتل فان لم يمكنهم أن يأتوا بكتاب أفضل منهما وهذا أشبه بالآية وهذا الشرط شرط يدل بالامر المتحقق لصحته والا فالظاهر أن لو قيل فاذ لم يستجيبوا ويجوز

أن يقصد بحرف الشك التهكم وانما لم يقل فان لم يأتوا الان قوله فأتوا أمر والامر دعاء الى الفعل فناسب الاستجابة والتقدير فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم صاروا محجوجين ولم يبق لهم شئ الا اتباع الهوى وفي قوله (ومن أضل ممن اتبع هواه) حال كونه (بغير هدى من الله) اشارة الى فساد

استدلت الاشاعرة بقوله (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) اى الذين وضعوا الهوى مكان الهدى على أن هداية الله تعالى خاصة بالمؤمن وقالت المعتزلة الالطاف منها ما يحسن فعلها مطلقا ومنها ما لا يحسن الا بعد الايمان واليه الاشارة بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والآية محمولة على القسم الثانى دون الاول والا كان عدم الهداية عذرا لهم ثم أجاب عن قولهم هلا أوتى محمد كتابه دفعة واحدة بقوله (ولقد وصلنا) أى أنزلنا عليهم القرآن انزالا متصلا بعضه فى أثر بعض ليكون ذلك أقرب الى التذكر والتذكير والتنبيه فانهم يطلعون فى كل يوم على فائدة زائدة وحكمة جديدة ويجوز أن يراد بتوصيل القول جعل بيان على اثر بيان والمعنى أن القرآن أتاهم متتابعا متواصلا ووعدا ووعيدا وقصصا وعبرا الى غير ذلك من معانى القرآن ارادة أن يتعظوا فيفلحوا ويحتمل أن يكون المراد بينا الدلالة على كون هذا القرآن معجزا مرة بعد أخرى وحين أقام الدلالة على النبوة أكد ذلك بقوله (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى من قبل القرآن (هم به يؤمنون) قال قتادة انها نزلت فى أناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة حقة يتمسكون بها فلما بعث الله محمدا آمنوا به من جملتهم سلمان وعبدالله بن سلام وقال مقاتل نزلت فى أربعين من مسلمى اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة فى السفينة وثمانية جاؤا من الشام وعن رفاعة بن قرظة نزلت فى عشرة أنا أحدهم والتحقيق أن كل من حصل فى حقه هذه الصفة يكون داخلا فى الآية لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم حكى عنهم ما يدل على تأكيد ايمانهم وقوله (انه الحق من ربنا) تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله يوجب الايمان به وقوله (انا كنا من قبله مسلمين) بيان لقولهم آمنا به لان ايمانهم احتمل أن يكون

أبو جعفر عن سفيان بن عيينة وصلنا بينا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد وصلنا لهم الخبر خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة وشهدوها فى الدنيا بما نريهم من الآيات فى الدنيا وأشباهها وقرأ ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة وقال انا سوف نجزهم ما وعدناهم فى الآخرة كما أنجزنا للأنبياء ما وعدناهم نقضى بينهم و بين قومهم واختلف أهل التأويل فيمن عنى بالهاء والميم من قوله ولقد وصلنا لهم فقال بعضهم عنى بهما قريشا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولقد وصلنا لهم القول قال قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولقد وصلنا لهم القول قال لقريش حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون قال يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون عنى بهما اليهود ذكر من قال ذلك حدثني بشر بن آدم قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا حماد ابن سلمة قال ثنا عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن رفاعة القرظى قال نزلت هذه الآية فى عشرة أنا أحدهم ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون حدثنا ابن سنان قال ثنا حيان قال ثنا حماد عن عمرو عن يحيى بن جعدة عن عطية القرظى قال نزلت هذه الآية ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون حتى بلغ انا كنا من قبله مسلمين فى عشرة أنا أحدهم فكأن ابن عباس أراد بقوله يعنى محمدا لعلهم يتذكرون عهد الله فى محمد اليهم فيقرون بنبوته و يصدقونه وقوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون يعنى بذلك تعالى ذكره قوما من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدقوه فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن هم بهذا القرآن يؤمنون فيقرون أنه حق من عند الله و يكذب جهلة الأميين الذين لم يأتهم من الله كتاب و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قال يعنى من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به الى قوله لا نبتغى الجاهلين فى مسلمة أهل الكتاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله الى قوله الجاهلين قال هم مسلمة أهل الكتاب قال ابن جريج أخبرنى عمرو بن دينار أن يحيى بن جعدة أخبره عن على بن رفاعة قال خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم أبو رفاعة يعنى أباه الى النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا فأوذوا فنزلت الذين آتيناهم الكتاب من قبله قبل القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قال كنا نحدث أنها نزلت فى أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق يأخذون بها وينتهون اليها حتى بعث الله

محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوا به فأعطاهم الله أجرهم مرتين بصبرهم على الكتاب الاول واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وصبرهم على ذلك وذكر أن منهم سلمان وعبد الله بن سلام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله من قبله مسلمين ناس من أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والانجيل ثم أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فآتاهم الله أجرهم مرتين بما صبروا بايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وباتباعهم اياه حين بعث فذلك قوله انا كنا من قبله مسلمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾ يقول تعالى ذكره واذا يتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول هذا القرآن قالوا آمنا به يقول يقولون صدقنا به انه الحق من ربنا يعني من عند ربنا نزل انا كنا من قبل نزول هذا القرآن مسلمين وذلك أنهم كانوا مؤمنين بما جاءت به الانبياء قبل مجيء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم من الكتب وفي كتبهم صفة محمد ونعته فكانوا به وبمبعثه وبكتابه مصدقين قبل نزول القرآن فلذلك قالوا انا كنا من قبله مسلمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم يؤتون ثواب عملهم مرتين بما صبروا واختلف أهل التأويل في معنى الصبر الذي وعد الله ما وعد عليه فقال بعضهم وعدهم ما وعد جل ثناؤه بصبرهم على الكتاب الاول واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وصبرهم على ذلك وذلك قول قتادة وقد ذكرناه قبل * وقال آخرون بل وعدهم بصبرهم بايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وباتباعهم اياه حين بعث وذلك قول الضحاك بن مزاحم وقد ذكرناه أيضا قبل ومن وافق قتادة على قوله عبد الرحمن ابن زيد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انا كنا من قبله مسلمين على دين عيسى فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا فكان لهم أجرهم مرتين بما صبروا أول مرة ودخلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الاسلام * وقال قوم في ذلك بما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال ان قوما كانوا مشركين أسلموا فكان قومهم يؤذونهم فنزلت أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة يقول ويدفعون بحسنات أفعالهم التي يفعلونها سيآتهم ومما رزقناهم من الاموال ينفقون في طاعة الله اما في جهاد في سبيل الله واما في صدقة على محتاج أو في صلة رحم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين قال الله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وأحسن الله عليهم الثناء كما تسمعون فقال ويدرؤن بالحسنة السيئة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ يقول تعالى ذكره واذا سمع هؤلاء القوم الذين آتيناهم الكتاب اللغو وهو الباطل من القول كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين لا يجارون

قريب العهد وأن يكون بعيده فأخبروا أن ايمانهم به متقادم وذلك لما وجدوا في كتب الأنبياء من البشارة بمقدمه فأذعنوا له وتلقوه بالقبول كما هو شأن كل مسلم ومعنى (من قبله) أي من قبل وجوده ونزوله وفي قوله (يؤتون أجرهم مرتين) أقوال بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على أذى المشركين وعلى أذى أهل الكتاب أو بصبرهم (٥٧) على الايمان بالقرآن قبل نزوله وعلى الايمان به بعد نزوله وهذا أقرب لانه لما بين أنهم آمنوا بعد البعثة وبين أنهم كانوا مؤمنين به قبل البعث ثم أثبت لهم الاجر مرتين وجب أن ينصرف الى ذلك (ويدرؤن بالحسنة) وهي الطاعة (السيئة) وهي المعاصي المتقدمة أي يدفعون بالحلم الاذى يروى أنهم لما أسلموا لعنهم أبو جهل فسكتوا عنه وقال السدي عاب اليهود عبد الله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم مدحهم بالايمان ثم بالطاعات البدنية ومكارم الاخلاق ثم بالطاعات المالية وهو الانفاق مما رزقهم ثم بالتحمل والتواضع وانما يجب ان يقوله الحليم في معارضة السفيه وهو قوله (واذا سمعوا اللغو) وهو كل ما ينبغي أن يلقى ويترك (أعرضوا عنه وقالوا) لاهل ذلك اللغو (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) سلام توديع ومتاركة (لا نبتغي الجاهلين) لا نطلب مخالطتهم وعشرتهم ولا نجازيهم بالباطل على باطلهم وهذا خلق مندوب اليه ولو بعد الامر بالقتال فلا نسخ ثم ذكر أن الهداية انما تتعلق بمشيئة الله قال الزجاج أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب وذلك أنه قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله قال قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يقال جبن عند الموت وقد مر مثل هذا النقل في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه واعلم أنه لا منافاة بين هذه الآية وبين قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم لان الذي نفاه هداية التوفيق وشرح

الصدر والتى أثبتها هداية الدعوة والبيان وبحث الاشاعرة والمعتزلة ههنا معلوم وحيث بين أن وضوح الدلائل لا يكفى ما لم ينضم اليه هداية الله سبحانه حكى عنهم شبهة أخرى متعلقة بالدنيا وذلك أنهم (قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) يروى أن الحرث بن عثمان ابن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله (٥٨) صلى الله عليه وسلم انا لنعلم أن الذى تقوله حق ولكن يمنعنا من ذلك أن تسلبنا العرب بسرعة أى يجتمعون على محاربتنا ويخرجوننا فأجاب الله سبحانه عن شبهتهم بقوله (أولم نمكن لهم حرما آمنا) يروى أن العرب كانوا يشتغلون بالنهب والغارة خارج الحرم وما كانوا يتعرضون البتة لسكان الحرم وقد زاد الله حرمته بقوله ومن دخله كان آمنا وبين مزيته بقوله (يجبى اليه ثمرات كل شئ) قالوا الكل ههنا بمعنى الأكثر قلت يحتمل أن يكون على أصله وانتصب رزقا على أنه مصدر لأن يجبى بمعنى يرزق أو على أنه مفعول لاجله وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة وحاصل الجواب أنه لما جعل الحرم آمنا وأكثر فيه الرزق حال كونهم معرضين عن عبادة الله تعالى مقبلين على عبادة الأوثان فبقاء هذه الحالة مع الايمان أولى ولا يخفى أن التخطف على تقدير وقوعه لا يصلح عذرا لعدم الايمان فان درجة الشهادة أعلى وأجل ومضرة التخطف أهون من العقاب الدائم الا أنه تعالى احتج عليهم بما هو معلوم من عادة العرب وهو أنهم كانوا لا يتعرضون لقطان الحرم والامر البين للحس أولى بأن يفحم به الخصم فلذلك قدمه الله تعالى وفى الآية دلالة على صحة المحاجة لازالة شبهة المبطلين قالت الاشاعرة الأرزاق انما تصل اليهم على ايدى الناس وقد أضاف الرزق الى نفسه فدل ذلك على أن أفعال العباد مستندة الى الله ومن تأمل فى الآية علم أن العبد يجب أن لا يخاف ولا يرجو الا من الله عن
ثم أجاب عن شبهتهم بحديث آخر مخلوط بالوعيد وانتصب معيشتها بنزع الخافض كقوله واختار موسى قومه أو على أنه ظرف مكان مجازا كان النظر استقر فى المعيشة أو على حذف المضاف أى بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم أو بتضمين بطرت معنى كفرت وعطلت

أهل الجهل والباطل فى باطلهم أتاهم من أمر الله ما وقذهم عن ذلك * وقال آخرون عنى باللغو فى هذا الموضع ما كان أهل الكتاب ألحقوه فى كتاب الله مما ليس هو منه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا الى آخر الآية قال هذه لأهل الكتاب اذا سمعوا اللغو الذى كتب القوم بأيديهم مع كتاب الله وقالوا هو من عند الله اذا سمعه الذين أسلموا ومروا به يتلونه أعرضوا عنه وكأنهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مسلمين على دين عيسى ألا ترى أنهم يقولون انا كنا من قبله مسلمين * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن منصور عن مجاهد واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم قال نزلت فى قوم كانوا مشركين فأسلموا فكان قومهم يؤذونهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جويرية عن منصور عن مجاهد قوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم قال كان ناس من أهل الكتاب أسلموا فكان المشركون يؤذونهم فكانوا يصفحون عنهم يقولون سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وقوله أعرضوا عنه يقول لم يصغوا اليه ولم يستمعوه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وهذا يدل على أن اللغو الذى ذكره الله فى هذا الموضع انما هو ما قاله مجاهد من أنه سماع القوم ممن يؤذيهم بالقول ما يكرهون منه فى أنفسهم وانهم أجابوهم بالجميل من القول لنا أعمالنا قد رضينا بها لانفسنا ولكم أعمالكم قد رضيتم بها لانفسكم وقوله سلام عليكم يقول أمنة لكم منا أن نسابكم أو تسمعوا منا ما لا تحبون لا نبتغى الجاهلين يقول لا نريد محاورة أهل الجهل ومسابتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لا تهدى من أحببت هدايته ولكن الله يهدى من يشاء أن يهديه من خلقه بتوفيقه للايمان به وبرسوله ولو قيل معناه انك لا تهدى من أحببته لقرابته منك ولكن الله يهدى من يشاء كان مذهبا وهو أعلم بالمهتدين يقول جل ثناؤه والله أعلم من سبق له فى علمه أنه يهتدى للرشاد ذلك الذى يهديه الله فيسدده ويوفقه وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبى طالب عمه من اجابته اذ دعاه الى الايمان بالله الى ما دعاه اليه من ذلك ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب والحسين بن على الصدائى قالا ثنا الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرنى قريش لأقررت عينك فأنزل الله انك لا تهدى من أحببت الآية حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن يزيد بن كيسان قال ثنى أبو حازم الاشجعى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه قل لا اله الا الله ثم ذكر مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن يزيد بن كيسان سمع أبا حازم الأشجعى يذكر عن أبى هريرة قال لما حضرت وفاة أبى طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عماه قل لا اله الا الله فذكر مثله الا أنه قال لولا أن تعيرنى قريش يقولون ما حمله عليه الا جزع الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبيد

والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه ومعنى (إلا قليلا) قال ابن عباس أى لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة ويجوز أن يكون شؤم معاصيهم بقى فى ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يسكن إلا قليلا (وكنا نحن الوارثين) كقوله ولله ميراث السموات والارض لانه الباقى بعد فناء خلقه ثم كان لسائل أن يقول ما بال (٥٩) الكفرة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم يهلكوا مع تماديهم فى الغى فقال (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها) أى فى القرية التى هى قصبتها وأصلها وغيرها من توابعها وأعمالها (رسولا يتلوا عليهم آياتنا) بوحى وتبليغ وذلك لتأكيد الحجة وقطع المعذرة قال فى الكشاف يحتمل أن يراد وما كان فى حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى فى الارض حتى يبعث فى أم القرى يعنى مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وكان لقائل أن يقول ما بال الكفار بعد مبعث محمد لم يهلكهم الله مع تكذيبهم وجحودهم فقال (وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون) بالشرك وأهل مكة ليسوا كذلك فمنهم من قد آمن ومنهم من سيؤمن ومنهم من يخرج من نسله من يؤمن ثم أجاب عن شبهتهم بجواب ثالث وذلك أن حاصل شبهتهم أن قالوا تركنا الدين لاجل الدنيا فبين تعالى بقوله (وما أوتيتم من شئ) الآية أن ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله خير وأبقى لانه أكثر وأدوم ونبه على جهلهم بقوله (أفلا تعقلون) ويرحم الله الشافعى حيث قال اذا أوصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير نظير الآية قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت قال اهل البرهان انما قال فى هذه السورة وما أوتيتم بالواو وفى الشورى فما أوتيتم بالفاء لانه لم يتعلق بما قبله ههنا كثير تعلق وقد تعلق فى الشورى بما قبلها أشد تعلق ولانه عقب ما لهم من المخافة ما أوتوه من الأمنة والفاء حرف التعقيب والواو لمجرد العطف وانما زاد فى هذه السورة وزينتها لان المراد ههنا جميع أعراض الدنيا من الضرورات ومن الزين فالمتاع ما لا غنى عنه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن والمنكوح والزينة

عن يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحو حديث أبى كريب والصدائى حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال ثنى يونس عن الزهرى قال ثنى سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى وأنزل الله فى أبى طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى الآية حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبيه بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن أبى سعيد بن رافع قال قلت لابن عمر انك لا تهدى من أحببت نزلت فى أبى طالب قال نعم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله انك لا تهدى من أحببت قال قول محمد لابى طالب قل كلمة الاخلاص أجادل عنك بها يوم القيامة قال محمد بن عمرو فى حديثه قال يا ابن أخى ملة الاشياخ أو سنة الاشياخ وقال الحرث فى حديثه قال يا ابن أخى ملة الأشياخ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انك لا تهدى من أحببت قال قال محمد لأبى طالب اشهد بكلمة الاخلاص أجادل عنك بها يوم القيامة قال أى ابن أخى ملة الأشياخ فأنزل الله انك لا تهدى من أحببت قال نزلت هذه الآية فى أبى طالب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انك لا تهدى من أحببت ذكر لنا أنها نزلت فى أبى طالب (١) قال الاصم عند موته يقول لا اله الا الله لكيما تحل له بها الشفاعة فأبى عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر لما حضر أبا طالب الموت قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عماه قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال له يا ابن أخى انه لولا أن يكون عليك عار لم أبال أن أفعل فقال له ذلك مرارا فلما مات اشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا ما تنفع قرابة أبى طالب منك فقال بلى والذى نفسى بيده انه الساعة لفى ضحضاح من النار عليه نعلان من نار تغلى منهما أم رأسه وما من أهل النار من انسان هو أهون عذابا منه وهو الذى أنزل الله فيه انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقوله وهو أعلم بالمهتدين يقول وهو أعلم بمن قضى له الهدى كالذى حدثنى محمد بن عمرو

(١) الذى فى الدر عن قتادة قال التمس منه عند موته أن يقول الخ فتنبه كتبه مصححه

وغيرها كالثياب الفاخرة والمراكب الرائعة والدور المشيدة وأما في الشورى فلم يقصد الاستيعاب بل ما هو مطلوبهم في تلك الحالة من النجاة والامن في الحياة فلم يحتج الى ذكر الزينة ثم زاد البيان المذكور تأكيدا بقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه) لان وعد الله يترتب عليه الانجاز البتة وصاحبه يلقى الموعود (٦٠) لا محالة وتقدير الكلام أبعد التفاوت المذكور بين ما عند الله وبين متاع الحياة الدنيا يسوى بين أهل الجنة وبين أبناء الدنيا ومعنى ثم في قوله (ثم هو يوم القيامة) تراخي حال الاحضار عن حال التمتع لا تراخي وقته عن وقته وتخصيص لفظ المحضرين بالذين أحضروا للعذاب أمر عرف من القرآن قال الله تعالى لكنت من المحضرين فانهم لمحضرون ويمكن أن يقال ان في اللفظ اشعارا به لان الاحضار مشعر بالتكليف والالزام وذلك لا يليق بمجالس اللذة والانس وانما يليق بمواضع الاكراه والوحشة قيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة ثم ذكر من وصف القيامة قائلا (ويوم يناديهم) أي فاذكر ذلك اليوم ومعنى الاستفهام في (أين) التوبيخ والتهكم ومفعولا (تزعمون) محذوفان تقديره تزعمونهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) أي وجب وثبت وهو مفهوم لأملأن جهنم وهم الشياطين ورؤساء الكفر و(هؤلاء) مبتدأ و(الذين أغوينا) صفته والعائد الى الموصول محذوف والخبر أغويناهم والتقدير هؤلاء الذين أغويناهم أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا قال أهل السنة أرادوا كما أن فوقنا مغوين اغوونا بقسر والجاء فنحن أيضا أغويناهم بالوسوسة والتسويل وبكل ما أمكن حتى غووا وقالت المعتزلة يعنون أنا ما غوينا إلا باختيارنا فكذلك هم ما غووا إلا باختيارهم وان اغواءنا ما ألجأهم الى الغواية بل كانوا مختارين في الاقدام على تلك العقائد والاعمال فيكون كما حكى عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ثم قالوا (تبرأنا اليك) منهم ومن عقائدهم وأعمالهم (ما كانوا ايانا يعبدون) انما كانوا يعبدون هؤلاء أهواءهم الفاسدة واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين

قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وهو أعلم بالمهتدين قال بمن قدر له الهدى والضلالة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وقالت كفار قريش ان نتبع الحق الذي جئتنا به معك ونتبرأ من الانداد والآلهة يتخطفنا الناس من أرضنا باجماع جميعهم على خلافنا وحربنا يقول الله لنبيه فقل أولم نمكن لهم حرما يقول أولم نوطئ لهم بلدا حرمنا على الناس سفك الدماء فيه ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء وأمنا على أهله من أن يصيبهم بها غارة أو قتل أو سباء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس أن الحرث بن نوفل الذي قال ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا وزعموا أنهم قالوا قد علمنا أنك رسول الله ولكنا نخاف أن نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم الآية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا قال هم أناس من قريش قالوا لمحمد ان نتبعك يتخطفنا الناس فقال الله أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويتخطف الناس من حولهم قال كان يغير بعضهم على بعض وبنحو الذي قلنا في معنى قوله أولم نمكن لهم حرما آمنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا قال الله أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ يقول أولم يكونوا آمنين في حرمهم لا يغزون فيه ولا يخافون يجبى اليه ثمرات كل شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة أولم نمكن لهم حرما آمنا قال كان أهل الحرم آمنين يذهبون حيث شاؤا واذا خرج أحدهم فقال اني من أهل الحرم لم يتعرض له وكان غيرهم من الناس اذا خرج أحدهم قتل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولم نمكن لهم حرما آمنا قال آمنا كم به قال هي مكة وهم قريش وقوله يجبى اليه ثمرات كل شئ يقول يجمع اليه وهو من قولهم جبيت الماء في الحوض اذا جمعته فيه وانما أريد بذلك يحمل اليه ثمرات كل بلد كما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن مجاهد عن ابن عباس في يجبى اليه ثمرات كل شئ قال ثمرات الارض وقوله رزقا من لدنا يقول ورزقا رزقناهم من لدنا يعني من عندنا ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر هؤلاء المشركين القائلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا لا يعلمون أنا نحن الذين مكنا لهم حرما آمنا ورزقناهم فيه وجعلنا الثمرات من كل أرض تجبى اليهم فهم بجهلهم بمن فعل ذلك بهم يكفرون لا يشكرون من أنعم عليهم بذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين﴾ يقول تعالى ذكره وكم أهلكنا من قرية أبطرتها معيشتها

معيشتها فبطرت وأشرت وطغت فكفرت ربها وقيل بطرت معيشتها بجعل الفعل للقرية وهو فى الاصل للمعيشة كما يقال اسفهك رأيك فسفهته وأبطرك مالك فبطرته والمعيشة منصوبة على التفسير وقد بينا نظائر ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها قال البطر أشر أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصى الله وقال ذلك البطر فى النعمة فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا يقول فتلك دور القوم الذين أهلكناهم بكفرهم بربهم ومنازلهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا يقول خربت من بعدهم فلم يعمر منها الا أقلها وأكثرها خراب ولفظ الكلام وان كان خارجا على أن مساكنهم قد سكنت قليلا فان معناه فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا منها كما يقال قضيت حقك الا قليلا منه وقوله وكنا نحن الوارثين يقول ولم يكن لما خربنا من مساكنهم منهم وارث وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها لا مالك لها الا الله الذى له ميراث السموات والارض ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون﴾ يقول تعالى ذكره وما كان ربك يا محمد مهلك القرى التى حوالى مكة فى زمانك وعصرك حتى يبعث فى أمها رسولا يقول حتى يبعث فى مكة رسولا وهى أم القرى يتلو عليهم آيات كتابنا والرسول محمد صلى الله عليه وسلم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى يبعث فى أمها رسولا وأم القرى مكة وبعث الله اليهم رسولا محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون يقول ولم نكن لنهلك قرية وهى بالله مؤمنة انما نهلكها بظلمها أنفسها بكفرها بالله وانما أهلكنا أهل مكة بكفرهم بربهم وظلم أنفسهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون قال الله لم يهلك قرية بايمان ولكنه يهلك القرى بظلم اذا ظلم أهلها ولو كانت قرية آمنت لم يهلكوا مع من هلك ولكنهم كذبوا وظلموا فبذلك أهلكوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره وما أعطيتم أيها الناس من شئ من الاموال والاولاد فانما هو متاع تتمتعون به فى هذه الحياة الدنيا وهو من زينتها التى يتزين به فيها لا يغنى عنكم عند الله شيأ ولا ينفعكم شئ منه فى معادكم وما عند الله لاهل طاعته وولايته خير مما أوتيتموه أنتم فى هذه الدنيا من متاعها وزينتها وأبقى يقول وأبقى لاهله لانه دائم لا نفاد له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى قوله وما عند الله خير وأبقى قال خير ثوابا وأبقى عندنا أفلا تعقلون يقول تعالى ذكره أفلا عقول لكم أيها القوم تتدبرون بها فتعرفون بها الخير من الشر وتختارون لأنفسكم خير المنزلتين على شرهما وتؤثرون الدائم الذى لا نفاد له من النعيم على الفانى الذى لا بقاء له ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن

لمعنى الجملة الأولى وحين حكى التوبيخ المذكور ثم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر اعتذارا ذكر ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم وهو قوله (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) زعم جم غفير من المفسرين أن جواب لو محذوف فقال الضحاك ومقاتل يعنى المتبوع والتابع يرون العذاب ولو أنهم كانوا (٦١) يهتدون فى الدنيا ما أبصروه فى الآخرة واعلموا أن العذاب حق أو لو كانوا يهتدون بوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب وقيل أراد ورأوا العذاب لو كانوا يبصرون شيأ ولكنهم صاروا مبهوتين بحيث لا يبصرون شيأ فلا جرم ما رأوه وقيل الضمير للاصنام أى لو كانوا أحياء مهتدين لشاهدوا العذاب وقيل لو للتمنى أى تمنوا لو كانوا مهتدين ثم بكتهم بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل ومعنى (عميت عليهم الانباء) أن أخبار المرسلين والمرسل اليهم صارت كالعمى عليهم جميعا لا يهتدون اليهم فهم لا يتساءلون كما يسأل بعض الناس بعضا فى المشكلات لانهم متساوية الاقدام فى العجز عن الجواب واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتلعثمون فى الجواب عن مثل هذا السؤال كما قال سبحانه يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا فما ظنك بضلال أممهم قال القاضى الآية تدل على بطلان قول المجبرة لان فعلهم لو كان خلقا من الله تعالى وجب وقوعه بالقدرة والارادة ولما عميت عليهم الانباء ولقالوا انما كذبنا الرسل من جهة خلقك فينا تكذيبهم ومن جهة القدرة الموجبة لذلك وكذا القول فيما تقدم لان الشيطان كان له أن يقول انما أغويت لخلقك فى الغواية وانما قبل من دعوته لمثل ذلك لتكون الحجة لهم على الله قوية والعذر ظاهرا وعارضته الاشاعرة بالعلم والداعى والذى اعتمد عليه القاضى فى دفع هذا المشكل المعضل فى كتبه الكلامية قوله خطأ قول من يقول انه يمكن وخطأ قول من يقول انه لا يمكن فالواجب السكوت وزيفه الاشعرى بأن الكافر لو أورد هذا السؤال على ربه لما كان لربه عنه جواب الا السكوت فتكون حجة الكافر قوية وعذره ظاهرا ولقائل أن يقول السكوت عن جواب الكافر جواب كما قيل جواب الأحمق السكوت وحين فرغ من توبيخ

متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ يقول تعـالى ذكره أفمن وعدناه من خلقنا على طاعتـه ايانا الجنة فآمن بمـا وعدناه وصـدق وأطاعنا فاستحق بطاعته ايانا أن نجزله ما وعدناه فهو لاق ما وعد وصائر اليـه كمن متعناه فى الحياة الدنيا متاعها فتمتع به ونسى العمل بمـا وعدنا أهل الطاعة وترك طلبه وآثر لذة عاجلة على آجلة ثم هو يوم القيامة اذا ورد على الله من المحضرين يعنى من المشهدين عذاب الله وأليم عقابه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهـل التأويل ذكر من قال ذلك *حدثنا* بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قوله أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه قال هو المؤمن سمع كتاب الله فصدّق به وآمن بما وعد الله فيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا وهو هذا الـكافر ليس والله كالمؤمن ثم هو يوم القيامة من المحضرين أى فى عذاب الله *حدثنا* محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى *وحدثنى* الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهـد قال ابن عمرو فى حديثه قوله من المحضرين قال احضروها وقال الحرث فى حديثـه ثم هو يوم القيامـة من المحضرين أهـل النار أحضروها *حدثنا* القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهـد ثم هو يوم القيـامة من المحضرين قال أهل النار أحضروها واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وفى أبى جهل بن هشام ذكر من قال ذلك *حدثنا* ابن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبـد الله العجلى قال ثنا شـعبة عن أبان ابن تغلب عن مجاهـد أفمن وعدناه وعدا حسـنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وفى أبى جهل بن هشام *حدثنا* القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أفمن وعدناه وعدا حسـنا فهو لاقيه قال النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون نزلت فى حمزة وعلى رضى الله عنهما وأبى جهل لعنه الله ذكر من قال ذلك *حدثنا* ابن المثنى قال ثنا بدل بن المحبر التغلبى قال ثنا شعبة عن أبان بن تغلب عن مجاهد أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال نزلت فى حمزة وعلى بن أبى طالب وأبى جهـل * قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن أبان بن تغلب عن مجاهد قال نزلت فى حمزة وأبى جهل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم ينـاديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهـم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينـا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون﴾ يقول تعـالى ذكره ويوم ينـادى رب العزة الذين أشركوا به الأنداد والأوثان فى الدنيـا فيقول لهم أين شركائى الذين كنتم تزعمون أنهم لى فى الدنيا شركاء قال الذين حق عليهم القول يقول قال الذين وجب عليهم غضب الله ولعنته وهم الشياطين الذين كانوا يغوون بنى آدم ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك *حدثنا* القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فى قوله هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا قال هم الشياطين وقوله تبرأنا اليك يقول تبرأنا من ولايتهم ونصرتهم اليك ما كانوا ايانا يعبدون يقول لم يكونوا

الكفار وتهـديدهم أتبعه ذكر التائبين وأنهم من المفلحين وعسى من الكريم تحقيق أو الترجى عائد الى التائب ثم ان القوم كانوا يذكرون شبهة أخرى وهى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فأجاب الله تعالى عنها بقوله (وربك يخلق ما يشاء ويختار) لانه المـالك المطلق المنزه عن النفع والضر فله أن يخص من شاء بمـا شاء وعلى مذهب المعتزلة هو حكيم فلا يفعل الا الحكمة والخير وقوله (ما كان لهم الخـيرة) بيـان لقوله ويختار والخيرة من التخير كالطيرة من التطـير فى أنه اسم مستعمل بمعـنى المصـدر وهو التخير وهو بمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقـه وقدمر فى الوقف أن بعضهم يقف على ما يشاء ثم يقول ويختار ما كان لهم الخيرة قال أبو القاسم الانصارى يعلم من هذا متعلق المعتزلة فى ايجاب الصـلاح والاصلح عليـه وأى صـلاح فى تكليف من علم أنه لا يؤمن بالله ولو لم يكلفه لاستحق الجنة والنعيم من فضـل الله فان قيل انمـا كلفه ليستوجب على الله ما هو الافضل لان المستحق أفضل من المتفضل به قلنا اذا علم أن ذلك الافضل لا يحصل فتوريطه للعقاب الابدى لا يكون رعاية للصلحة ثم قولهـم المستحق خير من المتفضل به ممنوع لان ذلك التفاوت انمـا يحصـل فى حق من يستنكف من تفضله أما الذى حصـل ذاته وصفاته باحسانه فكيف يستنكف من تفضله قلت لقـائل أن يقول مجرد الاستبعاد لا يصلح للمنع على أن لذة الاجر يستحيل أن تحصل بدون الاجر ثم نزه نفسه بقوله (سبحان الله وتعالى عما يشركون) والغرض أن الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال والاهانة والاجلال كلها مفوض وجوبها اليه ليس لاحد فيـه شركة ومنازعة ثم اكد ذلك بقوله (وربك يعلم ما تكن صدورهم) من عداوة نبيه (وما يعلنون) من مطاوعتهم فيه ويحتمل أن يكون عاما يشمل السرائر والظواهر كلها وهو المستأثر بالالهية و(لا اله الا هو) تقرير لمـا قبله (له الحمد فى) الدار (الاولى) على نعمه الفائضة على البر والفاجر (و) فى الدار (الآخرة) كقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا التكليف قال اهل السنة الثواب يستحق عند المعتزلة

يعبدوننا

يعبدوننا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾ يقول تعالى ذكره وقيل للمشركين بالله الآلهة والأنداد فى الدنيا ادعوا شركاءكم الذين كنتم تدعون من دون الله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم يقول فلم يجيبوهم ورأوا العذاب يقول وعاينوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون يقول فودوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا فى الدنيا مهتدين للحق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم ينادى الله هؤلاء المشركين فيقول لهم ماذا أجبتم المرسلين فيما أرسلناهم به اليكم من دعائكم الى توحيدنا والبراءة من الأوثان والأصنام فعميت عليهم الأنباء يومئذ يقول فخفيت عليهم الأخبار من قولهم قد عمى عنى خبر القوم اذا خفى وانما عنى بذلك أنهم عميت عليهم الحجة فلم يدروا ما يحتجون لأن الله تعالى قد كان أبلغ اليهم فى المعذرة وتابع عليهم الحجة فلم تكن لهم حجة يحتجون بها ولا خبر يخبرون به مما تكون لهم به نجاة ومخلص ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فعميت عليهم الأنباء قال الحجج يعنى الحجة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فعميت عليهم الأنباء قال الحجج * قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين قال بلا اله الا الله التوحيد وقوله فهم لا يتساءلون بالأنساب والقرابة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فهم لا يتساءلون قال لا يتساءلون بالأنساب ولا يتماتون بالقرابات انهم كانوا فى الدنيا اذا التقوا تساءلوا وتماتوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فهم لا يتساءلون قال بالأنساب وقيل معنى ذلك فعميت عليهم الحجج يومئذ فسكتوا فهم لا يتساءلون فى حال سكوتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين﴾ يقول تعالى ذكره فأما من تاب من المشركين فأناب وراجع الحق وأخلص لله الألوهة وأفرد له العبادة فلم يشرك فى عبادته شيأ وآمن يقول وصدق بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعمل صالحا يقول وعمل بما أمره الله بعمله فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فعسى أن يكون من المفلحين يقول فهو من المنجحين المدركين طلبتهم عند الله الخالدين فى جنانه وعسى من الله واجب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ يقول تعالى ذكره وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار للولاية الخيرة من خلقه ومن سبقت له منه السعادة وانما قال جل ثناؤه ويختار ما كان لهم الخيرة والمعنى ما وصفت لأن المشركين كانوا فيما ذكر عنهم يختارون أموالهم فيجعلونها

فلا يستحق الحمد بفعله من أهل الجنة وأما أهل النار فلم ينعم عليهم حتى يستحق الحمد منهم والجواب ماذكرناه أن تحميدهم يجرى مجرى التنفس قال القاضى انه يستحق الحمد من أهل النار أيضا بما فعل بهم فى الدنيا من التمكين والتيسير والالطاف وسائر النعم وأنهم باساءتهم لا يخرج ما أنعم الله به عليه من أن يوجب الشكر وقال فى التفسير الكبير فيه نظر لان أهل الآخرة مضطرون الى معرفة الحق فاذا علموا أن التوبة واجبة القبول وأن الشكر مما يوجب الثواب فلا بد أن يتوبوا ويشتغلوا بالشكر ليستحقوا الثواب ويتخلصوا من العقاب ولقائل أن يقول لا يلزم من وجوب قبول التوبة واستحقاق الجزاء على العمل فى دار التكاليف أن يكون الأمر كذلك فى غير دار التكاليف ثم بين بقوله (وله الحكم) أن القضاء بين العباد مختص به فلولا حكمه لما نفذ على العبد حكم سيده ولا على الزوجة حكم زوجها ولا على الابن حكم أبيه ولا على الرعية حكم سلطانهم ولا على الأمة حكم رسولهم والى محل حكمه وقضائه يرجع كل عبيده وامائه ۞ التأويل ولقد آتينا موسى القلب مقام القرب والوحى والمكالمة وكشف العلوم بعد هلاك فرعون النفس وصفاتها لعلهم يتذكرون اذ كانوا فى عالم الارواح مستمعين خطاب ألست بربكم وما كنت فى غرب العدم بل كنت فى شرق الوجود فى عالم الارواح اذ قضينا الى موسى أمر اتخاذ العهد منه أن يؤمن بك كقوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين وما كنت فى عالم الشهادة ولكنا أنشأنا قرونا فى عالم الشهادة فتطاول عليهم العمر فاحتجوا بالنفس وصفاتها ونسوا تلك العهود والمواثيق وما كنت مقيما فى أهل مدين كشعيب وموسى اذ أخذت منهما الميثاق أن يؤمنا بك ولكنا كنا مرسلين للرسل الذين أخذنا الميثاق منهم ولولا أن تصيبهم التقدير ولولا أن مقتضى العناية الأزلية فى حق هذه الأمة ودفع حجتهم علينا فانا ناديناهم وهم فى العدم فأسمعناهم نداءنا ولم نوفقهم للاجابة فلما جاءهم الحق يعنى محمدا وفيه أن له رتبة أن يقول أنا الحق لفنائه عن نفسه بالكلية وبقائه بربه وكل من سواه فليس له أن يقول ذلك الا بطريق المتابعة لولا أوتى مثل ما أوتى لو لم يكونوا محتجبين بكفرهم عن رؤية كماله لقالوا لولا أوتى

مثل ما أوتى محمد من مقام المحبة ومقام لى مع الله وقت بكتاب من عند الله هو أهدى منهما يعنى الكتاب المشتمل على العلم اللدنى فانه أهدى الى الحضرة من الكتب الموقوفة على السماع والمطالعة ومن لم تكن له هذه الرتبة فانه محجوب عن الحضرة بهوى نفسه كما قال فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم الذين آتيناهم (٦٤) حقيقة الكتاب فى عالم الارواح من قبل نزوله فى عالم الاشباح هم به يؤمنون فى عالم الصورة ولهذا قالوا انا كنا من قبله مسلمين ولذلك قال يؤتون أجرهم مرتين أى فى العالمين بما صبروا على مخالفات الهوى وموافقات الشرع ويدرؤن بالاعمال الصالحات ظلمة المعاصى أو بحسنة الذكر صدأ حب الدنيا عن مرآة القلوب أو بحسنة نفى ماسوى الله شرك الوجود المجازى ومما رزقناهم من الوجود المجازى ينفقون فى طلب الوجود الحقيقى واذا سمعوا اللغو وهو طلب ماسوى الله أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا فى طلب الوجود الحقيقى ولكم أعمالكم فى طلب الفانى انك لا تهدى من أحببت وذلك أن للقلب بابين أحدهما الى النفس والجسد وهو مفتوح أبدا والآخر الى الروح والحضرة وهو مغلوق لا يفتحه الا الفتاح الذى بيده كل مفتاح كما قال أم على قلوب أقفالها وقال انا فتحنا لك فتحا مبينا وهو أعلم بالمهتدين الذين أصابهم رشاش النور وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف بجذبات الالوهية من أرض الانانية أولم نمكن لهم حرما آمنا فى مقام الهوية يجبى اليه ثمرات حقائق كل شئ رزقا من العلوم اللدنية ولكن أكثرهم لا يعلمون ذوق العلم اللدنى لم تسكن من بعدهم الا قليلا أى لم تسكن فى قرى القلوب الفاسد استعدادها الا قليلا من نور الاسلام بعبور الخواطر الروحانية فى الاحايين وكنا نحن الوارثين بأن رجع نور الاسلام الى الحضرة بعد فساد الاستعداد حتى يبعث فى أمها أى روحها لأن القلب فكذلك من متولدات الروح رسولا من وارد نفحات الحق الوعد الحسن للعوام الجنة وللخواص الرؤية وللاخص الوصول والوصال كما أوحى الى عيسى تجوّع ترنى تجرد تصل الىّ أغويناهم كما غوينا راعوا طريقة الأدب ولم يقولوا كما أغويتنا مثل ما قال ابليس فبما أغويتنى أى

لآلهتهم فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار للهداية والايمان والعمل الصالح من خلقه ما هو فى سابق علمه أنه خيرتهم نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهتهم خيار أموالهم فكذلك اختيارى لنفسى واجتبائى لولايتى واصطفائى لخدمتى وطاعتى خيار مملكتى وخلقى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة قال كانوا يجعلون خير أموالهم لآلهتهم فى الجاهلية فاذا كان معنى ذلك كذلك فلا شك أن ما من قوله ويختار ما كان لهم الخيرة فى موضع نصب بوقوع يختار عليها وأنها بمعنى الذى فان قال قائل فان كان الامر كما وصفت من أن ما اسم منصوب بوقوع قوله يختار عليها فأين خبر كان فقد علمت أن ذلك اذا كان كما قلت أن فى كان ذكرا من ما ولا بد لكان اذا كان كذلك من تمام وأين التمام قيل ان العرب تجعل لحروف الصفات اذا جاءت الاخبار بعدها أحيانا أخبارا كفعلها بالأسماء اذا جاءت بعدها أخبارها ذكر الفراء أن القاسم بن معن أنشده قول عنترة

أمن سمية دمع العين تذريف * لو كان ذا منك قبل اليوم معروف

فرفع معروفا بحرف الصفة وهو لا شك خبر لذا وذكر أن المفضل أنشده ذلك

* لو أن ذا منك قبل اليوم معروف *

ومنه أيضا قول عمر بن أبى ربيعة

قلت أجيبى عاشقا * بحبكم مكلف * فيها ثلاث كالدمى * وكاعب ومسلف

فمكلف من نعت عاشق وقد رفعه بحرف الصفة وهو الباء فى أشباه لما ذكرنا بكثير من الشواهد فكذلك قوله ويختار ما كان لهم الخيرة رفعت الخيرة بالصفة وهى لهم وان كانت خبرا لما لما جاءت بعد الصفة ووقعت الصفة موقع الخبر فصار كقول القائل كان عمرو أبوه قائم لا شك أن قائما لو كان مكان الاب وكان الاب هو المتأخر بعده كان منصوبا فكذلك وجه رفع الخيرة وهو خبر لما فان قال قائل فهل يجوز أن تكون ما فى هذا الموضع جحدا ويكون معنى الكلام وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار ما يشاء أن يختاره فيكون قوله ويختار نهاية الخبر عن الخلق والاختيار ثم يكون الكلام بعد ذلك مبتدأ بمعنى لم تكن لهم الخيرة أى لم يكن للخلق الخيرة وانما الخيرة لله وحده قيل هذا قول لا يخفى فساده على ذى حجى من وجوه لو لم يكن بخلافه لاهل التأويل قول فكيف والتأويل عمن ذكرنا بخلافه فأما أحد وجوه فساده فهو أن قوله ما كان لهم الخيرة لو كان كما ظنه من ظنه من أن ما بمعنى الجحد على نحو التأويل الذى ذكرت كان انما جحد تعالى ذكره أن تكون لهم الخيرة فيما مضى قبل نزول هذه الآية فأما فيما يستقبلونه فلهم الخيرة لان قول القائل ما كان لك هذا لا شك انما هو خبر عن أنه لم يكن له ذلك فيما مضى وقد يجوز أن يكون له فيما يستقبل وذلك من الكلام لا شك خلف لان ما لم يكن للخلق من ذلك قديما فليس ذلك لهم أبدا وبعد لو أريد ذلك المعنى لكان الكلام فليس وقيل وربك يخلق ما يشاء ويختار ليس لهم الخيرة ليكون نفيا عن أن يكون ذلك لهم فيما قبل وفيما بعد والثانى أن كتاب الله أبين البيان وأوضح الكلام ومحال أن يوجد فيه شئ غير مفهوم المعنى وغير جائز فى الكلام أن يقال ابتداء ما كان لفلان الخيرة ولما يتقدم قبل ذلك كلام يقتضى ذلك

اغويناهم بتقديرك كما غوينا بقضائك وهذا من خصوصية تكريم بني آدم بحفظ البعداء طريقة الادب كما يحفظها أهل القرب على بساط الكرامة ورأوا العذاب يعني لو كانوا يهتدون لرأوا عذاب القطام عن المألوفات والشهوات والله أعلم بالخفيات . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل (٦٥) الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون

فكذلك قوله ويختار ما كان لهم الخيرة ولم يتقدم قبله من الله تعالى ذكره خبر عن أحد أنه ادّعى أنه كان له الخيرة فيقال له ما كان لك الخيرة وانما جرى قبله الخبر عما هو صائر اليه أمر من تاب من شركه وآمن وعمل صالحا وأتبع ذلك جل ثناؤه الخبر عن سبب ايمان من آمن وعمل صالحا منهم وأن ذلك انما هو لاختياره اياه للايمان وللسابق من علمه فيه اهتدى ويزيد ما قلنا من ذلك ابانة قوله وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون فأخبر أنه يعلم من عباده السرائر والظواهر ويصطفي لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة والعلانية الرضية والثالث أن معنى الخيرة في هذا الموضع انما هو الخيرة وهو الشيء الذي يختار من البهائم والانعام والرجال والنساء يقال منه أعطى الخيرة والخيرة مثل الطيرة والطيرة وليس بالاختيار واذا كانت الخيرة ما وصفنا فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال وربك يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء لم يكن لهم خير بهيمة أو خير طعام أو خير رجل أو امرأة فان قال فهل يجوز أن تكون بمعنى المصدر قيل لا وذلك أنها اذا كانت مصدرا كان معنى الكلام وربك يخلق ما يشاء ويختار كون الخيرة لهم واذا كان ذلك معناه وجب أن لا تكون الشرار لهم من البهائم والانعام واذا لم يكن لهم شرار ذلك وجب أن لا يكون لها مالك وذلك ما لا يخفى خطؤه لان لخيارها ولشرارها أربابا يملكونها بتمليك الله اياهم ذلك وفي كون ذلك كذلك فساد توجيه ذلك الى معنى المصدر وقوله سبحان الله وتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره تنزيها لله وتبرئة له وعلوا عما أضاف اليه المشركون من الشرك وما تخرصوه من الكذب والباطل عليه وتأويل الكلام سبحان الله وتعالى عن شركهم وقد كان بعض أهل العربية يوجهه الى أنه بمعنى وتعالى عن الذي يشركون به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله إلا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره وربك يا محمد يعلم ما تخفى صدور خلقه وهو من أكننت الشيء في صدري اذا أضمرته فيه وكننت الشيء اذا صنته وما يعلنون يقول وما يبدونه بألسنتهم وجوارحهم وانما يعني بذلك أن اختياره من يختار منهم للايمان به على علم منه بسرائر أمورهم وبواديها وأنه يختار للخير أهله فيوفقهم له ويولي الشر أهله ويخليهم واياه وقوله وهو الله لا اله الا هو يقول تعالى ذكره وربك يا محمد المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له ولا معبود تجوز عبادته غيره له الحمد في الاولى يعني في الدنيا والآخرة وله الحكم يقول وله القضاء بين خلقه واليه ترجعون يقول واليه تردّون من بعد مماتكم فيقضي بينكم بالحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله أيها القوم أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل دائما لا نهار الى يوم القيامة يعقبه والعرب تقول لكل ما كان متصلا لا ينقطع من رخاء أو بلاء أو نعمة هو سرمد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سرمدا دائما لا ينقطع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني

 تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ان الذي فرض عليك القرآن لرادّك الى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا

معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان جعل الله عليكم الايل سرمدا يقول دائما وقوله من اله غيرالله يأتيكم بضياء يقول من معبود غير المعبود الذى له عبادة كل شئ يأتيكم بضياء النهار فتستضيؤن به أفلا تسمعون يقول أفلا ترعون ذلك سمعكم وتفكرون فيه فتتعظون وتعلمون أن ربكم هو الذى يأتى بالليل ويذهب بالنهار اذا شاء واذا شاء أتى بالنهار وذهب بالليل فينعم باختلافهما كذلك عليكم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غيرالله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك أرأيتم أيها القوم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا دائما لا ليل معه أبدا الى يوم القيامة من اله غيرالله من معبود غير المعبود الذى له عبادة كل شئ يأتيكم بليل تسكنون فيه فتستقرون وتهدؤن فيه أفلا تبصرون يقول أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار عليكم رحمة من الله لكم وحجة منه عليكم فتعلموا بذلك أن العبادة لا تصلح الا لمن أنعم عليكم بذلك دون غيره ولمن له القدرة التى خالف بها بين ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن رحمته بكم أيها الناس جعل لكم الليل والنهار فخالف بينهما فجعل هذا الليل ظلاما لتسكنوا فيه وتهدؤا وتستقروا لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرف الذى تتصرفون نهارا لمعايشكم وفى الهاء التى فى قوله لتسكنوا فيه وجهان أحدهما أن تكون من ذكر الليل خاصة ويضمر للنهار مع الابتغاء هاء أخرى والثانى أن تكون من ذكر الليل والنهار فيكون وجه توحيدها وهى لهما وجه توحيد العرب فى قولهم اقبالك وادبارك يؤذينى لان الاقبال والادبار فعل والفعل يوحد كثيره وقليله وجعل هذا النهار ضياء تبصرون فيه فتتصرفون بأبصاركم فيه لمعايشكم وابتغاء رزقه الذى قسمه بينكم بفضله الذى تفضل عليكم وقوله ولعلكم تشكرون يقول تعالى ذكره ولتشكروه على انعامه عليكم بذلك فعل ذلك بكم لتفردوه بالشكر وتخلصوا له الحمد لانه لم يشركه فى انعامه عليكم بذلك شريك فلذلك ينبغى أن لا يكون له شريك فى الحمد عليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون . ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يعنى تعالى ذكره ويوم ينادى ربك يا محمد هؤلاء المشركين فيقول لهم أين شركائى الذين كنتم تزعمون أيها القوم فى الدنيا أنهم شركائى وقوله ونزعنا من كل أمة شهيدا وأحضرنا من كل جماعة شهيدها وهو نبيها الذى يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله من الرسالة وقيل ونزعنا من قوله نزع فلان بحجة كذا بمعنى أحضرها وأخرجها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونزعنا من كل أمة شهيدا وشهيدها نبيها يشهد عليها أنه قد بلغ رسالة ربه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ونزعنا من كل أمة شهيدا قال رسولا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وقوله فقلنا هاتوا برهانكم يقول فقلنا لأمة كل نبى منهم التى ردت

للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ﴾ ﴿ القراآت عندى أولم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن فليح وأبو عمرو وخزاعى عن أصحابه وابن مجاهد وأبو عون والسرندى عن قنبل الباقون (٦٦) بالاسكان ويكأن ويكأنه الوقف على الياء أبو عمرو ويعقوب ويك الوقف على الكاف وويكأنه موصولة روى السوسى عن السرندى وهو مذهب حمزة الباقون كلاهما موصولا لخسف على البناء للفاعل سهل ويعقوب وحفص ربى أعلم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿ الوقوف بضياء ط تسمعون ٥ فيه ط تبصرون ٥ تشكرون ٥ تزعمون ٥ يفترون ٥ عليهم ص لان الواو للحال أى وقد آتيناه مع طول الكلام القوة ط بناء على أن التقدير واذكر اذ قال وقال فى الكشاف انه متعلق بتنوء فلا وقف الفرحين ٥ فى الارض ط المفسدين ٥ عندى ط جمعا ط المجرمون ٥ فى زينته ط لعدم العاطف واختلاف القائل قارون لا لأن ما بعده تعليل التمنى ولو ابتدأنا لحكمنا بأنه ذو حظ عظيم ٥ صالحا ج لأن ما بعده احتمل أن يكون ابتداء اخبار من الله واحتمل أن يكون من قول أهل العلم الصابرون ٥ من دون الله ق قد قيل لتفصيل الاعتبار المنتصرين ٥ ويقدر ج للابتداء بلولا مع اتحاد المقول لخسف بنا ط الكافرون ٥ ولا فسادا ط للمتقين ٥ منها ج لعطف جملة الشرط يعملون ٥ معاد ط مبين ٥ للكافرين ٥ ز للآية مع العطف المشركين . ٥ للآية وخلو المعطوف عن نون التأكيد التى دخلت المعطوف عليه مع اتفاق الجملتين آخرا احترازا من ايهام كون ما بعده صفة آخر ٥ لا اله الا هو ط وجهه ط ترجعون ٥

﴿ التفسير لما بين سبحانه حقيقة الهيته واستحقاقه للحمد المطلق وان مرجع الكل الى حكمته وقضائه أتبعه بعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه أحد سواه وهو تبديل ظلام الليل بضياء النهار وبالعكس والمعنى أخبرونى من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل

نصيحته

من السرد والميم زائدة وانتصابه على أنه مفعول ثان لجعل أو على الحال والى متعلق بجعل أو بسرمدا ومنافع الليل والنهار والاستدلال بهما على كمال قدرة الله تعالى قد تقدمت مرارا قال جار الله وانما لم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه لان الضياء وهو ضوء الشمس تتعلق به المنافع المتكاثرة وليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه و وصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه قال الكلبي أفلا تسمعون معناه أفلا تطيعون من يفعل ذلك وقوله أفلا تبصرون معناه أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطا والضلال وقال أهل البرهان قدم الليل على النهار لان ذهاب الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل وانما ختم الآية الاولى بقوله أفلا تسمعون بناء على الليل وختم الاخرى بقوله أفلا تبصرون بناء على النهار والنهار مبصر وآية النهار مبصرة ثم بين أن من رحمته زواجه بين الليل والنهار لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار ولارادة الشكر على النعمتين جميعا وفي الآية طريقة اللف ثقة بفهم السامع وذلك لان السكون بالنهار وان كان ممكنا وكذا الابتغاء من فضل الله بالليل الا أن الأليق بكل واحد منهما ما ذكره فلهذا خصه به وفي تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء دليل على أنه لا شئ أسخط عند الله من الاشراك به ويعلم منه أنه لا شئ أجلب لرضاه من الشهادة بوحدانيته وفحوى الخطاب أين الذين ادعيتم الهيتهم لتخلصكم أو أين الذين قلتم انها تقربكم الى الله زلفى وقد علموا أن لا اله الا الله فيكون ذلك زيادة في غمهم ومعنى (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) قال بعضهم هو نبيهم لان الانبياء يشهدون أنهم بلغوا أمتهم الدلائل و بلغوا في ايضاحها كل غاية ليعلم أن التقصير منهم فيكون ذلك زيادة في غمهم أيضا وقال آخرون بل هم الشهداء الذين يشهدون على الناس في كل زمان و يدخل في جملتهم الانبياء وهذا أقرب لانه تعالى عم كل جماعة بأن ينزع منهم الشهيد فيدخل فيه أزمنة الفترات والازمنة التي بعد محمد صلى الله عليه

نصيحته وكذبت بما جاءها به من عند ربهم اذا شهد نبيها عليها بابلاغه اياها رسالة الله هاتوا برهانكم يقول فقال لهم هاتوا حجتكم على اشراككم بالله ما كنتم تشركون مع اعذار الله اليكم بالرسل واقامته عليكم الحجج و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقلنا هاتوا برهانكم أي بينتكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فقلنا هاتوا برهانكم قال حجتكم لما كنتم تعبدون وتقولون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقلنا هاتوا برهانكم قال حجتكم بما كنتم تعبدون وقوله فعلموا أن الحق لله يقول فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم وأن الحق لله والصدق خبره فأيقنوا بعذاب من الله لهم دائم وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول واضمحل فذهب الذي كانوا يشركون بالله في الدنيا وما كانوا يتخرصون و يكذبون على ربهم فلم ينفعهم هنالك بل ضرهم وأصلاهم نار جهنم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين﴾ يقول تعالى ذكره ان قارون وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب كان من قوم موسى يقول كان من عشيرة موسى بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عمه لأبيه وأمه وذلك أن قارون هو قارون بن يصهر بن قاهث وموسى هو موسى بن عمران بن قاهث كذا نسبه ابن جريج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ان قارون كان من قوم موسى قال ابن عمه ابن أخي أبيه فان قارون بن يصفر هكذا قال القاسم وانما هو يصهر ابن قاهث وموسى بن عمرم بن قاهث وعمرم بالعربية عمران وأما ابن اسحق فان ابن حميد حدثنا قال ثنا سلمة عنه أن يصهر بن قاهث تزوج سميت بنت بتاويت بن بركيا بن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران بخنت بنت شمويل بن بركيا بن يقشان ابن بركيا فولدت له هرون بن عمران وموسى بن عمران صفي الله ونبيه فموسى على ما ذكر ابن اسحق ابن أخي قارون وقارون هو عمه أخو أبيه لأبيه وأمه وأكثر أهل العلم في ذلك على ما قاله ابن جريج ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن ابراهيم في قوله ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عم موسى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك بن حرب قال ثنا سعيد عن قتادة ان قارون كان من قوم موسى كنا نحدث أنه كان ابن عمه اخي أبيه وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن سماك عن ابراهيم ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عمه فبغى عليه * قال ثنا يحيى القطان عن سفيان عن سماك عن ابراهيم قال كان قارون ابن عم موسى * قال ثنا أبو معاوية عن ابن أبي خالد عن ابراهيم ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عمه حدثني بشر بن هلال الصواف قال ثنا جعفر بن سليمن الضبعي عن مالك بن دينار قال بلغني أن موسى بن عمران كان ابن عم قارون

وسلم (فقلنا) للامة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك وخلاف الرسول (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) ورسوله وغاب (عنهم ما كانوا يفترون) من الباطل والزور ثم عقب حديث أهل الضلال بقصة قارون وهو اسم أعجمي ولهذا لم يتصرف بعد العلمية ولو كان فاعولا من قرن لانصرف والظاهر أنه كان ممن آمن بموسى (٦٨) هذا ظاهر نص القرآن ولا يبعد أيضا حمله على القرابة قال الكلبي انه كان ابن عم موسى

وقوله فبغى عليهم يقول فتجاوز حدّه في الكبر والتجبر عليهم وكان بعضهم يقول كان بغيه عليهم زيادة شبر أخذها في طول ثيابه ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعيد الكندي وأبو السائب وابن وكيع قالوا ثنا حفص بن غياث عن ليث عن شهر بن حوشب ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال زاد عليهم في الثياب شبرا * وقال آخرون كان بغيه عليهم بكثرة ماله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انما بغى عليهم بكثرة ماله وقوله وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة يقول تعالى ذكره وآتينا قارون من كنوز الأموال ما ان مفاتحه وهي جمع مفتح وهو الذي يفتح به الأبواب وقال بعضهم عنى بالمفاتح في هذا الموضع الخزائن لتثقل العصبة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ما قلنا في معنى مفاتح حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا الأعمش عن خيثمة قال كانت مفاتح قارون تحمل على ستين بغلا كل مفتاح منها باب كنز معلوم مثل الاصبع من جلود حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الأعمش عن خيثمة قال كانت مفاتح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع كل مفتاح على خزانة على حدة فاذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلا أغر محجل حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن خيثمة في قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال نجد مكتوبا في الانجيل مفاتح قارون وقر ستين بغلا غرا محجلة ما يزيد كل مفتاح منها على أصبع لكل مفتاح منها كنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن حميد عن مجاهد قال كانت المفاتح من جلود الابل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة قال مفاتح من جلود كمفاتح العيدان وقال قوم عنى بالمفاتح في هذا الموضع خزائنه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل ابن سالم عن أبي صالح في قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة قال كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعير عن الضحاك ما ان مفاتحه قال أوعيته وبنحو الذي قلنا في معنى قوله لتنوء بالعصبة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر ابن نوح قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله لتنوء بالعصبة قال لتثقل بالعصبة حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لتنوء بالعصبة يقول تثقل وأما العصبة فانها الجماعة واختلف أهل التأويل في مبلغ عددها الذي أريد في هذا الموضع فأما مبلغ عدد العصبة في كلام العرب فقد ذكرناه فيما مضى باختلاف المختلفين فيه والرواية في ذلك والشواهد على الصحيح من قولهم في ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع فقال بعضهم كانت مفاتحه تنوء بعصبة مبلغ عددها أربعون رجلا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن اسماعيل بن سالم عن أبي صالح قوله لتنوء بالعصبة قال أربعون رجلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتنوء بالعصبة قال ذكر لنا أن العصبة ما بين العشرة الى الأربعين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لتنوء بالعصبة أولي القوة يزعمون أن العصبة أربعون رجلا ينقلون مفاتحه من كثرة عددها

حدثني

وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني اسرائيل للتوراة الا أنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والذبح والقربان الى هرون فما لي وفي قوله (فبغى عليهم) وجوه أحدها أن بغيه استخفافه بالفقراء وثانيها أنه ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقال القفال معناه طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت يده وقال الضحاك طغى عليهم واستطال فلم يوافقهم في أمر ابن عباس تجبر وتكبر عليهم ومثله عن شهر بن حوشب قال بغيه أنه زاد عليهم في الثياب شبرا فهذا يعود الى التكبر الكلبي بغيه حسده وذلك أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة له والوزارة لهرون وكان القربان الى موسى فجعله الى هرون فوجد قارون في نفسه حسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شئ الى متى اصبر قال موسى هكذا حكم الله قال والله لا أصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني اسرائيل أن يأتي كل واحد بعصا فألقى مجموع العصيّ في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها فأصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون بأتباعه وكان كثير المال كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله وآتيناه من الكنوز سئل الكلبي ألستم تقولون ان الله لا يعطي الحرام فكيف أضاف ايتاء مال قارون الى نفسه فأجاب بأنه لا حجة في أن ماله حرام لجواز أنه ظفر بكنز لبعض الملوك الخالية وكان الظفر عندهم طريق التملك أو لعله وصل اليه بالارث من جهات أو بالكسب من جهة المضاربات وغيرها والمفاتح جمع مفتح بكسر الميم وهو ما يفتح به الباب أو جمع مفتح بالفتح وهو الخزانة فمن الناس من طعن في القول الاول لان مال الرجل

الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو أنا قدرنا بلدة مملوأة من الذهب لكفاها أعداد قليلة من المفاتيح ولهذا قال أبو رزين يكفي للكوفة مفتاح واحد وأيضا الكنوز هي الاموال المدفونة في الارض ولا يتصور لها مفتاح أجاب الناصرون للقول الاول وهو اختيار ابن عباس والحسن أن المال اذا كان من جنس العروض لا من جنس النقود جاز أن يبلغ في الكثرة (٦٩) الى هذا الحد وأيضا ما روى أن مفاتيحه كانت

حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة قال أربعون رجلا * وقال آخرون ستون وقال كانت مفاتحه تحمل على ستين بغلا حدثنا كذلك ابن وكيع قال ثنا أبي عن الأعمش عن خيثمة * وقال آخرون كانت تحمل على ما بين ثلاثة الى عشرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جابر بن نوح عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس لتنوء بالعصبة قال العصبة ثلاثة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس لتنوء بالعصبة قال العصبة ما بين الثلاثة الى العشرة * وقال آخرون كانت تحمل ما بين عشرة الى خمسة عشر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة قال العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لتنوء بالعصبة قال العصبة خمسة عشر رجلا وقوله أولى القوة يعني أولى الشدة وقال مجاهد في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أولى القوة قال خمسة عشر فان قال قائل وكيف قيل وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكيف تنوء المفاتح بالعصبة وانما العصبة هي التي تنوء بها قيل اختلف في ذلك أهل العلم بكلام العرب فقال بعض أهل البصرة مجاز ذلك ما ان العصبة ذوى القوة لتنوء بمفاتح نعمه قال ويقال في الكلام انها لتنوء بها عجيزتها وانما هو تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله قال والعرب قد تفعل مثل هذا قال الشاعر

فديت بنفسه نفسي ومالي * وما آلوك الا ما أطيق

والمعنى فديت بنفسي وبمالي نفسه وقال آخر

وتركب خيلا لا هوادة بينها * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وانما تشقى الضياطرة بالرماح قال والخيل ههنا الرجال * وقال آخر منهم ما ان مفاتحه قال وهذا موضع لا يكاد يبتدأ فيه ان وقد قال ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقوله لتنوء بالعصبة انما العصبة تنوء بها وفي الشعر * تنوء بها فتثقلها عجيزتها * وليست العجيزة تنوء بها ولكنها هي تنوء بالعجيزة وقال الأعشى

ما كنت في الحرب العوان مغمرا * اذ شب حر وقودها أجذالها

وكان بعض اهل العربية من الكوفيين ينكر هذا الذي قاله هذا القائل وابتداء ان بعد ما ويقول ذلك جائز مع ما ومن وهو مع ما ومن أجود منه مع الذي لان الذي لا يعمل في صلته ولا تعمل صلته فيه فلذلك جاز وصارت الجملة عائدة ما اذ كانت لا تعمل في ما ولا تعمل ما فيها قال وحسن مع ما ومن لانهما يكونان بتأويل النكرة ان شئت والمعرفة ان شئت فتقول ضربت رجلا ليقومن وضربت رجلا انه لمحسن فتكون من وما تأويل هذا ومع الذي أقبح لانه لا يكون بتأويل النكرة

من جلود الابل وكل مفتاح اصبع ولكل خزانة مفتاح وكان اذا ركب حملت المفاتيح ستون بغلا غير مذكور في القرآن فالصواب ان يفسر قوله لتنوء اي تنهض مثقلا بأن تلك الخزائن يعسر ضبطها ومعرفتها على أهل القوة في الحساب وقريب منه قول أبي مسلم ان المراد من المفاتح العلم والاحاطة كقوله وعنده مفاتح الغيب والمراد أن حفظها والاطلاع عليها يثقل على العصبة أولى القوة والمتانة في الرأى وظاهر الكنوز وان كان من جهة العرف هو المال المدفون الا أنه قد يقع على المال المجموع في المواضع التي عليها أغلاق وأيضا لا استبعاد في أن يكون موضع المال المدفون بيتا تحت الارض له غلق ومفتاح معه و(لا تفرح) كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وذلك أنه لا يفرح بالدنيا الا من اطمأن ورضي بها قال ابن عباس كان حبه ذلك شركا لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله) من المال والثروة (الدار الآخرة) يعني أسباب حصول سعاداتها من أصناف الخيرات والمبرات الواجبة والمندوبة فان ذلك هو نصيب المؤمن من الدنيا دون الذي يأكل ويشرب والى هذا أشار بقوله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) ويحتمل أن يراد به اللذات المباحة وحين أمروه بالاحسان المالي أمروه بالاحسان مطلقا ويدخل فيه الاحسان بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن الغيبة والحضور وفي قوله (كما أحسن الله اليك) اشارة الى قوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم والى ما قال الحكماء المكافأة في الطبيعة واجبة و(الفساد في الارض) المنهي عنه هو ما كان عليه من الظلم والبغي وهذا القائل موسى عليه السلام أو مؤمنو قومه وهو ظاهر اللفظ وكيف كان فقد جمع في هذه الالفاظ من الوعظ ما لو قبل لم يكن

وقال آخرون منهم فى قوله لتنوء بالعصبة نوءها بالعصبة أن تثقلهم وقال المعنى ان مفاتحه لتنىء العصبة تميلهن من ثقلها فاذا أدخلت الباء قلت تنوء بهم كما قال آتونى أفرغ عليه قطرا قال والمعنى آتونى بقطر أفرغ عليه فاذا حذفت الباء زدت على الفعل ألفا فى أوله ومثله فأجاءها المخاض معناه فجاء بها المخاض وقال قد قال رجل من أهل العربية ما ان العصبة تنوء بمفاتحه فحوّل الفعل الى المفاتح كما قال الشاعر

ان سراجا لكريم مفخره * تحلى به العين اذا ما تجهره

وهو الذى يحلى بالعين قال فان كان سمع أثرا بهذا فهو وجه والا فان الرجل جهل المعنى قال وأنشدنى بعض العرب

حتى اذا ما التأمت مفاصله * وناء عن شق الشمال كاهله

يعنى الرامى لما أخذ القوس ونزع مال عليها قال ونرى أن قول العرب ما ساءك وناءك من ذلك ومعناه ما ساءك وأناءك من ذلك الا أنه ألقى الألف لانه متبع لساءك كما قالت العرب أكلت طعاما فهنأنى ومرأنى ومعناه اذا أفردت وأمرأنى فحذفت منه الالف لما أتبع ما ليس فيه ألف وهذا القول الآخر فى تأويل قوله لتنوء بالعصبة أولى بالصواب من الأقوال الأخر لمعنيين أحدهما أنه تأويل موافق لظاهر التنزيل والثانى أن الآثار التى ذكرنا عن أهل التأويل بنحو هذا المعنى جاءت وأن قول من قال معنى ذلك ما ان العصبة لتنوء بمفاتحه انما هو توجيه منهم الى أن معناه ما ان العصبة لتنهض بمفاتحه واذا وجه الى ذلك لم يكن فيه من الدلالة على أنه أريد به الخبر عن كثرة كنوزه على نحو ما فيه اذا وجه الى أن معناه ان مفاتحه تثقل العصبة وتميلها لانه قد تنهض العصبة بالقليل من المفاتح وبالكثير وانما قصد جل ثناؤه الخبر عن كثرة ذلك واذا أريد به الخبر عن كثرته كان لا شك أن الذى قاله من ذكرنا قوله من أن معناه لتنوء العصبة بمفاتحه قول لا معنى له هذا مع خلافه تأويل السلف فى ذلك وقوله اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين يقول اذ قال قومه لا تبغ ولا تبطر فرحا ان الله لا يحب من خلقه الأشرين البطرين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الله لا يحب الفرحين يقول المرحين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال المتبذخين الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن جابر قال سمعت مجاهدا يقول فى هذه الآية ان الله لا يحب الفرحين قال الاشرين البطرين البذخين حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن مجاهد فى قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال يعنى به البغى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال المتبذخين الأشرين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال (٣) المتبذخين حدثنا محمد بن عبد الله المخزومى قال ثنى شبابة قال ثنى ورقاء

عليه مزيد لكنه أبى أن يقبل بل تلقى النصح بكفران النعمة قائلا (انما أوتيته على علم عندى) قال قتادة ومقاتل والكلبى كان قارون أقرأ بنى اسرائيل للتوراة فقال انما أوتيته لفضل علمى واستحقاقى لذلك وقال سعيد بن المسيب والضحاك ان موسى أنزل عليه الكيمياء من السماء فعلم قارون ثلث العلم ويوشع ثلثه (٧٠) وطالوت ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل أراد علمه بوجوه المكاسب والتجارات وقيل أراد ان الله أعطانى ذلك على علم له تعالى بحالى وباستئهالى لذلك وقوله عندى الامر كذلك أى فى اعتقادى وفى ظنى فأجابه الله تعالى بقوله (أولم يعلم) الآية قال علماء المعانى يجوز أن يكون المعنى بالاستفهام اثباتا لعلمه لانه قد قرأ فى التوراة أخبار الامم السالفة والقرون الخالية وحفظها من موسى وغيره فكأنه قيل انه قد علم ذلك فلم اغتر بكثرة ماله وأعوانه ويجوز أن يراد به نفى العلم لانه لما تحدّى بكونه من أهل العلم حيث قال على علم عندى وبخه الله تعالى أنه لم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهلكى ووجه اتصال قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) بما قبله أنه تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة الى أن يسألهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه عالم بكل المعلومات وقال أبو مسلم أراد أنهم لا يسئلون سؤال استيقان وانما يسئلون سؤال تقريع ومحاسبة (فخرج على قومه فى زينته) عن الحسن فى الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه ثوب أحمر أرجوانى وعلى البغلة سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الفاخرة وقيل فى تسعين ألفا عليهم الثياب الصفر قال الراغبون فى الحياة العاجلة (ياليت لنا مثل ما أوتى عن . قارون انه لذو حظ عظيم) والحظ الجد والبخت عن قتادة كانوا مسلمين تمنوا ذلك رغبة فى الانفاق فى سبيل الخير. وقال آخرون كانوا كفارا وقد مر فى سورة النساء تحقيق الغبطة والحسد فى قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض (وقال الذين أوتوا العلم) بأحوال

الدنيا وأنها عند الآخرة كلاشئ (ويلكم) وأصله الدعاء بالهلاك الا أنه قد يستعمل فى الردع والزجر بطريق النصح والاشفاق والضمير فى قوله (ولا يلقاها) عائد الى الكلمة المذكورة وهى قوله ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا أو الى الثواب بمعنى المثوبة أو بتأويل الجنة أو الى السيرة والطريقة أى لا يلزم هذه السيرة (الا الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات (٧١) وعلى ما قسم الله وحكم به من الغنى وضده وظاهر حال قارون ينبئ عن أنه كان ذا أشر وبطر واستخفاف بحقوق الله واستهانة بنبيه وكتابه فلا جرم خسف الله به وبداره الارض الا أن المفسرين فصلوا فقالوا كان يؤذى نبى الله موسى وهو يداريه للقرابة التى كانت بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثر فشحت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال ان موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فأمر بما شئت فقال ائتوا الى فلانة البغى حتى ترميه بنفسها فى جمع بنى اسرائيل فجعل لها ألف دينار أو طستا مملوأ من ذهب فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذى فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بنى اسرائيل ان الله قد بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فأوحى الله الى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتى لو اياى دعوا مرة واحدة لوجدونى

عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال الاشرين البطرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ قال له قومه لا تفرح أى لا تمرح ان الله لا يحب الفرحين أى ان الله لا يحب المرحين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوّام عن مجاهد فى قوله اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال هو فرح البغى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل قوم قارون له لا تبغ يا قارون على قومك بكثرة مالك والتمس فيما آتاك الله من الاموال خيرات الآخرة بالعمل فيها بطاعة الله فى الدنيا وقوله ولا تنس نصيبك من الدنيا يقول ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك يقول لا تترك أن تعمل لله فى الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن الأعمش عن ابن عباس ولا تنس نصيبك من الدنيا قال أن تعمل فيها لآخرتك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد عن عون ابن عبد الله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال ان قوما يضعونها على غير موضعها ولا تنس نصيبك من الدنيا تعمل فيها بطاعة الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تنس نصيبك من الدنيا قال العمل بطاعته حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن مجاهد قال تعمل فى دنياك لآخرتك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال العمل فيها بطاعة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عيسى الجرشى عن مجاهد ولا تنس نصيبك من الدنيا قال أن تعمل فى دنياك لآخرتك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن مجاهد قال العمل بطاعة الله نصيبه من الدنيا الذى يثاب عليه فى الآخرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال لا تنس أن تقدم من دنياك لآخرتك فانما تجد فى آخرتك ما قدمت فى الدنيا فيما رزقك الله * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تترك أن تطلب فيها حظك من الرزق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تنس نصيبك من الدنيا قال الحسن ما أحل الله لك منها فان لك فيه غنى وكفاية حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن حميد المعمرى عن معمر عن قتادة ولا تنس نصيبك من الدنيا قال طلب الحلال حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن الحسن ولا تنس نصيبك من الدنيا

قريبا مجيبا قلت لعل استغاثته كانت مقرونة بالتوبة والا فالعتاب بعيد ثم ان بنى اسرائيل أصبحوا يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستفيد داره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله ومعنى من المنتصرين من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله (وأصبح الذين تمنوا مكانه) أى منزلته من الدنيا (٧٣) وأسبابها (بالأمس) أى بالزمان المتقدم (يقولون) راغبين فى طاعة الله والرضا بقضائه وقسمته (ويكأن الله) من قرأ وى مفصولة عن كأن وهو مذهب الخليل وسيبويه فهى كلمة تنبيه على الخطا وتندم كأنهم تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وتندموا ثم قالوا (كأنه لا يفلح الكافرون) أى ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح نظير هذا الاستعمال قول الشاعر

ويكأن من يكن له نشب يحـ * بب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وعند الكوفيين ويك بمعنى ويلك أى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون حكى هذا القول قطرب عن يونس وجوّز جار الله أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وى واللام مقدر قبل أن لبيان المقول لاجله هذا القول والتعليل أى لانه لا يفلح الكفار كان ذلك الخسف قال فى الكشاف قوله (تلك) تعظيم للدار الآخرة وتفخيم لشأنها يعنى تلك التى سمعت ذكرها وبلغك وصفها قلت يحتمل أن يكون للتبعيد حقيقة وفى قوله (لا يريدون) دون أن يقول يتركون زجر عظيم ووعظ بليغ كقوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا حيث علق الوعيد بالركون عن على ان الرجل يعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحته ومن الناس من ردّ العلو الى فرعون والفساد الى قارون لقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض وقال فى قصة قارون ولا تبغ الفساد فى الارض وضعف

قال قدم الفضل وأمسك ما يبلغك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الحلال فيها وقوله وأحسن كما أحسن الله اليك يقول وأحسن فى الدنيا انفاق مالك الذى آتاكه الله فى وجوهه وسبله كما أحسن الله اليك فوسع عليك منه وبسط لك فيها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأحسن كما أحسن الله اليك قال أحسن فيما رزقك الله ولا تبغ الفساد فى الارض يقول ولا تلتمس ما حرم الله عليك من البغى على قومك ان الله لا يحب المفسدين يقول ان الله لا يحب بغاة البغى والمعاصى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال انما أوتيته على علم عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوّة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون﴾ يقول تعالى ذكره قال قارون لقومه الذين وعظوه انما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندى علمه الله منى فرضى بذلك عنى وفضلنى بهذا المال عليكم لعلمه بفضلى عليكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال انما أوتيته على علم عندى قال على خبر عندى قال حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما أوتيته على علم عندى قال لولا رضا الله عنى ومعرفته بفضلى ما أعطانى هذا وقرأ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا الآية وقد قيل ان معنى قوله عندى بمعنى أرى كأنه قال انما أوتيته لفضل علمى فيما أرى وقوله أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا يقول جل ثناؤه أولم يعلم قارون حين زعم أنه أوتى الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتى من الكنوز أن الله قد أهلك من قبله من الامم من هو أشد منه بطشا وأكثر جمعا للاموال ولو كان الله يؤتى الاموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ولرضاه عنه لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الاموال الذين كانوا أكثر منه مالا لأن من كان الله عنه راضيا فمحال أن يهلكه الله وهو عنه راض وانما يهلك من كان عليه ساخطا وقوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قيل ان معنى ذلك أنهم يدخلون النار بغير حساب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان عن معمر عن قتادة ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال يدخلون النار بغير حساب وقيل معنى ذلك ان الملائكة لا تسأل عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون كقوله يعرف المجرمون بسيماهم زرقا سود الوجوه والملائكة لا تسأل عنهم قد عرفتهم وقيل معنى ذلك ولا يسئل عن ذنوب هؤلاء الذين أهلكهم الله من الأمم الماضية المجرمون فيم أهلكوا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال عن ذنوب الذين مضوا فيم أهلكوا فالهاء والميم فى قوله عن ذنوبهم على هذا التأويل لمن الذى فى قوله أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوّة وعلى التأويل الاول الذى قاله مجاهد

هذا التخصيص بين لقوله فى خاتمة الآية (والعاقبة للمتقين) قوله (من جاء بالحسنة) الآية قد مر تفسير مثله فى آخر الانعام وفى آخر النمل وقوله (فلا يجزى الذين عملوا السيئات) من وضع الظاهر موضع المضمر اذ كان يكفى أن يقال فلا تجزون الا أنه أراد فضل تهجين لحالهم باسناد عمل السيئات اليهم مكررا وفى ذلك لطف للسامعين فى زيادة تبغيض السيئة الى قلوبهم ثم أراد أن يسلى رسوله

مجاهد وقتادة للجرمين وهى بأن تكون من ذكر المجرمين أولى لان الله تعالى ذكره غير سائل عن ذنوب مذنب غير من أذنب لا مؤمن ولا كافر فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أنه لا معنى لخصوص المجرمين لو كانت الهاء والميم اللتان فى قوله عن ذنوبهم لمن الذى فى قوله من هو أشد منـه قوة من دون المؤمنين يعنى لانه غير مسؤل عن ذلك مؤمن ولا كافر الا الذين ركبوه واكتسبوه ۞ القول فى تأويل قوله تعـالى ﴿فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيـا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم﴾ يقول تعالى ذكره فخرج قارون على قومه فى زينته وهى فيما ذكر ثياب الأرجوان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا طلحة بن عمرو عن أبى الزبير عن جابر فخرج على قومه فى زينته قال فى القرمز * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهـد فخرج على قومه فى زينتـه قال فى ثياب حمر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فخرج على قومه فى زينته قال على براذين بيض عليها سروج الارجوان عليهم المعصفرات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فخرج على قومه فى زينته قال عليه ثوبان معصفران * وقال ابن جريج على بغـلة شهباء عليها الأرجوان وثلثمائة جارية على البغال الشهب عليهن ثيـاب حمر حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى ويحيى بن يمان عن مبارك عن الحسن فخرج على قومه فى زينته قال فى ثياب حمر وصفر حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سمـاك أنه سمع ابراهيم النخعى قال فى هذه الآية فخرج على قومه فى زينته قال فى ثياب حمر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن سماك عن ابراهيم النخعى مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر قال ثنا شعبة عن سماك عن ابراهيم مثله حدثنا محمد بن عمرو بن على المقدمى قال ثنا اسمعيل بن حكيم قال دخلنا على مالك بن دينـار عشية واذا هو فى ذكر قارون قال واذا رجل من جيرانه عليه ثياب معصفرة قال فقال مالك فخرج على قومه فى زينته قال فى ثياب مثل ثياب هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فخرج على قومه فى زينته ذكر لنا أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة عليهم وعلى دوابهـم الأرجوان حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فخرج على قومه فى زينتـه قال خرج فى سبعين ألفا عليهم المعصفرات فيما كان أبى يذكرلنـا قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون يقول تعالى ذكره قال الذين يريدون زينة الحياة الدنيـا من قوم قارون ياليتنا أعطينا مثل ما أعطى قارون من زينتها انه لذو حظ عظيم يقول ان قارون لذو نصيب من الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعـالى ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحـا ولا يلقاها الا الصابرون﴾ يقول تعـالى ذكره وقال الذين أوتوا العلم بالله حين رأوا قارون خارجا عليهم فى زينته للذين قالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون ويلكم اتقوا الله وأطيعوه فثواب الله وجزاؤه لمن آمن به وبرسـله وعمل بمـا جاءت به رسـله من صالحات الأعمال فى الآخرة خير مما أوتى قارون من زينته وماله لقارون وقوله ولا يلقاها الا الصابرون يقول ولا يلقاهـا أى ولا يوفق لقيل هـذه الكلمة وهى قوله ثواب الله خير لمن آمن

فى خاتمة السورة فقال (ان الذى فرض عليك القرآن) أى أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك الى معاد) وأى معاد فتنكير المعاد للتعظيم وأنه ليس لغيره من البشر مثله يعنى ان الذى حملك صعوبة تكليف التبليغ وما يتصل به لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف وقيل أراد عوده الى مكة يوم الفتح ووجه التنكير ظاهر لان مكة يومئذ كانت معاداله (٧٣) شأن لغلبة المسلمين وظهور عز الاسلام وأهله وذل أهل الشرك وحزبه والسورة مكية فقيل وعده وهو بمكة فى أذى من أهلها أنه مهاجر بالنبى منها ويعيده اليها فى ظفر ودولة وقيـل نزلت عليه هذه الآية حين بلغ الجحفة فى مهاجره وقد اشـتاق الى وطنه وفى الآية اخبار عن الغيب وقد وقع كما أخبر فيكون فيـه اعجاز دال على نبوّته وحين وعد رسـوله الردّ الى المعاد المعتبر قال (قل) لأهل الشرك (ربى أعلم) يعـنى نفسـه واياهم بمـا يستحقه كل من الفريقين فى معاده ولا يخفى أن هـذا كلام منصف واثق بصـدقه وحقيته ثم ذكر رسوله ما أنعم به عليه فقـال (وما كنت ترجوا أن يلقى اليـك الكتاب الا رحمة) قال أهل العربية هذا الاستثناء محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقى اليك الكتاب الا لأجل الرحمة أو الا بمعنى لكن أى ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك ثم نهاه عن اتباع أهواء أهـل الشرك وقد مرّ مرارا أن مثل هـذا النهى من باب التهييج له ولأمته ثم ان مرجع الكل اليه فقال (كل شئ هالك الا وجهه) فمن الناس من فسر الهلاك بالعـدم أى يعدم كل شئ سواه والوجه يعبر به عن الذات ومنهم من فسر الهلاك بخروجه عن كونه منتفعا به منفعته الخاصـة به اما بالاماتة أو بتفريق الاجزاء كما يقال هلك الثوب وهلك المتـاع وقال أهـل التحقيق معنى الهلاك كونه فى حيز الامكان غير مستحق للوجود ولا للعدم من عنده ذاته وان سميت المعدوم شيأ فممتنع الوجود أحق كل شئ بأن يسمى هالكا استدلت المعتزلة بالآية على أن الجنة والنار غير مخلوقتين لانهما لو كانتا مخلوقتين لعرض لهما الفناء بحكم الآية وهذا ينـاقض قوله أكلها دائم وعورض بقوله أعدّت للمتقين وأعدت للكافرين ويحتمل أن يقال الكل بمعنى الاكثر ومن هناك قال الضحاك

كل شئ هالك الا الله والعرش والجنة والنـار وقيل الا العلماء فان علمهم باق ويمكن أن يقال ان زمان فناء الجنة لما كان قليلا بالنسبة الى زمان بقائها فلا جرم أطلق لفظ الدوام عليه ومن فسر الهلاك بالامكان فلا اشكال والله أعلم ﴿التأويل﴾ أرأيتم ان جعل الله عليكم ليل الفراق عنـد استيلاء ظلمة البشرية سرمدا من اله غير الله يأتيكم بضياء نهار الوصل والتجلي قل أرأيتم ان جعل الله عليكم نهار الوصل بطلوع شمس التجلي سرمدا من اله غير الله يأتيكم (٧٤) بليل سر تسكنون فيه عن وعثاء سطوة التجلي ومن رحمته جعل لكم ليل السر ونهار التجلي فان العاشق لو دام في التجلي كاد يستهلك وجوده وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي وقال لعائشة كلميني يا حميراء وذلك لتخرجه من سطوات شمس التجلي الى سر ظـــل البشرية ليستريح من التعب والنصب وليس هذا السر من قبيل الحجاب وانمـا هو من جملة الرحمة والالطف نظيره الشمس في عالم الصورة فانها في خط الاستواء تحرق وفي الآفاق الرحوية لا تؤثر وفي الآفاق الحملية يعتـدل الحر والبرد فتكثر العمارة وتسهل ويعيش الحيوان ونزعنـا من كل أمة من أرباب النفوس شهيـدا هو القلب الحـاضر فقلنا هاتوا برهانكم وهو حقيقة التوحيد التي لا تحصـل بالفعل الا بجذبة خطاب الحق فعلموا بتلك البراهين القاطعة أن الحق لله ان قارون النفس كان من قوم موسى القلب لان الله تعـالى جعـل النفس تبعا للقلب وجعل سعادتها في متابعته وآتيناه من الكنوز المودعة في صفاتها قد أهلك من قبله من القرون كابليس فانه أكثر علمـا وطاعة في زينته هي التي زين حبها للناس من النساء والبنين وغير ذلك قال الذين يريدون الحياة الدنيا وهم صفات النفس وقال الذين أوتوا العلم وهم صفات الروح فخسفنا به الارض دركات السفل وبداره وهي قالبه أرض جهنم يتغلغل فيها الى يوم القيامة بل الى الابد نجعلها للذين لا يريدون كما قال في بعض الكتب المنزلة عبـدي أنا ملك حي لا أموت أبدا أطعني أجعلك ملكا حيا لا تموت أبدا عبدي أنا ملك اذا قلت لشئ كن فيكون أطعني أجعلك ملكا اذا قلت لشئ كن فيكون وعن النبي صلى الله عليه وسلم عنوان كتاب الله الى عباده المؤمنين من الملك الحي الذي لا يموت الى الملك الحي الذي لا يموت ان الذي فرض أي أوجب عليك التخلق بخلق القرآن لرادك الى معاد هو مقام الفناء في الله والبقاء به قل ربي أعلم من جاء

وعمل صالحا والهـاء والالف كناية عن الكلمة وقال الا الصابرون يعني بذلك الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا وآثروا ما عند الله من جزيل ثوابه على صالحات الاعمال على لذات الدنيـا وشهواتها فجدوا في طاعة الله ورفضوا الحياة الدنيا ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ يقول تعـالى ذكره فخسفنا بقارون وأهل داره وقيـل وبداره لانه ذكر أن موسى اذ أمر الارض تأخذه أمرها بأخذه وأخذ من كان معه من جلسائه في داره وكانوا جماعة جلوسا معه وهم على مثل الذي هو عليه من النفاق والموازرة على أذى موسى ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى فصالحه على كل ألف دينار دينارا وكل ألف شئ شيئا أو قال وكل ألف شاة شاة «الطبري يشك» قال ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيرا فجمع بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل ان موسى قد أمركم بكل شئ فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وأنت سيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيئوا بفلانة البغي فتجعلوا لها جعلا فتقذفه بنفسها فدعوها فجعل لها جعلا على أن تقذفه بنفسها ثم أتى موسى فقال لموسى ان بني اسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم فخرج اليهم وهم في براح من الارض فقال يا بني اسرائيـل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت أو رجمناه حتى يموت «الطبري يشك» فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لهـا موسى يا فلانة قالت يا لبيك قال أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت لا وكذبوا ولكن جعلوا لي جعلا على أن أقذفك بنفسي فوثب فسجد وهو بينهم فأوحى الله اليه مر الارض بما شئت قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أقدامهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى حقيهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهـم الى أعناقهم قال فجعلوا يقولون يا موسى يا موسى ويتضرعون اليه قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم فأوحى الله اليـه يا موسى يقول لك عبـادي يا موسى يا موسى فلا ترحمهم أما لو اياي دعوا لوجدوني قريبـا مجيبا قال فذلك قول الله فخرج على قومه في زينته وكانت زينته أنه خرج على دواب شقر عليها سروج حمر عليهم ثيـاب مصبغة بالبهرمان قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثـل ما أوتي قارون الى قوله انه لا يفلح الكافرون يا محمد تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن المنهال عن رجل عن ابن عباس قال لمـا أمر الله موسى بالزكاة قال رموه بالزنا فجزع من ذلك فأرسـلوا الى امرأة كانوا قد أعطوها حكمها على أن ترميه بنفسها فلما جاءت عظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت

بالهدى وهو بذل الوجود المجازى فى الوجود الحقيقى إلا رحمـــة من ربك أى إلا انا ألقينا الكتاب اليك القاء الا كسير على النحاس فتخلقت
بخلق القرآن والله المستعان ﴿سورة العنكبوت وهى مكية حروفها ٤٥٩٥ كلمها ١٩٨١ آياتها ٦٩ آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
﴿الم أحسب النـاس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنـا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صـدقوا وليعلمن الكاذبين.
أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سـاء ما يحكمون من كان يرجوا (٧٥) لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم
ومن جاهـد فانمـا يجاهـد لنفسه
ان الله لغنى عن العالمين والذين آمنوا
وعملوا الصالحـات لنكفرن عنهم
سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى
كانوا يعمـلون ووصينا الانسان
بوالديه حسـنا وان جاهداك
لتشرك بى ما ليس لك به عـلم فلا
تطعهما الىّ مرجعكم فأنبئكم بمـا
كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لندخلنهم فى الصالحين
ومن الناس من يقول آمنـا بالله
فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس
كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك
ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم
بمـا فى صدور العالمين وليعلمن
الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين
وقال الذين كفروا للذين آمنـوا
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ
انهـم لكاذبون وليحملن أثقالهم
وأثقالا مع أثقالهـم وليسئلن
يوم القيامة عمـا كانوا يفـترون
ولقـد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث
فيهم ألف سـنة إلا خمسين عاما
فأخذهم الطوفان وهم ظالمون
فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها
آية للعالمين﴾ ﴿الوقوف﴾ الم كوفى
لا يفتنون ه الكاذبين ه يسبقونا
ط يحكمون ه ج لآت ط العليم ه
لنفسه ط العالمين ه يعملون ه
حسنا ط فلا تطعهما ط تعملون
ه الصالحين ه كعذاب الله ط
معكم ط العالمين ه المنافقين ه خطاياكم ط شئ ط لكاذبون ه مع أثقالهم ط فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين
يفترون ه عاما ط لحق الحذف أى فلم يؤمنوا فأخذهم الطوفان ط ظالمون ه للعالمين ه ﴿التفسير﴾ انه سبحانه لمـا قال فى خواتيم السورة
المتقدمة ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أى الى مكة ظاهرا ظافرا وكان فى ذلك الردّ من احتمال مشاق الحوادث ما كان قال
بعده (الم أحسب الناس) الى قوله (وهم لا يفتنون) بالجهاد أو نقول لمـا أمر بالدعاء الى الدين القويم فى قوله وادع الى ربك وكان دونه من

قالت اذ قد استحلفتنى فانى أشهد أنك برىء وأنك رسول الله فخر ساجدا يبكى فأوحى الله اليـه
تبارك وتعالى ما يبكيك قد سلطناك على الارض فمرها بمـا شئت فقال خذيهم فأخذتهم الى ما شاء
الله فقالوا يا موسى يا موسى فقال خذيهم فأخذتهم الى ما شاء الله فقالوا يا موسى يا موسى فخسفتهم
قال وأصاب بنى اسرائيل بعـد ذلك شدة وجوع شـديد فأتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك قال
فدعا لهـم فأوحى الله اليـه يا موسى أتكلمنى فى قوم قد أظلم ما بينى وبينهـم خطاياهم وقد دعوك
فلم تجبهم أما اياى لو دعوا لأجبتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن المنهال عن
سـعيد بن جبير عن ابن عباس فخسفنا به وبداره الارض قال قيـل للارض خذيهم فأخذتهم الى
أعقابهم ثم قيـل لها خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قيل لها خذيهم فأخذتهم الى أحقائهم ثم قيل لها
خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم ثم قيل لها خذيهم فخسف بهم فذلك قوله فخسفنا به وبداره الارض
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا على بن هاشم بن البريد عن الأعمش عن المنهال عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس فى قوله ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عمه وكان موسى يقضى
فى ناحية بنى اسرائيـل وقارون فى ناحية قال فدعا بغية كانت فى بنى اسرائيل فجعل لها جعلا على
أن ترمى موسى بنفسها فتركته اذا كان يوم تجتمع فيـه بنو اسرائيل الى موسى أتاه قارون فقال
يا موسى ما حدّ من سرق قال أن تقطع يده قال وان كنت أنت قال نعم قال فما حدّ من زنى قال أن يرجم
قال وان كنت أنت قال نعم قال فانك قد فعلت قال ويلك بمن قال بفـلانة فدعاها موسى فقـال
أنشدك بالذى أنزل التوراة أصـدق قارون قالت اللهم اذ نشـدتنى فانى أشهد أنك برىء وأنك
رسول الله وأن عدوّ الله قارون جعل لى جعلا على أن أرميك بنفسى قال فوثب موسى فخر ساجدا
لله فأوحى الله اليـه أن ارفع رأسـك فقد أمرت الارض أن تطيعك فقال موسى يا أرض خذيهم
فأخذتهم حتى بلغوا الحقو قال يا موسى قال خذيهم فأخذتهم حتى بلغوا الصدور قال يا موسى قال
خذيهم قال فذهبوا قال فأوحى الله اليـه يا موسى استغاث بك فلم تغثه أما لو استغاث بى لأجبتـه
ولاغثته حدثنا بشر بن هلال الصواف قال ثنا جعفر بن سليمن الضبعى قال ثنا على بن زيد
ابن جدعان قال خرج عبد الله بن الحرث من الدار ودخل المقصورة فلما خرج منها جلس وتساند
عليها وجلسنا اليه فذكر سليمن بن داود وقال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين
الى قوله ان ربى غنىّ كريم ثم سكت عن ذكر سليمن فقال ان قارون كان من قـوم موسى فبغى
عليهم وكان قد أوتى من الكنوز ما ذكر الله فى كتابه ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة قال انمـا
أوتيته على علم عندى قال وعادى موسى وكان مؤذيا له وكان موسى يصفح عنه ويعفو للقرابة حتى
بنى دارا وجعـل باب داره من ذهب وضرب على جدرانه صفائح الذهب وكان الملأ من
بنى اسرائيـل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه فلم تدعه شقوته
والبلاء حتى أرسل الى امرأة من بنى اسرائيل مشهورة بالخنا مشهورة بالسب فأرسل اليها فجاءته

المتاعب وأعباء الرسالة مالا يخفى بدأ السورة بما يهوّن على النفس بعض ذلك وأيضا لما بين أن كل هالك له رجوع اليه ردّ على منكرى الحشر بأن الامر ليس على ماحسبوه ولكنهم يكلفون فى دار الدنيا ثم يرجعون الى مقام الجزاء والحساب قال أهل البرهان وقوع الاستفهام بعد الم يدل على استقلالها وانقطاعها عما بعدها فى هذه السورة وفى غيرها من السور وفى تصدير السورة بأمثال هذه الحروف تنبيه للمخاطب وايقاظ له من سنة الغفلة كما يقدم لذلك كلام (٧٦) له معنى مفهوم كقول القائل اسمع وكن لى ولا يقدم إلا اذا كان فى الحديث شأن و بالخطاب اهتمام ولهذا ورد بعد هذه الحروف ذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن الذى لا يخفى غناؤه والاهتمام بشأنه كقوله الم ذلك الكتاب الم الله لا اله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب أنزل اليك يس والقرآن ص والقرآن الم تنزيل الكتاب إلا ثلاث سور كهيعص الم أحسب الناس الم غلبت الروم ولا يخفى أن ما بعد حروف التهجى فيها من الامور العظام التى يحق أن ينبه عليها بيانه فى هذه السورة أن القرآن ثقله وعبؤه بما فيه من التكاليف وبيانه فى سورة مريم ظاهر لان خلق الولد فيما بين الشيخ الفانى والعجوز العاقر معجز وكذا الاخبار عن غلبة الروم قبل وقوعها ومعنى الآية راجع الى أن الناس لا يتركون بمجرد التلفظ بكلمة الايمان بل يؤمرون بأنواع التكاليف واختلفوا فى سبب نزولها فقيل نزلت فى عمار بن ياسر والوليد ابن الوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة وقيل نزلت فى أقوام هاجروا وتبعهم الكفار فاستشهد بعضهم ونجا الباقون وقيل فى مهجع ابن عبدالله مولى عمر بن الخطاب وهو أول قتيل من المسلمين رماه عامر بن الحضرمى يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة قال جار الله مفعولا الحسبان الترك وعلته والتقدير أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا قال والترك بمعنى التصيير فقوله وهم لا يفتنون حال سدّ مسدّ ثانى مفعوليه وقال آخرون تقديره أحسبوا أنفسهم متروكة غير مفتونين لان قالوا آمنا وأقول ان من خواص أن مع الفعل وأن مع جزأيه سدّها مسدّ مفعولى أفعال القلوب والحكم بأن الترك ههنا بمعنى التصيير غير لازم يؤيد ما ذكرنا من المعنيين قوله سبحانه فى موضع آخر أم حسبتم أن تتركوا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف

فقال لها هل لك أن أموّلك وأعطيك وأخلطك فى نسائى على أن تأتينى والملأ من بنى اسرائيل عندى فتقولى يا قارون ألا تنهى عنى موسى قالت بلى فلما جلس قارون وجاء الملأ من بنى اسرائيل أرسل اليها فجاءت فقامت بين يديه فقلب الله قلبها وأحدث لها توبة فقالت فى نفسها لأن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكذب عدوّ الله له فقالت ان قارون قال لى هل لك أن أموّلك وأعطيك وأخلطك بنسائى على أن تأتينى والملأ من بنى اسرائيل عندى فتقولى يا قارون ألا تنهى عنى موسى فلم أجد توبة أفضل من أن لا أوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكذب عدوّ الله فلما تكلمت بهذا الكلام سقط فى يدى قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع فى هلكة وشاع كلامها فى الناس حتى بلغ موسى فلما بلغ موسى اشتد غضبه فتوضأ من الماء وصلى وبكى وقال يارب عدوّك لى مؤذ أراد فضيحتى وشينى يارب سلطنى عليه فأوحى الله اليه أن مر الأرض بما شئت تطعك فجاء موسى الى قارون فلما دخل عليه عرف الشر فى وجه موسى له فقال يا موسى ارحمنى قال يا أرض خذيهم قال فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه الى الكعبين وجعل يقول يا موسى فأخذتهم الى ركبهم وهو يتضرع الى موسى يا موسى ارحمنى قال يا أرض خذيهم قال فاضطربت داره وساخت وخسف بقارون وأصحابه الى سررهم وهو يتضرع الى موسى يا موسى ارحمنى قال يا أرض خذيهم فخسف به وبداره وأصحابه قال وقيل لموسى صلى الله عليه وسلم يا موسى ما أفظك أما وعزتى لو إياى نادى لأجبته حدثنى بشر بن هلال قال ثنا جعفر بن سليمن عن أبى عمران الجونى قال بلغنى أنه قيل لموسى لا أعبد الأرض لأحد بعدك أبدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى وعبد الحميد الحمانى عن سفيان عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال عبد الحميد عن أبى نصر عن ابن عباس ولم يذكر ابن مهدى أبا نصر فخسفنا به وبداره الأرض قال الأرض السابعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال بلغنا أنه يخسف به كل يوم مائة قامة ولا يبلغ أسفل الأرض الى يوم القيامة فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حبان عن جعفر ابن سليمن قال سمعت مالك بن دينار قال بلغنى أن قارون يخسف به كل يوم مائة قامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فخسفنا به وبداره الارض ذكر لنا أنه يخسف به كل يوم قامة وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وقوله فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله يقول فلم يكن له جند يرجع اليهم ولا فئة ينصرونه لما نزل به من سخطه بل تبرؤا منه وما كان من المنتصرين يقول ولا كان هو ممن ينتصر من الله اذ أحل به نقمته فيمتنع لقوته منها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما كان له من فئة ينصرونه أى جند ينصرونه وما عنده منعة يمتنع بها من الله وقد بينا معنى الفئة فيما مضى وأنها الجماعة من الناس وأصلها الجماعة التى يفىء اليها الرجل عند الحاجة اليهم للعون على

العدو

من مفارقة الاوطان وكل ما يحب ويستلذ ومن ملاقاة الاعداء والمصابرة على أذاهم وسائر ما تكرهه النفس والتحقيق أن المقصود من خلق البشر هو العبادة الخالصة لله فاذا قال باللسان آمنت فقد ادعى طاعة الله بالجنان فلا بدّ له من شهود وهو الاتيان بالاركان واذا حصل الشهود فلابد له من مزك وهو بذل النفس والمال فى سبيل الرحمن فمعنى الآية أحسبوا أن يقبل منهم دعواهم بلا شهود وشهود بلا مزك أو المراد أحسبوا أن يتركوا فى أول المقامات لا بل ينقلون الى أعلى الدرجات وهو مقام (٧٧) الاخلاص والقربات ثم مثل حال هؤلاء بحال السلف منهم قائلا ولقد فتنا الذين من قبلهم أراد كذلك فعل الله بمن قبلهم لم يتركهم بمجرد قولهم آمنا بل أمرهم بالطاعات وزجرهم عن المنهيات وقوله فليعلمن الله كقوله وليعلم الله وقدمر تحقيقه فى آل عمران والحاصل أن التجدد يرجع الى المعلوم لا الى العالم ولا الى العلم وذلك لان الاول زمانى دون الأخيرين وأما عبارات المفسرين فقال مقاتل فليرين الله وليظهرن الله وقيل فليميزن وجوز جار الله أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليبينن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين قال الامام فخر الدين الرازى فى وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبى العهد بالاسلام فى أول ايجاب التكليف وعن قوم مستديمى الكفر مستمرين عليه فقال فى حق الاولين الذين صدقوا بصيغة الفعل المنبئ عن التجدد وقال فى حق الآخرين وليعلمن الكاذبين بالصيغة المنبئة عن الثبات وانما قال يوم ينفع الصادقين صدقهم بلفظ اسم الفاعل لان الصدق يومئذ قد يرسخ فى قلوب المؤمنين بخلاف أوائل الاسلام ثم بين بقوله أم حسب الذين الخ أن من كلف بشئ ولم يمتثل عذب فى الحال والا يعذب فى الاستقبال نظيره قوله ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا والحاصل أن الامهال لا يوجب الاهمال والتعجيل فى جزاء الاعمال انما يوجد ممن يخاف الفوت لولا الاستعجال ومعنى الاضراب أن هذا الحسبان أشنع من الحسبان الاول لان ذلك يقدر أنه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه ولهذا ختم الآية بقوله (ساء ما يحكمون) والمخصوص محذوف وما موصولة أو مبهمة والتقدير بئس الذى يحكمون حكمهم هذا وبئس حكما يحكمونه حكمهم هذا وفى الآية ابطال قول من ذهب الى ان التكاليف ارشادات والا يعاد عليها ترغيب وترهيب ولا يوجب من الله تعذيب واعلم أن أصول الدين ثلاثة معرفة المبدا وأشار اليه بقوله

العدو ثم تستعمل ذلك العرب فى كل جماعة كانت عونا للرجل وظهرا له ومنه قول خفاف

فلم أر حيا لقاحا (١) * وخدل بين فاضحة وحجر
أشد على صروف الدهر ادا * وأمر منهم فئة بصبر

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ يقول تعالى ذكره وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس من الدنيا وغناه وكثرة ماله وما بسط له منها بالأمس يعنى قبل أن ينزل به ما نزل من سخط الله وعقابه يقولون ويكأن الله * اختلف فى معنى ويكأن الله فأما قتادة فانه روى عنه فى ذلك قولان أحدهما ما حدثنا به ابن بشار قال ثنا محمد بن خالد ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال فى قوله ويكأنه قال ألم تر أنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويكأنه أولا ترى أنه وحدثنى اسمعيل بن المتوكل الأشجعى قال ثنا محمد بن كثير قال ثنى معمر عن قتادة ويكأنه قال ألم تر أنه * والقول الآخر ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فى قوله ويكأن الله يبسط الرزق قال أولم يعلم أن الله ويكأنه أولا يعلم أنه وتأوّل هذا التأويل الذى ذكرناه عن قتادة فى ذلك أيضا بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة واستشهد لصحة تأويله ذلك كذلك بقول الشاعر

سالتانى الطلاق أن رأتانى * قلّ مالى قد جئتمانى بنكر
ويكأن من يكن له نشب يحـ * ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

* وقال بعض نحويى الكوفة ويكأن فى كلام العرب تقرير كقول الرجل أما ترى الى صنع الله واحسانه وذكر أنه أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها أين ابننا فقال ويكأنه وراء البيت معناه أما ترينه وراء البيت قال وقد يذهب بها بعض النحويين الى أنها كلمتان يريد ويك أنه كأنه أراد ويلك فحذف اللام فتجعل أن مفتوحة بفعل مضمر كأنه قال ويلك اعلم أنه وراء البيت فأضمر اعلم قال ولم نجد العرب تعمل الظن مضمرا ولا العلم وأشباهه فى أن وذلك أنه يبطل اذا كان بين الكلمتين أو فى آخر الكلمة فلما أضمر جرى مجرى المتأخر ألا ترى أنه لا يجوز فى الابتداء أن يقول ياهذا أنك قائم وياهذا أن قمت يريد علمت او أعلم أو ظننت أو أظن وأما حذف اللام من قولك ويلك حتى تصير ويك فقد تقوله العرب لكثرتها فى الكلام قال عنترة

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها * قول الفوارس ويك عنتر أقدم

قال وقال آخرون ان معنى قوله ويكأن وى منفصلة من كأن كقولك للرجل وى أما ترى ما بين يديك فقال وى ثم استأنف كأن الله يبسط الرزق وهى تعجب وكأن فى معنى الظن والعلم فهذا

(١) كذا فى النسخ ولم نقف على البيتين بعد البحث فحررهما اه كتبه مصححه

آمنا ومعرفة الوسط وهو ارسال الرسل وايضاح السبل واليه اشار بقوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا ومعرفة المعاد اما للاشقياء وهو قوله ألم أحسب الآية واما للسعداء وهو قوله (من كان يرجو) أى يأمل (لقاء) جزاء (الله فان اجل الله لآت) فان أراد بالاجل الموت ففيه اشارة الى بقاء النفس بعد فراق البدن فلولا البقاء لما حصل اللقاء كقولك من كان يرجو الخير فان السلطان واصل فانه لا يفهم منه الا ايصال الخير بوصوله ومثله من كان يرجو لقاء الملك (٧٨) فان يوم الجمعة قريب اذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة ويحتمل أن يراد بالاجل الوقت المضروب للحشر وقيل يرجو بمعنى يخاف من قول الهذلى * اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها * (وهو السميع) لاقوال العباد صدقوا أم كذبوا (العليم) بنياتهم وطوياتهم وبسائر أعمالهم فيجازيهم بالمسموع ما لا أذن سمعت وبالمرئى ما لا اعين رأت وبالنيات ما لا خطر على قلب بشر ثم بين بقوله (ومن جاهد) الآية أن فائدة التكاليف والمجاهدات انما ترجع الى المكلف والله غنى عن كل ذلك قال المتكلمون من الاشاعرة فى الآية دلالة على أن رعاية الأصلح لا تجب على الله والا كان مستكملا بذلك وأن أفعاله لا تعلل بغرض لان ذلك خلاف الغنى وأنه ليس فى مكان والا لزم افتقاره وأنه ليست قادريته بقدرة ولا عالميته بعلم لان القدرة والعلم غيره فيلزم افتقاره ويمكن أن يجاب عن الاول بأن وجوب صدور الاصلح عنه لمقتضى الحكمة لا يوجب الاستكمال وعن الثانى بأن استتباع الفائدة لا يوجب افتقار المفيد وعن الثالث أن استصحاب المكان غير الافتقار اليه وعن الرابع أن العالم هو ما يغاير ذات الله مع صفاته وفى الآية بشارة من وجه وانذار من وجه آخر وذلك أن الاستغناء عن الكل يوجب غناه عن تعذيب كل فاجر كما أنه يمكن أن يهلك كل صالح ولا شئ عليه الا أنه رجح جانب البشارة بقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وقد مر مرارا أن الايمان فى الشرع عبارة عن التصديق بجميع ما قال الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفصيلا فيما علم واجمالا فيما لم يعلم والعمل الصالح هو الذى ندب الله ورسوله اليه والفاسد ما نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنه وعند المعتزلة الامر والنهى مترتب على الحسن والقبح ثم العمل الصالح باق لانه فى مقابلة الفاسد والفاسد هو الهالك التالف يقال فسد الزرع اذا خرج عن حد الانتفاع ولكن العمل عرض لا يبقى بنفسه ولا بالعامل لان كل شئ هالك الا وجهه فبقاؤه انما يتصور اذا كان لوجه الله ومنه يعلم أن النية شرط فى

حدثنا

وجه يستقيم قال ولم تكتبها العرب منفصلة ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة وقد يجوز أن تكون كثر بها الكلام فوصلت بما ليست منه * وقال آخر منهم ان وى تنبيه وكأن حرف آخر غيره بمعنى لعل الامر كذا وأظن الامر كذا لأن كأن بمنزلة أظن وأحسب وأعلم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة القول الذى ذكرنا عن قتادة من أن معناه ألم تر ألم تعلم للشاهد الذى ذكرنا فيه من قول الشاعر والرواية عن العرب وأن ويكأن فى خط المصحف حرف واحد ومتى وجه ذلك الى غير التأويل الذى ذكرنا عن قتادة فانه يصير حرفين وذلك أنه ان وجه الى قول من تأوله بمعنى ويلك اعلم أن الله وجب أن يفصل ويك من أن وذلك خلاف خط جميع المصاحف مع فساده فى العربية لما ذكرنا وان وجه الى قول من يقول وى بمعنى التنبيه ثم استئناف الكلام بكأن وجب أن يفصل وى من كأن وذلك أيضا خلاف خطوط المصاحف كلها فاذا كان ذلك حرفا واحدا فالصواب من التأويل ما قاله قتادة واذ كان ذلك هو الصواب فتأويل الكلام وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالامس يقولون لما عاينوا ما أحل الله به من نقمته ألم تر يا هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسع عليه لا لفضل منزلته عنده ولا لكرامته عليه كما كان بسط من ذلك لقارون لا لفضله ولا لكرامته عليه ويقدر يقول ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك ويقتر عليه لا لهوانه عليه ولا لسخطه عمله وقوله لولا أن منّ الله علينا يقول لولا أن تفضل علينا فصرف عنا ما كنا تمنيناه بالأمس لخسف بنا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار سوى شيبة لخسف بنا بضم الخاء وكسر السين وذكر عن شيبة والحسن لخسف بنا بفتح الخاء والسين بمعنى لخسف الله بنا وقوله ويكأنه لا يفلح الكافرون يقول ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون فتنجح طلباتهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ يقول تعالى ذكره تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق فى الأرض وتجبرا عنه ولا فسادا يقول ولا ظلم الناس بغير حق وعملا بمعاصى الله فيها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن زياد بن أبى زياد قال سمعت عكرمة يقول لا يريدون علوّا فى الأرض ولا فسادا قال العلو التجبر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مسلم البطين تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا قال العلو التكبر فى الحق والفساد الأخذ بغير الحق حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مسلم البطين للذين لا يريدون علوا فى الأرض قال التكبر فى الأرض بغير الحق ولا فسادا أخذ المال بغير حق * قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد ابن جبير للذين لا يريدون علوا فى الأرض قال البغى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله للذين لا يريدون علوا فى الأرض قال تعظما وتجبرا ولا فسادا عملا بالمعاصى

الاعمال الصالحة وهي كونها لله تعالى وخالف زفر في نية الصوم وأبو حنيفة في نية الوضوء وقدمر ثم انه تعالى ذكر في مقابلة الايمان والعمل الصالح أمرين تكفير السيئات والجزاء بالأحسن فتكفير السيئات في مقابلة الايمان والجزاء بالأحسن في مقابلة العمل الصالح ومنه يعلم أن الايمان يقتضي عدم الخلود في النار لان الذي كفر سيئاته يدخل الجنة لا محالة فالجزاء الاحسن يكون غير الجنة وهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد أن يكون هو الرؤية عند من يقول بها (٧٩) وههنا بحث وهو أن قوله (لنكفرن) يستدعي وجود السيئات حتى تكفر فالمراد بالذين آمنوا وعملوا اما قوم مسلمون مذنبون واما قوم مشركون آمنوا فحط الايمان ماقبله أو يقال ان وعد الجميع بأشياء لا يستدعي وعد كل واحد بكل واحد من تلك الاشياء نظيره قول الملك لقوم اذا أطعتموني أكرم آباءكم وأحترم أبناءكم وهذا لا يقتضي أن يكرم آباء من توفي أبوه ويحترم ابن من لم يولد له ابن ولكن مفهومه أنه يكرم آباء من له أب ويحترم ابن من له ابن أو يقال ما من مكلف الا وله سيئة حتى الانبياء فان ترك الاولى بالنسبة اليهم سيئة بل حسنات الابرار سيئات المقربين وحين بين حسن التكاليف ووقوعها وذكر ثواب من حقق التكاليف أصولها وفروعها أشار بقوله (ووصينا الانسان) الآية الى أنه لا دافع لهذه السيرة ولا مانع لهذه الطريقة فان الانسان اذا انقاد لاحد ينبغي أن ينقاد لأبويه ومع هذا لو أمروه بالمعصية لا يجوز اتباعهم فكيف غيرهم ومنه يعلم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومعنى وصينا أمرنا كما مر في قوله ووصى بها ابراهيم وقوله بوالديه أي بتعهدهما ورعاية حقوقهما وعلى هذا ينتصب حسنا بمضمر يدل عليه ما قبله أي أولهما حسنا أو افعل بهما حسنا كأنه قال قلنا له ذلك وقلنا له وان جاهداك الى آخره فلو وقف على قوله بوالديه حسن ويجوز أن يراد وصيناه بايتاء والديه حسنا وقلنا له (وان جاهداك) وقوله (ما ليس لك به علم) كقوله ما لم ينزل به عليكم سلطانا أي لا معلوم ليتعلق العلم به واذا كان التقليد في الايمان قبيحا فكيف يكون حال التقليد في الكفر وعلى وجوب ترك طاعة الوالدين اذا أراد اولدهما على الاشراك دليل عقلي وذلك أن طاعتهما وجبت بأمر الله فاذا نفيا طاعة الله في الاشراك به فقد أبطلا طاعة الله مطلقا ويلزم منه عدم لزوم طاعة الوالدين بأمر الله وكل ما يفضي وجوده الى عدمه فهو باطل فطاعة الوالدين في اتخاذ الشرك بالله

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أشعث السمان عن أبي سلمان الأعرج عن علي رضي الله عنه قال ان الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه فيدخل في قوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقوله والعاقبة للمتقين يقول تعالى ذكره والجنة للمتقين وهم الذين اتقوا معاصي الله وأدوا فرائضه وبنحو الذي قلنا في معنى العاقبة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والعاقبة للمتقين أي الجنة للمتقين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره من جاء الله يوم القيامة باخلاص التوحيد فله خير وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم ومن جاء بالسيئة وهي الشرك بالله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من جاء بالحسنه فله خير منها أي له منها حظ خير والحسنة الاخلاص والسيئة الشرك وقد بينا ذلك باختلاف المختلفين ودللنا على الصواب من القول فيه وقوله فلا يجزى الذين عملوا السيئات يقول فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة الا ما كانوا يعملون يقول الا جزاء ما كانوا يعملون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره ان الذي أنزل عليك يا محمد القرآن كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ان الذي فرض عليك القرآن قال الذي أعطاك القرآن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان الذي فرض عليك القرآن قال الذي أعطاكه ۞ واختلف أهل التأويل في تأويل قوله لرادك الى معاد فقال بعضهم معناه لمصيرك الى الجنة ذكر من قال ذلك حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشر عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس لرادك الى معاد قال الى معدنك من الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الى الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن ابراهيم بن حبان سمعت أبا جعفر عن ابن عباس عن أبي سعيد الخدري لرادك الى معاد قال معاده آخرته الجنة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي مالك في ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الى الجنة ليسألك عن القرآن حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي صالح قال الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن سفيان عن السدي عن أبي صالح لرادك الى معاد قال الى الجنة حدثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي مالك قال يردك الى الجنة ثم يسألك عن القرآن حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى ابن يمان عن سفيان عن جابر عن عكرمة ومجاهد قالا الى الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

من الممتنعات وفى قوله (الىّ مرجعكم) ترغيب فى رعاية حقوق الوالدين وترهيب عن عقوقهما وان كانا كافرين الا فى الدعاء الى الشرك وفيه أن المجازى للمؤمن والمشرك اذا كان هو الله وحده فلا ينبغى أن يعق الوالدين لاجل كفرهما وفى قوله (فأنبئكم) دليل على أنه سبحانه عالم بالخفيات لا يعزب عنه شئ يروى أن سعد بن أبى وقاص الزهرى حين أسلم قالت أمه وهى حمنة بنت أبى سفيان ياسعد بلغنى أنك قد صبأت فوالله لا يظلنى سقف بيت وان الطعام والشراب (٨٠) علىّ حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها اليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فنزلت هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعدا أن يداريهما ويرضيهما بالاحسان ثم أكد جزاء من آمن وعمل صالحا بتكرير قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) أى فى زمرتهم وحسن أولئك رفيقا قال الحكماء أى فى المجردين الذين لا كون لهم ولا فساد فيدخل فيه العلويات عندهم ثم بين حال أهل النفاق بعد تقرير حال أهل الكفر والوفاق فقال (ومن الناس من يقول آمنا بالله) يعنى أنا والمؤمنون حقا آمنا ادّعى أن ايمانه كايمانهم فأخبر أن ايمانه لا تحقيق له بدليل قوله (فاذا أوذى فى الله) أى فى سبيله ودينه (جعل فتنة الناس كعذاب الله) قال جار الله أى جعل فتنة الناس صارفة عن الايمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر وهذا على التوهم أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا وهذا فى الواقع وقيل جزعوا من عذاب الناس كما جزعوا من عذاب الله وبالجملة معناه أنهم جعلوا فتنة الناس مع ضعفها وانقطاعها كعذاب الله الأليم الدائم حتى تردّدوا فى الأمر وقالوا ان آمنا نتعرض للتأذى من الناس وذلك أنهم كانوا يمسهم أذى من الكفار وان تركنا الايمان نتعرض لما توعدنا به محمد فاختاروا الاحتراز عن التعرض العاجل ونافقوا وانما قال فتنة الناس ولم يقل عذاب الناس لان فعل العبد ابتلاء من الله وليس أن فى الآية منع من اظهار كلمة الكفر اكراها وانما المنع من اظهارها مع مواطأة القلب التى كانوا عليها ومما يؤكد تذبذبهم قوله (ولئن جاء نصر من ربك) ويلزمه الغنيمة غالبا (ليقولن انا كنا معكم) يعنى دأب المنافق أنه اذا رأى اليد للكافر أظهر ما أضمر من الكفر وان كان النصر للمؤمن أضمر ما أضمر وأظهر المعية وادّعى التبعية وفى تخصيص اسم الرب بالمقام اشارة الى أن التوبة والرحمة هى التى أوجبت النصر ثم أخبر

ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة وعطاء ومجاهد وأبى قزعة والحسن قالوا يوم القيامة * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لرادّك الى معاد قال يجىء بك يوم القيامة * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن والزهرى قالا معاده يوم القيامة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لرادّك الى معاد قال يجىء بك يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عون عن الحسن فى قوله لرادّك الى معاد قال معادك من الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله لرادّك الى معاد قال كان الحسن يقول اى والله ان له لمعادا يبعثه الله يوم القيامة ويدخله الجنة * وقال آخرون معنى ذلك لرادّك الى الموت ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن وهب الواسطى قال ثنا محمد ابن عبد الله الزبيرى قال ثنا سفيان بن سعيد الثورى عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لرادّك الى معاد قال الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدّى عن رجل عن ابن عباس قال الى الموت * قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر عن سعيد لرادّك الى معاد قال الى الموت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدّى عمن سمع ابن عباس قال الى الموت حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن سفيان عن الاعمش عن سعيد بن جبير قال الى الموت حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير فى قوله لرادّك الى معاد قال الموت حدثنا القاسم قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الى الموت أو الى مكة * وقال آخرون بل معنى ذلك لرادّك الى الموضع الذى خرجت منه وهو مكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى بن عبيد عن سفيان العصفرى عن عكرمة عن ابن عباس لرادّك الى معاد قال الى مكة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لرادّك الى معاد قال يقول لرادّك الى مكة كما أخرجك منها حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال أخبرنا يونس بن أبى اسحق عن مجاهد قال مولده بمكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن يونس بن أبى اسحق قال سمعت مجاهدا يقول لرادّك الى معاد قال الى مولدك بمكة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن عمرو وهو ابن أبى اسحق عن مجاهد فى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادّك الى معاد قال الى مولدك بمكة حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ثنا ابى عن الفضيل بن مرزوق عن مجاهد أبى الحجاج فى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادّك الى معاد قال الى مولده بمكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عيسى بن يونس عن أبيه عن مجاهد قال الى مولدك بمكة * والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال لرادّك الى عادتك من الموت أو الى عادتك حيث ولدت وذلك

انه سبحانه اعلم بما فى صدور العالمين منهم بما فى صدورهم لانه خبير بما بأنفسهم كما هى وهم لا يعرفون نفوسهم كما هى فالتلبيس لا يفيد المنافق بالنسبة الى الله شيأ لانه لا يجوز عليه الالتباس دليله قوله (وليعلمنّ الله الذين آمنوا وليعلمنّ المنافقين) وفيه وعد للمؤمنين ووعيد للمنافقين اعتبر أمر القلب ههنا وهو فى المؤمن التصديق وفى المنافق النفاق واعتبر فى أول السورة أمر اللسان وهو فى الكافر الكذب لانه يقول الله غير موجود أو الله أكثر من واحد وفى المؤمن الصدق لانه يقول الله واحد وحين (٨١) بين أحوال الفرق الثلاثة وذكر أن الكافر يدعو من يقول آمنت الى الكفر بالفتنة وبين أن عذاب الله فوقها وكان للكافر أن يقول للمؤمن لم تصبر فى الذل على الايذاء ولم لا تدفع الذل والعذاب عن نفسك بموافقتنا وكان جواب المؤمن أن يقول خوفا من عذاب الله على خطيئة مذهبكم فقالوا الاخطيئة فيه وان كان فيه خطيئة فعلينا أشار الى جميع ذلك بقوله (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) أرادوا وليجتمع هذان الأمران فى الحصول أن تتبعوا طريقتنا وأن نحمل خطاياكم نظيره ليكن منك العطاء وليكن منى الدعاء وليس هو فى الحقيقة أمر طلب وايجاب ولكنه حكاية قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان جزاء ومعاد فانا نتحمل عنكم الاثم وترى نظيره فى الاسلام يشجع أحدهم أخاه على ارتكاب بعض المآثم فيقول افعل هذا واثمه على وكم من مغرور بمثل هذا الضمان ثم خبر الله تعالى عنهم بأنهم لا يحملون شيأ من خطاياهم ولا ريب أن هذا مخالف لما زعموا من أنهم يحملون أوزارهم فلهذا حكم الله عليهم بأنهم كاذبون ويجوز ان يكونوا كاذبين لأنهم وعدوا وفى قلوبهم نية الخلف ولا حاجة فى توجيه تسميتهم كاذبين الى التشبيه الذى ذكره فى الكشاف أما الجمع بين قوله (وماهم بحاملين) وبين قوله (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) فهو أن النفى راجع الى الحمل الذى يخفف عن صاحبه بسببه والاثبات يرجع الى أنهم يحملون وزر الاضلال ووزر الضلال مع أن أتباعهم حاملون وزر الضلال كما قال عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينتقص من وزره شئ قال (وليسئلنّ) سؤال تقريع (يوم القيامة عما كانوا يفترون) من أنه لا حشر وعلى تقدير وجوده يحملون

أن المعاد فى هذا الموضع المفعل من العادة ليس من العود الا أن يوجه موجه تأويل قوله لرادّك لمصيرك فيتوجه حينئذ قوله الى معاد الى معنى العود ويكون تأويله ان الذى فرض عليك القرآن لمصيرك الى أن تعود الى مكة مفتوحة لك فان قال قائل فهذه الوجوه التى وصفت فى ذلك قد فهمناها فما وجه تأويل من تأوله بمعنى لرادّك الى الجنة قيل ينبغى أن يكون وجه تأويله ذلك كذلك على هذا الوجه الآخر وهو لمصيرك الى أن تعود الى الجنة فان قال قائل أوكان أخرج من الجنة فيقال له نحن نعيدك اليها قيل لذلك وجهان أحدهما أنه ان كان ابوه آدم صلى الله عليهما أخرج منها فكأن ولده باخراج الله اياه منها قد أخرجوا منها فمن دخلها فكأنما ردّ اليها بعد الخروج والثانى أن يقال انه كان صلى الله عليه وسلم دخلها ليلة أسرى به كما روى عنه أنه قال دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا فقلت لمن هذا فقالوا لعمر بن الخطاب ونحو ذلك من الأخبار التى رويت عنه بذلك ثم رد الى الارض فيقال له ان الذى فرض عليك القرآن لرادّك لمصيرك الى الموضع الذى خرجت منه من الجنة الى أن تعود اليه فذلك ان شاء الله قول من قال ذلك وقوله قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين ربى أعلم من جاء بالهدى الذى من سلكه نجا ومن هو فى جور عن قصد السبيل منا ومنكم وقوله مبين يعنى أنه يبين للفكر الفهم اذا تأمله وتدبره أنه ضلال وجور عن الهدى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين﴾ يقول تعالى ذكره وما كنت ترجو يا محمد أن ينزل عليك هذا القرآن فتعلم الانبياء والأخبار عن الماضين قبلك والحادثة بعدك مما لم يكن بعد مما لم تشهده ولا تشهده ثم تتلو ذلك على قومك من قريش الا أن ربك رحمك فأنزله عليك فقوله الا رحمة من ربك استثناء منقطع وقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين يقول فاحمد ربك على ما أنعم به عليك من رحمته اياك بانزاله عليك هذا الكتاب ولا تكونن عونا لمن كفر بربك على كفره به وقيل ان ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وان معنى الكلام ان الذى فرض عليك القرآن فأنزله عليك وما كنت ترجو أن ينزل عليك فتكون نبيا قبل ذلك لرادّك الى معاد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا يصدّنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين﴾ يقول تعالى ذكره ولا يصرفنك عن تبليغ آيات الله وحججه بعد أن أنزلها اليك ربك يا محمد هؤلاء المشركون بقولهم لولا أوتى مثل ما أوتى موسى وادع الى ربك وبلغ رسالته الى من أرسلك اليه بها ولا تكونن من المشركين يقول ولا تتركن الدعاء الى ربك وتبليغ المشركين رسالته فتكون ممن فعل فعل المشركين بمعصيته ربه وخلافه أمره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره ولا تعبد يا محمد مع معبودك الذى له عبادة كل شئ معبودا آخر سواه وقوله لا اله الا هو يقول لا معبود تصلح له العبادة الا الله الذى كل شئ هالك الا وجهه

خطايا التابعين ثم أجمل قصة نوح ومن بعده تصديقا لقوله فى اول السورة ولقد فتنا الذين من قبلهم وفيه تثبيت للنبى عليه الصلاة والسلام كانه قيل له ان نوحا لبث ألف سنة تقريبا يدعو قومه ولم يؤمن منهم الا قليل فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك وفيه تحذير لكفار قريش فان أولئك الكفار مانجوا من العذاب مع تلك الاعمار الطوال فهؤلاء كيف يسلمون أم كيف يغترون * سؤال ما الفائدة فى قوله ألف سنة الا خمسين عاما دون أن يقول تسعمائة وخمسين الجواب لان العبارة الثانية تحتمل التجويز والتقريب فان من قال عاش فلان ألف سنة يمكن أن يتوهم أنه يدعى ذلك تقريبا لا تحقيقا فاذا قال الا شهرا أو الا سنة زال ذلك الوهم وأيضا المقصود تثبيت النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الألف الذى هو عقد معتبر أوصل الى هذا الغرض وانما جاء بالمميز فى المستثنى مخالفا لما فى المستثنى منه تجنبا من التكرار الخالى عن الفائدة وتوسعة فى الكلام قال بعض الاطباء العمر الطبيعى للانسان مائة وعشرون سنة فاعترضوا عليهم بعمر نوح عليه السلام وغيره وذلك أن المفسرين قالوا اعمر نوح ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة ويمكن أن يقال انهم أرادوا بالطبيعى ما كان أكثريا فى أعصارهم ولا ينافى هذا كون بعض الاعمار زائدا على هذا القدر بطريق خرق العادة على أن العادة قد تختلف باختلاف الاعصار والادوار ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين والطوفان ماعم كل المكان بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل وفى قوله (وهم ظالمون) دليل على أن العذاب أخذهم وهم مصرون على الظلم ولو كانوا قد تركوه لما أهلكهم والضمير فى قوله (وجعلناها) اما للحادثة أو للقصة أو للسفينة وأعاجيب هذه القصة وأحوال السفينة وأهوالها قد تقدّمت مرارا ولا ريب أنها آيات يجب أن يستدل بها على موجدها ﴿التأويل﴾ أقسم بفردانيته وبآلائه ونعمائه أنه مهما يكون من العبد التقرب اليه بأصناف العبودية يكون منه التقرب الى العبد بألطاف الربوبية يؤكده قوله أحسب الناس أى الناسون من أهل البطالة أن يتركوا بمجرد الدعوى ولا يطالبون بالبلوى فالمحبة والمحنة توأمان وبالامتحان يكرم الرجل أو يهان فمن زاد قدر معناه زاد قدر

تكرير

واختلف فى معنى قوله الا وجهه فقال بعضهم معناه كل شئ هالك الا هو * وقال آخرون معنى ذلك الا ما أريد به وجهه واستشهدوا لتأويلهم ذلك كذلك بقول الشاعر

أستغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد اليه الوجه والعمل

وقوله له الحكم يقول له الحكم بين خلقه دون غيره ليس لأحد غيره معه فيهم حكم واليه ترجعون يقول واليه تردّون من بعد مماتكم فيقضى بينكم بالعدل فيجازى مؤمنيكم جزاءهم وكفاركم ما وعدهم

آخر تفسير سورة القصص

﴿ تفسير سورة العنكبوت ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ قال أبو جعفر وقد بينا معنى قول الله تعالى ذكره الم وذكرنا أقوال أهل التأويل فى تأويله والذى هو أولى بالصواب من أقوالهم عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه أظن الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين اياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء امتحان بأن قالوا آمنا بك يا محمد فصدقناك فيما جئتنا به من عند الله كلا لنختبرهم ليتبين الصادق منهم من الكاذب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله آمنا وهم لا يفتنون قال يبتلون فى أنفسهم وأموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم لا يفتنون أى لا يبتلون حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد فى قوله وهم لا يفتنون قال لا يبتلون فأن الاولى منصوبة بحسب والثانية منصوبة فى قول بعض أهل العربية بتعلق يتركوا بها وأن معنى الكلام على قوله أحسب الناس أن يتركوا لأن يقولوا آمنا فلما حذفت اللام الخافضة من لأن نصبت على ماذكرت وأما على قول غيره فهى فى موضع خفض باضمار الخافض ولا تكاد العرب تقول تركت فلانا أن يذهب فتدخل أن فى الكلام وانما تقول تركته يذهب وانما أدخلت أن ههنا لاكتفاء الكلام بقوله أن يتركوا اذ كان معناه أحسب الناس أن يتركوا وهم لا يفتنون من أجل أن يقولوا آمنا فكان قوله أن يتركوا مكتفية بوقوعها على الناس دون أخبارهم وان جعلت أن فى قوله أن يقولوا منصوبة بنية

بلواه فالبلاء للنفوس لاخراجها عن اوطان الكسل وتصريفها فى حسن العمل والبلاء على القلوب لتصفيتها من شين الرين لقبول نقوش الغيب والبلاء على الارواح لتجردها بالبوائق عن العلائق والبلاء على الاسرار فى اعتكافها فى مشاهدة الكشف بالصبر على آثار التجلى الى أن تصير مستهلكة فيه بافنائه وان أشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلا يجرى عليه نكر فى أوقات غلبات شواهد الحق فيظن أنه هو الحق لا يدرى أنه من الحق ولا يقال انه الحق وعزيز من يهتدى الى ذلك أم حسب (٨٣) الذين فيه أن موجبات عمل السيئات سواد مرآة القلوب بصدا الحسبان ورين الكفران ليتوهموا أن يسبقونا بالعدوان عن طريق سنتنا فى الانتقام من أهل الحال والاجرام ساء ما يحكمون بالنجاة عن الدركات باتباع الشهوات هيهات هيهات من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت فان من رجى عمره فى رجاء لقائنا فهو الذى نبيح له النظر الى جمالنا وهو السميع لأنين المشتاقين العليم بطويات الصادقين ومن جاهد بالسعى فى طلبنا فانما يجاهد لنفسه لانها بالتخلية عن الاخلاق الذميمة وبالتحلية بالصفات الحميدة تخلص عن الامارية وتستأهل للطمئنية فتستحق الجذبة ارجعى الى ربك والذين آمنوا قلوبهم بمحبتنا وعملوا الصالحات ببذل الوجود فى طلب جودنا لنكفرن عنهم سيئات وجودهم المجازى ولنجزينهم وجودا حقيقيا أحسن منه وان جاهداك لتشرك بى فيه اشارة الى أن المريد اذا تمسك بذيل شيخ كامل وتوجه الى الحضرة بعزيمة من عزائم الرجال فان منعه الوالدان عن ذلك فعليه أن لا يطيعهما لانه سبب ولادته فى عالم الارواح وهما سبب ولادته فى عالم الاشباح كما قال عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فهو أحق برعاية الحقوق منهما جعل فتنة الناس كعذاب الله فيه أن المؤمن من كف الاذى والولى من يتحمل من الخلق الاذى ولا تترشح عنه الشكوى من البلوى كالارض يلقى عليها كل قبيح فينبت منها كل مليح والمنافق اذا لم يكن فى حماية خشية الله يفترسه خوف الخلق اذا أوذى فى الله وقال الذين كفروا فيه أن كافر النفس وصفاته يقولون بلسان الطبيعة الانسانية لموسى القلب والسر والروح وصفاتهم اتبعوا سبيلنا فى طلب الشهوات الحيوانية ولنحمل خطاياكم أى ندفع عنكم ضرر ما يرجع اليكم فى متابعة شهوات الدنيا وطيباتها وما هم بحاملين شيأ من خطاياهم وهو العمى والصمم والبكم وسائر الصفات النفسانية

تكرير أحسب كان جائزا فيكون معنى الكلام أحسب الناس أن يتركوا أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الامم ممن أرسلنا اليهم رسلنا فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد باعدائهم وتمكيننا اياهم من أذاهم كموسى اذ أرسلناه الى بنى اسرائيل فابتليناهم بفرعون وملئهم وكعيسى اذ أرسلناه الى بنى اسرائيل فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه فكذلك ابتلينا أتباعك بمخالفيك من أعدائك فليعلمن الله الذين صدقوا منهم فى قيلهم آمنا وليعلمن الكاذبين منهم فى قيلهم ذلك والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار وفى حال الاختبار وبعد الاختبار ولكن معنى ذلك وليظهرن الله صدق الصادق منهم فى قيله آمنا بالله من كذب الكاذب منهم بابتلائه اياه بعدوه ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه على نحو ما قد بيناه فيما مضى قبل وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين عذبهم المشركون ففتن بعضهم وصبر بعضهم على أذاهم حتى أتاهم الله بفرج من عنده ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول نزلت يعنى هذه الآية الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا الى قوله وليعلمن الكاذبين فى عمار بن ياسر اذ كان يعذب فى الله * وقال آخرون بل نزل ذلك من أجل قوم كانوا قد أظهروا الاسلام بمكة وتخلفوا عن الهجرة والفتنة التى فتن بها هؤلاء القوم على مقالة هؤلاء هى الهجرة التى امتحنوا بها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطر عن الشعبى قال انها نزلت يعنى الم أحسب الناس أن يتركوا الآيتين فى أناس كانوا بمكة أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب محمد نبى الله صلى الله عليه وسلم من المدينة انه لا يقبل منكم اقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فردوهم فنزلت فيهم هذه الآية فكتبوا اليهم انه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا فقالوا نخرج فان اتبعنا أحد قاتلناه قال فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ثم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولقد فتنا قال ابتلينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد ولقد فتنا الذين من قبلهم قال ابتلينا الذين من قبلهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم أى ابتلينا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا ساء ما يحكمون ﴾ يقول تعالى ذكره أم حسب الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره وهم المعنيون بقوله الذين يعملون السيآت

ولكن يحملون أثقالهم هـذه الاوقات مع الآفات التى تختص بها والله أعلم بالصواب ﴿وابراهيم اذقال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين أولم يروا كيف يبـدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض (٨٤) فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير

يعـذب من يشاء ويرحم من يشاء واليـه تقلبون وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقـائه أولئـك يئسوا من رحمتى وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أوحرقوه فأنجاه الله من النـار ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انمـا اتخذتم من دون الله اوثانا مودّة بينكم فى الحيوة الدنيـا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم ووهبناله اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتينا أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ولوطا اذقال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العـالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرنى على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ولمـا أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقـد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون والى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبـدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان

الانسان

أن يسبقونا يقول أن يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قوله أم حسب الذين يعملون السـيآت أى الشرك أن يسـبقونا حدثنى محمـد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن يسبقونا أن يعجزونا وقوله ساء ما يحكمون يقول تعالى ذكره ساء حكمهم الذى يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيآت يسبقوننا بأنفسهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانمـا يجاهد لنفسـه ان الله لغنى عن العالمين﴾ يقول تعالى ذكره من كان يرجو الله يوم لقائه ويطمع فى ثوابه فان أجل الله الذى أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريبا وهو السميع يقول والله الذى يرجو هذا الراجى بلقـائه ثوابه السميع لقوله آمنا بالله العليم بصـدق قيله انه قد آمن من كذبه فيه وقوله ومن جاهد فانمـا يجاهد لنفسه يقول ومن جاهد عدوّه من المشركين فانمـا يجاهـد لنفسه لانه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده والهرب من العقاب فليس بالله الى فعله ذلك حاجة وذلك أن الله غنىّ عن جميع خلقـه له الملك والخلق والامر ﴿ القول فى تأويل قوله تعـالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرنّ عنهم سـيآتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون﴾ يقول تعـالى ذكره والذين آمنوا بالله ورسوله فصح ايمـانهم عند ابتلاء الله اياهم وفتنته لهم ولم يرتدوا عن أديانهـم بأذى المشركين اياهم وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سـيآتهم التى سلفت منهـم فى شركهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون يقول ولنثيبنهم على صالحات أعمالهم فى اسلامهم أحسن ما كانوا يعملون فى حال شركهم مع تكفيرنا سيآت أعمالهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما الىّ مرجعكم فأنبئكم بمـا كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره ووصينا الانسان فيما أنزلنا الى رسولنا بوالديه أن يفعل بهما حسنا واختلف أهل العربية فى وجه نصب الحسن فقال بعض نحويى البصرة نصب ذلك على نية تكرير وصينا وكأن معنى الكلام عنده ووصينا الانسان بوالديه ووصيناه حسنا وقال قد يقول الرجل وصيته خيرا أى بخير وقال بعض نحويى الكوفة معنى ذلك ووصينا الانسان أن يفعل حسنا ولكن العرب تسقط من الكلام بعضه اذا كان فيما بقى الدلالة على ما سقط وتعمل ما بقى فيما كان يعمل فيه المحذوف فنصب قوله حسـنا وان كان المعنى ما وصفت وصينا لانه قد ناب عن الساقط وأنشد فى ذلك

عجبت من دهماء اذ تشكونا * ومن أبى دهماء اذ يوصينا * خيرا بها كأنمـا جافونا

وقال معنى قوله يوصينا خيرا أن نفعل بهـا خيرا فاكتفى بيوصينا منـه وقال ذلك نحو قوله فطفق مسحا أى يمسح مسحا وقوله وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما يقول ووصينا

ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ ۞ القراآت أولم تروا بتاء الخطاب حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل النشاءة بفتح الشين بعدها ألف (٨٥) ممدودة حيث كان ابن كثير وأبو عمرو مودّة

الانسان فقلنا له ان جاهدك والداك لتشرك بى ماليس لك به علم أنه ليس لى شريك فلا تطعهما فتشرك بى ماليس لك به علم ابتغاء مرضاتهما ولكن خالفهما فى ذلك الى مرجعكم يقول تعالى ذكره الىّ معادكم ومصيركم يوم القيامة فأنبئكم بما كنتم تعملون يقول فأخبركم بما كنتم تعملون فى الدنيا من صالح الاعمال وسيآتها ثم أجازيكم عليها المحسن بالاحسان والمسىء بما هو أهله وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب سعد بن أبى وقاص ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى قوله فأنبئكم بما كنتم تعملون قال نزلت فى سعد بن أبى وقاص لما هاجر قالت أمه والله لا يظلنى بيت حتى يرجع فأنزل الله فى ذلك أن يحسن اليهما ولا يطيعهما فى الشرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين ﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من الاعمال وذلك أن يؤدوا فرائض الله ويجتنبوا محارمه لندخلنهم فى الصالحين فى مدخل الصالحين وذلك الجنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين ﴾ يقول تعالى ذكره ومن الناس من يقول أقررنا بالله فوحدناه فاذا آذاه المشركون فى اقراره بالله جعل فتنة الناس اياه فى الدنيا كعذاب الله فى الآخرة فارتد عن ايمانه بالله راجعا على الكفر به ولئن جاء نصر من ربك يا محمد أهل الايمان به ليقولن هؤلاء المرتدون عن ايمانهم الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله انا كنا أيها المؤمنون معكم ننصركم على أعدائكم كذبا وافكا يقول الله أوليس الله بأعلم أيها القوم من كل أحد بما فى صدور جميع خلقه القائلين آمنا بالله فاذا أوذى فى الله ارتد عن دين الله وغيرهم فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية ولا يستتر عنه سر ولا علانية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال فتنته أن يرتد عن دين الله اذا أوذى فى الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الى قوله وليعلمن المنافقين قال أناس يؤمنون بألسنتهم فاذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة فى أنفسهم افتتنوا فجعلوا ذلك فى الدنيا كعذاب الله فى الآخرة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية نزلت فى ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فاذا أوذوا وأصابهم بلاء من المشركين رجعوا الى الكفر مخافة من يؤذيهم وجعلوا أذى الناس فى الدنيا كعذاب الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب

بالرفع بينكم بالجر على الاضافة ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعلى وأبو زيد عن المفضل مودة بالرفع بينكم بالفتح الشمونى والبرجمى مودة بالنصب بينكم على الاضافة حمزة وحفص الباقون مودة بالنصب بينكم بالفتح ربى انه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو انكم بهمز واحد أينكم بهمزة بعدها ياء ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب زيد مثله بزيادة مدة فى الثانية يزيد وقالون كلاهما مثل هذه الثانية أبو عمرو والاولى بهمزة واحدة الثانية بهمزتين ابن عامر وحفص هشام يدخل بينهما مدة الباقون بهمزتين فيهما أئنكم كنظائره لننجينه بسكون النون من الانجاء يعقوب وحمزة وعلى وخلف سىء بهم كما ذكر فى هود ومنجوك من الانجاء ابن كثير ويعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل منزلون بالتشديد ابن عامر وثمود غير مصروف فى الحالين حمزة وحفص وسهل ويعقوب ۞ الوقوف واتقوه ط تعلمون ه افكا ط واشكروا له ط ترجعون ه من قبلكم ج للعطف مع الاختلاف بالاثبات والنفى المبين ه يعيده ط يسير ه الاخرة ط قدير ه ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا من يشاء ط لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتفاق الجملتين تقلبون ه السماء ز فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين نصير ه أليم ه النار ط يؤمنون ه أوثانا ج لمن قرأ مودة بالرفع الدنيا ج لاختلاف الجملتين والفصل بين تباين الدارين بعضا ط لاختلاف الجملتين مع اتحاد المقصود من ناصرين ه قيل لا وقف لتعلق الفاء لوط م لان قوله وقال فاعله ابراهيم ولو وصل لأوهم اتحاد الفاعل ربى ط الحكيم ه الدنيا ج للابتداء بان مع واو العطف الصالحين ه الفاحشة ز لان ما بعده يصلح مستأنفا وحالا أو وصفا العالمين ه المنكر ط

لانتهاء الخطاب لابتداء الجواب الصادقين ٥ المفسدين ٥ بالبشرى لا لأن قالوا جواب لما القرية ج للابتداء بان مع احتمال التعليل ظالمين ٥ وقد يوصل دلالة على تدارك ابراهيم لوطا ط بمن فيها ج لأن لام التوكيد تقتضى قسما أى والله لننجينه مع تمام المقصود فى التنجية الا امرأته ج لان ما بعده يصلح مستأنفا فى النظم ولكنه حال المرأة لان المستثنى مشبه بالمفعول أى يستثنى امرأته كائنة من الغابرين ولا تحزن ط فصلا بين البشارتين (٨٦) وتوفيرا للفرح الغابرين ٥ يفسقون ٥ يعقلون ٥ شعيبا لا لتعلق الفاء مفسدين ٥ جاثمين ٥ لان عادا يحتمل أن يكون منصوبا بأخذتهم أو بمحذوف أى واذكر وهذا أوجه لأن قوله وقد تبين حال ولا يحسن أن يكون عامله فأخذتهم والأوجه انتصابه بمحذوف وهو اذكر أو أهلكنا مساكنهم ط لان التقدير مقدرين وعامله فأخذتهم مستبصرين ٥ ج للعطف وهامان يحتمل عندى الوقف وقيل لا بناء على أن قوله ولقد جاءهم حال عامله فأخذتهم سابقين ٥ لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتفاق الجملتين بذنبه ط وكذلك حاصبا ط وأخذته الصيحة ط وخسفنا به الارض ط وأغرقنا ط لعطف الجمل والوقف أوجه تفصيلا لانواع النقم وامهالا لفرصة الاعتبار يظلمون ٥ العنكبوت ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا بيتا ط العنكبوت ج لان وهن بيت العنكبوت معلق يعلمون ٥ ۞ التفسير قوله (وابراهيم) منصوب بمضمر وهو اذكر وقوله (اذ قال) بدل منه بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها أى اذكر وقت قوله لقومه وجوز أن يكون معطوفا على نوحا فأورد عليه أن الارسال قبل الدعوة فكيف يكون وقت الدعوة ظرفا للارسال وأجيب بأن الارسال أمر ممتد الى أوان الدعوة أو المراد أرسلناه حين كان صالحا

قال قال ابن زيد فى قول الله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال هو المنافق اذا أوذى فى الله رجع عن الدين وكفر وجعل فتنة الناس كعذاب الله وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الايمان كانوا بمكة فخرجوا مهاجرين فأدركوا وأخذوا فأعطوا المشركين لما نالهم أذاهم ما أرادوا منهم ذكر الخبر بذلك حدثنا أحمد بن منصور الرمادى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون باسلامهم فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم قبل بعض فقال المسلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم الى آخر الآية قال فكتب الى من بقى بمكة من المسلمين بهذه الآية أن لا عذر لهم فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت فيهم هذه الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الى آخر الآية فكتب المسلمون اليهم بذلك فخرجوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فكتبوا اليهم بذلك ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله الى قوله وليعلمن المنافقين قال هذه الآيات أنزلت فى القوم الذين ردهم المشركون الى مكة وهذه الآيات العشر مدنية الى ههنا وسائرها مكى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ﴾ يقول تعالى ذكره وليعلمن الله أولياء الله وحزبه أهل الايمان بالله منكم أيها القوم وليعلمن المنافقين منكم حتى يميزوا كل فريق منكم من الفريق الآخر باظهار الله ذلك منكم بالمحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم الى الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام وتثاقل المتثاقل منكم عنها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله من قريش للذين آمنوا بالله منهم اتبعوا سبيلنا يقول قالوا كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الاعمال ولنحمل خطاياكم يقول قالوا فانكم ان اتبعتم سبيلنا فى ذلك فبعثتم من بعد الممات وجوزيتم على الاعمال فانا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم قال قول كفار قريش بمكة لمن آمن منهم يقول قالوا لا نبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا ان كان عليكم شئ فهو علينا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وقال الذين

لأن يقول لقومه اعبدوا الله خصوه بالعبادة واتقوا مخالفته (ذلكم) الاخلاص والتقوى (خير لكم ان كنتم تعلمون) كفروا أما العبادة فلانها غاية الخضوع فلا تصلح الا لمن هو فى غاية الكمال فضلا عن الجماد وأما اتقاء خلافه فلأن من قدر على اهلاك الماضين فهو قادر على اهلاك الباقين وتعذيبهم اذا عصوه فالعاقل من يحذر خلاف القادر ثم بين بقوله (انما تعبدون من دون الله أوثانا) أن الذى يعبدونه فى غاية الخسة لانه صنم لا روح له ولا ظلم أشنع من وضع الأخس موضع الأشرف وبين بقوله (وتخلقون افكا) أن الذين يزعمون أنها

شفعاؤهم عندالله كذب وزور ثم ذكرهم أنهم لا يقدرون على نفع ولا على ايصال رزق أى رزق كان ثم أشار بقوله (فابتغوا عندالله الرزق) الى أن هذه الهبة والرزق الموعود فى قوله وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها يجب أن يطلب من الله فقط واذا كان الرزق منه فالشكر يجب أن يكون له ثم بين بقوله (اليه ترجعون) أن المعاقب والمثيب هو وحده فلا رهبة الا منه ولا رغبة الا فيه ثم ان قوله (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) الى قوله فما كان جواب قومه ان كان اعتراضا خطابا بالكفار قريش (٨٧) فظاهر وان كان تمة قول ابراهيم فالامم المتقدمة

كفروا هم القادة من الكفار قالوا لمن آمن من الأتباع اتركوا دين محمد واتبعوا ديننا وهذا أعنى قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطايا كم وان كان خرج مخرج الامر فان فيه تأويل الجزاء ومعناه ماقلت ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطايا كم كما قال الشاعر

فقلت ادعى وأدع فان أندى ٭ لصوت أن ينادى داعيان

يريد ادعى ولأدع ومعناه ان دعوت دعوت وقوله وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون وهذا تكذيب من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطايا كم يقول جل ثناؤه كذبوا فى قيلهم ذلك لهم ماهم بحاملين من آثام خطاياهم من شئ انهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم من حمل خطاياهم ان هم اتبعوهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ يقول تعالى ذكره وليحملن هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطايا كم أوزار أنفسهم وآثامها وأوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يكذبونهم فى الدنيا بوعدهم اياهم الأباطيل وقيلهم لهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطايا كم فيفترون الكذب بذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليحملن أثقالهم أى أوزارهم وأثقالا مع أثقالهم يقول وأوزار من أضلوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقرأ قوله وليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الاساء ما يزرون قال فهذا قوله وأثقالا مع أثقالهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش القائلين للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطايا كم يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزننك يا محمد ما تلق من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى فانى وان أمليت لهم فأطلت املاءهم فان مصير أمرهم الى البوار ومصير أمرك وأمر أصحابك الى العلو والظفر بهم والنجاة مما يحل بهم من العقاب كفعلنا ذلك بنوح اذ أرسلناه الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى التوحيد وفراق الآلهة والاوثان فلم يزدهم ذلك من دعائه اياهم الى الله من الاقبال اليه وقبول ما أتاهم به من النصيحة من عند الله الا فرارا وذكر أنه أرسل الى قومه وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة كما حدثنا نصر بن على الجهضمى قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا عون ابن أبى شداد قال ان الله أرسل نوحا الى قومه وهو ابن خمسين وثلثمائة سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلثمائة سنة فأخذهم الطوفان يقول تعالى ذكره فأهلكهم الماء الكثير وكل ماء كثير فاش طام فهو عند العرب طوفان سيلا كان أو غيره وكذلك الموت اذا كان فاشيا كثيرا فهو أيضا عندهم طوفان ومنه قول الراجز ٭ أفناهم طوفان موت جارف ٭

عليه اما قوم نوح وقوم ادريس وقوم شيث وقوم آدم واما قوم نوح وحده وعبر عن أمته بالامم لانه عاش ألف سنة وأكثر فمضت عليه القرون وكان كل قرن يوصون من بعدهم من الابناء أن يكذبوا نوحا والبلاغ ذكر المسائل والابانة واقامة البرهان عليه وفيه دليل على أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز والا لم يكن البلاغ مبينا وحين بين التوحيد والرسالة شرع فى بيان المعاد فان هذه الاصول الثلاثة لا تكاد تنفصل فى الذكر الالهى فقال (أولم يروا) أى ألم يعلموا بالبرهان النير القائم مقام الرؤية (كيف يبدئ الله الخلق) ثم يعيده أما ابداء الخلق المطلق فلأن المخلوق لابد له من خالق أول تنتهى اليه سلسلة المخلوقات وأما خلق الانسان بل كيفيته فانه كالمشاهد المحسوس فانا نرى النطفة وقعت فى الرحم فدارت عليها الاطوار حتى حصلت خلقا آخر وأما الاعادة فلأنها أهون فى القياس العقلى ولهذا ختم الآية بقوله (ان ذلك على الله يسير) وحين أشار الى العلم الحدسى الحاصل من غير طلب أمر نبينا صلى الله عليه وسلم أوحكى ابراهيم قول ربه له (قل سيروا فى الارض) أى ان لم يحصل لكم الحدس المذكور فسيروا فى أقطار الارض وتفكروا فى كيفية تكون

المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان حتى يفضى بكم النظر الى العيان فالآية الاولى اشارة الى ما هو كالمركوز فى الاذهان ولهذا قال بطريق الاستفهام أولم يروا الآية الثانية أمر بالنظر المؤدى الى العلم والايقان على تقدير عدم حضور ذلك البيان والعيان وانما قال أولا كيف يبدئ بلفظ المستقبل وثانيا كيف بدأ بلفظ الماضى لان العلم الحدسى حاصل فى كل حال وأما العلم الاستقرائى فلا يفيد اليقين الا فيما شاهد وتتبع فكأنه قيل ان لم يحصل لكم العلم بأن الله فى كل حال موصوف بالابداء والاعادة فانظروا فى أصناف المخلوقات حتى تعرفوا

أنه كيف بدأها ثم تستدلوا من ذلك على أنه ينشئها النشأة الثانية فهذا عطف على المعنى كأنه قال وانظروا كيف بدأ هذا وتكلف جار الله فقال هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كما قال قوله ثم يعيده اخبار على حياله وليس بمعطوف على يبدئ ثم في اقامة اسم الله مقام الضمير في قوله (ثم الله ينشئ النشأة) اشارة الى أنه لا يقدر على هذه النشأة الا المعبود الكامل الذات المتصف بالعلم والحياة وبسائر نعوت الجلال وحين ذكر دلائل الانفس والآفاق صرح بالنتيجة (٨٨) الكلية فقال (ان الله على كل شئ) من الابداء والاعادة (قدير) وكذا على التكليف والجزاء تقريره قوله (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون) يقال قلب فلان في مكانه اذا أردى وفي الآية لطائف منها أنه قدم التعذيب على الرحمة مع قوله سبقت رحمتي غضبي لان الآية مسوقة لتهديد المكذبين ومع ذلك لم يخل الكلام عن ذكر الرحمة وانه يؤكد قوله سبقت رحمتي غضبي ومنها أنه لم يقل يعذب الكافر ويرحم المؤمن اظهارا للهيبة الالهية ومنها أنه قال أولا واليه ترجعون ثم أعاده ههنا لان التعذيب والرحمة قد يكونان عاجلين وكأنه قال وان تأخر ثوابكم وعقابكم فان الينا ايابكم وعلينا حسابكم وعندنا يدّخر لكم ذلك فلا تظنوا فواته يؤكده قوله وما أنتم بمعجزين وفيه أن الانقلاب اليه لا منه وذلك أن الاعجاز اما بالهرب واما مع الثبات وقد نفى الأول بقوله (وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) أي لو هبطتم الى موضع السمك في الماء أو صعدتم الى محل السماك في السماء لم تخرجوا من قبضة قدرة الله وقدّم الارض على السماء لان السماء أبعد وأفسح أي ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة أو في السماء التي هي أفسح منها وأبعد فانكم لا تفوتون الله والمراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في أعماق الارض أو علوتم الى البروج المشيدة الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة أو أراد أي لا تعجزون بلاءه الظاهر في الارض أو النازل من السماء وجوّز بعضهم أن يراد وما أنتم بمعجزين من في الارض ولا في السماء بحذف الموصول واقتصر في الشورى على قوله وما أنتم بمعجزين في الارض لانه خطاب للمؤمنين ونفى الثاني بقوله (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) لان الركن الشديد الذي يستند اليه اما وليّ يشفع أو ناصر يدفع والاول أسهل الطريقين فلذلك قدم الوليّ على النصير ثم خص الوعيد

* وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأخذهم الطوفان قال هو الماء الذي أرسل عليهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول الطوفان الغرق وقوله وهم ظالمون يقول وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره فأنجينا نوحا وأصحاب سفينته وهم الذين حملهم في سفينته من ولده وأزواجهم وقد بينا ذلك فيما مضى قبل وذكرنا الروايات فيه فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وجعلناها آية للعالمين يقول وجعلنا السفينة التي أنجيناه وأصحابه فيها عبرة وعظة للعالمين وحجة عليهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأنجيناه وأصحاب السفينة الآية قال أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي ولو قيل معنى وجعلناها آية للعالمين وجعلنا عقوبتنا اياهم آية للعالمين وجعل الهاء والالف في قوله وجعلناها كناية عن العقوبة أو السخط ونحو ذلك اذ كان قد تقدم ذلك في قوله فأخذهم الطوفان وهم ظالمون كان وجها من التأويل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يا محمد ابراهيم خليل الرحمن اذ قال لقومه اعبدوا الله أيها القوم دون غيره من الاوثان والاصنام فانه لا اله لكم غيره واتقوه يقول واتقوا سخطه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل خليله ابراهيم لقومه انما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانا يعني مثلا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما تعبدون من دون الله أوثانا أصناما واختلف أهل التأويل في تأويل قوله وتخلقون افكا فقال بعضهم معناه وتصنعون كذبا ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وتخلقون افكا يقول تصنعون كذبا * وقال آخرون وتقولون كذبا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وتخلقون افكا يقول وتقولون افكا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتخلقون افكا يقول تقولون كذبا * وقال آخرون بل معنى ذلك وتنحتون افكا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وتخلقون افكا قال تنحتون تصوّرون افكا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتخلقون افكا

بالكافرين بآياته أى بدلائل الوحدانية وبالكتب والمعجزات وفى زيادة قوله (أولئك) اشارة الى أن اليأس من الرحمة منحصر فيهم لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ونسبة اليأس اليهم اما على سبيل (٨٩) الاخبار عن حالهم يوم القيامة أو على سبيل وصف الحال فان وصف المؤمن أن يكون راجيا خاشيا ونعت الكافر أن لا يخطر بباله خوف ولا رجاء بل يكون خائفا كما قيل الخائن خائف وجوز فى الكشاف أن يكون على طريقة التشبيه كأنه يشبه حالهم فى انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من رحمة الله ولعله ذهب الى هذا التشبيه لان اليأس من رحمة الله متوقف على الاعتراف بالله وبرحمته والكافر غير معترف بواحد من الامرين ثم بين بتكرير أولئك فى قوله (وأولئك لهم عذاب أليم) أن كل واحد من الوعيدين لا يوجد الا فيهم وان كان الوعيدان متلازمين فى الحقيقة ثم حكى أن جواب قوم ابراهيم لم يكن الا أن قالوا فيما بينهم أو قال واحد ورضى به الباقون (اقتلوه) بالسيف ونحوه (أو حرقوه) بالنار وهذا ليس جوابا فى الحقيقة ولكنه كقولهم عتابك السيف وفيه بيان جهالتهم أنهم وضعوا الوعيد موضع الائتمار للنصيحة والاذعان للحق ثم بين أنهم اتفقوا على تحريقه فأنجاه من النار والقصة مذكورة فى سورة الانبياء (ان فى ذلك) الانجاء (لآيات) جمع الآية لعظم تلك الحالة كقوله ان ابراهيم كان أمة أو لأنها مشتملة على أحوال عجيبة كالرمى من المنجنيق من غير أن لحق به ضرر وكما يروى أن النار صارت عليه روحا وريحانا الى غير ذلك وانما قال فى قصة نوح عليه السلام وجعلناها آية ولم يذكر الجعل ههنا لأن الخلاص من مثل تلك النار آية فى نفسه وأما السفينة فقد جعلها الله آية بأن أحدث الطوفان وصانها عن الغرق ويمكن ان يقال ان الصون عن النار أعجب من الصون عن الماء فلذلك وحد الآية هناك وجمعها ههنا

أى تصنعون أصناما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتخلقون افكا الأوثان التى ينحتونها بأيديهم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه وتصنعون كذبا وقد بينا معنى الخلق فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع فتأويل الكلام اذا انما تعبدون من دون الله أوثانا وتصنعون كذبا وباطلا (١) وانما فى قوله افكا مردود على انما كقول القائل انما تفعلون كذا وانما تفعلون كذا وقرأ جميع قراء الامصار وتخلقون افكا بتخفيف الخاء من قوله وتخلقون وضم اللام من الخلق وذكر عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قرأ وتخلقون افكا بفتح الخاء وتشديد اللام من التخليق والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا يقول جل ثناؤه أن أوثانكم التى تعبدونها لا تقدر أن ترزقكم شيأ فابتغوا عند الله الرزق يقول فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم تدركوا ما تبتغون من ذلك واعبدوه يقول وذلوا له واشكروا له على رزقه اياكم ونعمه التى أنعمها عليكم يقال شكرته وشكرت له أفصح من شكرته وقوله اليه ترجعون يقول الى الله تردّون من بعد مماتكم فيسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره وأنتم عباده وخلقه وفى نعمه تتقلبون ورزقه تأكلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾ يقول تعالى ذكره وان تكذبوا أيها الناس رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما دعاكم اليه من عبادة ربكم الذى خلقكم ورزقكم والبراءة من الأوثان فقد كذبت جماعات من قبلكم رسلها فيما دعتهم اليه الرسل من الحق فحل بها من الله سخطه ونزل بها منه عاجل عقوبته فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم اياه وما على الرسول الا البلاغ المبين يقول وما على محمد الا أن يبلغكم عن الله رسالته ويؤدّى اليكم ما أمره بأدائه اليكم ربه ويعنى بالبلاغ المبين الذى يبين لمن سمعه ما يراد به ويفهم به ما يعنى به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الاشياء طفلا صغيرا ثم غلاما يافعا ثم رجلا مجتمعا ثم كهلا يقال منه أبدأ وأعاد وبدأ وعاد لغتان بمعنى واحد وقوله ثم يعيده يقول ثم هو يعيده من بعد فنائه وبلاه كما بدأه أول مرة خلقا جديدا لا يتعذر عليه ذلك ان ذلك على الله يسير سهل كما كان يسيرا عليه ابداؤه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده بالبعث بعد الموت وقوله قل سيروا فى الارض يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات الجاحدين الثواب والعقاب سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها وكما أوجدها وأحدثها ابتداء فلم يتعذر عليه احداثها مبدئا فكذلك لا يتعذر عليه انشاؤها معيدا ثم الله ينشئ النشأة الآخرة يقول ثم الله يبدئ تلك البدأة الآخرة بعد الفناء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا

(١) لعل مراده وانما المقدرة فى قوله افكا مردود الخ والمقصود منه واضح اه كتبه مصححه

وانما قال هناك آية للعالمين وههنا الآيات لقوم يؤمنون لان تلك السفينة بقيت أعواما حتى مرّ عليها الناس ورأوها فحصل العلم بها لكل أحد أو نقول جنس السفينة حصلت بعد ذلك (٩٠) فيما بين الناس فكانت آية للعالمين وأما تبريد النار فلم يبق من ذلك أثر فلم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان به * وههنا لطيفة وهي أن الله تعالى جعل النار بردا وسلاما على ابراهيم بسبب اهتدائه في نفسه وهدايته لغيره وقال قد كان لكم أسوة حسنة في ابراهيم فحصل للمؤمنين بشارة بأن الله سيجعل النار على المؤمن المهتدي بردا وسلاما ثم حكى أنه بعد أن خرج من النار عاد الى النصيحة والدعاء لقومه الى التوحيد والاخلاص وذلك قوله (وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة) قال جار الله من قرأ بالنصب بغير اضافة أو باضافة فعلى وجهين أحدهما التعليل أي لتتوددوا بينكم وتتواصلوا لاتفاقكم وائتلافكم على عبادتها كما يتفق الناس على مذهب فيكون بينهم نسبة من ذلك الوجه الثاني أن يكون مفعولا ثانيا على حذف المضاف أو على أن المصدر بمعنى المفعول أي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم واتخذتموها مودودة بينكم ومن قرأ بالرفع باضافة أو بغير اضافة فعلى وجهين أيضا أن يكون خبر الان على أن ما موصولة والتقدير ان التي اتخذتموها أوثانا هي سبب مودة بينكم أو مودودة بينكم وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة أو سبب مودة وعلى هذا فالوقف على أوثانا حسن كما مر (ثم يوم القيامة) يقوم بين العبدة وكذا بينهم وبين أوثانهم التباغض والتلاعن نظيره كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا والتحقيق فيه أنهم غلبت عليهم الجسمية ولذاتها فلهذا ألفوا الاصنام ولم تقبل عقولهم موجودا منزها عن الاجسام وخواصها فلا جرم اذا رفعت الحجب وكشف الغطاء عن عالم الارواح كما زالت نسبة الجسمية وظهرت الآلام الروحانية وعذبوا بنار الخسران والحرمان من غير شفعاء ولا أعوان فلذلك قال (ومأواكم النار

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق خلق السموات والارض ثم الله ينشئ النشأة الآخرة أي البعث بعد الموت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة قال هي الحياة بعد الموت وهو النشور وقوله ان الله على كل شئ قدير يقول تعالى ذكره ان الله على انشاء جميع خلقه بعد افنائه كهيئته قبل فنائه وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر لا يعجزه شئ أراده ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ يقول تعالى ذكره ثم الله ينشئ النشأة الآخرة خلقه من بعد فنائهم فيعذب من يشاء منهم على ما أسلف من جرمه في أيام حياته ويرحم من يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحا واليه تقلبون يقول واليه ترجعون وتردون وأما قوله وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء فان ابن زيد قال في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء قال لا يعجزه أهل الارضين في الارضين ولا أهل السموات في السموات ان عصوه وقرأ مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين وقال في ذلك بعض أهل العربية من أهل البصرة وما أنتم بمعجزين في الارض ولا من في السماء معجزين قال وهو من غامض العربية للضمير الذي لم يظهر في الثاني قال ومثله قول حسان ابن ثابت

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

أراد ومن ينصره ويمدحه فأضمر من قال وقد يقع في وهم السامع أن النصر والمدح لمن هذه الظاهرة ومثله في الكلام أكرم من أتاك وأتى أباك وأكرم من أتاك ولم يأت زيدا يريد ومن لم يأت زيدا فيكتفي باختلاف الافعال من اعادة من كأنه قال أمن يهجو ومن يمدحه ومن ينصره ومنه قول الله عز وجل ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وهذا القول أصح عندي في المعنى من القول الآخر ولو قال قائل معناه ولا أنتم بمعجزين في الارض ولا أنتم لو كنتم في السماء بمعجزين كان مذهبا وقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يقول وما كان لكم أيها الناس من دون الله من ولي يلي أموركم ولا نصير ينصركم من الله ان أراد بكم سوءا ولا يمنعكم منه ان أحل بكم عقوبته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره والذين كفروا حجج الله وأنكروا أدلته وجحدوا لقاءه والورود عليه يوم تقوم الساعة أولئك يئسوا من رحمتي يقول تعالى ذكره أولئك يئسوا من رحمتي في الآخرة لما عاينوا ما أعد لهم من العذاب وأولئك لهم عذاب موجع فان قال قائل وكيف اعترض بهذه الآيات من قوله وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم الى قوله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وترك ضمير قوله فما كان جواب قومه وهو من قصة ابراهيم وقوله ان الذين تعبدون من دون الله الى قوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون قيل فعل ذلك كذلك لان الخبر عن أمر نوح وابراهيم وقومهما وسائر من ذكر الله من الرسل والامم في هذه السورة وغيرها انما هو تذكير من الله تعالى ذكره به الذين يبتدئ بذكرهم قبل الاعتراض بالخبر وتحذير منه لهم أن يحل بهم ما حل بهم فكأنه قيل في هذا الموضع فاعبدوه واشكروا له اليه ترجعون فكذبتم أنتم معشر قريش رسولكم محمدا

ومالكم من ناصرين) وانما لم يقل ههنا ومالكم من دون الله لان الله لا ينصر الكفار من أهل النار وانما جمع الناصر ههنا لانه أراد في الاول جنس النصير وههنا أراد نفي الناصرين الذين كان أهل الشرك يزعمون أنهم (٩١) شفعاؤهم عند الله (فآمن له لوط) وكان ابن أخي

كما كذب أولئك ابراهيم ثم جعل مكان فكذبتم وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم اذ كان ذلك يدل على الخبر عن تكذيبهم رسولهم ثم عاد الى الخبر عن ابراهيم وقومه وتتميم قصته وقصتهم بقوله فما كان جواب قومه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أوحرقوه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره فلم يكن جواب قوم ابراهيم له اذ قال لهم اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون الا أن قال بعضهم لبعض اقتلوه أوحرقوه بالنار ففعلوا فأرادوا احراقه بالنار فأضرموا له النار فألقوه فيها فأنجاه الله منها ولم يسلطها عليه بل جعلها عليه بردا وسلاما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما كان جواب قوم ابراهيم الا أن قالوا اقتلوه أوحرقوه فأنجاه الله من النار قال قال كعب ما حرقت منه الا وثاقه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول تعالى ذكره ان في انجائنا ابراهيم من النار وقد ألقي فيها وهي تسعر وتصييرناها عليه بردا وسلاما لأدلة وحججا لقوم يصدقون بالادلة والحجج اذا عاينوا ورأوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ابراهيم لقومه وقال ابراهيم لقومه يا قوم انما اتخذتم من دون الله أوثانا واختلفت القراء في قراءة قوله مودة بينكم فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض الكوفيين مودة بنصب مودة بغير اضافة بينكم بنصبها وقرأ ذلك بعض الكوفيين مودة بينكم بنصب المودة واضافتها الى قوله بينكم وخفض بينكم وكأن هؤلاء الذين قرؤا قوله مودة نصبا وجهوا معنى الكلام الى انما اتخذتم أيها القوم أوثانا مودة بينكم فجعلوا انما حرفا واحدا وأوقعوا قوله اتخذتم على الاوثان فنصبوها بمعنى اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا تحابون على عبادتها وتتوادون على خدمتها فتتواصلون عليها وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة مودة بينكم برفع المودة واضافتها الى البين وخفض البين وكأن الذين قرؤا ذلك كذلك جعلوا انما حرفين بتأويل ان الذين اتخذتم من دون الله أوثانا انما هو مودتكم للدنيا فرفعوا مودة على خبر ان وقد يجوز أن يكونوا على قراءتهم ذلك رفعا بقوله انما أن تكون حرفا واحدا ويكون الخبر متناهيا عند قوله انما اتخذتم من دون الله أوثانا ثم يبتدئ الخبر فيقال ما مودتكم تلك الاوثان بنافعتكم انما مودة بينكم في حياتكم الدنيا ثم هي منقطعة واذا أريد هذا المعنى كانت المودة مرفوعة بالصفة بقوله في الحياة الدنيا وقد يجوز أن يكونوا أرادوا برفع المودة رفعها على ضمير هي وهذه القراآت الثلاث متقاربات المعاني لان الذين اتخذوا الاوثان آلهة يعبدونها اتخذوها مودة بينهم وكانت لهم في الحياة الدنيا مودة ثم هي عنهم منقطعة فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب لتقارب معاني ذلك وشهرة القراءة بكل واحدة منهن في قراء الامصار * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا قال صارت كل خلة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة الاخلة المتقين وقوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا يقول تعالى ذكره ثم يوم القيامة أيها المتوادون على عبادة الأوثان والاصنام والمتواصلون على خدمتها عند وردكم على ربكم ومعاينتكم ما أعد الله لكم على التواصل والتواد في الدنيا من أليم العذاب يكفر بعضكم

ابراهيم صدقه حين رأى النار لم تحرقه قالت العلماء ان لوطا آمن برسالة ابراهيم حين رأى المعجزة وأما بالوحدانية فآمن حين سمع مقالته اذ لو توقف في الايمان الى وقت اظهار المعجزة كان نقصا في مرتبته وقدحا في نور باطنه ألا ترى أن أبا بكر وعليا أسلما كما عرض النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام عليهما (وقال) ابراهيم (اني مهاجر) من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ولهذا قالوا الكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه في هجرته امرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة وهاجر معه لوط أيضا ومعنى (الى ربي) أي الى حيث أمرني بالهجرة اليه ومثله قوله اني ذاهب الى ربي وعبارة القرآن أدخل في الاخلاص لان المهاجر الى حيث امره الملك قد يهاجر اليه مرة أخرى لغرض نفسه فيصدق أنه مهاجر الى حيث أمره الملك ولا يصدق أنه مهاجر لاجل الملك ولرضاه وفي قوله (انه هو العزيز الحكيم) نوع تهديد لقومه وتصويب لما بدا له من الهجرة بأمر الله قال في الكشاف انه هو العزيز الذي يمنعني من أعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا بما هو مصلحتي ثم ذكر ما أنعم به عليه من الاولاد والاحفاد ومن جعل النبوة وجنس الكتاب الالهي فيهم وهو التوراة والانجيل والزبور والفرقان ولهذا اندرج ذكر اسمعيل في الآية ولعل السر في عدم ذكر اسمعيل والتصريح بذكره أن الله تعالى جعل الزمان بعد ابراهيم قسمين أحدهما زمن اسحق و يعقوب وذراريهما الى زمان الفترة والآخر من محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم قيام الساعة وهو من ولد اسمعيل فطي ذكر اسمعيل اشارة الى تأخر زمان دولته والله أعلم ثم كرر

ببعض يقول يتبرأ بعضكم من بعض ويلعن بعضكم بعضا وقوله ومأواكم النار يقول جل ثناؤه ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون النار ومالكم من ناصرين يقول ومالكم أيها القوم المتخذوا الآلهة من دون الله مودة بينكم من أنصار ينصرونكم من الله حين يصليكم نار جهنم فينقذونكم من عذابه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره فصدق ابراهيم خليل الله لوط وقال انى مهاجر الى ربى يقول وقال ابراهيم انى مهاجر دار قومى الى ربى الى الشام * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فآمن له لوط قال صدق لوط وقال انى مهاجر الى ربى قال هو ابراهيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فآمن له لوط أى فصدقه لوط وقال انى مهاجر الى ربى قال هاجرا جميعا من كوثى وهى من سواد الكوفة الى الشام قال وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز أهل الارض الى مهاجر ابراهيم ويبقى فى الارض شرار أهلها حتى تلفظهم وتقذرهم وتحشرهم النار مع القردة والخنازير حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فآمن له لوط قال صدقه لوط صدق ابراهيم قال أرأيت المؤمنين أليس آمنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماجاء به قال فالايمان التصديق وفى قوله انى مهاجر الى ربى قال كانت هجرته الى الشام وقال ابن زيد فى حديث الذئب الذى كلم الرجل فأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنت له أنا وأبو بكر وعمر وليس أبو بكر ولا عمر معه يعنى آمنت له صدقته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى قال الى حران ثم أمر بعد بالشام الذى هاجر ابراهيم وهو أول من هاجر يقول فآمن له لوط وقال ابراهيم انى مهاجر الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى ابراهيم القائل انى مهاجر الى ربى وقوله انه هو العزيز الحكيم يقول ان ربى هو العزيز الذى لا يذل من نصره ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء واليه هجرته الحكيم فى تدبيره خلقه وتصريفه اياهم فيما صرفهم فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره ورزقناه من لدنا اسحق ولدا ويعقوب من بعده ولد ولد كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب قال هما ولدا ابراهيم وقوله وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب بمعنى الجمع يراد به الكتب ولكنه خرج مخرج قولهم كثر الدرهم والدينار عند فلان وقوله وآتيناه أجره فى الدنيا يقول تعالى ذكره وأعطيناه ثواب بلائه فينا فى الدنيا وانه مع ذلك فى الآخرة لمن الصالحين فله هناك أيضا جزاء الصالحين غير منتقص حظه بما أعطى فى الدنيا من الاجر على بلائه فى الله عما له عنده فى الآخرة وقيل ان الاجر الذى ذكره الله عز وجل أنه آتاه ابراهيم فى الدنيا هو الثناء الحسن والولد الصالح ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآتيناه أجره فى الدنيا قال الثناء حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن

ذكر النعمة بقوله (وآتيناه أجره فى الدنيا) قال أهل التحقيق ان الله تعالى بدل جميع أحوال ابراهيم عليه السلام بأضدادها لما أراد القوم تعذيبه بالنار جعلها الله عليه برداوسلاما وهاجر فريدا وحيدا فوهب الله له ذرية طيبة مباركة كما وصفنا وكان لا مال له فكثر ماله حتى حصل له من المواشى ماعلم الله عدده فقط يروى أنه كان له اثنا عشر ألف كلب حارس فى أعناقها أطواق من ذهب وكان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فجعل الله له لسان صدق فى الآخرين اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ثم بين بقوله (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أن تلك النعمة الدنيوية ولذاتها مقرونة بفلاح الآخرة وصلاحها جعلنا الله تعالى ببركته أهلا لبعض ذلك وهو المستعان قوله (ولوطا اذقال) اعرابه كاعراب قوله وابراهيم اذ قال وقد مر والظاهر أن لوطا يكون قد أمر قومه بالتوحيد والعبادة أولا ثم نهاهم عن الفاحشة ثانيا الا أن الله تعالى قد حكى عنه ما اختص به وبقومه وهو قوله (انكم لتأتون الفاحشة) ويحتمل أن يكونوا موحدين الا أنهم بسبب الاصرار على الفعلة الشنعاء وتحليلها مع وجود النبى صلى الله عليه وسلم الناهى عنها صاروا فى حكم الكفرة واذا كان الزنا فاحشة كما قال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة مع أن الزنا لا يفضى الى قطع النسل فاللواطة أولى بكونها فاحشة لتماديها فى القبح ولافضائها الى انقطاع النسل ويعلم منه احتياجها الى الزاجر كالزنا بل أولى ويعلم منه افتقارها الى الرجم بدليل امطار الحجارة على أهلها ومعنى (ماسبقكم بها) أنه لم يأت بمثل هذا الفعل أحد قبلهم أولم يشتهر به ولم يبالغ فيه أحد وان ارتكبه بعضهم فى الندرة كما يقال ان فلانا سبق البخلاء فى البخل واللئام ليث فى اللؤم اذا زاد عليهم ومعنى (تقطعون السبيل) تقضون الشهوة بالرجال مع قطع السبيل المعتاد مع النساء ويجوز أن يكونوا قطاع الطريق

ليث قال أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم الى عكرمة يسأله عن قوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين قال قال أجره فى الدنيا أن كل ملة تتولاه وهو عند الله من الصالحين قال فرجع الى مجاهد فقال أصاب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن مندل عمن ذكره عن ابن عباس وآتيناه أجره فى الدنيا قال الولد الصالح والثناء حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وآتيناه أجره فى الدنيا يقول الذكر الحسن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتيناه أجره فى الدنيا قال عافية وعملا صالحا وثناء حسنا فلست بلاق أحدا من الملل الا يرضى ابراهيم ويتولاه وانه فى الآخرة لمن الصالحين

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر لوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الذكران ما سبقكم بها يعنى بالفاحشة التى كانوا يأتونها وهى اتيان الذكران من أحد من العالمين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن خالد بن خداش ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبى نجيح عن عمرو بن دينار فى قوله انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين قال ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لوط لقومه أئنكم أيها القوم لتأتون الرجال فى أدبارهم وتقطعون السبيل يقول وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا يفعلون ذلك بمن مر عليهم من المسافرين ومن ورد بلادهم من الغرباء ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتقطعون السبيل قال السبيل الطريق المسافر اذا مر بهم وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الخبيث وقوله وتأتون فى ناديكم المنكر اختلف أهل التأويل فى المنكر الذى عناه الله الذى كان هؤلاء القوم يأتونه فى ناديهم فقال بعضهم كان ذلك أنهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا روح بن عطيفة الثقفى عن عمرو بن مصعب عن عروة بن الزبير عن عائشة فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال الضراط * وقال آخرون بل كان ذلك أنهم كانوا يحذفون من مر بهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو أسامة عن حاتم بن أبى صغيرة عن سماك بن حرب عن أبى صالح عن أم هانئ قالت سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم فهو المنكر الذى كانوا يأتون حدثنا الربيع قال ثنا أسد قال ثنا أبو أسامة باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا سليم ابن أخضر قال ثنا أبو يونس القشيرى عن سماك بن حرب عن أبى صالح مولى أم هانئ أن أم هانئ سئلت عن هذه الآية وتأتون فى ناديكم المنكر فقالت سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عمر بن أبى زائدة قال سمعت عكرمة يقول فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يؤذون أهل الطريق يحذفون من مر بهم حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن عمر بن أبى زائدة قال سمعت

والظاهر يشعر به (وتأتون فى ناديكم المنكر) أى تضمون الى قبح فعلكم قبح الاظهار والنادى هو المجلس ما دام فيه الناس وعن عائشة كانوا يتجامعون وعن ابن عباس هو الحذف ومضغ العلك وحل الازار والفحش فى المزاح والسخرية بمن مر بهم (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله) ولم يهددوه بنحو القتل والتخويف كما فى قصة ابراهيم لان ابراهيم كان يقدح فى آلهتهم ويشتمهم بتعديد نقائصهم يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ فجعلوا جزاءه شر الجزاء وأما لوط فكان ينكر عليهم فعلهم فهددوه بالاخراج أولا أخرجوا آل لوط من قريتكم واقترحوا من عذاب الله ثانيا ويجوز أن يكون على سبيل الاستهزاء فلاجرم (قال رب انصرنى على القوم المفسدين) كأنه أيس من توبتهم وانابتهم ومن أن يلدوا تائبا مطيعا كما قال نوح ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ولعلهم كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصى والفواحش طوعا وكرها أو بابتداء الفواحش واقتداء من بعدهم بهم والبشرى هى البشارة بالولد والنافلة اسحق ويعقوب واضافة مهلكو اضافة تخفيف لا تعريف لانه بمعنى الاستقبال أو الحال القريب منه لا الماضى ولان المقصود يتضح بذلك لا بوصف الملائكة لمطلق الاهلاك والقرية سذوم ثم علل الاهلاك بأن الظلم قد استمر فيهم بناء على أن كان للثبوت والاستمرار ويحتمل أن يكون للزمان الماضى فان هذا القدر يكفى للتعليل والزائد عليه لا تحتاج الملائكة الى تقريره بخلاف ما فى قصة نوح فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فان ذلك اخبار من الله تعالى ولا يحسن من الكريم أن يعاقب على الجرم السابق الا بعد تحقق الاصرار والاستمرار قال بعضهم ان تعلق البشرى بهذا الانذار هو انه كان فى اهلاك قوم لوط اخلاء الارض من العباد فقدمت البشارة المذكورة المتضمنة لوجود عباد صالحين حتى لا يتأسف على اهلاك قوم

عكرمة قال الحذف حدثنا موسى قال أخبرنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وتأتون فى ناديكم المنكر قال كان كل من مرّ بهم حذفوه فهو المنكر حدثنا الربيع قال ثنا أسد قال ثنا سعيد بن زيد قال ثنا حاتم بن أبى صغيرة قال ثنا سماك بن حرب عن باذام أبى صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يجلسون بالطريق فيحذفون أبناء السبيل ويسخرون منهم * وقال بعضهم بل كان ذلك اتيانهم الفاحشة فى مجالسهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كان يأتى بعضهم بعضا فى مجالسهم يعنى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا ثابت بن محمد الليثى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور بن المعتمر عن مجاهد فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كان يجامع بعضهم بعضا فى المجالس حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد وتأتون فى ناديكم المنكر قال كان يأتى بعضهم بعضا فى المجالس حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتأتون فى ناديكم المنكر قال المجالس والمنكر اتيانهم الرجال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يأتون الفاحشة فى ناديهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال ناديهم المجالس والمنكر عملهم الخبيث الذى كانوا يعملونه كانوا يعترضون بالراكب فيأخذونه ويركبونه وقرأ أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون وقرأ ما سبقكم بها من أحد من العالمين حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وتأتون فى ناديكم المنكر يقول فى مجالسكم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه وتحذفون فى مجالسكم المارّة بكم وتسخرون منهم لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين يقول تعالى ذكره فلم يكن جواب قوم لوط اذ نهاهم عما يكرهه الله من اتيان الفواحش التى حرّمها الله الا قيلهم ائتنا بعذاب الله الذى تعدنا ان كنت من الصادقين فيما تقول والمنجزين لما تعد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال رب انصرنى على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى من الله باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية يقول قالت رسل الله لابراهيم انا مهلكو أهل هذه القرية قرية سذوم وهى قرية قوم لوط ان أهلها كانوا ظالمين يقول ان أهلها كانوا ظالمى أنفسهم بمعصيتهم الله وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الى قوله نحن أعلم بمن فيها قال فجادل ابراهيم الملائكة فى قوم لوط أن يتركوا قال فقال أرأيتم ان كان فيها عشرة أبيات من المسلمين أتتركونهم فقالت الملائكة ليس فيها عشرة أبيات ولا خمسة ولا أربعة ولا ثلاثة ولا اثنان قال فحزن على لوط وأهل بيته فقال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين فذلك قوله يجادلنا فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم أوّاه منيب فقالت الملائكة يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير

من أبناء جنسه ثم ان ابراهيم لما سمع انذار الملائكة أظهر الاشفاق على لوط والحزن له قائلا (ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم) منك (بمن فيها) وأخبروا بحاله وحال قومه ومعنى (من الغابرين) من الماضين ذكرهم أو من يمضى زمانه ويفنى أو من الباقين فى المهلكين و (سىء بهم وضاق بهم ذرعا) قد مر فى هود وقال بعضهم يحتمل أن يكون ضيق الذرع عبارة عن انقباض الروح فعند ذلك تجتمع أعضاء الانسان وتقل مساحتها فقالت الملائكة (لا تخف) علينا (ولا تحزن) بسبب التفكر فى أمرنا وقال أهل البرهان وانما قيل ههنا

مردود فبعث الله اليهم جبرائيل صلى الله عليه وسلم فانتسف المدينة ومافيها بأحد جناحيه فجعل عاليها سافلها وتتبعهم بالحجارة بكل أرض ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للرسل من الملائكة اذ قالوا له انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين فلم يستثنوا منهم أحدا اذ وصفوهم بالظلم ان فيها لوطا وليس من الظالمين بل هو من رسل الله وأهل الايمان به والطاعة له فقالت الرسل له نحن أعلم بمن فيها من الظالمين الكافرين بالله منك وان لوطا ليس منهم بل هو كما قلت من أولياء الله لننجينه وأهله من الهلاك الذى هو نازل بأهل قريته الا امرأته كانت من الغابرين الذين أبقتهم الدهور والايام وتطاولت أعمارهم وحياتهم وانها هالكة من بين أهل لوط مع قومها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين﴾ يقول تعالى ذكره ولما أن جاءت رسلنا لوطا من الملائكة سىء بهم يقول ساءته الملائكة بمجيئهم اليه وذلك أنهم تضيفوه فساؤه بذلك فقوله سىء بهم فعل بهم من ساءه بذلك وذكر عن قتادة أنه كان يقول ساء ظنه بقومه وضاق بضيفه ذرعا حدثنا بذلك الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عنه وضاق بهم ذرعا يقول وضاق ذرعه بضيافتهم لما علم من خبث فعل قومه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا قال بالضيافة مخافة عليهم مما يعلم من شر قومه وقوله وقالوا لا تخف ولا تحزن يقول تعالى ذكره قالت الرسل للوط لا تخف علينا أن يصل الينا قومك ولا تحزن مما أخبرناك من أنا مهلكوهم وذلك أن الرسل قالت له يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل انا منجوك من العذاب الذى هو نازل بقومك وأهلك يقول ومنجوا أهلك معك الا امرأتك فانها هالكة فيمن يهلك من قومها كانت من الباقين الذين طالت أعمارهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل للوط انا منزلون يالوط على أهل هذه القرية سذوم رجزا من السماء يعنى عذابا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا أى عذابا وقد بينا معنى الرجز وما فيه من أقوال أهل التأويل فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله بما كانوا يفسقون يقول بما كانوا يأتون من معصية الله ويركبون من الفاحشة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أبقينا من فعلتنا التى فعلنا بهم آية يقول عبرة بينة وعظة واعظة لقوم يعقلون عن الله حججه ويتفكرون فى مواعظه وتلك الآية البينة هى عندى عفو آثارهم ودروس معالمهم وذكر عن قتادة فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون قال هى الحجارة التى أمطرت عليهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله منها آية بينة قال عبرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الارض مفسدين﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلت الى مدين أخاهم شعيبا فقال لهم ياقوم اعبدوا الله وحده وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالعبادة وارجوا اليوم الآخر يقول وارجوا بعبادتكم اياه جزاء اليوم الآخر وذلك يوم القيامة ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقول ولا تكثروا فى الارض معصية الله ولا تقيموا عليها ولكن

ولما أن جاءت بزيادة أن لأن لما تقتضى جوابا واذا اتصل به أن دل على أن الجواب وقع فى الحال من غير تراخ فى الظاهر كما فى هذه السورة وهو قوله سىء بهم وفى هود اتصل به كلام بعد كلام فطال فلم يحسن دخول أن ظاهرا مع أن القصة واحدة ثم ان الملائكة قالوا للوط انا منجوك بلفظ اسم الفاعل وقالوا لابراهيم عليه السلام لننجينه بلفظ الفعل لان ذلك ابتداء الوعد وهذا أوان انجازه فأرادوا أن ذلك الوعد حتم واقع منا كقولك أنا ميت لضرورة وقوعه ووجوده والرجز العذاب الذى يوقع صاحبه فى القلق

توبوا الى الله منها وأنيبوا وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يتأوّل قوله وارجوا اليوم الآخر بمعنى واخشوا اليوم الآخر وكان غيره من أهل العلم بالعربية ينكر ذلك ويقول لم نجد الرجاء بمعنى الخوف فى كلام العرب الا اذا قارنه الجحد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ يقول تعالى ذكره فكذب أهل مدين شعيبا فيما أتاهم به عن الله من الرسالة فأخذتهم رجفة العذاب فأصبحوا فى دارهم جاثمين جثوما بعضهم على بعض موتى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأصبحوا فى دارهم جاثمين أى ميتين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾ يقول تعالى ذكره واذكروا أيها القوم عادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم خرابها وخلاؤها منهم بوقائعنا بهم وحلول سطوتنا بجميعهم وزين لهم الشيطان أعمالهم يقول وحسن لهم الشيطان كفرهم بالله وتكذيبهم رسله فصدّهم عن السبيل يقول فردهم بتزيينه لهم ما زين لهم من الكفر عن سبيل الله التى هى الايمان به ورسله وما جاؤهم به من عند ربهم وكانوا مستبصرين يقول وكانوا مستبصرين فى ضلالتهم معجبين بها يحسبون أنهم على هدى وصواب وهم على الضلال * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين يقول كانوا مستبصرين فى دينهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وكانوا مستبصرين فى الضلالة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكانوا مستبصرين فى ضلالتهم معجبين بها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وكانوا مستبصرين يقول فى دينهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد قارون وفرعون وهامان ولقد جاء جميعهم موسى بالبينات يعنى بالواضحات من الآيات فاستكبروا فى الارض عن التصديق بالبينات من الآيات وعن اتباع موسى صلوات الله عليه وما كانوا سابقين يقول تعالى ذكره وما كانوا سابقينا بأنفسهم فيفوتوننا بل كنا مقتدرين عليهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره فأخذنا جميع هذه الامم التى ذكرناها لك يا محمد بعذابنا فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود والعرب تسمى الريح العاصف التى فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد حاصبا ومنه قول الاخطل

(١) ولقد علمت اذا العشار تروّحت * هدج الرئال تكبهن شمالا
ترمى العضاه بحاصب من ثلجها * حتى يبيت على العضاه جفالا

وقال الفرزدق

مستقبلين شمال الشأم تضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا قوم لوط

والاضطراب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب والمراد الحجارة وقيل النار وقيل الخسف وعلى هذا يراد أن الامر بالخسف والقضاء به من السماء (ولقد تركنا منها) أى من القرية (آية بينة) هى آثار منازلهم الخربة أو بقية الحجارة أو الماء الاسود أو قصتهم وخبرهم وقوله لقوم يتعلق بتركنا أو ببينة ولزيادة قوله بينة قال (لقوم يعقلون) بخلاف قوله فى قصة نوح عليه السلام وجعلناها آية للعالمين لان الآية لا تتبين الا لذوى العقول وليس كل من فى العالم بذى عقل ثم أجمل سائر القصص والرجاء

(١) سبق هذا فى الكتاب على هذا الوجه وأورده فى الاغانى
ولقد علمت اذا الرياح تناوحت * هوج الخ فراجعه كتبه مصححه

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بذلك فقال بعضهم هم ثمود قوم صالح ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومنهم من أخذته الصيحة ثمود * وقال آخرون بل هم قوم شعيب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من أخذته الصيحة قوم شعيب والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه أهلكهم بالصيحة في كتابه في غير هذا الموضع ثم قال جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم فمن الأمم التي أهلكناهم من أرسلنا عليهم حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة فلم يخصص الخبر بذلك عن بعض من أخذته الصيحة من الامم دون بعض وكلا الأمتين أعني ثمود ومدين قد أخذتهم الصيحة وقوله ومنهم من خسفنا به الارض يعني بذلك قارون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومنهم من خسفنا به الارض قارون ومنهم من أغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه واختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم عنى بذلك قوم نوح عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومنهم من أغرقنا قوم نوح * وقال آخرون بل هم قوم فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من أغرقنا قوم فرعون والصواب من القول في ذلك أن يقال عنى به قوم نوح وفرعون وقومه لان الله لم يخصص بذلك احدى الامتين دون الاخرى وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما فهما معنيتان به وقوله وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يقول تعالى ذكره ولم يكن الله ليهلك هؤلاء الامم الذين أهلكهم بذنوب غيرهم فيظلمهم باهلاكه اياهم بغير استحقاق بل انما أهلكهم بذنوبهم وكفرهم بربهم وجحودهم نعمه عليهم مع تتابع احسانه عليهم وكثرة أياديه عندهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بتصرفهم في نعم ربهم وتقلبهم في آلائه وعبادتهم غيره ومعصيتهم من أنعم عليهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره مثل الذين اتخذوا الآلهة والاوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم اليها في ضعف احتيالهم وقبح رواياتهم وسوء اختيارهم لانفسهم كمثل العنكبوت في ضعفها وقلة احتيالها لنفسها اتخذت بيتا لنفسها كيما يكنها فلم يغن عنها شيأ عند حاجتها اليه فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله وحل بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيأ ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم اياهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الى آخر الآية قال ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره ان مثله كمثل بيت العنكبوت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت قال هذا مثل ضربه الله للمشرك مثل الهه الذي يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء

اما على أصله أو بمعنى الخوف وعلى الاول قال جار الله أراد افعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالصلاة مثلا على ارادة الشرط وهو الاسلام (فكذبوه) انما صح اطلاق التكذيب مع أن ما ذكره شعيب أمر ونهي والامر لكونه طلبا لا يحتمل التصديق والتكذيب وكذا النهي لان قول شعيب يتضمن قوله الله واحد والحشر كائن والفساد محرم وكل واحد من هذه خبر ومعنى الرجفة والصيحة قد مر في الأعراف وفي هود وكذا انه لم قال مع الرجفة

كمثل العنكبوت اتخذت بيتا قال هذا مثل ضربه الله لا يغني أولياؤهم عنهم شيئا كما لا يغني العنكبوت بيتها هذا وقوله وان أوهن البيوت يقول وان أضعف البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون يقول تعالى ذكره لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله فى قلة غنائهم عنهم كغناء بيت العنكبوت عنها ولكنهم يجهلون ذلك فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم الى الله زلفى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله يعلم ماتدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون﴾ اختلف القراء فى قراءة قوله ان الله يعلم ماتدعون فقرأته عامة قراء الامصار تدعون بالتاء بمعنى الخطاب لمشركى قريش ان الله أيها الناس يعلم ماتدعون اليه من دونه من شئ وقرأ ذلك أبو عمرو ان الله يعلم مايدعون بالياء بمعنى الخبر عن الامم ان الله يعلم مايدعو هؤلاء الذين أهلكناهم من الامم من دونه من شئ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأ بالتاء لان ذلك لو كان خبرا عن الامم الذين ذكر الله أنه أهلكهم لكان الكلام ان الله يعلم ما كانوا يدعون لان القوم فى حال نزول هذا الخبر على نبى الله لم يكونوا موجودين اذ كانوا قد هلكوا فبادوا وانما يقال ان الله يعلم ماتدعون اذا أريد به الخبر عن موجودين لا عمن قد هلك فتأويل الكلام اذ كان الامر كما وصفنا ان الله يعلم أيها القوم حال ما تعبدون من دونه من شئ وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضركم ان أراد الله بكم سوأ ولا يغنى عنكم شيأ وان مثله فى قلة غنائه عنكم مثل بيت العنكبوت فى غنائه عنها وقوله وهو العزيز الحكيم يقول والله العزيز فى انتقامه ممن كفر به وأشرك فى عبادته معه غيره فاتقوا أيها المشركون به عقابه بالايمان به قبل نزوله بكم كما نزل بالامم الذين قص الله قصصهم فى هذه السورة عليكم فانه ان نزل بكم عقابه لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء كما لم يغن عنهم من قبلكم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دونه الحكيم فى تدبيره خلقه فمهلك من استوجب الهلاك فى الحال التى هلاكه صلاح والمؤخر من أخر هلاكه من كفرة خلقه به الى الحين الذى فى هلاكه الصلاح وقوله وتلك الأمثال نضربها للناس يقول تعالى ذكره وهذه الامثال وهى الاشباه والنظائر نضربها للناس يقول نمثلها ونشبهها ونحتج بها للناس كما قال الاعشى

هل تذكر العهد من تمص اذ * تضرب لى قاعدا بها مثلا

وما يعقلها الا العالمون يقول تعالى ذكره وما يعقل أنه أصيب بهذه الامثال التى نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلا الا العالمون بالله وآياته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم خلق الله يا محمد السموات والارض وحده منفردا بخلقها لا يشركه فى خلقها شريك ان فى ذلك لآية يقول ان فى خلقه ذلك لحجة لمن صدق بالحجج اذا عاينها والآيات اذا رآها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اتل يعنى اقرأ ما أوحى اليك من الكتاب يعنى ما أنزل اليك من هذا القرآن وأقم الصلاة يعنى وأد الصلاة التى فرضها الله عليك بحدودها ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اختلف أهل التأويل فى معنى الصلاة التى ذكرت فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بها القرآن الذى يقرأ فى موضع الصلاة أو فى الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبى الوفاء عن أبيه عن ابن عمر ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال القرآن الذى يقرأ فى المساجد * وقال آخرون بل عنى بها الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى

فى دارهم على التوحيد ومع الصيحة فى ديارهم على الجمع (و) أهلكنا (عادا وثمود وقد تبين لكم) ذلك الاهلاك (من) جهة (مساكنهم) اذا نظرتم اليها عند مروركم بها (وكانوا مستبصرين) أى عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال وكانوا عارفين باخبار الرسل أن العذاب نازل بهم ولكنهم لم ينظروا فى الدليل ولجوا حتى هلكوا (وما كانوا سابقين) أى أدركهم أمر الله فلم يفوتوه ثم قرر أمر المذنبين باجمال آخر يفيد أنهم عذبوا بالعناصر الاربعة لجعل ما منه تركيبهم سببا لعدمهم وما منه بقاؤهم سببا لفنائهم فالحاصب حجارة محماة

معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يقول فى الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصى الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خالد بن عبدالله عن العلاء بن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس فى قول الله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خالد قال قال العلاء بن المسيب عن سمرة بن عطية قال قيل لابن مسعود ان فلانا كثير الصلاة قال فانها لا تنفع الا من أطاعها * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبدالرحمن بن يزيد عن ابن مسعود قال من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا * قال ثنا الحسين قال ثنا على بن هاشم ابن البريد عن جويبر عن الضحاك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر قال قال سفيان قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك قال فقال سفيان إى والله تأمره وتنهاه * قال على وحدثنا اسمعيل بن مسلم عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال الصلاة اذا لم تنهه عن الفحشاء والمنكر قال من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والحسن قالا من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فانه لا يزداد من الله بذلك الا بعدا والصواب من القول فى ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال ابن عباس وابن مسعود فان قال قائل وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ان لم يكن معنيا بها ما يتلى فيها قيل تنهى من كان فيها فتحول بينه وبين اتيان الفواحش لأن شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر ولذلك قال ابن مسعود من لم يطع صلاته لم يزدد من الله الا بعدا وذلك أن طاعته لها اقامته اياها بحدودها وفى طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر حدثنا أبو حميد الحمصى قال ثنا يحيى بن سعيد العطار قال ثنا أرطاة عن ابن عون فى قول الله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال اذا كنت فى صلاة فأنت فى معروف وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر والفحشاء هى الزنا والمنكر معاصى الله ومن أتى فاحشة أو عصى الله فى صلاته بما يفسد صلاته فلا شك أنه لا صلاة له وقوله ولذكر الله أكبر اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه ولذكر الله اياكم أفضل من ذكركم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عطاء بن السائب عن عبدالله بن ربيعة قال قال لى ابن عباس هل تدرى ما قوله ولذكر الله أكبر قال قلت نعم قال فما هو قال قلت التسبيح والتحميد والتكبير فى الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك قال لقد قلت قولا عجيبا وما هو كذلك ولكنه انما يقول ذكر الله اياكم عند ما أمر به أو نهى عنه اذا ذكرتموه أكبر من ذكركم اياه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن ابن ربيعة عن ابن عباس قال ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عبدالله بن ربيعة قال سألنى ابن عباس عن قول الله ولذكر الله أكبر فقلت ذكره بالتسبيح والتكبير والقرآن حسن وذكره عند المحارم فيحتجز عنها فقال لقد قلت قولا عجيبا وما هو كما قلت ولكن ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن عبدالله بن ربيعة عن ابن عباس ولذكر الله أكبر قال ذكر الله للعبد أفضل من ذكره اياه حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قال ابن المثنى ثنى

تقع على كل واحد منهم فتنفذ من الجانب الآخر وهو اشارة الى التعذيب بعنصر النار وانه لقوم لوط والصيحة وهى تموج شديد فى الهواء لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) بالاهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالاشراك وقال بعض أهل العرفان وما كان الله ليضعهم فى غير موضعهم فان موضعهم الكرامة ولكنهم وضعوا أنفسهم مع شرفها فى عبادة الوثن الذى هو فى غاية الخسة فلذلك ضرب لهم المثل بالعنكبوت ونسجه الذى هو عند الناس فى غاية الوهن والضعف فان كان تشبيها مركبا

عبدالأعلى وقال ابن وكيع ثنا (١) عبدالأعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى قال كنت قاعدا عند ابن عباس فجاءه رجل فسأل ابن عباس عن ذكر الله أكبر فقال ابن عباس الصلاة والصوم قال ذاك ذكر الله قال رجل انى تركت رجلا فى رحلي يقول غيرهذا قال ولذكر الله أكبر قال ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد اياه فقال ابن عباس صدق والله صاحبك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى ابن عباس فقال حدثني عن قول الله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا حماد ابن سلمة عن داود عن عكرمة ولذكر الله أكبر قال ذكر الله للعبد أفضل من ذكره اياه حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن فضيل قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية ولذكر الله أكبر قال هو قوله فاذكرونى أذكركم وذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولذكر الله لعباده اذا ذكروه أكبر من ذكركم اياه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولذكر الله أكبر قال ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه فى الصلاة أوغيرها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى عن ابن عباس قال ذكر الله اياكم اذا ذكرتموه أكبر من ذكركم اياه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عامر عن أبي قرة عن سلمان مثله حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا أبو أسامة قال ثنى عبدالحميد بن جعفر عن صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة الحضرمي قال سمعت أبا الدرداء يقول ألا أخبركم بخير أعمالكم وأحبها الى مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير من أن تغزوا عدوكم فتضربوا أعناقهم وخير من اعطاء الدنانير والدراهم قالوا ماهو قال ذكركم ربكم وذكر الله أكبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي قال ثنا سفيان عن جابر عن عامر عن أبي قرة عن سلمان ولذكر الله أكبر قال قال ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه * قال ثنى أبي عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال سألت أبا قرة عن قوله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه * قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد وعكرمة قالا ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه * قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عطية عن ابن عباس قال هو كقوله اذكرونى أذكركم فذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه * قال ثنا حسن بن على عن زائدة عن عاصم عن شقيق عن عبدالله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لربه * قال ثنا أبو يزيد الرازى عن يعقوب عن جعفر عن شعبة قال ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له * وقال آخرون بل معنى ذلك ولذكركم الله أفضل من كل شئ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا عمر بن أبي زائدة عن العيزار بن حريث عن رجل عن سلمان أنه سئل أي العمل أفضل قال أما تقرأ القرآن ولذكر الله أكبر لا شئ أفضل من ذكر الله حدثنا ابن حميد أحمد بن المغيرة الحمصى قال ثنا على بن عياش قال ثنا الليث قال ثنى معاوية عن ربيعة بن يزيد عن اسمعيل بن عبيدالله عن أم الدرداء أنها قالت ولذكر الله أكبر فان صليت فهو من ذكر الله وان صمت فهو من ذكر الله وكل خير تعمله فهو من ذكر الله وكل شر تجتنبه فهو من ذكر الله وأفضل ذلك تسبيح الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولذكر الله أكبر قال لاشئ أكبر من ذكر الله قال أكبر الاشياء كلها وقرأ أقم الصلاة لذكرى قال لذكر الله وانه لم يصفه عند القتال الا أنه أكبر حدثنا ابن وكيع

قال

فظاهر وان كان مفرقا فالمشرك كالعنكبوت واتخاذه الصنم معبودا وملجأ كاتخاذ العنكبوت نسجه بيتا فانه يصير سببا لهلاكه ولتنظيف البيت منه كعابد الوثن يقع فى النار بسبب عبادته وفيه أن العنكبوت كما أنه يصطاد بسبب نسجه الذباب ولكنه لا بقاء له ويتلاشى بأدنى سبب كذلك الكافر يستفيد بشركه ماهو أقل من جناح بعوضة وهو بعض متاع الدنيا ولكنه كعمله يصير آخر الامر هباء منثورا ثم عرض على العقول صحة المثل المضروب قائلا (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) بانه لا يصلح للبقاء ولا للاستدفاء

(١) لعل أحد السندين ابن عبدالأعلى وحرر كتبه مصححه

قال ثنا أبي عن الأعمش عن أبي اسحق قال قال رجل لسلمان أيّ العمل أفضل قال ذكر الله * وقال آخرون هو محتمل للوجهين جميعا يعنون القول الاول الذي ذكرناه والثاني ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ولذكر الله أكبر قال لها وجهان ذكر الله أكبر مما سواه وذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنا أبو كريب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس في ولذكر الله أكبر قال لها وجهان ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه وذكر الله عند ما حرم * وقال آخرون بل معنى ذلك لذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدي عن أبي مالك في قوله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة * وقال آخرون بل معنى ذلك والصلاة التي أتيت أنت بها وذكرك الله فيها أكبر مما نهتك الصلاة من الفحشاء والمنكر حدثني أحمد بن المغيرة الحمصي قال ثنا يحيى بن سعيد العطار قال ثنا أرطاة عن ابن عون في قول الله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر * قال أبو جعفر وأشبه هذه الاقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال ولذكر الله اياكم أفضل من ذكركم اياه وقوله والله يعلم ما تصنعون يقول والله يعلم ما تصنعون أيها الناس في صلاتكم من اقامة حدودها وترك ذلك وغيره من أموركم وهو مجازيكم على ذلك يقول فاتقوا أن تضيعوا شيأ من حدودها والله أعلم

﴿ تم الجزء العشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبري ويليه الجزء الحادي والعشرون أوله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب) ﴾

ولا للاستظلال ولا للاستكنان والنسج في نفسه ان فرض له فائدة كان الصنم في نفسه يمكن أن ينتفع به ولكن اتخاذ النسج بيتا لا شك أنه غير مفيد بل مضر كامر فكذلك عبادة الصنم ثم قال (لو كانوا يعلمون) فحذف الجواب ليذهب الوهم كل مذهب أي لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأمر دينهم لتابوا وندموا ولو كانوا يعلمون صحة هذا التشبيه وقد صح أن أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان اذا استقريتها دينا دينا وصاحب الكشاف علق هذا الشرط بما قبله وليس بذاك وقد مر في الوقوف والله أعلم

(استلفات لما فات)

سبق فى الجزء الخامس عشر من هذا الكتاب بصحيفة ١٠٣ بيت شعر صورته فى الاصول التى بأيدينا هكذا

اعلام يقلل راء رؤيا * فهو يهذى بما رأى فى المنام

وهو كما ترى غير مستقيم الوزن والمعنى وفى أثناء البحث عن البيت عناية بصحة الكتاب اطلع عليه بعض فضلاء الأدب فقال لعل أصله

أغلام مضلل راء رؤيا * فهو يهذى بما رأى فى المنام

وبهذا يستقيم البيت من حيث الدراية فلتحرر الرواية والله أعلم

﴿ فهرست الجزء العشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

﴿ تم فهرست الجزء العشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء العشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء العشرين من تفسير ابن جرير ﴾

﴿ تم فهرست الجزء العشرين من النيسابورى ﴾

الجزء الحادى والعشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت الأمّة على تقدمه فى التفسير
أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدّست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجلّ التفاسير وأعظمها فانه يتعرّض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفراينى أنه قال لوسافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا وإياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٨ هجريه

الجزء الحادى والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ يقول تعالى ذكره ولاتجادلوا أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن يقول الا بالجميل من القول وهو الدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه وقوله الا الذين ظلموا منهم اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه الا الذين أبوا أن يقروا لكم باعطاء الجزية ونصبوا دون ذلك لكم حربا فانهم ظلمة فأولئك جادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ذكر من قال ذلك حدثنى على بن سهل قال ثنا يزيد عن سفيان عن خصيف عن مجاهد فى قوله ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم قال من قاتل ولم يعط الجزية حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن خصيف عن مجاهد بنحوه الا أنه قال من قاتلك ولم يعطك الجزية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن قال ان قالوا شرا فقولوا خيرا الا الذين ظلموا منهم فانتصروا منهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا الذين ظلموا منهم قال قالوا مع الله إله أوله ولد أوله شريك أو يد الله مغلولة أو الله فقير أو آذوا محمدا صلى الله عليه وسلم قال هم أهل الكتاب حدثنا ابن وكيع

قال

﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين أتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم ما فى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لايشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم

ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار (٣) خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ﴾

قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم قال أهل الحرب من لا عهد له جادله بالسيف * وقال آخرون معنى ذلك ولا تجادلوا أهل الكتاب الذين قد آمنوا به واتبعوا رسوله فيما أخبروكم عنه مما فى كتبهم الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم فأقاموا على كفرهم وقالوا هذه الآية محكمة وليست بمنسوخة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن قال ليست بمنسوخة لا ينبغى أن تجادل من آمن منهم لعلهم يحسنون شيأ فى كتاب الله لا تعلمه أنت فلا تجادله ولا ينبغى أن تجادل الا الذين ظلموا المقيم منهم على دينه فقال هو الذى يجادل (١) ويقال له السيف قال وهؤلاء يهود قال ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد انما كانوا يهودا هم الذين كلموا وحالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغدرت النضير يوم أحد وغدرت قريظة يوم الاحزاب * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبى صلى الله عليه وسلم بالقتال وقالوا هى منسوخة نسخها قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ثم نسخ بعد ذلك فأمر بقتالهم فى سورة براءة ولا مجادلة أشد من السيف أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يقروا بالخراج * وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال عنى بقوله الا الذين ظلموا منهم الا الذين امتنعوا من أداء الجزية ونصبوا دونها الحرب فان قال قائل أو غير ظالم من أهل الكتاب الا من لم يؤد الجزية قيل ان جميعهم وان كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ظلمة فانه لم يعن بقوله الا الذين ظلموا منهم ظلم أنفسهم وانما عنى بها الا الذين ظلموا منهم أهل الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فان أولئك جادلوهم بالقتال وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فيه بالصواب لان الله تعالى ذكره أذن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب بغير الذى هو أحسن بقوله الا الذين ظلموا منهم فمعلوم اذ كان قد أذن لهم فى جدالهم أن الذين لم يؤذن لهم فى جدالهم الا بالتى هى أحسن غير الذين أذن لهم بذلك فيهم وأنهم غير المؤمن لان المؤمن منهم غير جائز جداله الا فى غير الحق لانه اذا جاء بغير الحق فقد صار فى معنى الظلمة فى الذى خالف فيه الحق فاذ كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال عنى بقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب أهل الايمان منهم وكذلك لا معنى لقول من قال نزلت هذه الآية قبل الامر بالقتال وزعم أنها منسوخة لانه لا خبر بذلك يقطع العذر ولا دلالة على صحته من فطرة عقل وقد بينا فى غير موضع من كتابنا أنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله فى كتابه بأنه منسوخ الا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل وقوله وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن اذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم وأخبروكم عنها بما يمكن ويجوز أن يكونوا فيه صادقين وأن يكونوا فيه كاذبين ولم تعلموا أمرهم وحالهم فى ذلك فقولوا لهم آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم مما فى التوراة والانجيل والهنا والهكم واحد يقول ومعبودنا ومعبودكم واحد ونحن له مسلمون يقول ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله

(١) لعله ويقاتل بالسيف وحرر كتبه مصححه

﴿ القرا آت ما يدعون بياء الغيبة أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير الأعشى والبرجمى الباقون بتاء الخطاب آية على التوحيد ابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل وحمزة وعلى غير قتيبة وخلف لنفسه ويقول بالياء نافع وعاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بالنون يا عبادى الذين بسكون الياء أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف الباقون بفتح الياء والوقف للجميع بالياء لا غير أرضى بفتح الياء ابن عامر يرجعون بضم الياء التحتانية وفتح الجيم يحيى وهشام ترجعون بفتح التاء الفوقانية وكسر الجيم الباقون بضم التاء الفوقانية وفتح الجيم لنثوينهم بسكون الثاء المثلثة

حمزة وعلي وخلف والآخرون بفتح الباء التحتانية الموحدة وتشديد الواو وليتمتعوا بسكون اللام ابن كثير وقالون وحمزة وعلي وخلف سبلنا بسكون الباء أبو عمرو ۞ الوقوف من شئ ط (٤) الحكيم ه للناس ط لاختلاف الجملتين والعدول عن العموم الى الخصوص العالمون ه بالحق ه للمؤمنين ه الصلاة ط والمنكر ط أكبر ط ما تصنعون ه مسلمون ه اليك الكتاب ط يؤمنون به ج فصلا بين حال الفريقين مع اتفاق الجملتين يؤمن به ط الكافرون ه المبطلون ه العلم ط الظالمون ه من ربه ط عند الله ط مبين ه عليهم ط يؤمنون ه شهيدا ج لأن ما بعده يصلح وصفا واستئنافا والارض ط بالله لا لان ما بعده خبر الخاسرون ه بالعذاب ط العذاب ط لا يشعرون ه بالعذاب ط بالكافرين ه لا لان يوم ظرف لمحيطة تعملون ه فاعبدون ط ترجعون ه خالدين فيها ط العاملين قف بناء على أن التقدير هم الذين أو أعني الذين يتوكلون ه رزقها ق قد قيل والوصل أولى لأنه وصف آخر لدابة وإياكم ج لاحتمال الاستئناف والوصل أولى ليكون حالا متمما للمعنى العليم ه ليقولن الله لا للاستفهام مع الفاء يؤفكون ه ويقدر له ط عليم ه ليقولن الله ط الحمد لله ط لتمام المقول لا يعقلون ه ولعب ط الحيوان ط لأن الشرط غير معلق يعلمون ه الدين ه يشركون لا لتعلق لام كي ومن جعلها لام أمر تهديد وقف عليه آتيناهم ط لمن قرأ وليتمتعوا بالجزم على استئناف الامر ومن جعل لام ليكفروا للامر عطف هذه عليها فلم يقف وليتمتعوا لا لاستئناف التهديد يعلمون ه من حولهم ط يكفرون ه جاءه ط الكافرين ه سبلنا ط المحسنين ه ۞ التفسير هذا توكيد لمثل المذكور وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيأ هذا على تقدير كون ما نافية ومن زائدة ويجوز أن تكون استفهاما منصوبا بيدعون وما

صلى الله عليه وسلم ذكر الرواية بذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا علي عن يحيي بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن سعد بن ابراهيم عن عطاء بن يسار قال كان ناس من اليهود يحدثون ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم * قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن سليمن عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير عن عبد الله قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل فانه ليس أحد من أهل الكتاب الا وفي قلبه تالية تدعوه الى دينه كتالية المال وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الا الذين ظلموا منهم قال قالوا مع الله اله أوله ولد أوله شريك أو يد الله مغلولة أو الله فقير أوآذوا محمدا وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم لمن لم يقل هذا من أهل الكتاب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون﴾ يقول تعالى ذكره كما أنزلنا الكتب على من قبلك يا محمد من الرسل كذلك أنزلنا اليك هذا الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب من قبلك من بني اسرائيل يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به يقول ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرانيك اليوم من يؤمن به كعبد الله بن سلام ومن آمن برسوله من بني اسرائيل وقوله وما يجحد بآياتنا الا الكافرون يقول تعالى ذكره وما يجحد بأدلتنا وحججنا الا الذي يجحد نعمنا عليه وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه عنادا لنا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما يجحد بآياتنا الا الكافرون قال انما يكون الجحود بعد المعرفة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون﴾ يقول تعالى ذكره وما كنت يا محمد تتلو يعني تقرأ من قبله يعني من قبل هذا الكتاب الذي أنزلته اليك من كتاب ولا تخطه بيمينك يقول ولم تكن تكتب بيمينك ولكنك كنت أميا اذا لارتاب المبطلون يقول ولو كنت من قبل أن يوحى اليك تقرأ الكتاب أو تخطه بيمينك اذا لارتاب يقول اذا لشك بسبب ذلك في أمرك وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذي تتلوه عليهم المبطلون القائلون انه سجع وكهانة وانه أساطير الأولين * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ شيأ ولا يكتب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك قال كان نبي الله لا يقرأ كتابا قبله ولا يخطه بيمينه قال كان أميا والأمي الذي لا يكتب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ادريس الأودي عن الحكم عن مجاهد

او بمعنى الذى ومن للتبيين المراد ما يدعون من دونه من شئ فان الله يعلمه وهو العزيز الحكيم قادر على اعدامه واهلاكهم لكنه حكيم يمهلهم ليكون الهلاك عن بينة والحياة عن بينة وفيه أيضا تجهيل لهم حيث عبدوا ما هو أقل (ه) من لاشئ وتركوا عبادة القاهر القادر الحكيم

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك قال كان أهل الكتاب يجدون فى كتبهم أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتابا فنزلت هذه الآية * و بنحو الذى قلنا أيضا فى قوله اذا لارتاب المبطلون قالوا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذا لارتاب المبطلون اذا لقالوا انما هذا شئ تعلمه محمد صلى الله عليه وسلم وكتبه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله اذا لارتاب المبطلون قال قريش ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم فقال بعضهم عنى به نبى الله صلى الله عليه وسلم وقالوا معنى الكلام بل وجود أهل الكتاب فى كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقرأ وأنه أمى آيات بينات فى صدورهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم قال كان الله تعالى أنزل شأن محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل لاهل العلم وعلمه لهم وجعله لهم آية فقال لهم ان آية نبوته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتابا ولا يخطه بيمينه وهى الآيات البينات حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب قال كان نبى الله لا يكتب ولا يقرأ وكذلك جعل الله نعته فى التوراة والانجيل أنه نبى أمى لا يقرأ ولا يكتب وهى الآية البينة فى صدور الذين أوتوا العلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب صدقوا بمحمد ونعته ونبوته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج بل هو آيات بينات قال أنزل الله شأن محمد فى التوراة والانجيل لأهل العلم بل هو آية بينة فى صدور الذين أوتوا العلم يقول النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون عنى بذلك القرآن وقالوا معنى الكلام بل هذا القرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال الحسن فى قوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم القرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم يعنى المؤمنين * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ولا تخطه بيمينك آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب وانما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية لأن قوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهو بأن يكون خبرا عنه أولى من أن يكون خبرا عن الكتاب الذى قد انقضى الخبر عنه قبل وقوله وما يجحد بآياتنا الا الظالمون يقول تعالى ذكره وما يجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأدلته وينكر العلم الذى يعلم من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ببعث محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ومبعثه الا الظالمون يعنى الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عز وجل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما

ثم ان الجهلة من قريش كانوا يسخرون من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت ونحوهما فنزلت (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وذلك لأن الأمثال والتشبيهات وسائل الى المعانى المحتجبة فى الأستار كما سبق فى أول البقرة حيث ضرب المثل بالبعوضة قال الحكيم العلم الحدسى يعرفه العاقل وأما اذا كان فكريا دقيقا فانه لا يعقله الا العالم لافتقاره الى مقدمات سابقة والمثل مما يفتقر فى ادراك صحته وحسن موقعه الى أمور سابقة ولاحقة يعرف بها تناسب مورده ومضربه وفائدة ايراده فلا يعقل صحتها الا العلماء وحين أمر الخلق بالايمان وأظهر الحق بالبرهان وقص قصصا فيها عبر وأنذر أهل الكفر باهلاك من غبر ووصف سبيل أهل الاباطيل بالتمثيل قوى قلوب أهل الايمان بأن كفرهم ينبغى أن لا يورث شكا فى صحة دينكم وشكهم يجب أن لا يؤثر فى رد يقينكم ففى خلق السموات والارض بالحق بيان ظاهر وبرهان باهر وان لم يؤمن به على وجه الارض كافر وانما قال ههنا الآية للمؤمنين مع قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله لآيات لقوم يعقلون لأن المؤمن لا يقصر نظره من الخلق على معرفة الخالق فحسب ولكنه يرتقى منه الى نعوت الكمال والجلال

فيعرف أنه خلقهما متقنا محكما وهو المراد بقوله (بالحق) والخالق المتقن المحكم لا يصدر الا عن العالم بالكليات والجزئيات والا عن الواجب الواحد الذات والصفات كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ثم يرتقى من مجموع هذه المقدمات الى صحة الرسالة وحقيقة المعاد فيحصل له

الايمان بتمامه من خلق ماخلقه على أحسن نظامه وانما وحد الآية ههنا لانه اشارة الى التوحيد وهو سبحانه واحد لا شريك له وفى قصة ابراهيم اشارة الى النبوّة وفى النبيين صلى الله (٦) عليهم وسلم كثرة وحيث قوى قلب المؤمنين بالتخصيص المذكور سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) لتعلم أن نوحا ولوطا وغيرهما بلغوا الرسالة وبالغوا فى اقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة والجهالة ولهذا قال اتل ولم يقل اتل عليهم لأن التلاوة بعد اليأس منهم ما كانت الا لتسلية قلب النبى صلى الله عليه وسلم أونقول ان الكتاب الالهى قانون كلى فيه شفاء للصدور فيجب تلاوته مرة بعد أخرى ليبلغ الى حد التواتر وينقله قرن الى قرن ويأخذه قوم من قوم الى يوم النشور وأيضا فيه من العبر والمواعظ مايهش لها الاسماع وتطمئن اليها القلوب كالمسك يفوح لحظة فلحظة وكالروض يستلذه النظر ساعة فساعة وفى الجمع بين الأمرين التلاوة واقامة الصلاة معنيان أحدهما زيادة تسلية النبى صلى الله عليه وسلم كأنه قيل له اذا تلوت ولم يقبل منك فأقبل على الصلاة لأنك بواسطة بين الطرفين فان لم يتصل الطرف الاول وهو من الخالق الى المخلوق فليتصل الطرف الآخر وهو من المخلوق الى الخالق والثانى أن العبادات اما اعتقادية وهى لا تتكرر بل تبقى مستمرا عليها واما لسانية وامابدنية خارجية وأفضلها الصلاة فأمر بتكرار الذكر والصلاة حيازة للفضيلتين ثم علل الأمر باقامة الصلاة فقال (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) فقال بعض المفسرين أراد بالصلاة القرآن وفيه النهى عنهما وهو بعيد وقيل أراد نفس الصلاة وانما تنهى عنهما مادام العبد فى الصلاة وضعف بأنه ليس مدحا كاملا لأن غيرها من الاعمال الفاضلة والمباحة قد يكون كذلك كالنوم وغيره والذى عليه المحققون أن للصلاة لطفا فى ترك المعاصى فكأنها ناهية عنها

يجىء

أنا نذير مبين ﴾ يقول تعالى ذكره وقالت المشركون من قريش هلا أنزل على محمد آية من ربه تكون حجة لله علينا كما جعلت الناقة لصالح والمائدة آية لعيسى قل يامحمد انما الآيات عند الله لا يقدر على الاتيان بها غيره وانما أنا نذير مبين وانما أنا نذير لكم أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله وما جاءكم به من عند ربكم مبين يقول قد أبان لكم انذاره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره أولم يكف هؤلاء المشركين يامحمد القائلين لولا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه من الآيات والحجج أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب يتلى عليهم يقول يقرأ عليهم ان فى ذلك لرحمة يقول ان فى هذا الكتاب الذى أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتسخوا شيأ من بعض كتب أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة أن ناسا من المسلمين أتوا نبى الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر فيها ألقاها ثم قال كفى بها حماقة قوم أوضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم الى قوم غيرهم فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم مافى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يامحمد للقائلين لك لولا أنزل عليك آية من ربك الجاحدين بآياتنا من قومك كفى الله ياهؤلاء بينى وبينكم شاهدا لى وعلىّ لانه يعلم المحق منا من المبطل ويعلم مافى السموات ومافى الارض لا يخفى عليه شئ فيهما وهو المجازى كل فريق منا بما هو أهله المحق على ثباته على الحق والمبطل على باطله بما هو أهله والذين آمنوا بالباطل يقول صدقوا بالشرك فأقروا به وكفروا به يقول وجحدوا الله أولئك هم الخاسرون يقول هم المغبونون فى صفقتهم * وبنحو الذى قلنا فى قوله والذين آمنوا بالباطل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين آمنوا بالباطل الشرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ يقول تعالى ذكره ويستعجلك يامحمد هؤلاء القائلون من قومك لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب ويقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ولولا أجل سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه لجاءهم العذاب عاجلا وقوله وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يقول وليأتينهم العذاب فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستعجلونك بالعذاب قال قال ناس من جهلة هذه الامة اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره يستعجلك يامحمد هؤلاء المشركون

يجيء العذاب ونزوله بهم والنار بهم محيطة لم يبق الا أن يدخلوها وقيل ان ذلك هو البحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت عكرمة يقول في هذه الآية وان جهنم لمحيطة بالكافرين قال البحر * أخبرنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن سماك عن عكرمة مثله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشى الكافرين العذاب من فوقهم في جهنم ومن تحت أرجلهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم أي في النار وقوله ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يقول جل ثناؤه ويقول الله لهم ذوقوا ما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله وما يسخطه فيها وبالياء في ويقول ذوقوا قرأت عامة قراء الامصار خلا أبي جعفر وأبي عمرو فانهما قرآ ذلك بالنون ونقول والقراءة التي هي القراءة عندنا بالياء لاجماع الحجة من القراء عليها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ياعبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده ياعبادي الذين وحدوني وآمنوا بي وبرسولي محمد صلى الله عليه وسلم ان أرضي واسعة واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أريد من الخبر عن سعة الارض فقال بعضهم أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحل لكم المقام فيه ولكن اذا عمل بمكان منها بمعاصي الله فلم تقدروا على تغييره فاهربوا منه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن سعيد بن جبير في قوله ان أرضي واسعة قال اذا عمل فيها بالمعاصي فاخرج منها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن أبي خالد عن سعيد بن جبير في قوله ان أرضي واسعة قال اذا عمل فيها بالمعاصي فاخرج منها حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن رجل عن سعيد بن جبير قال اهربوا فان أرضي واسعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شريك عن منصور عن عطاء قال اذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فان أرضي واسعة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن منصور عن عطاء ان أرضي واسعة قال مجانبة أهل المعاصي حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ياعبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون فقلت يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين فقال نعم * وقال آخرون بل معنى ذلك ان ما أخرج من أرضي لكم من الرزق واسع لكم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن عرفة قال ثني زيد بن الحباب عن شداد بن سعيد بن مالك أبي طلحة الراسبي عن غيلان بن جرير المعولي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري في قول الله ان أرضي واسعة قال ان رزقي لكم واسع حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن شداد عن غيلان بن جرير عن مطرف بن الشخير ان أرضي واسعة قال رزقي لكم واسع * وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك ان أرضي واسعة فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي لدلالة قوله فاياي فاعبدون على ذلك وأن ذلك هو أظهر معنييه وذلك أن الارض اذا وصفها بسعة

وذلك اذا كانت الشروط من الخشوع وغيره مرعية فقد روي عن ابن عباس من لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان فلانا يصلي (٧) بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروي أن فتى من الانصار كان يصلي معه الصلاة ثم يرتكب الفواحش فوصف ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال فالمراعي لأوقات الصلاة لابد أن يكون أبعد من القبائح واللفظ لا يقتضي الا هذا القدر وكيف لا تنهى ونحن نرى أن من لبس ثوبا فاخرا فانه يتجنب مباشرة القاذورات فمن لبس لباس التقوى كيف لا يتجنب الفواحش وأيضا الصلاة توجب القرب من الله تعالى كما قال واسجد واقترب ومقرب الملك المجازي يجل منصبه أن يتعاطى الأشغال الخسيسة فكيف يكون مقرب الملك الحقيقي وأيضا من دخل في خدمة ملك فأعطاه منصبا له مقام خاص مرتفع فاذا دخل وجلس في صف النعال لم يتركه الملك هنالك فاذا صار العبد برعاية شروط الصلاة وحقوقها من أصحاب اليمين فكيف يتركه الله الكريم في أصحاب الشمال وتفسير الفحشاء والمنكر مذكور مرارا وقال أهل التحقيق الفحشاء التعطيل وهو انكار وجود الصانع والمنكر الاشراك به وهو اثبات اله غير الله وذلك أن وجود الواجب الواحد أظهر من الشمس وانكار الظاهر منكر ظاهر واعلم أن الصلاة لها هيئة فأولها وقوف بين يدي الله كوقوف العبد بين يدي السلطان وآخرها جثو بين يدي الله كما يجثو أهل الاخلاص بين يدي السلطان واذا جثا في الدنيا هكذا لم يجث في الآخرة كما قال ونذر الظالمين فيها جثيا فالمصلي اذا قال الله نفى التعطيل واذا قال أكبر نفى الشرك لان الشريك لا يكون أكبر من الشريك الآخر فيما فيه الاشتراك واذا قال بسم الله نفى التعطيل واذا قال الرحمن الرحيم نفى الاشراك لان الرحمن هو المعطي

للوجود بالخلق والرحيم هو المفيض للبقاء بالرزق وهكذا قوله الحمد لله خلاف التعطيل وقوله رب العالمين خلاف التشريك وفي قوله
اياك نعبد نفي التعطيل والاشراك من (٨) حيث افادة التقديم الاختصاص بالعبادة وكذا قوله واياك نستعين وفي قوله

فالغالب من وصفه اياها بذلك أنها لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب وقوله فاياي فاعبدون يقول فأخلصوا الي عبادتكم وطاعتكم ولا تطيعوا في معصيتي أحدا من خلقي ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه هاجروا من أرض الشرك من مكة الى أرض الاسلام المدينة فان أرضي واسعة فاصبروا على عبادتي وأخلصوا طاعتي فانكم ميتون وصائرون الي لان كل نفس حية ذائقة الموت ثم الينا بعد الموت تردون ثم أخبرهم جل ثناؤه عما أعد للصابرين منهم على طاعته من كرامته عنده فقال والذين آمنوا يعني صدقوا الله ورسوله فيما جاء به من عند الله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه وانتهوا عما نهاهم عنه لنبوئنهم من الجنة غرفا يقول لننزلنهم من الجنة علالي واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين لنبوئنهم بالباء وقرأته عامة قراء الكوفة بالثاء لنثوينهم * والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الامصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن قوله لنبوئنهم من بوأته منزلا أي أنزلته وكذلك لنثوينهم انما هو من أثويته مسكنا اذا أنزلته منزلا من الثواء وهو المقام وقوله تجري من تحتها الانهار يقول تجري من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول ماكثين فيها الى غير نهاية نعم أجر العاملين يقول نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف التي يثويهموها الله في جناته تجري من تحتها الانهار الذين صبروا على أذى المشركين في الدنيا وما كانوا يلقون منهم وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه وجهاد أعدائه وعلى ربهم يتوكلون في أرزاقهم وجهاد أعدائهم فلا ينكلون عنهم ثقة منهم بأن الله معلي كلمته وموهن كيد الكافرين وأن ما قسم لهم من الرزق فلن يفوتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه ولا تخافوا عيلة ولا اقتارا فكم من دابة ذات حاجة الى غذاء ومطعم ومشرب لا تحمل رزقها يعني غذاءها لا تحمله فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك الله يرزقها واياكم يوما بيوم وهو السميع لأقوالكم نخشى بفراقنا أوطاننا العيلة العليم ما في أنفسكم وما اليه صائر أمركم وأمر عدوكم من اذلال الله اياهم ونصرتكم عليهم وغير ذلك من أموركم لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال الطير والبهائم لا تحمل الرزق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت عمران عن أبي مجلز في هذه الآية وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم قال من الدواب ما لا يستطيع أن يدخر لغد يوفق لرزقه كل يوم حتى يموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن علي بن الأقمر وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال لا تدخر شيئا لغد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

اهدنا الصراط نفي التعطيل لان المعطل لا مقصد له وفي قوله المستقيم نفي الاشراك لان المستقيم أقرب الطرق وهو أحد والمشرك يزيد في الطريق بتحصيل الوسائط وعلى هذا الى آخر الصلاة وهو قوله في التشهد أشهد أن لا اله الا الله نفي التعطيل والاشراك فأول الصلاة الله وآخرها الله ثم ان الله سبحانه كأنه قال للعبد أنت انما وصلت الى هذه المنزلة الرفيعة بهداية محمد صلى الله عليه وسلم فقل بعد ذكري أشهد أن محمدا رسول الله واذكر احسانه بالصلاة عليه ثم اذا رجعت من معراجك وانتهيت الى اخوانك فسلم عليهم وبلغهم سلامي كما هو دأب المسافرين (ولذكر الله) أي الصلاة (أكبر) من غيرها من الطاعات وفي تسمية الصلاة بالذكر اشارة الى أن شرف الصلاة بالذكر وجوز في الكشاف أن يراد ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بالطاعة (والله يعلم ما تصنعون) من الاعمال فيثيبكم أو يعاقبكم على حسب ذلك وحين بين طريقة ارشاد المسلمين ونفع من انتفع واليأس ممن امتنع أراد أن يبين طريقة ارشاد أهل الكتاب وهي مجادلتهم بالخصلة التي هي أحسن يعني مقابلة الخشونة باللين والغضب بالحلم والعجلة بالتأني قال بعض المفسرين أراد لا تجادلهم بالسيف وان لم يؤمنوا الا اذا ظلموا وسخر
فنبذوا الذمة أو منعوا الجزية وقيل الا الذين أشركوا منهم باثبات الولد لله والقول بثالث ثلاثة وقيل الا الذين آذوا رسول الله والتحقيق

أن أكثر أهل الكتاب جاؤا بكل حسن إلا الاعتراف بمحمد صلى الله عليه وسلم فوحدوا وآمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل والمبدإ والمعاد فلمقابلة احسانهم يجادلون أوّلا بالأحسن ولا تستهجن آراؤهم ولا ينسب الى الضلال (٩) آباؤهم بل يقال لهم (آمنا بالذى أنزل الينا)

وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والارض فسوّاهن وسخر الشمس والقمر لعباده يجريان دائبين لمصالح خلق الله ليقولن الذى خلق ذلك وفعله الله فأنى يؤفكون يقول جل ثناؤه فأنى يصرفون عمن صنع ذلك فيعدلون عن اخلاص العبادة له كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأنى يؤفكون أى يعدلون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم﴾ يقول تعالى ذكره الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه و يضيق فيقتر لمن يشاء منهم يقول فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس بيدى دون كل أحد سواى أبسط لمن شئت منها وأقتر على من شئت فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوّكم خوف العيلة ان الله بكل شئ عليم يقول ان الله عليم بمصالحكم ومن لا يصلح له الا البسط فى الرزق ومن لا يصلح له الا التقتير عليه وهو عالم بذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء وهو المطر الذى ينزله الله من السحاب فأحيا به الارض يقول فأحيا بالماء الذى نزل من السماء الارض واحياؤها انباته النبات فيها من بعد موتها من بعد جدوبها وقحوطها وقوله ليقولن الله يقول ليقولن الذى فعل ذلك الله الذى له عبادة كل شئ وقوله قل الحمد لله يقول واذا قالوا ذلك فقل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون يقول بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم وما فيه الضر فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله ينالون بها عند الله زلفة وقربة ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون مستوجبون الخلود فى النار ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وما هذه الحياة الدنيا التى يتمتع منها هؤلاء المشركون الا لهو ولعب يقول الا تعليل النفوس بما تلتذ به ثم هو منقض عن قريب لا بقاء له ولا دوام وان الدار الآخرة لهى الحيوان يقول وان الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التى لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون حياة لا موت فيها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لهى الحيوان قال لا موت فيها حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان يقول باقية وقوله لو كانوا يعلمون يقول لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك لقصروا عن تكذيبهم بالله واشراكهم غيره فى عبادته ولكنهم لا يعلمون ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون﴾ يقول تعالى ذكره فاذا ركب هؤلاء المشركون السفينة فى البحر فخافوا الغرق والهلاك فيه دعوا الله مخلصين له الدين يقول أخلصوا لله عند الشدة التى نزلت بهم التوحيد وأفردوا له الطاعة وأذعنوا له بالعبودة ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم ولكن بالله الذى خلقهم فلما نجاهم الى البر يقول فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلمهم فصاروا الى البر اذا هم يجعلون مع الله شريكا

الى آخر الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم ثم ذكر دليلا قياسيا فقال (وكذلك) يعنى كما أنزلنا على من تقدمك أنزلنا عليك وقال جار الله هو تحقيق لقوله آمنا بالذى أنزل الينا أى ومثل ذلك الانزال أنزلناه مصدّقا لسائر الكتب السماوية (فالذين آتيناهم الكتاب) هم عبد الله ابن سلام وأضرابه (ومن هؤلاء) أى من أهل مكة أو الأولون هم الأقدمون من أهل الكتاب والآخرون هم المعاصرون منهم للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل الأوّلون هم الأنبياء لأن كلهم آمنوا بكلهم ومن هؤلاء هم أهل الكتاب (وما يجحد بآياتنا) مع وضوحها الا المصرون على الكفر المتوغلون فيه نحو كعب ابن الأشرف وأصحابه واعلم أن المجادل اذا ذكر مسئلة خلافية كقوله الزكاة تجب فى مال الصغير فاذا قيل له لم قال كما تجب النفقة فى ماله ولا يذكر الجامع بينهما فان فهم الجامع من نفسه فذاك والا قيل له لان كليهما مال فضل عن الحاجة فالله سبحانه ذكر أوّلا التمسك بقوله وكذلك أنزلنا ثم ذكر الجامع بقوله (وما كنت تتلو) الآية وفى قوله (بيمينك) زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا ومعنى (اذا لارتاب) لو كان شئ من ذلك أى من التلاوة والخط لارتاب (المبطلون) من أهل الكتاب وارتاب الذين من شأنهم الركون الى الأباطيل لأن النبى

اذا كان قارئا كاتبا أمكن أن يسبق الى الوهم أن الكلام كلامه لا كلام الله واذا كان أميا فلا مجال لهذا الوهم أو المراد أن سائر الانبياء

لم يكونوا أميين ووجب الايمان بهم لمكان معجزتهم فهبوا أنه قارئ كاتب أليس صاحب آيات ومعجزات فاذاهم مبطلون على كل حال ثم أكد ازالة ريبهم بقوله (بل هو) يعني القرآن (١٠) (آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) وهم الحفاظ والقراء وسائر الكتب السماوية ما كانت تقرأ إلا من القراطيس ولهذا جاء في صفة هذه الامة صدورهم أناجيلهم (وما يجحد بآياتنا) الباهرة النيرة الا المتوغلون في الظلم سماهم أولا كافرين لاجل مجرد الجحود ثم بعد بيان المعجزة سماهم ظالمين لان الكفر اذا انضم معه الظلم كان اشنع ويجوز أن يراد بالظلم الشرك كأنهم بغلوهم في الجحود ألحقوا بأهل الشرك حكما أو حقيقة ولما بين الدليل من جانب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شبهتهم وهي الفرق بين المقيس والمقيس عليه وذلك أن موسى أوتي تسع آيات علم بها كون الكتاب من عند الله وأنت ما أوتيت شيأ منها فأرشد الله نبيه الى الجواب وهو أن يقول (انما الآيات عند الله) ووجهه أنه ليس من شرط الرسالة اظهار المعجزة وانما المعجزة بعد التوقف في الرسالة ولهذا علم وجود رسل كشيث وادريس وشعيب ولم يعلم لهم معجزة وكان في بني اسرئيل أنبياء لم تعرف نبوتهم الا بقول موسى أو غيره فليس على النبي الا النذارة وأما انزال الآية فالى رحمة الله اذا شاء تخليص القوم من تصديق المتنبئ وتكذيب النبي ثم قال (أولم يكفهم) الآية والمعنى هبوا أن انزال الآية شرط أليس القرآن المتلو الذي أخرس شقاشق فصحائهم كافيا في بيان الاعجاز (ان في ذلك) المتلو على وجه الارضين (لرحمة) من الله على الخلق والا اشتبه عليهم النبي بالمتنبئ (وذكرى) ليتعظ بها الناس ما بقي الزمان وانما كانت هذه الرحمة من الله على الخلق والتذكرة مختصة بالمؤمنين فاحشة لأن المعجزة للكافرين سبب لمزيد الانكار المستلزم لالزام الحجة والخلود في النار ثم ختم الدلائل بأن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام منصف

في عبادتهم ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فالخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم ثم يشركون بعد ذلك

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ يقول تعالى ذكره فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه في البحر من الخوف والحذر من الغرق الى البر اذا هم بعد أن صاروا الى البر يشركون بالله الآلهة والأنداد ليكفروا بما آتيناهم يقول ليجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليهم في أنفسهم وأموالهم وليتمتعوا اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وليتمتعوا بكسر اللام بمعنى وكي يتمتعوا آتيناهم ذلك وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وليتمتعوا بسكون اللام على وجه الوعيد والتوبيخ أي اكفروا فانكم سوف تعلمون ماذا يلقون من عذاب الله بكفرهم به * وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد وذلك أن الذين قرؤه بكسر اللام زعموا أنهم انما اختاروا كسرها عطفا بها على اللام التي في قوله ليكفروا وأن قوله ليكفروا لما كان معناه كي يكفروا كان الصواب في قوله وليتمتعوا أن يكون وكي يتمتعوا اذ كان عطفا على قوله ليكفروا عندهم وليس الذي ذهبوا من ذلك بمذهب وذلك لان لام قوله ليكفروا واصلحت أن تكون بمعنى كي لانها شرط لقوله اذا هم يشركون بالله كي يكفروا بما آتيناهم من النعم وليس ذلك كذلك في قوله وليتمتعوا لان اشراكهم بالله كان كفرا بنعمته وليس اشراكهم به تمتعا بالدنيا وان كان الاشراك به يسهل لهم سبيل التمتع بها فاذ كان ذلك كذلك فتوجيهه الى معنى الوعيد أولى وأحق من توجيهه الى معنى وكي يتمتعوا وبعد فقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي "وتمتعوا" وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام بمعنى الوعيد وقوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا يقول تعالى ذكره مذكرا هؤلاء المشركين من قريش القائلين لولا أنزل عليه آية من ربه نعمته عليهم التي خصهم بها دون سائر الناس غيرهم مع كفرهم بنعمته واشراكهم في عبادته الآلهة والانداد أولم ير هؤلاء المشركون من قريش ما خصصناهم به من نعمتنا عليهم دون سائر عبادنا فيشكرونا على ذلك وينزجروا عن كفرهم بنا واشراكهم ما لا ينفعهم ولا يضرهم في عبادتنا أنا جعلنا بلدهم حرما حرمنا على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب آمنا يأمن فيه من سكنه فأوى اليه من السباء والخوف والحرام الذي لا يأمنه غيرهم من الناس ويتخطف الناس من حولهم يقول وتسلب الناس من حولهم قتلا وسباء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم قال كان لهم في ذلك آية أن الناس يغزون ويتخطفون وهم آمنون وقوله أفبالباطل يؤمنون يقول أفبالشرك بالله يقرون بألوهة الأوثان بأن يصدقوا وبنعمة الله التي خصهم بها من أن جعل بلدهم حرما آمنا يكفرون يعني بقوله يكفرون يجحدون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفبالباطل يؤمنون أي بالشرك وبنعمة الله يكفرون أي يجحدون

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أظلم أيها الناس ممن اختلق على الله كذبا فقالوا اذا فعلوا

فاحشة وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها والله لا يأمر بالفحشاء أو كذب بالحق لما جاءه يقول أو كذب بما بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من توحيده والبراءة من الآلهة والانداد لما جاءه هذا الحق من عند الله أليس في جهنم مثوى للكافرين يقول أليس في النار مثوى ومسكن لمن كفر بالله وجحد توحيده وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا تقرير وليس باستفهام انما هو كقول جرير

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

انما أخبر أن للكافرين بالله مسكنا في النار ومنزلا يثوون فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) يقول تعالى ذكره والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبا من كفار قريش المكذبين بالحق لما جاءهم فينا مبتغين بقتالهم علو كلمتنا ونصرة ديننا لنهدينهم سبلنا يقول لنوفقنهم لاصابة الطرق المستقيمة وذلك اصابة دين الله الذي هو الاسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وان الله لمع المحسنين يقول وان الله لمع من أحسن من خلقه فجاهد فيه أهل الشرك مصدقا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له والنصرة على من جاهد من أعدائه وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله والذين جاهدوا فينا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين جاهدوا فينا فقلت له قاتلوا فينا فقال نعم

آخر تفسير سورة العنكبوت

(تفسير سورة الروم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

۞ القول في تأويل قوله تعالى (الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) * قال أبو جعفر قد بينا فيما مضى قبل معنى قوله الم وذكرنا ما فيه من أقوال أهل التأويل فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقوله غلبت الروم في أدنى الأرض اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء الامصار غلبت الروم بضم الغين بمعنى أن فارس غلبت الروم وروي عن ابن عمر وأبي سعيد في ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن الحسن الجفري عن سليط قال سمعت ابن عمر يقرأ الم غلبت الروم فقيل له يا أبا عبد الرحمن على أي شيء غلبوا قال على ريف الشام والصواب من القراءة في ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره الم غلبت الروم بضم الغين لاجماع الحجة من القراء عليه فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام غلبت فارس الروم في أدنى الارض من أرض الشام الى أرض فارس. وهم من بعد غلبهم يقول والروم من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس في بضع سنين لله الأمر من قبل غلبتهم فارس ومن بعد غلبتهم اياها يقضي في خلقه ما يشاء ويحكم ما يريد ويظهر من شاء منهم على من أحب اظهاره عليه ويومئذ

وهو قوله (كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) وقال في آخر سورة الرعد قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب لان الكلام هناك مع المشركين فاستشهد عليهم بأهل الكتاب أيضا وأما ههنا فالكلام مع أهل الكتاب فاقتصر على شهادة الله ثم بين كون شهادة الله كافية بقوله (يعلم ما في السموات والارض) ثم هددهم بقوله (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله) وهما متلازمان لان الايمان بما سوى الله وهو الباطل الهالك الزائل الزاهق كفر بالله وجحود بحقه (أولئك هم الخاسرون) لا يستحق لهذا الاسم في الحقيقة غيرهم اذ لا غبن أفحش من اشتراء الباطل بالحق والكفر بالايمان واضاعة العمر في عبادة ما لا ينفعهم بل يضرهم قيل ان ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما نظر اليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت اولم يكفهم الآية ويروى أن كعب بن الاشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت قل كفى الآية فعلى هذا فالآية نازلة في المشركين وعلى ما مر فهل يتناول اهل الكتاب قالوا نعم لأنه صح عندهم معجزة محمد صلى الله عليه وسلم وقطعوا بأنها ليست من عند الله بل من تلقاء محمد صلى الله عليه وسلم فيلزمهم أن يقولوا ان محمدا هو الله فيكون ايمانا بالباطل وكفرا بالله قلت ولعل وجه التناول هو أنهم آمنوا بالمحرف من التوراة وعبدوا العجل والله أعلم ثم ان النضر ابن الحرث وغيره من كفار قريش كانوا يستعجلون بالعذاب كما مر استهزاء منهم وتكذيبا فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى) هو الموت أو يوم بدر أو ما كتب في اللوح أنه لا يعذب هذه الامة عذاب الاستئصال الى يوم القيامة وقوله (وهم لا يشعرون) تأكيد للبغتة أو هو كلام مستقل أي انهم لا يشعرون هذا الامر ويظنون أن العذاب لا يأتيهم أصلا ثم كرر قوله (يستعجلونك بالعذاب)

تعجبا منهم وتعجيبا فان من توعد بأمر يسير كلطمة أو لكمة يحتمل أن يظهر من نفسه الجلادة و يقول هات ما عندك وأما الذي توعد باحراق ونحوه فكيف يتجلد و يستعجل (١٢) خصوصا اذا كان الموعد لا يخلف الميعاد و يقدر على كل ما أراد وقوله (لمحيطة) بمعنى الاستقبال أي ستحيط بهم يوم كذا و يجوز أن يكون بمعنى الحال حقيقة لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم في الدنيا أو مجازا لان جهنم مآ لهم ومرجعهم فكأنها الساعة محيطة بهم والظرف على هذين الوجهين منصوب بمضمر أي (يوم يغشاهم العذاب) كان كيت وكيت وانما خص الغشيان بالفوق والتحت دون باقي الجهات لان نار جهنم بذلك تتميز عن نار الدنيا لان نار الدنيا لا تنزل من فوق ولا تؤثر شعلتها من تحت بل تنطفئ الشعلة تحت القدم وانما لم يقل ومن تحتهم كما قال من فوقهم لان نزول النار من فوق عجيب سواء كان من سمت الرأس أو من موضع آخر وأما الاشتعال من تحت فليس بعجيب الا حيث يحاذي الرجل و يجوز أن يكون زيادة الأرجل تصويرا لوقوفهم في النار أو لجثوهم فيها وقوله (ذوقوا ما كنتم) أي جزاء ما كنتم تعملونه أمر اهانة وحين ذكر حال الكفرة من أهل الكتاب والمشركين وجمعهم في الانذار وجعلهم من أهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في ايذاء المؤمنين ومنعهم من عبادة الله فقال (يا عبادي) فان كانت الاضافة للتشريف كقوله عينا يشرب بها عباد الله فقوله (الذين آمنوا) صفة موضحة وان كانت للتخصيص فهي صفة مميزة ومعنى الآية أن المؤمن اذا لم يتسهل له عبادة الله في بلد على وجه الاخلاص فليهاجر عنه الى بلد يكون فيه أفرغ بالا وأرفع حالا وأقل عوارض نفسانية وأكمل دواعي روحانية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد واعلم أني عند الوصول

يفرح المؤمنون بنصر الله يقول و يوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله و رسوله بنصر الله اياهم على المشركين ونصرة الروم على فارس ينصر الله تعالى ذكره من يشاء من خلقه على من يشاء وهو نصرة المؤمنين على المشركين ببدر وهو العزيز يقول والله الشديد في انتقامه من أعدائه لا يمنعه من ذلك مانع ولا يحول بينه وبينه حائل الرحيم بمن تاب من خلقه وراجع طاعته أن يعذبه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن سعيد أو سعيد الثعلبي الذي يقال له أبو سعد من أهل طرسوس قال ثنا أبو اسحق الفزاري عن سفيان بن سعيد الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم أهل الكتاب وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس لأنهم أهل أوثان قال فذكروا ذلك لابي بكر فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أما انهم سيهزمون قال فذكر ذلك أبو بكر للمشركين قال فقالوا أفنجعل بيننا و بينكم أجلا فان غلبوا كان لك كذا وكذا وان غلبنا كان لنا كذا وكذا قال فجعلوا بينهم و بينه أجلا خمس سنين قال فمضت فلم يغلبوا قال فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أفلا جعلته دون العشر قال سعيد والبضع ما دون العشر قال فغلب الروم ثم غلبت قال فذلك قوله الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين قال البضع ما دون العشر لله الامر من قبل ومن بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله قال سفيان فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر حدثني زكريا بن يحيى ابن أبان المصري قال ثنا موسى بن هرون البردي قال ثنا معن بن عيسى قال ثنا عبد الله ابن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن عبيد الله عن ابن عباس قال لما نزلت الم غلبت الروم في أدنى الارض الآية ناحب أبو بكر قريشا ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له اني قد ناحبتهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هلا احتطت فان البضع ما بين الثلاث الى التسع قال الجمحي المناحبة المراهنة وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الم غلبت الروم الى قوله و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله قال قد مضى كان ذلك في أهل فارس والروم وكانت فارس قد غلبتهم ثم غلبت الروم بعد ذلك ولقي نبي الله صلى الله عليه وسلم مشركي العرب يوم التقت الروم وفارس فنصر الله النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين على مشركي العرب ونصر أهل الكتاب على مشركي العجم ففرح المؤمنون بنصر الله اياهم ونصر أهل الكتاب على العجم قال عطية فسألت أبا سعيد الخدري عن ذلك فقال التقينا مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركي العرب والتقت الروم وفارس فنصرنا الله على مشركي العرب ونصر الله أهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله ايانا على المشركين وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس فذلك قوله و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون غلبتهم فارس ثم غلبت الروم حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود قال قد مضى الم غلبت الروم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا

الى تفسير هذه السورة عنّ لى سفر من غير اختيار كلّى فأقول متضرعا الى الله الكريم ومستمدّا من اعجاز الفرقان العظيم اللهم ان كنت تعلم أن هذا السفر مشوب بشئ من رضاك فان كل الرضا لا يمكنني ان أراعيه (١٣) فاجعله سببا لنجح المقاصد وحصول المآرب والاشتمال على الفوائد الدنيوية والدينية والخلاص من شماتة الاعداء الدنية حتى أفرغ لنشر العلوم الشرعية انك على ما تشاء قدير وبالاسعاف والاجابة جدير والفاء فى قوله (فاياى) للدلالة على أنه جواب الشرط كأنه قال اذا كان لا مانع من عبادتى (فاعبدونى) ثم أريد معنى الاختصاص والاخلاص فقدم المفعول على شريطة التفسير وجىء بالفاء الثانية الدالة على ترتيب المقتضى على المقتضى كما يقال هذا عالم فأكرموه كما مر فى قوله واياى فارهبون فصار حاصل المعنى ان لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها لى فى غيرها والفائدة فى الامر بالعبادة بعد قوله ياعبادى الدال على العبودية اما المداومة أى يا من عبد تمونى فى الماضى اعبدونى فى المستقبل أو الاخلاص فى العبادة ويجوز أن يقال العبودية غير العبادة فكم من عبد لا يطيع سيده ثم لما أمر المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان والخلان فقال (كل نفس ذائقة الموت) أى ان الذى تكرهون لا بدّ من وقوعه فالاولى أن يكون ذلك فى سبيل الله (ثم الينا ترجعون) فنثيبكم على ذلك وفيه أن كل نفس ذائقة الموت اضطرارا فمن أراد أن لا يموت أبدا فليمت اختيارا فان أولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار ثم بين أن للمؤمنين الجنان فى مقابلة ما للكافرين من النيران وأن فى الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار فى مقابلة ما يحيط بالكافرين من النار وبين أن ذلك أجر عملهم بقوله (نعم أجر العاملين) بازاء ما بين جزاء عمل الكفار بقوله ذوقوا ما كنتم تعملون وقوله (لنبوئنهم) أى لننزلنهم (من الجنة) عوالى ومن قرأ بالثاء المثلثة فمن الثواء يقال ثوى فى المنزل لازما وأثوى غيره

ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الم غلبت الروم الى قوله أكثر الناس لا يعلمون قال ذكر غلبة فارس اياهم وادالة الروم على فارس وفرح المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الاوثان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله عن عكرمة ان الروم وفارس اقتتلوا فى أدنى الارض قالوا وأدنى الارض يومئذ أذرعات بها التقوا فهزمت الروم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ففرح الكفار بمكة وشمتوا فلقوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الكتاب وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الآيات فخرج أبو بكر الصدّيق الى الكفار فقال أفرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرّن الله أعينكم فوالله ليظهرنّ الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه أبىّ بن خلف فقال كذبت يا أبا فصيل فقال له أبو بكر رضى الله عنه أنت أكذب يا عدوّ الله فقال أنا احبك عشر قلائص منى وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس على الروم غرمت الى ثلاث سنين ثم جاء أبو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فخرج أبو بكر فلقى أبيا فقال لعلك ندمت فقال لا فقال أزايدك فى الخطر وأمادّك فى الاجل فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص الى تسع سنين قال قد فعلت. حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة قال كانت فى فارس امرأة لا تلد الا الملوك الأبطال فدعاها كسرى فقال انى أريد أن أبعث الى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا من بنيك فأشيرى علىّ أيهم أستعمل فقالت هذا فلان وهو أروغ من ثعلب وأحذر من صرد وهذا فرخان وهو أنفذ من سنان وهذا شهر براز وهو أحلم من كذا فاستعمل أيهم شئت قال انى قد استعملت الحليم فاستعمل شهر براز فسار الى الروم بأهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم قال أبو بكر فحدثت بهذا الحديث عطاء الخراسانى فقال أما رأيت بلاد الشام قلت لا قال أما انك لو أيتها لرأيت المدائن التى خربت والزيتون الذى قطع فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته * قال عطاء الخراسانى ثنى يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلا يدعى قطمة بجيش من الروم وبعث كسرى شهر براز فالتقيا باذرعات وبصرى وهى أدنى الشام اليكم فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ففرح بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون فأنزل الله الم غلبت الروم فى أدنى الارض الآيات ثم ذكر مثل حديث عكرمة وزاد فلم يزل شهر براز يطؤهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج ثم مات كسرى فبلغهم موته فانهزم شهر براز وأصحابه وأوعبت عليهم الروم عند ذلك فاتبعوهم يقتلونهم قال وقال عكرمة فى حديثه لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب فقال لأصحابه لقد رأيت كأنى جالس على سرير كسرى فبلغت كسرى فكتب الى شهر براز اذا أتاك كتابى فابعث الىّ برأس فرخان فكتب اليه أيها الملك انك

متعديا الى واحد فانتصاب (غرفا) اما بنزع الخافض واما التضمين الاثواء معنى التبوئة والانزال واما التشبيه الظرف المؤقت بالمبهم ثم مدح (الذين صبروا) على المكاره في الحال (٤١) (وعلى ربهم يتوكلون) فيما يحتاجون اليه في الاستقبال وكل واحد من الصبر والتوكل يحتاج اليه المسافر والمقيم فكما أن المهاجر يصبر على فراق الاوطان ويتوكل في سفره على الرحمن فالمتوطن يصبر على الاذيات والمحن ويتوكل في أموره على فضل ذي المنن والصبر والتوكل صفتان لا تحصلان الا مع سعة العلم بالله وبما سوى الله فمن علم أنه باق لا يصبر عنه ولا يتوكل في الامور الا عليه ومن علم أن ماسواه فان هان عليه الصبر عنه وعلم أنه لا يصلح للاعتماد عليه ثم ذكر ما يعين على الصبر والتوكل وهو النظر في حال الدواب وقال المفسرون لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان الرجل منهم يقول كيف أقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها عن الحسن أي لا تدخره وقال غيره لا تطيق حمل الرزق (الله يرزقها) بايجاد غذائها وهدايتها اليه ثم بتشبث ذلك الغذاء بالمغتذي بتوسط قوى أودعها فيها وهيأها لذلك (واياكم) بمثل ماقلنا وبزيادة الاهتداء الى وجوه المكاسب والمعايش وترتيب الملبس والمسكن وتهيئة الاقوات وادخار الاموال وتملكها اختيارا وقهرا ومنه يعلم أن الاشتغال بترتيب بعض الوسائط وتدبيرها لا ينافي التوكل فقد يكون الزارع الحاصد متوكلا والراكع الساجد غير متوكل عن ابن عيينة ليس شئ يخبأ الا الانسان والنملة والفارة والعقعق مخابئ الا أنه ينساها وحكى أن البلبل يحتكر في حضنيه أي يجمع واذا كان أكثر الحيوان على صورة المتوكلين فالانسان العاقل العارف بالمبدإ والمعاد العالم بوجوه المكاسب الذي يأتيه الرزق من جهات الارث والعمارة والهدية ونحوها كيف يظاهر على الحطام الزائل

لن تجد مثل فرخان ان له نكاية وضربا في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا منه فعجل الي برأسه فراجعه فغضب كسرى فلم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس اني قد نزعت عنكم شهريراز واستعملت عليكم فرخان ثم دفع الى البريد صحيفة صغيرة اذا ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه هذه فلما قرأ شهريراز الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل عن سريره وجلس فرخان ودفع الصحيفة اليه قال ائتوني بشهريراز فقدمه ليضرب عنقه قال لا تعجل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد فرد الملك وكتب شهريراز الى قيصر ملك الروم ان لي اليك حاجة لا يحملها البريد ولا تبلغها الصحف فالقني ولا تلقني الا في خمسين روميا فاني ألقاك في خمسين فارسيا فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتته عيونه أن ليس معه الا خمسون رجلا ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما مع كل واحد منهما سكين فدعيا ترجمانا بينهما فقال شهريراز ان الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا فأراد أن أقتل أخي فأبيت ثم أمر أخي أن يقتلني فقد خلعناه جميعا فنحن نقاتله معك فقال قد أصبتما ثم أشار أحدهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوز اثنين فشا قال أجل فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما فأهلك الله كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن معه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الم غلبت الروم قال غلبتهم فارس على أدنى الشام وهم من بعد غلبهم سيغلبون الآية قال لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدق المسلمون ربهم وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس فاقتمروا هم والمشركون خمس قلائص خمس قلائص وأجلوا بينهم خمس سنين فولي قمار المسلمين أبو بكر رضي الله عنه وولي قمار المشركين أبي بن خلف وذلك قبل أن ينهى عن القمار فحل الأجل ولم يظهر الروم على فارس وسأل المشركون قمارهم فذكر ذلك أصحاب النبي للنبي صلى الله عليه وسلم قال لم تكونوا أحقاء أن تؤجلوا دون العشر فان البضع ما بين الثلاث الى العشر وزايدوهم في القمار ومادّوهم في الاجل ففعلوا ذلك فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البضع سنين من قمارهم الاول وكان ذلك مرجعه من الحديبية ففرح المسلمون بصلحهم الذي كان وبظهور أهل الكتاب على المجوس وكان ذلك مما شدد الله به الاسلام وهو قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الآية حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي في قوله الم غلبت الروم الى قوله ويومئذ يفرح المؤمنون قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر الناس بمكة أن الروم ستغلب قال فنزل القرآن بذلك قال وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على فارس لانهم أهل الكتاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن داود بن أبي هند عن عامر عن عبد الله قال كان فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لانهم أهل كتاب وهم أقرب الى دينهم فلما نزلت الم غلبت الروم الى في بضع سنين قالوا يا أبا بكر ان صاحبك يقول ان الروم تظهر على فارس في بضع سنين قال صدق قالوا هل لك أن نقامرك فبايعوه على أربع قلائص الى سبع سنين فمضت السبع ولم يكن شئ ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بضع

سنين

أشد حرص (وهو السميع) لدعاء طلبة الرزق (العليم) بطو ياتهم ومقادير حاجاتهم ثم عجب أهل العجب من حال المشركين من أهل مكة وغيرهم لم يعبدوا الله مخلصين مع علمهم بأنه خالقهم ورازقهم فكيف يصرفون (١٥) عن توحيد الله فان من علمت عظمته وجبت خدمته ولا عظمة فوق عظمة خالق الذرات واليه أشار بخلق الارض والسموات موجد الصفات واليه الاشارة بتسخير الشمس والقمر ولا حقارة فوق حقارة الجماد لانه دون النبات وهو دون الحيوان وهو دون الانسان وهو دون سكان السموات فكيف يتركون عبادة أشرف الموجودات ويشتغلون بعبادة أخس المخلوقات وحين ذكر الخلق أتبعه ذكر الرزق وحكمة البسط والقبض في ذلك الباب ومعنى (يقدر) يضيق فالضمير في (له) اما للشخص المعين المبسوط له والمراد أن تعاقب الامرين عليه بمشيئة الله واما المبهم غير معين كأن الضمير وضع موضع من يشاء وفي قوله (ان الله بكل شئ عليم) اشارة الى أنه عالم بمقادير الحاجات فاذا علم احتياج العبد الى الرزق أوصله اليه من غير تأخير ان شاء ثم احتج على المشركين بوجه آخر وهو اعترافهم بأن احياء الارض الميتة بواسطة تنزيل ماء السماء هو من الله ثم قال (قل الحمد لله) وهو كلام مستقل على سبيل الاعتراض أو هو متصل بما قبله كأنه استحمد رسوله على البراءة من التناقض والتهافت خلاف أهل الشرك المعترفين بأن النعمة من الله ثم يتركون عبادته الى عبادة الصنم الذي لا يملك نفعا ولا ضرا وفيه أن العالم اذا لم يعمل بعلمه انخرط في سلك من لا عقل له ولهذا عقبه بقوله (بل أكثرهم لا يعقلون) وقال جار الله أراد لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أولا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم واعلم أن المشركين معترفون بأن الخلق والرزق من الله ولكن حب الدنيا وزينتها حملتهم على موافقة أهل الشرك

سنين عندكم قالوا دون العشر قال اذهب فزايدهم وازدد سنتين قال فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المسلمون بذلك فأنزل الله الم غلبت الروم الى قوله وعد الله لا يخلف الله وعده حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الأعمش ومطر عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال مضت الروم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الم غلبت الروم في أدنى الارض قال أدنى الارض الشأم وهم من بعد غلبهم سيغلبون قال كانت فارس قد غلبت الروم ثم أديل الروم على فارس وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الروم ستغلب فارسا فقال المشركون هذا مما يتخرص محمد فقال أبو بكر تناحبوني والمناحبة المجاعلة قالوا نعم فناحبهم أبو بكر فجعل السنين أربعا أو خمسا ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان البضع فيما بين الثلاث الى التسع فارجع الى القوم فزد في المناحبة فرجع اليهم قالوا فناحبهم فزاد قال فغلبت الروم فارسا فذلك قول الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء يوم أديلت الروم على فارس حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاوية ابن عمرو عن أبي اسحق الفزاري عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الم غلبت الروم قال غلبت وغلبت فأما الذين قرؤا ذلك غلبت الروم بفتح الغين فانهم قالوا نزلت هذه الآية خبرا من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن علي قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن سليمن يعني الأعمش عن عطية عن أبي سعيد قال لما كان يوم ظهر الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت الم غلبت الروم على فارس حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا أبو عوانة عن سليمن عن عطية عن أبي سعيد قال لما كان يوم بدر غلبت الروم على فارس ففرح المسلمون بذلك فأنزل الله الم غلبت الروم الى آخر الآية حدثنا يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين لانهم أهل كتاب فأنزل الله الم غلبت الروم في أدنى الارض قال كانوا قد غلبوا قبل ذلك ثم قرأ حتى بلغ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وقوله في أدنى الارض قد ذكرت قول بعضهم فيما تقدم قبل وأذكر قول من لم يذكر قوله حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله في أدنى الارض يقول في طرف الشام ومعنى قوله أدنى أقرب وهو أفعل من الدنو والقرب وانما معناه في أدنى الارض من فارس فترك ذكر فارس استغناء بدلالة ما ظهر من قوله في أدنى الارض عليه منه وقوله وهم من بعد غلبهم يقول والروم من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس وقوله من بعد غلبهم مصدر من قول القائل غلبته غلبة فحذفت الهاء من الغلبة وقيل من بعد غلبهم ولم يقل من بعد غلبتهم للاضافة كما حذفت من قوله واقام الصلاة للاضافة وانما الكلام واقامة الصلاة واما قوله سيغلبون فان القراء أجمعين على فتح الياء فيها والواجب على قراءة من قرأ الم غلبت الروم بفتح الغين ان يقرأ قوله سيغلبون بضم الياء فيكون معناه وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون حتى يصح معنى الكلام والا لم يكن للكلام كبير معنى ان فتحت الياء لان الخبر عما قد كان يصير الى الخبر عن أنه سيكون وذلك افساد أحد الخبرين بالآخر وقوله في بضع سنين قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معنى البضع فيما مضى

والمداومة على الدين الباطل فصغرالله تعالى أمر الدنيا وعظم امر الاخرة ليعلم أن رعاية جانب الآخرة اهم من رعاية صلاح الدنيا قال اهل العلم الاقبال على الباطل لعب والاعراض (١٦) عن الحق لهو والمشتغل بالدنيا كذلك ويمكن أن يقال المشتغل بها لا على وجه الاستغراق بل على وجه يفرغ لبعض أمور الآخرة لاعب والمشغول بها بحيث ينسى الآخرة بالكلية لاه وحين كان الكلام فى الانعام بعد ذكر الآخرة وما يجرى فيها من الحيرة والحسرة قدم اللعب هنالك لان الاستغراق الكلى بالنسبة الى أهل الآخرة أبعد فأخر الأبعد ولما كان المذكور ههنا من قبيل الدنيا ولهذا أشار اليها بقوله وما هذه الحياة الدنيا وقال فى الانعام وما الحياة الدنيا وهى خداعة تدعو النفوس الى الاقبال عليها بالكلية فلا جرم قدم اللهو ويحتمل أن يقال انه تعالى قدم اللعب على اللهو فى موضعين من الانعام وكذلك فى القتال ويقال لها سورة محمد صلى الله عليه وسلم وفى الحديد وقدم اللهو على اللعب فى الأعراف والعنكبوت فاللعب مقدم فى الأكثر لان اللعب زمانه الصبا واللهو زمانه الشباب وزمان الصبا مقدم على زمان الشباب «تنبيه» ماذكر فى الحديد اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الشبان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاخوان وتكاثر كتكاثر السلطان وقدم اللهو فى الأعراف لان ذلك فى القيامة فذكر على ترتيب ما انقضى وبدأ بما بدأ به الانسان وانتهى من الجانبين وأما هذه السورة فأراد فيها ذكر سرعة زمان انقضاء الدنيا وان امتد بالنسبة الى زمان الآخرة فبدأ بذكر ما هو أكثر ليكون الى المقصود أقرب ثم ان الحال فى سورة الانعام لما كانت حال اظهار الحسرة لم يحتج المكلف الى وازع قوى فاقتصر على قوله وللدار الآخرة خير ولما كان الحال ههنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى وازع أقوى فقال (وان الدار الآخرة لهى الحيوان)

وأتينا على الصحيح من أقوالهم بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا خلاد بن أسلم الصفار عن عبدالله بن عيسى عن عبد الرحمن ابن الحرث عن أبيه عن عبدالله بن عمرو قال قلت له ما البضع قال زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع وأما قوله لله الامر من قبل ومن بعد فان القاسم حدثنا قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله لله الامر من قبل دولة فارس على الروم ومن بعد دولة الروم على فارس وأما قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء فقد ذكرنا الرواية فى تأويله قبل وبينا معناه القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله جل ثناؤه وعدا أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم ونصب وعد الله على المصدر من قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون لأن ذلك وعد من الله لهم أنهم سيغلبون فكأنه قال وعد الله ذلك المؤمنين وعدا لا يخلف الله وعده يقول تعالى ذكره ان الله يفى بوعده للمؤمنين أن الروم سيغلبون فارس لا يخلفهم وعده ذلك لانه ليس فى مواعيده خلف ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر قريش الذين يكذبون بأن الله منجز وعده المؤمنين من أن الروم تغلب فارس لا يعلمون أن ذلك كذلك وأنه لا يجوز أن يكون فى وعد الله اخلاف القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ يقول تعالى ذكره يعلم هؤلاء المكذبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس ظاهرا من حياتهم الدنيا وتدبير معايشهم فيها وما يصلحهم وهم عن أمر آخرتهم وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك غافلون لا يفكرون فيه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة يحيى بن واضح الانصارى قال ثنا الحسين بن واقد قال ثنا يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعنى معايشهم متى يحصدون ومتى يغرسون حدثنى أحمد بن الوليد الرملى قال ثنا عمرو بن عثمان بن عمر عن عاصم بن على قال ثنا أبو تميلة قال ثنا ابن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال متى يزرعون متى يغرسون حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال ثنى شرقى عن عكرمة فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال هو السراج أو نحوه حدثنا أبو هريرة محمد بن فراس الضبعى قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا شعبة عن شرقى عن عكرمة فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال السراجون حدثنا أحمد بن الوليد الرملى قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا شعبة عن شرقى عن عكرمة فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال الخرازون والسراجون حدثنا بشر بن آدم قال ثنا عبدالرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال معايشهم وما يصلحهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنى بشر بن آدم قال ثنا الضحاك بن مخلد عن سفيان عن أبيه عن عكرمة وعن منصور عن ابراهيم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال معايشهم حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ظاهرا من الحياة الدنيا يعنى الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم فى أمر الدين جهال حدثنى ابن وكيع قال

ثنى

اى لاحياة الاحياة الآخرة وليس فيها الاحياة مستمرة دائمة بلا موت فكأنها فى ذاتها حياة ولا يخفى ما فى التركيب من انواع المبالغة من جهة ان ومن جهة صيغة الفصل ولام التأكيد وبناء الفعلان بتحريك العين وهو مصدر (١٧) حي بياءين لفقدما عينه ياء ولامه واو

ثنى أبى عن سفيان عن أبيه عن عكرمة يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال معايشهم وما يصلحهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا من حرفتها وتصرفها وبغيتها وهم عن الآخرة هم غافلون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن الحسن قال يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم * قال ثنا حفص بن راشد الهلالى عن شعبة عن شرقى عن عكرمة يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال السراج ونحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال صرفها فى معيشتها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (١) * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال تسترق الشياطين السمع فيسمعون الكلمة التى قد نزلت ينبغى لها أن تكون فى الارض قال ويرمون بالشهب فلا ينجو أن يحترق أو يصيبه شرر منه قال فيسقط فلا يعود أبدا قال ويرمى بذاك الذى سمع الى أوليائه من الانس قال فيحملون عليه ألف كذبة قال فما رأيت الناس يقولون يكون كذا وكذا قال فيجىء الصحيح منه كما يقولون الذى سمعوه من السماء ويعقبه من الكذب الذى يخوضون فيه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ يقول تعالى ذكره أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بالبعث يا محمد من قومك فى خلق الله اياهم وأنه خلقهم ولم يكونوا شيأ ثم صرفهم أحوالا وتارات حتى صاروا رجالا فيعلموا أن الذى فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقا جديدا ثم يجازى المحسن منهم باحسانه والمسىء باساءته لا يظلم أحدا منهم فيعاقبه بجرم غيره ولا يحرم أحدا منهم جزاء عمله لأنه العدل الذى لا يجور ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالعدل واقامة الحق وأجل مسمى يقول وبأجل مؤقت مسمى اذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله وبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم جاحدون منكرون جهلا منهم بأن معادهم الى الله بعد فنائهم وغفلة منهم عن الآخرة القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره أولم يسر هؤلاء المكذبون بالله الغافلون عن الآخرة من قريش فى البلاد التى يسلكونها تجرا فينظروا الى آثار الله فيمن كان قبلهم من الامم المكذبة كيف كان عاقبة أمرها فى تكذيبها رسلها فقد كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض يقول واستخرجوا الارض وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم فلم يقدروا على الامتناع مع شدة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله ولا نفعتهم عمارتهم مما عمروا من الارض اذ جاءتهم رسلهم بالبينات من الآيات فكذبوهم فأحل الله بهم بأسه فما كان الله ليظلمهم بعقابه اياهم على تكذيبهم رسله وجحودهم آياته ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم

(١) كذا فى النسخ ولم يذكر التفسير ولعله سقط من قلم الناسخ وحرر

ولو كانا واوين لقيل حوى مثل قوى وقياسه حييان بياءين قلبت الثانية واوا على منوال حيوة فى اسم رجل ولان المبالغة ههنا أزيد مما فى الانعام قال ههنا (لو كانوا يعلمون) وهنالك أفلا تعقلون لان المعلوم أكثر مقدمة من المعقول وقد مر فى السورة ثم أشار بقوله (فاذا ركبوا فى الفلك) الى أن المانع من التوحيد والاخلاص هو الحياة الدنيا لانهم اذا انقطع رجاؤهم رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد والاخلاص فاذا نجاهم الى البر عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا وأشركوا لاجلها ثم بين أن نعمة الأمن يجب أن تقابل بالشكر لا بالكفر فقال (أولم يروا) الآية وقد مر مثله فى القصص ثم ذكر أن الذين سمعوا البيانات المذكورة ولم يؤمنوا فلا أظلم منهم لأن من وضع شيأ فى غير موضعه فهو ظالم فمن وضع شيأ فى موضع لا يمكن أن يكون ذلك موضعه يكون أظلم وانهم جعلوا لله شريكا مع عدم امكان الشريك له فلا أظلم منهم وأيضا من كذب صادقا يجوز عليه الكذب كان ظالما فمن كذب صادقا لا يجوز عليه الكذب كيف يكون حاله وانهم كذبوا النبي والقرآن وفى قوله (لما جاءه) اشارة الى أنهم لم يتلعثموا فى التكذيب وقت أن سمعوه ولم يستعملوا التدبر والتفكر فيما يجب أن يستعمل فيه التأنى والتثبت وهذا أيضا نوع من الظلم بل ظلم مضموم الى ظلم وفى قوله

(أليس) معنيان بعد كون الاستفهام للتقرير فان أريد نفى الحال فمعناه ألم يصح عندهم أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا على مثل هذه الجرأة وان أريد نفى الاستقبال فالمراد ألا يثوون فى جهنم

وقد افتروا على الله وكذبوا بالحق وقيل هو من الكلام المنصف لأنه قدم مقدمة هي أنه لا أظلم من المفتري وهو المتنبي ومن الذي كذب النبي ثم ذكر أن جهنم مقام الكافر سواء كان هو المتنبي (١٨) أو المكذب للنبي فهو كقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ثم ختم السورة بآية جامعة فيها تسلية قلوب المؤمنين والمراد أن من جاهد النفس أو الشيطان الجني والانسي (فينا) أي في حقنا ومن أجل رضانا خالصا (لنهدينهم) سبيل الجنة أو سبيل الخير باعطاء مزيد الالطاف والتوفيق وقيل والذين جاهدوا فيما علموا ولم يقصروا في العمل به لنهدينهم الى ما لم يعلموا وهو قريب من قول الحكيم ان النظر في المقدمات يعد النفس لقبول الفيض وهو النتيجة من واهب الصور الجسمانية والعقلية وقوله (وان الله لمع المحسنين) أي بالنصر والاعانة اشارة الى مرتبة أعلى من الاستدلال وهو الذي يسمى العلم اللدني فكأنه تعالى أشار في خاتمة السورة الى الفرق الثلاث فأشار الى الناقصين بقوله ومن أظلم وذلك أنهم صرفوا الاستعداد في غير ما خلق لأجله والى المتوسطين الذين يحصلون العلم بالكد بقوله والذين جاهدوا والى أصحاب الحدس وصفاء الضمير بقوله وان الله لمع المحسنين والله أعلم بمراده ﴿ التأويل وما يعقلها الا العالمون بالله لأن عقولهم مؤيدة بأنوار العلم اللدني ان في ذلك لآية للمؤمنين الذين ينظرون بنور الله فان النور لا يرى الا بالنور اتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة فيه أن التلاوة والعمل به يجب أن يتقارنا حتى يتخلق بخلق القرآن ويحصل الانتهاء عن الفحشاء وهي طلب الدنيا والمنكر وهو الالتفات الى غير الله فان لم تكن الصلاة متصفة بذلك فهي كلا صلاة ولذكر الله في ازالة مرض القلب أكبر من تلاوة القرآن وإقامة الصلاة لان القلب لا يطمئن الا بذكر الله وعند الاطمئنان توجد سلامة القلب فالذكر له خاصية الاكسير في جعل الابريز ذهبا خالصا قول

ربهم * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله وأثاروا الارض قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها قال ملكوا الارض وعمروها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأثاروا الارض قال حرثوها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولم يسيروا في الارض الى قوله وأثاروا الارض وعمروها كقوله وآثارا في الارض وقوله وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن ﴾ يقول تعالى ذكره ثم كان آخر أمر من كفر من هؤلاء الذين أثاروا الارض وعمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالله وكذبوا رسله فأساؤا بذلك من فعلهم السوأى يعني الخلة التي هي أسوأ من فعلهم أما في الدنيا فالبوار والهلاك وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى الذين أشركوا السوأى أي النار حدثني علي قال ثني أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى يقول الذين كفروا جزاؤهم العذاب * وكان بعض أهل العربية يقول السوأى في هذا الموضع مصدر مثل البقوى وخالفه في ذلك غيره فقال هي اسم وقوله أن كذبوا بآيات الله يقول كانت لهم السوأى لأنهم كذبوا في الدنيا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن يقول وكانوا بحجج الله وهم أنبياؤه ورسله يسخرون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ﴾ يقول تعالى ذكره الله تعالى يبدأ انشاء جميع الخلق منفردا بانشائه من غير شريك ولا ظهير فيحدثه من غير شيء بل بقدرته عز وجل ثم يعيده خلقا جديدا بعد افنائه واعدامه كما بدأه خلقا سويا ولم يك شيأ ثم اليه ترجعون يقول ثم اليه من بعد اعادتهم خلقا جديدا يردون فيحشرون لفصل القضاء بينهم وليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه وينشر فيها الموتى من قبورهم فيحشرهم الى موقف الحساب يبلس المجرمون يقول ييأس الذين أشركوا بالله واكتسبوا في الدنيا مساوي الاعمال من كل شر ويكتئبون ويتندمون كما قال العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم أعرفه وأبلسا

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يبلس قال يكتئب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يبلس المجرمون أي في النار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في

والله يعلم ما تصنعون من استعمال مفتاح الشريعة وآداب الطريقة لفتح أبواب طاسم الوجود المجازى والوصول الى الكنز الخفى ولا تجادلوا
يا أرباب القلوب أهل العلم الظاهر الا بطريق الانصاف والرفق الا الذين ظلموا بمزيد الانكار والعناد فحينئذ لا تجادلوهم

قول الله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قال المبلس الذى قد نزل به الشر اذا أبلس الرجل فقد نزل به بلاء وقوله ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يقول تعالى ذكره ويوم تقوم الساعة لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم من شركائهم الذين كانوا يتبعونهم على مادعوهم اليه من الضلالة فيشاركونهم فى الكفر بالله والمعاونة على أذى رسله شفعاء يشفعون لهم عند الله فيستنقذوهم من عذابه وكانوا بشركائهم كافرين يقول وكانوا بشركائهم فى الضلالة والمعاونة فى الدنيا على أولياء الله كافرين يجحدون ولايتهم ويتبرؤن منهم كما قال جل ثناؤه اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم تجىء الساعة التى يحشر فيها الخلق الى الله يومئذ يقول فى ذلك اليوم يتفرقون يعنى يتفرق أهل الايمان بالله وأهل الكفر به فأما أهل الايمان فيؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال الى النار فهنالك يميز الله الخبيث من الطيب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون قال فرقة والله لا اجتماع بعدها فأما الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله به وانتهوا عما نهاهم عنه فهم فى روضة يحبرون يقول فهم فى الرياحين والنباتات الملتفة وبين أنواع الزهر فى الجنان يسرون ويلذذون بالسماع وطيب العيش الهنى وانما خص جل ثناؤه ذكر الروضة فى هذا الموضع لانه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا ولا أطيب نشرا من الرياض ويدل على أن ذلك كذلك قول أعشى بنى ثعلبة

ما روضة من رياض الحسن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة * ولا بأحسن منها اذ دنا الأصل

فأعلمهم بذلك تعالى أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق واللذيذ من الأراييح والعيش الهنى فيما يحبون ويسرون به ويغبطون عليه والحبرة عند العرب السرور والغبطة قال العجاج

فالحمد لله الذى أعطى الحبر * موالى الحق ان المولى شكر

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك فهم فى روضة يكرمون ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فهم فى روضة يحبرون قال يكرمون * وقال آخرون معناه ينعمون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يحبرون قال ينعمون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فهم فى روضة يحبرون قال ينعمون * وقال آخرون يلذذون بالسماع والغناء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن موسى الحرسى قال ثنى عامر بن يساف قال سألت يحيى بن أبى كثير عن قول الله فهم فى روضة يحبرون قال الحبرة اللذة

اذ لا يرجى منهم قبول الحق والاذعان له فخلوا بينهم وبين باطلهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا من العلوم الباطنة وأنزل اليكم من العلوم الظاهرة وكذلك أى كما أنزلنا الدلائل والبراهين العقلية على أهل الظاهر أنزلنا عليكم الكشوف والمعارف فالذين آتيناهم الكتاب وهم أرباب القلوب يصدقون به ومن هؤلاء العلماء الظاهريين من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الذين يشترون الحق بالباطل وما كنت تتلو فيه أن القلب اذا كان خاليا عن النقوش الفاسدة كان أقبل للعلوم اللدنية كقلب النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم يعنى أن قلوب الخواص خزائن الغيب سأل موسى عليه السلام الهى أين أطلبك فقال أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلى ثم أشار بقوله وما يجحد الى أن الحرمان من الرؤية من خصوصية الرين ولهذا قالوا لولا أنزل عليه آية وذلك لعمى عيون قلوبهم ثم أشار الى ظلومية الانسان وجهوليته بأنه يستعجل بالعذاب مع عدم صبره عليه وان جهنم الحرص وغيره من الاخلاق الذميمة لمحيطة بهم من فوقهم وهو الكبر والغضب ومن تحت أرجلهم وهو الحرص والشره والشهوة وهم لا يشعرون لانهم نائمون فاذا ماتوا انتبهوا يا عبادى ان أرضى حضرة جلالى واسعة فهاجروا بالخروج من حبس وجودكم الى سرادقات
هويتى كل نفس ذائقة الموت بالاضطرار فارجعوا الينا بالاختيار لنبوئنكم من جنة الوصال غرفا من المعارف تجرى من تحتها أنهار الحكمة
الذين صبروا فى البداية على حبس النفس بالفطام عن المرام وفى الوسط على تجرع القلب كاسات التقدير من غير تعبير وفى النهاية صبروا

والسماع حدثنا عبيدالله بن محمد الفريابي قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعي عن يحيي ابن أبي كثير في قوله يحبرون قال السماع في الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعي عن يحيي بن أبي كثير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عامر بن يساف عن يحيي بن أبي كثير مثله وكل هذه الالفاظ التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه تعود الى معنى ما قلنا

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسله وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة فأولئك في عذاب الله محضرون وقد أحضرهم الله اياها فجمعهم فيها ليذوقوا العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذبون

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون﴾ يقول تعالى ذكره فسبحوا الله أيها الناس أي صلوا له حين تمسون وذلك صلاة المغرب وحين تصبحون وذلك صلاة الصبح وله الحمد في السموات والارض يقول وله الحمد من جميع خلقه دون غيره في السموات من سكانها من الملائكة والارض من أهلها من جميع أصناف خلقه فيها وعشيا يقول وسبحوه أيضا عشيا وذلك صلاة العصر وحين تظهرون يقول وحين تدخلون في وقت الظهر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال سأل نافع بن الازرق ابن عباس ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله قال نعم فسبحان الله حين تمسون المغرب وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر قال ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال سأل نافع بن الازرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن قال نعم فقرأ فسبحان الله حين تمسون قال صلاة المغرب وحين تصبحون قال صلاة الصبح وعشيا قال صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر ثم قرأ ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن الحكم عن أبي عياض عن ابن عباس قال جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة فسبحان الله حين تمسون قال المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن الحكم عن ابي عياض عن ابن عباس بنحوه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن الحكم عن أبي عياض عن ابن عباس في قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وحين تظهرون قال جمعت الصلوات فسبحان الله حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون صلاة الصبح وعشيا صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن سليمن الرازي عن أبي سنان عن ليث عن مجاهد فسبحان الله حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر وكل سجدة في القرآن فهي صلاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسبحان الله حين تمسون لصلاة المغرب وحين تصبحون لصلاة الصبح وعشيا الصلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر أربع صلوات حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله فسبحان الله حين تمسون وحين

تصبحون

على بذل الروح لنيل الفتوح وكاين من دابة شخص كالدابة لاتحمل النظر عن رزقها الضعف نفسها عن التوكل الله يرزقها واياكم أيها الطالبون للمشاهدات والمكاشفات لية ولن الله لان (٢٠) كلهم قالوا في الازل بلى عند خطاب ألست بربكم والفرق اثبات الشريك ونفيه وذلك لعدم اصابة النور المرشش واصابة دليله قوله الله يبسط الرزق باصابته النور ويقدر باخطائه ان الله عليم باستحقاق كل فريق من نزل من سماء الروحانية ماء الايمان فأحيا به أرض القلوب لهي الحيوان لان جميع أجزائها حي فقد ورد في الحديث ان الجنة وما فيها من الاشجار والاثمار والغرف والحيطان والانهار حتى ترابها وحصباؤها كلها حي قلت ولعل ذلك لبقاء كل منها على كماله الآخر ثم بين بقوله فاذا ركبوا أن اخلاص المؤمن ثابت واخلاص الكافر مضطرب ثم بين أن حرم القلب آمن وما حوله من صفات النفس ومشاهدة ربها مظنة تصرف الشيطان فمن افترى على الله بأن لا يكون له مع الله وقت وحال ويظهر ذلك من نفسه أو كذب طريقة أهل الحق جاهدوا فينا يخرج منه مجاهدة الرهبانيين والفلاسفة والبراهمة ونحوهم لانهم مرتاضون رياء وكسلا

﴿سورة الروم وهي مكية حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون وكلماتها ثمانمائة وتسعة عشر آياتها ستون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم

كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون
ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وله من فى السموات والارض كل له قانتون وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم
ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل
الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله

تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون قال حين تمسون صلاة المغرب وحين تصبحون صلاة الصبح وعشيا صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يخرج الحىّ من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾ يقول تعالى ذكره صلوا فى هذه الاوقات التى أمركم بالصلاة فيها أيها الناس لله الذى يخرج الحى من الميت وهو الانسان الحى من الماء الميت ويخرج الماء الميت من الانسان الحى ويحيي الارض بعد موتها فينبتها ويخرج زرعها بعد خرابها وجدوبها وكذلك تخرجون يقول كما يحيي الارض بعد موتها فيخرج نباتها وزرعها كذلك يحييكم من بعد مماتكم فيخرجكم أحياء من قبوركم الى موقف الحساب * وقد بينا فيما مضى قبل تأويل قوله يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر من الخبر هنالك ان شاء الله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى قال يخرج من الانسان ماء ميتا فيخلق منه بشرا فذلك الميت من الحى ويخرج الحى من الميت فيعنى بذلك أنه يخلق من الماء بشرا فذلك الحى من الميت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قوله يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن عبد الله يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى قال النطفة من الرجل ميتة وهو حى ويخرج الرجل منها حيا وهى ميتة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس من انشاء وافناء وايجاد واعدام وأن كل موجود فخلقه خلقة أبيكم من تراب يعنى بذلك خلق آدم من تراب فوصفهم بأنه خلقهم من تراب اذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم كنحو الذى قد بينا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه من قولهم فعلنا بكم وفعلنا وقوله ثم اذا أنتم بشر تنتشرون يقول ثم اذا أنتم معشر ذرّيته من خلقناه من تراب بشر تنتشرون يقول تتصرفون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن آياته أن خلقكم من تراب خلق آدم عليه السلام من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون يعنى ذرّيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن اليها وذلك أنه خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا خلقها لكم من ضلع من أضلاعه وقوله وجعل بينكم مودّة ورحمة يقول جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادّون بها وتتواصلون من أجلها ورحمة رحمكم بها فعطف بعضكم بذلك على بعض ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان فى فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون فى حجج الله وأدلته فيعلمون أنه الاله الذى لا يعجزه شئ أراده ولا يتعذر عليه فعل شئ شاءه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم

التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا (٣٢) كل حزب بما لديهم فرحون﴾ ۞ القرا آت عاقبة بالنصب ابن عامر وعاصم وحمزة

وعلي وخلف الآخرون بالرفع السوأى بالامالة أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وحماد يرجعون على الغيبة أبو عمرو وغير عباس وأوقية وسهل ويحيى وحماد تخرجون بفتح التاء وضم الراء حمزة وعلي وخلف الباقون مجهولا للعالمين بكسر اللام حفص يفصل على الغيبة عباس الآخرون بالنون ۞ الوقوف الم كوفي غلبت الروم ٥ سيغلبون ٥ سنين ٥ ومن بعد ط المؤمنون ٥ بنصر الله ط وكلاهما مبني على أن قوله بنصر الله يتعلق بيفرح ينصر من يشاء ط الرحيم ٥ وعد الله ٥ لا يعلمون ٥ الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل أولى غافلون ٥ في أنفسهم ط لحق الحذف أي فيعلموا ذلك أو فيقولوا هذا القول مسمى ط لكافرون ٥ من قبلهم ط بالبينات ط يظلمون ٥ لا لأن ثم لترتيب الاخبار يستهزؤن ٥ يرجعون ٥ المجرمون ٥ والوصل جائز كافرين ٥ يتفرقون ٥ يحبرون ٥ محضرون ٥ تصبحون ٥ تظهرون ٥ بعد موتها ط تخرجون ٥ تنتشرون ٥ ورحمة ط يتفكرون ٥ وألوانكم ط للعالمين ٥ من فضله ط يسمعون ٥ موتها ط يعقلون ٥ بأمره ط لأن ثم لترتيب الاخبار دعوة لا وقيل على من الارض وكلاهما تعسف والحق أن قوله من الارض متعلق بدعاكم كقولك دعوت زيدا من بيته لا كقولك دعوته من بيته تخرجون ٥ والارض ط قانتون ٥ أهون عليه ج والارض ط الحكيم ٥ لا يقع من أنفسكم ط لانتهاء الاخبار الى الاستفهام كخيفتكم أنفسكم ط يعقلون ٥ بغير علم ج لابتداء الاستفهام مع الفاء أضل الله ط

وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه وأدلته أيضا على أنه لا يعجزه شئ وأنه اذا شاء أمات من كان حيا من خلقه ثم اذا شاء أنشره وأعاده كما كان قبل اماتته اياه خلقه السموات والارض من غير شئ أحدث ذلك منه بل بقدرته التي لا يمتنع معها عليه شئ أراده واختلاف ألسنتكم يقول واختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها وألوانكم يقول واختلاف ألوان أجسامكم ان في ذلك لآيات للعالمين يقول ان في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لا يعييه اعادتهم لهيئتهم التي كانوا بها قبل مماتهم من بعد فنائهم وقد بينا معنى العالمين فيما مضى قبل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه عليكم أيها القوم تقديره الساعات والاوقات ومخالفته بين الليل والنهار فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه وتنامون فيه وجعل النهار مضيئا لتصرفكم في معايشكم والتماسكم فيه من رزق ربكم ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون يقول تعالى ذكره ان في فعل الله ذلك كذلك لعبرا وذكرى وأدلة على أن فاعل ذلك لا يعجزه شئ أراده لقوم يسمعون مواعظ الله فيتعظون بها ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه يريكم البرق خوفا لكم اذا كنتم سفرا أن تمطروا فتتأذوا به وطمعا لكم اذا كنتم في اقامة أن تمطروا فتحيوا وتخصبوا وينزل من السماء ماء يقول وينزل من السماء مطرا فيحيي بذلك الماء الارض الميتة فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها يعني جدوبها ودروسها ان في ذلك لآيات يقول ان في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لقوم يعقلون عن الله حججه وأدلته * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله يريكم البرق خوفا وطمعا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا قال خوفا للمسافر وطمعا للمقيم واختلف أهل العربية في وجه سقوط أن في قوله يريكم البرق خوفا وطمعا فقال بعض نحويي البصرة لم يذكرها هنا أن لان هذا يدل على المعنى وقال الشاعر

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

قال وقال لو قلت ما في قومها لم تيثم * يفضلها في حسب وميسم

وقال يريد ما في قومها أحد وقال بعض نحويي الكوفيين اذا أظهرت أن فهي في موضع رفع كما قال ومن آياته خلق السموات ومنامكم فاذا حذفت جعلت من مؤدية عن اسم متروك يكون الفعل صلة له كقول الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

كأنه أراد فمنهما ساعة أموتها وساعة أعيشها وكذلك ومن آياته يريكم آية البرق وآية لكذا وان شئت أردت ويريكم من آياته البرق فلا تضمر أن ولا غيره وقال بعض من أنكر قول البصري انما ينبغي أن تحذف أن من الموضع الذي يدل على حذفها فأما في كل موضع فلا فأما مع أحضر الوغى فلما كان زجرتك أن تقوم وزجرتك لأن تقوم يدل على الاستقبال جاز حذف أن لان الموضع معروف

لتمام الاستفهام وابتداء النفي ناصرين ٥ حنيفا ط عليها ط لخلق الله ط القيم ٥ لا للاستدراك لا يعلمون ٥ قيل لا وقف
عليه بناء على أن منيبين حال من ضمير أقم على أن الامر له ولأمته مثل يا أيها النبي (٤٣) اذا طلقتم والوقف أوضح لبعد العامل

لا يقع في كل الكلام فأما قوله ومن آياته أنك قائم وأنك تقوم وأن تقوم فهذا الموضع لا يحذف لانه لا يدل على شيء واحد * والصواب من القول في ذلك أن من في قوله ومن آياته تدل على المحذوف وذلك أنها تأتي بمعنى التبعيض واذا كانت كذلك كان معلوما أنها تقتضي البعض فلذلك تحذف العرب معها الاسم لدلالتها عليه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه أيها القوم على قدرته على ما يشاء قيام السماء والارض بأمره خضوعا له بالطاعة بغير عمد ترى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون يقول اذا أنتم تخرجون من الارض اذا دعاكم دعوة مستجيبين لدعوته اياكم ﴿ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره قامتا بأمره بغير عمد ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون قال دعاهم فخرجوا من الارض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذا أنتم تخرجون يقول من الارض ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾ يقول تعالى ذكره ولله من في السموات والارض من ملك وجن وانس عبيد وملك كل له قانتون يقول كل له مطيعون فيقول قائل وكيف قيل كل له قانتون وقد علم أن أكثر الانس والجن له عاصون فنقول اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فنذكر اختلافهم ثم نبين الصواب عندنا في ذلك من القول فقال بعضهم ذلك كلام مخرجه مخرج العموم والمراد به الخصوص ومعناه كل له قانتون في الحياة والبقاء والموت والفناء والبعث والنشور لا يمتنع عليه شيء من ذلك وان عصاه بعضهم في غير ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره الى كل له قانتون يقول مطيعون يعني الحياة والنشور والموت وهم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة * وقال آخرون بل معنى ذلك كل له قانتون باقرارهم بأنه ربهم وخالقهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كل له قانتون أي مطيع مقر بأن الله ربه وخالقه * وقال آخرون هو على الخصوص والمعنى وله من في السموات والارض من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كل له قانتون قال كل له مطيعون المطيع القانت قال وليس شيء الا وهو مطيع الا ابن آدم وكان أحقهم أن يكون أطوعهم لله وفي قوله وقوموا لله قانتين قال هذا في الصلاة لا تتكلموا في الصلاة كما يتكلم أهل الكتاب في الصلاة قال وأهل الكتاب يمشي بعضهم الى بعض في الصلاة قال ويتقابلون في الصلاة فاذا قيل لهم في ذلك قالوا لكي تذهب الشحناء من قلوبنا تسلم قلوب بعضنا لبعض فقال الله وقوموا لله قانتين لا تزولوا كما يزولون قانتين لا تتكلموا كما يتكلمون قال فأما ما سوى هذا كله في القرآن من القنوت فهو الطاعة الا هذه الواحدة * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس وهو أن كل من في السموات والارض من خلق الله مطيع في تصرفه فيما أراد تعالى ذكره من حياة وموت

عن المعمول بل التقدير كونوا منيبين بدليل قوله ولا تكونوا من المشركين لأن قوله من الذين كالبدل مما قبله شيعا ط فرحون ٥ ﴿ التفسير وجه تعلق السورة بما قبلها هو أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول للمشركين ما أمر الله به صم بكم عمي فهم لا يعقلون وكان يحقر آلهتهم وينسبها الى العجز وعدم النفع والضر وكان اهل الكتاب يوافقون المسلمين في الاله وفي كثير من الأحكام ولذلك قال ولا تجادلوا أهل الكتاب الى قوله والهنا والهكم واحد فلا جرم أبغض المشركون أهل الكتاب وتركوا مراجعتهم في الأمور فاتفق أن بعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهريران فسار الى الروم بأهل فارس فظفر عليهم وقتلهم وخرّب مدائنهم وكان قيصر بعث رجلا يدعى بحنس فالتقى مع شهريران بأذرعات وبصرى وهو أدنى الشام الى أرض العرب واليه الاشارة بقوله (أدنى الارض) لان الارض المعهودة عند العرب هي أرضهم أي غلبوا في أقرب أرض العرب منهم وهي أطراف الشأم وجوّز جار الله أن يراد بأرضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه أي في أدنى أرضهم الى عدوّهم وهذا تفسير مجاهد لانه قال هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم الى فارس عن ابن عباس الأردن وفلسطين ففرح المشركون بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآيات لبيان أن الغلبة لا تدل على الحق فقد يبتلي المحبوب ويعجل عذابه ليسلم في الآجل وقوله (في أدنى الارض) اشارة الى ضعفهم أي انتهى ضعفهم الى ان وصل عدوّهم الى طريق الحجاز وكسروهم وهم في بلادهم ثم بين أن الروم سيغلبون غلبة عظيمة بعد ذلك

الضعف العظيم وكل ذلك دليل على أن الامر بيد الله من قبل الغلبة ومن بعدها أو من قبل تلك المدة ومن بعد ذلك وقد وقع كما أخبر فغلبت الروم على فارس حتى وصلوا الى المدائن (٢٤) وبنوا هنالك الرومية قال المفسرون لما نزلت الآية قال أبو بكر للمشركين لا أقر الله أعينكم والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت يا أبا فضيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه نخاطره على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين فلما أراد أبو بكر أن يخرج من مكة أتاه أبي فلزمه وطلب كفيلا فكفله ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما أراد أن يخرج الى أحد أتاه عبد الله فلزمه الى أن أقام كفيلا ثم خرج الى أحد ثم رجع أبي فمات بمكة من جراحته التي جرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يتصدق به قالت العلماء انما أبهم الوقت لان الكفار كانوا معاندين والامور التي تقع في البلاد الشاسعة قلما يحصل الاتفاق على وقتها المعين من السنة والشهر واليوم والساعة وان كان معلوما للنبي باعلام الله اياه فالمعاند كان يتمكن من الارجاف بوقوع الواقعة قبل وقوعها ليحصل الخلف في الميعاد ولكن المعاند لا يتمكن من انكار الواقعة في البضع (ويومئذ) أي يوم يغلب الروم فارس ويحصل ما وعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وبغلبة من له كتاب على من لا كتاب له أو بغيظ الشامتين بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبر به نبيهم من غلبة الروم وعن أبي سعيد الخدري الى

وما أشبه ذلك وان عصاه فيما يكسبه بقوله وفيما له السبيل الى اختياره وايثاره على خلافه وانما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك لان العصاة من خلقه فيما لهم السبيل الى اكتسابه كثير عددهم وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون فغير جائز أن يخبر عمن هو عاص أنه له قانت فيما هو له عاص واذا كان ذلك كذلك فالذي فيه عاص هو ما وصفت والذي هو له قانت ما بينت وقوله وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده يقول تعالى ذكره والذي له هذه الصفات تبارك وتعالى هو الذي يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه ويوجده بعد أن لم يكن شيئا ثم يفنيه بعد ذلك ثم يعيده كما بدأه بعد فنائه وهو أهون عليه * اختلف أهل التأويل في معنى قوله وهو أهون عليه فقال بعضهم معناه وهو هين عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد العطار عن سفيان عمن ذكره عن منذر الثوري عن الربيع بن خيثم وهو أهون عليه قال ما شيء عليه بعزيز حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه يقول كل شيء عليه هين * وقال آخرون معناه واعادة الخلق بعد فنائهم أهون عليه من ابتداء خلقهم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وهو أهون عليه قال يقول أيسر عليه حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وهو أهون عليه قال الاعادة أهون عليه من البداءة والبداءة عليه هين حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة قرأ هذا الحرف وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه قال تعجب الكفار من احياء الله الموتى قال فنزلت هذه الآية وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه اعادة الخلق أهون عليه من ابداء الخلق حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن سماك عن عكرمة بنحوه الا أنه قال اعادة الخلق أهون عليه من ابتدائه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو أهون عليه يقول اعادته أهون عليه من بدئه وكل على الله هين وفي بعض القراءة وكل على الله هين وقد يحتمل هذا الكلام وجهين غير القولين اللذين ذكرت وهو أن يكون معناه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون على الخلق أي اعادة الشيء أهون على الخلق من ابتدائه والذي ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي حدثني به ابن سعد قول أيضا له وجه وقد وجه غير واحد من أهل العربية قول ذي الرمة

أخي قفرات دبت في عظامه * شفافات أعجاز الكرى فهو أخضع(١)

الى أنه بمعنى خاضع وقول الآخر

لعمرك ان الزبرقان لباذل * لمعروفه عند السنين وأفضل
كريم له عن كل ذم تأخر * وفي كل أسباب المكارم أول

الى أنه بمعنى وفاضل وقول معن

لعمرك ما أدري واني لأوجل * على أينا تعدو المنية أول

الى أنه بمعنى واني لوجل وقول الآخر

تمنى مرىء القيس موتي وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

---

(١) أي بقايا أواخر النوم فهو أخضع أي منكسر

الى أنه بمعنى لست فيها بواحد وقول الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

الى أنه بمعنى عزيزة طويلة قالوا ومنه قولهم فى الأذان الله أكبر بمعنى الله كبير وقالوا ان قال قائل ان الله لا يوصف بهذا وانما يوصف به الخلق فزعم أنه وهو أهون على الخلق فان الحجة عليه قول الله وكان ذلك على الله يسيرا وقوله ولا يؤده حفظهما أى لا يثقله حفظهما وقوله وله المثل الأعلى يقول ولله المثل الأعلى فى السموات والارض وهو أنه لا اله الا هو وحده لا شريك له ليس كمثله شئ فذلك المثل الأعلى تعالى ربنا وتقدس * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وله المثل الأعلى فى السموات يقول ليس كمثله شئ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وله المثل الأعلى فى السموات والارض مثله أنه لا اله الا هو ولا رب غيره وقوله وهو العزيز الحكيم يقول تعالى ذكره وهو العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره خلقه وتصريفهم فيما أراد من احياء واماتة وبعث ونشر وما شاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره مثل لكم أيها القوم ربكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم يقول من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من مال فأنتم فيه سواء وهم يقول فاذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التى تعبدونها لى شركاء فى عبادتكم اياى وأنتم وهم عبيدى ومماليكى وأنا مالك جميعكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء قال مثل ضرب به الله لمن عدل به شيأ من خلقه يقول أكان أحدكم مشاركا مملوكه فى فراشه وزوجته فكذلكم الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء قال تجد أحدا يجعل عبده هكذا فى ماله فكيف تعمد أنت وأنت تشهد أنهم عبيدى وخلقى وتجعل لهم نصيبا فى عبادتى كيف يكون هذا قال وهذا مثل ضرب الله لهم وقرأ كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تخافونهم كخيفتكم أنفسكم فقال بعضهم معنى ذلك تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم كما يرث بعضكم بعضا ذكر من قال ذلك حدثت عن حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال فى الآلهة وفيه يقول تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا * وقال آخرون بل معنى ذلك تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قال أبو مجلز ان مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك وليس له ذلك كذلك الله لا شريك له * وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك القول الثانى لانه أشبههما بما دل عليه ظاهر الكلام وذلك أن الله جل ثناؤه وبخ

وافق ذلك يوم بدر وهو المراد بنصر الله وذلك أن خبر الكسر لم يصل اليهم فى ذلك اليوم بعينه فلا يكون فرحهم يومئذ بل الفرح يحصل بعده ولناصر القولين الاولين أن يقول أقيم سبب الفرح مقام الفرح او المراد باليوم الوقت (٢٥) الواسع الشامل لما بين زمان وقوع الكسر الى زمان وصول خبر الكسر الموجب للفرح ومن علق قوله بنصر الله بقوله ينصر بناء على أن المقصود بيان أن النصرة بيد الله لا بيان وقوع النصرة لم يقف ههنا ووقف على المؤمنون (وهو العزيز الرحيم) فاذا سلط العدو على الحبيب فلعزته واستغنائه عن العالمين واذا نصر الحبيب فلرحمته عليه أو نقول ان نصر المحب فلعزته واستغنائه عنه ورحمته فى الآخرة واصلة اليه (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان ما سبق فى معنى الوعد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنه لا خلف فى وعده لانهم بله فى أمور الدين وفى ابدال قوله (يعلمون) من قوله لا يعلمون أو فى بيان هذا بذاك اشارة أن العلم بأمور الدنيا كالجهل المطلق وفى تنكير (ظاهرا) اشارة الى قلة علمهم بظاهر الدنيا أيضا وفى تكرير هم اشارة الى أن الغفلة منهم والا فأسباب التذكرة حاصلة وظاهر الدنيا ملاذها وملاعبها وباطنها مضارها ومتاعبها هى الدنيا تقول بملء فيها

حذار حذار من سفكى وفتكى
فلا يغرركم طول ابتسامى
فقولى مضحك والفعل مبكى

ثم أشار الى وجه التفكر بقوله (أولم يتفكروا) وقوله (فى أنفسهم) يتعلق به اما تعلق الظرف بالفعل كأنه قال أولم يحدثوا التفكر فى قلوبهم الفارغة فيكون كالوقت لاجل زيادة التصوير اعتقده فى قلبك وأضمره فى نفسك مع أن الاعتقاد

لا يكون الا فى القلب والاضمار لا يوجد الا فى النفس واما تعلق الجار بالفعل كقولك تفكر فى الامور وذلك أنه اذا تفكر فى نفسه التى هى أقرب الأشياء اليه وقف على غرائب الحكم ودقائق الصنع التى أودعها الله تعالى فيها

كما يكفل بيان بعضها علم التشريح فخره ذلك الى العلم بأنه سبحانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا متلبسا بالغرض الصحيح الذى أودعه الله فيهما وبتقدير أجل مسمى هو وقت الجزاء والحساب ثم فى الآية تقرير ان أحدهما يناسب أصول الاشاعرة وهو أن دلائل الأنفس منجرة الى دلائل الآفاق المذكورة للتوحيد وللعلم بالاله القادر المختار الصادق كلامه لكنه أخبر عن تخريب السموات والارض وعن حشر الأجساد وانتهاء الجسمانيات الى الافناء ثم الاعادة فى الوقت المعلوم فيكون الامر على ما أخبر وثانيهما يتوقف على أصول المعتزلة وهو أن التفكر فى النفس يجذب بصنعه الى معرفة الاله الحكيم الذى لا يفعل العبث والجزاف فانه خلق السموات وغيرها من الاجسام لمنافع المكلفين فاذا انتهى التكليف فلابد من تخريب السموات والارض وانتهاء الامر الى حالة الجزاء واللقاء كيلا تنخرم قاعدة الحكمة والتدبير ورعاية الصلاح والعدل ثم قال (وان كثيرا من الناس) وقد قال قبل ذلك ولكن أكثر الناس لانه قد ذكر دليلا على الاصول ولا شك أن الايمان بعد الدليل يكون أكثر من الايمان قبل الدليل فلا يبقى الا كثير كما هو فعبر عن الباقى بالكثير قال فى الكشاف والمراد (بلقاء ربهم) الاجل المسمى والاشاعرة يحملونه على الرؤية واعلم أن دليل الانفس مقدم على دليل الآفاق لان الانسان قلما يذهل عن نفسه وأن نفسه أقرب الاشياء اليه نظير الآية قوله سبحانه الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض أى يعرفون الله بدلائل الانفس فى سائر الاحوال ويتفكرون فى خلق السموات والارض بدلائل الآفاق وانما أخر الأنفس فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم لأن الاراءة انما يفتقر اليها فى معرفة الأبعد الأخفى كأنه قال سنريهم آياتنا الآفاقية فان لم يفهموها فآيات الأنفس معلومة وهذا الترتيب لا يناسب التفكر بل الفكر يتصور

هؤلاء المشركين الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها وأشركوهم فى عبادتهم اياه وهم مع ذلك يقرون بأنها خلقه وهم عبيده وعيرهم بفعلهم ذلك فقال لهم هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خولناكم من نعمنا فهم سواء وأنتم فى ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذى هو بينكم وبينهم كخيفة بعضكم بعضا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة فالخيفة التى ذكرها تعالى ذكره بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذى بينهما اياه أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه لأن ذكر الشركة لا يدل على خيفة الوراثة وقد يدل على خيفة الفراق والمقاسمة وقوله كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره كما بينا لكم أيها القوم حججنا فى هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على ما نشاء من انشاء ما نشاء وافناء ما نحب واعادة ما نريد اعادته بعد فنائه ودللنا على أنه لا تصلح العبادة الا للواحد القهار الذى بيده ملكوت كل شئ كذلك نبين حججنا فى كل حق لقوم يعقلون فيتدبرونها اذا سمعوها ويعتبرون فيتعظون بها

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله ومالهم من ناصرين ﴾ يقول تعالى ذكره ماذلك كذلك ولا أشرك هؤلاء المشركون فى عبادة الله الآلهة والاوثان لان لهم شركا فيما رزقهم الله من ملك أيمانهم فهم وعبيدهم فيه سواء يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه فرضوا لله من أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم فأشركوهم فى عبادته ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله اتبعوا أهواءهم جهلا منهم لحق الله عليهم فأشركوا الآلهة والأوثان فى عبادته فمن يهدى من أضل الله يقول فمن يسدد للصواب من الطرق يعنى بذلك من يوفق للاسلام من أضل الله عن الاستقامة والرشاد وما لهم من ناصرين يقول وما لمن أضل الله من ناصرين ينصرونه فينقذونه من الضلال الذى يبتليه به تعالى ذكره

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره فسدد وجهك نحو الوجه الذى وجهك اليه ربك يا محمد لطاعته وهى الدين حنيفا يقول مستقيما لدينه وطاعته فطرة الله التى فطر الناس عليها يقول صنعة الله التى خلق الناس عليها ونصبت فطرة على المصدر من معنى قوله فأقم وجهك للدين حنيفا وذلك أن معنى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فطرة الله التى فطر الناس عليها قال الاسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعا يقرون بذلك وقرأ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال فهذا قول الله كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين بعد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فطرة الله قال الاسلام حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس ابن أبى صالح عن يزيد بن أبى مريم قال مر عمر بمعاذ بن جبل فقال ما قوام هذه الأمة قال معاذ ثلاث وهن المنجيات الاخلاص وهو الفطرة فطرة الله التى فطر الناس عليها والصلاة وهى الملة والطاعة وهى العصمة فقال عمر صدقت حدثنى يعقوب قال ثنى ابن علية قال ثنا

أيوب عن أبي قلابة أن عمر قال لمعاذ ما قوام هذه الأمة ثم ذكر نحوه وقوله لا تبديل لخلق الله يقول لا تغيير لدين الله أي لا يصلح ذلك ولا ينبغي أن يفعل * واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا تبديل لخلق الله قال لدينه حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ليث قال أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم الى عكرمة يسأله عن قول الله لا تبديل لخلق الله(١) انما هو الدين وقرأ لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة فطرة الله التي فطر الناس عليها قال الاسلام * قال ثني أبي عن نضر بن عربي عن عكرمة لا تبديل لخلق الله قال لدين الله * قال ثني أبي عن سفيان عن ليث عن مجاهد قال لدين الله * قال ثنا أبي عن عبد الجبار ابن الورد عن القاسم بن أبي بزة قال قال مجاهد فسل عنها عكرمة فسألته فقال عكرمة دين الله تعالى ماله أخزاه الله ألم يسمع الى قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تبديل لخلق الله أي لدين الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن ليث عن عكرمة قال لدين الله * قال ثنا ابن عيينة عن حميد الأعرج قال قال سعيد بن جبير لا تبديل لخلق الله قال لدين الله * قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك لا تبديل لخلق الله قال لدين الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا تبديل لخلق الله قال دين الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسعر وسفيان عن قيس بن مسلم عن ابراهيم قال لا تبديل لخلق الله قال لدين الله * قال ثنا أبي عن جعفر الرازي عن مغيرة عن ابراهيم قال لدين الله * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تغيير لخلق الله من البهائم بأن يخصي الفحول منها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن رجل سأل ابن عباس عن خصاء البهائم فكرهه وقال لا تبديل لخلق الله * قال ثنا ابن عيينة عن حميد الأعرج قال قال عكرمة الاخصاء * قال ثنا حفص بن غياث عن ليث عن مجاهد قال الاخصاء وقوله ذلك الدين القيم يقول تعالى ذكره ان اقامتك وجهك للدين حنيفا غير مغير ولا مبدل هو الدين القيم يعني المستقيم الذي لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية الى اليهودية والنصرانية وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثة وقد وجه بعضهم معنى الدين في هذا الموضع الى الحساب ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا أبو ليلى عن بريدة ذلك الدين القيم قال الحساب القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الدين الذي أمرتك يا محمد به بقولي فأقم وجهك للدين حنيفا هو الدين الحق دون سائر الأديان غيره ۞ القول في تأويل قوله تعالى (منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) يعني تعالى ذكره بقوله منيبين اليه تائبين راجعين الى الله مقبلين كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله منيبين اليه قال المنيب الى الله

(١) لعل فيه سقطا والأصل لخلق الله فقال لخلق الله انما هو الخ تأمل كتبه مصححه

دليل الانفس أولا ثم يرتقي الى دليل الآفاق فظهر أن كل آية وردت على ما اقتضته الحكمة والبلاغة وحين ذكر دليل النفس الذي لا يقع الذهول عنه الا نادرا ارتقى الى دليل السموات والارض الذي يقع الذهول عنه (٣٧) في كثير من الاحوال لكنه لا يحتاج إلا الى التفات ذهني ثم أتبعه دليل الآفاق الذي يتوقف على السير والتحول ليقفوا على أمر أمثالهم وحكاية أشكالهم ثم ذكر أنهم أولى بالهلاك لأن من تقدمهم كعاد وثمود كانوا أشد منهم قوة جسمانية وأثاروا الارض حرثوها وهو اشارة الى القوة المالية ثم أشار الى القوة الظهرية التي يستند اليها عند الضعف والفتور وهي الحصون والعمائر بقوله (وعمروها أكثر مما عمروها) هؤلاء يعني أهل مكة كانوا أهل واد غير ذي زرع مالهم اثارة أرض أصلا ولا عمارة لها رأسا ففيه نوع تهكم بهم قال أهل البرهان انما قال في هذه السورة وفي آخر فاطر وفي المؤمن أولم يسيروا بالواو وفي غيرهن أفلم بالفاء لان ما قبلها في هذه السورة أولم يتفكروا وما بعدها وأثاروا بالواو فوافق ماقبلها ومابعدها وكذا في فاطر ماقبله ولن تجد لسنتنا تحويلا وما بعده وما كان وفي المؤمن ماقبله والذين يدعون وأما في آخر المؤمن فماقبله فأي آيات الله ومابعده فما أغنى عنهم وكلاهما بالفاء قوله في هذه السورة من قبلهم متصل بكون آخر مضمر وقوله كانوا أشد منهم قوة وكذا معطوفه اخبار عما كانوا عليه قبل الاهلاك وانما قال في فاطر وكانوا بزيادة الواو لأن التقدير فينظروا كيف أهلكوا وكانوا أشد وخصت السورة به لقوله وما كان الله ليعجزه وقال في المؤمن كانوا من قبلهم كانوا هم أشد فأظهر كان وزاد لفظة هم لأن الآية وقعت في أوائل قصة موسى وهي تتم في ثلاثين آية فكان اللائق به البسط دون الوجازة ولم يبسط هذا البسط في آخر السورة اكتفاء بالاول والله أعلم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بوضع الأنفس الشريفة في موضع خسيس هو عبادة الأصنام

المطيع لله الذى أناب الى طاعة الله وأمره ورجع عن الأمور التى كان عليها قبل ذلك كان القوم كفارا فنزعوا ورجعوا الى الاسلام وتأويل الكلام فأقم وجهك يا محمد للدين حنيفا منيبين اليه الى الله فالمنيبون حال من الكاف التى فى وجهك فان قال قائل وكيف يكون حالا منها والكاف كناية عن واحد والمنيبون صفة لجماعة قيل لان الأمر من الكاف كناية اسمه من الله فى هذا الموضع أمر منه له ولأمته فكأنه قيل له فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفا لله منيبين اليه وقوله واتقوه يقول جل ثناؤه وخافوا الله وراقبوه أن تفرّطوا فى طاعته وتركبوا معصيته ولا تكونوا من المشركين يقول ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه وركوبكم معاصيه وخلافكم الدين الذى دعاكم اليه وقوله من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يقول ولا تكونوا من المشركين الذين بدّلوا دينهم وخالفوه ففارقوا وكانوا شيعا يقول وكانوا أحزابا فرقا كاليهود والنصارى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وهم اليهود والنصارى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا الى آخر الآية قال هؤلاء يهود فلو وجه قوله من الذين فرقوا دينهم الى أنه خبر مستأنف منقطع عن قوله ولا تكونوا من المشركين وأن معناه من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا أحزاب كل حزب بما لديهم فرحون كان وجها يحتمله الكلام وقوله كل حزب بما لديهم فرحون يقول كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق فأحدثوا البدع التى أحدثوا بما لديهم فرحون يقول بما هم به متمسكون من المذهب فرحون مسرورون يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ يقول تعالى ذكره واذا مس هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله الها آخر ضر فأصابتهم شدّة وجدوب وقحوط دعوا ربهم يقول أخلصوا لربهم التوحيد وأفردوه بالدعاء والتضرع اليه واستغاثوا به منيبين اليه تائبين اليه من شركهم وكفرهم ثم اذا أذاقهم منه رحمة يقول ثم اذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضر وفرّجه عنهم وأصابهم برخاء وخصب وسعة اذا فريق منهم يقول اذا جماعة منهم بربهم يشركون يقول يعبدون معه الآلهة والأوثان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه اذا كشف الضر عنهم كفروا به ليكفروا بما أعطيناهم يقول اذا هم بربهم يشركون كى يكفروا أى يجحدوا النعمة التى أنعمتها عليهم بكشفى عنهم الضر الذى كانوا فيه وابدالى ذلك لهم بالرخاء والخصب والعافية وذلك الرخاء والسعة هو الذى آتاهم تعالى ذكره الذى قال بما آتيناهم وقوله فتمتعوا يقول فتمتعوا أيها القوم بالذى آتيناكم من الرخاء والسعة فى هذه الدنيا فسوف تعلمون اذا وردتم على ربكم ما تلقون من عذابه وعظيم عقابه على كفركم به فى الدنيا وقد قرأ بعضهم فسوف يعلمون بالياء بمعنى ليكفروا بما آتيناهم فقد تمتعوا على وجه الخبر فسوف يعلمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾ يقول تعالى ذكره أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون فى عبادتنا الآلهة والأوثان كتابا بتصديق ما يقولون وبحقيقة ما يفعلون فهو يتكلم بما كانوا به يشركون يقول فذلك الكتاب ينطق بصحة

قال أهل السنة هذا الوضع كان بمشيئة الله وارادته لكنه صدر عنهم فأضيف اليهم و (السوأى) تأنيث الاسوا وهو الأقبح وهى خبر كان فيمن قرأ عاقبة بالرفع واسم كان فيمن قرأ عاقبة بالنصب وثم لتفاوت الرتبة وفى التركيب وضع للظهر موضع المضمر والمعنى أنهم أهلكوا ثم كانت عاقبتهم السوأى وهى عذاب النار و (أن كذبوا) المعنى لأن أو بأن كذبوا أو هو تفسير أساؤا على أن الاساءة فى معنى القول نحو نادى وكتب معناه أى كذبوا وجوّز جار الله أن يكون السوأى مفعول أساؤا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف ارادة الابهام ليذهب الوهم كل مذهب فيكون تقدير الكلام ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة التى هى أسوأ الخطايا أن كذبوا كذا وكذا مما لا يكتنه كنهه قال أهل التحقيق ذكر الزيادة فى حق المحسن فى قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولم يذكر فى حق المسىء لأن جزاء سيئة سيئة بمثلها وذكر السبب فى العقوبة وهو قوله أن كذبوا ولم يذكره فى الآية ليعلم أن احسانه لا يتوقف على السبب بل فضله كاف فيه وحين ذكر أن عاقبتهم النار وكان فى ذلك اشارة الى الاعادة والحشر لم يتركه دعوى بلا بينة فقال (الله يبدأ) يعنى من خلق بالقدرة والارادة لا يعجز عن الرجعة والاعادة ثم بين ما يكون وقت الرجوع فقال (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يعنى فى ذلك اليوم يتبين افلاسهم ويتحقق ابلاسهم وهو سكوت مع تحير ويأس مع بؤس ويأس لا اليأس الذى هو احدى الراحتين وذلك اذا كان المرجو أمرا غير ضرورى فيستريح الطامع من الانتظار ثم ذكر وجه الابلاس وذلك قوله (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) يجحدونها وقتئذ بقوله سيكفرون بعبادتهم أو وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم شركهم ثم حكى أنهم يعنى المسلمين والكافرين (يومئذ يتفرقون) فريق فى الجنة وفريق فى السعير تفصيله فى الآيتين بعده والروضة عندهم كل أرض

ذات نبات وماء وفى الامثال أحسن من بيضة فى روضة يعنون بيضة النعامة وتنكير روضة للتعظيم ومعنى (يحبرون) يسرون بأنواع
المسار لحظة فلحظة حبره اذا سره سرورا تهلل بشر وخصه مجاهد بالتكريم وقتادة بالتنعيم وابن كيسان بالتحلية ووكيع

شركهم وانما يعني جل ثناؤه بذلك أنه لم ينزل بما يقولون ويفعلون كتابا ولا أرسل به رسولا وانما هو شئ افتعلوه واختلقوه اتباعا منهم لأهوائهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون يقول أم أنزلنا عليهم كتابا فهو ينطق بشركهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذاهم يقنطون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا أصاب الناس منا خصب ورخاء وعافية فى الأبدان والأموال فرحوا بذلك وان تصبهم منا شدة من جدب وقحط وبلاء فى الأموال والأبدان بما قدمت أيديهم يقول بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله وركبوا من المعاصى اذاهم يقنطون يقول اذاهم ييأسون من الفرج والقنوط هو الاياس ومنه قول حميد الأرقط

* قد وجدوا الحجاج غير قانط * وقوله اذاهم يقنطون هو جواب الجزاء لان اذا نابت عن الفعل بدلالتها عليه فكأنه قيل وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم وجدتهم يقنطون أو تجدهم أو رأيتهم أو تراهم وقد كان بعض نحويى البصرة يقول اذا كانت اذا جوابا لانها متعلقة بالكلام الاول بمنزلة الفاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره أولم يرهؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب وييأسون من الفرج عند شدة تنالهم بعيون قلوبهم فيعلموا أن الشدة والرخاء بيد الله وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسعه عليه ويقدر على من أراد فيضيقه عليه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول ان فى بسطه ذلك على من بسطه عليه وقدره على من قدره عليه ومخالفته بين من خالف بينه من عباده فى الغنى والفقر لدلالة واضحة لمن صدق حجج الله وأقربها اذا عاينها ورآها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة والبر والمسكين وابن السبيل ما فرض الله لهم فى ذلك كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن عوف عن الحسن فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل قال هو أن توفيهم حقهم ان كان عندك يسر وان لم يكن عندك فقل لهم قولا ميسورا قل لهم الخير وقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله يقول تعالى ذكره ايتاء هؤلاء حقوقهم التى ألزمها الله عباده خير للذين يريدون الله باتيانهم ذلك وأولئك هم المفلحون يقول ومن يفعل ذلك مبتغيا به وجه الله فأولئك هم المنجحون المدركون طلباتهم عند الله الفائزون بما ابتغوا والتمسوا باتيانهم اياهم ما آتوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ يقول تعالى ذكره وما أعطيتم أيها الناس بعضكم بعضا من عطية لتزداد فى أموال الناس برجوع ثوابها اليه ممن أعطاه ذلك فلا يربو عند الله يقول فلا يزداد ذلك عند الله لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيا به وجهه وما آتيتم من زكاة يقول وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله فأولئك يعنى الذين يتصدقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله هم المضعفون

بالسماع عن النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء رخصة يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوى سألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا وأما معنى (محضرون) لا يغيبون عنه وقد مر فى قوله ثم هو يوم القيامة من المحضرين وانما أهمل ذكر الفسقة من أهل الايمان اكتفاء بما ذكر فى الآيات الاخر كقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وكقوله انما التوبة على الله الى قوله تبت الآن قال جار الله لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجى من الوعيد وقال آخرون لما ذكر عظمته فى المبدا بقوله ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وفى الانتهاء بقوله ويوم تقوم الساعة وكرر ذكر قيام الساعة للتأكيد والتخويف أراد أن ينزه نفسه عن كل سوء ويثبت لذاته كل حمد ليعلم أنه منزه عن طاعات المطيعين محمود على كل ما يوصل الى المكلفين مذكور على لسان أهل السموات والارضين والتسبيح فى الظاهر هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما فى كل منها من كل نعمة متجددة وخص بعضهم التسبيح بالصلاة لما روى عن ابن عباس أنه قال تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر أمر بالصلاة فى أول النهار ووسطه وآخره وأمر بالصلاة أول الليل ووسطه وهو العشاء

بقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن اشق على أمتى لأمرتهم بالسواك و بتأخير العشاء الى نصف الليل ولم يأمر بالصلاة فى آخر الليل لان النوم فيه غالب وانه منّ على عباده بالاستراحة (٣٠) فى الليل بالنوم فى مواضع منها قوله ومن آياته منامكم بالليل كما يجىء روى عن الحسن أن الآية مدنية بنـاء على أنه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين فى غير وقت معلوم وقول الاكثر ان الخمس فرضت بمكة قوله (وعشيا) معطوف على حين وما بينهما وهو قوله وله الحمـد فى السموات والارض اعتراض قال جار الله معناه ان على المميزين كلهم من أهـل السموات والارض أن يحمـدوه قلت فيه أيضا أن الله غنى عن تسبيح المسبحين فلو لم يحمـده حامد فله استئهال الحمد على الاطلاق ولو حمدوه لعاد نفعه اليهم وقدم الامساء لان الظلمة عدمية والأصـل فى الاشياء العدم وقدم العشىّ على الظهيرة لاجل الفاصـلة أو للتنبيه على فضيلة صـلاة العصر ولعـل فى تقـديم الاعتراض المذكور على العشىّ اشارة الى هذا ومعنى (يخرج الحى من الميت) قد سلف مرارا ويحتمل أن يراد ههنا اليقظان والنائم لقوله (وكذلك تخرجون) أى من القبور فتنبيه النائم بعد اليقظة تشبيه الاعادة وكذا ردّ الارض الى حالة الخضرة والنضرة بعد ذبولها عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته من يومه ومن قالهـا حين يمسى أدرك ما فاته من ليلتـه ثم أراد أن يذكر الحجج البـاهرة على استحقاق التسبيح والتحميد له فقـال (ومن آياته أن خلقكم) أى أصلكم أو كلا منكم كما مر فى أوّل الحج (من تراب) وذلك أن التراب أبعد الاشياء عن درجة الاحياء لكثافته ولبرودته و يبسه والحياة بالحرارة المـال والرطوبة ولكدورته والروح نير ولثقله وخفة الارواح ولسكونه والحى متحرك حساس ولا تنافى بين هذا و بين قوله خلق من الماء بشرا

يقول هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب من قول العرب أصبح القوم مسمنين معطشين اذا سمنت ابلهـم وعطشت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال هو ما يعطى الناس بينهم بعضهم بعضا يعطى الرجل الرجل العطية يريد أن يعطى أكثر منها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور بن صفية عن سعيد بن جبير وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال هو الرجل يعطى الرجل العطية ليثيبه * قال ثنـا يحيى قال ثنا سفيان عن منصور بن صفية عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن منصور بن صفية عن سعيد بن جبير وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال الرجل يعطى ليثاب عليه حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال الهدايا حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هى الهدايا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال يعطى ماله يبتغى أفضل منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن ابن أبى خالد عن ابراهيم قال هو الرجل يهدى الى الرجل الهدية ليثيبه أفضل منها * قال ثنـا محمد بن حميد المعمرى عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه هو الرجل يعطى العطية ويهدى الهدية ليثاب أفضل من ذلك ليس فيه أجر ولا وزر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال ما أعطيت من شئ تريد مثابة الدنيا ومجازاة الناس ذاك الربا الذى لا يقبله الله ولا يجزى به حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فهو ما يتعاطى الناس بينهم ويتهادون يعطى الرجل العطية ليصيب منـه أفضل منها وهذا للناس عامة وأما قوله ولا تمنن تستكثر فهذا للنبى خاصة لم يكن له أن يعطى إلا لله ولم يكن يعطى ليعطى أكثر منه * وقال آخرون انمـا عنى بهذا الرجل يعطى ماله الرجل ليعينه بنفسه ويخدمه ويعود عليـه نفعه لا لطلب أجر من الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى ومحمد ابن فضيل عن زكريا عن عامر وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال هو الرجل يلزق بالرجل فيخف له ويخـدمه ويسافر معه فيجعل له ربح بعض ماله ليجزيه وانمـا أعطاه التماس عونه ولم يرد وجه الله * وقال آخرون هو اعطاء الرجل ماله ليكثر به مال من أعطاه ذلك لا طلب ثواب الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميـد قال ثنـا جرير عن مغـيرة عن أبى حصـين عن ابن عباس وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال ألم تر الى الرجل يقول للرجل لأموّلنك فيعطيه فهذا لا يربو عنـد الله لانه يعطيه لغير الله ليثرى ماله * قال ثنـا عمرو بن عبـد الحميد الآملى قال ثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد قال سمعت ابراهيم النخعى يقول فى قوله وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال كان هذا فى الجاهلية يعطى أحدهم ذا القرابة

لانه أردا الاصل الثانى الذى هو النطفة أو أراد أن أصل البشر فى الظاهر هو التراب والماء وأما النار فلا نضاج والهواء فللاستبقاء كالزق المنفوخ يقوم بالهواء و(ثم) لتبعيد الرتبة و(اذا) للمفاجأة أى ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا

قالوا وفيه اشارة الى مسألة حكمية وهى

المال يكثر به ماله * وقال آخرون ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة وأما لغيره فحلال ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى رواد عن الضحاك وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله هذا للنبى صلى الله عليه وسلم هذا الربا الحلال وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لأنه أظهر معانيه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض أهل مكة ليربو بفتح الياء من يربو بمعنى وما آتيتم من ربا ليربو ذلك الربا فى أموال الناس وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة لتربوا بالتاء من تربوا وضمها بمعنى وما آتيتم من ربا لتربوا أنتم فى أموال الناس * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الأمصار مع تقارب معنييهما لأن أرباب المال اذا أربوا ربوا بالمال واذا ربا المال فباربائه أربابه اياه ربا فاذ كان ذلك كذلك فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب وأما قوله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون فان أهل التأويل قالوا فى تأويله نحو الذى قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون قال هذا الذى يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالها وأكثر من ذلك حدثت عن عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال ابن عباس قوله وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال هى الهبة يهب الشئ يريد أن يثاب عليه أفضل منه فذلك الذى لا يربو عند الله لا يؤجر فيه صاحبه ولا اثم عليه وما آتيتم من زكاة قال هى الصدقة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون قال معمر قال ابن أبى نجيح عن مجاهد مثل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به معرفهم قبح فعلهم وخبث صنيعهم الله أيها القوم الذى لا تصلح العبادة الا له ولا ينبغى أن تكون لغيره هو الذى خلقكم ولم تكونوا شيأ ثم رزقكم وخولكم ولم تكونوا تملكون قبل ذلك ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث القيامة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم للبعث بعد الموت وقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ يقول تعالى ذكره هل من آلهتكم وأوثانكم التى تجعلونهم لله فى عبادتكم اياه شركاء من يفعل من ذلكم من شئ فيخلق أو يرزق أو يميت أو ينشر وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين وانما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيأ من ذلك فكيف يعبد من دون الله من لا يفعل شيأ من ذلك ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن الفرية التى افتراها هؤلاء المشركون عليه بزعمهم أن آلهتهم له شركاء فقال جل ثناؤه سبحانه أى تنزيها لله وتبرئة وتعالى يقول وعلوا له عما يشركون يقول عن شرك هؤلاء المشركين به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ لا والله سبحانه وتعالى عما يشركون يسبح نفسه اذا قيل عليه البهتان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾ يقول تعالى ذكره ظهرت المعاصى فى بر الأرض وبحرها بكسب أيدى الناس ما نهاهم الله عنه واختلف أهل التأويل فى المراد من قوله ظهر الفساد

أن الله تعالى يخلق أولا انسانا فيتبعه أنه حيوان تام لا أنه يخلق أولا حيوانا ثم يجعله انسانا فخلق الانواع هو المراد الاول ثم تكون الانواع فيها الاجناس بتلك الارادة الاولى وقوله (بشرا) اشارة الى القوة المدركة التى البشر بها بشر وبها يمتاز عن غيره من الحيوانات وقوله (تنتشرون) اشارة الى القوة المتحركة التى بها الحيوان حيوان فكأنه أشار الى فصله وجنسه وكان الأولى تقديم الجنس على الفصل الا أنه عكس الترتيب لأنه كأنه قال العجب غير مختص بالانسان بل الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب أيضا والانتشار اما بمعنى التردد فى الحوائج كقوله فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واما بمعنى البث والتفريق كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وحين بين خلق الانسان ولم يكن مما يبقى على مر الزمان منّ عليهم بأن جعل نوع الانسان باقيا بتعاقب الاشخاص فقال (ومن آياته أن خلق لكم) ولا يلزم منه أن لا يكنّ مخلوقات للعبادة والتكليف لأن تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفى ما عداه فقد يكون الشئ مختصا باثنين وجعل مهيأ لآخرين على أن النعمة ما كانت تتم علينا الا بتكليفهن فلولا خوف العقاب لتمردت النسوان على أزواجهن و(من أنفسكم) أى من جنسكم أو هو اشارة الى أن حواء خلقت من ضلع آدم وقد مر فى النحل ويشهد للتفسير الاول قوله (لتسكنوا اليها) فان الجنس الى الجنس أسكن (وجعل بينكم مودة) عن الحسن هى الجماع (ورحمة) هى الولد وقال غيره المودة حالة حاجة نفسه اليها والرحمة حالة حاجة صاحبته اليه وقد تفضى المودة الى مجرد الرحمة وذلك اذا خرجت عن محل الشهوة بكبر أو مرض أو نحو عن امكان رعاية حقها

بكبر او زمانة أو فقر قال بعضهم المودّة والرحمة بعصمة الزواج من غير سابقة معرفة وقرابة وهي من قبل الله والفرك من قبل الشيطان (ان في ذلك) الخلق والجعل (لآيات لقوم يتفكرون) (٣٢) فخلق الانسان من الوالدين آية وجعل أحدهما ذكرا والآخر أنثى آية

في البر والبحر فقال بعضهم عنى بالبر الفلوات وبالبحر الأمصار والقرى التي على المياه والأنهار ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام قال ثنا النضر بن عربي عن مجاهد واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها الآية قال اذا ولي سعى بالتعدي والظلم فيحبس الله القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد قال ثم قرأ مجاهد ظهر الفساد في البر والبحر الآية قال ثم قال أما والله ماهو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن النضر بن عربي عن عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر قال أما اني لا أقول بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار * قال ثنا يزيد بن هرون عن عمرو بن فروخ عن حبيب بن الزبير عن عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر قال ان العرب تسمي الأمصار بحرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس قال هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم امتلأت ضلالة وظلما فلما بعث الله نبيه رجع راجعون من الناس قوله ظهر الفساد في البر والبحر أما البر فأهل العمود وأما البحر فأهل القرى والريف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ظهر الفساد في البر والبحر قال الذنوب وقرأ ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن في قوله ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس قال أفسدهم الله بذنوبهم في بحر الأرض وبرها بأعمالهم الخبيثة * وقال آخرون بل عنى بالبر ظهر الأرض الأمصار وغيرها وبالبحر البحر المعروف ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ليث عن مجاهد ظهر الفساد في البر والبحر قال في البر ابن آدم الذي قتل أخاه وفي البحر الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا حدثني يعقوب قال قال أبو بشر يعني ابن علية قال سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس قال بقتل ابن آدم والذي كان يأخذ كل سفينة غصبا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن فضيل بن مرزوق عن عطية ظهر الفساد في البر والبحر قال قلت هذا البر والبحر أي فساد فيه قال فقال اذا قل المطر قل الغوص حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ظهر الفساد في البر قال قتل ابن آدم أخاه والبحر قال أخذ الملك السفن غصبا * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن الله تعالى ذكره أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر والبر عند العرب الأرض القفار والبحر بحران بحر ملح وبحر عذب فهما جميعا عندهم بحر ولم يخصص جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذبا كان أو ملحا واذا كان ذلك كذلك دخل القرى التي على الأنهار والبحار فتأويل الكلام اذا اذ كان الأمر كما وصفت ظهرت معاصي الله في كل مكان من بر وبحر بما كسبت أيدي الناس أي بذنوب الناس وانتشر الظلم فيهما وقوله ليذيقهم بعض الذي عملوا يقول جل ثناؤه ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوا ومعصيتهم التي عصوا لعلهم يرجعون يقول كي ينيبوا الى الحق ويرجعوا الى التوبة ويتركوا معاصي الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن الحسن

وخروج الولد الضعيف من الموضع الضيق آية وجعل التوادد بين الزوجين من غير صلة رحم آية ولما ذكر دلائل الانفس أتبعها دلائل الآفاق وأعظمها خلق السموات والارض فان خلق المركبات قد يسنده بعض الجهلة الى ما في العناصر من الكيفيات والى ما في السموات من الحركات والاتصالات وأما السماء والارض فلا يجد بدا من أن يقول انهما بقدرة الله تعالى ثم عاد الى ذكر أحوال الانفس ومن جملتها اختلاف الالسنة لا جرمها فان التباين بين أجرامها ليس يبلغ الى حد يعد آية بل وصفها وهو النطق وتقطيع الاصوات اللذان بهما يمتاز بعض الاصناف والاشخاص عن بعض واختلاف الالوان والحلى فبذلك يقع التفاوت ويرتفع الاشتباه فحس البصر يدرك اختلاف الصور وحس السمع يدرك اختلاف الاصوات وأما اللمس والشم والذوق فلا حكم ظاهرا لها في باب التمييز بين الاشخاص الانسانية وحيث ذكر بعض العرضيات اللازمة أراد أن يذكر الاعراض المفارقة بعضها فقال (ومن آياته منامكم) قال جار الله هذا من باب اللف والنشر وتقدير الكلام ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار ليكون موافقا لما جاء في مواضع أخر كقوله وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقدم المنام على الابتغاء لان الاستراحة مطلوبة لذاتها

والطلب لا يكون الا لحاجة قال وانما فصل بين القرينتين الاوليين بالقرينتين الاخريين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد يعني كأنه لم يعطف النهار على الليل والابتغاء على المنام وجوز أن يراد منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم لعلهم

من فضله بالليل والنهار فان الانسان كثيرا ما ينام بالنهار و يكسب بالليل وفي اقتران الفضل بالابتغاء اشارة الى ان العبد ينبغي أن لا يرى الرزق من نفسه و بحذقه بل يرى كل ذلك من فضل ربه ثم أشار الى عوارض الآفاق فقال (٣٣) (ومن آياته يريكم) فأضمر أن وأسكن الياء

لعلهم يرجعون قال قال يتوبون * قال ثنا ابن مهدي عن سفيان عن السدي عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله لعلهم يرجعون يوم بدر لعلهم يتوبون * قال ثنا أبو أسامة عن زائدة عن منصور عن ابراهيم لعلهم يرجعون قال الى الحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون لعل راجعا أن يرجع لعل تائبا أن يتوب لعل مستعتبا أن يستعتب حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن لعلهم يرجعون قال يرجع من بعدهم * واختلفت القراء في قراءة قوله ليذيقهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ليذيقهم بالياء بمعنى ليذيقهم الله بعض الذي عملوا وذكر أن أبا عبد الرحمن السلمي قرأ ذلك بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه بذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك سيروا في البلاد فانظروا الى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم وكذبوا رسله كيف كان آخر أمرهم وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم ألم نهلكهم بعذاب منا ونجعلهم عبرة لمن بعدهم كان أكثرهم مشركين يقول فعلنا ذلك بهم لان أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون﴾ يقول تعالى ذكره فوجه وجهك يا محمد نحو الوجه الذي وجهك اليه ربك للدين القيم لطاعة ربك والملة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها عن الحق من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يقول تعالى ذكره من قبل مجيء يوم من أيام الله لا مرد له لمجيئه لأن الله قد قضى بمجيئه فهو لا محالة جاء يومئذ يصدعون يقول يوم يجيء ذلك اليوم يصدع الناس يقول يتفرق الناس فرقتين من قولهم صدعت الغنم صدعتين اذا فرقتها فرقتين فريق في الجنة وفريق في السعير * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأقم وجهك للدين القيم الاسلام من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون فريق في الجنة وفريق في السعير حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يومئذ يصدعون يقول يتفرقون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يصدعون قال يتفرقون الى الجنة والى النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون﴾ يقول تعالى ذكره من كفر بالله فعليه أوزار كفره وآثام جحوده نعم ربه ومن عمل صالحا يقول ومن أطاع الله فعمل بما أمره به في الدنيا وانتهى عما نهاه عنه فيها فلأنفسهم يمهدون يقول فلأنفسهم يستعدون ويسوون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم وينجوا من عذابه كما قال الشاعر

امهد لنفسك حان السقم والتلف * ولا تضيعن نفسا ما لها خلف

* وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلأنفسهم يمهدون قال يسوون المضاجع حدثنا ابن المثنى والحسين بن يزيد الطحان وابن وكيع وأبو عبد الرحمن العلائي قالوا

بعد حذفها وانزال الفعل منزلة المصدر كما في المثل السائر «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» قيل لما كان البرق من الامور التي تتجدد زمانا دون زمان ذكره بلفظ المستقبل ولم يذكر معه أن وقيل ومن آياته كلام كاف كما تقول منها كذا ومنها كذا وتسكت تريد بذلك الكثرة وقيل أراد ويريكم من آياته البرق وانتصاب (خوفا وطمعا) كما مر في الرعد ثم ذكر بعض لوازم الآفاق قائلا (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) فقيام السموات والارض استمساكهما بغير عمد ومن نسب ذلك الى الطبيعة فلابد أن يستند الطبع الى واجب لذاته وأمره أن يقول لهما كونا كذلك نظيره قوله ان الله يمسك الى قوله من بعده واعلم أن الأمر عند المعتزلة موافق للارادة وعند الاشاعرة ليس كذلك ولكن النزاع في الأمر الذي هو للتكليف لا الذي للتكوين فان قوله كن فيكون موافق للارادة بالاتفاق قال جار الله قوله (اذا دعاكم) بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاكم مرة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة الخروج من غير توقف والا فلا أمر ظاهرا أو أراد نداء الملك والارض مكان المدعو على التقديرين لا الداعي اذ لا مكان لله مطلقا ولا للملك في جوف الارض نعم لو كان المراد أن الملك يدعوهم وهو على وجه الارض جاز ومعنى ثم عظم ما يكون من ذلك الامر وتهويل لتلك الحالة واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجأة نائبة مناب الفاء واعلم أنه تعالى ذكر في كل باب أمرين

ثنا يحيى بن سليم الطائفى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلأنفسهم يمهدون قال فى القبر حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا يحيى بن سليم عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلأنفسهم يمهدون قال للقبر حدثنا نصر بن على قال ثنا يحيى بن سليم قال ثنا ابن أبى نجيح قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله فلانفسهم يمهدون قال فى القبر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره يومئذ يصدعون ليجزى الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله من فضله الذى وعد من أطاعه فى الدنيا أن يجزيه يوم القيامة انه لا يحب الكافرين يقول تعالى ذكره انما خص بجزائه من فضله الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله انه لا يحب أهل الكفر به واستأنف الخبر بقوله انه لا يحب الكافرين وفيه المعنى الذى وصفت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أدلته على وحدانيته وحججه عليكم على أنه اله كل شئ أن يرسل الرياح مبشرات بالغيث والرحمة وليذيقكم من رحمته يقول ولينزل عليكم من رحمته وهى الغيث الذى يحيى به البلاد ولتجرى السفن فى البحار بها بأمره اياها ولتبتغوا من فضله يقول ولتلتمسوا من أرزاقه ومعايشكم التى قسمها بينكم ولعلكم تشكرون يقول ولتشكروا ربكم على ذلك أرسل هذه الرياح مبشرات * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الرياح مبشرات قال بالمطر وقالوا فى قوله وليذيقكم من رحمته مثل الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وليذيقكم من رحمته قال المطر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليذيقكم من رحمته المطر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يلقى من قومه من الأذى فيه بما لقى من قبله من رسله من قومهم ومعلمه سنته فيهم وفى قومهم وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم وفى أممهم ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلا الى قومهم الكفرة كما أرسلناك الى قومك العابدى الاوثان من دون الله فجاؤهم بالبينات يعنى بالواضحات من الحجج على صدقهم وأنهم لله رسل كما جئت أنت قومك بالبينات فكذبوهم كما كذبك قومك وردوا عليهم ما جاؤهم به من عند الله كما ردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك فانتقمنا من الذين أجرموا يقول فانتقمنا من الذين أجرموا الآثام واكتسبوا السيآت من قومهم ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمى قومك وكان حقا علينا نصر المؤمنين يقول ونجينا الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله اذ جاءهم بأسنا وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك وكان حقا علينا نصر المؤمنين على الكافرين ونحن ناصروك ومن آمن بك على من كفر بك ومظفروك بهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده

اذاهم

أما من الانفس فخلق البشر ثم خلقهم زوجين وأما من الآفاق فخلق السموات والارض ومن لوازم الانسان اختلاف اللسان والالوان ومن عوارضه المنام والابتغاء ومن عوارض الآفاق البروق والامطار ومن لوازمها قيام السماء والارض والواحد يكفى للاقرار بالحق الا أن الثانى يجرى مجرى الشاهد الآخر وراعى فى تعداد العرضيات لطيفة بدأ باللوازم وختم باللوازم وذلك أن الانسان متغير الحال فالاحوال اللازمة له أغرب والأفلاك ثابتة بالنسبة الى الانسان فعوارضها أغرب وبدأ فى كل باب بما هو أعجب وانما ختم الآية الاولى بقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون لأن الفكر يؤدى الى الوقوف على المعانى المقتضية للانس والسكون وعلى دقائق صنع الله فى خلق الانسان وبثهم فى الارض أو نقول ان من الاشياء ما يعلم بمجرد الفكر كدقائق حكمة الله فى خلق الانسان لأن أقرب الاشياء الى الانسان هو ذاته فلذلك قال هنالك لقوم يتفكرون ومنها ما يعلم من غير تجشم فكر كالاستدلال على قدرة الله بخلق السماء والارض واختلاف ألسنة الناس وألوانهم فان الكل تظلهم السماء وتقلهم الارض وكل واحد منفرد بلطيفة فى صورته يمتاز بها عن غيره ولهذه يشترك فى معرفتها الناس جميعا فلهذا قال لآيات للعالمين ومن حمل اختلاف الألسن على اللغات واختلاف الالوان على البياض والسواد والصفرة والسمرة فالاشتراك فى معرفتها أيضا ظاهر ومن قرأ للعالمين بكسر اللام فقد أحسن فبالعلم يمكن الوصول الى معرفة ما سبق ذكره ومن الاشياء ما يحتاج الفكر فيه الى اعانة مرشد كالمنام والابتغاء فانهما لزوالهما فى بعض الاوقات قد يرفعان لوازمهما فلهذا قال لقوم يسمعون ويجعلون بالهم الى كلام المرشد ومن هنا ذهب بعضهم الى أن معنى يسمعون ههنا يستجيبون لما يدعون اليه ثم ان حدوث الولد من الوالدين كالامر المطرد العادى

فكان الولد يمكن أن يسبق الى الوهم اسناده الى الطبيعة فأمر هنالك بالفكر وأما البرق والمطر فليس أمرا عاديا ولذلك يختلف بالشدة
والضعف و بحسب الاوقات والأمكنة فالعقل الصحيح يجزم بأنه من فعل الفاعل المختار فلذلك قال لقوم يعقلون وقيل
ان العقل ملاك الامر وهو المؤدي الى العلم فوقع الختم عليه وحين فرغ من تعداد الآيات وكان مدلولها الوحدانية التي هي الأصل الاول والقدرة على الحشر التي هي الأصل الآخر أكد الاول بقوله (وله من في السموات والارض كل له قانتون) مطيعون منقادون وأكد الاصل الآخر بل كلا الاصلين بقوله (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو) يعني أن يعيده (أهون عليه) أي في نظركم وعند معقولكم والا فلا صعوبة في الابداء أصلا حتى يقع التفضيل على حده وانما أخرت الصلة ههنا وقدمت في قوله في سورة مريم وهو علي هين لأنه قصد هنالك الاختصاص يعني أن خلق الولد بين هرم وعاقر لا يهون الا علي ولا معنى للاختصاص ههنا فان الامر مبني على المعقول بين الآدميين من أن المعاد أهون من المبدا ولهذا قيل أول الغزو أخرق وليس الدخيل في أمر كالناشئ عليه ومن الدليل العقلي على هذا المطلوب أن الابداء خلق الاجزاء وتأليفها والاعادة تأليف فقط ولا شك أن أمرا واحدا أهون من الامرين ولا يلزم منه أن يكون في الامرين صعوبة فان من قال الرجل القوي يقدر على حمل شعيرة من غير صعوبة وسلم السامع له ذلك فاذا قال فلان لا يتعب من حمل خردلة وان حمل خردلة أهون عليه كان كلاما معقولا وقد أجرى الزجاج قوله وهو أهون عليه مجرى المثل فيما يصعب و يسهل وفسر به قوله (وله المثل الأعلى) يعني هذا مثل مضروب لكم في الارض وله المثل الأعلى من هذا المثل ومن كل مثل يضرب في السموات فيما بين الملائكة وعن ابن عباس أراد أن فعله وان شبهه بفعلكم ومثله به لكنه ليس كمثله شئ فله المثل الاعلى وقال

اذا هم يستبشرون ﴾ يقول تعالى ذكره الله يرسل الرياح فتثير سحابا يقول فتنشئ الرياح سحابا وهي جمع سحابة فيبسطه في السماء كيف يشاء يقول فينشره الله ويجمعه في السماء كيف يشاء وقال فيبسطه فوحد الهاء وأخرجها مخرج كناية المذكر والسحاب جمع كما وصفت ردا على لفظ السحاب لا على معناه كما يقال هذا تمر جيد * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله فيبسطه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجمعه وقوله ويجعله كسفا يقول ويجعل السحاب قطعا متفرقة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويجعله كسفا أي قطعا وقوله فترى الودق يعني المطر يخرج من خلاله يعني من بين السحاب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فترى الودق يخرج من خلاله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن قطن عن حبيب عن عبيد بن عمير يرسل الرياح فتثير سحابا قال الرياح أربع يبعث الله ريحا فتقم الأرض قما ثم يبعث الله الريح الثانية فتثير سحابا فيجعله في السماء كسفا ثم يبعث الله الريح الثالثة فتؤلف بينه فيجعله ركاما ثم يبعث الريح الرابعة فتمطر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فترى الودق قال القطر وقوله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون يقول فاذا صرف ذلك الودق الى أرض من أراد صرفه الى أرضه من خلقه رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك اليهم ويفرحون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ يقول تعالى ذكره وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث من قبل هذا الغيث لمبلسين يقول لمكتئبين حزنين باحتباسه عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين أي قانطين * واختلف أهل العربية في وجه تكرير من قبله وقد تقدم قبل ذلك قوله من قبل أن ينزل عليهم فقال بعض نحويي البصرة رد من قبله على التوكيد نحو قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقال غيره ليس ذلك كذلك لأن مع من قبل أن ينزل عليهم حرفا ليس مع الثانية قال فكأنه قال من قبل التنزيل من قبل المطر فقد اختلفتا وأما كلهم أجمعون وكد بأجمعين لأن كلا يكون اسما و يكون توكيدا وهو قوله أجمعون والقول عندي في قوله من قبله على وجه التوكيد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ﴾ اختلفت القراء في قوله فانظر الى آثار رحمة الله فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين الى أثر رحمة الله على التوحيد بمعنى فانظر يا محمد الى أثر الغيث الذي أصاب الله به من أصاب من عباده كيف يحيي ذلك الغيث الأرض من بعد موتها وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة فانظر الى آثار رحمة الله على الجماع بمعنى فانظر الى آثار الغيث الذي أصاب الله به من أصاب كيف يحيي الارض بعد موتها * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الامصار متقاربتا المعنى وذلك أن الله اذا أحيا الأرض بغيث أنزله عليها فان الغيث أحياها باحياء الله اياها به واذا أحياها الغيث فان الله هو المحيي به فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب فتأويل الكلام اذا فانظر يا محمد الى آثار الغيث الذي ينزل الله من السحاب كيف يحيي الله بها الأرض الميتة فينبتها

ويعشبها من بعده وتهاود ثورها ان ذلك لمحيي الموتى يقول جل ذكره ان الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث لمحيي الموتى من بعد موتهم وهو على كل شئ مع قدرته على احياء الموتى قدير لا يعز عليه شئ أراده ولا يمتنع عليه فعل شئ شاءه سبحانه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون﴾ يقول تعالى ذكره ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبته الغيث الذي أنزلناه من السماء فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حييت به أرضوهم وأعشبت ونبتت به زروعهم ما أنبتته أرضوهم بذلك الغيث من الزرع مصفرا قد فسد بتلك الريح التي أرسلناها فصار من بعد خضرته مصفرا لظلوا من بعد استبشارهم وفرحتهم به يكفرون بربهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ يقول تعالى ذكره فانك يا محمد لا تسمع الموتى يقول لا تجعل لهم أسماعا يفهمون بها عنك ما تقول لهم وانما هذا مثل معناه فانك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواعظ تنزيله كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعا وقوله ولا تسمع الصم الدعاء يقول وكما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع الدعاء اذا هم ولوا عنك مدبرين كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه لسماع ذلك وفهمه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فانك لا تسمع الموتى هذا مثل ضربه الله للكافر فكما لا يسمع الميت الدعاء كذلك لا يسمع الكافر ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين يقول لو أن أصم ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع وقوله وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم يقول تعالى ذكره وما أنت يا محمد بمسدد من أعماه الله عن الاستقامة ومحجة الحق فلم يوفقه لاصابة الرشد فصارفه عن ضلالته التي هو عليها وركوبه الجائر من الطرق الى سبيل الرشاد يقول ليس ذلك بيدك ولا اليك ولا يقدر على ذلك أحد غيري لأني القادر على كل شئ وقيل بهادي العمي عن ضلالتهم ولم يقل من ضلالتهم لأن معنى الكلام ما وصفت من أنه وما أنت بصارفهم عنه فحمل على المعنى ولو قيل من ضلالتهم كان صوابا وكان معناه ما أنت بمانعهم من ضلالتهم وقوله ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا يقول تعالى ذكره لنبيه ما تسمع السماع الذي ينتفع به سامعه فيعقله الا من يؤمن بآياتنا لأن الذي يؤمن بآياتنا اذا سمع كتاب الله تدبره وفهمه وعقله وعمل بما فيه وانتهى الى حدود الله الذي حد فيه فهو الذي يسمع السماع النافع وقوله فهم مسلمون يقول فهم خاضعون لله بطاعته متذللون لمواعظ كتابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بالبعث من مشركي قريش محتجا عليهم بأنه القادر على ذلك وعلى ما يشاء الله الذي خلقكم أيها الناس من ضعف يقول من نطفة وماء مهين فأنشأكم بشرا سويا ثم جعل من بعد ضعف قوة يقول ثم جعل لكم قوة على التصرف من بعد خلقه اياكم من ضعف ومن بعد ضعفكم بالصغر والطفولة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يقول ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوياء في شبابكم وشيبة وبنحو الذي

جار الله المثل الوصف أي له الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وهو أنه القادر الذي يقدر على الخلق (٣٦) والاعادة العليم الذي لا يعزب عن علمه شئ فلا يصعب عليه جمع الاجزاء بعد تفرقها على الوجه الذي يقتضيه التدبير ولهذا ختم الآية بقوله (وهو العزيز الحكيم) وعن مجاهد المثل الأعلى وصفه بالوحدانية وهو قوله لا اله الا الله وقد ضرب لذلك مثلا ومعنى (من أنفسكم) أنه أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شئ منكم وهي أنفسكم فمن للابتداء وفي قوله (مما ملكت أيمانكم) للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي والمعنى هل ترضون لانفسكم أن يكون لكم شركاء من بعض عبيدكم يشاركونكم فيما رزقناكم من الاموال والاملاك (فأنتم) يعني بسبب ذلك أنتم أيها السادات والعبيد في ذلك المرزوق (سواء) من غير تفضيل وفضل للاحرار على العبيد (تخافونهم) أن تستبدوا بتصرف دونهم (كخيفتكم أنفسكم) أي كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار والحاصل أن من يكون له مملوك لا يكون شريكا له في ماله ولا يكون له حرمة كحرمة سيده فكيف يجوز أن يكون عباد الله شركاء له أو شفعاء عنده بغير اذنه وكيف يجوز أن يكون لهم عظمة مثل عظمة الله حتى يعبدوا كعبادته على أن مملوككم ليس مملوكا لكم في الحقيقة ليس الا اختصاص المبايعة ولهذا لا حكم لهم عليهم بالقتل والقطع وبالمنع من الفرائض وقضاء الحاجة والنوم وقد يزول الاختصاص بالبيع والعتق ومملوك الله لا خروج له من ملكه بوجه من الوجوه وفي قوله فيما رزقناكم اشارة الى أن الذي هو لكم ليس في الحقيقة لكم وانما الله استخلفكم فيه ورزقكموه من فضله (كذلك) أي مثل هذا التفصيل والتبعيد للتعظيم أو لدخوله في حيز الذكر أو المضي (نفصل الآيات) نبينها (لقوم يعقلون) لأن التمثيل انما يكشف المعاني لارباب العقول ثم شوه صورة الشرك بقوله قلنا

(بل اتبع الذين ظلموا) أى أشركوا (أهواءهم بغير علم) فهوى العالم ربما يتبدّل بالهدى وأما الجاهل فانه هائم فى هواه كالبهائم لا يرجى ارعواه يؤكده قوله (فمن يهدى من أضل الله ومالهم من ناصرين) والاضلال ههنا لا يخفى أن الاشاعرة يحملونه على خلق الضلال فى المكلف والمعتزلة يحملونه على الخذلان ومنع الالطاف وقد تقدّم مرارا ثم قال لرسوله ولأمته تبعية اذا تبين الحق وظهرت الوحدانية (فأقم وجهك للدين) أى سدّده نحوه غير مائل الى غيره من الاديان الباطلة (فطرت الله) أى الزموها أو عليكم بها قال جار الله انما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله (منيبين) وهو حال منهم ولان الامر والنهى بعده معطوفان عليه لكنك قد عرفت فى الوقوف أن هذا التقدير غير لازم وعلى ذلك يحتمل أن يقدر الزم أو عليك أو أخص أو أريد وأشباه ذلك وفطرة الله هى التوحيد الذى تشهد به العقول السليمة والنظر الصحيح كما جاء فى الحديث النبوى كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه وينصرانه ويحتمل أن تكون الفطرة اشارة الى أخذ الميثاق من الذر وقوله (لا تبديل لخلق الله) نفى فى معنى النهى أى لا تبدّلوا خلقه الذى فطركم عليه لكن الايمان الفطرى غير كاف وقيل هو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم حيث لم يؤمن قومه فكأنه قال انهم أشقياء ومن كتب شقيا لم يسعد وقيل أراد أن الخلق لا خروج لهم عن عبوديته بخلاف مماليك الانسان فانهم قد يخرجون من أيديهم بالبيع والعتق وفيه فساد قول من زعم أن العبادة لتحصيل الكمال فاذا كمل العبد لم يبق عليه تكليف وفساد قول الصابئة وبعض أهل الشك ان الناقص لا يصلح لعبادة الله وانما الانسان عبد الكواكب والكواكب عبيد الله وفساد قول النصارى والحلولية ان الله يحل فى بعض الاشخاص كعيسى وغيره فيصير الها ومعنى (فرقوا دينهم وكانوا شيعا) قد مر فى آخر الانعام وأنهم فرق كل واحدة تشايع اماما الذى أضلها

قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله الذى خلقكم من ضعف أى من نطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا الهرم وشيبة الشمط وقوله يخلق ما يشاء يقول تعالى ذكره يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشباب وشيب وهو العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشاء لا يمتنع عليه شئ أراده فكما فعل هذه الاشياء فكذلك يميت خلقه ويحييهم اذا شاء يقول واعلموا أن الذى فعل هذه الأفعال بقدرته يحيى الموتى اذا شاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون) يقول تعالى ذكره ويوم تجىء ساعة البعث فيبعث الخلق من قبورهم يقسم المجرمون وهم الذين كانوا يكفرون بالله فى الدنيا ويكتسبون فيها الآثام واقسامهم حلفهم بالله ما لبثوا غير ساعة يقول يقسمون بأنهم لم يلبثوا فى قبورهم غير ساعة واحدة يقول الله جل ثناؤه كذلك فى الدنيا كانوا يؤفكون يقول كذبوا فى قيلهم وقسمهم ما لبثنا غير ساعة كما كانوا فى الدنيا يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون أى يكذبون فى الدنيا وانما يعنى بقوله يؤفكون عن الصدق ويصدّون عنه الى الكذب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) كان قتادة يقول هذا من المقدم الذى معناه التأخير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث قال هذا من مقاديم الكلام وتأويلها وقال الذين أوتوا الايمان والعلم لقد لبثتم فى كتاب الله * وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول معنى ذلك وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله والايمان بالله وكتابه وقوله فى كتاب الله يقول فيما كتب الله مما سبق فى علمه أنكم تلبثونه فهذا يوم البعث يقول فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم ولكنكم كنتم لا تعلمون يقول ولكنكم كنتم لا تعلمون فى الدنيا أنه يكون وأنكم مبعوثون من بعد الموت فلذلك كنتم تكذبون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون) يقول تعالى ذكره فيوم يبعثون من قبورهم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم يعنى المكذبين بالبعث فى الدنيا معذرتهم وهو قولهم ما علمنا أنه يكون ولا أنا نبعث ولا هم يستعتبون يقول ولا هؤلاء الظلمة يسترجعون يومئذ عما كانوا يكذبون به فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون) يقول تعالى ذكره ولقد مثلنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم وتنبيها لهم على وحدانية الله وقوله ولئن جئتهم بآية يقول ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية يقول بدلالة على صدق ما تقول ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون يقول ليقولن الذين جحدوا رسالتك وأنكروا نبوّتك ان أنتم أيها المصدّقون محمدا فيما أتاكم به الا مبطلون فيما تجيئوننا به من هذه الأمور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) يقول تعالى ذكره كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العبر والعظات والآيات البينات فلا يفقهون عن الله

وقال أهل التحقيق بعضهم يعبد الدنيا و بعضهم يعبد الهوى و بعضهم يريد الجنة و بعضهم يطلب الخلاص من النار ومعنى (كل حزب بما لديهم فرحون) قد مر في المؤمنين وجوز (٣٨) جار الله أن يكون من الذين منقطعا عما قبله وكل حزب مبتدأ و (فرحون) صفة كل

حججه ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه فهم لذلك في طغيانهم يترددون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ يقول تعالى ذكره فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم و بلغهم رسالة ربك فان وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم والظفر بهم وتمكينك وتمكين أصحابك وتباعك في الأرض حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون يقول ولا يستخفن حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدقون بالبعث بعد الممات فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلفك من تبليغهم رسالته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سعيد بن جبير عن علي بن ربيعة أن رجلا من الخوارج قرأ خلف علي رضي الله عنه لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فقال علي فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون * قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن علي بن ربيعة قال نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر فقال ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون قال قال رجل من الخوارج خلف علي في صلاة الغداة ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فأنصت له علي رضي الله عنه حتى فهم ما قال فأجابه وهو في الصلاة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

آخر تفسير سورة الروم

﴿ تفسير سورة لقمان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ وقد تقدم بياننا تأويل قول الله تعالى ذكره الم وقوله تلك آيات الكتاب الحكيم يقول جل ثناؤه هذه آيات الكتاب الحكيم بيانا وتفصيلا وقوله هدى ورحمة يقول هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله رحم به من اتبعه وعمل به من خلقه وبنصب الهدى والرحمة على القطع من آيات الكتاب قرأت قراء الأمصار غير حمزة فانه قرأ ذلك رفعا على وجه الاستئناف اذ كان منقطعا عن الآية التي قبلها بأنه ابتداء آية وأنه مدح والعرب تفعل ذلك فيما كان من نعوت المعارف وقع موقع الحال اذا كان فيه معنى مدح أو ذم وكلتا القراءتين صواب عندي وان كنت الى النصب أميل لكثرة القراء به وقوله للمحسنين وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن يقول تعالى ذكره هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه الذين يقيمون الصلاة يقول الذين يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها ويؤتون الزكاة من

ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب بصفة كذا والله أعلم ۞ التأويل الالف ألفة طبع المؤمنين واللام لوم طبيعة الكافرين والميم مغفرة رب العالمين فمن الالفة أحبوا أهل الكتاب ومن اللوم أبغضهم الكافرون ومغفرة رب العالمين شملت الفريقين حتى قال ان الله يغفر الذنوب جميعا الا أن يكون هناك مخصص ثم أشار الى أن حال أهل الطلب يتغير بتغير الاوقات فيغلب فارس النفس روم القلب تارة وسيغلب روم القلب فارس النفس بتأييد الله ونصره في بضع سنين من أيام الطلب ويومئذ يفرح المؤمنون وهم الروح والسر والعقل أولم يتفكروا في استعداد أنفسهم ما خلق الله السموات الروحانية والارض النفسانية الا ليكون مظهرا للحق ولاجل مسمى بالصبر والثبات في تصفية مرآة القلوب عن صدا الاوصاف الذميمة النفسانية والاجل المسمى هو أوان صفاء القلب متوجها الى الحق أولم يسيروا في أرض البشرية بالسلوك لتبديل الاخلاق والذين من قبلهم هم الفلاسفة والبراهمة المعتمدون على مجرد البراهين من غير اعتبار الشرائع والسوأى هي أن صاروا أئمة الكفر والضلال الله يبدأ الخلق بتصيير النفس متعلقة بالقالب ثم يعيده بطريق السير والسلوك والعبور عن المنازل والمقامات الى عالم الارواح ثم اليه ترجعون بجذبة ارجعي ويوم تقوم الساعة الارادة يبلس المجرمون بتضييع الاوقات في طلب ما سوى الله ويوم تقوم الساعة قيامة العشق يومئذ تتفرق المحبون جعلها فبعضهم يطلب الجنة وبعضهم يطلب الوصلة وبعضهم يريد الوحدة فسبحان الله حين تغلبون على ليل نيل الشهوات وحين صباح نهار

تجلى شموس الوصال وله الحمدان كنتم في سموات القربات أو أرض البعد والغفلات وسبحانه في عشاء غشاء القساوة وفي حالة استواء شمس المعرفة في وسط سماء القلب فان الربح والخسران في كلتا الحالتين راجع الى الطائفتين والله منزه عن العالمين يخرج القلب

جعلها الله له المفروضة في أموالهم وهم بالآخرة هم يوقنون يقول يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك في الآخرة يوقنون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور وأولئك هم المفلحون يقول وهؤلاء هم المنجحون المدركون ما رجوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث فقال بعضهم من يشتري الشراء المعروف بالثمن ورووا بذلك خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن خلاد الصفار عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وفيهن نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن خلاد الصفار عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه الا أنه قال أكل ثمنهن حرام وقال أيضا وفيهن أنزل الله علي هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله حدثني عبيد بن آدم بن أبي اياس العسقلاني قال ثنا أبي قال ثنا سليمن بن حيان عن عمرو بن قيس الكلابي عن أبي المهلب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة * قال وثنا اسمعيل بن عياش عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن ولا شراؤهن وثمنهن حرام وقد نزل تصديق ذلك في كتاب الله ومن الناس من يشتري لهو الحديث الى آخر الآية * وقال آخرون بل معنى ذلك من يختار لهو الحديث ويستحبه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم والله لعله أن لا ينفق فيه مالا ولكن اشتراؤه استحبابه بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق وما يضر على ما ينفع حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا ابن شوذب عن مطر في قول الله ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال اشتراؤه استحبابه * وأولى التأويلين عندي بالصواب تأويل من قال معناه الشراء الذي هو بالثمن وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه * فان قال قائل وكيف يشتري لهو الحديث قيل يشتري ذات لهو الحديث أو ذا لهو الحديث فيكون مشتريا لهو الحديث وأما الحديث فان أهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم هو الغناء والاستماع له ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يزيد بن يونس عن أبي صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسئل عن هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم فقال عبد الله الغناء والذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات حدثنا عمرو بن علي قال ثنا صفوان بن عيسى قال أخبرنا

الحي بنور الله من النفس الميتة في ظلمات صفاتها ابرازا للطفه ويخرج القلب الميت عن الاخلاق الحميدة من النفس الحية بالصفات الحيوانية اظهارا لقهره ويحيي أرض القلوب بعد موتها وكذلك تخرجون بدأ واعادة فمن آياته خلق سموات القلوب وأرض النفوس واختلاف ألسنة القلوب وألسنة النفوس فلسان القلب يتكلم بلغة العلويات ولسان النفس يتكلم بلغات السفليات واختلاف ألوانكم وهي الطبائع المختلفة منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ومنكم من يريد الله ومن آياته منامكم في ليل البشرية وابتغاؤكم من فضله في نهار الروحانية والمكاشفات الربانية لقوم يسمعون كلام الله من شجرة الوجود ويريكم بروق شواهد الحق ثم اللوامع ثم الطوالع فتلك الانوار ترى شهوات الدنيا نيرانا فيخاف منها وترى مكاره التكاليف جنانا فيطمع فيها أن تقوم سماء النفس وأرض القلب بأمره لأن الروح من أمره ثم اذا دعاكم بجذبة ارجعي اذا أنتم يعني النفس والقلب والروح تخرجون من أنانية وجودكم وهو أهون عليه لأنه في البداية كان مباشرا بنفسه وفي الاعادة يكون المباشر اسرافيل بنفخه والمباشرة بنفس الغير في العمل أهون من المباشرة بنفسه عند نظر الخلق ويحتمل أن يكون أهون من الهون بالضم وهو الذلة والضمير للخلق وذلك أنهم في البداية لم يكونوا ملوثين بلوث الحدوث ولا مدنسين بأدناس الشرك والمعاصي فلعزتهم في البداية باشر خلقهم بنفسه ولهونهم في الاعادة باشرهم بغيره وله المثل الأعلى فيما أودع من الآيات في سموات الأرواح وأرض القلوب ضرب لكم أي للروح والقلب والسر والعقل مما ملكت أيمانكم

من الاعضاء والجوارح والحواس والقوى فيما رزقنا كم من العلوم والكشوف تخافونهم أن لا يضيعوا شيأ من المواهب بالتصرفات الفاسدة كخيفتكم انفسكم أى كخيفة الروح من القلب (٤٠) أن لا يضيع شيأ منها بأن يصرفها فى غير موضعها رياء وسمعة وهوى أو كخيفة القلب من السر والعقل بأن يصرفها فيما يفسد العقائد ويوقع فى الشكوك فكما لا يصلح هؤلاء لشركتكم فكذلك لا تصلحون أنتم لشركتى اذا تجليت عليكم فدعوى الاتحاد والحلول باطلة والكبرياء ردائى لا غير ﴿واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم

حميد الخراط عن عمار عن سعيد بن جبير عن أبى الصهباء أنه سأل ابن مسعود عن قول الله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء حدثنا أبو كريب قال ثنا على بن عابس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء حدثنا عمرو ابن على قال ثنا عمران بن عيينة قال ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء وأشباهه حدثنا ابن وكيع والفضل بن الصباح قالا ثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال هو الغناء ونحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عمرو ابن أبى قيس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطى قال ثنا عبيد الله قال ثنا ابن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال هو الغناء والاستماع له يعنى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث حدثنا الحسن بن عبد الرحيم قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا سفيان عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن جابر فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال هو الغناء والاستماع له حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن الحكم أو مقسم عن مجاهد عن ابن عباس قال شراء المغنية حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص والمحاربى عن ليث عن الحكم عن ابن عباس قال الغناء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال باطل الحديث هو الغناء ونحوه حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن مجاهد ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن مهدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حبيب عن مجاهد قال الغناء * قال ثنا أبى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن عبد الكريم عن مجاهد ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال هو الغناء وكل لعب ولهو حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطى قال ثنا على بن حفص الهمدانى قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء والاستماع له وكل لهو حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال المغنى والمغنية بالمال الكثير أو استماع اليه أو الى مثله من الباطل حدثنى يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال هو الغناء أو الغناء منه أو الاستماع له حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن على عن اسمعيل بن أبى خالد عن شعيب بن يسار عن عكرمة قال لهو الحديث الغناء حدثنى عبيد بن اسمعيل الهبارى قال ثنا عثام عن اسمعيل ابن أبى خالد عن شعيب بن يسار هكذا قال عكرمة عن عبيد مثله حدثنا الحسين بن الزبرقان النخعى قال ثنا أبو أسامة وعبيد الله عن أسامة عن عكرمة فى قوله ومن الناس من يشترى لهو

الحديث

من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا (٤١) فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا أن أنتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾ القراآت آتيتم من ربا مقصورا ابن كثير لتربوا بضم التاء وسكون الواو على الجمع أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب لنذيقهم بالنون ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل يرسل الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف كسفا بالسكون يزيد وابن ذكوان آثار على الجمع ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد ضعف وما بعده بفتح الضاد حمزة وعاصم غير للمفضل الباقون

الحديث قال الغناء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال الغناء * وقال آخرون عنى باللهو الطبل ذكر من قال ذلك حدثنى عباس بن محمد قال ثنا حجاج الأعور عن ابن جريج عن مجاهد قال اللهو الطبل * وقال آخرون عنى بلهو الحديث الشرك ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث يعنى الشرك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا قال هؤلاء أهل الكفر ألا ترى الى قوله واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فليس هكذا أهل الاسلام قال وناس يقولون هى فيكم وليس كذلك قال وهو الحديث الباطل الذى كانوا يلغون فيه * والصواب من القول فى ذلك أن يقال عنى به كل ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله لأن الله تعالى عم بقوله لهو الحديث ولم يخصص بعضا دون بعض فذلك على عمومه حتى يأتى ما يدل على خصوصه والغناء والشرك من ذلك وقوله ليضل عن سبيل الله يقول ليصد ذلك الذى يشترى من لهو الحديث عن دين الله وطاعته وما يقرب اليه من قراءة قرآن وذكر الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ليضل عن سبيل الله قال سبيل الله قراءة القرآن وذكر الله اذا ذكره وهو رجل من قريش اشترى جارية مغنية وقوله بغير علم يقول فعل ما فعل من اشترائه لهو الحديث جهلا منه بماله فى العاقبة عند الله من وزر ذلك وإثمه وقوله ويتخذها هزوا اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ويتخذها رفعا عطفا به على قوله يشترى كأن معناه عندهم ومن الناس من يشترى لهو الحديث ويتخذ آيات الله هزوا * وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ويتخذها نصبا عطفا على يضل بمعنى ليضل عن سبيل الله وليتخذها هزوا * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فى قراء الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته والهاء والالف فى قوله ويتخذها من ذكر سبيل الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ويتخذها هزوا قال سبيل الله * وقال آخرون بل ذلك من ذكر آيات الكتاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق وما يضر على ما ينفع ويتخذها هزوا يستهزئ بها ويكذب بها وهما من أن يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندى لقربهما منها وان كان القول الآخر غير بعيد من الصواب واتخاذه ذلك هزوا هو استهزاؤه به وقوله أولئك لهم عذاب مهين يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله لهم يوم القيامة عذاب مذل مخز فى نار جهنم

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هذا الذى اشترى لهو الحديث للاضلال

بالضم وهو اختيار خلف وحفص لا ينفع بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم والآخرون بتاء التأنيث لا يستخفنك بالنون الخفيفة رويس عن يعقوب ۞ الوقوف يشركون ه لا (٤٣) وقد يوقف على توهم لام الأمر آتيناهم ط للعدول الى الخطاب وابتداء أمر التهديد

عن سبيل الله آيات كتاب الله فقرئت عليه ولى مستكبرا يقول أدبر عنها واستكبر استكبارا وأعرض عن سماع الحق والاجابة عنه كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا يقول ثقلا فلا يطيق من أجله سماعه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله في أذنيه وقرا قال ثقلا وقوله فبشره بعذاب أليم يقول تعالى ذكره فبشر هذا المعرض عن آيات الله اذا تليت عليه استكبارا بعذاب له من الله يوم القيامة موجع وذلك عذاب النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين آمنوا بالله فوحدوه وصدقوا رسوله واتبعوه وعملوا الصالحات يقول فأطاعوا الله فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله وانتهوا عما نهاهم عنه لهم جنات النعيم يقول لهؤلاء بساتين النعيم خالدين فيها يقول ماكثين فيها الى غير نهاية وعد الله حقا يقول وعدهم الله وعدا حقا لا شك فيه ولا خلف له وهو العزيز يقول وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به والصادين عن سبيله الحكيم في تدبير خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ يقول تعالى ذكره ومن حكمته أنه خلق السموات السبع بغير عمد ترونها وقد ذكرت فيما مضى اختلاف أهل التأويل في معنى قوله بغير عمد ترونها وبينا الصواب من القول في ذلك عندنا وقد حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاذ بن معاذ عن عمران بن حدير عن عكرمة عن ابن عباس بغير عمد ترونها قال لعلها بعمد لا ترونها * وقال ثنا العلاء بن عبد الجبار عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد قال انها بعمد لا ترونها * قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لعلها بعمد لا ترونها حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد عن سماك عن عكرمة في هذا الحرف خلق السموات بغير عمد ترونها قال ترونها بغير عمد وهي بعمد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة خلق السموات بغير عمد ترونها قال قال الحسن وقتادة انها بغير عمد ترونها ليس لها عمد وقال ابن عباس بغير عمد ترونها قال لها عمد لا ترونها وقوله وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم يقول وجعل على ظهر الأرض رواسي وهي ثوابت الجبال أن تميد بكم أن لا تميد بكم يقول أن لا تضطرب بكم ولا تحرك يمنة ولا يسرة ولكن تستقر بكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وألقى في الأرض رواسي أي جبالا أن تميد بكم أثبتها بالجبال ولولا ذلك ما أقرت عليها خالقا وذلك كما قال الراجز * والمهر يأبى أن يزال ملهبا * بمعنى لا يزال وقوله وبث فيها من كل دابة يقول وفرق في الأرض من كل أنواع الدواب وقيل الدواب اسم لكل ما أكل وشرب وهو عندي لكل ما دب على الأرض وقوله وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم يقول تعالى ذكره وأنزلنا من السماء مطرا فأنبتنا بذلك المطر في الأرض من كل زوج يعني من كل نوع من النبات كريم وهو الحسن النبتة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كل زوج كريم أي حسن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين﴾ يقول

فتمتعوا قف لاستئناف التهديد تعلمون ه يشركون ه بها ج ط فصلا بين النقيضين يقنطون ه ويقدر ج يؤمنون ه وابن السبيل ط وجه الله ز ط المفلحون ه عند الله ج ط لعطف جملتي الشرط المضعفون ه يحييكم ط شئ ط يشركون ه يرجعون ه من قبل ط مشركين ه يصدعون ه كفره ج لما مر يمهدون ه لا وقد يوقف على جعل اللام للقسم وحذف نون التأكيد من فضله ه الكافرين ه تشكرون ه أجرموا ط وقيل يوقف على حقا أي وكان الانتقام حقا ثم ابتدأ علينا أي واجب علينا نصر المؤمنين ه خلاله ط ج للشرط مع الفاء يستبشرون ه لمبلسين ه موتها ط الموتى ج لاتفاق الجملتين مع العدول عن بيان الاحياء الى بيان القدرة قدير ه يكفرون ه مدبرين ه ضلالتهم ط مسلمون ه وشيبة ط ما يشاء ج ط لاختلاف الجملتين مع اتحاد المقول القدير ه المجرمون ه لا لان ما بعده جواب القسم غير ساعة ط يؤفكون ه يوم البعث ز لاختلاف الجملتين مع اتحاد المقول لا تعلمون ه يستعتبون ه مثل ط مبطلون ه لا يعلمون ه لا يوقنون ه ۞ التفسير لما بين التوحيد بالدلائل وبالمثل بين أنه أمر وجداني يعرفونه في حال الضر والبلاء وان كانوا ينكرونه في حال الرحمة والرخاء وفي لفظي المس

والاذاقة دليل على أن الانسان قليل الصبر في حالتي الضراء والسراء وانما قال (اذا فريق منهم) ولم يقل اذا هم يشركون كما قال في آخر العنكبوت لأن الكلام هناك مع أهل الشرك وههنا مع الناس كلهم وليس كل الناس كذلك ثم استفهم على سبيل الانكار تعالى

تعالى ذكره هذا الذى عددت عليكم أيها الناس أنى خلقته فى هذه الآية خلق الله الذى له ألوهة كل شئ وعبادة كل خلق الذى لا تصلح العبادة لغيره ولا تنبغى لشئ سواه فأرونى أيها المشركون فى عبادتكم اياه من دونه من الآلهة والأوثان أى شئ خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه كما استحق ذلك عليكم خالقكم وخالق هذه الأشياء التى عددتها عليكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا خلق الله ماذكر من خلق السموات والأرض ومابث من الدواب وما أنبت من كل زوج كريم فأرونى ماذا خلق الذين من دونه الاصنام الذين تدعون من دونه وقوله بل الظالمون فى ضلال مبين يقول تعالى ذكره ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيأ ولكنهم دعاهم الى عبادتها ضلالهم وذهابهم عن سبيل الحق فهم فى ضلال يقول فهم فى جور عن الحق وذهاب عن الاستقامة مبين يقول يبين لمن تأمله ونظر فيه وفكر بعقل أنه ضلال لا هدى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا لقمان الفقه فى الدين والعقل والاصابة فى القول * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة قال الفقه والعقل والاصابة فى القول من غير نبوة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة أى الفقه فى الاسلام قال قتادة ولم يكن نبيا ولم يوح اليه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن مجاهد فى قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة قال الحكمة الصواب وقال غير أبى بشر الصواب فى غير النبوة حدثنا ابن المثنى ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال كان لقمان رجلا صالحا ولم يكن نبيا حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى وابن حميد قالا ثنا حكام عن سعيد الزبيدى عن مجاهد قال كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بنى اسرائيل حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن مجاهد قال كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين حدثنى عباس بن محمد قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا سليمن بن بلال قال ثنى يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب يقول كان لقمان الحكيم أسود من سودان مصر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشيا حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنا أبى قال ثنا الاوزاعى قال ثنا عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد لا تحزن من أجل أنك أسود فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى الأشهب عن خالد الربعى قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال أخرج أطيب

قائلا (أم أنزلنا) كأنه قال اذا تقررت الحجج المذكورة فماذا يقولون أيتبعون أهواءهم بغير علم أم لهم دليل على ما يقولون واسناد التكلم الى الدليل مجاز كما تقول نطقت الحال بكذا وما فى قوله (بما كانوا) مصدرية (٤٣) والضمير فى (به) لله أو موصولة والضمير لها أى بالامر الذى بسببه يشركون ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى ذا سلطان وهو الملك فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه (يشركون) وحين ذكر الشرك الظاهر أتبعه ذكر الخفى وهو أن تكون عبادة الله للدنيا فاذا أتاه بهواه رضى واذا منع وتعسر سخط وقنط والرحمة المطر والصحة والأمن وأمثالها والسيئة أضداد ذلك وانما لم يذكر سبب الرحمة ليعلم أنها بفضله وذكر سبب السيئة وهو شؤم معاصيهم ليدل على عدله والفرح بالنعمة مذموم اذا كان مع قطع النظر عن المنعم فاذا كان مع ملاحظة المنعم فمحمود بل الفرح الكلى يجب أن يكون بالمنعم والقنوط من رحمة الله أيضا مذموم كما مر فى قوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ثم أشار بقوله (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) الى أن الكل من الله فيجب أن يكون نظر المحقق فى الحالين على الله ففى حالة الرحمة يشتغل بالشكر وفى حالة الضراء لا ينسب الله الى عدم القدرة والى عدم العناية بحال العبد بل يشتغل بالتوبة والانابة الى أوان الفرج والنصر وهذه مرتبة المؤمن الموحد فلذلك قال (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) ولا يخفى أن بسط الرزق مما يشاهد ويرى فلذلك قال أولم يروا وقال فى الزمر أولم يعلموا مناسبة لما قبله وهو أوتيته على علم وقوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) قال جار الله لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك قائلا (فآت ذا القربى حقه) الآية وأقول لما بين كيفية التعظيم لامر الله أشار الى الشفقة على خلق الله قائلا فآت أيها المكلف أو النبى والامة يتبعونه لا محالة

كما مر في قوله فأقم وجهك وفيه أن الله اذا بسط الرزق فلا ينقص بالانفاق واذا ضيق لم يزدد بالامساك فينبغي ان لا يتوقف الانسان في الاحسان وفي تخصيص الاصناف الثلاثة بالذكر دلالة على أنهم أولى بالاشفاق عليهم من سائر الاصناف وانما قال ذا القربى ولم يقل القريب ليكون نصا في معناه ولا يشتبه بالقرب المكاني وفيه أن القرابة أمر له دوام بخلاف المسكنة وكونه من أبناء السبيل وفي قوله فآت ذا القربى حقه دون أن يقول فآت هذه الاصناف حقوقهم تشريف لذوي القرابة حيث جعل الصنفين الآخرين تابعا لهم على الاطلاق فانه اذا قال الملك خل فلانا يدخل وفلانا أيضا كان أدخل في التعظيم من أن يقول خل فلانا وفلانا يدخلان (ذلك) الايتاء (خير) في نفسه أو خير من المنع (للذين يريدون وجه الله) أي ذاته أو جهة قربته فان من أنفق ألوفا رياء وسمعة لم ينل درجة من أنفق رغيفا لوجه الله (وأولئك هم المفلحون) كقوله في أول البقرة لأن قوله فأقم وجهك اشارة الى الايمان بالغيب وغيره أو الى اقامة الصلاة وقوله وآت ذا القربى أمر بالزكاة بل بالصدقة المطلقة وفي قوله يريدون وجه الله اشارة الى الاعتراف بالمعاد ثم أراد أن يعظم شأن الصدقة فضم الى ذلك تقبيح أمر الربا استطرادا فمن قرأ ممدودا فظاهر ومن قرأ مقصورا فهو من الاتيان أي وما غشيتموه أو أصبتموه من اعطاء ربا ليربو أي ليزيد في أموال أكلة الربا وفي القراءة الاخرى ليزيد في أموالهم (فلا يربو) فلا يزكو ولا ينمو (عند الله) لأنه يمحق بركته نظيره ما مر في آخر البقرة يمحق الله الربا ويربي الصدقات قيل نزلت في ثقيف وكانوا يرابون وقيل نزلت في الهبة أو الاهداء لاجل عوض زائد فبين الله تعالى أن ذلك لا يوجب الثواب عند الله وان كان مباحا وفي الحديث الجانب المستغزر يثاب من هبته أي الرجل الغريب اذا أهدى شيئا فانه ينبغي أن يزاد في عوضه

مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ثم مكث ما شاء الله ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال أخرج أخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب فقال له مولاه أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما فقال له لقمان انه ليس من شيء أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو بن قيس قال كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فأتاه رجل وهو في مجلس أناس يحدثهم فقال له ألست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد ولقد آتينا لقمان الحكمة قال القرآن * قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الحكمة الأمانة * وقال آخرون كان نبيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة قال كان لقمان نبيا وقوله أن اشكر لله يقول تعالى ذكره ولقد آتينا لقمان الحكمة أن احمد الله على ما آتاك من فضله وجعل قوله أن اشكر ترجمة عن الحكمة لأن من الحكمة التي كان أوتيها كان شكره الله على ما آتاه وقوله فمن يشكر فانما يشكر لنفسه يقول ومن يشكر الله على نعمه عنده فانما يشكر لنفسه لأن الله يجزل له على شكره اياه الثواب وينقذه به من الهلكة ومن كفر فان الله غني حميد يقول ومن كفر نعمة الله عليه الى نفسه أساء لأن الله معاقبه على كفرانه اياه والله غني عن شكره اياه على نعمه لا حاجة به اليه لأن شكره اياه لا يزيد في سلطانه ولا ينقص كفرانه اياه من ملكه ويعني بقوله حميد محمود على كل حال له الحمد على نعمه كفر العبد نعمته أو شكره عليها وهو مصروف من مفعول الى فعيل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك بالله لظلم عظيم يقول لخطأ من القول عظيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الى المصير ﴾ يقول تعالى ذكره وأمرنا الانسان ببر والديه حملته أمه وهنا على وهن يقول ضعفا على ضعف وشدة على شدة ومنه قول زهير

فلن يقولوا بحبل واهن خلق * لو كان قومك في أسبابه هلكوا

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا في المعني بذلك فقال بعضهم عني به الحمل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن يقول شدة بعد شدة وخلقا بعد خلق حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وهنا على وهن يقول ضعفا على ضعف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حملته أمه وهنا على وهن أي جهدا على جهد * وقال آخرون بل عني به وهن الولد وضعفه على ضعف الأم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهنا على وهن قال وهن الولد على وهن الوالدة وضعفها وقوله

وفصاله

قال جار الله في قوله (فأولئك) التفات حسن كأنه قال ذلك لخواصه وملائكته وهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون أي ذوو الاضعاف من الحسنات نظيره المقوى والموسر لذوي القوة واليسار والرابط محذوف أي هم المضعفون به وجوّز في الكشاف أن يراد

وفصاله في عامين يقول وفطامه في انقضاء عامين وقيل وفصاله في عامين وترك ذكر انقضاء اكتفاء بدلالة الكلام عليه كما قيل واسأل القرية التي كنا فيها يراد به أهل القرية وقوله أن اشكرلي ولوالديك يقول وعهدنا اليه أن اشكرلي على نعمي عليك ولوالديك تربيتهما اياك وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك وقوله الى المصير يقول الى الله مصيرك أيها الانسان وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك وعما كان من شكرك لوالديك وبرك بهما على ما لقيا منك من العناء والمشقة في حال طفوليتك وصباك وما اصطنعا اليك في برهما بك وتحننهما عليك وذكر أن هذه الآية نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص وأمه ذكر الرواية الواردة في ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد قال حلفت أم سعد أن لا تأكل ولا تشرب حتى يتحوّل سعد عن دينه قال فأبى عليها فلم تزل كذلك حتى غشي عليها قال فأتاها بنوها فسقوها قال فلما أفاقت دعت الله عليه فنزلت هذه الآية ووصينا الانسان بوالديه الى قوله في الدنيا معروفا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قالت أم سعد لسعد أليس الله قد أمر بالبرّ فوالله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر قال فكانوا اذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصا ثم أوجروها فنزلت هذه الآية ووصينا الانسان بوالديه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن سماك بن حرب قال قال سعد بن مالك نزلت فيّ وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا قال لما أسلمت حلفت أمي لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا قال فناشدتها أول يوم فأبت وصبرت فلما كان اليوم الثاني ناشدتها فأبت فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت فقلت والله لو كانت لك مائة نفس لخرجت قبل أن أدع ديني هذا فلما رأت ذلك وعرفت أني لست فاعلا أكلت حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت أبا هبيرة يقول قال نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب اليّ ثم اليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وان جاهدك أيها الانسان والداك على أن تشرك بي في عبادتك اياي معي غيري مما لا تعلم أنه لي شريك ولا شريك له تعالى ذكره علوا كبيرا فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي وصاحبهما في الدنيا معروفا يقول وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه فيما بينك وبين ربك ولا اثم وقوله واتبع سبيل من أناب اليّ يقول واسلك طريق من تاب من شركه ورجع الى الاسلام واتبع محمدا صلى الله عليه وسلم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتبع سبيل من أناب اليّ أي من أقبل اليّ وقوله اليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون فان اليّ مصيركم ومعادكم بعد مماتكم فأخبركم بجميع ما كنتم في الدنيا تعملون من خير وشر ثم أجازيكم على أعمالكم المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته فان قال لنا قائل ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه قيل ذلك أيضا وان كان خبرا من الله تعالى ذكره عن وصيته

فمؤتوه أولئك هم المضعفون قالت العلماء أراد الاضعاف في الثواب لا في المقدار فليس من أعطى رغيفا فان الله يعطيه عشرة أرغفة وانما المراد أن الرغيف الواحد لو اقتضى أن يكون ثوابه قصرا في الجنة فان الله تعالى يعطيه عشرة قصور تفضلا ثم عاد الى بيان التوحيد مرة أخرى بتذكير الخلق والرزق والاماتة والاحياء بعدها نظرا الى الدلائل ثم طلب منهم الانصاف بقوله (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) قال جار الله من الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم قلت الاولى للتبعيض كأنه أقام فعل البعض مقام فعل الكل توسعة على الخصم والثالثة لتأكيد الاستفهام والمتوسطة للابتداء ولكنه يفيد أنه رضي منهم بشيء واحد من تلك الأشياء للتوسعة المذكورة أيضا ثم بين أن الشرك وسائر المعاصي سبب ظهور الفساد في البر والبحر وذلك لقلة المنافع وكثرة المضار ومحق البركات من كل شيء وفسره ابن عباس باجداب البر وانقطاع مادة البحر وتموجه بمائه وعن الحسن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على سواحله وقال عكرمة العرب تسمي الأمصار بحارا (لنذيقهم) وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن نعاقبهم بجميعها في الآخرة ارادة أن يرجعوا عما هم عليه وجوّز جار الله أن يراد ظهر الشر والمعاصي في الارض برا وبحرا بكسب الناس وعلى هذا فاللام في قوله لنذيقهم لام العاقبة ثم أمرهم بالنظر في حال أشكالهم الذين كانت أفعالهم كأفعالهم كقوم نوح وعاد وثمود (كان أكثرهم مشركين) فيه اشارة الى أن بعضهم كانوا مرتكبي ما دون الشرك من المعاصي ولكنهم

عباده به وأنه انما أوصى به لقمان ابنه فكان معنى الكلام واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنىّ لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ولا تطع فى الشرك به والديك وصاحبهما فى الدنيا معروفا فان الله وصى بهما فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله وفيه هذا المعنى فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ﴾ اختلف أهل العربية فى معنى الهاء والالف اللتين فى قوله انها فقال بعض نحويى البصرة ذلك كناية عن المعصية والخطيئة ومعنى الكلام عنده يا بنىّ ان المعصية ان تك مثقال حبة من خردل أوان الخطيئة وقال بعض نحويى الكوفة هذه الهاء عماد وقال أنث تك لانه يراد بها الحبة فذهب بالتأنيث اليها كما قال الشاعر

وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

وقال صاحب هذه المقالة يجوز نصب المثقال ورفعه قال فمن رفع رفعه بتك واحتملت النكرة أن لا يكون لها فعل فى كان وليس وأخواتها ومن نصب جعل فى تكن اسما مضمرا مجهولا مثل الهاء التى فى قوله انها ان تك قال ومثله قوله فانها لا تعمى الابصار قال ولو كان ان يك مثقال حبة كان صوابا وجاز فيه الوجهان وأما صاحب المقالة الأولى فان نصب مثقال فى قوله على أنه خبر وتمام كان وقال رفع بعضهم فجعلها كان التى لا تحتاج الى خبر * وأولى القولين بالصواب عندى القول الثانى لأن الله تعالى ذكره لم يعد عباده أن يوفيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم فيقال ان المعصية ان تك مثقال حبة من خردل يأت بها الله بل وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالها فاذا كان ذلك كذلك كانت الهاء فى قوله انها بأن تكون عمادا أشبه منها بأن تكون كناية عن الخطيئة والمعصية وأما النصب فى المثقال فعلى أن فى تك مجهولا والرفع فيه على أن الخبر مضمر كأنه قيل ان تك فى موضع مثقال حبة لأن النكرات تضمر أخبارها ثم يترجم عن المكان الذى فيه مثقال الحبة وعنى بقوله مثقال حبة زنة حبة فتأويل الكلام اذا ان الأمر ان تك زنة حبة من خردل من خير أو شر عملته فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله يوم القيامة حتى يوفيك جزاءه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل من خير أو شر * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله فتكن فى صخرة فقال بعضهم عنى بها الصخرة التى عليها الأرض وذلك قول روى عن ابن عباس وغيره وقالوا هى صخرة خضراء ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن الأعمش عن المنهال عن عبد الله بن الحرث قال الصخرة خضراء على ظهر حوت حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن عبد الله وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله الأرض على حوت والحوت هو النون الذى ذكر الله فى القرآن ن والقلم وما يسطرون والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى السماء ولا فى الارض * وقال آخرون عنى بها الجبال قالوا ومعنى الكلام فتكن فى جبل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فتكن فى صخرة

سائر الملل والنحل (فأقم وجهك للدين) البليغ الاستقامة (من قبل أن يأتى) من الله (يوم) لا يردّه رادّ ويجوز أن يتعلق قوله من الله بقوله لا مردّ أى لا رادّ له من جهة الله فلا يقدر غيره على ردّه فلا دافع له أصلا (يومئذ يصدّعون) أى يتصدعون والتصدع التفرق ثم بين وجه تفرق الناس بقوله (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره عليه لا على غيره (ومن عمل صالحا) أى آمن وعمل صالحا لان العمل الصالح لا يتصوّر الا بعد الايمان على أن الايمان أيضا عمل صالح قلبىّ ولسانىّ وسيصرح به فى قوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومعنى (يمهدون) يوطؤن كما يسوّى الراقد مضجعه وجوّز جار الله أن يراد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم فى المشفق أمّ فرشت فأنامت وذلك أن الاشفاق يلزمه التمهيد عرفا وعادة ثم بين غاية التمهيد بقوله (ليجزى) وقوله (من فضله) عند أهل السنة ظاهر وحمله المعتزلة على شبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له أو الفضل بمعنى العطاء والثواب وفى قوله (انه لا يحب الكافرين) وعيد عظيم لهم لانه اذا لم يحبهم أرحم الراحمين فلا يتصوّر لهم خلاص من عذابه ولا مناص ولا رحمة من جهته ولا نعمة وفيه تعريض بأنه يحب المؤمنين ولا وعد أعظم من هذا ولا شرف فوق ذلك قال جار الله تكرير الذين آمنوا

وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين أى تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس قلت يشبه أن يكون مراده أنه ذكر الكافر أوّلا ثم المؤمن وفى الآية الثانية قرر أوّلا أمر المؤمن ثم أردفه

أي جبل وقوله يأت بها الله كان بعضهم يوجه معناه الى يعلمها الله ولا أعرف يأتي به بمعنى يعلمه الا أن يكون قائل ذلك أراد أن لقمان انما وصف الله بذلك لأن الله يعلم أماكنه لا يخفى عليه مكان شئ منه فيكون وجها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا أبو سفيان عن السدي عن أبي مالك فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله قال يعلمها الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن سفيان عن السدي عن أبي مالك مثله وقوله ان الله لطيف خبير يقول ان الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير بموضعها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله لطيف خبير أي لطيف باستخراجها خبير بمستقرها

۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لقمان لابنه يا بني أقم الصلاة بحدودها وأمر بالمعروف يقول وأمر الناس بطاعة الله واتباع أمره وانه عن المنكر يقول وانه الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه واصبر على ما أصابك يقول واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله اذا أنت أمرتهم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر ولا يصدنك عن ذلك ما نالك منهم ان ذلك من عزم الأمور يقول ان ذلك مما أمر الله به من الأمور عزما منه * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني حجاج عن ابن جريج في قوله يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك قال اصبر على ما أصابك من الأذى في ذلك ان ذلك من عزم الامور قال ان ذلك مما عزم الله عليه من الأمور يقول مما أمر الله به من الامور

۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور) اختلفت القراء في قراءة قوله ولا تصعر فقرأه بعض قراء الكوفة والمدنيين والكوفيين ولا تصعر على مثال تفعل وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قراء المدينة والكوفة والبصرة ولا تصاعر على مثال تفاعل والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ولا تعرض بوجهك عمن كلمته تكبرا واستحقارا لمن تكلمه وأصل الصعر داء يأخذ الابل في أعناقها أو رؤسها حتى تلفت أعناقها عن رؤسها فيشبه به الرجل المتكبر على الناس ومنه قول عمرو بن حيي التغلبي

وكنا اذا الجبار صعر خده * أقمناله من ميله فتقوما

واختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ولا تصعر خدك للناس يقول ولا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تصعر خدك للناس يقول لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تصعر قال الصدود والاعراض بالوجه عن الناس حدثني علي بن سهل قال ثنا زيد بن أبي الزرقاء عن جعفر بن برقان عن يزيد في هذه الآية ولا تصعر خدك للناس قال اذا كلمك الانسان

بتقرير أمر الكافر أو أراد أن قوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات دل بصريحه على ثواب المؤمن وبتعريضه على حرمان الكافر وقوله انه لا يحب الكافرين دل بصريحه على حرمان الكافر وبتعريضه على ثواب المؤمن فالاول طرد والثاني عكس وكل منهما مقسور للآخر وحين ذكر ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح وبين أنه من دلائل الوحدانية بقوله (ومن آياته أن يرسل الرياح) ولم يذكر أنه بسبب العمل الصالح لما مر من أن الكريم لا يذكر لاحسانه سببا ويذكر لاضراره سببا ومن قرأ على التوحيد فللدلالة على الجنس ومن قرأ على الجمع فالانه أراد الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة دون الدبور التي هي للعذاب واما لان أكثر الرياح نافعة والضارة كالسموم قليلة جدا لا تهب الا حينا واما لان الرياح اذا اجتمعت وتزاحمت وتراكمت حتى صارت ريحا واحدا أضرت بالاشجار والأبنية وقلعتها واذا تفرقت وصارت رياحا اعتدلت ونفعت قوله (مبشرات) أي المطر كقوله بشرا بين يدي رحمته وقيل أي بتصحيح الأهوية واصلاح الابدان وقوله (وليذيقكم) اما معطوف على ما قبله معنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم بعض رحمته لان راحات الدنيا زائلة لا محالة واما معطوف على محذوف أي وليكون كذا وكذا أرسلناها وفي قوله (بأمره) اشارة الى أن مجرد هبوب الريح لا يكفي في جريان الفلك ولكنها تجري باذن الله وجعله الريح على اعتدال وقوام وفي قوله (ولتبتغوا من فضله) دلالة على أن ركوب البحر لأجل التجارة جائز وفي قوله (ولعلكم تشكرون) اشارة الى أن نعم الله تعالى يجب أن تقابل بالشكر وانما بنى الكلام في هذه الآية على الخطاب بخلاف قوله لنذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون تشريفا لأهل الرحمة ورحمة الله قريب من المحسنين فكان من حقهم أن يخاطبوا ثم أشار الى أصل النبوة مع تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا) واختصر الكلام

فدل بذكر عاقبة الفريقين المجرم والمؤمن عليهما فعاقبة المجرمين الذين لم يصدقوا رسلهم الانتقام منهم وعاقبة الذين صدقوهم النصر والظفر على الاعداء وفى قوله (حقا علينا) تعظيم (٤٨) لأهل الايمان ورفع فى شأنهم والافلا يجب لاحد على الله شئ ثم أراد أن يشير الى الاصل الثالث وهو المعاد فمهد لذلك مقدمة منتزعة مما تقدم ذكره وهو بيان ارسال الرياح لاجل احداث السحاب الماطر المبسوطة بعضها على الاتصال والمتفرق بعضها كسفا أى قطعا وقوله (فترى الودق) اى المطر يخرج من خلاله قدمر فى النور ثم ذكر فى ضمن ذلك عجز الانسان وقلة ثباته وتوكله وقوله من قبله مكرر للتأكيد ومعناه الدلالة على أن عهدهم بالمطر تطاول فاستحكم بأسهم وتحقق ابلاسهم وقيل أراد أنهم من قبل نزول المطر أومن قبل ماذكرنا من ارسال الريح وبسط السحاب كانوا مبلسين وذلك أن عند رؤية السحب وهبوب الرياح قد يرجى المطر فلا يتحقق الابلاس ثم صرح بالمقصود قائلا (ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شئ) من الابداء والاعادة (قدير) ثم أكد تزلزل الانسان وتذبذبه وأنه بأدنى سبب يكفر بنعمة الله فقال (ولئن أرسلنا ريحا) ضارة باردة أو حارة (فرأوه) أى رأوا أثر الرحمة وهو النبات ومن قرأ آثار فالضمير عائد الى المعنى لان آثار الرحمة النبات أيضا واسم النبات يقع على القليل والكثير وانما قال (مصفرا) ولم يقل أصفر لان تلك الصفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر ثم زاد فى تسلية رسوله بقوله (فانك لاتسمع الموتى) الى قوله (فهم مسلمون) وقدمر فى آخر النمل ثم أعاد من دلائل التوحيد دليلا آخر من الأنفس وهو خلق الآدمى وذكر أحواله وأطواره وتقلبه من ضعف الطفولية الى قوة الشباب والكهولة ومنها الى ضعف الهرم وفى قوله قال خلقكم من ضعف اشارة الى أن أساس أمر الانسان الضعف كقوله خلق الانسان من عجل وقيل من ضعف اى من نطفة وهذا الترديد

لويت وجهك وأعرضت عنه محقرة له حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان الرقى عن جعفر بن ميمون بن مهران قال هو الرجل يكلم الرجل فيلوى وجهه حدثنا عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا أبو مكين عن عكرمة فى قوله ولاتصعر خدك للناس قال لاتعرض بوجهك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولاتصعر خدك للناس يقول لاتعرض عن الناس يقول أقبل على الناس بوجهك وحسن خلقك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولاتصعر خدك للناس قال تصعيرا لخد التجبر والتكبر على الناس ومحقرتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى مكين عن عكرمة قال الاعراض * وقال آخرون انما نهاه عن ذلك أن يفعله لمن بينه وبينه صعر لاعلى وجه التكبر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد ولاتصعر خدك للناس قال الرجل يكون بينه وبين أخيه الحنة فيراه فيعرض عنه حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله ولاتصعر خدك للناس قال هو الرجل بينه وبين أخيه حنة فيعرض عنه * وقال آخرون هو التشديق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن أبى جعفر الرازى عن مغيرة عن ابراهيم قال هو التشديق حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن المغيرة عن ابراهيم قال هو التشديق أو التشدق «الطبرى يشك» حدثنا يحيى بن طلحة قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم بمثله وقوله ولاتمش فى الأرض مرحا يقول ولاتمش فى الأرض مختالا كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولاتمش فى الأرض مرحا يقول بالخيلاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولاتصعر خدك للناس ولاتمش فى الأرض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور قال نهاه عن التكبر قوله ان الله لايحب كل مختال متكبر ذى فخر كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله كل مختال فخور قال متكبر وقوله فخور قال يعدد ما أعطى الله وهو لايشكر الله * القول فى تأويل قوله تعالى (واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) يقول وتواضع فى مشيك اذا مشيت ولاتستكبر ولاتستعجل ولكن اتئد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل غير أن منهم من قال أمره بالتواضع فى مشيه ومنهم من قال أمره بترك السرعة فيه ذكر من قال أمره بالتواضع فى مشيه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن جابر عن مجاهد واقصد فى مشيك قال التواضع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واقصد فى مشيك قال نهاه عن الخيلاء ذكر من قال نهاه عن السرعة حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن عبد الله بن عقبة عن يزيد بن أبى حبيب فى قوله واقصد فى مشيك قال من السرعة قوله واغضض من صوتك يقول واخفض من صوتك فاجعله قصدا اذا تكلمت كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واغضض من صوتك قال أمره بالاقتصاد فى صوته حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واغضض من صوتك

فى الاطوار المختلفة أظهر دليل على وجود الصانع العليم القــدير وقوله (يخلق مايشاء) كقوله فى دليل الآفاق فيبسطه فى السماء كيف يشاء والكل اشارة الى بطلان القول بالطبيعة المستقلة ثم عاد الى ذكر المعاد وأحوال القيامة وذكر أن الكفار يستقصرون مدة لبثهم

قال اخفض من صوتك واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ان أنكر الأصوات لصوت الحمير فقال بعضهم معناه ان أقبح الأصوات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبى عدى عن شــعبة وأبان بن تغلب قالا ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك ان أنكر الاصوات قال ان أقبح الاصوات لصوت الحمير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان أنكر الاصوات لصوت الحمير أى أقبح الاصوات لصوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق أمره بالاقتصاد فى صوته حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سـفيان قال سمعت الاعمش يقول ان أنكر الاصوات (١) صوت الحمير * وقال آخرون بل معنـى ذلك ان أشر الاصوات ذكر من قال ذلك حدثت عن يحيى بن واضح عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة والحكم بن عتيبة ان أنكر الاصوات قال أشر الاصوات * قال جابر وقال الحسن بن مسلم أشــد الاصـوات حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان أنكر الاصـوات لصوت الحمير قال لو كان رفع الصوت هو خيرا ماجعله للحمير * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه ان أقبح أو أشر الاصوات وذلك نظير قولهم اذا رأوا وجها قبيحا أو منظرا شنيعا ما أنكر وجه فلان وما أنكر منظره وأما قوله لصوت الحمير فأضـيف الصوت وهو واحد الى الحمير وهى جماعة فان لذلك وجهين ان شئت قلت الصوت بمعنى الجمع كما قيـل لذهب بسمعهم وان شئت قلت معنى الحمير معنى الواحد لأن الواحد فى مثل هذا الموضع يؤدى عمـا يؤدى عنه الجمع

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنــة ومن الناس من يجادل فى الله بغـير علم ولاهـدى ولا كتاب منير ﴾ يقول تعالى ذكره ألم تروا أيها النــاس أن الله سخر لكم مافى الســموات من شمس وقمر ونجم وسحاب ومافى الارض من دابة وشجر وماء وبحر وفلك وغير ذلك من المنــافع يجرى ذلك كله لمنــافعكم ومصالحكم لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذكم تمتعون ببعض ذلك كله وتنتفعون بجميعــه وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنــة واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض المكيين وعامة الكوفيين وأسبغ عليكم نعمته على الواحدة ووجهوا معناها الى أنه الاســلام أو الى أنها شهادة أن لا اله الا الله وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة نعمه على الجمــاع ووجهوا معنى ذلك الى أنها النعم التى سخرها الله للعباد ممـا فى السموات والارض واستشهدوا لصحة قراءتهـم ذلك كذلك بقوله شاكرا لأنعمه قالوا فهذا جمع النعم * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى وذلك أن النعمة قد تكون بمعنى الواحدة ومعنى الجمــاع وقد يدخل فى الجمــاع الواحدة وقد قال جل ثناؤه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها فمعـلوم أنه لم يعن بذلك نعمة واحدة وقال فى موضع آخر ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه فجمعها فبأى القراءتين قرأ القارئ ذلك فمصيب ذكر بعض من قرأ ذلك على التوحيــد وفسره على ماذكرنا عن قارئيه أنهم يفسرونه حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج قال ثنى مستور الهنائى عن حميــد الاعرج عن مجاهد عن ابن عباس أنه قرأها وأسبغ عليكم نعمته ظاهرة وباطنة وفسرها الاســلام حدثت عن الفراء قال ثنى شريك بن عبــد الله عن

(١) لعل فيه سقطا والأصل أى أقبح الاصوات صوت الخ تأمل كتبه مصححه

فى الدنيا أو فى القبور أو فيما بين فناء الدنيـا الى البعث وأن أهـل العلم والايمـان وهم الملائكة والانبياء وغـيرهم حالهم بالعكس وذلك أن الموعود بوعد اذا ضرب له أجل يستكثر الاجل ويريد تعجيـله والموعود بوعيد اذا ضرب له أجل يستقل المدة ويريد تأخيرها ومعنى (يؤفكون) يصرفون عن الصـدق والتحقيق أى هكذا كان أمرهم فى الدنيـا مبنيا على الظن الكاذب وكانوا يصرون بمثـله ويحتمل أن يكونوا ناسين أو كاذبين ومعنى فى كتاب الله فى اللوح المحفوظ أو فى علمــه وقضائه أو فيما كتب وأوجب وفيــه رد قول الكفار واطلاع لهم على مصدوقيــة الحال قال جار الله فى الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم أهى أربعون سنة أو أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهــم والفـاء فى قوله (فهذا يوم البعث) جواب شرط يدل عليــه الكلام كأنه قيل ان كنتم منكرين البعث فهـذا يوم البعث وبه تبين بطلان قولكم (ولكنكم كنتم لاتعلمون) أنه حق ثم بين أن ذلك اليوم لايقبل فيــه عذر من أهــل الشرك وسائر انواع الظلم (ولاهم يستعتبون) أى لايطلب منهم الرضا فلا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة وقد مر فى النحل ثم بين أن القرآن مشحون بقصص وأخبار كلها كالمثـل فى غرابتهـا وحسن مواقعها وأن الرسول مهما جاءهم بدليل أنكروه لان الذى اجترأ على العناد فى دليل واحد الأغلب أن يجترأ على أمثاله وهــذا نتيجة الطبع والخذلان فلا علاج فى مثل هذه القضية الا بالصبر وتحمل أعباء الرسالة الى انجاز وعد الله بالنصرة

﴿ سورة لقمان مكية الا ثلاث آيات ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام الخ حروفها ألفان ومائة وعشرة كلمها خمسمائة وثمانية وأربعون آياتها ثلاثون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الي ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ﴾ الخبيثة

خصيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ نعمة واحدة قال ولو كانت نعمه لكانت نعمة دون نعمة أو نعمة فوق نعمة « الشك من الفراء » حدثني عبد الله بن محمد الزهري قال ثنا سفيان قال ثنا حميد قال قرأ مجاهد وأسبغ عليكم نعمته ظاهرة وباطنة قال لا اله الا الله حدثني العباس بن أبي طالب قال ثنا ابن أبي بكير عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال كان يقول هي لا اله الا الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حميد الاعرج عن مجاهد وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال لا اله الا الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن حميد الاعرج عن مجاهد قال لا اله الا الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن عيسى عن قيس عن ابن عباس نعمة ظاهرة وباطنة قال لا اله الا الله وقوله ظاهرة يقول ظاهرة على الألسن قولا وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملا وقوله وباطنة يقول وباطنة في القلوب اعتقادا ومعرفة وقوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى يقول تعالى ذكره ومن الناس من يخاصم في توحيد الله واخلاص الطاعة والعبادة له بغير علم عنده بما يخاصم ولا هدى يقول ولا بيان يبين به صحة ما يقول ولا كتاب منير يقول ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعي يبين حقية دعواه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ليس معه من الله برهان ولا كتاب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلا منهم بعظمة الله اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله وصدقوا به فانه يفرق بين المحق منا والمبطل ويفصل بين الضال والمهتدي فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان فانهم كانوا أهل حق قال الله تعالى ذكره أولو كان الشيطان يدعوهم بتزيينه لهم سوء أعمالهم واتباعهم اياه على ضلالتهم وكفرهم بالله وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه الى عذاب السعير يعني عذاب النار التي تتسعر وتلتهب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ﴾ يقول تعالى ذكره ومن يعبد وجهه متذللا بالعبودة مقرا له بالالوهة وهو محسن يقول وهو مطيع لله في أمره ونهيه فقد استمسك بالعروة الوثقى يقول فقد تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به وهذا مثل وانما يعني بذلك أنه قد تمسك من رضا الله باسلامه وجهه اليه وهو محسن ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي السوداء عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا اله الا الله وقوله والى الله عاقبة الامور يقول والى الله مرجع عاقبة كل أمر خيره وشره وهو المسائل أهله عنه ومجازيهم عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ﴾ يقول تعالى ذكره ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره ولا تذهب نفسك عليهم حسرة فان مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة الينا ونحن نخبرهم بأعمالهم

ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ القرا آت ورحمة بالرفع حمزة وأبو عون (١٥) عن قنبل ليضل بفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو

الخبيثة التى عملوها فى الدنيا ثم نجازيهم عليها جزاءهم ان الله عليم بذات الصدور يقول ان الله ذو علم بما تكنه صدورهم من الكفر بالله وايثار طاعة الشيطان وقوله نمتعهم قليلا يقول نمهلهم فى هذه الدنيا مهلا قليلا يتمتعون فيها ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يقول ثم نوردهم على كره منهم عذابا غليظا وذلك عذاب النار نعوذ بالله منها ومن عمل يقرب منها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ﴾ يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله يقول تعالى ذكره لنبيه محمد فاذا قالوا ذلك فقل لهم الحمد لله الذى خلق ذلك لا لمن لا يخلق شيأ وهم يخلقون ثم قال تعالى ذكره بل أكثرهم لا يعلمون يقول بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون من الذى له الحمد وأين موضع الشكر وقوله لله ما فى السموات والارض يقول تعالى ذكره لله كل ما فى السموات والارض من شئ ملكا كائنا ما كان ذلك الشئ من وثن وصنم وغير ذلك مما يعبد أو لا يعبد ان الله هو الغنى الحميد يقول ان الله هو الغنى عن عبادة هؤلاء المشركين به الاوثان والانداد وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه لانهم ملكه وله وبهم الحاجة اليه الحميد يعنى المحمود على نعمه التى أنعمها على خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم﴾ يقول تعالى ذكره ولو أن شجر الارض كلها بريت أقلاما والبحر يمده يقول والبحر له مداد والهاء فى قوله يمده عائدة على البحر وقوله من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله وفى هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه وهو يكتب كلام الله بتلك الاقلام وبذلك المداد لتكسرت تلك الاقلام ولنفد ذلك المداد ولم تنفد كلمات الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سألت الحسن عن هذه الآية ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام قال لو جعل شجر الأرض أقلاما وجعل البحور مدادا وقال الله ان من أمرى كذا ومن أمرى كذا لنفد ماء البحور وتكسرت الاقلام حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو فى قوله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام قال لو بريت أقلاما والبحر مدادا فكتب بتلك الاقلام منه ما نفدت كلمات الله ولو مده سبعة أبحر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله قال قال المشركون انما هذا كلام يوشك أن ينفد قال لو كان شجر البر أقلاما ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربى وحكمته وخلقه وعلمه * وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبب مجادلة كانت من اليهود له ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا ابن اسحق قال ثنى رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يا محمد أرأيت قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا ايانا تريد أم قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا فقالوا ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها فى علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك ولو أن ما فى الارض من

ويعقوب ويتخذها بالنصب يعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد يا بنى لا تشرك بسكون الياء البزى والقواس وقرأ حفص والمفضل بفتح الياء وكذا فى قوله يا بنى أقم الباقون بكسر الياء مثقال بالرفع أبو جعفر ونافع تصاعر بالألف أبو عمرو ونافع وحمزة وعلى وخلف الآخرون بالتشديد ۞ الوقوف الم ٥ كوفى الحكيم ٥ وقف لمن قرأ ورحمة بالرفع على تقدير هو هدى ومن قرأ بالنصب على الحال والعامل معنى الاشارة فى تلك فلا وقف للمحسنين ٥ لا يوقنون ٥ ط المفلحون ٥ بغير علم ط قد يوقف لمن قرأ ويتخذها بالرفع والوصل أحسن لانه وان لم يكن معطوفا على ليضل فهو معطوف على يشترى هزوا ط مهين ٥ وقرا ط لانقطاع النظم مع اتصال الفاء أليم ٥ النعيم ٥ لا للحال والعامل معنى الفعل فى لهم فيها ط لان التقدير وعد الله وعدا حقا ط الحكيم ٥ دابة ٥ للعدول كريم ٥ دونه ط مبين ٥ لله ط لنفسه ج حميد ٥ بالله ط وقد يوقف على لا تشرك على جعل الباء للقسم وهو تكلف عظيم ٥ بوالديه ج لانقطاع النظم مع تعلق أن اشكر بوصينا ولوالديك ط المصير ٥ معروفا ز للعدول عن بعض المأمور الى الكل مع اتفاق الجملتين الىّ ج لان ثم لترتيب الاخبار تعملون ٥ الله ط خبير ٥ أصابك ط الامور ٥ ج للآية ووقوع العارض مع عطف المتفقتين مرحا ط فخور ج لما ذكر من صوتك ٥ ط الحمير ٥ ۞ التفسير لما قال فى آخر السورة المتقدمة ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل وكان فيه اشارة الى اعجاز القرآن ودل ما بعده الى تمام السورة على أنهم مصرون على كفرهم أكد تلك المعانى

شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله أى ان التوراة فى هذا من علم الله قليل حدثنا ابن المثنى قال ثنى ابن عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة قال سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فأنزل الله ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقالوا تزعم أنا لم نؤت من العلم الا قليلا وقد أوتينا التوراة وهى الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قال فنزلت ولو أنما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله قال ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار وأدخلكم الجنة فهو كثير طيب وهو فى علم الله قليل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال لما نزلت بمكة وما أوتيتم من العلم الا قليلا يعنى اليهود فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا أفتعنينا أم قومك قال كلا قد عنيت قالوا فانك تتلو أنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى علم الله قليل وقد آتاكم الله ما ان عملتم به انتفعتم فأنزل الله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر الى قوله ان الله سميع بصير * واختلفت القراء فى قراءة قوله والبحر يمده من بعده سبعة أبحر فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة والبحر رفعا على الابتداء وقرأته قراء البصرة نصبا عطفا به على ما فى قوله ولو أن ما فى الارض وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندى وقوله ان الله عزيز حكيم يقول ان الله ذو عزة فى انتقامه ممن أشرك به وادعى معه الها غيره حكيم فى تدبيره خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير﴾ يقول تعالى ذكره ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله الا كخلق نفس واحدة وبعثها وذلك أن الله لا يتعذر عليه شئ أراده ولا يمتنع منه شئ شاءه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسواء خلق واحد وبعثه وخلق الجميع وبعثهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله كنفس واحدة يقول كن فيكون للقليل والكثير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قال يقول انما خلق الله الناس كلهم وبعثهم كخلق نفس واحدة وبعثها وانما صلح أن يقال الا كنفس واحدة والمعنى الا كخلق نفس واحدة لأن المحذوف فعل يدل عليه قوله ما خلقكم ولا بعثكم والعرب تفعل ذلك فى المصادر ومنه قول الله تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت والمعنى كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت وقوله ان الله سميع بصير يقول تعالى ذكره ان الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم من ادعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وان الله بما تعملون خبير﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد بعينك أن الله يولج الليل فى النهار يقول يزيد من نقصان ساعات الليل فى ساعات النهار ويولج النهار فى الليل يقول يزيد ما نقص من

فى أول هذه السورة وتفسيره الى المفلحون كما فى أول البقرة الا قوله تلك آيات الكتاب الحكيم فانه مذكور فى أول يونس وحيث زاده هنا ورحمة قال للمحسنين فان الاحسان مرتبة

فوق التقوى لقوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ولقوله سبحانه ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ومما يؤيد ما قلنا أنه لم يقل هنا يؤمنون بالغيب لئلا يلزم شبه التكرار فان الاحسان لا مزيد عليه فى باب العقائد ثم بين حال المعرضين عن الحق بقوله (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) الاضافة بمعنى من أى الحديث الذى هو لهو ومنكر وجوز فى الكشاف أن تكون من للتبعيض أى يشترى بعض الحديث الذى هو اللهو منه وفيه نظر لانه يصح هذا التأويل فى قولنا خاتم فضة وليس بمشهور قال المفسرون نزلت فى النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس فيشترى كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا وقيل كان يشترى المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك محمد اليه من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه فعلى هذا معنى (ليضل) بضم الياء ظاهر ومن قرأ بالفتح فمعناه الثبات على الضلال أو الاضلال نوع من الضلال وقوله (بغير علم) متعلق بيشترى كقوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أى للتجارة قاله فى الكشاف وغيره ولا يبعد عندى تعلقه بقوله ليضل كما قال ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم قال المحققون ترك الحكمة والاشتغال بحديث آخر قبيح واذا كان الحديث لهوا لا فائدة فيه كان أقبح وقد يسوغه بعض الناس بطريق الاحماض كما ينقل عن ابن عباس أنه قال أحمضوا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم روّحوا ساعات
القلوب ساعة فساعة والعوام يفهمون منه الترويح بالمطايبة وان كان الخواص يحملونه على الاشتغال بجانب الحق كقوله يا بلال روّحنا

ساعات النهار في ساعات الليل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم تر أن الله يولج الليل في النهار نقصان الليل في زيادة النهار ويولج النهار في الليل نقصان النهار في زيادة الليل وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى يقول تعالى ذكره وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم كل يجري يقول كل ذلك يجري بأمره الى وقت معلوم وأجل محدود اذا بلغه كورت الشمس والقمر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى يقول لذلك كله وقت وحدّ معلوم لا يجاوزه ولا يعدوه وقوله وان الله بما تعملون خبير يقول وان الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شر ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه منها شئ وهو مجازيكم على جميع ذلك وخرج هذا الكلام خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنيّ به المشركون وذلك أنه تعالى ذكره نبه بقوله أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل على موضع حجته من جهل عظمته وأشرك في عبادته معه غيره يدل على ذلك قوله ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العليّ الكبير﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذي أخبرتك يا محمد أن الله فعله من ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وغير ذلك من عظيم قدرته انما فعله بأنه الله حقا دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه ولا تصلح الالوهة الا لمن فعل ذلك بقدرته وقوله وأن ما يدعون من دونه الباطل يقول تعالى ذكره وبأن الذي يعبده هؤلاء المشركون من دون الله الباطل الذي يضمحل فيبيد ويفنى وأن الله هو العليّ الكبير يقول تعالى ذكره وبأن الله هو العليّ يقول ذو العلو على كل شئ وكل ما دونه فله متذلل منقاد الكبير الذي كل شئ دونه فله متصاغر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أن السفن تجري في البحر نعمة من الله على خلقه ليريكم من آياته يقول ليريكم من عبره وحججه عليكم ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يقول ان في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل لكل صبار شكور يقول لكل من صبر نفسه عن محارم الله وشكره على نعمه فلم يكفره حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان مطرف يقول ان من أحب عباد الله اليه الصبار الشكور حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة قال الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله ألم تر الى قوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ان في ذلك لآيات للموقنين ان في ذلك لآيات للمؤمنين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن مغيرة عن الشعبي ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور قال الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله ان قال قائل وكيف خص هذه الدلالة بأنها دلالة للصبار الشكور دون سائر الخلق قيل لأن الصبر والشكر من أفعال ذوي الحجى والعقول فأخبر ان في ذلك لآيات لكل ذي عقل لأن الآيات جعلها الله عبرا لذوي العقول والتمييز ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد

ثم انه اذا لم يقصد به الاحماض بل يقصد به الاضلال لم يكن عليه مزيد في القبح ولا سيما اذا كان مع اشتغاله بلهو الحديث مستكبرا عن آيات الله التي هي محض الحكمة كما قال (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) ومحل (٥٣) (كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا) نصب على الحال قال جار الله الاولى حال من ضمير مستكبرا والثانية من لم يسمعها قلت هذا بناء على تجويز الحال المتداخلة والا فمن الجائز أن يكون كل منهما ومستكبرا حالا من فاعل ولى أي مستكبرا مشابها لمن لم يسمعها مشابها لمن في أذنيه وقر وجوز أن يكونا مستأنفين وتقدير كأن المخففة كأنه والضمير للشأن قال أهل البرهان هذه الآية والتي في الجاثية نزلتا باتفاق المفسرين في النضر الا أنه بالغ ههنا في ذمه لتركه استماع القرآن فقال بعد قوله كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا أي صمما لا يقرع مسامعه صوت فان عدم السماع أعم من أن يكون بوقر الاذن أو بنحو غفلة وترك الجملة الثانية في الجاثية لانه لم يبن الكلام هنالك على المبالغة بدليل قوله واذا علم من آياتنا شيأ والعلم لا يحصل الا بالسماع أو ما يقوم مقامه من خط وغيره وحين بين وعيد أعداء الدين بين حال أولياء الله بقوله (ان الذين آمنوا) الآية وقد مر مثله مرارا وفي قوله (وهو العزيز الحكيم) اشارة الى أنه لا غالب له ولا مناوئ يعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء حسب ما تقتضيه حكمته وعدله ثم بين عزته وحكمته بقوله (خلق السموات بغير عمد) وقد مر في أول الرعد وقوله (وألقى في الارض) مذكور في أول النحل و (من كل زوج كريم) ذكر في أول الشعراء (هذا) الذي ذكر من السموات بكيفياتها والارض بهيآتها بسائطها ومركباتها (خلق الله) أي مخلوقه (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) وهم الآلهة بزعمهم وهذا أمر تعجيز وتبكيت فلهذا سجل عليهم بالضلال المبين ثم بين فساد اعتقاد أهل الشرك بأنه مخالف أيضا لعقيدة الحكماء الذين يعولون على المعقول الصرف منهم لقمان بن باعوراء

ابن أخت أيوب أو ابن خالته أو من اولاد آزر عاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي اذا كفيت وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما عن ابن عباس

لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود فرزقه الله العتق ورضي الله قوله ووصيته وحكاها في القرآن وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وقال عكرمة والشعبي كان نبيا روي أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد وقد لين الله له الحديد فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ماسميت حكيما وروي أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب أيضا فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها اذا طابا وأخبث ما فيها اذا خبثا ثم فسر الحكمة بقوله (أن اشكر لله) لان ايتاء الحكمة في معنى القول قال العلماء هذا أمر تكوين أي جعلناه شاكرا فان أمر التكليف يستوي فيه الجاهل والحكيم وفيه تنبيه على أن شكر المعبود الحق رأس كل العبادة وسنام الحكمة وفائدته ترجع الى العبد لا الى المعبود فانه غني عن شكر الشاكرين مستحق للحمد وان لم يكن على وجه الارض حامد وحين بين كماله شرع في تكميله وذلك لابنه المسمى أنعم أو أشكم قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى أسلما ووجه كون الشرك ظلما عظيما أنه وضع فيه أخس الاشياء وهو الفقير المطلق موضع أشرف الاشياء وهو الغني المطلق ثم وصى الله سبحانه الانسان بشكر انعام الوالدين وبطاعتهما هو وان كانا كافرين الا أن يدعواه الى الاشراك بالله وهذه جملة معترضة نيط باعتراضها غرضان أحدهما أن طاعة الأبوين تالية لعبادة الله

بآياتنا الا كل ختار كفور ﴾ يقول تعالى ذكره واذا غشي هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والاوثان في البحر اذا ركبوا في الفلك موج كالظلل وهي جمع ظلة شبه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء قال نابغة بني جعدة في صفة بحر

يماشيهن أخضر ذو ظلال * على حافاته فلق الدنان

وشبه الموج وهو واحد بالظلل وهي جماع لان الموج يأتي شئ منه بعد شئ ويركب بعضه بعضا كهيئة الظلل وقوله دعوا الله مخلصين له الدين يقول تعالى ذكره واذا غشي هؤلاء موج كالظلل فخافوا الغرق فزعوا الى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة لا يشركون به هنالك شيأ ولا يدعون معه أحدا سواه ولا يستغيثون بغيره قوله فلما نجاهم الى البر مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك الى البر فمنهم مقتصد يقول فمنهم مقتصد في قوله واقراره بربه وهو مع ذلك مضمر الكفر به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فمنهم مقتصد قال المقتصد في القول وهو كافر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فمنهم مقتصد قال المقتصد الذي على صلاح من الامر وقوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يقول تعالى ذكره وما يكفر بادلتنا وحججنا الا كل غدار بعهده والختر عند العرب أقبح الغدر ومنه قول عمرو بن معدي كرب

وانك لو رأيت أبا عمير * ملأت يديك من غدر وختر

وقوله كفور يعني جحود للنعم غير شاكر ما أسدى اليه من نعمة * وبنحو الذي قلنا في معنى الختار قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد كل ختار كفور قال كل غدّار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كل ختار قال غدار حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور قال غدار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور والختار الغدار كل غدار بذمته كفور بربه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور قال كل جحاد كفور حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور قال الختار الغدار كما تقول غدرني حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسعر قال سمعت قتادة قال الذي يغدر بعهده * قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال الغدار * قال ثنا أبي عن الأعمش عن شمر بن عطية الكاهلي عن علي رضي الله عنه قال المكر غدر والغدر كفر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ يقول تعالى ذكره أيها المشركون من قريش اتقوا الله وخافوا أن يحل بكم سخطه في يوم لا يغني والد عن ولده ولا مولود

والثاني تأكيد كون الشرك أمرا فظيعا منكرا حتى انه يلزم فيه مخالفة من يجب طاعته وقوله (حملته أمه وهنا) أي حال كونها تهن وهنا
(على وهن) أي ضعفا على ضعف لان الحمل كلما زاد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا اعتراض في اعتراض تحريضا على رعاية

هو مغن عن والده شيأ لان الامر يصير هنالك بيد من لا يغالب ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل الا وسيلة من صالح الاعمال التي أسلفها في الدنيا وقوله ان وعد الله حق يقول اعلموا أن مجيء هذا اليوم حق وذلك أن الله قد وعده عباده ولا خلف لوعده فلا تغرنكم الحياة الدنيا يقول فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذاتها فتميلوا اليها وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم وقوله ولا يغرنكم بالله الغرور يقول ولا يخدعنكم بالله خادع والغرور بفتح الغين هو ما غر الانسان من شئ كائنا ما كان شيطانا كان أو انسانا أو دنيا وأما الغرور بضم الغين فهو مصدر من قول القائل غررته غرورا * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ولا يغرنكم بالله الغرور قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الغرور قال الشيطان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يغرنكم بالله الغرور ذاكم الشيطان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد المروزى يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الغرور قال الشيطان وكان بعضهم يتأول الغرور بما حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قوله ولا يغرنكم بالله الغرور قال أن تعمل بالمعصية وتتمنى المغفرة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ هو آتيكم علم اتيانه اياكم عند ربكم لا يعلم أحد متى هو جائيكم لا يأتيكم الا بغتة فاتقوه أن يفجأكم بغتة وأنتم على ضلالتكم لم تنيبوا منها فتصيروا من عذاب الله وعقابه الى ما لا قبل لكم به وابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجىء الساعة والمعنى ما ذكرت لدلالة الكلام على المراد منه فقال ان الله عنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة لا يعلم ذلك أحد غيره وينزل الغيث من السماء لا يقدر على ذلك أحد غيره ويعلم ما في الارحام أرحام الاناث وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا يقول وما تعلم نفس حى ماذا تعمل في غد وما تدرى نفس بأى أرض تموت يقول وما تعلم نفس حى بأى أرض تكون منيتها ان الله عليم خبير يقول ان الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه انه ذو علم بكل شئ لا يخفى عليه شئ خبير بما هو كائن وما قد كان * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان الله عنده علم الساعة قال جاء رجل «قال أبو جعفر» أحسبه أنا قال الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد وبلادنا محل جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت فأنزل الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى آخر السورة قال فكان مجاهد يقول هن مفاتح الغيب التي قال الله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله عنده علم الساعة الآية أشياء من الغيب استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ان الله عنده علم الساعة فلا يدرى أحد من الناس متى

حق الوالدة خصوصا روى بهز ابن حكيم عن أبيه عن جدّه أنه قال قلت يا رسول الله من أبر قال أمك ثم أمك ثم أباك وقوله (وفصاله في عامين) توقيت للفطام كما مر في البقرة في قوله والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وفيه تنبيه آخر على ما كابدته الأم من المشاق ومعنى (معروفا) صحابا أو مصاحبا معروفا على ما يقتضيه العرف والشرع وفي قوله (واتبع سبيل من أناب الىّ) اشارة أخرى الى أنهما لو لم يكونا منيبين الى الرب لم يتبع سبيلهما في الدين وان لزم طاعتهما في الدنيا وفي باب حسن العشرة والصحبة واتفق المفسرون على أن هذه الآية ونظيرتها التي في العنكبوت وفي الأحقاف نزلت في سعد بن أبي وقاص وفي أمه حمنة بنت أبي سفيان وذلك أنه حين أسلم قالت يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت وان الطعام والشراب علىّ حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها اليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآيات فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترضاها بالاحسان وانما لم يذكر في هذه السورة قوله حسنا لان قوله أن اشكر قام مقامه وانما قال ههنا وان جاهداك على أن تشرك لأنه أراد وان حملاك على الاشراك وقال في العنكبوت لتشرك موافقة

لما قبله فانما يجاهد لنفسه مع أن مبنى الكلام هنالك على الاختصار وحين وصف نفسه بكمال العلم في خاتمة الآية بقوله (فأنبئكم بما كنتم تعملون) أتبعه ما نابه من وصايا لقمان وهو قوله (يا بنى انها) أي القصة (ان تك) أي الحبة من الاساءة أو الاحسان في الصغر كحبة الخردل

الامكنة لان الحبة فى الصخرة أخفى منها فى الماء * سؤال الصخرة لابد أن تكون فى السموات أو فى الارض فما الفائدة فى ذكرها الجواب على قول الظاهريين من المفسرين ظاهر لانهم قالوا الصخرة هى التى عليها الثور وهى لا فى الارض ولا فى السماء وقال أهل الأدب فيه اضمار والمراد فى صخرة أو فى موضع آخر من السموات والأرض ومثله قول جار الله أراد فكانت مع صغرها فى أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت فى العالم العلوى أو السفلى وقال أهل التحقيق ان خفاء الشئ يكون اما لغاية صغره واما لاحتجابه واما لكونه بعيدا واما لكونه فى ظلمة فأشار الى الاول بقوله مثقال حبة من خردل والى الثانى بقوله فتكن فى صخرة والى الثالث بقوله أو فى السموات والى الرابع بقوله أو فى الأرض وقوله (يأت بها الله) أبلغ من قول القائل يعلمه الله ففيه مع العلم بمكانه اظهار القدرة على الاتيان به (ان الله لطيف) نافذ القدرة (خبير) ببواطن الأمور وحين منع ابنه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته أمره بمكارم الاخلاق والعادات وأولها الصلاة وفيها تعظيم المعبود الحق و بعدها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فبهما تتم الشفقة على خلق الله وقوله (واصبر على ما أصابك) من أذيات الخلق فى البأس أوهو مطلق فى كل ما يصيبه من المصائب

تقوم الساعة فى أى سنة أو فى أى شهر أو ليل أو نهار و ينزل الغيث فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا ينزل ويعلم ما فى الارحام فلا يعلم أحد ما فى الارحام أذكرا أو أنثى أحمر أو أسود أو ما هو وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا خير أم شر ولا تدرى يا ابن آدم متى تموت لعلك الميت غدا لعلك المصاب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ليس أحد من الناس يدرى أين مضجعه من الارض فى بحر أو بر أو سهل أو جبل تعالى وتبارك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال قالت عائشة من قال ان أحدا يعلم الغيب الا الله فقد كذب وأعظم الفرية على الله قال الله لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس بن عبيد عن عمرو بن شعيب أن رجلا قال يا رسول الله هل من العلم علم لم تؤته قال لقد أوتيت علما كثيرا وعلما حسنا أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث الى ان الله عليم خبير لا يعلمهن الا الله تبارك وتعالى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى عمرو بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمسة ثم قرأ هؤلاء الآيات ان الله عنده علم الساعة الى آخرها حدثنى على بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الارحام الآية ثم قال لا يعلم ما فى غد الا الله ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث الا الله ولا يعلم أحد متى قيام الساعة الا الله ولا يعلم أحد ما فى الارحام الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن مسعر عن عمرو ابن مرة عن عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود قال كل شئ أوتيه نبيكم صلى الله عليه وسلم الا علم الغيب الخمس ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى خالد عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت من حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا * قال ثنا جرير وابن علية عن أبى خباب عن أبى زرعة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث الآية حدثنى أبو شرحبيل قال ثنا أبو اليمان قال ثنا اسمعيل عن جعفر عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود قال كل شئ قد أوتى نبيكم غير مفاتح الغيب الخمس ثم قرأ هذه الآية ان الله عنده علم الساعة الى آخرها وقيل بأى أرض تموت وفيه لغة أخرى بأية أرض فمن قال بأى أرض اجتزأ بتأنيث الارض من أن يظهر فى أى تأنيث آخر ومن قال بأية أرض فأنث أى قال قد تجتزى بأى مما أضيف اليه فلا بد من التأنيث كقول القائل مررت بامرأة فيقال له بأية ومررت برجل فيقال له بأى و يقال أى امرأة جاءتك وجاءك وأية امرأة جاءتك

آخر تفسير سورة لقمان

﴿ تفسير سورة السجدة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴾ قال أبو جعفر قد مضى البيان عن تأويل قوله الم بما فيه الكفاية وقوله تنزيل الكتاب لا ريب فيه يقول تعالى ذكره تنزيل الكتاب الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لا شك فيه من رب العالمين يقول من رب الثقلين الجن والانس كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه لا شك فيه وانما معنى الكلام أن هذا القرآن الذي أنزل على محمد لا شك فيه أنه من عند الله وليس بشعر ولا سجع كاهن ولا هو مما تخرصه محمد صلى الله عليه وسلم وانما كذب جل ثناؤه بذلك قول الذين قالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا وقول الذين قالوا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون وقوله أم يقولون افتراه يقول تعالى ذكره يقول المشركون بالله اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه وتكذبه وأم هذه تقرير وقد بينا في غير موضع من كتابنا أن العرب اذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدم بعضه أنه يستفهم بأم وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك ويقولون وقال أم بمعنى الواو بمعنى بل في مثل هذا الموضع ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال ما هو كما تزعمون وتقولون من أن محمدا افتراه بل هو الحق والصدق من عند ربك يا محمد أنزله اليك لتنذر قوما بأس الله وسطوته أن يحل بهم على كفرهم به ما أتاهم من نذير من قبلك يقول لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد اليهم وهم قومه من قريش نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك وقوله لعلهم يهتدون يقول ليتبينوا سبيل الحق فيعرفوه ويؤمنوا به * وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون قال كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له أيها الناس الذي خلق السموات والارض وما بينهما من خلق في ستة أيام ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السموات والارض وما بينهما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع يقول ما لكم أيها الناس اله الا من فعل هذا الفعل وخلق هذا الخلق العجيب في ستة أيام وقوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع يقول ما لكم أيها الناس دونه ولي يلي أمركم وينصركم منه ان أراد بكم ضرا ولا شفيع يشفع لكم عنده ان هو عاقبكم على معصيتكم اياه يقول فاياه فاتخذوا وليا وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم فانه يمنعكم اذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو لانه لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب أفلا تتذكرون يقول تعالى ذكره أفلا تعتبرون وتتفكرون أيها الناس فتعلموا أنه ليس لكم دونه ولي ولا شفيع فتفردوا له الألوهة وتخلصوا له

وكان يخشى عليه أن يتكبر على الغير بسبب كونه مكملا له أو يتبختر في النفس بسبب كونه كاملا في نفسه قال (ولا تصعر خدك للناس) يقال أصعر خده وصعره وصاعره من الصعر بفتحتين وهو داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بكل وجهك تواضعا لا بشق الوجه كعادة المتكبرين ومعنى (لا تمش في الارض مرحا) مذكور في سورة سبحان الذي والمختال والفخور مذكوران في سورة النساء فالمختال هو الماشي لاجل الفرح والنشاط لا لمصلحة دينية أو دنيوية والفخور هو المصعر خده بين أن الله لا يحبهما فيلزم الاجتناب عن الاتصاف بصفتهما ثم أمره عند الاحتياج الى المشي لضرورة بالمشي القصد أي الوسط بين السرعة والابطاء على قياس سائر الاخلاق والآداب فخير الامور أوساطها ومثله غض الصوت حين التكلم قال أهل البيان في تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير التي هي مثل في البلادة حتى استهجن التلفظ باسمها في أغلب الامر وفي تمثيل أصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام عن أداة التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة تنبيه على أن الافراط في رفع الصوت من غير ضرورة ولا فائدة مكروه عند الله جدا واشتقاق أنكر من النكر ليكون على القياس لا من المنكر والحمير جمع الحمار وانما لم يقل أصوات الحمير لان المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق وغير الناطق له صوت وان أنكر أصوات هذه الاجناس صوت أفراد هذا الجنس قال بعض العقلاء من نكر صوت هذا الحيوان أنه لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق وأما سائر الحيوانات فلا يصيح الا لحاجة قالوا ومن فوائد عطف الامر بغض الصوت على الامر بالقصد في المشي أن الحيوان يتوصل الى مطلوبه بالمشي فان عجز عن ذلك فبالتصويت والنداء كالغنم تطلب السخلة ومنها أن الانسان له عقيدة ولسان وجوارح يحرك

بها كسائر الحيوانات فأشار الى الاولى بقوله انها ان تك مثقال حبة أى أصلح ضميرك فان الله خبير وأشار الى التوسط فى أفعال الجوارح
بقوله واقصد فى مشيك والى التوسط فى الاقوال بقوله اغضض من صوتك أو نقول أشار بقوله أقم الصلاة الى الاوصاف
الملكية التى يجب أن تكون
فى الانسان وبقوله وأمر الى قوله
مرحا الى الاوصاف الفاضلة
الانسانية وبقوله واقصد
واغضض الى الاوصاف التى
يشارك فيها الانسان سائر الحيوان
والله تعالى أعلم ۞ التأويل ويؤتون
الزكاة هى للعوام مقادير معينة
من المال كربع العشر من عشرين
وللخواص اخراج كل المال
فى سبيل الله ولاخص الخواص بذل
الوجود لنيل المقصود لهو الحديث
قال الجنيد السماع على أهل النفوس
حرام لبقاء نفوسهم وعلى أهل
القلوب مباح لوفور علومهم وصفاء
قلوبهم وعلى أصحابنا واجب لفناء
حظوظهم واذ قال لقمان القلب
لابنه السر المتولد من ازدواج الروح
والقلب وهو يعظه أن لا يتصف
بصفات النفس العابدة للشيطان
والهوى والدنيا فى عامين يريد
فطامه عن مألوفات الدارين وان
جاهداك فيه أن السر لا ينبغى له أن
يلتفت الى الروح أو القلب اذا
اشتغلا بغير الله فى أوقات الفترات
فان الروح قد يميل الى مجانسه من
الروحانيات والقلب يميل تارة الى
الروح وأخرى الى النفس ولكنه
يرجى الصلاة بعد الفترة وأما السر
فاذا زال عن طبيعته وهو الاخلاص
فى التوحيد فاصلاح حاله ممكن بعيد
واتبع سبيل من أناب الىّ وهو الخفى
انها ان تك يعنى القسمة الازلية
من السعادة وضدها لصوت الحمير
قالوا هو الصوفى يتكلم قبل أوانه

العبادة وتخلعوا مادونه من الأنداد والآلهة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يدبر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون﴾ يقول تعالى ذكره الله هو الذى يدبر الامر من أمر خلقه من السماء الى الارض ثم يعرج اليه * واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون فقال بعضهم معناه أن الامر ينزل من السماء الى الارض ويصعد من الارض الى السماء فى يوم واحد وقدر ذلك ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا لان ما بين الارض الى السماء خمسمائة عام وما بين السماء الى الارض مثل ذلك فذلك ألف سنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد فى يوم كان مقداره ألف سنة يعنى بذلك نزول الأمر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء فى يوم واحد وذلك مقداره ألف سنة لان ما بين السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم من أيامكم كان مقداره ألف سنة مما تعدون يقول مقدار مسيره فى ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم من أيام الدنيا خمسمائة سنة نزوله وخمسمائة صعوده فذلك ألف سنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال تعرج الملائكة الى السماء ثم تنزل فى يوم من أيامكم هذه وهو مسيرة ألف سنة * قال ثنا أبى عن سفيان عن سماك عن عكرمة ألف سنة مما تعدّون قال من أيام الدنيا حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن أبى الحرث عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم من أيامكم هذه مسيرة ما بين السماء الى الارض خمسمائة عام * وذكر عن عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال تنحدر الامور وتصعد من السماء الى الارض فى يوم واحد مقداره ألف سنة خمسمائة حتى ينزل وخمسمائة حتى يعرج * وقال آخرون بل معنى ذلك يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم من الايام الستة التى خلق الله فيهن الخلق كان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ألف سنة مما تعدون قال ذلك مقدار المسير قوله كألف سنة مما تعدّون قال خلق السموات والارض فى ستة أيام وكل يوم من هذه كألف سنة مما تعدّون أنتم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون قال الستة الايام التى خلق الله فيها السموات والارض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون يعنى هذا اليوم من الايام الستة التى خلق الله فيهن السموات والارض وما بينهما * وقال آخرون بل معنى ذلك يدبر الامر من السماء الى الارض بالملائكة ثم تعرج اليه الملائكة فى يوم كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة قال هذا فى الدنيا تعرج الملائكة اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة

﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله
بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير

عن

ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ (٥٩) ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير ۞ القراآت نعمه على الجمع أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل وحفص والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب عطفا على اسم أن الآخرون بالرفع حملا على محل أن ومعمولها وأن ما يدعون على

عن سماك عن عكرمة فى يوم كان مقداره ألف سنة قال ما بين السماء والارض مسيرة ألف سنة مما تعدون(١) من أيام الآخرة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال ما بين السماء والارض مسيرة ألف سنة * وقال آخرون بل معنى ذلك يدبر الامر من السماء الى الارض فى يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا ثم يعرج اليه ذلك التدبير الذى دبره ذكر من قال ذلك * ذكر عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنه قال يقضى أمر كل شئ ألف سنة الى الملائكة ثم كذلك حتى تمضى ألف سنة ثم يقضى أمر كل شئ ألفا ثم كذلك أبدا قال يوم كان مقداره قال اليوم أن يقال لما يقضى الى الملائكة ألف سنة كن فيكون ولكن سماه يوما سماه كما بينا كل ذلك عن مجاهد قال وقوله ان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال هو هو سواء * وقال آخرون بل معنى ذلك يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج الى الله فى يوم كان مقداره ألف سنة مقدار العروج ألف سنة مما تعدون ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال بعض أهل العلم مقدار ما بين الارض حين يعرج اليه الى أن يبلغ عروجه ألف سنة هذا مقدار ذلك المعراج فى ذلك اليوم حين يعرج فيه * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال معناه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقدار ذلك اليوم فى عروج ذلك الامر اليه ونزوله الى الارض ألف سنة مما تعدون من أيامكم خمسمائة فى النزول وخمسمائة فى الصعود لان ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى يفعل ما وصفت لكم فى هذه الآيات هو عالم الغيب يعنى عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس فلا تبصرونه ومما تكنه الصدور وتخفيه النفوس وما لم يكن بعد مما هو كائن والشهادة يعنى ما شاهدته الابصار فأبصرته وعاينته وما هو موجود العزيز يقول الشديد فى انتقامه ممن كفر به وأشرك معه غيره وكذب رسله الرحيم بمن تاب من ضلالته ورجع الى الايمان به وبرسوله والعمل بطاعته أن يعذبه بعد التوبة وقوله الذى أحسن كل شئ خلقه اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة أحسن كل شئ خلقه بسكون اللام وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين أحسن كل شئ خلقه بفتح اللام * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء صحيحتا المعنى وذلك أن الله أحكم خلقه وأحكم كل شئ خلقه فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه أتقن كل شئ وأحكمه ذكر من قال ذلك حدثنى العباس بن أبى طالب قال ثنا الحسين ابن ابراهيم اشكاب قال ثنا شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله الذى أحسن كل شئ خلقه قال أما ان است القرد ليست بحسنة ولكنه أحكم خلقها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو النضر قال ثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرؤها الذى أحسن كل شئ خلقه قال أما ان است القرد ليست بحسنة ولكنه أحكمها حدثنى

(١) الذى فى الدر من أيام الدنيا وهو واضح اه كتبه مصححه

الغيبة أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وحفص وسهل ويعقوب وينزل الغيث بالتشديد أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ۞ الوقوف وباطنة ط منير ه آباءنا ط السعير ه الوثقى ط الامور ه كفره ه عملوا ط الصدور ه غليظ ه

ليقولن الله ط لله ط لا يعلمون ٥ والارض ط الحميد ٥ كلمات الله ط حكيم ٥ واحدة ط بصير ٥ والقمر ز لان قوله كل مبتدأ مع عطف أن على أن الاولى خبير ٥ (٦٠) الباطل لا الكبير ٥ من آياته ط شكور ٥ الدين ج مقتصد ط كفور ٥

محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أحسن كل شئ خلقه قال أتقن كل شئ خلقه حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال ثنا اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أتقن كل شئ أحصى كل شئ * وقال آخرون بل معنى ذلك الذى حسن خلق كل شئ ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذى أحسن كل شئ خلقه حسن على نحو ما خلق وذكر عن الحجاج عن ابن جريج عن الأعرج عن مجاهد قال هو مثل أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فلم يجعل خلق البهائم فى خلق الناس ولا خلق الناس فى خلق البهائم ولكن خلق كل شئ فقدره تقديرا * وقال آخرون بل معنى ذلك أعلم كل شئ خلقه كأنهم وجهوا تأويل الكلام الى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون اليه وأن قوله أحسن انما هو من قول القائل فلان يحسن كذا اذا كان يعلمه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شريك عن خصيف عن مجاهد أحسن كل شئ خلقه قال أعطى كل شئ خلقه قال الانسان الى الانسان والفرس للفرس والحمار للحمار وعلى هذا القول الخلق والكل منصوبان بوقوع أحسن عليهما * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب على قراءة من قرأه الذى أحسن كل شئ خلقه بفتح اللام قول من قال معناه أحكم وأتقن لأنه لا معنى لذلك اذا قرئ كذلك الا أحد وجهين اما هذا الذى قلنا من معنى الاحكام والاتقان أو معنى التحسين الذى هو فى معنى الجمال والحسن فلما كان فى خلقه ما لا يشك فى قبحه وسماجته علم أنه لم يعن به أنه أحسن كل ما خلق ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته واما على القراءة الأخرى التى هى بتسكين اللام فان أولى تأويلاته به قول من قال معنى ذلك أعلم وألهم كل شئ خلقه هو أحسنهم كما قال الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى لأن ذلك أظهر معانيه وأما الذى وجه تأويل ذلك الى أنه بمعنى الذى أحسن خلق كل شئ فانه جعل الخلق نصبا بمعنى التفسير كأنه قال الذى أحسن كل شئ خلقا منه وقد كان بعضهم يقول هو من المقدم الذى معناه التأخير ويوجهه الى أنه نظير قول الشاعر

وظعنى اليك الليل حضنيه انني * لتلك اذا هاب الهداة فعول

يعنى وظعنى حضنى الليل اليك ونظير قول الآخر

كأن هندا ثنايا هاو بهجتها * يوم التقينا على أدحال دباب

أى كأن ثنايا هند وبهجتها وقوله وبدأ خلق الانسان من طين يقول تعالى ذكره وبدأ خلق آدم من طين ثم جعل نسله يعنى ذرّيته من سلالة يقول من الماء الذى انسل فخرج منه وانما يعنى من اراقة من مائه كما قال الشاعر

فجاءت به عضب الأديم غضنفرا * سلالة فرج كان غير حصين

وقوله من ماء مهين يقول من نطفة ضعيفة رقيقة * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وبدأ خلق الانسان من طين وهو خلق آدم ثم جعل نسله أى ذرّيته من سلالة من ماء مهين والسلالة هى الماء المهين الضعيف حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن أبى يحيى

عن ولده لا لعطف الجملتين المختلفتين لفظا مع صدق الاتصال معنى شيأ ط الدنيا قف للفصل بين الموعظتين الغرور ٥ الساعة ج لاختلاف الجملتين الغيث ج وان اتفقت الجملتان للتفصيل بين غيب وغيب الارحام ط لابتداء الجملة المنفية التى فيها استفهام غدا ط لابتداء نفى آخر مع تكرار نفس دون الاكتفاء بضميرها تموت ط خبير ٥ التفسير لما ذكر أن معرفة الصانع غير مختصة بالنبوّة ولكنها توافق الحكمة أيضا ولو كانت تعبدا محضا للزم قبوله كيف وانها توافق المعقول أعاد الاستدلال بالامور المشاهدة الآفاقية والأنفسية ومعنى سخر لكم لاجلكم كما مر فى سورة ابراهيم من قوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين الآية ومعنى أسبغ أتم والنعم الظاهرة كل ما يوجد للحس الظاهر اليه سبيل ومن جملتها الحواس أنفسها والباطنة ما لا يدرك الا بالحس الباطن أو بالعقل أو لا يعلم أصلا ومن المفسرين من يخص فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء ظاهرا والباطنة امداد الملائكة وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة والعلم وقيل النفس ثم ذكر أن بعض الناس يجادلون فى الله بعد ظهور الدلائل على وحدانيته وقد مر فى أول الحج ثم ذكر أنه لا مستند له فى ذلك الا التقليد ثم وبخه على جهله وتقليده بأنه يتبع سبيل الشيطان ولو دعاه الى النار قائلا (أولو كان) الخ الاعرج ومعناه أيتبعونهم ولو كان كذا ثم أراد أن يفصل حال المؤمن والكافر بعض التفصيل فقال ومن يسلم وجهه الى الله وهو نظير قوله فى البقرة

بلى من أسلم وجهه لله والفرق ان معناه مع الى يرجع الى التفويض والتسليم ومع اللام يؤول الى الاخلاص والاذعان والاستمساك بالعروة الوثقى
تمثيل كما مر في آية الكرسي وقوله (يمتعهم) الآية كقوله في البقرة ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره وغلظ العذاب شدته

الاعرج عن ابن عباس في قوله من سلالة قال صفو الماء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من ماء مهين قال ضعيف نطفة الرجل ومهين فعيل من قول القائل مهن فلان وذلك اذا ذل وضعف

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره ثم سوّى الانسان الذي بدأ خلقه من طين خلقا سويا معتدلا ونفخ فيه من روحه فصار حيا ناطقا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون يقول وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة تعقلون بها الخير من السوء لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك وقوله قليلا ما تشكرون يقول وأنتم تشكرون قليلا من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره وقال المشركون بالله المكذبون بالبعث أئذا ضللنا في الأرض أي صارت لحومنا وعظامنا ترابا في الأرض وفيها لغتان ضللنا وضللنا بفتح اللام وكسرها والقراءة على فتحها وهي الجوداء وبها نقرأ وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ أئذا صللنا بالصاد بمعنى أنتنا من قولهم صل اللحم وأصل اذا أنتن وانما عنى هؤلاء المشركون بقولهم أئذا ضللنا في الأرض أي اذا هلكت أجسادنا في الأرض لأن كل شئ غلب عليه غيره حتى خفي فيما غلب فانه قد ضل فيه تقول العرب قد ضل الماء في اللبن اذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه الماء ومنه قول الأخطل لجرير

كنت القذى في موج أكدر مزبد * قذف الأتيّ به فضل ضلالا

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد أئذا ضللنا في الأرض يقول أئذا هلكنا حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أئذا ضللنا في الأرض هلكنا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أئذا ضللنا في الأرض يقول أئذا كنا عظاما ورفاتا أنبعث خلقا جديدا يكفرون بالبعث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد قال قالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا وقوله بل هم بلقاء ربهم كافرون يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء المشركين جحود قدرة الله على ما يشاء بل هم بلقاء ربهم كافرون حذرا لعقابه وخوف مجازاته اياهم على معصيتهم اياه فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم في المعاد ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله يتوفاكم ملك الموت يقول يستوفي عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ومنه قول الراجز

ان بني الأدرم ليسوا من أحد * ولا توفاهم قريش في العدد

ثم الى ربكم ترجعون يقول من بعد قبض ملك الموت أرواحكم الى ربكم يوم القيامة تردون أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم فيجازي المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته حدثنا بشر قال ثنا يزيد

ثم بين أنهم معترفون بالمعبود الحق الا أنهم يشركون به وقد مر في آخر العنكبوت مثله الا أنه قال في آخره بل أكثرهم لا يعلمون وذلك أنه زاد هناك قوله وسخر الشمس والقمر فبالغ فان نفي العقل أبلغ من نفي العلم اذ كل عالم عاقل ولا ينعكس ثم ذكر أن الملك كله لله وهو غني على الاطلاق حميد بالاستحقاق وحين بين غاية قدرته أراد أن يبين أنه لا نهاية لعلمه فقال (ولو أن ما في الارض) الآية عن ابن عباس أنها نزلت جوابا لليهود وان التوراة فيها كل الحكمة وقيل هي جواب قول المشركين ان الوحي سينفد وتقدير الآية على قراءة الرفع لو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر ويجوز أن تكون الجملة حالا واللام في البحر للجنس وجعل جنس البحار ممدودا بالسبعة للتكثير لا للتقدير فان كثيرا من الاشياء عددها سبعة كالسيارات السبعة والأقاليم السبعة وأيام الاسبوع ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معا واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء أراد الأكل الكثير وقال في الكشاف جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوأة مدادا فهي تصب فيه مدادها أبدا صبا لا ينقطع قلت جعله الأبحر سبعة تقديرا بينا في قوله أبدا لا ينقطع وانما لم يجعل للاقلام مدادا لان نقصان المداد بالكتابة أظهر من نقصان القلم وانما لم يقل كلم الله على جمع الكثرة للمبالغة اذ يفهم منه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وقيل أراد بكلماته عجائب مصنوعاته الموجودة بكلمة كن وقد مر نظير هذه الآية في آخر الكهف ثم بين أنه لا يصعب على قدرته كثرة الايجاد والاعدام فان تعلق قدرته بمقدور واحد كتعلقها

قال ثنا سعيد عن قتادة قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم قال ملك الموت يتوفاكم ومعه أعوان من الملائكة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يتوفاكم ملك الموت قال حويت له الأرض فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد بنحوه

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد اذهم ناكسو رؤسهم عند ربهم حياء من ربهم للذي سلف منهم من معاصيه في الدنيا يقولون يا ربنا أبصرنا ما كنا نكذب به من عقابك أهل معاصيك وسمعنا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا فارجعنا يقول فارددنا الى الدنيا نعمل فيها بطاعتك وذلك العمل الصالح انا موقنون يقول انا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا جهالا من وحدانيتك وأنه لا يصلح أن يعبد سواك ولا ينبغي أن يكون رب سواك وأنك تحيي وتميت وتبعث من في القبور بعد الممات والفناء وتفعل ما تشاء * وبنحو ما قلنا في قوله ناكسو رؤسهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم قال قد حزنوا واستحيوا

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره ولو شئنا يا محمد لآتينا هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله هداها يعني رشدها وتوفيقها للايمان بالله ولكن حق القول مني يقول وجب العذاب مني لهم وقوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني من أهل المعاصي والكفر بالله منهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قال لو شاء الله لهدى الناس جميعا لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ولكن حق القول مني حق القول عليهم

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهؤلاء المشركين بالله اذا هم دخلوا النار ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا انا نسيناكم يقول انا تركناكم اليوم في النار وقوله وذوقوا عذاب الخلد يقول يقال لهم أيضا ذوقوا عذابا تخلدون فيه الى غير نهاية بما كنتم في الدنيا تعملون من معاصي الله * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم قال نسوا من كل خير وأما الشر فلم ينسوا منه حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله انا نسيناكم يقول تركناكم

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ يقول تعالى ذكره ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا الا القوم الذين اذا ذكروا بها ووعظوا خروا لله سجدا

بقدورات غير محصورة لان اقتداره لا يتوقف على آلة وعدة وانما ذلك له ذاتي يكفي فيه الارادة ثم اكد ذلك بأن سمعه يتعلق في زمان واحد بكل المسموعات وكذا بصره بكل المبصرات من غير أن يشغله شئ عن شئ ثم أعاد طرفا من دلائل قدرته مع تذكير بعض نعمه قائلا (ألم تر) وقد مر نظيره في الحج الى قوله الكبير وقوله ههنا (يجري الى أجل مسمى) وقوله في فاطر والزمر لاجل مسمى يؤل الى معنى واحد وان كان الطريق مغايرا لان الاول معناه انتهاؤهما الى وقت معلوم وهو للشمس آخر السنة وللقمر آخر الشهر وعن الحسن هو يوم القيامة لأن جريهما لا ينقطع الا وقتئذ والثاني معناه اختصاص الجري بادراك أجل معلوم كما وصفنا ووجه اختصاص هذا المقام بالى وغيره باللام أن هذه الآية صدّرت بالتعجيب فناسب التطويل والمشار اليه بذلك هو ما وصف من عجيب قدرته أو أراد أن الموحى من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق قال بعضهم (العلي) اشارة الى كونه تاما وهو انه حصل له ما ينبغي أن يكون له و(الكبير) اشارة الى كونه فوق التمام وهو أنه يحصل لغيره ما يحتاج اليه ثم أكد الآية السماوية بالآية الارضية ومعنى بنعمته باحسانه ورحمته أو بالريح الطيبة التي هي بأمر الله (ان في ذلك) الاجراء (لآيات لكل صبار) على الضراء (شكور) في السراء ووجه المناسبة أن كلتا الحالتين قد يقع لراكب البحر أو صبار على النواهي والتروك شكور في الافعال والأوامر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ثم ذكر أن بعض الناس لا يخلص لله الا عند الشدائد وانما وحد الموج وجمع الظلل وهي كل ما أظلك من جبل أو سحاب لان الموج الواحد يرى له صعود ونزول لوجوههم كالجبال المتلاصقة وانما قال ههنا (فمنهم مقتصد) وقد قال فيما قبل اذا هم يشركون لانه ذكر ههنا الموج وعظمته ولا محالة يبقى لمثله أثر في الخيال

فيخفض شيأ من غلوا الكفر والظلم و ينزجر بعض الانزجار و يلزمه أن يكون متوسطا فى الاخلاص أيضا الاغالبا فيه وقل مؤمن قد ثبت على ماعاهد عليه الله فى البحر والختر أشد الغدر ومنه قولهم لا تمدلنا شبرا من غدر (٦٣) الا مددنا لك باعا من ختر والختار فى مقابلة

لوجوههم تذللا له واستكانة لعظمته واقرارا له بالعبودية وسبحوا بحمد ربهم يقول وسبحوا الله فى سجودهم بحمده فيبرؤنه مما يصفه أهل الكفر به و يضيفون اليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والانداد وهم لا يستكبرون يقول يفعلون ذلك وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح لا يستنكفون عن التذلل له والاستكانة وقيل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن قوما من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد اذا أقيمت الصلاة ذكر ذلك عن حجاج عن ابن جريج ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يقول تعالى ذكره تتنحى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله الذين وصفت صفتهم وترتفع عن مضاجعهم التى يضطجعون لمنامهم ولا ينامون يدعون ربهم خوفا وطمعا فى عفوه عنهم وتفضله عليهم برحمته ومغفرته ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل الله و يؤدون منه حقوق الله التى أوجبها عليهم فيه وتتجافى تتفاعل من الجفاء والجفاء النبو كما قال الراجز

وصاحبي ذات هباب دمشق * وابن ملاط متجاف أرفق

يعنى أن كرمها سجيته عن ابن ملاط وانما وصفهم تعالى ذكره بتجافى جنوبهم عن المضاجع لتركهم الاضطجاع للنوم شغلا بالصلاة واختلف أهل التأويل فى الصلاة التى وصفهم جل ثناؤه أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع فقال بعضهم هى الصلاة بين المغرب والعشاء وقال نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يصلون فى ذلك الوقت ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن أبى عروبة قال قال قتادة قال أنس فى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يتنفلون فيما بين المغرب والعشاء وكذلك تتجافى جنوبهم * قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن أنس فى قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال يصلون ما بين هاتين الصلاتين حدثنى على بن سعيد الكندى قال ثنا حفص بن غياث عن سعيد عن قتادة عن أنس تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال ما بين المغرب والعشاء حدثنى محمد بن خلف قال ثنا يزيد بن حيان قال ثنا الحرث بن وجيه الراسبى قال ثنا مالك بن دينار عن أنس ابن مالك أن هذه الآية نزلت فى رجال من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء تتجافى جنوبهم عن المضاجع حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال كانوا يتطوعون فيما بين المغرب والعشاء * قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن أنس تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال ما بين المغرب والعشاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال كانوا يتنفلون ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء * وقال آخرون عنى بها (١) صلاة المغرب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن طلحة عن عطاء تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال عن العتمة وذكر عن حجاج عن ابن جريج قال قال يحيى بن صيفى عن أبى سلمة قال العتمة * وقال آخرون لانتظار صلاة العتمة ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الله بن أبى زياد قال ثنا عبد العزيز بن عبد الله الاويسى عن سليمن بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك أن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت فى انتظار

(١) لعله صلاة العتمة يعنى العشاء كما تفيده الآثار بعد تأمل كتبه مصححه

الصبار لأن الختر لا يصدر الا من عدم الصبر وقلة الاعتماد على الله فى دفع المكروه والكفور طباق الشكور وحين بين الدلائل وعظ بالتقوى وخوف من هول يوم القيامة ومعنى (لا يجزى) لا يقضى كما مر فى أول البقرة وذكر شخصين فى غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد ليلزم منه عدم الانتفاع بغيرهما بالاولى وفيه اشارة الى ماجرت به العادة من أن الأب يتحمل الآلام عن ابنه ماأمكن والولد يتحمل الاهانة عن الاب ماأمكن فكأنه قال لا يجزى فيه (والد عن ولده) شيأ من الآلام (ولا مولود هو جاز عن والده شيأ) من أسباب الاهانة قال جار الله انما أوردت الجملة الثانية اسمية لاجل التوكيد وذلك أن الخطاب للمؤمنين فأراد حسم أطماعهم أن يشفعوا لآبائهم الكفرة وفى توسيط هو مزيد تأكيد وفى لفظ المولود دون أن يقول ولا ولد تأكيد آخر لان الولد يقع على ولد الولد أيضا بخلاف المولود فانه لمن ولد منك فكأنه قيل ان الواحد منهم لو شفع للاب الأدنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه وقيل انما أوردت الثانية اسمية لان الابن من شأنه أن يكون جازيا عن والده لما عليه من الحقوق والوالد يجزى شفقة لا وجوبا (ان وعد الله) بمجىء ذلك اليوم (حق) أو وعده بعدم جزاء الوالد عن الولد و بالعكس حق و (الغرور) بناء مبالغة وهو الشيطان

أى لا ينبغى أن تغرنكم الدنيا بنفسها و يزينها فى أعينكم غار من الشيطان أو النفس الامارة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس وتلا قوله (ان الله عنده علم الساعة) الى آخرها وعن المنصور أنه همه معرفة مدة عمره فرأى فى منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر

واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء فى ذلك فتأولوها بخمس سنين و بخمسة اشهر و بغير ذلك حتى قال ابو حنيفة تاويلها ان مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وأن ماطلبت معرفته لاسبيل لك اليه قال فى التفسير الكبير ليس مقصود الآية أنه تعالى

الصلاة التى تدعى العتمة * وقال آخرون عنى بها قيام الليل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام الليل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يقومون يصلون من الليل * وقال آخرون انما هذه صفة قوم لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وهم قوم لا يزالون يذكرون الله اما فى صلاة واما قياما واما قعودا واما اذا استيقظوا من منامهم هم قوم لا يزالون يذكرون الله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى آخر الآية يقول تتجافى لذكر الله كلما استيقظوا ذكروا الله اما فى الصلاة واما فى قيام أو فى قعود أو على جنوبهم فهم لا يزالون يذكرون الله * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا وذلك نبو جنوبهم عن المضاجع ليلا لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه نبا عن مضجعه انما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم فى وقت منام الناس المعروف وذلك الليل دون النهار وكذلك تصف العرب الرجل اذا وصفته بذلك يدل على ذلك قول عبد الله بن رواحة الانصارى رضى الله عنه فى صفة نبى الله صلى الله عليه وسلم

يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فاذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره لم يخصص فى وصفه هؤلاء القوم بالذى وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالا و وقتا دون حال ووقت كان واجبا أن يكون ذلك على كل آناء الليل وأوقاته واذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء أو انتظر العشاء الآخرة أو قام الليل أو بعضه أو ذكر الله فى ساعات الليل أو صلى العتمة ممن دخل فى ظاهر قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع لأن جنبه قد جفا عن مضجعه فى الحال التى قام فيها للصلاة قائما صلى أو ذكر الله أو قاعدا بعد أن لا يكون مضطجعا وهو على القيام أو القعود قادر غير أن الأمر وان كان كذلك فان توجيه الكلام الى أنه معنى به قيام الليل أعجب الى لأن ذلك أظهر معانيه والاغلب على ظاهر الكلام وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما حدثنا به ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام العبد فى جوف الليل وتلا هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى ابن حماد قال ثنا أبو أسامة عن سليمن عن حبيب بن أبى ثابت والحكم عن ميمون بن أبى شبيب عن

مختص بمعرفة هذه الامور فقط فانه يعلم الجوهر الفرد أين هو وكيف هو من أول يوم خلق العالم الى يوم النشور وانما المراد أنه تعالى حذر الناس من يوم القيامة كان لقائل أن يقول متى الساعة فذكر أن هذا العلم لا يحصل لغيره ولكن هو كائن لدليلين ذكرهما مرارا وهو انزال الغيث المستلزم لاحياء الارض وخلق الاجنة فى الارحام فان القادر على الابداء قادر على الاعادة بالاولى ثم انه كأنه قال أيها السائل ان لك شيأ أهم منها لا تعلمه فانك لا تعلم معاشك ومعادك فلا تعلم (ماذا تكسب غدا) مع أنه فعلك وزمانك ولا تعلم أين تموت مع أنه شغلك ومكانك فكيف تعلم قيام الساعة والسر فى اخفاء الساعة واخفاء وقت الموت بل مكانه هو انه ينافى التكليف كامر فى أول طه ولو علم المكلف مكان موته لأمن الموت اذا كان فى غيره والسر فى اخفاء الكسب فى غير الوقت الحاضر هو أن يكون المكلف أبدا مشغول السر بالله معتمدا عليه فى أسباب الرزق وغيره روى أن ملك الموت مر على سليمن عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى وسأل سليمن أن يحمله على الريح الى بلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمن كان نظرى اليه تعجبا منه لأنى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك قال جار الله جعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة كأنه قال انها لا تعرف وان أعملت حيلها وقرئ بأية أرض والأفصح عدم تأنيثه ﴿ التأويل وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة هى تسخير ما فى السموات وما فى الارض من الاجسام العلوية والسفلية

البسيطة والمركبة و باطنة هي تسخير ما في سموات القلوب من الصدق والاخلاص والتوكل والشكر وسائر المقامات القلبية والروحانية
بأن يسر العيون عليها بالسكون المتدارك بالجذبة والانتفاع بمنافعها والاجتناب عن مضارها وتسخير ما في أرض النفوس

عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال ثنا آدم قال ثنا سفيان قال ثنا منصور بن المعتمر عن الحكم بن عتيبة عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أنبأتك بأبواب الخير الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم تتجافى جنوبهم عن المضاجع حدثنا أبو كريب قال ثنا يزيد بن حيان عن حماد بن سلمة قال ثنا عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد من الليل حدثنا ابو همام الوليد ابن شجاع قال ثني أبي قال ثني زياد بن خيثمة عن أبي يحيى بائع القت عن مجاهد قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل ففاضت عيناه حتى تحادرت دموعه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وأما قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا الآية فان بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال خوفا من عذاب الله وطمعا في رحمة الله ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وفي سبيله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره فلا تعلم نفس ذي نفس ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين مما تقر به أعينهم في جنانه يوم القيامة جزاء بما كانوا يعملون يقول ثوابا لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أبو الأحوص عن أبي اسحق (١) عن أبي عبيدة قال قال عبد الله ان في التوراة مكتوبا لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم ترعين ولم يخطر على قلب بشر ولم تسمع أذن وما لم يسمعه ملك مقرب قال ونحن نقرؤها فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين حدثنا خلاد قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنا أبو اسحق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود قال مكتوب في التوراة على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في القرآن فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال خبئ لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال سفيان فيما علمت على غير وجه الشك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت أبا عبيدة قال قال عبد الله قال يعني الله أعددت لعبادي الصالحين ما لم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب ناظر لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن صلت عن قيس بن الربيع عن أبي اسحق عن عبيدة بن ربيعة الحارثي عن عبد الله ابن مسعود قال ان في التوراة للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع من الكرامة ما لم ترعين ولم يخطر على قلب بشر ولم تسمع أذن وانه لفي القرآن فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين حدثنا أبو كريب قال ثنا الأشجعي عن ابن أبجر قال سمعت الشعبي يقول سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر ان موسى صلى الله عليه وسلم سأل عن أخس أهل الجنة فيها حظا فقيل له رجل يؤتى به

(١) الذي في الخلاصة أن أبا اسحق يروي عن عبيدة بن ربيعة فلعل زيادة أبي من الناسخ تأمل

من أضداد الأخلاق المذكورة بتبديلها بالحميدة والتمتع بخواصها والتحرز عن آفاتها ثم نضطرهم لفساد استعدادهم تجري في البحر بنعمة الله سلامتهم في الظاهر معلومة وأما في الباطن فنجاتهم بسفائن العصمة من بحار القدرة أو بسفينة الشريعة بملابسة الطريقة في بحر الحقيقة لاراءة آيات شواهد الحق واذا تلاطمت عليهم أمواج بحار التقدير تمنوا أن تلفظهم نفحات الالطاف الى سواحل الاعطاف

﴿ سورة الم السجدة حروفها ألف وخمسمائة وثمانية عشر كلماتها ثلثمائة وثمانون آياتها ثلاثون مكية الا قوله أفمن كان مؤمنا الى ثلاث آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون وقالوا أئذا ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم

ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا (٦٦) انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب فلاتكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون ﴾ ❁ القراآت خلقه بفتح اللام عاصم وحمزة وعلى وخلف ونافع وسهل الآخرون بالسكون على البدل من كل شئ وعلى الاول يكون وصفا له أئذا أئنا كما فى الرعد ما أخفى بسكون الياء على أنه فعل مضارع متكلم حمزة الباقون بفتحها على أنه فعل ماض مجهول لما صبروا

وقد دخل أهل الجنة الجنة قال فيقال له ادخل فيقول أين وقد أخذ الناس أخذاتهم فيقال اعدد أربعة ملوك من ملوك الدنيا فيكون لك مثل الذى كان لهم ولك أخرى شهوة نفسك فيقول أشتهى كذا وكذا وأشتهى كذا ويقال لك أخرى لك لذة عينك فيقول ألذ كذا وكذا فيقال لك عشرة أضعاف مثل ذلك وسأله عن أعظم أهل الجنة فيها حظا فقال ذاك شئ ختمت عليه يوم خلقت السموات والارض قال الشعبى فانها فى القرآن فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا الحميدى قال ثنا ابن عيينة وحدثنى به القرقسانى عن ابن عيينة عن مطرف بن طريف وابن أبجر سمعنا الشعبى يقول سمعت المغيرة ابن شعبة على المنبر يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم أن موسى سأل ربه أى رب أىّ أهل الجنة أدنى منزلة قال رجل يجئ بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل فيقول كيف أدخل وقد نزلوا منازلهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا فيقول بخ أى رب قد رضيت فيقال له ان لك هذا ومثله ومثله ومثله فيقول رضيت أى رب رضيت فيقال له ان لك هذا وعشرة أمثاله معه فيقول رضيت أى رب فيقال له فان لك مع هذا ما اشتهت نفسك ولذت عينك قال فقال موسى أى رب وأىّ أهل الجنة أرفع منزلة قال اياها أردت وسأحدثك عنهم غرست لهم كرامتى بيدى وختمت عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ومصداق ذلك فى كتاب الله فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنا محمد بن منصور الطوسى قال ثنا اسحق بن سليمن قال ثنا عمرو بن أبى قيس عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وكان عرشه على الماء وكان عرش الله على الماء ثم اتخذ لنفسه جنة ثم اتخذ دونها أخرى ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة قال ومن دونهما جنتان قال وهى التى لاتعلم نفس أو قال هما التى لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قال وهى التى لاتعلم الخلائق ما فيها أو ما فيهما يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن عنبسة عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير بنحوه حدثنا سهل بن موسى الرازى قال ثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبى اليمان الهوزنى أو غيره قال الجنة مائة درجة أوّلها درجة فضة أرضها فضة ومساكنها فضة وآنيتها فضة وترابها المسك والثانية ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وآنيتها ذهب وترابها المسك والثالثة لؤلؤ وأرضها لؤلؤ ومساكنها لؤلؤ وآنيتها لؤلؤ وترابها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر وتلا هذه الآية فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى وعبد الرحيم عن محمد ابن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم قال الله فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية وابن نمير عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة ومن بله ما أطلعكم عليه اقرؤا ان شئتم فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون

قال أبو هريرة تقرؤها قرات أعين حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا معتمر بن سليمن عن الحكم بن أبان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين قال يؤتى بحسنات العبد وسيآته فينقص بعضها من بعض فان بقيت حسنة واحدة وسع الله له في الجنة قال فدخلت على يزداد فحدّث بمثل هذا قال قلت فأين ذهبت الحسنة قال أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون قلت قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال العبد يعمل سرا أسره الى الله لم يعلم به الناس فأسر الله له يوم القيامة قرة عين حدثني العباس بن أبي طالب قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي عن ربه قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر حدثني أبو السائب قال أخبرنا ابن وهب قال ثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد يقول شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله جزاء بما كانوا يعملون حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم أعددت لعبادي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي ذلك عن ربه قال ربكم أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال أخفوا أعمالا في الدنيا فأثابهم الله بأعمالهم حدثني القاسم بن بشر قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة قال حماد أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم ولا يبؤس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واختلفت القراء في قراءة قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين فقرأ ذلك بعض المدنيين والبصريين وبعض الكوفيين أخفي بضم الألف وفتح الياء بمعنى فعل وقرأ بعض الكوفيين أخفي لهم بضم الالف وارسال الياء بمعنى أفعل أخفي لهم أنا والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى لأن الله اذا أخفاه فهو مخفي واذا أخفي فليس له مخف غيره وما في قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم فانها اذا جعلت بمعنى الذي كانت نصبا بوقوع تعلم عليها كيف قرأ القارئ أخفي واذا وجهت الى معنى أيّ كانت رفعا اذا قرئ أخفي بنصب الياء وضم الالف لأنه لم يسم فاعله واذا قرئ أخفي بارسال الياء كانت نصبا بوقوع أخفي عليها

۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) يقول تعالى ذكره أفهذا الكافر المكذب بوعد الله ووعيده المخالف أمر الله ونهيه كهذا المؤمن بالله المصدّق بوعده

بكسر اللام وتخفيف الميم حمزة وعلي و رويس الباقون بفتح اللام وتشديد الميم اولم نهد بالنون يزيد عن يعقوب ۞ الوقوف الم ٥ كوفي العالمين ٥ ط لأن أم استفهام تقريع غير عاطفة بل هي منقطعة افتراه ج لعطف الجملتين المختلفتين يهتدون ٥ العرش ط شفيع ٥ تتذكرون ٥ ط تعدون ٥ الرحيم ط من طين ٥ ج لأن ثم لترتيب الاخبار مهين ٥ ج لذلك والافئدة ط تشكرون ٥ جديد ٥ كافرون ٥ ترجعون ٥ عند ربهم ط لحق القول المحذوف موقنون ٥ أجمعين ٥ هذا ج للابتداء بانّ مع تكرار وذوقوا تعملون ٥ لايستكبرون ٥ وطمعا ز لانقطاع النظم بتقديم المفعول ينفقون ٥ أعين ج لأن جزاء يحتمل أن يكون مفعولا له وأن يكون مصدرا لفعل محذوف يعملون ٥ فاسقا ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار لايستوون ٥ المأوى ز لمثل مامر في جزاء يعملون ٥ النار ط تكذبون ٥ يرجعون ٥ عنها ط منتقمون ٥ اسرائيل ٥ ج وان اتفقت الجملتان للعدول عن ضمير المفعول الاول وهو واحد الى ضمير الجمع في الثانية صبروا ط لمن شدّد يوقنون ٥ يختلفون ٥ مساكنهم ط لآيات ط يسمعون ٥ وأنفسهم ط يبصرون ٥ صادقين ٥ ينظرون ٥ منتظرون ٥

۞ التفسير لما ذكر في السورة المتقدمة دلائل الواحدانية ودلائل الحشر وهما الطرفان بدأ في هذه السورة ببيان الامر الاوسط وهو الرسالة المصححة ببرهان القرآن واعرابه قريب من قوله الم ذلك الكتاب وميل جار الله الى أن قوله (تنزيل الكتاب) مبتدأ خبره (من رب العالمين) ولاريب فيه اعتراض لامحل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة أي لاريب في كونه منزلا من عنده ويمكن أن يقال في وجه النظم لما عرّف في أول السورة المتقدمة أن القرآن هدى ورحمة قال ههنا انه من رب العالمين وذلك أن من عثر على كتاب سأل أولا أنه في أي علم فاذا قيل

انه فى الفقه أو التفسير سأل انه تصنيف اى شخص ففى تخصيص رب العالمين بالمقام اشارة الى أن كتاب رب العالمين لا بد أن يكون فيه عجائب للعالمين فترغب النفس فى مطالعته ثم أضرب (٦٨) عما ذكر قائلا (أم يقولون افتراه) وهو تعجيب من قولهم لظهور أمر القرآن فى تعجيز بلغائهم عن مثل سورة الكوثر ثم أضرب عن الانكار الى اثبات أنه الحق من ربك ومعنى (لتنذر قوما) قد مر فى القصص ويندرج فيهم أهل الكتاب اذ يصدق عليهم أنه لم يأتهم نذير بعد ضلالهم سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولو لم يندرجوا لم يضر فان تخصيص قوم بالذكر لا يدل على نفى من عداهم كقوله وأنذر عشيرتك الأقربين وحين بين الرسالة بين ما على الرسول من الدعاء الى التوحيد فقال (الله) مبتدأ خبره ما يتلوه وقد مر نظائره وقوله (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) اثبات للولاية والشفاعة أى النصرة من عنده ونفى لهما من غيره وفيه تجهيل لعبدة الاصنام الزاعمين أنها شفعاؤهم بعد اعترافهم بأن خالق الكل هو الله سبحانه ولما بين الخلق شرع فى الامر فقال (يدبر الامر) أى المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم يعرج اليه ذلك العمل فى يوم طويل وهو كناية عن قلة الاخلاص لانه لا يوصف بالصعود ولا يقوى على العروج الا العمل الخالص يؤيد هذا التفسير قوله فيما بعد قليلا ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة ثم يصعد اليه مكتوبا فى الصحف فى كل جزء من أجزاء ذلك اليوم الخ ثم يدبر الأمر ليوم آخر مثله وهلم جرا أو ينزل الوحى مع جبرائيل ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحى ورده مع جبرائيل أيضا وتقدير الزمان بألف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وأن الملك يقطعها فى يوم واحد من أيامنا وقيل انه اشارة الى نفوذ الامر فان نفاذ الامر كلما كان

ووعيده المطيع له فى أمره ونهيه كلا لا يستوون عند الله يقول لا يعتدل الكفار بالله والمؤمنون به عنده فيما هو فاعل بهم يوم القيامة وقال لا يستوون فجمع وانما ذكر قبل ذلك اثنين مؤمنا وفاسقا لانه لم يرد بالمؤمن مؤمنا واحدا وبالفاسق فاسقا واحدا وانما أريد به جميع الفساق وجميع المؤمنين بالله فاذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهبت بهما العرب مذهب الجمع وذكر أن هذه الآية نزلت فى على بن أبى طالب رضوان الله عليه والوليد بن عقبة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنى ابن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت بالمدينة فى على بن أبى طالب والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان بين الوليد وبين على كلام فقال الوليد بن عقبة أنا أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأرد منك للكتيبة فقال على اسكت فانك فاسق فأنزل الله فيهما أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون الى قوله به تكذبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون قال لا والله ما استووا فى الدنيا ولا عند الموت ولا فى الآخرة وقوله أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى يقول تعالى ذكره أما الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله فلهم جنات المأوى يعنى بساتين المساكن التى يسكنونها فى الآخرة ويأوون اليها وقوله نزلا بما كانوا يعملون يقول نزلا أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا فى الدنيا يعملون بطاعته وقوله وأما الذين فسقوا يقول تعالى ذكره وأما الذين كفروا بالله وفارقوا طاعته فمأواهم النار يقول فمساكنهم التى يأوون اليها فى الآخرة النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها فى الدنيا تكذبون أن الله أعدها لأهل الشرك به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما الذين فسقوا أشركوا وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون والقوم مكذبون كما ترون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى العذاب الأدنى الذى وعد الله أن يذيقه هؤلاء الفسقة فقال بعضهم ذلك مصائب الدنيا فى الأنفس والأموال ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولنذيقنهم من العذاب الأدنى يقول مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلى الله بها العباد حتى يتوبوا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون قال العذاب الأدنى بلاء الدنيا قيل هى المصائب حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العرنى عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال المصيبات فى الدنيا قال والدخان قد مضى والبطشة واللزام * قال أبو موسى ترك يحيى بن سعيد يحيى بن الجزار نقصان رجل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر قالا ثنا شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العرنى عن يحيى بن الجزار عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب أنه قال فى هذه الآية ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال مصيبات الدنيا واللزوم والبطشة أو الدخان شك شعبة فى البطشة أو الدخان حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن

عن قتادة عن عروة عن الحسن العرنى عن يحيى بن الجزار عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب بنحوه الا أنه قال المصيبات واللزوم والبطشة حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العرنى عن يحيى بن الجزار عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى بن كعب قال المصيبات يصابون بها فى الدنيا البطشة والدخان واللزوم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال المصائب فى الدنيا * قال ثنا أبو خالد الأحمر عن جويبر عن الضحاك ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال المصيبات فى دنياهم وأموالهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حدّثه عن الحسن قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى أى مصيبات الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال أشياء يصابون بها فى الدنيا * وقال آخرون عنى بها الحدود ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر قال الحدود * وقال آخرون عنى بها القتل بالسيف قال وقتلوا يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال يوم بدر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن السدى عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن السدى عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عمن حدّثه عن الحسن بن علىّ أنه قال ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القتل بالسيف صبرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى عن عوف عن عبد الله بن الحرث بن نوفل ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القتل بالسيف كل شئ وعد الله هذه الأمة من العذاب الأدنى انما هو السيف حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القتل والجوع لقريش فى الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان مجاهد يحدّث عن أبىّ بن كعب أنه كان يقول ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر يوم بدر * وقال آخرون عنى بذلك سنون أصابتهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال سنون أصابتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله * وقال آخرون عنى بذلك عذاب القبر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال الأدنى فى القبور وعذاب الدنيا * وقال آخرون ذلك عذاب الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال العذاب الأدنى عذاب الدنيا * وأولى الاقوال فى ذلك أن يقال ان الله وعد هؤلاء الفسقة

فى مدّة أكثر كان حاله أعلى أى يدبر الامر فى زمان يوم منه ألف سنة منه فكم يكون شهر منه وكم يكون سنة منه وكم يكون دهر منه فلا فرق على هذا بين ألف سنة وبين خمسين ألف سنة كما فى المعارج وقيل ان هذه عبارة (٦٩) عن الشدة واستطالة أهلها اياها كالعادة فى استطالة أيام الشدّة والحزن واستقصار أيام الراحة والسرور وخصت السورة بقوله ألف سنة موافقة لما قبله وهو قوله فى ستة أيام وتلك الايام من جنس هذا اليوم وخصت سورة المعارج بقوله خمسين ألف سنة لان فيها ذكر القيامة وأهوالها فكان هو اللائق بها وعن عكرمة ان اليوم فى المعارج عبارة عن أول ايام الدنيا الى انقضائها وأنها خمسون ألف سنة لايدرى أحدكم كم مضى وكم بقى الا الله عز وجل وبالجملة فالآية المتقدّمة تدل على عظمة عالم الخلق وسعة مكانه والآية الثانية تدل على عظمة عالم الامر وامتداد زمانه ثم بين أنه مع غاية عظمة ملكه وملكوته عليم بأمر العالمين فقال (ذلك عالم الغيب والشهادة) وفى قوله (العزيز الرحيم) اشارة الى صفتى القهر واللطف اللتين ينبغى أن تكونا لكل ملك وانما أخر الرحيم مع أن رحمته سبقت غضبه ليوصله بقوله (الذى أحسن كل شئ خلقه) نظيره الذى أعطى كل شئ خلقه وقد مرّ فى طه وعطف عليه تخصيصا بعد تعميم خلق الانسان وهو آدم بدليل قوله (ثم جعل نسله) أى ذريته لأنها تنسل أى تنفصل والسلالة الخلاصة كما ذكرنا فى أول المؤمنين وقوله (من ماء) بدل من سلالة والمهين الحقير ومعنى (سوّاه) قوّمه وأداره فى الاطوار الى حيث صلح لنفخ الروح فيه ثم عدل من الغيبة الى الخطاب فى قوله (وجعل لكم) تنبيها على جسامة نعم هذه الجوارح وتوبيخا على قلة الشكر عليها ثم بين عدم شكرهم بانكارهم المعاد بعد مشاهدة الفطرة الاولى وليست الثانية بأصعب منها والواو للعطف على ما سبق كأنهم قالوا ان محمدا مفتر وقالوا الله ليس بواحد (وقالوا أئذا) يعنى أنهم وأسلافهم زعموا أن الحشر

المكذبين بوعيده فى الدنيا العذاب الأدنى أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر والعذاب هو ما كان فى الدنيا من بلاء أصابهم اما شدة من مجاعة أو قتل أو مصائب يصابون بها فكل ذلك من العذاب الأدنى ولم يخصص الله تعالى ذكره اذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع وقد عذبهم بكل ذلك فى الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب فى الأموال فأوفى لهم بما وعدهم وقوله دون العذاب الأكبر يقول قبل العذاب الأكبر وذلك عذاب يوم القيامة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله دون العذاب الاكبر قال يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن السدى عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد دون العذاب الأكبر يوم القيامة فى الآخرة حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد دون العذاب الأكبر يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة دون العذاب الاكبر يوم القيامة حدث به قتادة عن الحسن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله دون العذاب الأكبر قال العذاب الأكبر عذاب الآخرة وقوله لعلهم يرجعون يقول كى يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن السدى عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله لعلهم يرجعون قال يتوبون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية لعلهم يرجعون قال يتوبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلهم يرجعون أى يتوبون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون﴾ يقول تعالى ذكره وأى الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه وآى كتابه ورسله ثم أعرض عن ذلك كله فلم يتعظ بمواعظه ولكنه استكبر عنها وقوله انا من المجرمين منتقمون يقول انا من الذين اكتسبوا الآثام واجترحوا السيآت منتقمون وكان بعضهم يقول عنى بالمجرمين فى هذا الموضع أهل القدر ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان بن معاوية قال أخبرنا وائل ابن داود عن مروان بن سفيح عن يزيد بن رفيع قال ان قول الله فى القرآن انا من المجرمين منتقمون هم أصحاب القدر ثم قرأ ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله خلقناه بقدر حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان قال أخبرنا وائل بن داود عن ابن سفيح عن يزيد بن رفيع بنحوه الا أنه قال فى حديثه ثم قرأ وائل بن داود هؤلاء الآيات ان المجرمين فى ضلال وسعر الى آخر الآيات * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا محمد بن المبارك قال ثنا اسمعيل ابن عياش قال ثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسى عن جنادة بن أبى أمية عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجرم من اعتقد لواء فى غير حق أو عق والديه أو مشى مع ظالم ينصره فقد أجرم يقول الله انا من المجرمين منتقمون ۞ القول

غيرممكن ومعنى (ضللنافى الارض) غبنافيها اما بالدفن أو بتفرق الاجزاء وتلاشيها والعامل فى أئذا مايدل عليه قوله أئنا لفى خلق جديد وهو نبعث أو يجدّد خلقنا ثم صرح باثبات كفرهم على الاطلاق واللقاء لقاء الجزاء الشامل لجميع أحوال الآخرة ثم ردّ عليهم قولهم بالفوت بأنه يتوفاهم ملك الموت الموكل بقبض الأرواح ثم يرجعون الى حكم الله وحده ثم بين ما يكون من حالهم عند الرجوع بقوله (ولو ترى) أنت يا محمد أو كل من له أهلية الخطاب (اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) خجلا وندامة قائلين (ربنا أبصرنا) ما كنا شاكين فى وقوعه (وسمعنا) منك تصديق رسلك وجواب لو محذوف وهو لرأيت أمرا فظيعا وجوزوا أن يكون لو للتمنى كأنه جعل لنبيه تمنى أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الذل والهوان ليشمت بهم ثم انه سبحانه ألزمهم وألجمهم بقوله (ولو شئنا) الآية وفيه أنه لو ردّهم الى الدنيا لم يهتدوا لأنهم خلقوا لجهنم القهر وقد مر نظيره فى آخر هود ثم أكد اهانتهم بقوله (فذوقوا) وانتصب هذا على أنه مفعول فذوقوا أو قوله (لقاء) مفعول نسيتم أى ذوقوا هذا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم وذهلتم عنه بعد وضوح الدلائل أو تركتم الفكر فيه ويجوز أن يكون هذا صفة يومكم ومفعول ذوقوا محذوف وهو العذاب ولقاء مفعول نسيتم أو هو مفعول فذوقوا على حذف المضاف أى تبعة لقاء يومكم ويكون نسيتم متروك المفعول أو محذوفه وهو الفكر فى العاقبة وقوله (انا نسيناكم) من باب المقابلة والمراد تركهم من الرحمة نظيره نسوا الله فنسيهم وقوله (عذاب الخلد) من باب اضافة الموصوف الى الصفة فى الظاهر نحو رجل صدق أمرهم على سبيل الاهانة بذوق عذاب الخزى والخجل ثم بذوق العذاب الخلد أعاذنا الله منه بفضله العميم ثم ذكر أن فى الايمان بآيات الله من شأن المخلص من عباده الساجدين لله شكرا وتواضعا حين وعظوا بآيات ربهم منزهين له عما لا يليق بجنابه وجلاله

متلبسين بحمده غير مستكبرين عن عبادته (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ترتفع وتتنحى عن مواضع النوم داعين ربهم أو عابدين له (خوفا) من أليم عقابه (وطمعا) فى عظيم ثوابه وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيام الليل (٧١) وهو التهجد قال اذا جمع الله الاولين

فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك الفرقان يا محمد فلا تكن فى مرية من لقائه يقول فلا تكن فى شك من لقائه فكان قتادة يقول معنى ذلك فلا تكن فى شك من أنك لقيته أو تلقاه ليلة أسرى بك وبذلك جاء الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى العالية الرياحى قال حدثنا ابن عم نبيكم يعنى ابن عباس قال قال نبى الله صلى الله عليه وسلم أريت ليلة أسرى بى موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن النار والدجال فى آيات أراهن الله اياه فلا تكن فى مرية من لقائه أنه قد رأى موسى ولقى موسى ليلة أسرى به وقوله وجعلناه هدى لبنى اسرائيل يقول تعالى ذكره وجعلنا موسى هدى لبنى اسرائيل يعنى رشادا لهم يرشدون باتباعه ويصيبون الحق بالاقتداء به والائتمام بقوله * وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلناه هدى لبنى اسرائيل قال جعل الله موسى هدى لبنى اسرائيل وقوله وجعلنا منهم أئمة يقول تعالى ذكره وجعلنا من بنى اسرائيل أئمة وهى جمع امام والامام الذى يؤتم به فى خير أو شر وأريد بذلك فى هذا الموضع أنه جعل منهم قادة فى الخير يؤتم بهم ويهتدى بهديهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا قال رؤساء فى الخير وقوله يهدون بأمرنا يقول تعالى ذكره يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم باذننا لهم بذلك وتقويتنا اياهم عليه وقوله لما صبروا اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة لما صبروا بفتح اللام وتشديد الميم بمعنى اذ صبروا وحين صبروا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة لما بكسر اللام وتخفيف الميم بمعنى لصبرهم عن الدنيا وشهواتها واجتهادهم فى طاعتنا والعمل بأمرنا وذكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود بما صبروا وما اذا كسرت اللام من لما فى موضع خفض واذا فتحت اللام وشددت الميم فلا موضع لها لانها حينئذ أداة والقول عندى فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام اذا قرئ ذلك بفتح اللام وتشديد الميم وجعلنا منهم أئمة يهدون أتباعهم باذننا اياهم وتقويتنا اياهم على الهداية اذ صبروا على طاعتنا وعزفوا أنفسهم عن لذات الدنيا وشهواتها واذا قرئ بكسر اللام(١) على ما قد وصفنا وقد حدثنا ابن وكيع قال قال أبى سمعنا فى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا قال عن الدنيا وقوله وكانوا بآياتنا يوقنون يقول وكانوا أهل يقين بما دلهم عليه حججنا وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق وايمان برسلنا وآيات كتابنا وتنزيلنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه فى الدنيا يختلفون من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب وغير ذلك من أسباب دينهم فيفرق بينهم بقضاء فاصل بايجابه لأهل الحق الجنة ولأهل الباطل النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ يقول

(١) لعله فيكون على الخ تأمل كتبه مصححه

والآخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع ينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس عن على رضى الله عنه

جنبى تجافى عن الوساد
خوفا من النار والمعاد
من خاف من سكرة المنايا
لم يدر ما لذة الرقاد
قد بلغ الزرع منتهاه
لا بد للزرع من حصاد

عن أنس بن مالك كان أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها وما فى قوله (ما أخفى) موصولة ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى أى شئ والمعنى لا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبى مرسل أى نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك مما تقر به عيونهم حتى لا تطمح الى غيره ولا تطلب الفرح بما عداه عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعن الحسن أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت قال المحققون انه يصدر من العبد أعمال صالحة وقد صدر عن الرب أشياء سابقة من الخلق والتربية وغيرهما وأشياء لاحقة من الثواب والاكرام فلله تعالى أن يقول أنا أحسنت أولا

تعالى ذكره أولم يبين لهم كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس أولم يهدلهم يقول أولم يبين لهم وعلى القراءة بالياء فى ذلك قراء الامصار وكذلك القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء بمعنى أولم يبين لهم اهلا كنا القرون الخالية من قبلهم سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا فيتعظوا و ينزجروا وقوله كم اذا قرئ يهد بالياء فى موضع رفع بيهد وأما اذا قرئ ذلك بالنون أولم نهد فان موضع كم وما بعدها نصب وقوله يمشون فى مساكنهم يقول تعالى ذكره أولم يبين لهم كثرة اهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون فى بلادهم وأرضهم كعاد وثمود كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون عاد وثمود وأنهم اليهم لا يرجعون وقوله ان فى ذلك لآيات يقول تعالى ذكره ان فى خلاء مساكن القــرون الذين أهلكناهم من قبــل هؤلاء المكذبين بآيات الله من قريش من أهلها الذين كانوا سكانها وعمارها باهلا كنا اياهم لما كذبوا رسلنا و جحدوا بآياتنا وعبدوا من دون الله آلهة غيره التى يمرون بها فيعاينونها لآيات لهم وعظات يتعظون بها لو كانوا أولى حجا وعقول يقول الله أفلا يسمعون عظات الله وتذكيره اياهم آياته وتعريفهم مواضع حججه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا أنا نسوق المــاء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منــه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ يقول تعالى ذكره أولم يرهؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت والنشر بعد الفناء أنا بقــدرتنا نسوق المــاء الى الارض اليابسة الغليظة التى لا نبات فيها وأصــله من قولهم ناقة جرز اذا كانت تأكل كل شئ وكذلك الارض الجروز التى لا يبقى على ظهرها شئ الا أفسدته نظير أكل الناقة الجراز كل ما وجدته ومنه قولهم للانسان الاكول جروز كما قال الراجز * خب جروز واذا * ومنه قيل للسيف اذا كان لا يبقى شيأ الا قطعه سيف جراز وفيــه لغات أربع أرض جرز وجرز وجرز وجرز والفتح لبنى تميم فيما بلغنى * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهــل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس الارض الجرز أرض باليمن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبــد الرحمن قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال أرض باليمن * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهــد أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز قال أبين ونحوها حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا عبد الرزاق بن عمر عن ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال ونحوها من الارض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن رجل عن ابن عباس فى قوله الى الارض الجرز قال الجرز التى لا تمطر الا مطرا لا يغنى عنها شــيأ الا ما يأتيها من السيول حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن يزيد عن جويبر عن الضحاك الى الارض الجرز ليس فيها نبت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز المغبرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولم يروا أنا نسوق المــاء الى الارض الجرز قال الارض الجرز التى ليس فيها شئ ليس فيها نبات وفى قوله صعيدا جرزا

حتى يرى الفضل لله فى جانب الأبد فاذن لا تنقطع المعــاملة بيــن الله و بين العبد أبدا وتكون العبادة لهم فى الآخرة بمنزلة التنفس كما للملائكة يروى أنه شجر بين على بن أبى طالب رضى الله عنه والوليد بن عقبة بن أبى معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبى فقــال له على اسكت فانك فاســق فأنزل الله تعالى فيهما خاصة وفى أمثالهما من الفريقين عامة (أفمن كان مؤمنــا) الى آخر ثلاث آيات أو أربع ومن أول الآية محمول على اللفظ وفى قوله (لا يستوون) محمول على المعنى ثم فصل عدم استوائهما بقوله أما الذين آمنوا وأما الذين فسقوا وجنات المأوى نوع من الجنان تأوى اليها أرواح الشهداء على قول ابن عباس وقال بعضهم هى عن يمين العرش وفى لام التمليك فى (لهــم) مزيد تشريف وايذان بأنهم لا يخرجون منها كما لا يخرج المالك من ملكه ولهذا لو قيل هــذه الدار لزيد فهم منه الملكية بخلاف ما لو قيل اسكن هذه الدار فانه يحمل على الاعارة وانه تعــالى قال لابينا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لانه كان فى علمه أنه يخرج منها وانمــا قيل ههنا عذاب النار الذى كنتم به وفى سبا عذاب النار التى كنتم بها لأن النار فى هذه السورة وقعت موقع الكناية لتقدم ذكرهــا والكنايات لا توصف فوصف العذاب وفى سبا لم يتقدم ذكر النــار فحسن وصف النار وتكذيبهم العــذاب هو أنهم كانوا يقولون فى الدنيــا انه لا عذاب فى الآخرة و يحتمل أن يراد بالتكذيب أنهم يقولون فى الآخرة أوّل ما تأخذهم النار انه لا عذاب فوق ما نحن فيــــه فاذا زاد الله لهم ألمــا على ألم وهو قوله (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيــدوا فيها) صاروا كاذبين فيما زعموا

جرزا قال ليس عليها شئ وليس فيها نبات ولا شئ فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم يقول تعالى ذكره فنخرج بذلك الماء الذى نسوقه اليها على يبسها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعا خضرا تأكل منه مواشيهم وتتغذى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به أفلا يبصرون يقول تعالى ذكره أفلا يرون ذلك بأعينهم فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التى بها فعلت ذلك لا يتعذر على أن أحيى بها الأموات وأنشرهم من قبورهم وأعيدهم بهيآتهم التى كانوا بها قبل وفاتهم ﴿﴾ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿و يقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون﴾ يقول تعالى ذكره و يقولون هؤلاء المشركون بالله يا محمد لك متى هذا الفتح واختلف فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه متى يجىء هذا الحكم بيننا و بينكم ومتى يكون هذا الثواب والعقاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله و يقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قال قال أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم ان لنا يوما أوشك أن نستريح فيه وننعم فيه فقال المشركون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين * وقال آخرون بل عنى بذلك فتح مكة * والصواب من القول فى ذلك قول من قال معناه و يقولون متى يجىء هذا الحكم بيننا و بينكم يعنون العذاب يدل على أن ذلك معناه قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون ولا شك أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة و بعده ولو كان معنى قوله متى هذا الفتح على ما قاله من قال يعنى به فتح مكة لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة ولا شك أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة ونفعهم بالايمان به و برسوله فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل وفساد ما خالفه وقوله ان كنتم صادقين يعنى ان كنتم صادقين فى الذى تقولون من أنا معاقبون على تكذيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم وعبادتنا الآلهة والاوثان وقوله قل يوم الفتح يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم يوم الحكم ومجىء العذاب لا ينفع من كفر بالله و بآياته ايمانهم الذى يحدثونه فى ذلك الوقت كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم قال يوم الفتح اذا جاء العذاب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم الفتح يوم القيامة ونصب اليوم فى قوله قل يوم الفتح ردا على متى وذلك أن متى فى موضع نصب ومعنى الكلام أنى حين هذا الفتح ان كنتم صادقين ثم قيل يوم كذا و به قرأ القراء وقوله ولا هم ينظرون يقول ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة وقوله فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله القائلين لك متى هذا الفتح المستعجليك بالعذاب وانتظر ما الله صانع بهم انهم منتظرون يقول ان المشركين منتظرون ما تعدهم من العذاب ومجىء الساعة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون يعنى يوم القيامة

آخر تفسير سورة السجدة ولله الحمد والمنة

أنه لا عذاب أزيد مما هم فيه وعلى هذا يمكن أن يراد بالخروج منها والاعادة فيها هو أن أبدانهم تألف النار وتتعوّدها فيقل الاحساس بها فيعيد الله عليهم احساسهم الاول فيزيد تألمهم ومن هنا قالت الحكماء ان الاحساس بحرارة حمى الدق أقل من الاحساس بحرارة الحمى البلغمية مع أن نسبة الدق الى الثانية نسبة النار الى الماء المسخن ونظيره أن الانسان يضع يده فى الماء البارد فيتألم أوّلا ثم اذا صبر زمانا طويلا زال ذلك الالم وذلك لبطلان حسه ثم حتم على نفسه أنه يذيقهم عذاب الدنيا من القتل والاسر والقحط قبل أن يصلوا الى عذاب الآخرة وعن مجاهد أن الأدنى هو عذاب القبر وانما لم يقل الأصغر فى مقابلة الأكبر أو الأبعد الأقصى فى مقابلة الأدنى لان الغرض هو التخويف والتهديد وذلك انما يحصل بالقرب لا بالصغر والكبر ولا بالبعد ومعنى قوله (لعلهم يرجعون) والترجى على الله محال لنذيقهم اذاقة الراجين رجوعهم عن الكفر والمعاصى كقوله انا نسيناكم أى تركناكم كما يترك الناسى حيث لا يلتفت اليه أصلا أى نذيقهم على الوجه الذى يفعل الراجى من التدريج أو نذيقهم اذاقة يقول القائل لعلهم يرجعون بسببه قال فى التفسير الكبير ان الرجاء فى أكثر الامر يستعمل فيما لا تكون عاقبته معلومة فتوهم الاكثرون أنه لا يجوز اطلاقه فى حق الله تعالى وليس كذلك فان الجزم بالعاقبة انما يحصل فى حقه بدليل منفصل لا من نفس الفعل فان التعذيب لا يلزم منه الرجوع لزوما بينا قلت هذا يرجع الى التأويل الاول فان الكلام فى تعذيب الله هل هو يستدعى الرجوع على سبيل الرجاء أم لا وكون مطلق التعذيب مستدعيا لذلك لا يكفى للسائل وقالت المعتزلة لعل من الله ارادة وارادة الله فعل المختار لا تقدح فى اقتدار الله اذا لم يختر المختار مراد الله كأنهم لم يختاروا التوبة والرجوع عن الكفر والالم

﴿ تفسير سورة الاحزاب ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى اتق الله بطاعته وأداء فرائضه وواجب حقوقه عليك والانتهاء عن محارمه وانتهاك حدوده ولا تطع الكافرين الذين يقولون لك اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك والمنافقين الذين يظهرون لك الايمان بالله والنصيحة لك وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبالا فلا تقبل منهم رأيا ولا تستشرهم مستنصحا بهم فانهم لك أعداء ان الله كان عليما حكيما يقول ان الله ذو علم بما تضمره نفوسهم وما الذى يقصدون فى اظهارهم لك النصيحة مع الذى ينطوون لك عليه حكيم فى تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك وغير ذلك من تدبير جميع خلقه واتبع ما يوحى اليك من ربك يقول واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه وآى كتابه ان الله كان بما تعملون خبيرا يقول ان الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن وغير ذلك من أموركم وأمور عباده خبيرا أى ذا خبرة لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله واتبع ما يوحى اليك من ربك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتبع ما يوحى اليك من ربك أى هذا القرآن ان الله كان بما تعملون خبيرا ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ يقول تعالى ذكره وفوض الى الله يا محمد أمرك وثق به وكفى بالله وكيلا يقول وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلا وحفيظا بك ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾ اختلف أهل التأويل فى المراد من قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه فقال بعضهم عنى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق وصفوا نبى الله صلى الله عليه وسلم بأنه ذو قلبين فنفى الله ذلك عن نبيه وكذبهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا حفص بن نفيل قال ثنا زهير بن معاوية عن قابوس بن أبى ظبيان أن أباه حدثه قال قلنا لابن عباس أرأيت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ما عنى بذلك قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فصلى فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه * وقال آخرون بل عنى بذلك رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهيه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه قال كان رجل من قريش يسمى من دهيه ذا القلبين فأنزل الله هذا فى شأنه **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه قال ان

يكونوا اذا ثقين العذاب الاكبر وانما يقدح فى اقتداره اذا تعلقت ارادته بفعل نفسه أو بفعل المضطر المقسور ثم لا يوجد ذلك الفعل وجوز فى الكشاف أن يراد لعلهم يريدون (٧٤) الرجوع الى الدنيا ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا سميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما فى قوله اذا قمتم الى الصلاة ثم بين أنهم اذا ذكروا بالدلائل من النعم أولا والنقم ثانيا وهو العذاب الأدنى ثم لم يؤمنوا فلا أحد أظلم منهم ومعنى (ثم) أنه ذكر مرات ثم بالآخرة (أعرض عنها) والفاء فى سورة الكهف تدل على الاعراض عقيب التذكير وقد سبق وقال أهل المعانى ثم ههنا تدل على أن الاعراض بعد التذكير مستبعد فى العقول قال المحققون الذى لا يحتاج فى معرفة الله الا الى الله عدل كقوله أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد كما قال بعضهم ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله والذى يحتاج فى ذلك الى دلائل الآفاق والانفس متوسط والذى يقر عند الشدة ويجحد عند الرحمة ظالم كقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه والذى يبقى على الجحود والاعراض وان عذب فلا أظلم منه وحين جعله أظلم كل ظالم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم ليدل على اصابة الأظلم منهم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قال انا منهم منتقمون لم يكن بهذه الحيثية فى الافادة ثم عاد الى تأكيد أصل الرسالة مع تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب) قال جار الله اللام للجنس ليشمل التوراة والفرقان والضمير فى لقائه للكتاب أى آتينا موسى مثل ما آتيناك ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحى فلا تك فى شك من أنك لقيت مثله واللقاء بمعنى التلقين والاعطاء كقوله وانك لتلقى القرآن وقيل الضمير فى لقائه لموسى أى من لقائك رجلا موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء موسى الكتاب وهو تلقيه له بالرضا والقبول والضمير فى جعلناه للكتاب على أنه منزل على موسى

رجلا من بنى فهر قال ان فى جوفى قلبين أعقـل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد «وكذب» حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه قال قتادة كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسـلم يسمى ذا القلبين فأنزل الله فيه ما تسمعون * قال قتـادة وكان الحسن يقول كان رجل يقول لى نفس تأمرنى ونفس تنهانى فأنزل الله فيـه ما تسمعون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن عكرمة قال كان رجل يسمى ذا القلبين فنزلت ما جعـل الله لرجل من قلبين فى جوفه * وقال آخرون بل عنى بذلك زيد ابن حارثة من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم كان تبناه فضرب الله بذلك مثلا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسـن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه قال بلغنا أن ذلك كان فى زيد بن حارثة ضرب الله له مثلا يقول ليس ابن رجل آخر ابنك * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال ذلك تكذيب من الله تعـالى قول من قال لرجل فى جوفه قلبان يعقل بهـما على النحو الذى روى عن ابن عباس وجائز أن يكون ذلك تكذيبا من الله لمن وصف رسول الله صـلى الله عليه وسـلم بذلك وأن يكون تكذيبا لمن سمى القرشى الذى ذكر أنه سمى ذا القلبين من دهيـه وأىّ الامرين كان فهو نفى من الله عن خلقـه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة وقوله وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم يقول تعالى ذكره ولم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللائى تقولون لهن أنتن علينا كظهور أمهاتنا أمهاتكم بل جعـل ذلك من قيلكم كذبا وألزمكم عقوبة لكم كفارة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم أى ما جعلها أمك فاذا ظاهر الرجل من امرأته فان الله لم يجعلها أمه ولكن جعـل فيها الكفارة وقوله وما جعل أدعياءكم أبناءكم يقول ولم يجعل الله من ادّعيت أنه ابنك وهو ابن غيرك ابنك بدعواك وذكر أن ذلك نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل تبنيه زيد بن حارثة ذكر الرواية بذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنـا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أدعياءكم أبناءكم قال نزلت هذه الآية فى زيد بن حارثة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما جعـل أدعياءكم أبناءكم قال كان زيد ابن حارثة حين منّ الله ورسوله عليـه يقال له زيد ابن محمد كان تبناه فقال الله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم قال وهو يذكر الازواج والاخت فأخبره أن الازواج لم تكن بالامهـات أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما جعل أدعياءكم أبناءكم وما جعل دعيك ابنك يقول اذا ادّعى رجل رجلا وليس بابنه ذلكم قولكم بأفواهكم الآية وذكر لنا أن النبى صـلى الله عليه وسلم كان يقول من ادّعى الى غير أبيـه متعمدا حرم الله عليه الجنة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة عن أشعث عن عامر قال ليس فى الأدعياء زيد وقوله ذلكم قولكم بأفواهكم يقول تعالى ذكره هـذا القول وهو قول الرجل لامرأته أنت علىّ كظهر أمى ودعاؤه من ليس بابنه أنه ابنه انما هو قولكم بأفواهكم لا حقيقة له لا يثبت بهذه الدعوى نسب الذى ادعيت بنوّته ولا تصير الزوجة أمّا بقول الرجل لها أنت على كظهر أمى والله يقول الحق يقول والله هو

واستدل به على أن الله تعـالى جعل التوراة هدى لبنى اسرائيل خاصة ولم يتعبد بمـا فيها ولد اسمعيل ثم حكى ان منهم من اهتدى حتى صار من أئمة الهدى وذلك حين صبروا أو لصبرهم على متاعب التكليف ومشاق الدعاء (٧٥) الى الدين بعيد ايقانهم به وفيه أن الله تعالى سيجعل الكتاب المنزل على نبينا أيضا سبب الاهتـداء والهداية وكان كما أخبر ومثـله اخبار النبى صلى الله عليه وسـلم علمـاء أمتى كأنبياء بنى اسرائيـل ولا يخفى أن من التبعيضة فى قوله (وجعلنا منهـم) كانت تدل على أن بعضهم ليسوا أئمة الهدى وفيه رمز الى أن بعضهم كانوا أئمة الضـلال فلذلك قال (ان ربك هو يفصـل بينهم) الآية وفيـه اشارة الى أنه سبحانه سيميز المحق فى كل دين من المبطل ثم أعاد أصـل التوحيـد مقرونا بالوعيد قائلا (أولم يهد لهم) وقدمر نظيره فى آخر طه وانمـا قال فى آخر الآية (ان فى ذلك لآيات) على الجمع ليناسب القرون والمساكن وانما قال (أفلا يسمعون) لانه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع وفيـه اشارة الى أنه لا حظ لهم منـه الا السماع وحين ذكر الاهـلاك والتخريب أتبعـه ذكر الاحيـاء والعمارة ومعنى (نسوق الماء) نسوق السحاب وفيه المطر (الى الارض الجرز) وهى التى جزنباتها أى قطع اما لعدم المـاء واما لانه رعى وأزيل قال جار الله ولا يقـال للتى لا تنبت كالسباخ جرز بدلالة قوله (فنخرج به زرعا) وعن ابن عباس أنهـا أرض اليمن والضمير فى به للماء وانما قدم الانعام ههنا على الانفس لان الزرع لا يصلح أوّله الا للانعام وانما يحـدث الحب فى آخر أمره قال فى طه كلوا وارعوا أنعامكم لان الازواج من النبات أعم من الزرع وكثير منه يصلح للانسان فى أول ظهوره مع أن الخطاب لهم فناسب أن يقدموا وانمـا ختم الآية بقوله (أفلا يبصرون) تأكيدا لقوله فى أول الآية اولم يروا ثم حكى نوع جهالة أخرى عنهم وهو استعجالهم العذاب قال المفسرون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين

الصادق الذى يقول الحق وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه و به تكون المرأة للولود أمّا اذا حكم بذلك وهو يهدى السبيل يقول تعالى ذكره والله يبين لعباده سبيل الحق و يرشدهم لطريق الرشاد

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما﴾ يقول الله تعالى ذكره انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألحق نسب زيد بأبيه حارثة ولا تدعه زيد ابن محمد وقوله هو أقسط عند الله يقول دعاؤكم اياهم لآبائهم هو أعدل عند الله وأصدق وأصوب من دعائكم اياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم الى من تبناهم وادّعاهم وليسوا له بنين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله أى أعدل عند الله وقوله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم يقول تعالى ذكره فان أنتم أيها الناس لم تعلموا آباء أدعيائكم من هم فتنسبوهم اليهم ولم تعرفوهم فتلحقوهم بهم فاخوانكم فى الدين يقول فهم اخوانكم فى الدين ان كانوا من أهل ملتكم ومواليكم ان كانوا محرريكم وليسوا ببنيكم * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله أى أعدل عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم فان لم تعلموا من أبوه فانما هو أخوك ومولاك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال أبو بكرة قال الله ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم فأنا ممن لا يعرف أبوه وأنا من اخوانكم فى الدين قال قال أبى والله انى لأظنه لو علم أن أباه كان حمارا لانتمى اليه وقوله وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به يقول ولا حرج عليكم ولا وزر فى خطأ يكون منكم فى نسبة بعض من تنسبونه الى أبيه وأنتم ترونه ابن من تنسبونه اليه وهو ابن لغيره ولكن ما تعمدت قلوبكم يقول ولكن الاثم والحرج عليكم فى نسبتكموه الى غير أبيه وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه اليه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به يقول اذا دعوت الرجل لغير أبيه وأنت ترى أنه كذلك ولكن ما تعمدت قلوبكم يقول الله لا تدعه لغير أبيه متعمدا أما الخطأ فلا يؤاخذكم الله به ولكن يؤاخذكم بما تعمدت قلوبكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تعمدت قلوبكم قال فالعمد ما أتى بعد البيان والنهى فى هذا وغيره وما التى فى قوله ولكن ما تعمدت قلوبكم خفض ردا على ما التى فى قوله فيما أخطأتم به وذلك أن معنى الكلام ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن فيما تعمدت قلوبكم وقوله وكان الله غفورا رحيما يقول الله تعالى ذكره وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر من زوجته فقال الباطل والزور من القول وذنب من ادّعى ولد غيره ابناله اذا تابا وراجعا أمر الله وانتهيا عن قيل الباطل بعد أن نهاهما ربهما عنه ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك بعد توبتهما من خطيئتهما

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿النبىّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض

أى ينصرنا عليهم و يفتح بيننا و بينهم أى يفصل فاستعجل المشركون ذلك و يوم الفتح يوم القيامة فحينئذ تنفتح أبواب الامور المبهمة أو يوم بدر أو يوم فتح مكة قاله مجاهد والحسن (٧٦) فان قلت كيف ينطبق قوله قل يوم الفتح الخ جوابا عن سؤالهم عن وقت الفتح فالجواب أنهم سألوا ذلك على وجه التكذيب والاستهزاء فقيل لهم لا تستهزؤا فكأنا بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم فلم تنظروا ومن فسر يوم الفتح بيوم بدر أو بيوم فتح مكة فالمراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم فى حال القتل والا فقد نفع الايمان الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنهم وانتظار النصرة عليهم حين علم أنه لا طريق معهم الا القتال نظيره قوله قل تربصوا فانى معكم من المتربصين

﴿التأويل الالف المحبون لقربى والعارفون بتمجيدى فلا يصبرون عنى ولا يستأنسون بغيرى اللام الاحباء لى مدخر لقائى فلا أبالى أقاموا على وثاقى أم قصروا فى وفائى الميم ترك أوليائى مرادهم لمرادى فلذلك اخترتهم على جميع عبادى تنزيل الكتاب أعز الاشياء على الاحباب كتاب الاحباب أنزله رب العالمين لاهل الظاهر على ظاهرهم ولاهل الباطن فى باطنهم فاستناروا بنوره وتكلموا بالحق عن الحق للحق فلم يفهمه أهل الغرة والغفلة فقالوا افتراه خلق سموات الارواح وأرض الاشباح وما بينهما من النفس والقلب والسر فى ستة أجناس هى الجماد والمعدن والنبات والحيوان والشيطان والملك ثم استوى على العرش الخفى وهو لطيفة ربانية قابلة للفيض الربانى بلا واسطة أفلا تتذكرون كيف خلقكم فى أطوار مختلفة يدبر الامر من سماء الروح الى أرض النفس والبدن ثم يعرج اليه النفس المخاطبة بخطاب ارجعى الى ربك فى يوم طلعت فيه شمس صدق الطلب وأشرقت الارض بنور جذبات الحق كان مقداره فى العروج بالجذبة كألف سنة

فى

في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا) يقول تعالى ذكره النبي محمد أولى بالمؤمنين يقول أحق بالمؤمنين به من أنفسهم أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم فيجوز ذلك عليهم كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز كما كلما قضيت على عبدك جاز حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال هو أب لهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأيما مؤمن ترك مالا فلورثته وعصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا فليأتني وأنا مولاه حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسن بن علي عن أبي موسى اسرائيل بن موسى قال قرأ الحسن هذه الآية النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم قال قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أولى بكل مؤمن من نفسه قال الحسن وفي القراءة الاولى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال في بعض القراءة النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل ترك ضياعا فأنا أولى به وان ترك مالا فهو لورثته وقوله وأزواجه أمهاتهم يقول وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم في أنهن يحرم عليهم نكاحهن من بعد وفاته كما يحرم عليهم نكاح أمهاتهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم يعظم بذلك حقهن وفي بعض القراءة وهو أب لهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأزواجه أمهاتهم محرمات عليهم وقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين يقول تعالى ذكره وأولوا الارحام الذين ورثت بعضهم من بعض هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضا بالهجرة والايمان دون الرحم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجرين شيئا فأنزل الله هذه الآية فخلط المؤمنين بعضهم ببعض فصارت المواريث بالملل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بين المهاجرين والانصار أول ما كانت الهجرة وكانوا يتوارثون على ذلك وقال الله ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم قال اذا لم يأت رحم لهذا يحول دونهم قال فكان هذا أولا فقال الله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا يقول الا أن توصوا لهم كان ذلك في الكتاب مسطورا أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله قال

مما تعدون من أيامكم في السير من غير جذبة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين وبدأ خلق الانسان من طين وخمره بيده في أربعين صباحا فأودع في كل صباح خاصية نوع من أنواع عالم الشهادة ثم جعل نسله من سلالة سلها من أجناس عالم الشهادة ثم سواه شخص انسان جديد المرآة ونفخ فيه من روحه فصار مرآة قابلة لاراءة صفات جماله وجلاله ثم تجلى فيها بتجلية صفة السمعية والبصرية والعالمية التي مرآتها السمع والابصار والافئدة ضللنا في أرض البشرية يتوفاكم ملك الموت وهو المحبة الالهية بقبض الارواح من صفات الانسانية ويميتها عن محبوباتها بجذبة ارجعي ناكسو رؤسهم بالتوجه الى حضيض عالم الطبيعة كالأنعام بعد أن كانوا رافعي الرؤس يوم الميثاق تتجافى جنوبهم همتهم عن مضاجع الدارين جنات المأوى التي هي مأوى الابرار تكون نزلا للمقربين السائرين الى الله كنتم به تكذبون لأنه لم يكن لكم به شعور في الدنيا لانكم كنتم في يوم الغفلة والاشتغال بالمحسوسات العذاب الأدنى اذا وقعت للسالك فترة ووقفة لعجب تداخله أو لملالة وسآمة ابتلاه الله ببلاء في نفسه أو ماله أو مصيبة في أهاليه وأقربائه وأحبابه لعله ينتبه من نوم الغفلة ويدارك أيام العطلة قبل أن يذيقه العذاب الاكبر في الخذلان والهجران فلا تك في مرية من لقائه أي من أنه يرى الرب ببركة متابعتك حين قال اللهم اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فان الرؤية مخصوصة بك وبتبعتك لامتك ويحتمل أن يكون الخطاب في فلا تك لموسى القلب والضمير في لقائه لله وجعلنا موسى القلب هدى لبني اسرائيل صفات القلب وجعلناهم أئمة هم السر الخفي ان ربك هو يفصل بينهم الآية لانهم عنده أعز من أن يجعل حكمهم الى أحد من المخلوقين ولانه أعلم بحالهم من غيرهم ولئلا يطلع على أحوالهم غيره لانه خلقهم للمحبة والرحمة فينظر في شأنهم بنظر المحبة والرضا

لانه عفوّ يفيض العفو والجود فتحيا به القلوب الميتة فيسقى حدائق وصلهم بعد جفاف عودها وزوال المأنوس من معهودها فنخرج به زرعا من الواردات التي تصلح لتربية النفوس وهى الانعام ومن المشاهدات التى تصلح لتغذية القلوب ويقول المنكرون لهذه الطائفة متى هذا الفتح أى الفتوح التى تدعونها قل لا ينفعكم ذلك اذ لم تقتدوا بهم ولم تهتدوا بهديهم فأعرض عنهم أيها الطالب بالاقبال علينا وبالله التوفيق

(سورة الاحزاب مدنية حروفها خمسة آلاف وسبعمائة وستة وتسعون كلمها ألف ومائتان وثمانون آياتها ثلاث وسبعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعدّ للكافرين عذابا أليما يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون لهم بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون

وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون ان كانوا أولى رحم حتى يهاجروا الى المدينة وقرأ قال الله والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا الى قوله وفساد كبير فكانوا لا يتوارثون حتى اذا كان عام الفتح انقطعت الهجرة وكثر الاسلام وكان لا يقبل من أحد أن يكون على الذى كان عليه النبي ومن معه الا أن يهاجر قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بعث اغدوا على اسم الله لا تغلوا ولا تولوا ادعوهم الى الاسلام فان أجابوكم فاقبلوا وادعوهم الى الهجرة فان هاجروا معكم فلهم مالكم وعليهم ما عليكم فان أبوا ولم يهاجروا واختاروا دارهم فأقروهم فيها فهم كالأعراب تجرى عليهم أحكام الاسلام وليس لهم فى هذا الفيء نصيب قال فلما جاء الفتح وانقطعت الهجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وكثر الاسلام وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا ونسخ ذلك الذى كان بين المؤمنين والمهاجرين وكان لهم فى الفيء نصيب وان أقاموا وأبوا وكان حقهم فى الاسلام واحدا المهاجر وغير المهاجر والبدوى وكل أحد حين جاء الفتح فمعنى الكلام على هذا التأويل وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الارحام من المؤمنين والمهاجرين أولى بالميراث ممن لم يؤمن ولم يهاجر وقوله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك الا أن توصوا لذوى قرابتكم من غير أهل الايمان والهجرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن حجاج عن سالم عن ابن الحنفية الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قالوا يوصى لقرابته من أهل الشرك * قال ثنا عبدة قال قرأت على ابن أبى عروبة عن قتادة الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قال للقرابة من أهل الشرك وصية ولا ميراث لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قال الى أوليائكم من أهل الشرك وصية ولا ميراث لهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أحمد الزبيرى ويحيى بن آدم عن ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة الى أوليائكم معروفا قال وصية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى محمد بن عمرو عن ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا فقال العطاء فقلت له المؤمن للكافر بينهما قرابة قال نعم عطاؤه اياه حباء ووصية له * وقال آخرون بل معنى ذلك الا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحق الايمان والهجرة والحلف فتؤتونهم حقهم من النصرة والعقل عنهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قال حلفاؤكم الذين والى بينهم النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار امساك بالمعروف والعقل والنصر بينهم * وقال آخرون بل معنى ذلك أن توصوا الى أوليائكم من المهاجرين وصية ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا يقول الا أن توصوا لهم * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال معنى ذلك الا أن تفعلوا الى أوليائكم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والانصار معروفا من الوصية

لهم والنصرة والعقل عنهم وما أشبه ذلك لان كل ذلك من المعروف الذى قد حث الله عليه عباده وانما اخترت هذا القول وقلت هو أولى بالصواب من قيل من قال عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك لان القريب من المشرك وان كان ذا نسب فليس بالمولى وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم وليا بقوله لا تتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء ثم يصفهم جل ثناؤه بأنهم لهم أولياء وموضع أن من قوله الا أن تفعلوا نصب على الاستثناء ومعنى الكلام وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم الذين ليسوا بأولى أرحام منكم معروفا وقوله كان ذلك فى الكتاب مسطورا يقول كان أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله أى فى اللوح المحفوظ مسطورا أى مكتوبا كما قال الراجز

* فى الصحف الأولى التى كان سطر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كان ذلك فى الكتاب مسطورا أى ان أولى الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله * وقال آخرون معنى ذلك كان ذلك فى الكتاب مسطورا لا يرث المشرك المؤمن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ يقول تعالى ذكره كان ذلك فى الكتاب مسطورا اذ كتبنا كل ما هو كائن فى الكتاب واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم كان ذلك أيضا فى الكتاب مسطورا ويعنى بالميثاق العهد وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل ومنك يا محمد ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا يقول وأخذنا من جميعهم عهدا مؤكدا أن يصدق بعضهم بعضا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول كنت أول الأنبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ميثاق أخذه الله على النبيين خصوصا أن يصدق بعضهم بعضا وأن يتبع بعضهم بعضا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال قال كان قتادة اذا تلا هذه الآية واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم فى أول النبيين فى الخلق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال فى ظهر آدم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأخذنا منهم ميثاقا غليظا قال الميثاق الغليظ العهد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعدّ للكافرين عذابا أليما﴾ يقول تعالى ذكره أخذنا من هؤلاء الأنبياء ميثاقهم كيما أسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم وما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من الرسالة * وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد ليسأل الصادقين عن صدقهم قال المبلغين المؤدّين من الرسل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا

من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودّوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا ۞ القراآت بما يعملون خبيرا على الغيبة والضمير للمنافقين أبو عمرو اللائى بهمزة بعدها ياء حمزة وعلى وخلف وعاصم وابن عامر بهمزة مكسورة فقط سهل ويعقوب ونافع غير ورش من طريق النجارى وابن مجاهد وابن عون عن قنبل اللاى بياء مكسورة فقط أبو عمرو وورش من طريق النجارى ويزيد وسائر الروايات عن ابن كثير وكذلك فى المجادلة والطلاق تظاهرون من المظاهرة عاصم تظاهرون بحذف احدى تاءى الفاعل حمزة وعلى وخلف مثله ولكن بادغام التاء فى الظاء ابن عامر الباقون تظهرون بتشديد الظاء والهاء بما يعملون بصيرا على الغيبة أبو عمرو وعباس مخير واذ زاغت مدغما أبو عمرو وعلى وهشام وحمزة فى رواية ابن سعدان وخلاد وابن عمرو وزاغت بممالة نصير

عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليسأل الصادقين عن صدقهم قال المبلغين المؤدّين من الرسل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان عن رجل عن مجاهد ليسأل الصادقين عن صدقهم قال الرسل المؤدّين المبلغين قوله وأعدّ للكافرين عذابا أليما يقول وأعدّ للكافرين بالله من الأمم عذابا موجعا ﴿﴾ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم التي أنعمها على جماعتكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق اذ جاءتكم جنود يعني جنود الأحزاب قريش وغطفان ويهود بني النضير فأرسلنا عليهم ريحا وهي فيما ذكر ريح الصبا كما حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة قال قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلق ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل قال فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو عامر قال ثني الزبير يعني ابن عبد الله قال ثني ربيح بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر فهل من شئ نقوله قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب الله وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الله بالريح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني عبد الله بن عمرو عن نافع عن عبد الله قال أرسلني خالي عثمن ابن مظعون ليلة الخندق في برد شديد وريح الى المدينة فقال ائتنا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي وقال من لقيت من أصحابي فمرهم يرجعوا قال فذهبت والريح تسفي كل شئ فجعلت لا ألقى أحدا الا أمرته بالرجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فما يلوي أحد منهم عنقه قال وكان معي ترس لي فكانت الريح تضرب به عليّ وكان فيه حديد قال فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي فأنفذها الى الارض حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن أخي قال فكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الارض لحملناه على أعناقنا قال حذيفة يا ابن اخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع أدخله الله الجنة فما قام أحد ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيأ حتى تأتينا قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقرّ لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه فقال حذيفة فأخذت

وحمزة في رواية خلاد ورجاء الظنونا والرسولا والسبيلا في الحالين ابو عمرو ونافع وابن عامر وعباس والخراز وابو بكر وحماد والمفضل وقرأ أبو عمرو غير عباس وحمزة ويعقوب بغير ألف في الحالين الباقون بالالف في الوقوف وبغير ألف في الوصل لا مقام بضم الميم حفص الآخرون بفتحها لأتوها مقصورا من الاتيان ابو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون بالمد من الايتاء الاعطاء ويساءلون بادغام التاء في السين من التفاعل يعقوب الباقون يسألون ثلاثيا ﴿﴾ الوقوف والمنافقين ط حكيما ٥ ربك ط خبيرا ٥ على الله ط وكيلا ط ٥ في جوفه ج فصلا بين بيان الحالين المختلفين مع اتفاق الجملتين أمهاتكم ج لذلك أبناءكم ط بأفواهكم ط السبيل ٥ عند الله ج للشرط مع العطف ومواليكم ط أخطأتم به لا لان التقدير ولكن فيما تعمدت قلوبكم وكذا ان كان خبر مبتدا محذوف أي ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وذلك للاستدراك رحيما ٥ ط أمهاتهم ط معروفا ٥ مسطورا ٥ عيسى ابن مريم ص للعطف غليظا ٥ صدقهم ج لان الماضي لا ينعطف على المستقبل ولكن التقدير وقد أعد أليما ٥ تروها ط بصيرا ٥ ج لاحتمال أن يكون المراد واذكر اذ جاؤكم ولا سيما على قراءة يعملون على الغيبة الظنونا ط شديدا ٥ غرورا ٥ فارجعوا ج لظاهر الواو وان كانت للاستئناف بعورة ط بناء على أن ما بعده ابتداء اخبار من الله ومن وقف على عورة وجعل ابتداء الاخبار من هناك لم يقف فرارا ٥ يسيرا ٥ الأدبار ط مسؤلا ٥ قليلا ٥ رحمة ط ولا نصيرا ٥ الينا ج لاحتمال كون ما بعده استئنافا أو حالا قليلا لا لأن ما بعده حال عليكم ج لعطف الجملتين المختلفتين الموت ج فصلا بين تناقض الحالين الخير ط أعمالهم ط يسيرا ٥ لم يذهبوا ج أنبائكم ط قليلا ٥ ﴿﴾ التفسير لما أمره في آخر السورة المتقدمة

بانتظار الفرج والنصر امره فى اول هذه السورة بأن لا يتق غير الله ولا يطيع سواه قال جار الله عن زر قال قال ابى بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذى يحلف به أبى بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما الى آخره أراد أبى بن كعب أنها من جملة مانسخ من القرآن وأما مايحكى أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة فأكلتها الداجن فمن تأليفات المبتدعة ومن تشريفات الرسول صلى الله عليه وسلم أنه نودى فى جميع القرآن بالنبى أو الرسول دون اسمه كما جاء يا آدم ياموسى ياعيسى ياداود وانما جاء فى الاخبار محمد رسول الله تعليما للناس وتلقينا لهم أنه رسول وجاء ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد لان المقام مقام تعيين وتشخيص وازالة اشتباه مع قصد أن لا يكون القرآن خاليا عن بركة اسمه العلم وحيث لم يقصد هذا المعنى ذكره بنحو ما ذكره فى النداء كقوله لقد جاءكم رسول النبى أولى بالمؤمنين لقد كان لكم فى رسول الله أسوة والمراد بقوله (اتق الله) واظب على ما أنت عليه من التقوى ولو أريد الازدياد جاز لان التقوى باب لا يبلغ آخره ولا يأمن أحد أن يصدر عنه مالا يوافق التقوى ولا يطابق الدعوى ولهذا جاء قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى يعنى انما يرفع عنى الحجاب فينكشف لى الوحى واذا أرخى لدى الستر فانى كهيئتكم يروى أنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة

فأخذت بيد الرجل الذى الى جنبى فقلت من أنت فقال أنا فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف واختلفت بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون والله مايطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن لا تحدث شيأ حتى تأتينى لو شئت لقتلته بسهم قال حذيفة فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه فلما رآنى أدخلنى بين رجليه وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجد وانى لفيه فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اذ جاءتكم جنود قال الأحزاب عيينة بن بدر وأبو سفيان وقريظة وقوله فأرسلنا عليهم ريحا قال ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورهم على أفواهها ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم وقوله وجنودا لم تروها قال الملائكة ولم تقاتل يومئذ **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها قال يعنى الملائكة قال نزلت هذه الآية يوم الاحزاب وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا الخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل أبو سفيان بقريش ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عيينة بن حصن أحد بنى بدر ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبت اليهود أبا سفيان وظاهروه فقال حيث يقول الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم فبعث الله عليهم الرعب والريح فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا نارا أطفأها الله حتى لقد ذكر لنا أن سيد كل حى يقول يابنى فلان هلم الى حتى اذا اجتمعوا عنده فقال النجاء النجاء أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم الآية قال كان يوم أبى سفيان يوم الاحزاب **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان فى قول الله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة وقوله وكان الله بما تعملون بصيرا يقول تعالى ذكره وكان الله بأعمالكم يومئذ وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجهد والشدة وثباتهم لعدوهم وغير ذلك من أعمالهم بصيرا لا يخفى عليه من ذلك شئ يحصيه عليهم ليجزيهم عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا ﴾ يقول تعالى ذكره وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاءتكم جنود الاحزاب من فوقكم ومن أسفل منكم وقيل ان الذين أتوهم من أسفل منهم أبو سفيان فى قريش ومن معه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

وكان يحب اسلام يهود قريظة والنضير وغيرهم وقد تابعه ناس منهم على النفاق كان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم فنزلت وروى أن أبا سفيان بن حرب وأشياعه قدموا المدينة أيام المصالحة

فقالوا يارسول الله ارفض ذكر آلهتنا وندعك وربك فشق ذلك على المؤمنين فهموا بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد (ولا تطع الكافرين) من أهل مكة (والمنافقين) من (٨٣) أهل المدينة فيما طلبوا اليك وكانوا يقولون له أن يعطوه شطر أموالهم ان رجع عن دينه (ان الله كان عليما) بالصواب (حكيما) فيما أمرك به من عدم اتباع آرائهم وأهوائهم وحين نهاه عن اتباع الغى أمره باتباع ما هو رشد وصلاح وهو القرآن وبأن يثق بالله ويفوض اليه أموره فلا يخاف غيره ولا يرجو سواه ولما أمر رسوله بما أمر من اتقاء الله وحده وقد ابتدر منه صلى الله عليه وسلم فى حكاية زينب زوجة دعيه زيد ما ابتدر قال على سبيل المثل ما جعل الله لرجل من قلبين كأنه قال يا أيها النبى اتق الله حق تقاته وهو أن لا يكون فى قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقى بأحدهما الله وبالآخر غيره كما جاء فى قصة زيد وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم أراد أن يدفع عنه مقالة الناس بأنه تعالى لم يجعل دعى المرء ابنه فقدم على ذلك مقدمة وهى قوله (وما جعل أزواجكم) الى آخرها أى انكم اذا قلتم لأزواجكم أنت على كظهر أمى لا تصير أما باجماع الكل أما فى الاسلام فانه ظهار لا يحرم الوطء كما سيجىء فى سورة المجادلة وأما فى الجاهلية فلأنه كان طلاقا حتى كان يجوز للزوج أن يتزوج بها ثانيا فكذلك قول القائل للدعى انه ابنى لا يوجب كونه ابنا فلا تصير زوجته زوجة الابن فلم يكن لأحد أن يقول فى ذلك شيأ فلم يكن لخوفك من الناس وجه ولو كان أمرا مخوفا ما كان يجوز أن تخاف غير الله اذ ليس لك قلبان فى الجوف والفائدة فى ذكر هذا القيد كالفائدة فى قوله القلوب التى فى الصدور من زيادة التصوير للتأكيد ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت على كظهر أمى كأنه قال بفاعل تباعدى منى بجهة الظهار وعدى بمن لتضمين معنى التباعد وانما كنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذى يقارب الفرج فكنوا عنه

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ جاؤكم من فوقكم قال عيينة بن بدر فى أهل نجد ومن أسفل منكم قال أبو سفيان قال وواجههم قريظة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ذكرت يوم الخندق وقرأت اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر قالت هو يوم الخندق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير وعمن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك وعن الزهرى وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن محمد بن كعب القرظى وعن غيرهم من علمائنا أنه كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق النضرى وحيى بن أخطب النضرى وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النضرى وهوذة بن قيس الوائلى وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا مكة على قريش فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منهم قال فهم الذين أنزل الله فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا فيه فأجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحرث بن عوف بن أبى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا اله من الامر ضرب الخندق على المدينة فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بنى كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام وخرج عدو الله حيى بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك وعاقده فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيى يا كعب افتح لى قال ويحك يا حيى انك امرؤ مشؤم انى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا قال ويحك افتح لى أكلمك قال ما أنا

بالظهر الذى يلازمه لانه عموده وبه قوامه وقيل ان اتيان المرأة فى قبلها من جانب ظهرها كان محذورا عندهم زعما منهم بأن الولد حينئذ يجىء أحول فالقصد التغليظ شبهها المطلق منهم بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله (٨٣) ظهر أمه والدعى فعيل بمعنى مفعول وهو المدعو ولدا شبه بفعيل الذى هو بمعنى فاعل كتقى وأتقياء فجمع على أفعلاء واعلم أن زيد بن حارثة كان رجلا من قبيلة كلب سبى صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وكانوا يقولون زيد ابن محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية وقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب وكان يقال له ذو القلبين وقيل هو جميل الفهرى كان يقول ان لى قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فأكذب الله قولهما وضرب به مثلا فى الظهار والتبنى وقيل سها فى صلاته فقالت اليهود وأهل النفاق لمحمد قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت فيمن يقول نفس تأمرنى ونفس تنهانى ومعنى التنكير فى رجل وزيادة من الاستغراقية التأكيد كأنه قيل ما جعل الله لنوع الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة (ذلكم) النسب (قولكم بأفواهكم) اذ لا أصل شرعا لقول القائل هذا ابنى وذلك اذا كان معروف النسب حرا أما اذا كان مجهول النسب فان كان حرا ثبت نسبه من المتبنى ظاهرا ان أمكن ذلك بحسب السن وان كان عبدا له عتق وثبت النسب وان كان العبد معروف النسب عتق ولم يثبت النسب ثم بين ما هو الحق والهدى عند الله فقال (ادعوهم لآبائهم) أى انسبوهم اليهم (فان لم تعلموا آباءهم) فهم اخوانكم فى الدين ومواليكم فقولوا هذا أخى أو مولاى يعنى الولاية فى الدين ثم رفع الجناح اذا صدر القول المذكور خطأ على سبيل سبق اللسان وكذا ما فعلوه من ذلك قبل ورود النهى ويجوز أن يراد العفو

بفاعل قال والله ان أغلقت دونى الا تخوفت على جشيشتك أن آكل معك منها فأحفظ الرجل ففتح له فقال يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طم جئتك بقريش على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد قد عاهدونى وعاقدونى أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب بن أسد جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق ليس فيه شئ فدعنى ومحمدا وما أنا عليه فلم أر من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حيى بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاهم عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بنى الأشهل وهو يومئذ سيد الأوس وسعد ابن عبادة بن دليم أخى بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله ابن رواحة أخو بلحرث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بنى عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع خبيب بن عدى وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب الى الغائط وحتى قال أوس بن قيظى أحد بنى حارثة بن الحرث يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك عن ملا من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع الى دارنا وانها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمى بالنبل والحصا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان قوله اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم فالذين جاؤهم من فوقهم قريظة والذين جاؤهم من أسفل منهم قريش وغطفان وقوله واذ زاغت الأبصار يقول وحين عدلت الابصار عن مقرها وشخصت طامحة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ زاغت الأبصار شخصت وقوله وبلغت القلوب الحناجر يقول نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف فبلغت الى الحناجر كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة وبلغت القلوب الحناجر قال من الفزع وقوله وتظنون بالله الظنونا يقول وتظنون بالله الظنون الكاذبة وذلك

عن الخطا على طريق العموم فيتناول لعمومه خطأ النبي وعمده (وكان الله غفورا) للخاطئ (رحيما) للعامل ولاسيما اذا تاب ثم انه كان لقائل أن يقول هب أن الدعي لايسمى ابنا (٨٤) أما اذا كان لدعيه شئ حسن فكيف يليق بالمروءة أن تطمح عينه اليه وخاصة اذا كان زوجته فلذلك قال في جوابه (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) والمعقول فيه أنه راس الناس ورئيسهم فدفع حاجته والاعتناء بشأنه أهم كما أن رعاية العضو الرئيس وحفظ صحته وازالة مرضه أولى والى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ابدأ بنفسك ثم بمن تعول و يعلم من اطلاق الآية أنه أولى بهم من أنفسهم في كل شئ من أمور الدنيا والدين وقيل ان أولى بمعنى أرأف وأعطف كقوله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن هلك وترك مالا فلترثه عصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا أي عيالا فالي وكما رفع قدره بتحليل أزواج غيره له اذا تعلق قلبه باحداهن رفع شأنه بتحريم أزواجه على أمته ولو بعد وفاته فقال (وأزواجه أمهاتهم) أي في هذا الحكم فانهن فيما وراء ذلك كالاجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم الى بناتهن ومن كمال عناية الله سبحانه بأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن لم يقل وهو أب لهم وان جاءت هذه الزيادة في قراءة ابن مسعود والاحرم زوجات المؤمنين عليه أبدا الا أن يراد الابوة والشفقة في الدين كما قال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون اخوة قال المفسرون كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة فنسخه

كظن من ظن منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغلب وأن ما وعده الله من النصر أن لا يكون ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التي ظنها من ظن ممن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره حدثنا بشر قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن وتظنون بالله الظنونا قال ظنونا مختلفة ظن المنافقون أن محمدا وأصحابه يستأصلون وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق انه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون واختلفت القراء في قراءة قوله وتظنون بالله الظنون فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين الظنونا باثبات الالف وكذلك وأطعنا الرسولا فأضلونا السبيلا في الوصل والوقف وكان اعتلال المعتل في ذلك لهم أن ذلك في كل مصاحف المسلمين باثبات الالف في هذه الاحرف كلها وكان بعض قراء الكوفة يثبت الالف فيهن في الوقف ويحذفها في الوصل اعتلالا بأن العرب تفعل ذلك في قوافي الشعر ومصاريعها فتلحق الألف في موضع الفتح للوقوف ولا تفعل ذلك في حشو الابيات فان هذه الاحرف حسن فيها اثبات الالفات لانهن رؤس الآي تمثيلا لها بالقوافي وقرأ ذلك بعض قراء البصرة والكوفة بحذف الالف من جميعه في الوقف والوصل اعتلالا بأن ذلك غير موجود في كلام العرب الا في قوافي الشعر دون غيرها من كلامهم وأنها انما تفعل ذلك في القوافي طلبا لاتمام وزن الشعر اذ لو لم تفعل ذلك فيها لم يصح الشعر وليس ذلك كذلك في القرآن لانه لاشئ يضطرهم الى ذلك في القرآن وقالوا هن مع ذلك في مصحف عبد الله بغير ألف * وأولى القراآت في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بحذف الالف في الوصل والوقف لان ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب مع شهرة القراءة بذلك في قراء المصرين الكوفة والبصرة ثم القراءة باثبات الالف فيهن في حالة الوقف والوصل لان علة من أثبت ذلك في حال الوقف أنه كذلك في خطوط مصاحف المسلمين واذا كانت العلة في اثبات الالف في بعض الاحوال كونه مثبتا في مصاحف المسلمين فالواجب أن تكون القراءة في كل الاحوال ثابتة لانه مثبت في مصاحفهم وغير جائز أن تكون العلة التي توجب قراءة ذلك على وجه من الوجوه في بعض الاحوال موجودة في حال أخرى والقراءة مختلفة وليس ذلك لقوا في الشعر بنظير لان قوافي الشعر انما تلحق فيها الالفات في مواضع الفتح والياء في مواضع الكسر والواو في مواضع الضم طلبا لتتمة الوزن وأن ذلك لو لم يفعل كذلك بطل أن يكون شعرا لاستحالته عن وزنه ولا شئ يضطر تالي القرآن الى فعل ذلك في القرآن وقوله هنالك ابتلي المؤمنون يقول عند ذلك اختبر ايمان المؤمنين ومحص القوم عرف المؤمن من المنافق * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هنالك ابتلي المؤمنون قال محصوا وقوله وزلزلوا زلزالا شديدا يقول وحركوا بالفتنة تحريكا شديدا وابتلوا وفتنوا وقوله واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض شك في الايمان وضعف في اعتقادهم اياه ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وذلك فيما ذكر قول معتب بن قشير * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد بن رومان واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا يقول معتب بن قشير اذ قال ما قال يوم الخندق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم

الله بقوله (وأولوا الأرحام) الآية وجعل التوارث بحق القرابة ومعنى (في كتاب الله) في اللوح أو في القرآن وهو هذه الآية وآية المواريث وقد سبق نظيره في آخر الانفال وقوله (من المؤمنين) اما ان يتعلق باولوا الارحام أي الاقارب من هؤلاء بعضهم أولى قال

بأن يرث بعضا من الاجانب واما أن يتعلق بأولى أى أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية الدينية ومن المهاجرين بحق الهجرة ثم أشار الى الوصية بقوله (الا أن تفعلوا) أى الا أن يسدوا و يوصلوا (٨٥) الى أوليائهم فى الدين وهم المؤمنون والمهاجرون معروفا برا بطريق التوصية والحاصل أن الاقارب أحق من الاجانب فى كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا فى الوصية فانه لاوصية لوارث قال أهل النظم كأنه سبحانه قال بينكم هذا التوارث والنبى لاتوارث بينه وبين أقاربه فلذلك جعلناله بدل هذا أنه أولى فى حياته بما فى أيديكم أولعله أراد دليلا على قوله أولى بالمؤمنين فذكر أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض ثم لو أراد أحد برا مع صديقه صار ذلك الصديق أولى من قريبه كأنه بالوصية قطع الارث وقال هذا مالى لاينتقل منى الا الى من أريده فالله تعالى كذلك جعل لصديقه من الدنيا ما أراده ثم ما يفضل منه يكون لغيره (كان ذلك) الذى ذكر فى الآيتين (فى الكتاب) وهو القرآن أو اللوح (مسطورا) والجملة مستأنفة كالخاتمة للاحكام المذكورة ثم أكد الامر بالاتقاء بقوله (واذ أخذنا) أى اذكر وقت أخذنا فى الازل (من النبيين ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القويم من غير تفريط وتوان وقد خصص بالذكر خمسة لفضلهم وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم لأفضليته وانما قدم نوحا فى قوله شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك لان المقصود هنالك وصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم من الدين الأصلى الذى بعث عليه نوح فى العهد القديم ومحمد خاتم الانبياء فى العهد الحديث و بعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير وانما نسب الدين القديم الى نوح لا الى آدم لان نوحا كان أصلا ثانيا للناس بعد الطوفان وخلق آدم كان كالعمارة ونبوته كانت ارشادا للاولاد ولهذا لم يكن فى زمانه اهلاك قوم

قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال تكلمهم بالنفاق يومئذ وتكلم المؤمنون بالحق والايمان قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الاغرورا قال قال ذلك أناس من المنافقين قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم وقد حصرنا ههنا حتى مايستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته ماوعدنا الله ورسوله الاغرورا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم يافلان أرأيت اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله فأين هذا من هذا وأحدنا لايستطيع أن يخرج يبول من الخوف ماوعدنا الله ورسوله الاغرورا فقال له كذبت لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرك قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاه فقال ماقلت فقال كذب علىّ يارسول الله ماقلت شيأ ماخرج هذا من فمى قط قال الله يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر حتى بلغ ومالهم من ولىّ ولانصير قال فهذا قول الله ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن خالد بن عثمة قال ثنا كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزنى قال ثنى أبى عن أبيه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام ذكرت الأحزاب من أجم الشيخين طرف بنى حارثة حتى بلغ المذاد ثم جعل أربعين ذراعا بين كل عشرة فاختلف المهاجرون والأنصار فى سلمان الفارسى وكان رجلا قويا فقال الانصار سلمان منا وقال المهاجرون سلمان منا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف فكنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الانصار فى أربعين ذراعا فحفرنا تحت ٣ دوبار حتى بلغنا الصرى أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا ياسلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة فاما أن نعدل عنها فان المعدل قريب واما أن يأمرنا فيها بأمره فانا لانحب أن نجاوز خطه فرقى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يارسول الله بأبينا أنت وأمنا خرجت صخرة بيضاء من بطن الخندق مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى مايحىء منها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فانا لانحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان فى الخندق ورقينا نحن التسعة على شفة الخندق فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها يعنى لابتى المدينة حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فصدعها و برقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة فكسرها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح ثم أخذ بيد سلمان فرقى فقال سلمان بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد رأيت

ولا تعذيب كما فى زمن نوح والله أعلم قال أهل البيان أراد بالميثاق الغليظ ذلك الميثاق بعينه أى وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا أى عظيما وهو مستعار من وصف الاجرام * وقال آخرون هو سؤالهم عما فعلوا فى الارسال كما قال ولنسألن المرسلين وهذا لان الملك اذا أرسل رسولا وأمره بشئ وقبله كان ميثاقا فاذا أعلمه بأنه يسأل عن حاله فى أفعاله وأقواله يكون تغليظا فى الميثاق عليه حتى لا يزيد ولا ينقص فى الرسالة وعلى هذا يحق أن يقال قوله فى سورة النساء وأخذن منكم ميثاقا غليظا هو الاخبار بأنهم مسؤلون عنهن كما قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ثم بين الغاية من ارسال الرسل فقال (ليسأل الصادقين عن صدقهم) الآية وفيه ان عاقبة المكلفين اما حساب واما عذاب لان الصادق محاسب والكاذب معاقب كما قال على رضى الله عنه حلالها حساب وحرامها عقاب فالصادقون على هذا التفسير هم الذين صدقوا عهدهم يوم الميثاق حين قالوا بلى فى جواب ألست بربكم ثم أقاموا على ذلك فى عالم الشهادة وهم المصدّقون للانبياء فان من قال للصادق صدقت كان صادقا ووجه آخر وهو أن يراد بهم الانبياء فيكون كقوله ولنسألن المرسلين وكقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم وفائدة مسئلة الرسل تبكيت الكافرين كما مر قال جار الله قوله (وأعد) معطوف على أخذنا كأنه قال أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعد أو على ما دل عليه ليسأل كأنه قيل فأثاب للمؤمنين وأعد للكافرين وفيه وجه آخر عرفته فى الوقوف ثم أكد الامر بالاتقاء من الله وحده مرة أخرى فقال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا) الآية وذلك أن فى وقعة الاحزاب اشتد الامر على الاصحاب لاجتماع المشركين بأسرهم واليهود بأجمعهم فآمنهم الله عن وهزم عدوهم فينبغى أن لا يخاف العبد غير الله القدير البصير وذكروا فى القصة أن قريشا كانت قد أقبلت فى عشرة آلاف من أحزاب بنى كنانة

شيأ ما رأيته قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم فقال هل رأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج فرأيناك تكبر فنكبر ولا نرى شيأ غير ذلك قال صدقتم ضربت ضربتى الاولى فبرق الذى رأيتم أضاء لى منه قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرنى جبرائيل عليه السلام أن أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتى الثانية فبرق الذى رأيتم أضاء لى منه قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبرائيل عليه السلام أن أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتى الثالثة وبرق منها الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبرائيل عليه السلام أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا يبلغهم النصر وأبشروا يبلغهم النصر وأبشروا يبلغهم النصر فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صدق بأن وعدنا النصر بعد الحصر فطبقت الأحزاب فقال المسلمون هذا ما وعدنا الله ورسوله الآية وقال المنافقون ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق ولا تستطيعون أن تبرزوا وأنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم واذ قال بعضهم يا أهل يثرب ويثرب اسم أرض فيقال ان مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية من يثرب وقوله لا مقام لكم فارجعوا بفتح الميم من مقام يقول لا مكان لكم تقومون فيه كما قال الشاعر

فأيى ما وأيك كان شرا * فقيد الى المقامة لا يراها

قوله فارجعوا يقول فارجعوا الى منازلكم أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والفرار منه وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان ذلك من قيل أوس بن قيظى ومن وافقه على رأيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب الى فرارا يقول أوس بن قيظى ومن كان على ذلك من رأيه من قومه والقراءة على فتح الميم من قوله لا مقام لكم بمعنى لا موضع قيام لكم وهى القراءة التى لا أستجيز القراءة بخلافها لاجماع الحجة من القراء عليها وذكر عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قرأ ذلك لا مقام لكم بضم الميم يعنى لا اقامة لكم وقوله ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة يقول تعالى ذكره ويستأذن بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاذن بالانصراف عنه الى منزله ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ويستأذن فريق منهم النبى الى قوله الا فرارا قال هم بنو حارثة قالوا بيوتنا مخلية نخشى عليها السرق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان بيوتنا عورة قال نخشى عليها السرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة وانها مما يلي العدو وانا نخاف عليها السراق فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجد بها عدوا قال الله ان يريدون الافرارا يقول انما كان قولهم ذلك ان بيوتنا عورة انما كان يريدون بذلك الفرار حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا عبيد الله بن حمران قال ثنا عبد السلام بن شداد أبو طالوت عن أبيه في هذه الآية ان بيوتنا عورة وماهي بعورة قال ضائعة وقوله ولو دخلت عليهم من أقطارها يقول ولو دخلت المدينة على هؤلاء القائلين ان بيوتنا عورة من أقطارها يعني من جوانبها ونواحيها واحدها قطر وفيها لغة أخرى قتر وأقتار ومنه قول الراجز

ان شئت أن تدهن أو تمرا * فولهن قترك الأشرا

وقوله ثم سئلوا الفتنة يقول ثم سئلوا الرجوع من الايمان الى الشرك لآتوها يقول لفعلوا ورجعوا عن الاسلام وأشركوا وقوله وما تلبثوا بها الايسيرا يقول وما احتبسوا عن اجابتهم الى الشرك الا يسيرا قليلا ولأسرعوا الى ذلك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو دخلت عليهم من أقطارها أي لو دخل عليهم من نواحي المدينة ثم سئلوا الفتنة أي الشرك لآتوها يقول لأعطوها وما تلبثوا بها الا يسيرا يقول الا أعطوه طيبة به أنفسهم ما يحتبسونه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولو دخلت عليهم من أقطارها يقول لو دخلت المدينة عليهم من نواحيها ثم سئلوا الفتنة لآتوها سئلوا أن يكفروا لكفروا قال وهؤلاء المنافقون لو دخلت عليهم الجيوش والذين يريدون قتالهم ثم سئلوا أن يكفروا لكفروا قال والفتنة الكفر وهي التي يقول الله الفتنة أشد من القتل أي الكفر يقول يحملهم الخوف منهم وخبث الفتنة التي هم عليها من النفاق على أن يكفروا به واختلفت القراء في قراءة قوله لآتوها فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض قراء مكة لأتوها بقصر الالف بمعنى جاؤها وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفة والبصرة لآتوها بمد الالف بمعنى لأعطوها لقوله ثم سئلوا الفتنة وقالوا اذا كان سؤال كان اعطاء والمد أعجب القراءتين الى لما ذكرت وان كانت الاخرى جائزة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا﴾ يقول تعالى ذكره ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصراف عنه ويقولون ان بيوتنا عورة عاهدوا الله من قبل ذلك أن لا يولوا عدوهم الأدبار ان لقوهم في مشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم معهم فما أوفوا بعدهم وكان عهد الله مسؤلا يقول فيسأل الله ذلك من أعطاه اياه من نفسه وذكر أن ذلك نزل في بني حارثة لما كان من فعلهم في الخندق بعد الذي كان منهم بأحد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد بن رومان ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا وهم بنو حارثة وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين هما بالفشل يوم أحد ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله

سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء أن يرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المسلمون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر أن نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر وذلك بأن أرسل على أولئك الجنود المتحزبة ريح الصبا في ليلة باردة شاتية فسفت التراب في وجوههم (و) أرسل (جنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا فقلعوا الاوتاد وقطعوا الاطناب وأطفؤا النيران وأكفؤا القدور وتفرقت الخيول وكثرت الملائكة في جوانب عسكرهم وقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا ومعنى (من فوقكم) من أعلى الوادي من قبل المشرق وهم بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا ومعنى زيغ الابصار ميلها عن سننها واستوائها حيرة أو عدولها عن كل شئ الاعن العدو فزعا وروعا والحنجرة منتهى الحلقوم وبلوغ القلوب الحناجر اما أن يكون مثلا لاضطراب القلوب وقلقها وان لم تبلغها في الحقيقة واما أن يكون حقيقة لان القلب عند الخوف يجتمع فيتقلص ويلتصق بالحنجرة وقد يفضي الى أن يسد مخرج النفس فيموت وانما جمع الظنون مع أن الظن مصدر لان المراد أنواع مختلفة فظن المؤمنون الابتلاء والفتنة فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وظن المنافقون وضعاف اليقين الذين في قلوبهم مرض وهم على حرف ما حكى الله عنهم وهو قوله

مسؤلا قال كان ناس غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله ذلك اليهم حتى كان في ناحية المدينة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك في الانصراف عنك ويقولون ان بيوتنا عورة لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل يقول لأن ذلك أو ما كتب الله منهما واصل اليكم بكل حال كرهتم أو أحببتم واذا لا تمتعون الا قليلا يقول واذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم بل انما تمتعون في هذه الدنيا الى الوقت الذي كتب لكم ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا وانما الدنيا كلها قليل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن أبي رزين عن ربيع بن خثيم واذا لا تمتعون الا قليلا قال الى آجالهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي رزين عن ربيع بن خثيم واذا لا تمتعون الا قليلا قال ما بينهم وبين الاجل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن منصور عن الاعمش عن أبي رزين عن الربيع بن خثيم مثله الا أنه قال ما بينهم وبين آجالهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن أبي رزين أنه قال في هذه الآية فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال ليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا في النار كثيرا وقال في هذه الآية واذا لا تمتعون الا قليلا قال الى آجالهم أحد هذين الحديثين رفعه الى ربيع بن خثيم حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن الأعمش عن أبي رزين عن الربيع بن خثيم واذا لا تمتعون الا قليلا قال الأجل ورفع قوله تمتعون ولم ينصب باذا للواو التي معها وذلك أنه اذا كان قبلها واو كان معنى اذا التأخير بعد الفعل كأنه قيل ولو فروا لا يتمتعون الا قليلا اذا وقد ينصب بها أحيانا وان كان معها واو لان الفعل متروك فكأنها لأول الكلام وقوله قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون ان بيوتنا عورة هربا من القتل من ذا الذي يمنعكم من الله ان هو أراد بكم سوأ في أنفسكم من قتل أو بلاء أو غير ذلك أو عافية وسلامة وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة الا من قبله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد ابن رومان قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة أي انه ليس الامر الا ما قضيت وقوله ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يقول تعالى ذكره ولا يجد هؤلاء المنافقون ان أراد الله بهم سوأ في أنفسهم وأموالهم من دون الله وليا يليهم بالكفاية ولا نصيرا ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء في ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا)

(ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) كما حكينا عن معتب ومن فوائد جمع الظن أن يعلم قطعا أن فيهم من أخطأ الظن فان الظنون المختلفة لا تكون كلها صادقة فاما أن تكون كلها كاذبة أو بعضها فقط والمقام مقام تقرير نتائج الخوف (واذ قالت طائفة منهم) كعبد الله ابن أبي وأصحابه ويثرب اسم المدينة أو أرض وقعت المدينة في ناحية منها (لا مقام لكم) أي لا قرار لكم ولا مكان ههنا تقومون أو تقيمون فيه على القراءتين فارجعوا الى المدينة واهربوا من عسكر رسول الله أو ارجعوا كفارا واتركوا دين محمد والا فليست لكم يثرب بمكان ثم ان السامعين عزموا على الرجوع فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم وتعللوا بأن بيوتنا عورة أي ذات خلل لا يأمن أصحابها السراق على متاعهم أو أنها معرضة للعدو فأكذبهم الله تعالى بقوله (وما هي بعورة) ثم أظهر ما تكن صدورهم فقال (ان يريدون الا فرارا) ثم بين مصداق ذلك بقوله (ولو دخلت) أي المدينة عليهم من أقطارها أو دخلت عليهم بيوتهم من جوانبها وأكنافها (ثم سئلوا الفتنة) أي الارتداد والرجوع الى الكفر وقتال المسلمين (لآتوها) والحاصل أنهم يتعللون باعوار بيوتهم ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو دخلت عليهم هؤلاء العساكر المتحزبة التي يفرون منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها لأجل النهب والسبي ثم عرض عليهم الكفر ويقال لهم كونوا على المسلمين لتسارعوا اليه وما تعللوا بشئ ويمكن أن يراد ان ذلك الفرار والرجوع ليس لأجل حفظ البيوت لان من يفعل فعلا لغرض فاذا فاته الغرض لا يفعله كمن يبذل المال لكيلا يؤخذ منه بيته فاذا أخذ منه البيت لا يبذله فأكذبهم الله تعالى بأن الاحزاب لو دخلت بيوتهم وأخذوها منهم لرجعوا عن نصرة المسلمين فتبين أن رجوعهم عنك ليس الا لكفرهم ومقتهم الاسلام والضمير في قوله (وما تلبثوا بها الا يسيرا) يرجع الى الفتنة أي لم يلبثوا باتيان الفتنة

يقول

يقول تعالى ذكره قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس منكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصدّونهم عنه وعن شهود الحرب معه نفاقا منهم وتخذيلا عن الاسلام وأهله والقائلين لاخوانهم هلم الينا أى تعالوا الينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه مشهده فانا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه ولا يأتون البأس الا قليلا يقول ولا يشهدون الحرب والقتال ان شهدوا الا تعذيرا ودفعا عن أنفسهم المؤمنين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم قال هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لاخوانهم ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه دعوا هذا الرجل فانه هالك وقوله ولا يأتون البأس الا قليلا أى لا يشهدون القتال يغيبون عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنا يزيد بن رومان قد يعلم الله المعوّقين منكم أى أهل النفاق والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أى الا دفعا وتعذيرا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم الى آخر الآية قال هذا يوم الاحزاب انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف ونبيذ فقال له أنت ههنا فى الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف فقال هلم الى هذا فقد بلغ بك وبصاحبك والذى يحلف به لا يستقبلها محمد أبدا فقال كذبت والذى يحلف به قال وكان أخاه من أبيه وأمه أما والله لأخبرن النبى صلى الله عليه وسلم أمرك قال وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره قال فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا وقوله أشحة عليكم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله به هؤلاء المنافقين فى هذا الموضع من الشح فقال بعضهم وصفهم بالشح عليهم فى الغنيمة ذكر من قال ذلك حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أشحة عليكم فى الغنيمة * وقال آخرون بل وصفهم بالشح عليهم بالخير ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أشحة عليكم قال بالخير المنافقون وقال غيره معناه أشحة عليكم بالنفقة على ضعفاء المؤمنين منكم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشح ولم يخصص وصفهم من معانى الشح بمعنى دون معنى فهم كما وصفهم الله به أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة فى سبيل الله على أهل مسكنة المسلمين ونصب قوله أشحة عليكم على الحال من ذكر الاسم الذى فى قوله ولا يأتون البأس كأنه قيل هم جبناء عند البأس أشحاء عند قسم الغنيمة بالغنيمة وقد يحتمل أن يكون قطعا من قوله قد يعلم الله المعوّقين منكم فيكون تأويله قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس عن القتال ويشحون عند الفتح بالغنيمة ويجوز أن يكون أيضا قطعا من قوله هلم الينا أشحة وهم هكذا أشحة ووصفهم جل ثناؤه بما وصفهم من الشح على المؤمنين لما فى أنفسهم لهم من العداوة والضغن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان أشحة عليكم أى للضغن الذى فى أنفسهم وقوله فاذا جاء الخوف الى قوله من الموت يقول تعالى ذكره فاذا حضر الناس وجاء القتال خافوا الهلاك والقتل رأيتهم يا محمد ينظرون اليك لواذا بك تدور أعينهم خوفا من القتل وفرارا منه كالذى يغشى عليه من الموت يقول كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت النازل به فاذا ذهب الخوف يقول فاذا انقطعت الحرب واطمأنوا سلقوكم بالسنة حداد

أو باعطائها الا زمانا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب أو لم يقيموها الا قليلا ثم تزول وتكون العاقبة للمتقين ويحتمل عود الضمير الى المدينة أى وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا قليلا فان الله يهلكهم قوله (ولقد كانوا) الآية عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم أحد أن لا يفروا بعد أن نزل فيهم

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم من الخوف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت أى اعظاما وفرقا منه وأما قوله سلقوكم بألسنة حداد فانه يقول عضوكم بألسنة ذربة ويقال للرجل الخطيب الذرب اللسان خطيب مسلق ومصلق وخطيب سلاق وصلاق * وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يسلقون المؤمنين به فقال بعضهم ذلك سلقهم اياهم عند الغنيمة بمسألتهم القسم لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأ مقاسمة أعطونا أعطونا فانا قد شهدنا معكم وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق * وقال آخرون بل ذلك سلقهم اياهم بالأذى ذكر ذلك عن ابن عباس حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سلقوكم بألسنة حداد قال استقبلوكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد سلقوكم بألسنة حداد قال كلموكم * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يسلقونهم من القول بما تحبون نفاقا منهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد فى القول بما تحبون لأنهم لا يرجون آخرة ولا تحملهم حسبة فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده * وأشبه هذه الاقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير فأخبر أن سلقهم المسلمين شحا منهم على الغنيمة والخير فمعلوم اذ كان ذلك كذلك أن ذلك لطلب الغنيمة واذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة دخل فى ذلك قول من قال معنى ذلك سلقوكم بالأذى لأن فعلهم ذلك كذلك لا شك أنه للمؤمنين أذى وقوله أشحة على الخير يقول أشحة على الغنيمة اذا ظفر المؤمنون وقوله لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم فى هذه الآيات لم يصدقوا الله ورسوله ولكنهم أهل كفر ونفاق فأحبط الله أعمالهم يقول فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها وذكر أن الذى وصف بهذه الصفة كان بدريا فأحبط الله عمله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا قال فحدثنى أبى أنه كان بدريا وأن قوله أحبط الله أعمالهم أحبط الله عمله يوم بدر وقوله وكان ذلك على الله يسيرا يقول تعالى ذكره وكان احباط عملهم الذى كانوا عملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم على الله يسيرا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا﴾ يقول تعالى ذكره يحسب هؤلاء المنافقون الاحزاب وهم قريش وغطفان كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان يحسبون الأحزاب لم يذهبوا قريش وغطفان وقوله لم يذهبوا يقول لم ينصرفوا وان كانوا قد انصرفوا جبنا وهلعا منهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يحسبون الأحزاب لم يذهبوا قال يحسبونهم قريبا وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله يحسبون الأحزاب قد ذهبوا فاذا وجدوهم لم يذهبوا ودوا لو أنهم بادون فى الأعراب

مانزل ثم ذكر أن عهد الله مسؤل عنه وأن ما قضى الله وقدر من الموت حتف الانف أو من القتل فهو كائن والفرار منه غير نافع ولئن فرض أن الفرار نافع فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع فى مراتع الدنيا الا زمانا قليلا عن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب ثم أكد التقرير المذكور بقوله (قل من ذا الذى يعصمكم) الآية قال جار الله لا عصمة الا من السوء فتقدير الكلام من يعصمكم من الله ان أراد

وقوله وان يأت الاحزاب يودّوا لو أنهم بادون فى الأعراب يقول تعالى ذكره وان يأت المؤمنين الاحزاب وهم الجماعة واحدهم حزب يودّوا يقول يتمنوا من الخوف والجبن أنهم غيب عنكم فى البادية مع الأعراب خوفا من القتل وذلك قوله لو أنهم بادون فى الاعراب تقول قد بدا فلان اذا صار فى البدو فهو يبدو وهو باد وأما الأعراب فانهم جمع أعرابىّ واحد العرب عربى وانما قيل أعرابى لأهل البدو فرقا بين أهل البوادى والامصار فجعل الأعراب لاهل البادية والعرب لاهل المصر وقوله يسألون عن أنبائكم يقول يستخبر هؤلاء المنافقون أيها المؤمنون الناس عن أنبائكم يعنى عن أخباركم بالبادية هل هلك محمد وأصحابه يقول يتمنون أن يسمعوا اخباركم بهلاككم أن لا يشهدوا معكم مشاهدكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا يقول تعالى ذكره للمؤمنين ولو كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم وما قاتلوا المشركين الا قليلا يقول الا تعذيرا لانهم لا يقاتلونهم حسبة ولا رجاء ثواب * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يسألون عن أنبائكم قال أخباركم وقرأت قراء الامصار جميعا سوى عاصم الجحدرى يسألون عن أنبائكم بمعنى يسألون من قدم عليهم من الناس عن أنباء عسكركم وأخباركم وذكر عن عاصم الجحدرى أنه كان يقرأ ذلك يساءلون بتشديد السين بمعنى يتساءلون أى يسأل بعضهم بعضا عن ذلك والصواب من القول فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله أسوة فقرأ ذلك عامة قراء الامصار اسوة بكسر الالف خلا عاصم بن أبى النجود فانه قرأه بالضم أسوة وكان يحيى ابن وثاب يقرأ هذه بالكسر ويقرأ قوله لقد كان لكم فيهم أسوة بالضم وهما لغتان وذكر أن الكسر فى أهل الحجاز والضم فى قيس يقولون أسوة وأخوة وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسكره بالمدينة من المؤمنين به يقول لهم جل ثناؤه لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة أن تتأسوا به وتكونوا معه حيث كان ولا تتخلفوا عنه لمن كان يرجو الله يقول فان من يرجو ثواب الله ورحمته فى الآخرة لا يرغب بنفسه ولكنه تكون له به أسوة فى أن يكون معه حيث يكون هو * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان قال ثم أقبل على المؤمنين فقال لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أن لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ولا عن مكان هو به وذكر الله كثيرا يقول وأكثر ذكر الله فى الخوف والشدّة والرخاء وقوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب يقول ولما عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا تسليما منهم لأمر الله وايقانا منهم بأن ذلك انجاز وعده لهم الذى وعدهم بقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريب هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم وتسليمهم لأمره الثناء فقال وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا ايمانا بالله وتسليما لقضائه وأمره ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولما رأى المؤمنون الأحزاب الآية قال ذلك أن الله

بكم سوأ أو من يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام كقوله * متقلدا سيفا ورمحا * أى ومعتقلا رمحا أو حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع والمعوّقون الذين يمنعون الناس من نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون واليهود (هلم الينا) معناه قربوا أنفسكم الينا وقد مر فى الانعام فى قوله قل هلم شهداءكم وقوله (ولا يأتون) معطوف على القائلين لانه فى معنى الذين يقولون وقوله (الا قليلا) أى الا اتيانا قليلا كقوله

قال لهم فى سورة البقرة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة الى قوله ان نصر الله قريب قال فلما مسهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب فى الخندق تأول المؤمنون ذلك ولم يزدهم ذلك الا ايمانا وتسليما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان قال ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء وتصديقا بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وكان الله قد وعدهم فى سورة البقرة فقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه خيرهم وأصبرهم وأعلمهم بالله متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب هذا والله البلاء والنقص الشديد وان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأوا ما أصابهم من الشدة والبلاء قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما وتصديقا بما وعدهم الله وتسليما لقضاء الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما﴾ يقول تعالى ذكره من المؤمنين بالله ورسوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يقول أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس فمنهم من قضى نحبه يقول فمنهم من فرغ من العمل الذى كان نذره لله وأوجبه له على نفسه فاستشهد بعض يوم بدر وبعض يوم أحد وبعض فى غير ذلك من المواطن ومنهم من ينتظر قضاءه والفراغ منه كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده والنصر من الله والظفر على عدوه والنحب النذر فى كلام العرب وللنحب أيضا فى كلامهم وجوه غير ذلك منها الموت كما قال الشاعر

* قضى نحبه فى ملتقى القوم هوبر *

يعنى منيته ونفسه ومنها الخطر العظيم كما قال جرير

بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا * عشية بسطام جرين على نحب

أى على خطر عظيم ومنها النحيب يقال نحب فى سيره يومه أجمع اذا مدّ فلم ينزل يومه وليلته ومنها التنحيب وهو الخطار كما قال الشاعر

و اذا نحبت كلب على الناس انهم * أحق بتاج الماجد المتكرم

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أى وفوا الله بما عاهدوه عليه فمنهم من قضى نحبه أى فرغ من عمله ورجع الى ربه كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فمنهم من قضى نحبه قال عهده فقتل أو عاش ومنهم من ينتظر يوما فيه جهاد فيقضى نحبه عهده فيقتل أو يصدق فى لقائه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد فمنهم من قضى نحبه قال عهده ومنهم من ينتظر قال يوما فيه قتال فيصدق فى اللقاء * قال ثنا أبى عن سفيان عن مجاهد فمنهم من قضى نحبه قال مات على العهد * قال ثنا

ما قاتلوا الا قليلا لقلة الرغبة وعوز الجد والأشحة جمع شحيح قيل معناه أضناء بكم أى يظهرون الاشفاق على المسلمين قبل شدة القتال فاذا جاء البأس ارتعدت فرائصهم وتدور أعينهم كدوران عين من يغشى عليه من سكرات الموت وقيل أراد أنهم يبخلون بأموالهم وأنفسهم فلا يبذلونهما فى سبيل الله (فاذا ذهب الخوف) وجمعت الغنائم (سلقوكم) أى بسطوا اليكم ألسنتهم قائلين وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبنا نصرتم وبمكاننا

أبو أسامة عن عبدالله بن فلان « قد سماه ذهب عني اسمه » عن أبيه فمنهم من قضى نحبه قال نذره حدثنا ابن ادريس عن طلحة بن يحيي عن عمه عيسى بن طلحة أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله من الذين قضوا نحبهم فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ودخل طلحة من باب المسجد وعليه ثوبان أخضران فقال هذا من الذين قضوا نحبهم حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله فمنهم من قضى نحبه قال موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك(١) ومنهم من بدّل تبديلا حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيدالله ابن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن مجاهد فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر قال النحب العهد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر من نفسه الصدق والوفاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فمنهم من قضى نحبه قال مات على ماهو عليه من التصديق والايمان ومنهم من ينتظر ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي بكير قال شريك بن عبدالله أخبرناه عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فمنهم من قضى نحبه قال الموت على ما عاهد الله عليه ومنهم من ينتظر الموت على ما عاهد الله عليه وقيل ان هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدوا بدرا فعاهدوا الله أن يفوا قتالا للمشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من أوفى فقضى نحبه ومنهم من بدّل ومنهم من أوفى ولم يقض نحبه وكان منتظرا على ما وصفهم الله به من صفاتهم في هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عبدالرحمن بن مهدي قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر فقال تغيبت عن أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن رأيت قتالا ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وهزم الناس لقي سعد بن معاذ فقال والله اني لأجد ريح الجنة فتقدّم فقاتل حتى قتل فنزلت فيه هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالله بن بكير قال ثنا حميد قال زعم أنس بن مالك قال غاب أنس بن النضر عن قتال يوم بدر فقال غبت عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين لئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال اللهم اني أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين فمشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال أي سعد اني لأجد ريح الجنة دون أحد فقال سعد يا رسول الله فما استطعت أن أصنع ما صنع قال أنس بن مالك فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه قال أنس فكنا نتحدّث أن هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه نزلت فيه وفي أصحابه حدثنا سوار بن عبدالله قال ثنا المعتمر قال سمعت حميدا يحدّث عن أنس بن مالك أن أنس بن النضر غاب عن قتال بدر ثم ذكر نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى بن طلحة عن طلحة أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكانوا لا يجترؤن على مسألته فقالوا للأعرابي سله من قضى نحبه من هو فسأله فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم دخلت من باب المسجد وعلي ثياب خضر فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أين السائل عمن قضى نحبه قال الاعرابي أنا يا رسول الله قال هذا ممن قضى نحبه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدالحميد الحماني عن اسحق بن يحيي

غلبتم عدوّكم فهم عند البأس أجبن قوم وأخذلهم للحق وأما عند حيازة الغنيمة فأشحهم وأوقعهم والحداد جمع حديد وكرر أشحة لان الاول مطلق والثاني مقيد بالخير وهو المال والثواب أو الدين أو الكلام الجميل (أولئك) المنافقون (لم يؤمنوا) حقيقة وان آمنوا في الظاهر (فأحبط الله أعمالهم) التي لها صورة الصلاح بأن أعلم المسلمين أحوال باطنهم (وكان ذلك) الذي ذكر من أعمال أهل النفاق (يسيرا) على الله لا وزن لها عنده أو وكان ذلك

(١) الذي في الدر بدله وآخرون ما بدلوا تبديلا فتنبه كتبه مصححه

الطلحي عن موسى بن طلحة قال قام معاوية بن أبي سفيان فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبي قال ثنا سليمن بن أيوب قال ثني أبي عن اسحق عن يحيي بن طلحة عن عمه موسى بن طلحة عن أبيه طلحة قال لما قدمنا من أحد وصرنا بالمدينة صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس وعزاهم وأخبرهم بما لهم فيه من الاجر ثم قرأ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية قال فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من هؤلاء فالتفت وعلي ثوبان أخضران فقال أيها السائل هذا منهم وقوله وما بدّلوا تبديلا وما غيروا العهد الذى عاقدوا ربهم تغييرا كما غيره المعوّقون القائلون لاخوانهم هلم الينا والقائلون ان بيوتنا عورة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما بدّلوا تبديلا يقول ماشكوا وما تردّدوا فى دينهم ولا استبدلوا به غيره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما بدّلوا تبديلا لم يغير وا دينهم كما غير المنافقون وقوله ليجزى الله الصادقين بصدقهم يقول تعالى ذكره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ليجزى الله الصادقين بصدقهم يقول ليثيب الله اهل الصدق منهم بصدقهم الله بما عاهدوه عليه ووفائهم له به ويعذب المنافقين ان شاء بكفرهم بالله ونفاقهم أو يتوب عليهم من نفاقهم فيهديهم للايمان * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم يقول ان شاء أخرجهم من النفاق الى الايمان ان قال قائل ما وجه الشرط فى قوله ويعذب المنافقين بقوله ان شاء والمنافق كافر وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق فيقال ويعذبه ان شاء قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذى توهمته وانما معنى ذلك ويعذب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم ان شاء فيستوجبوا بذلك العذاب فالاستثناء انما هو من التوفيق لا من العذاب ان ماتوا على نفاقهم وقد بين ما قلنا فى ذلك قوله أو يتوب عليهم فمعنى الكلام اذا ويعذب المنافقين اذلم يهدهم للتوبة فيوفقهم لها أو يتوب عليهم فلا يعذبهم وقوله ان الله كان غفورا رحيما يقول ان الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين رحيما بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾ يقول تعالى ذكره ورد الله الذين كفروا به وبرسوله من قريش وغطفان بغيظهم يقول بكربهم وغمهم بفوتهم ما أمّلوا من الظفر وخيبتهم مما كانوا طمعوا فيه من الغلبة لم ينالوا خيرا يقول لم يصيبوا من المسلمين مالا ولا اسارا وكفى الله المؤمنين القتال بجنود من الملائكة والريح التى بعثها عليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا الأحزاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وذلك يوم أبي سفيان والأحزاب ردّ الله أبا سفيان وأصحابه بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال بالجنود من عنده والريح التى بعث عليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد بن رومان ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا أي قريش وغطفان حدثني الحسين بن علي الصدائى قال ثنا شبابة قال ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى عن عبد الرحمن بن أبي سعيد

الاحباط عليه سهلا قال فى الكشاف لان أعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعى ولا يصرف عنه صارف ويمكن أن يقال اعدام الجواهر هين على الله فاعدام الاعراض ولا سيما بمعنى عدم اعتبار نتائجها أولى بأن يكون هينا ثم قرر طرفا آخر من جبنهم وهو أنهم (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) وقد ذهبوا فانصرف المنافقون الى المدينة منهزمين بناء على هذا الحسبان ومن جملة جبنهم وضعف

الخدرى عن أبيه قال حبسنا يوم الخندق عن الصلاة فلم نصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء حتى كان بعد العشاء بهوى كفينا وأنزل الله وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأقام الصلاة وصلى الظهر فأحسن صلاتها كما كان يصليها فى وقتها ثم صلى العصر كذلك ثم صلى المغرب كذلك ثم صلى العشاء كذلك جعل لكل صلاة اقامة وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف فان خفتم فرجالا أو ركبانا حدثنى محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم قال ثنا ابن أبى فديك قال ثنا ابن أبى ذئب عن المقبرى عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبى سعيد الخدرى قال حبسنا يوم الخندق فذكر نحوه وقوله وكان الله قويا عزيزا يقول وكان الله قويا على فعل ما يشاء فعله بخلقه فينصر من شاء منهم على من شاء أن يخذله لا يغلبه غالب عزيزا يقول هو شديد انتقامه ممن انتقم منه من أعدائه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكان الله قويا عزيزا قويا فى أمره عزيزا فى نقمته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا ﴾ يقول تعالى ذكره وأنزل الله الذين أعانوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وذلك هو مظاهرتهم اياهم وعنى بذلك بنى قريظة وهم الذين ظاهروا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من أهل الكتاب يعنى من أهل التوراة وكانوا يهود وقوله من صياصيهم يعنى من حصونهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب قال قريظة يقول أنزلهم من صياصيهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب وهم بنو قريظة ظاهروا أبا سفيان وراسلوه فنكثوا العهد الذى بينهم وبين نبى الله قال فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش يغسل رأسه وقد غسلت شقه اذ أتاه جبرائيل صلى الله عليه وسلم فقال عفا الله عنك ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة فانهض الى بنى قريظة فانى قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم فى زلزال وبلبال قال فاستلأم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سلك سكة بنى غنم فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب قال فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم وناداهم يا اخوان القردة فقالوا يا أبا القاسم ما كنت فحاشا فنزلوا على حكم ابن معاذ وكان بينهم وبين قومه حلف فرجوا أن تأخذه فيهم هوادة وأومأ اليهم أبو لبابة انه الذبح فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وأن تسبى ذراريهم وأن عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقال قومه وعشيرته آثرت المهاجرين بالعقار علينا قال فانكم كنتم ذوى عقار وان المهاجرين كانوا لا عقار لهم وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر وقال قضى فيكم بحكم الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق راجعا الى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن ابن شهاب الزهرى معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج فقال أقد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل ما وضعت

احتمالهم أنه (ان يأت الاحزاب) كرة ثانية تمنوا (أنهم بادون) أى خارجون الى البدو حاصلون فيما بين الاعراب حذرا من عيان القتال فيكون حالهم اذ ذاك أنهم (يسألون عن أخباركم) قانعين من العيان بالاثر ومن الحضور بالخبر (ولو كانوا فيكم) ولم ينصرفوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا (الا قليلا) ابداء للعذر على سبيل الرياء والضرورة ﴿ التأويل اتق الله من التكوين وكان عليه السلام متقيا من الازل

الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن الا من طلب القوم ان الله يأمرك يا محمد بالسير الى بنى قريظة وأنا عامد الى بنى قريظة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فأذن فى الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه برايته الى بنى قريظة وابتدرها الناس فسار على بن أبى طالب رضى الله عنه حتى اذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخباث قال لم أظنك سمعت لى منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل الى بنى قريظة فقال مر بكم أحد فقالوا يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبرائيل بعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم و يقذف الرعب فى قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة نزل على بئر من آبارها فى ناحية من أموالهم يقال لها بئر أنا فتلاحق به الناس فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك فى كتابه ولا عنفهم به رسوله والحديث عن محمد بن اسحق عن أبيه عن معبد بن كعب بن مالك الانصارى قال وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وقد كان حيى ابن أخطب دخل على بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها قالوا وما هن قال نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه لنبى مرسل وانه الذى كنتم تجدونه فى كتابكم فتأمنوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا أبيتم هذه على فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيأ نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنتخذن النساء والابناء قالوا انقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فاذ أبيتم هذه على فان الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا أما من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما قال ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف وكانوا من حلفاء الأوس نستشيره فى أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم وقالوا له يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماى حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد الى عمود من عمده وقال لا أبرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله لا يطأ بنى قريظة

الى الأبد وكذا الكلام فيما يتلوه من النواهى والاوامر ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه لان القلب صدف درة المحبة ومحبة الله لا تجتمع مع محبة الدنيا والهوى وغيرهما فالقلب واحد كما أن المحبة واحدة والمحبوب واحد وما جعل أزواجكم أمهاتكم وأدعياءكم أبناءكم فيه أن الحقائق لا تنقلب لا عقلا ولا طبعا ولا شرعا وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به من معرفة الانساب فان النسب الحقيقى ما ينسب الى النبى

أبدا ولا يرانى الله فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال أما انه لو كان لو جاءنى لاستغفرت له أما اذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بنى هذيل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة الانصارى تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد أبدا فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمنى اقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى أين ذهب من أرض الله الى يومه هذا فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه قال وبعض الناس كان يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت رمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فالله أعلم فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الأوس فقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت فى موالى الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة حاصر بنى قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن أبى ابن سلول فوهبهم له فلما كلمته الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذاك الى سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيمة امرأة من أسلم يقال لها رفيدة فى مسجده كانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار وقد وطؤا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بنى عبد الأشهل فنعى اليهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ من كلمته التى سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال قوموا الى سيدكم فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم كما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله نعم قال سعد فانى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال فحدثنى محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار ابنة الحرث امرأة من بنى النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم اليه أرسالا وفيهم عدو الله حيى بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم

صلى الله عليه وسلم فانه النسب الباقى كما قال كل حسب ونسب ينقطع الاحسبى ونسبى فحسبه الفقر ونسبه النبوة ولكن ما تعمدت قلوبكم بقطع الرحم عن النبوة بترك سنته وسيرته النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم لانهم لا يقتدرون على توليد أنفسهم فى النشأة الثانية كما لم يقدروا على توليد أنفسهم فى النشأة الاولى وكان أبوهم أحق بهم من أنفسهم فى توليدهم من صلبه وأزواجه وهن قلوبهم

وهم ستمائة أوسبعمائة والمكثر منهم يقول كانوا من الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا فقال كعب أفى كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعى لا ينزع وانه من يذهب به منكم فما يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بحيي بن أخطب عدوّ الله وعليه حلة له فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره وملحمة قد كتبت على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه فقال جبل بن جوّال الثعلبى

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه * ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها * وقلقل يبغى العز كل مقلقل

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى تحدّث معى وتضحك ظهرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسوق اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قالت قلت ويلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته قال فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تقول ما أنسى عجبي منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم والصياصى الحصون والآطام التى كانوا فيها وقذف فى قلوبهم الرعب حدثنا عمرو بن مالك البكرى قال ثنا وكيع بن الجراح وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة من صياصيهم قال من حصونهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من صياصيهم يقول أنزلهم من صياصيهم قال قصورهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من صياصيهم أى من حصونهم وآطامهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم قال الصياصى حصونهم التى ظنوا أنها مانعتهم من الله تبارك وتعالى وأصل الصياصى جمع صيصة وعنى بها ههنا حصونهم والعرب تقول لطرف الجبل صيصة ويقال لأصل الشئ صيصة يقال جز الله صيصة فلان أى أصله ويقال لشوك الحاكة صياصى كما قال الشاعر * كوقع الصياصى فى النسيج الممدد * وهى شوكتا الديك وقوله وقذف فى قلوبهم الرعب يقول وألقى فى قلوبهم الخوف منكم فريقا تقتلون يقول تقتلون منهم جماعة وهم الذين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم حين ظهر عليهم وتأسرون فريقا يقول وتأسرون منهم جماعة وهم نساؤهم وذراريهم الذين سبوا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فريقا تقتلون الذين ضربت أعناقهم وتأسرون فريقا الذين سبوا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان فريقا تقتلون وتاسرون فريقا أى قتل الرجال وسبي الذرارى والنساء وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم يقول وملككم بعد مهلكهم أرضهم يعنى مزارعهم ومغارسهم وديارهم يقول ومساكنهم وأموالهم يعنى سائر الاموال غير الارض والدور وقوله وأرضا لم تطؤها اختلف أهل التأويل فيها أى أرض هى فقال بعضهم هى الروم وفارس ونحوها من البلاد التى فتحها الله بعد ذلك على المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأرضا لم تطؤها قال قال الحسن هى الروم

أمهاتهم لانه يتصرف فى قلوبهم تصرف الذكور فى الاناث بشرط كمال التسليم ليقع من صلب النبوة نطفة الولاية فى أرحام القلوب واذا حملوا النطفة صانوها عن الآفات لئلا تسقط بأدنى رائحة من روائح حب الدنيا وشهواتها فيرتدوا على أعقابهم وبعد النبي صلى الله عليه وسلم سائر أقارب الدين بعضهم اولى ببعض لاجل التربية ومن المؤمنين بالنشأة الاخرى والمهاجرين عن أوطان البشرية الا اذا تركت

وفارس وما فتح الله عليهم * وقال آخرون هي مكة * وقال آخرون بل هي خيبر ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان وأرضا لم تطؤها قال خيبر
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأورثكم أرضهم وديارهم قال قريظة
والنضير أهل الكتاب وأرضا لم تطؤها قال خيبر * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان
الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بني قريظة
وديارهم وأموالهم وأرضا لم يطؤها يومئذ ولم تكن مكة ولا خيبر ولا أرض فارس والروم ولا اليمن
مما كانوا وطؤه يومئذ ثم وطؤا ذلك بعد وأورثهموه الله وذلك كله داخل في قوله وأرضا لم تطؤها
لانه تعالى ذكره لم يخصص من ذلك بعضا دون بعض وقوله وكان الله على كل شئ قديرا يقول تعالى
ذكره وكان الله على أن أورث المؤمنين ذلك وعلى نصره اياهم وغير ذلك من الامور ذا قدرة لا يتعذر
عليه شئ أراده ولا يمتنع عليه فعل شئ حاول فعله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي
قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان
كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴾ يقول تعالى
ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين
امتعكن يقول فاني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم اياهن بالطلاق
بقوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وقوله
وأسرحكن سراحا جميلا يقول وأطلقكن على ما أذن الله به وأدب به عباده بقوله اذا طلقتم النساء
فطلقوهن لعدتهن وان كنتن تردن الله ورسوله يقول وان كنتن تردن رضا الله ورضا رسوله
وطاعتهما فأطعنهما فان الله أعد للمحسنات منكن وهن العاملات منهن بأمر الله وأمر رسوله
أجرا عظيما وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن عائشة سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ من عرض الدنيا اما زيادة في النفقة أو غير ذلك فاعتزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا فيما ذكر ثم أمره الله أن يخيرهن بين الصبر عليه والرضا بما قسم لهن
والعمل بطاعة الله وبين أن يمتعهن ويفارقهن ان لم يرضين بالذي يقسم لهن وقيل كان سبب ذلك
غيرة كانت عائشة غارتها ذكر الرواية بقول من قال كان ذلك من أجل شئ من النفقة وغيرها
حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن أبي الزبير أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يخرج صلوات فقالوا ما شأنه فقال عمر ان شئتم لأعلمن لكم شأنه فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فجعل يتكلم ويرفع صوته حتى أذن له قال فجعلت أقول في نفسي أي شئ أكلم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعله يضحك أو كلمة نحوها فقلت يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتني النفقة
فصككتها صكة فقال ذلك حبسني عنكم قال فأتى حفصة فقال لا تسألي رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيأ ما كانت لك من حاجة فالي ثم تتبع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يكلمهن فقال
لعائشة أيغرك أنك امرأة حسناء وأن زوجك يحبك لتنتهين أو لينزلن فيك القرآن قال فقالت
أم سلمة يا ابن الخطاب أو ما بقى لك الا أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه ولن
تسأل المرأة الا زوجها قال ونزل القرآن يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها
الى قوله أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فخيرها وقرأ عليها القرآن فقالت هل بدأت باحد من نسائك قبلي
قال لا قالت فاني أختار الله ورسوله والدار الآخرة ولا تخبرهن بذلك قال ثم تتبعهن فجعل يخيرهن
ويقرأ عليهن القرآن ويخبرهن بما صنعت عائشة فتتابعن على ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن

النفس بالاخلاق الجيدة وصارت
من الاولياء بعد أن كانت من
الاعداء فيعمل معها معروفا برفق
من الازهاق واذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم في الازل ومنك يا محمد أولا
بالحبيبية ومن نوح بالدعوة ومن
ابراهيم بالخلة ومن موسى بالمكالمة
ومن عيسى بن مريم بالعبدية
وغلظنا الميثاق بالتأييد والتوثيق
ليسأل الصادقين سؤال تشريف
لا سؤال تعنيف والصدق ان
لا يكون في أحوالك شوب

وأسرحكن سراحا جميلا الى قوله أجرا عظيما قال قال الحسن وقتادة خيرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار في شئ كن أردنه من الدنيا وقال عكرمة في غيرة كانت غارتها عائشة وكان تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وكانت تحته صفية ابنة حيي الخيبرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحرث من بني المصطلق وبدأ بعائشة فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتابعن كلهن على ذلك واخترن الله ورسوله والدار الآخرة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن وهو قول قتادة في قول الله يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى قوله عظيما قال الا أمره الله أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار قال قتادة وهي غيرة من عائشة في شئ أرادته من الدنيا وكان تحته تسع نسوة عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وزينب بنت جحش وميمونة بنت الحرث الهلالية وجويرية بنت الحرث من بني المصطلق وصفية بنت حيي بن أخطب فبدأ بعائشة وكانت أحبهن اليه فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتابعن على ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن وهو قول قتادة قال لما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن فقصره الله عليهن وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله ذكر من قال ذلك من أجل الغيرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء الآية قال كان أزواجه قد تغايرن على النبي صلى الله عليه وسلم فهجرهن شهرا نزل التخيير من الله له فيهن يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فقرأ حتى بلغ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى فخيرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن وبين أن يقمن ان أردن الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين لا ينكحن أبدا وعلى أنه يؤوي اليه من يشاء منهن لمن وهب نفسه له حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل فلا جناح عليه ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين اذا علمن أنه من قضائي عليهن ايثار بعضهن على بعض أدنى أن يرضين قال ومن ابتغيت ممن عزلت من ابتغى أصابه ومن عزل لم يصبه فخيرهن بين أن يرضين بهذا أو يفارقهن فاخترن الله ورسوله الا امرأة واحدة بدوية ذهبت وكان على ذلك وقد شرط له هذا الشرط ما زال يعدل بينهن حتى لقي الله حدثنا أحمد ابن عبدة الضبي قال ثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال قالت عائشة لما نزل الخيار قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أريد أن أذكر لك أمرا فلا تقضي فيه شيأ حتى تستأمري أبويك قالت قلت وما هو يا رسول الله قال فرده عليها فقالت ما هو يا رسول الله قال فقرأ عليهن يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى آخر الآية قالت قلت بل نختار الله ورسوله قالت ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة قالت لما نزلت آية التخيير بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة فقال يا عائشة اني عارض عليك أمرا فلا تفتاتي فيه بشئ حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان فقالت يا رسول الله وما هو قال قال الله يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى عظيما فقلت اني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أؤامر في ذلك أبوي أبا بكر وأم رومان فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال ان عائشة قالت كذا فقلن ونحن نقول

ولا في أعمالك عيب ولا في اعتقادك ريب ومن أماراته وجود الاخلاص من غير ملاحظة المخلوق وتصفية الاحوال من غير مداخلة اعجاب وسلامة القول من المعاريض والتباعد عن التلبيس فيما بين الناس وادامة التبري من الحول والقوة بل الخروج من الوجود المجازي شوقا الى الوجود الحقيقي اذ جاءتكم جنود الشياطين وصفات النفس الدنيا وزينتها من فوقكم وهي الآفات السماوية ومن أسفل منكم وهي

مثل ماقالت عائشة حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا أبى عن ابن سحق عن عبدالله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل الى نسائه أمر أن يخيرهن فدخل علىّ فقال سأذكر لك أمرا ولا تعجلى حتى تستشيرى أباك فقلت وماهو يانبى الله قال انى أمرت أن أخيركنّ وتلا عليها آية التخيير الى آخر الآيتين قالت قلت وما الذى تقول لا تعجلى حتى تستشيرى أباك فانى أختار الله ورسوله فسر بذلك وعرض على نسائه فتتابعن كلهنّ فاخترن الله ورسوله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى موسى بن على ويونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأبى فقال انى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك قالت قدعلم أن أبوىّ لم يكونا ليأمرانى بفراقه قالت ثم تلا هذه الآية يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنّ وأسرحكنّ سراحا جميلا قالت فقلت ففى أى هذا أستأمر أبوىّ فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت عائشة ثم فعل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مثل مافعلت فلم يكن ذلك حين قاله لهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنه طلاقا من أجل أنهنّ اخترنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يانساء النبى من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم يانساء النبى من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يقول من يزن منكنّ الزنا المعروف الذى أوجب الله عليه الحدّ يضاعف لها العذاب على فجورها فى الآخرة ضعفين على فجور أزواج الناس غيرهم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يضاعف لها العذاب ضعفين قال يعنى عذاب الآخرة * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار يضاعف لها العذاب بالألف غير أبى عمرو فانه قرأ ذلك يضعف بتشديد العين تأوّلا منه فى قراءته ذلك ان يضعف بمعنى تضعيف الشئ مرة واحدة وذلك أن يجعل الشئ شيئين فكأن معنى الكلام عنده أن يجعل عذاب من يأتى من نساء النبى صلى الله عليه وسلم بفاحشة مبينة فى الدنيا والآخرة مثلى عذاب سائر النساء غيرهنّ ويقول ان يضاعف بمعنى أن يجعل الى الشئ مثلاه حتى يكون ثلاثة أمثاله فكان معنى من قرأ يضاعف عنده كان أن يجعل عذابها ثلاثة أمثال عذاب غيرها من النساء من غير أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك اختار يضعف على يضاعف وأنكر الآخرون الذين قرؤا ذلك يضاعف ما كان يقول فى ذلك ويقولون لانعلم بين يضعف ويضاعف فرقا * والصواب من القراءة فى ذلك ماعليه قراء الامصار وذلك يضاعف وأما التأويل الذى ذهب اليه أبو عمرو فتأويل لانعلم أحدا من أهل العلم ادّعاه غيره وغير أبى عبيدة معمر بن المثنى ولا يجوز خلاف ماجاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لا برهان له من الوجه الذى يجب التسليم له وقوله وكان ذلك على الله يسيرا يقول تعالى ذكره وكانت مضاعفة العذاب على من فعل ذلك منهن على الله يسيرا والله أعلم

* (تم الجزء الحادى والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثانى والعشرون أوّله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن يقنت منكن) *

المتولدات البشرية أو من فوقكم وهى الدواعى النفسانية فى الدماغ ومن أسفل منكم هى الدواعى الشهوانية فأرسلنا عليهم ريحا من نكبات قهرنا وجنودا لم تروها من حفظنا وعصمتنا وعاهدوا الله من قبل الشروع فى الطلب أنهم لايولون أدبارهم عند الجهاد مع الشيطان والنفس لاخوانهم وهم الحواس والجوارح كونوا أتباعا لنا والله أعلم

١

﴿ فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش ابن جرير ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير النيسابورى ﴾

فهـــــرس

الجـــزء الثـانى والعشرين

من تفســير الامام ابن جرير الطــبرى

﴿ فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الثاني والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الثاني والعشرين من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش تفسير ابن جرير ﴾

﴿تم فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير النيسابورى﴾

الجزء الثانى والعشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير
أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان
للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

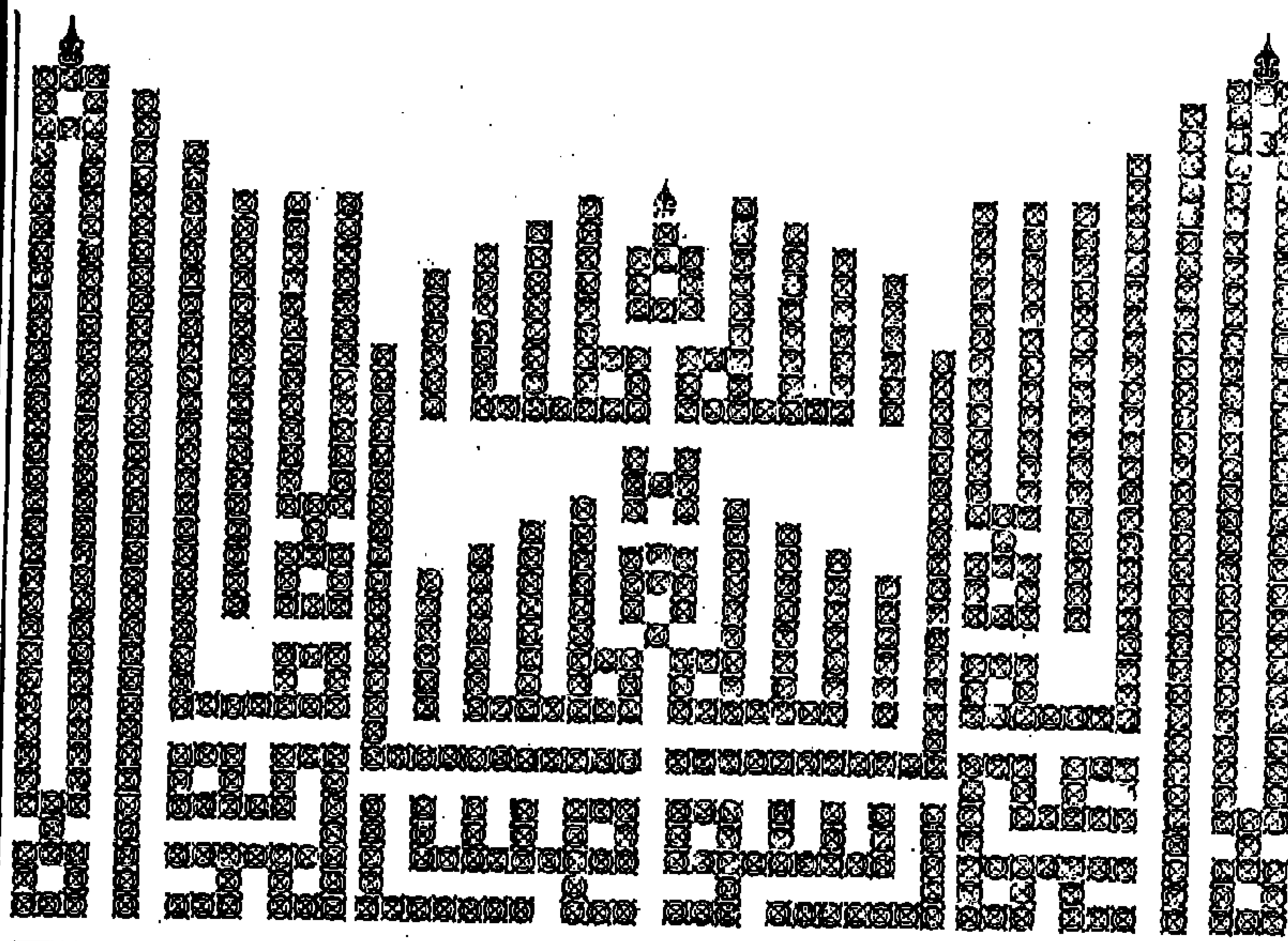
« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيـــه

طبعت هذه النسخة بعد مقابلتها وتصحيحها بمعرفة حضرة الملتزم على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر وعلى النسخة الموجودة بالكتبخانة المحمودية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحية بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٩ هجريه



الجزء الثانى والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يقنت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما﴾ يقول تعالى ذكره ومن يطع الله ورسوله منكنّ وتعمل بما أمر الله به نؤتها أجرها مرتين يقول يعطها الله ثواب عملها مثلى ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس وأعتدنا لها رزقا كريما يقول وأعتدنا لها فى الآخرة عيشا هنيئا فى الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يقنت منكنّ لله ورسوله الآية يعنى ٣ آخر الآية حدثنى سلم بن جنادة قال ثنا ابن ادريس عن ابن عون قال سألت عامرا عن القنوت قال وما هو قال قلت وقوموا لله قانتين قال مطيعين قال قلت ... منكنّ لله ورسوله قال يطعن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يقنت منكنّ لله ورسوله أى من يطع منكنّ الله ورسوله وأعتدنا لها رزقا كريما وهى الجنة واختلفت القراء فى قراءة قوله وتعمل صالحا فقرأ عامة قراء الحجاز والبصرة وتعمل بالتاء ردا على تأويل من اذ جاء بعد قوله منكنّ وحكى بعضهم عن العرب انها تقول كم بيع لك جارية وأنهم ان قدموا الجارية قالوا كم جارية بيعت لك فأنثوا الفعل بعد الجارية والفعل فى الوجهين لكم لا للجارية وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده

أيا أم عمرو من يكن عقر داره * جواء عدى يأكل الحشرات

ويسودّ من لفح السموم جبينه * ويعر وان كانوا ذوى بكرات

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنّ وأسرحكنّ سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعدّ للمحسنات منكنّ اجرا عظيما يا نساء النبى من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكنّ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكنّ من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات

والمتصدّقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعدّالله لهم مغفرة
وأجرا عظيما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون (٣) لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول
للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه
أمسك عليك زوجك واتق الله
وتخفى فى نفسك ما الله مبديه
وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه
فلما قضى زيد منها وطرا زوّجنا كها
لكيلا يكون على المؤمنين حرج
فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن
وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان
على النبى من حرج فيما فرض الله له
سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان
أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون
رسالات الله ويخشونه ولا يخشون
أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا
ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم النبيين وكان الله
بكل شئ عليما ﴾ ۞ القراآت أسوة
بضم الهمزة حيث كان عاصم
وعباس الآخرون بكسرها نضعف
بالنون وكسر العين العذاب بالنصب
ابن كثير وابن عامر وقرا أبو عمرو
ويزيد ويعقوب بالياء المضمومة
والعين مفتوح وبرفع العذاب
الآخرون مثله ولكن بالالف من
المضاعفة ويعمل صالحا يؤتها على
التذكير والغيبة حمزة وعلى وخلف
وافق المفضل فى ويعمل الباقون
بتأنيث الاول وبالنون فى الثانى
وقرن بفتح القاف أبو جعفر ونافع
وعاصم غير هبيرة الباقون بكسرها
ولا تبرجن أن تبدل بتشديد التاءين
البزى وابن فليح أن يكون على
التذكير عاصم وحمزة وعلى وخلف
وهشام وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع
عاصم الباقون بكسرها ۞ الوقوف

فقال وان كانوا ولم يقل وان كان وهو لمن فردّه على المعنى وأمّا أهل الكوفة فقرأت ذلك عامة قرائها ويعمل بالياء عطفا على يقنت اذ كان الجميع على قراءة الياء * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان فى كلام العرب فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن العرب تردّ خبر من أحيانا على لفظها فتوحد وتذكر وأحيانا على معناها كما قال جل ثناؤه ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك فجمع مرة للمعنى ووحد أخرى للفظ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا نساء النبىّ لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء النبى لستن كأحد من النساء من نساء هذه الامة ان اتقيتن الله فأطعتنه فيما أمركنّ ونهاكنّ كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا نساء النبى لستن كأحد من النساء يعنى من نساء هذه الامة وقوله فلا تخضعن بالقول يقول فلا تلنّ بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكنّ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول يقول لا ترخصن بالقول ولا تخضعن بالكلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلا تخضعن بالقول قال خضع القول ما يكره من قول النساء للرجال مما يدخل فى قلوب الرجال وقوله فيطمع الذى فى قلبه مرض يقول فيطمع الذى فى قلبه ضعف فهو لضعف ايمانه فى قلبه اما شاك فى الاسلام منافق فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله واما متهاون باتيان الفواحش وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم انما وصفه بأن فى قلبه مرضا لأنه منافق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيطمع الذى فى قلبه مرض قال نفاق * وقال آخرون بل وصفه بذلك لأنهم يشتهون اتيان الفواحش ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيطمع الذى فى قلبه مرض قال قال عكرمة شهوة الزنا وقوله وقلن قولا معروفا يقول وقلن قولا قد أذن الله لكم به وأباحه كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقلن قولا معروفا قال قولا جميلا حسنا معروفا فى الخير * واختلفت القراء فى قراءة قوله وقرن فى بيوتكنّ فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين وقرن بفتح القاف بمعنى واقررن فى بيوتكنّ وكأن من قرأ ذلك كذلك حذف الراء الاولى من اقررن وهى مفتوحة ثم نقلها الى القاف كما قيل فظلتم تفكهون وهو يريد فظللتم فأسقطت اللام الاولى وهى مكسورة ثم نقلت كسرتها الى الظاء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وقرن بكسر القاف بمعنى كنّ أهل وقار وسكينة فى بيوتكنّ وهذه القراءة وهى الكسر فى القاف أولى عندنا بالصواب لأن ذلك ان كان من الوقار على ما اخترنا فلا شك أن القراءة بكسر القاف لانه يقال وقر فلان فى منزله فهو يقر وقورا فتكسر القاف فى تفعل فاذا أمر منه قيل قر كما يقال من وزن يزن زن ومن وعد يعد عد وان

كثيرا ه لا ابتداء القصة الاحزاب لا لأن قالوا جواب لما رسوله الثانى ز لاحتمال الاستئناف والحال أوجه وتسليما ط عليه ج لابتداء التفصيل مع الفاء ينتظر لا لاحتمال الحال وجانب الابتداء بالنفى أرجح تبديلا ه لا الا عند أبى حاتم عليهم ط رحيما ه لا للآية

ولاحتمال الحال أي وقد ردخيرا ط القتال ط عزيزا ٥ ج للآية والعطف فريقا ٥ ج لاحتمال أن يكون ما بعده استئنافا أوحالا تطؤها ط قديرا ٥ جميلا ٥ عظيما ٥ ضعفين ط (٤) يسيرا ٥ مرتين لا لان التقدير وقد أعتدنا كريما ٥ معروفا ج للعطف ورسوله ط

تطهيرا ٥ لوقوع العوارض بين المعطوفين والحكمة ط خبيرا ٥ عظيما ٥ من أمرهم ط مبينا ٥ الناس ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال تخشاه ط منهن وطرا ط مفعولا ٥ له ط من قبل لا مقدورا ٥ لابناء على أن الذين وصف أو بدل الا الله ط حسيبا ٥ النبيين ط عليما ٥ ۞ التفسير لما فرغ من توبيخ المنافقين حث جمع المكلفين على مواساة الرسول وموازرته كما واساهم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مداحض الاقدام والاسوة القدوة وهو المؤتسى به أي المقتدى به فالمراد أنه في نفسه قدوة كما تقول في البيضة عشرون مناحديدا أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والمراد أن فيه خصلة هي المواساة بنفسه فمن حقها أن يؤتسى بها وتتبع قال في الكشاف قوله لمن كان بدل من قوله لكم وضعف بأن بدل الكل لا يقع من ضمير المخاطب فالأظهر انه صفة الاسوة والرجاء بمعنى الامل أو الخوف وقوله (يرجو الله واليوم الآخر) كقولك رجوت زيدا وفضله اى رجوت فضل زيد أو أريد يرجو ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقوله (وذكر) معطوف على كان وفيه أن المقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى واظب على ذكر الله وعمل ما يصلح لزاد المعاد ثم حكى أن ماظهر من المؤمنين وقت لقاء الأحزاب خلاف حال المنافقين وقوله (هذا) اشارة الى الخطب أو البلاء

كان من القرار فان الوجه أن يقال اقررن لان من قال من العرب ظلت أفعل كذا وأحست بكذا فأسقط عين الفعل وحول حركتها الى فائه في فعل وفعلنا وفعلتم لم يفعل ذلك في الامر والنهى فلا يقول ظل قائما ولا لا تظل قائما فليس الذى اعتل به من اعتل لصحة القراءة بفتح القاف في ذلك بقول العرب في ظللت وأحسست ظلت وأحست بعلة توجب صحته لما وصفت من العلة وقد حكى بعضهم عن بعض الأعراب سماعا منه ينحطن من الجبل وهو يريد ينحططن فان يكن ذلك صحيحا فهو أقرب الى أن يكون حجة لأهل هذه القراءة من الحجة الأخرى وقوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قيل ان التبرج في هذا الموضع التبختر والتكسر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى أي اذا خرجتن من بيوتكنّ قال كانت لهنّ مشية وتكسر وتغنج يعنى بذلك الجاهلية الاولى فنهاهنّ الله عن ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله ولا تبرجن تبرّج الجاهلية الاولى قال التبختر وقيل ان التبرج هو اظهار الزينة وابراز المرأة محاسنها للرجال وأما قوله تبرج الجاهلية الاولى فان أهل التأويل اختلفوا في الجاهلية الأولى فقال بعضهم ذلك ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن زكريا عن عامر ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال الجاهلية الأولى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام * وقال آخرون ذلك ما بين آدم ونوح ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن أبيه عن الحكم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال وكان بين آدم ونوح ثمانمائة سنة فكان نساؤهم من أقبح ما يكون من النساء ورجالهم حسان فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه فأنزلت هذه الآية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى * وقال آخرون بل ذلك بين نوح وادريس ذكر من قال ذلك حدثني ابن زهير قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا داود يعني ابن أبي الفرات قال ثنا علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس قال تلا هذه الآية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال كان فيما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وان بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل ذلك الذى يزمر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يسمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج الرجال للنساء قال ويتزين النساء للرجال وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك فرأى النساء فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهن فنزلوا معهن فظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى * وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى فيكون معنى ذلك ولا تبرجن تبرج الجاهلية التى قبل الاسلام فان قال قائل أوفي الاسلام جاهلية حتى يقال عنى بقوله الجاهلية الأولى التى قبل الاسلام قيل فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى

عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا أي في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وقد وقع (وصدق الله ورسوله) في كل ما وعد (وما زادهم الا ايمانا) بمواعيده قال

(وتسليما) لقضائه وقيل هذا اشارة الى ما يقنوا من أن عند الفزع الشديد يكون النصر والجنة كما قال ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا الى آخره كان رجال من الصحابة نذروا أنهم اذا لقوا حرباً ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستشهدوا

قال يقول التي كانت قبل الاسلام قال وفي الاسلام جاهلية قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء وقال لرجل وهو ينازعه يا ابن فلانة لأم كان يعيره بها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الدرداء ان فيك جاهلية قال أجاهلية كفر أو اسلام قال بل جاهلية كفر قال فتمنيت أن لو كنت ابتدأت اسلامي يومئذ قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من عمل أهل الجاهلية لا يدعهن الناس الطعن بالأنساب والاستمطار بالكواكب والنياحة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرني سليمن بن بلال عن ثور عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب قال له أرأيت قول الله لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى هل كانت الا واحدة فقال ابن عباس وهل كانت من أولى الا ولها آخرة فقال عمر لله درك يا ابن عباس كيف قلت فقال يا أمير المؤمنين وهل كانت من أولى الا ولها آخرة قال فأت بتصديق ما تقول من كتاب الله قال نعم وجاهدوا في الله حق جهاده كما جاهدتم أول مرة قال عمر فمن أمر بالجهاد قال قبيلتان من قريش مخزوم وبنو عبد شمس فقال عمر صدقت وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح وجائز أن يكون ما بين ادريس ونوح فتكون الجاهلية الآخرة ما بين عيسى ومحمد واذا كان كل ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل فالصواب أن يقال في ذلك كما قال الله انه نهى عن تبرج الجاهلية الأولى وقوله وأقمن الصلاة وآتين الزكاة يقول وأقمن الصلاة المفروضة وآتين الزكاة الواجبة عليكنّ في أموالكنّ وأطعن الله ورسوله فيما أمراكنّ ونهياكنّ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت يقول انما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال الرجس ههنا الشيطان وسوى ذلك من الرجس الشرك واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله أهل البيت فقال بعضهم عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي قال ثنا مندل عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي رضي الله عنه وحسن رضي الله عنه وحسين رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت قالت عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله معه ثم جاء علي فأدخله معه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج الى الصلاة فيقول الصلاة أهل

فصدقهم الله تعالى بأنهم صدقوا ما عاهدوا أي صدقوا الله فيما عاهدوه عليه ويجوز أن يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك فاذا وفوا به صدقوه (فمنهم من قضى نحبه) أي نذره فقاتل حتى قتل كحمزة ومصعب وقد يقع قضاء النحب عبارة عن الموت لأن كل حي لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا تبديلا) ما غير كل من الفريقين عهده وفيه تعريض بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلب فكأنه قال صدق المؤمنون ونكث المنافقون فكان عاقبة الصادقين الجزاء بالخير بواسطة صدقهم وعاقبة أصحاب النفاق التعذيب ان شاء الله إلا أن يتوبوا وانما استثنى لأنه آمن منهم بعد ذلك ناس والى هذا أشار بقوله (ان الله كان غفورا رحيما) حيث رحمهم ورزقهم الايمان ويجوز أن يراد يعذب المنافقين مع أنه كان غفورا رحيما لكثرة ذنبهم وقوة جرمهم ولو كان دون ذلك لغفر لهم (ورد الله الذين كفروا) وهم الأحزاب ملتبسين (بغيظهم لم ينالوا خيرا) أي غير ظافرين بشيء من مطالبهم التي هي عندهم خير من كسر أو أسر أو غنيمة (وكفى الله المؤمنين القتال) بواسطة ريح الصبا وبارسال الملائكة كما قصصنا (وأنزل الذين) ظاهروا الاحزاب (من أهل الكتاب من صياصيهم) والصيصية ما تحصن به ومنه يقال لقرن الثور والظبي ولشوكة الديك التي في ساقه صيصية لأن كلا منها سبب التحصن به روي أن جبرائيل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبرائيل

البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا يحيى بن ابراهيم بن سويد النخعي عن هلال يعني ابن مقلاص عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين فجعلت لهم خزيرة فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم قال ثنا يونس بن أبي اسحق قال أخبرني أبو داود عن أبي الحمراء قال رابطت المدينة سبعة اشهر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اذا طلع الفجر جاء الى باب علي وفاطمة فقال الصلاة الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا يونس بن أبي اسحق باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن أبي عمار قال اني لجالس عند واثلة بن الأسقع اذ ذكروا عليا رضي الله عنه فشتموه فلما قاموا قال اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا اني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين فألقى عليهم كساء له ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قلت يا رسول الله وأنا قال وأنت قال فوالله انها لأوثق عملي عندي حدثني عبد الكريم بن أبي عمير قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو قال ثني شداد أبو عمار قال سمعت واثلة بن الأسقع يحدث قال سألت عن علي بن أبي طالب في منزله فقالت فاطمة قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه وعليا عن يساره وحسنا وحسينا بين يديه فلفع عليهم بثوبه وقال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا اللهم هؤلاء أهلي اللهم أهلي أحق قال واثلة فقلت من ناحية البيت وأنا يا رسول الله من أهلك قال وأنت من أهلي قال واثلة انها لمن أرجى ما أرتجي حدثني أبو كريب قال ثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فجلل عليهم كساء خيبريا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة ألست منهم قال أنت الى خير حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا سعيد بن زربي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة قالت جاءت فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعته بين يديه فقال أين ابن عمك وابناك فقالت في البيت فقال ادعيهم فجاءت الى علي فقالت اجب النبي صلى الله عليه وسلم أنت وابناك قالت أم سلمة فلما رآهم مقبلين مد يده الى كساء كان على

فقال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وأنا عائد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس

ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فاصلى كثير من الناس العصر الا هنالك بعد العشاء الآخرة فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد ابن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم نزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا فقدمهم وضرب أعناقهم وهم ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير وانما قدم مفعول تقتلون لان القتل وقع على الرجال وكانوا مشهورين وكان الاعتناء بحالهم أشد ولم يكن في المأسورين هذا الاعتناء بل بقاؤهم هناك بالأسر أشد لانه لو قال وفريقا تأسرون فاذا سمع السامع قوله وفريقا ظن أنه يقال بعده يطلقون او لا يقدرون على أسرهم ولمثل هذا قدم قوله وأنزل على قوله وقذف وان كان قذف الرعب قبل الانزال وذلك ان الاهتمام والفرح بذكر الانزال أكثر (وأورثكم أرضهم) التي استوليتم عليها ونزلتم فيها أولا (وديارهم) التي كانت في القلاع فسلموها اليكم (وأموالهم) التي كانت في تلك الديار (وأرضا لم تطؤها) قيل هي القلاع أنفسها وعن مقاتل هي خيبر وعن قتادة كنا نحدث أنها مكة وعن الحسن فارس والروم وعن عكرمة كل أرض تفتح الى يوم القيامة وعن بعضهم أراد نساءهم وهو غريب ثم أكد الوعد بفتح البلاد بقوله (وكان الله على كل شيء قديرا) قال أهل النظم ان مكارم الاخلاق ترجع أصولها الى أمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله

المناسبة

واليها الاشارة بقوله عليه السلام الصلاة وما ملكت أيمانكم ولما ارشد نبيه الى القسم الاول بقوله اتق الله أرشده الى القسم الآخر وبدأ بالزوجات لأنهن أولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن في النفقة ولنبين تفسير الآية على مسائل (م) منها أن التخيير هل كان واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم أم لا فنقول التخيير قولا كان واجبا بالاتفاق لانه ابلاغ الرسالة وأما التخيير معنى فمبني على أن الامر للوجوب أم لا ومنها أن واحدة منهن لو اختارت الفراق هل كان يعتبر اختيارها فراقا والظاهر أنه لا يعتبر فراقا وانما تبين المختارة نفسها بابانة من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لقوله (فتعالين) وعلى هذا التقرير فهل كان يجب على النبي صلى الله عليه وسلم الطلاق أم لا الظاهر الوجوب لأن خلف الوعد منه غير جائز بخلاف الحال فينا فانه لا يلزمنا الوفاء بالوعد شرعا ومنها أن المختارة بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره الظاهر نعم (١) ليكون التخيير ممكنا لها من التمتع بزينة الدنيا ومنها أن المختارة الله ورسوله هل يحرم طلاقها الظاهر نعم بمعنى أنه لو أتى بالطلاق لعوتب وفي تقديم اختيار الدنيا اشارة الى أنه كان لا يلتفت اليهن كما ينبغي اشتغالا بعبادة ربه وكيفية المتعة وكميتها ذكرناهما في سورة البقرة والسراح الجميل كقوله أو تسريح باحسان وفي ذكر الله والدار الآخرة مع ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وفي قوله للمحسنات اشارات الى أن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم سبب مرضاة الله وواسطة حيازة سعادات الآخرة وأنه يوجب وصفهن بالاحسان والمراد بالاجر العظيم كبره بالذات وحسنه بالصفات ودوامه بحسب الاوقات فان العظيم لا يطلق الا على الجسم الطويل العريض العميق الذاهب في الجهات في الامتدادات الثلاثة وأجر الدنيا في ذاته قليل وفي صفاته غير خال عن جهات القبح

(١) الذي في الفخر الظاهر لا تحرم ليكون الخ فتنبه كتبه مصححه

المنامة فمدّه و بسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤسهم وأومأ بيده اليمنى الى ربه فقال هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن بن عطية قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية نزلت في بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت أنا يا رسول الله ألست من أهل البيت قال انك الى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا موسى بن يعقوب قال ثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرتني أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عليا والحسنين ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأر الى الله ثم قال هؤلاء أهل بيتي فقالت أم سلمة يا رسول الله أدخلني معهم قال انك من أهلي حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا عبد الرحمن بن صالح قال ثنا محمد بن سليمان الأصبهاني عن يحيى بن عبيد المكي عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة قال نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فدعا حسنا وحسينا وفاطمة فأجلسهم بين يديه ودعا عليا فأجلسه خلفه فتجلل هو وهم بالكساء ثم قال هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (١) قال أم سلمة أنا معهم مكانك وأنت على خير حدثني محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المري عن السدي عن أبي الديلم قال قال علي بن الحسين لرجل من أهل الشام أما قرأت في الأحزاب انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال ولأنتم هم قال نعم حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا بكير بن مسمار قال سمعت عامر بن سعد قال قال سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي فأخذ عليا وابنيه وفاطمة وأدخلهم تحت ثوبه ثم قال رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن حكيم بن سعد قال ذكرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند أم سلمة قالت فيه نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت أم سلمة جاء النبي صلى الله عليه وسلم الى بيتي فقال لا تأذني لأحد فجاءت فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ثم جاء الحسن فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه وجاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا حول النبي صلى الله عليه وسلم على بساط فجللهم نبي الله بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقلت يا رسول الله وأنا قالت فوالله ما أنعم وقال انك الى خير * وقال آخرون بل عنى بذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الأصبغ عن علقمة قال كان عكرمة ينادي في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم

(١) أي قالت أم سلمة انا معهم قال مكانك وأنت الخ وحرر كتبه مصححه

خاصة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذ كرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذ كرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن فى بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله على ذلك واحمدنه عليه وعنى بقوله واذ كرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله واذ كرن مايقرأ فى بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة ويعنى بالحكمة ما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام دين الله ولم ينزل به قرآن وذلك السنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله واذ كرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة أى السنة قال يمتن عليهم بذلك وقوله ان الله كان لطيفا خبيرا يقول تعالى ذكره ان الله كان ذا لطف بكن اذ جعلكن فى البيوت التى تتلى فيها آياته والحكمة خبيرا بكن اذ اختاركن لرسوله أزواجا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ يقول تعالى ذكره ان المتذللين لله بالطاعة والمتذللات والمصدقين والمصدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به من عند الله والقانتين والقانتات لله والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم والصادقين الله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه والصابرين لله فى البأساء والضراء على الثبات على دينه وحين البأس والصابرات والخاشعة قلوبهم لله وجلا منه ومن عقابه والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات وهم المؤدون حقوق الله من أموالهم والمؤديات والصائمين شهر رمضان الذى فرض الله صومه عليهم والصائمات ذلك والحافظين فروجهم إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم والحافظات ذلك الا على أزواجهن ان كن حرائر أو من ملكهن ان كن اماء والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات كذلك أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما يعنى ثوابا فى الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيما وذلك الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبى صلى الله عليه وسلم فقلن قد ذكركن الله فى القرآن ولم نذكر بشئ أما فينا مايذكر فأنزل الله تبارك وتعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات أى المطيعين والمطيعات والخاشعين والخاشعات أى الخائفين والخائفات أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما فى الجنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأجرا عظيما قال الجنة وفى قوله والقانتين والقانتات قال المطيعين والمطيعات حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر قال القانتات المطيعات حدثنا ابن حميد قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة يارسول الله يذكر الرجال ولا نذكر فنزلت ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله أيذكر الرجال فى كل شئ ولا نذكر فأنزل الله ان المسلمين والمسلمات الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا سيار بن مظاهر العنزى قال ثنا أبو كدينة يحيى بن مهلب عن قابوس

كما فى مأكوله من الضرر والثقل وكذلك فى مشروبه وغيرهما من اللذات ومع ذلك فهو منغص بالانقطاع والزوال ويروى أنه حين نزلت الآية بدأ بعائشة وكانت أحبهن اليه نخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن اختيارها فشكر ذلك لهن الله فأنزل لاتحل لك النساء من بعد وروى أنه قال لعائشة انى ذاكر لك أمرا ولا عليك أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم قالت لاتخبر أزواجك أنى اخترتك فقال انما بعثنى الله مبلغا ولم يبعثنى متعنتا أما حكم التخيير فى الطلاق فاذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسى أو قال اختارى نفسك فقالت اخترت لابد من ذكر النفس فى أحد الجانبين وقعت طلقة بائنة عند أبى حنيفة وأصحابه اذا كان فى المجلس أو لم يشتغل بمايدل على الاعراض واعتبر الشافعى اختيارها على الفور وهى عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهرى أمرها بيدها فى ذلك المجلس وفى غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شئ بالاتفاق لأن عائشة اختارت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد ذلك طلاقا وعن على رضى الله عنه مثله فى رواية وفى أخرى أنه عد ذلك واحدة رجعية اذا اختارته واذا اختارت نفسها فواحدة بائنة وحين خيرهن النبى صلى الله عليه وسلم واخترن الله ورسوله أدبهن الله وهددهن على الفاحشة التى هى أصعب على الزوج من كل ما تأتى به زوجته وأوعدهن بتضعيف العذاب لان الزنا فى نفسه قبيح ومن زوجة النبى أقبح ازدراء بمنصبه ولانها تكون قد اختارت حينئذ غير النبى فلا يكون النبى عندها أولى من الغير ولا من نفسها وفيه اشارة الى شرفهن فان الحرة لشرفها كان عذابها ضعف عذاب الامة وأيضا نسبة النبى الى غيره من الرجال نسبة السادة الى العبيد لكونه أولى بهم من أنفسهم

ابن

ابن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال قال نساء النبي صلى الله عليه وسلم ماله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فأنزل الله ان المسلمين والمسلمات الآية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان المسلمين والمسلمات قال قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ما للنساء لا يذكرن مع الرجال في الصلاح فأنزل الله هذه الآية حدثني محمد بن المعمر قال ثنا أبو هشام قال ثنا عبد الواحد قال ثنا عثمان بن حكيم قال ثنا عبد الرحمن ابن شيبة قال سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول قلت للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال قالت فلم يرعني ذات يوم ظهرا الا نداؤه على المنبر وأنا أسرح رأسي فلففت شعري ثم خرجت الى حجرة من حجرهن فجعلت سمعي عند الجريد فاذا هو يقول على المنبر يا أيها الناس ان الله يقول في كتابه ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى قوله أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ يقول تعالى ذكره لم يكن لمؤمن بالله ورسوله ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا فقد ضل ضلالا مبينا يقول فقد جار عن قصد السبيل وسلك غير سبيل الهدى والرشاد وذكر أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتاه زيد بن حارثة فامتنعت من انكاحه نفسها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الى آخر الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الاسدية فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحيه فقالت يا رسول الله أؤامر في نفسي فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الى قوله ضلالا مبينا قالت قد رضيته لي يا رسول الله منكحا قال نعم قالت اذا لا أعصي رسول الله قد أنكحته نفسي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أن تكون لهم الخيرة من أمرهم قال زينب بنت جحش وكراهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم قال نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش وكانت بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيت ورأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت فأنزل الله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم قال فتابعته بعد ذلك ورضيت حدثني أبو عبيد الوصابي قال ثنا محمد بن حمير قال ثنا ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة

فكذلك زوجاته اللواتي هن أمهات المؤمنين وليس في قوله (من يأت) دلالة على ان الاتيان بالفاحشة منهن ممكن الوقوع فان الله تعالى صان أزواج الانبياء من الفاحشة ولكنه في قوة قوله لئن أشركت ليحبطن عملك (٩) ولئن اتبعت أهواءهم وقوله (منكن) للبيان لا للتبعيض لدخول الكل تحت الارادة وقيل الفاحشة أريد بها كل الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه وفي قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) اشارة الى أن كونهن نساء النبي لا يغني عنهن شيأ كيف وانه سبب مضاعفة العذاب وحين بين مضاعفة عقابهن ذكر زيادة ثوابهن في مقابلة ذلك والقنوت الطاعة ووصف الرزق بالكرم لأن رزق الدنيا لا يأتي بنفسه في العادة وانما هو مسخر للغير يمسكه ويرسله الى الأغيار ورزق الآخرة بخلاف ذلك ثم صرح بفضيلة نساء النبي بأنهن لسن كأحد من النساء كقولك ليس فلان كآحاد الناس أي ليس فيه مجرد كونه انسانا بل فيه وصف أخص يوجد فيه ولا يوجد في أكثرهم كالعلم أو العقل أو النسب أو الحسب قال جار الله أحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه والمعنى اذا استقريت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل وقوله (ان اتقيتن) احتمل أن يتعلق بما قبله وهو ظاهر واحتمل أن يتعلق بما بعده أي ان كنتن متقيات فلا تجبن بقولكن خاضعا الينا مثل كلام المريبات (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي ريبة وفجور وحين منعهن من الفاحشة ومن مقدماتها وما يجر اليها أشار الى أن ذلك ليس أمرا بالايذاء والتكبر على الناس بل القول المعروف عند الحاجة هو المأمور به لا غير ثم أمرهن بلزوم بيوتهن بقوله (وقرن) بفتح القاف أمر من القرار باسقاط أحد حرفي التضعيف كقوله فظلتم تفكهون

وأصله اقررن من قرا بكسرها فهو امر من قر يقر قرارا اومن قر يقر بكسر القاف وقيل المفتوح من قولك قار يقار اذا اجتمع والتبرج اظهار الزينة كما مر فى قوله غير متبرجات بزينة وذلك فى سورة النور والجاهلية الاولى هى القديمة التى كانت فى أول زمن ابراهيم عليه السلام أو ما بين آدم ونوح أو بين ادريس ونوح أو فى زمن داود وسليمن والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاولى جاهلية الكفر والاخرى الفسق والابتداع فى الاسلام وقيل ان هذه أولى ليست لها أخرى بل معناه تبرج الجاهلية القديمة وكانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال ثم أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم عاما فى جميع الطاعات ثم علل جميع ذلك بقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) فاستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر وانما أكد ازالة الرجس بالتطهير لان الرجس قد يزول ولم يطهر المحل بعد و (أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وقد مر فى آية المباهلة أنهم أهل العباء النبى صلى الله عليه وسلم لانه أصل وفاطمة رضى الله عنها والحسن والحسين رضى الله عنهما بالاتفاق والصحيح أن عليا رضى الله عنه منهم لمعاشرته بنت النبى صلى الله عليه وسلم وملازمته اياه وورود الآية فى شأن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يغلب على الظن دخولهن فيهن والتذكير للتغليب فان الرجال وهم النبى وعلى وأبناؤهم غلبوا على فاطمة وحدها أو مع أمهات المؤمنين ثم أكد التكاليف المذكورة بأن بيوتهن مهابط الوحى ومنازل الحكم والشرائع الصادرة من مشرع النبوة ومعدن الرسالة ثم ختم الآية بقوله (ان الله كان لطيفا خبيرا) ايذانا بأن تلك الأوامر والنواهى لطف منه فى شأنهن وهو أعلم أريد بالمصطفين من عبيده المخصوصين بتأييده يروى أن أم سلمة أو كل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن

عن عكرمة عن ابن عباس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الآية كلها * وقيل نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وذلك أنها وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها زيد بن حارثة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الى آخر الآية قال نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وكانت من أول من هاجر من النساء فوهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم الى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال فذاك خاص وهذا اجماع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عتابا من الله له واذكر يا محمد اذ تقول للذى أنعم الله عليه بالهداية وأنعمت عليه بالعتق يعنى زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبته وهى فى حبال مولاه فألقى فى نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع فى نفس نبيه ما وقع فأراد فراقها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك وهو صلى الله عليه وسلم يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها واتق الله وخف الله فى الواجب له عليك فى زوجتك وتخفى فى نفسك ما الله مبديه يقول وتخفى فى نفسك محبة فراقه اياها لتتزوجها ان هو فارقها والله مبد ما تخفى فى نفسك من ذلك وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه يقول تعالى ذكره وتخاف أن يقول الناس أمر رجلا بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها والله أحق أن تخشاه من الناس وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ تقول للذى أنعم الله عليه وهو زيد أنعم الله عليه بالاسلام وأنعمت عليه أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه قال وكان يخفى فى نفسه ود أنه طلقها قال الحسن ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه منها قوله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ولو كان نبى الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحى لكتمها وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قال خشى نبى الله صلى الله عليه وسلم مقالة الناس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان النبى صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريده وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف وهى فى حجرتها حاسرة فوقع اعجابها فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم فلما وقع ذلك كرهت الى الآخر فجاء فقال يا رسول الله انى

أريد أن أفارق صاحبتى قال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رابنى منها شئ يا رسول الله ولا رأيت الا خيرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله فذلك قول الله تعالى واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه تخفى فى نفسك ان فارقها تزوجتها حدثنى محمد بن موسى الحرشى قال ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أبى حمزة قال نزلت هذه الآية وتخفى فى نفسك ما الله مبديه فى زينب بنت جحش حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا سفيان بن عيينة عن على بن زيد بن جدعان عن على بن حسين قال كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه فلما أتاه زيد يشكوها قال اتق الله وأمسك عليك زوجك قال الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا داود عن عامر عن عائشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحى اليه من كتاب الله لكتم وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقوله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها يقول تعالى ذكره فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته وهى الوطر ومنه قول الشاعر

ودعنى قبل أن أودعه * لما قضى من شبابنا وطرا

زوجناكها يقول زوجناك زينب بعد ما طلقها زيد وبانت منه لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم يعنى فى نكاح نساء من تبنوا وليسوا ببنيهم ولا أولادهم على صحة اذا هم طلقوهن وبن منهم اذا قضوا منهن وطرا يقول اذا قضوا منهن حاجاتهم وآرابهم وفارقوهن وحللن لغيرهم ولم يكن ذلك نزولا منهم لهم عنهن وكان أمر الله مفعولا يقول وكان ما قضى الله من قضاء مفعولا أى كان كائنا لا محالة وانما يعنى بذلك أن قضاء الله فى زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ماضيا مفعولا كائنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا يقول اذا طلقوهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنى زيد بن حارثة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلما قضى زيد منها وطرا الى قوله وكان أمر الله مفعولا اذا كان ذلك منه غير نازل لك فذلك قول الله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم حدثنى محمد بن عثمان الواسطى قال ثنا جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت عائشة وزينب قال فقالت زينب أنا الذى نزل تزويجى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال كانت زينب زوج النبى صلى الله عليه وسلم تقول للنبى صلى الله عليه وسلم انى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدى وجدك واحد وانى أنكحنيك الله من السماء وان السفير لجبرائيل عليه السلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا) يقول تعالى ذكره ما كان على النبى من حرج من اثم فيما أحل الله له من نكاح امرأة من تبناه بعد فراقه اياها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له أى أحل الله له وقوله سنة الله فى الذين خلوا من قبل

ولم يذكر النساء فنحن نخاف أن لا يقبل منا طاعة فنزلت ان المسلمين والمسلمات وذكر لهن عشر مراتب الاولى التسليم والانقياد لامر الله والثانية الايمان بكل ما يجب أن يصدق به فان المكلف يقول أولا كل ما يقول الشارع فأنا اقبله فهذا اسلام فاذا قال له شيأ وقبله صدق مقالته وصحح اعتقاده ثم ان اعتقاده يدعوه الى الفعل الحسن والعمل الصالح فيقنت ويعبد وهو المرتبة الثالثة ثم اذا آمن وعمل صالحا كمل غيره ويأمر بالمعروف وينصح أخاه فيصدق فى كلامه عند النصيحة وهو المراد بقوله (والصادقين والصادقات) ثم ان الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه كما قال فى قصة لقمان واصبر على ما أصابك أى بسببه ثم انه اذا كمل فى نفسه وكمل غيره قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله (والخاشعين والخاشعات) وفيه اشارة الى الصلاة لان الخشوع من لوازمها قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فلذلك اردفها بالصدقة ثم بالصيام المانع من شهوة البطن فضم الى ذلك الحفظ من شهوة الفرج التى هى ممنوع منها فى الصوم مطلقا وفى غير الصوم مما وراء الازواج والسرارى ثم ختم الأوصاف بقوله (والذاكرين الله كثيرا) يعنى أنهم فى جميع الاحوال ذكرون الله يكون اسلامهم وايمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم وحفظهم فروجهم لله وانما وصف الذكر بالكثرة فى أكثر المواضع فقال فى أوائل السورة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا وقال فى الآية والذاكرين الله كثيرا ويجىء بعد ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا لان الاكثار من الافعال البدنية متعسر يمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بغيرها بحسب الاغلب ولكن لا مانع من أن يذكر الله وهو آكل أو شارب أو ماش أو نائم أو مشغول ببعض الصنائع والحرف على أن جميع الاعمال صحتها أو كمالها بذكر الله تعالى وهى النية قال علماء العربية

يقول لم يكن الله تعالى ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله في أنه لم يؤثمهم بما احل لهم لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له ونصب قوله سنة الله على معنى حقا من الله كأنه قال فعلنا ذلك سنة منا وقوله وكان أمر الله قدرا مقدورا يقول وكان أمر الله قضاء مقضيا وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكان أمر الله قدرا مقدورا ان الله كان علمه معه قبل أن يخلق الاشياء كلها فأتمر في علمه أن يخلق خلقا ويأمرهم وينهاهم ويجعل ثوابا لأهل طاعته وعقابا لأهل معصيته فلما أتمر ذلك الأمر قدّره فلما قدّره كتب وغاب عليه فسماه الغيب وأم الكتاب وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدّة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم وقرأ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا نفذ ذلك جاءتهم رسلنا يتوفونهم وأمر الله الذي ائتمر قدره حين قدره مقدرا فلا يكون الا ما في ذلك وما في ذلك الكتاب وفي ذلك التقدير ائتمر أمرا ثم قدره ثم خلق عليه فقال كان أمر الله الذي مضى وفرغ منه وخلق عليه الخلق قدرا مقدورا شاء أمرا ليمضي به أمره وقدره وشاء أمرا يرضاه من عباده في طاعته فلما أن كان الذي شاء من طاعته لعباده رضيه لهم ولما أن كان الذي شاء أراد أن ينفذ فيه أمره وتدبيره وقدره وقرأ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس فشاء أن يكون هؤلاء من أهل النار وشاء أن تكون أعمالهم أعمال أهل النار فقال وكذلك زينا لكل أمة عملهم وقال وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم هذه أعمال أهل النار ولو شاء الله ما فعلوه قال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوّا شياطين الى قوله ولو شاء ربك ما فعلوه وقرأ وأقسموا بالله جهد أيمانهم الى كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله أن يؤمنوا بذلك قال فأخرجوه من اسمه الذي تسمى به قال هو الفعال لما يريد فزعموا أنه ما أراد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ﴾ يقول تعالى ذكره سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد من الرسل الذين يبلغون رسالات الله الى من أرسلوا اليه ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك اياهم ولا يخافون أحدا الا الله فانهم اياه يرهبون ان هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله الى من أرسلوا اليه يقول لنبيه محمد فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم فكن ولا تخش أحدا الا الله فان الله يمنعك من جميع خلقه ولا يمنعك أحد من خلقه منه ان أراد بك سوأ والذين من قوله الذين يبلغون رسالات الله خفض ردّا على الذين التي في قوله سنة الله في الذين خلوا وقوله وكفى بالله حسيبا يقول تعالى ذكره وكفاك يا محمد بالله حافظا لأعمال خلقه ومحاسبا لهم عليها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما ﴾ يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا أحد من رجالكم(١) الذين لم يلده محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه اياها ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوّة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده الى قيام الساعة وكان الله بكل شئ من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شئ * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم

على الصفة فيؤل معناه الى أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم وحين انجر الكلام من قصة زيد الى ههنا عاد الى حديثه قال الراوي خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت أمها أمية بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية فقالا رضينا يا رسول الله فأنكحها اياه وساق عنه المهر ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط وهي أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوّجها زيدا فسخطت هي وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوّجها عبده وقال أهل النظم انه تعالى لما أمر نبيه أن يقول لزوجاته انهن مخيرات فهم منه أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد ضرر الغير فعليه أن يترك حق نفسه لحظ غيره فذكر في هذه الآية أنه لا ينبغي أن يظن ظانّ أن هوى نفسه متبع وأن زمام الاختيار بيد الانسان كما في حق زوجات النبي بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله فأمر الله هو المتبع وقضاء الرسول هو الحق ومن خالف الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا لأن المقصد هو الله والهادي هو النبي فمن ترك المقصد وخالف الدليل ضل ضلالا لا يرعوي بعده ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر زينب ذات يوم بعد ما أنكحها زيدا فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم يردها أوّلا

(١) لعله أي لم يلده الخ تأمل

ولو أرادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لاجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك شئ منها قال لا (١٣) والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتكبر على

رجالكم قال نزلت فى زيد انه لم يكن بابنه ولعمرى ولقد ولدله ذكور انه لأبو القاسم وابراهيم والطيب والمطهر ولكن رسول الله وخاتم النبيين أى آخرهم وكان الله بكل شئ عليما حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا على بن قادم قال ثنا سفيان عن نسير بن ذعلوق عن على بن الحسين فى قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم قال نزلت فى زيد بن حارثة والنصب فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى تكرير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والرفع بمعنى الاستئناف ولكن هو رسول الله والقراءة النصب عندنا واختلفت القراء فى قراءة قوله وخاتم النبيين فقرأ ذلك قراء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين بمعنى أنه ختم النبيين ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ولكن نبيا ختم النبيين فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء بمعنى أنه الذى ختم الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم خاتم النبيين بفتح التاء بمعنى أنه آخر النبيين كما قرأ مختوم خاتمه مسك بمعنى آخره مسك من قرأ ذلك كذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعدلهم أجرا كريما﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا فلا تخلوا أبدانكم من ذكره فى حال من أحوال طاقتكم ذلك وسبحوه بكرة وأصيلا يقول صلوا له غدوة صلاة الصبح وعشيا صلاة العصر وقوله هو الذى يصلى عليكم وملائكته يقول تعالى ذكره ربكم الذى تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا اذا أنتم فعلتم ذلك الذى يرحمكم ويثنى عليكم هو ويدعو لكم ملائكته وقيل ان معنى قوله يصلى عليكم وملائكته يشيع عنكم الذكر الجميل فى عباد الله وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور يقول تدعو ملائكة الله لكم فيخرجكم الله من الضلالة الى الهدى ومن الكفر الى الاسلام * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله اذكروا الله ذكرا كثيرا يقول لا يفرض على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال عذر غير الذكر فان الله لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا فى تركه الا مغلوبا على عقله قال اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار فى البر والبحر وفى السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال وقال سبحوه بكرة وأصيلا فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله عز وجل هو الذى يصلى عليكم وملائكته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسبحوه بكرة وأصيلا صلاة الغداة وصلاة العصر وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور أى من الضلالات الى الهدى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور قال من الضلالة الى الهدى قال والضلالة الظلمات والنور الهدى وقوله وكان بالمؤمنين رحيما يقول تعالى ذكره وكان بالمؤمنين به وبرسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون ولأمره متبعون تحيتهم يوم يلقونه سلام يقول جل ثناؤه تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة فى الجنة سلام يقول بعضهم لبعض امنة لنا ولكم

لشرفها فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق فى نفسى منك اخطب على زينب قال زيد فانطلقت فاذا هى تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها حين علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى وقلت يا زينب أبشرى ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أؤامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار ولنرجع الى ما يتعلق بتفسير الالفاظ قوله (للذى) يعنى زيدا (أنعم الله عليه) بالايمان الذى هو أجل النعم وبتوفيق الاسباب حتى تبناه رسوله (وأنعمت عليه) أى بالاعتاق وبأنواع التربية والاختصاص وقوله (واتق الله) أى فى تطليقها فلا تفارقها نهى تنزيه لا تحريم أو أراد اتق فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وايذاء الزوج والذى أخفى النبى صلى الله عليه وسلم فى نفسه هو تعلق قلبه بها أو مودة مفارقة زيد اياها أو علمه بأن زيدا سيطلقها وعن عائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما اوحى اليه لكتم هذه الآية وذلك أن فيه نوع تخالف الظاهر والباطن فى الظاهر

وليس كذلك فى الحقيقة لان ميل النفس ليس يتعلق باختيار الآدمى فلا يلام عليه ولا هو مأمور بابدائه والذى أبداه كان مقتضى النصح والاشفاق والخشية والحياء من قالة الناس ان قلب النبى مال الى زوجة دعيه فبهذا القدر عوتب بقوله (والله أحق أن تخشاه) فان حسنات

الابرار سيئات المقربين فلعل الاولى بالنبي أن يسكت عن امسا كه حذرا من عقاب الله على ترك الاولى كما سكت عن تطليقه حياء من الناس قال جار الله الواوات في قوله وتخفي (١٤) وتخشى والله للحال ويجوز أن تكون للعطف كأنه قيل واذ تجمع بين قولك أمسك

بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام قال تحية أهل الجنة السلام وقوله وأعد لهم أجرا كريما يقول وأعد لهؤلاء المؤمنين ثوابا لهم على طاعتهم اياه في الدنيا كريما وذلك هو الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأعد لهم أجرا كريما أي الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد انا أرسلناك شاهدا على أمتك بابلاغك اياهم ما أرسلناك به من الرسالة ومبشرهم بالجنة ان صدقوك وعملوا بما جئتهم به من عند ربك ونذيرا من النار أن يدخلوها فيعذبوا بها ان هم كذبوك وخالفوا ما جئتهم به من عند الله وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا على أمتك بالبلاغ ومبشرا بالجنة ونذيرا بالنار وقوله وداعيا الى الله يقول وداعيا الى توحيد الله وإفراد الالوهة له واخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة والأوثان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وداعيا الى الله الى شهادة أن لا اله الا الله وقوله باذنه يقول بأمره اياك بذلك وسراجا منيرا يقول وضياء لخلقه يستضيء بالنور الذي أتيتهم به من عند الله عباده منيرا يقول ضياء ينير لمن استضاء بضوئه وعمل بما أمره وانما يعني بذلك أنه يهدي به من اتبعه من أمته وقوله وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا يقول تعالى ذكره وبشر أهل الايمان بالله يا محمد بأن لهم من الله فضلا كبيرا يقول بأن لهم من ثواب الله على طاعتهم اياه تضعيفا كثيرا وذلك هو الفضل الكبير من الله لهم وقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين يقول ولا تطع لقول كافر ولا منافق فتسمع منه دعاءه اياك الى التقصير في تبليغ رسالات الله الى من أرسلك بها اليه من خلقه ودع أذاهم يقول وأعرض عن أذاهم لك واصبر عليه ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله في عباده والنفوذ لما كلفك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ودع أذاهم قال أعرض عنهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ودع أذاهم أي اصبر على أذاهم وقوله وتوكل على الله يقول وفوض الى الله أمورك وثق به فانه كافيك جميع من دونه حتى يأتيك أمره وقضاؤه وكفى بالله وكيلا يقول وحسبك بالله قيما بأمورك وحافظا لك وكالئا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن يعني من قبل أن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها يعني من احصاء أقراء ولا أشهر تحصونها عليهن فمتعوهن يقول أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال وقوله وسرحوهن سراحا جميلا يقول وخلوا سبيلهن تخلية بالمعروف وهو التسريح الجميل

واخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك قوله (فلما قضى زيد منها) حاجته ولم يبق له فيها رغبة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) نفيا للحرج عن المؤمنين في مثل هذه القضية فان الشرع كما يستفاد من قول النبي صلى الله عليه وسلم يستفاد من فعله أيضا بل الثاني يؤكد الاول ألا ترى أنه لما ذكر ما فهم منه حل الضب ثم لم يأكل بقي في النفوس شيء وحيث أكل لحم الجمل طاب أكله مع أنه لا يؤكل في بعض الملل وكذلك الأرنب وقوله (اذا قضوا منهن وطرا) يفهم منه نفي الحرج عند قضاء الوطر بالطريق الاولى عن الخليل قضاء الوطر بلوغ كل حاجة يكون فيها همة وأراد بها في الآية الشهوة وقيل التطليق فلا اضمار على هذا (وكان أمر الله مفعولا) مكونا لا محالة ومن جملة أوامره ما جرى من قصة زينب ثم نزه جانب النبي صلى الله عليه وسلم عن قالة الناس بقوله (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله) اي قسم وأوجب (له) و (سنة الله) مصدر مؤكد لما قبله أي سن الله نفي الحرج سنة في الانبياء الذين خلوا فكان منهم من تحته أزواج كثيرة كداود وسليمن وسيجيء قصتهما في سورة ص ومعنى قدرا مقدورا قضاء مقضيا هكذا قاله المفسرون ولعل قوله وكان أمر الله مفعولا اشارة الى القضاء وهذا الاخير اشارة الى القدر وقد عرفت الفرق بينهما مرارا وفي قوله ولا يخشون أحدا الا الله تعريض بما صرح به في قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وا لحسيب الكافي للمخاوف أو المحاسب على الصغائر والكبائر فيجب أن لا يخشى الا هو ثم أكد مضمون الآي المتقدمة

الجميل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فهذا في الرجل يتزوج المرأة ثم يطلقها من قبل أن يمسها فاذا طلقها واحدة بانت منه ولا عدة عليها تتزوج من شاءت ثم قرأ فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يقول ان كان سمى لها صداقا فليس لها الا النصف فان لم يكن سمى لها صداقا أمتعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل * وقال بعضهم المتعة في هذا الموضع منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات الى قوله سراحا جميلا قال قال سعيد بن المسيب ثم نسخ هذا الحرف المتعة وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب قال نسخت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن قال نسخت هذه الآية التي في البقرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن يعني اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أزواجك اللاتي آتيت أجورهن قال صدقاتهن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن قال كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها الله له حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله خالصة لك من دون المؤمنين فما كان من هذه التسمية ما شاء كثيرا أو قليلا وقوله وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك يقول وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهن فملكتهن بالسباء وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك فأحل الله صلى الله عليه وسلم من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته المهاجرات معه منهن دون من لم يهاجر منهن معه كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيدالله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ قالت خطبني النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذرت له بعذري ثم أنزل الله عليه انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله اللاتي هاجرن معك قالت فلم أكن أحل له لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وقد ذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود وبنات خالاتك

وهو أن زيدا لم يكن ابناله فقال (ما كان محمد أبا أحد) فكان لقائل أن يقول أما كان أبا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم فلذلك قيل من رجالكم فخرجوا بهذا القدر من جهتين احداهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال

وبهذا الوجه يخرج الحسن والحسين أيضا من النفي لانهما لم يكونا بالغين حينئذ والأخرى أنه أضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم وكذا الحسن والحسين أو أراد الأب الأقرب ومعنى الاستدراك في قوله (ولكن رسول الله) صلى الله عليه وسلم هو اثبات الابوة من هذه الجهة لان النبي كالأب لأمته من حيث الشفقة والنصيحة ورعاية حقوق التعظيم معه وأكد هذا المعنى بقوله (وخاتم النبيين) لأن النبي اذا علم أن بعده نبيا آخر فقد يترك بعض البيان والارشاد اليه بخلاف ما لو علم أن ختم النبوة عليه (وكان الله بكل شيء عليما) ومن جملة معلوماته أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ومجيء عيسى عليه السلام في آخر الزمان لا ينافي ذلك لأنه ممن نبئ قبله وهو يجيء على شريعة نبينا مصليا الى قبلته وكأنه بعض أمته ۞ التأويل لقد كان لكم في رسول الله أسوة أي كان في الاول مقدرا لكم متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلقت قدرتنا باخراج أرواحكم من العدم الى الوجود عقيب اخراج روح الرسول من العدم الى الوجود أول ما خلق الله نوري أو روحي وبحسب القرب الى روح الرسول والبعد عنه يكون حال الاسوة وكل ما يجري على الانسان من بداية عمره الى نهاية عمره من الافعال والاقوال والاخلاق والاحوال فمن كان يرجو الله كان عمله خالصا لوجه الله تعالى ومن كان يرجو اليوم الآخر يكون عمله للفوز بنعيم الجنان وكل هذه المقامات مشروط بالذكر وهو كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله نفيا واثباتا وهما قدمان للسائرين الى الله وجناحان للطائرين بالله ولما رأى المؤمنون الاحزاب المجتمعين على اضلالهم واهلاكهم من النفس وصفاتها والدنيا وزينتها

واللاتى هاجرن معك بواو وذلك وان كان كذلك فى قراءته محتمل أن يكون بمعنى قراءتنا بغير الواو وذلك أن العرب تدخل الواو فى نعت من قد تقدم ذكره أحيانا كما قال الشاعر

فان رشيدا وابن مروان لم يكن * ليفعل حتى يصدر الامر مصدرا

ورشيد هو ابن مروان وكان الضحاك بن مزاحم يتأول قراءة عبد الله هذه انهن نوع غير بنات خالاته وأنهن كل مهاجرة هاجرت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الخبر عنه بذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى حرف ابن مسعود واللاتى هاجرن معك يعنى بذلك كل شئ هاجر معه ليس من بنات العم والعمة ولا من بنات الخال والخالة وقوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى يقول وأحللنا له امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى بغير صداق كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى بغير صداق فلم يكن يفعل ذلك وأحل له خاصة من دون المؤمنين وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله وامرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبى بغير ان ومعنى ذلك ومعنى قراءتنا وفيها ان واحد وذلك كقول القائل فى الكلام لا بأس أن يطأ جارية مملوكة ان ملكها وجارية مملوكة ملكها وقوله ان أراد النبى أن يستنكحها يقول ان أراد أن ينكحها فحلال له أن ينكحها اذا وهبت نفسها له بغير مهر خالصة لك يقول لا يحل لأحد من أمتك أن يقرب امرأة وهبت نفسها له وانما ذلك لك يا محمد خالصة أخلصت لك من دون سائر أمتك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة خالصة لك من دون المؤمنين يقول ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر ولى ولا مهر الا للنبى كانت له خالصة من دون الناس ويزعمون أنها نزلت فى ميمونة بنت الحرث انها التى وهبت نفسها للنبى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك الى قوله خالصة لك من دون المؤمنين قال كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها الله له الى أن وهب هؤلاء أنفسهن له فأحللن له دون المؤمنين بغير مهر خالصة لك من دون المؤمنين الا امرأة لها زوج حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن صالح بن مسلم قال سألت الشعبى عن امرأة وهبت نفسها لرجل قال لا يكون لا تحل له انما كانت للنبى صلى الله عليه وسلم واختلفت القراء فى قراءة قوله ان وهبت نفسها فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ان وهبت بكسر الألف على وجه الجزاء بمعنى ان تهب وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ أن وهبت بفتح الألف بمعنى وأحللنا له امرأة مؤمنة أن ينكحها لهبتها له نفسها والقراءة التى لا أستجيز خلافها فى كسر الألف لاجماع الحجة من القراء عليه وأما قوله خالصة لك من دون المؤمنين ليس ذلك للمؤمنين وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن قبل أن تنزل عليه هذه الآية أن يتزوج أى النساء شاء فقصره الله على هؤلاء فلم يعدهن وقصر سائر أمته على مثنى وثلاث ورباع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى عن زياد رجل من الانصار عن أبى بن كعب أن التى أحل الله للنبى من النساء هؤلاء اللاتى ذكر الله يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن الى قوله فى أزواجهم

والشيطان واتباعه قالوا متوكلين على الله هذا ما وعدنا الله ورسوله ان البلاء موكل بالانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل من المؤمنين رجال يتصرفون فى الموجودات تصرف الذكور فى الاناث صدقوا ما عاهدوا الله عليه أن لا يعبدوا غيره فى الدنيا والعقبى فمنهم من قضى نحبه فوصل الى مقصده ومنهم من ينتظر الوصول وهو فى السير وهذا حال المتوسطين وكفى الله المؤمنين القتال بريح القهر اذهبت على النفوس فأبطلت شهواتها وعلى الشيطان فردت كيده وعلى الدنيا فأزالت زينتها وأنزل الذين ظاهروهم أى أعانوا النفس والشيطان والهوى على القلوب من أهل الكتاب طالبى الرخص لا رباب الطلب المنكرين أحوال اهل القلوب من صياصيهم هى حصون تكبرهم وتجبرهم وأنزل وقعهم من حصون اعتقاد أرباب الطلب كيلا يقتدوا بهم ولا يغتروا بأقوالهم وقذف بنور ربهم فى قلوب النفوس والشياطين الرعب فريقا تقتلون وهم النفس وصفاتها والشيطان وأتباعه وتأسرون فريقا وهم الدنيا وجاهها وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم لتنفقوا فى سبيل الله وتجعلوها بذر مزرعة الآخرة وأرضا لم تطؤها يشير الى مقامات وكمالات لم يبلغوها فيبلغوها باستعمال الدنيا فان ذلك بعد الوصول لا يضر لأنه يتصرف بالحق للحق قل لأزواجك فيه اشارة الى أن حب الدنيا يمنعهن من صحبة النبى صلى الله عليه وسلم مع أنهن محال النطفة الانسانية فى عالم الصورة فكيف لا يضر حب الدنيا لاهل القلوب الذين قلوبهم أرحام النطفة الروحانية الربانية والأجر العظيم هو لقاء الله العظيم فمن أحب غير الله وان كان الجنة نقص من الأجر بقدر ذلك الا محبة النبى صلى الله عليه وسلم لان محبة الجنة بالحظ دون الحق فيها ما تشتهى الانفس ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم بالحق لا الحظ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وانما مضاعفة العذاب سقوطهن عن قرب الله وعن الجنة

كما أن إيتاء الأجر مرتين عبارة عن هذين وكان من دعاء السري السقطي اللهم ان كنت تعذبني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب والرزق الكريم
رزق المشاهدات الربانية يا نساء النبي هم الذين أسلموا أرحام قلوبهم لتصرفات (١٧) ولاية الشيخ ليست أحوالهم كأحوال غيرهم

وانما أحل الله للمؤمنين مثنى وثلاث ورباع حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك الى آخر الآية قال حرم الله عليه ما سوى ذلك من النساء وكان قبل ذلك ينكح في أي النساء شاء لم يحرم ذلك عليه فكان نساؤه يجدن من ذلك وجدا شديدا أن ينكح في أي الناس أحب فلما أنزل الله اني قد حرمت عليك من الناس سوى ما قصصت عليك أعجب ذلك نساءه واختلف أهل العلم في التي وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنات وهل كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة كذلك فقال بعضهم لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين فأما بالهبة فلم يكن عنده منهن أحد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الأزهر عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال في هذه الآية وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي قال ان تهب وأما الذين قالوا قد كان عنده منهن فان بعضهم قال كانت ميمونة بنت الحرث وقال بعضهم هي أم شريك وقال بعضهم زينب بنت خزيمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس قال وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي قال هي ميمونة بنت الحرث * وقال بعضهم زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال ثني الحكم قال كتب عبد الملك الى أهل المدينة يسألهم قال فكتب اليه علي قال شعبة وهو ظني علي بن حسين قال وقد أخبرني به أبان بن تغلب عن الحكم أنه علي بن الحسين الذي كتب اليه قال هي امرأة من الأسد يقال لها أم شريك وهبت نفسها للنبي * قال ثنا شعبة قال ثني عبد الله بن أبي السفر عن الشعبي أنها امرأة من الانصار وهبت نفسها للنبي وهي ممن أرجأ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن خولة بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ثني سعيد بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال كنا نتحدث أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة صالحة وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم يقول تعالى ذكره قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم اذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرة مسلمة الا بولي عصبة وشهود عدول ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ثنا مطهر قال ثنا علي بن الحسين قال ثني أبي عن مطر عن قتادة في قول الله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم قال ان مما فرض الله عليهم أن لا نكاح إلا بولي وشاهدين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم قال في الاربع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن

من الخلق ان اتقيتن بالله من غيره فلا تخضعن بالقول لشيء من الدارين فان كثيرا من الصادقين خضعوا بالقول لأرباب الدنيا الذين في قلوبهم مرض حب المال والجاه فاستجروهم ووقعوا في ورطة الهلاك والحجاب فالقول المعروف وهو المتوسط الذي لا يكون فيه الميل الكلي الى أهل الدنيا أصوب والى الحق أقرب وقرن في بيوتكن من عالم الملكوت ولا تبرجن في عالم الحواس راغبين في زينة الدنيا كعادة الجهلة وأقمن الصلاة التي هي معراج المؤمن يرفع يده من الدنيا ويكبر عليها ويقبل على الله بالاعراض عما سواه ويرجع من مقام تكبر الانسان الى خضوع ركوع الحيوان ومنه الى خشوع سجود النبات ثم الى قعود الجماد فانه بهذا الطريق أهبط الى أسفل القالب فيكون رجوعه بهذا الطريق الى أن يصل الى مقام الشهود الذي كان فيه في البداية الروحانية ثم يتشهد بالتحية والثناء على الحضرة ثم يسلم عن يمينه على الآخرة ومافيها وعن شماله على الدنيا ومافيها وإيتاء الزكاة بذل الوجود المجازي لنيل الوجود الحقيقي الرجس لوث الحدوث والبيت لأهل الوحدة بيت القلب يتلى فيه آيات الواردات والكشوف ان الذين استسلموا للاحكام الأزلية وآمنوا بوجود المعارف الحقيقية وقنتوا أي أغرقوا الوجود في الطاعة والعبودية وصدقوا في عهدهم وصبروا على الخصال الحميدة وعن الأوصاف الذميمة وخشعوا أي أطرقت سريرتهم عند بوادة الحقيقة وتصدقوا بأموالهم وأعراضهم حتى لم يبق لهم مع أحد خصومة وصاموا بالامساك عن الشهوات

قتادة قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم قال كان مما فرض الله عليهم أن لا تزوج امرأة الا بولى وصداق عند شاهدى عدل ولا يحل لهم من النساء الا أربع وما ملكت أيمانهم وقوله وما ملكت أيمانهم يقول تعالى ذكره قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين فى أزواجهم لأنه لا يحل لهم منهن أكثر من أربع وما ملكت أيمانهم فان جميعهن اذا كن مؤمنات أو كتابيات لهم حلال بالسباء والتسرى وغير ذلك من أسباب الملك وقوله لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما يقول تعالى ذكره انا أحللنا لك يا محمد أزواجك اللواتى ذكرنا فى هذه الآية وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها لكيلا يكون عليك إثم وضيق فى نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف التى أبحت لك نكاحهن من المسميات فى هذه الآية وكان الله غفورا لك ولأهل الايمان بك رحيما بك وبهم أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء فقال بعضهم عنى بقوله ترجى تؤخر وبقوله تؤوى تضم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ترجى من تشاء منهن يقول تؤخر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ترجى من تشاء منهن قال تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء وتؤوى اليك من تشاء قال تردها اليك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء قال فجعله الله فى حل من ذلك أن يدع من يشاء منهن ويأتى من يشاء منهن بغير قسم وكان نبى الله يقسم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن منصور عن أبى رزين ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء قال لما أشفقن أن يطلقهن قلن يا نبى الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت فكان ممن أرجأ منهن سودة بنت زمعة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة وكان ممن آوى اليه عائشة وأم سلمة وحفصة وزينب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء فما شاء صنع فى القسمة بين النساء أحل الله له ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى رزين فى قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء وكان ممن آوى عليه السلام عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة فكان قسمه من نفسه لهن سوى قسمه وكان ممن أرجى سودة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة فكان يقسم لهن ما شاء وكان أراد أن يفارقهن فقلن اقسم لنا من نفسك ما شئت ودعنا نكون على حالنا * وقال آخرون معنى ذلك تطلق وتخلى سبيل من شئت من نسائك وتمسك من شئت منهن فلا تطلق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ترجى من تشاء منهن أمهات المؤمنين وتؤوى اليك من تشاء يعنى نساء النبى صلى الله عليه وسلم

والاستغفار وان كان موافقا للشرع فان كان موافقا لطبعه وجب عليه الشكر وان كان مخالفا لطبعه وجب أن يستقبله بالصبر والرضا وفى قوله والله أحق أن تخشاه دلالة على أن المخلصين على خطر عظيم حتى أنهم يؤاخذون بميل القلب وحديث النفس وذلك لقوة صفاء باطنهم فاللطيف أسرع تغيرا فلما قضى زيد منها وطرا قضاء شهوته بين الخلق الى قيام الساعة ما كان على النبى من حرج فيما فيه أمان هو نقصان فى نظر الخلق فانه كمال عند الحق الا اذا كان النظر للحق ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أن نسبة المتابعين الى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم كنسبة الابن الى الأب الشفيق ولهذا قال كل حسب ونسب ينقطع الا حسبى ونسبى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى

ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى

ويعني بالارجاء يقول من شئت خليت سبيله منهن ويعني بالايواء يقول من أحببت أمسكت منهن * وقال آخرون بل معنى ذلك تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء أمتك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن في قوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها وقيل ان ذلك انما جعل الله لنبيه حين غار بعضهن على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن من النفقة زيادة على الذي كان يعطيها فأمره الله أن يخيرهن بين الدار الدنيا والآخرة وأن يخلي سبيل من اختار الحياة الدنيا وزينتها ويمسك من اختار الله ورسوله فلما اخترن الله ورسوله قيل لهن اقررن الآن على الرضا بالله وبرسوله قسم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يقسم أو قسم لبعضكن ولم يقسم لبعضكن وفضل بعضكن على بعض في النفقة أو لم يفضل سوى بينكن أو لم يسو قال الأمر في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لكم من ذلك شئ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا امرأة منهن أراد طلاقها فرضيت بترك القسم لها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي رزين قال لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلق أزواجه قلن له افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت فأمره الله فآوى أربعا وأرجى خمسا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا عبيدة بن سليمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل حتى أنزل الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء فقلت ان ربك ليسارع في هواك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر يعني العبدي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها كانت تعير النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت أما تستحي امرأة أن تعرض نفسها بغير صداق فنزلت أو فأنزل الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فقلت اني لأرى ربك يسارع لك في هواك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء الآية قال كان أزواجه قد تغايرن على النبي صلى الله عليه وسلم فهجرهن شهرا ثم نزل التخيير من الله له فيهن فقرأ حتى بلغ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى فخيرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن وبين أن يقمن ان أردن الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين لا ينكحن أبدا وعلى أنه يؤوي اليه من يشاء منهن ممن وهب نفسه له حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل فلا جناح عليه ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين اذا علمن أنه من قضائي عليهن ايثار بعضهن على بعض ذلك أدنى أن يرضين قال ومن ابتغيت ممن عزلت من ابتغى أصابه ومن عزل لم يصبه فخيرهن بين أن يرضين بهذا أو يفارقهن فاخترن الله ورسوله الا امرأة واحدة بدوية ذهبت وكان على ذلك صلوات الله عليه وقد شرط الله له هذا الشرط ما زال يعدل بينهن حتى لقي الله * وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره جعل لنبيه

أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك

لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٣٠) وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ۞ القراآت ترجى بغير همز أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وحفص وخلف والأعشى والمفضل وعباس لا تحل بتاء التأنيث أبو عمرو ويعقوب أناه بالامالة وغيرها مثل الحوايا فى الانعام وافق الخزاز عن هبيرة ههنا بالامالة ساداتنا بالألف وبكسر التاء ابن عامر وسهل ويعقوب وجبلة الباقون على التوحيد كبيرا بالباء الموحدة عاصم وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالثاء المثلثة ۞ الوقوف كثيرا لا وأصيلا ه النور ط رحيما ه سلام ج لاحتمال الجملة حالا واستئنافا كريما ه ونذيرا لا منيرا ه كبيرا ه على الله ط وكيلا ه تعتدونها ج لانقطاع النظم مع الفاء جميلا ه معك ج لاحتمال ما بعده العطف والنصب على المدح مع أن طول الكلام يرجح جانب الوقف يستنكحها قف للعدول على تقدير جعلناها خالصة المؤمنين ه حرج ط رحيما ه اليك من تشاء ط آتيتهن لان ما بعده واو استئناف دخل على الشرط عليك ط كلهن ط قلوبكم ط حليما ه يمينك ط رقيبا ه اناه لا للعطف

أن يرجى من النساء اللواتى أحلهن له من يشاء ويؤوى اليه منهن من يشاء وذلك أنه لم يحصر معنى الارجاء والايواء على المنكوحات اللواتى كن فى حباله عند ما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث ايواؤها أو ارجاؤها منهن واذ كان ذلك كذلك فمعنى الكلام تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك وأحللت لك نكاحها فلا تقبلها ولا تنكحها أو ممن هن فى حبالك فلا تقربها وتضم اليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء التى أحللت لك نكاحهن فتقبلها أو تنكحها وممن هى فى حبالك فتجامعها اذا شئت وتتركها اذا شئت بغير قسم وقوله ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ومن نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح فعزلته عن الجماع فلا جناح عليك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك قال جميعا هذه فى نسائه ان شاء أتى من شاء منهن ولا جناح عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن ابتغيت ممن عزلت قال ومن ابتغى أصابه ومن عزل لم يصبه * وقال آخرون معنى ذلك ومن استبدلت ممن أرجيت فخليت سبيله من نسائك أو ممن مات منهن ممن أحللت لك فلا جناح عليك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن يعنى بذلك النساء اللاتى أحل الله له من بنات العم والعمة والخال والخالة واللاتى هاجرن معك يقول ان مات من نسائك اللاتى عندك أحد أو خليت سبيله فقد أحللت لك أن تستبدل من اللاتى أحللت لك مكان من مات من نسائك اللاتى هن عندك أو خليت سبيله منهن ولا يصلح لك أن تزداد على عدة نسائك اللاتى عندك شيأ * وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك تأويل من قال معنى ذلك ومن ابتغيت اصابته من نسائك ممن عزلت عن ذلك منهن فلا جناح عليك لدلالة قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن على صحة ذلك لأنه لا معنى لان تقر أعينهن اذا هو صلى الله عليه وسلم استبدل بالميتة أو المطلقة منهن الا أن يعنى بذلك ذلك أدنى أن تقر أعين المنكوحة منهن وذلك مما يدل عليه ظاهر التنزيل بعيد وقوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن يقول هذا الذى جعلت لك يا محمد من اذنى لك أن ترجى من تشاء من النساء اللواتى جعلت لك ارجاءهن وتؤوى من تشاء منهن ووضعى عنك الحرج فى ابتغائك اصابة من ابتغيت اصابته من نسائك وعزلك عن ذلك من عزلت منهن أقرب لنسائك أن تقر أعينهن به ولا يحزن ويرضين كلهن بما آتيتهن كلهن من تفضيل من فضلت من قسم أو نفقة وايثار من آثرت منهن بذلك على غيره من نسائك اذا هن علمن أنه من رضاى منك بذلك واذنى لك به واطلاق منى لا من قبلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اذا علمن أن هذا جاء من الله لرخصة كان أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذلك نحوه * والصواب من القراءة فى قوله بما آتيتهن كلهن الرفع غير جائز غيره عندنا وذلك أن كلهن ليس بنعت للهاء فى قوله

آتيتهن وانما معنى الكلام ويرضين كلهن فانما هو توكيد لما في يرضين من ذكر النساء واذا جعل توكيدا للهاء التي في آتيتهن لم يكن له معنى والقراءة بنصبه غير جائزة لذلك ولاجماع الحجة من القراء على تخطئة قارئه كذلك وقوله والله يعلم ما في قلوبكم يقول والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها الى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة يقول فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهن ممن عزلت تفضلا منه عليك بذلك وتكرمة وكان الله عليما يقول وكان الله ذا علم بأعمال عباده وغير ذلك من الأشياء كلها حليما يقول ذا حلم عن عباده أن يعاجل أهل الذنوب منهم بالعقوبة ولكنه ذو حلم وأناة عنهم ليتوب من تاب منهم وينيب من ذنوبه من أناب منهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد فقال بعضهم معنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يحل لك النساء من بعد الآية الى رقيبا قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يحل لك النساء من بعد الى قوله الا ما ملكت يمينك قال لما خيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج وهن التسع التي اخترن الله ورسوله * وقال آخرون انما معنى ذلك لا يحل لك النساء بعد التي أحللنا لك بقولنا يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك الى قوله اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي وكأن قائلي هذه المقالة وجهوا الكلام الى أن معناه لا يحل لك من النساء الا التي أحللناها لك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى عن زياد قال قال لأبي بن كعب هل كان للنبي صلى الله عليه وسلم لو مات أزواجه أن يتزوج قال ما كان يحرم عليه ذلك فقرأت عليه هذه الآية يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك قال فقال أحل له ضربا من النساء وحرم عليه ما سواهن أحل له كل امرأة آتى أجرها وما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وكل امرأة وهبت نفسها له ان أراد أن يستنكحها خالصة له من دون المؤمنين حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى عن زياد الانصاري قال قلت لأبي بن كعب أرأيت لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال وما يحرم ذلك عليه قال قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد قال انما أحل الله له ضربا من النساء حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود بن أبي هند قال ثني محمد ابن أبي موسى عن زياد رجل من الانصار قال قلت لأبي بن كعب أرأيت لو أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توفين أما كان له أن يتزوج فقال وما يمنعه من ذلك وربما قال داود وما يحرم عليه ذلك قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد فقال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك الى قوله ان وهبت نفسها للنبي ثم قيل له لا يحل لك النساء من بعد

مع الاستدراك لحديث ط منكم ط فصلا بين وصف الخلق وحال الحق مع اتفاق الجملتين من الحق ط لابتداء حكم آخر حجاب ط وقلوبهن ط أبدا ط عظيما ه عليما ه أيمانهن لا والوقف أجوز لتكون الواو (٩٣) للاستئناف واتقين الله ط شهيدا ه النبي ط تسليما ه مهينا ه مبينا ه جلابيبهن ط يؤذين ط رحيما ه قليلا ه ج لأن قوله ملعونين يحتمل أن يكون حالا أو منصوبا على الشتم ملعونين ه ج لان الجملة الشرطية تصلح وصفا واستئنافا تقتيلا ه قبل ط تبديلا ه الساعة ط عند الله ط قريبا ه سعيرا لا أبدا ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف نصيرا ه ج لاحتمال تعلق الظرف بلا يجدون أو بيقولون أو باذكر الرسولا ه السبيلا ه كبيرا ه قالوا ط وجيها ه سديدا ه لا ذنوبكم ه عظيما ه الانسان ط جهولا ه لا والمؤمنات ط رحيما ه ۞ التفسير اعلم أن مبنى هذه السورة على تأديب النبي صلى الله عليه وسلم وقد مر أنه سبحانه بدأ بذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي مع الله وهو التقوى وذكر ما ينبغي أن يكون عليه مع أهله فأمر بعد ذلك عامة المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين وبدأ بما يتعلق بجانب التعظيم لله وهو الذكر الكثير وفيه لطيفة وهي أن النبي لكونه من المقربين لم يكن ناسيا فلم يؤمر بالذكر بل أمر بالتقوى والمحافظة عليها فانها تكاد لا تتناهى والتسبيح بكرة وأصيلا عبارة عن الدوام لأن مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط كقوله صلى الله عليه وسلم ولو أن أولكم وآخركم قال جار الله خص التسبيح بالذكر من جملة الذكر لفضله على سائر الأذكار ففيه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه ولقائل أن يقول هذا لا يطابق قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله وجوز أن يراد بالذكر الكثير الاقبال على العبادات كلها وأن يراد بالتسبيح الصلاة وبالوقتين العموم كما مر أو صلاة الفجر والعشاءين

لان أداءها أشق ومراعاتها أشدّ ثم حرض المؤمنين على ذكره بأنه أيضا يذكرهم والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فلعله أراد باللفظ المشترك كلا مفهوميه (٣٢) كما ذهب اليه الشافعي أو في الكلام حذف أي وملائكته تصلي أو المراد بصلاة الملائكة هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لاستجابة دعوتهم كأنهم فعلوا الرحمة أو المراد القدر المشترك وهو العناية بحال المرحوم والمستغفر له وأصل الصلاة التعطف وذلك أن المصلي يتعطف في ركوعه وسجوده فاستعير لمن يتعطف على غيره حنوّا وترؤفا ثم بين غاية الصلاة وهي اخراج المكلف من ظلمات الضلال الى نور الهدى وفي قوله (وكان بالمؤمنين رحيما) بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى أن تلك الرحمة لا تخص السامعين وقت الوحي ومعنى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) مذكور في أول يونس وفي ابراهيم وأراد بيوم اللقاء يوم القيامة لان الخلق مقبلون على الله بكليتهم بخلاف الدنيا والأجر الكريم هو ما يأتيه عفوا صفوا من غير شوب نغص ثم أشار الى ما ينبغي أن يكون النبيّ صلى الله عليه وسلم عليه مع عامة الخلق فقال (انا أرسلناك شاهدا) وهي حال مقدرة أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل وفيه أن الله تعالى جعل النبيّ شاهدا على وجوده بل على وحدانيته لان المدّعى هو الذي يذكر شيأ بخلاف الظاهر والوحدانية أظهر من الشمس فلا ينبغي أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم مدع لها بل يقال انه شاهد عليها كما قال على مثل الشمس فاشهد وانه قد جازاه بشهادته الله شهادته على نبوّته كما قال والله يشهد انك لرسوله والحاصل أنه شاهد في الدنيا بأحوال الآخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهد في الآخرة بأحوال الدنيا من الطاعة والمعصية والصلاح والفساد وانما قال (وداعيا الى الله باذنه) لان الشهادة لا تفتقر الى اذنه وكذلك الانذار والتبشير اذا قال من يطع الملك افلح ثنا

حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عمن ذكره عن أبي صالح لا يحل لك النساء من بعد قال أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة ويتزوج بعد من نساء تهامة ومن شاء من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاء ثلثمائة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة لا يحل لك النساء من بعد هؤلاء التي سمى الله إلا بنات عمك الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا يحل لك النساء من بعد يعني من بعد التسمية يقول لا يحل لك امرأة الا ابنة عم أو ابنة عمة أو ابنة خال أو ابنة خالة أو امرأة وهبت نفسها لك من كان منهن هاجر مع نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وفي حرف ابن مسعود واللاتي هاجرن معك يعني بذلك كل شئ هاجر معه ليس من بنات العم والعمة ولا من بنات الخال والخالة * وقال آخرون بل معنى ذلك لا يحل لك النساء من غير المسلمات فأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا يحل لك النساء من بعد لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة * وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال معنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وانما قلت ذلك أولى بتأويل الآية لأن قوله لا يحل لك النساء عقيب قوله انا أحللنا لك أزواجك وغير جائز أن يقول قد أحللت لك هؤلاء ولا يحللن لك الا بنسخ أحدهما صاحبه وعلى أن يكون وقت فرض احدى الآيتين فعل الأخرى منهما فاذ كان ذلك كذلك ولا برهان ولا دلالة على نسخ حكم احدى الآيتين حكم الأخرى ولا تقدم تنزيل احداهما قبل صاحبتها وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة لم يجز أن يقال احداهما ناسخة الاخرى واذا كان ذلك كذلك ولم يكن لقول من قال معنى ذلك لا يحل من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة معنى مفهوم اذ كان قوله من بعد انما معناه من بعد المسميات المتقدّم ذكرهنّ في الآية قبل هذه الآية ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر اباحة المسلمات كلهنّ بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفي الله عليه وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبيّ فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم صح ما قلنا في ذلك دون قول من خالف قولنا فيه واختلفت القراء في قراءة قوله لا يحل لك النساء فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة يحلّ بالياء بمعنى لا يحل لك شئ من النساء بعد وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة لا تحلّ لك النساء بالتاء توجيها منه الى أنه فعل للنساء والنساء جمع للكثير منهن * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأه بالياء للعلة التي ذكرت لهم ولاجماع الحجة من القراء على القراءة بها وشذوذ من خالفهم في ذلك وقوله ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد المسلمات لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ولا أن تبدّل بالمسلمات غيرهن من الكوافر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال

ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولا أن تبدّل بالمسلمات غيرهنّ من النصارى واليهود والمشركين ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما ملكت يمينك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى رزين فى قوله لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما ملكت يمينك قال لا يحلّ لك أن تتزوّج من المشركات الا من سبيت فملكته يمينك منهن * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا أن تبدّل بأزواجك اللواتى هنّ فى حبالك أزواجا غيرهن بأن تطلقهنّ وتنكح غيرهن ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ يقول لا يصلح لك أن تطلق شيأ من أزواجك ليس يعجبك فلم يكن يصلح ذلك له * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا أن تبادل من أزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ قال كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يعطى هذا امرأته هذا ويأخذ امرأته فقال لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما ملكت يمينك لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت أن تبادل فأما الحرائر فلا قال وكان ذلك من أعمالهم فى الجاهلية * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا أن تطلق أزواجك فتستبدل بهنّ غيرهن أزواجا وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لما قد بينا قبل من أن قول الذى قال معنى قوله لا يحلّ لك النساء من بعد لا يحلّ لك اليهودية والنصرانية والكافرة قول لا وجه له فاذ كان ذلك كذلك فكذلك قوله ولا أن تبدّل بهنّ كافرة لا معنى له اذ كان من المسلمات من قد حرم عليه بقوله لا يحلّ لك النساء من بعد بالذى دللنا عليه قبل وأما الذى قاله ابن زيد فى ذلك أيضا فقول لا معنى له لأنه لو كان بمعنى المبادلة لكانت القراءة والتنزيل ولا أن تبادل بهن من أزواج أو ولا أن تبدّل بهنّ بضم التاء ولكن القراءة المجمع عليها ولا أن تبدّل بهنّ بفتح التاء بمعنى ولا أن تستبدل بهن مع أن الذى ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف فى أمة نعلمه من الأمم أن يبادل الرجل آخر بامرأته الحرة فيقال كان ذلك من فعلهم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فعل مثله فان قال قائل أفلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوّج امرأة على نسائه اللواتى كنّ عنده فيكون موجها تأويل قوله ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج الى ما تأوّلت أو قال وأين ذكر أزواجه اللواتى كنّ عنده فى هذا الموضع فتكون الهاء من قوله ولا أن تبدّل بهنّ من ذكرهنّ وتوهم أن الهاء فى ذلك عائدة على النساء فى قوله لا يحلّ لك النساء من بعد قيل قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوّج من شاء من النساء اللواتى كان الله أحلهنّ له على نسائه اللاتى كنّ عنده يوم نزلت هذه الآية وانما نهى صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أن يفارق من كان عنده بطلاق أراد به استبدال غيرها بها لاعجاب حسن المستبدلة له بها اياه اذ كان الله قد جعلهنّ أمهات المؤمنين وخيرهن بين الحياة الدنيا والدار الآخرة والرضا بالله ورسوله فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فحرم على غيره بذلك ومنع من فراقهنّ بطلاق فأما نكاح غيرهنّ فلم يمنع

وقد أمدّ الله بنور نبوّته نور البصائر كما يمدّ بنور السراج نور الأبصار وانما لم يشبه بالشمس لان الشمس لا يؤخذ منه شئ ويؤخذ من السراج سرج كثيرة وهم الصحابة والتابعون فى المثال ولهذا قال أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وصفهم بالنجم لان النجم لا يؤخذ منه شئ والتابعى لا يأخذ من الصحابى فى الحقيقة وانما يأخذ من النبيّ ووصف السراج بالانارة لان السراج قد يكون فاترا ومنه قولهم ثلاثة تضنى رسول بطئ وسراج لا يضئ ومائدة ينتظر لها من يجئ ويجوز أن يكون سراجا معطوفا على الكاف ويراد به القرآن ويجوز أن يكون المعنى وذا سراج أو تاليا سراجا قوله (ودع أذاهم) أى خذ بظاهرهم وادفع عنهم الاسر والقتل وحسابهم على الله واضافة أذاهم يحتمل أن يكون الى الفاعل والى المفعول ثم أمر المؤمنين بما يتعلق بجانب الشفقة على الخلق واكتفى بذكر الزوجات المطلقات قبل المسيس لانه اذا لزم الاحسان اليهنّ بمجرد العقد وهو المراد بالنكاح ههنا فبالوطء يكون أولى وقدمر حكمهنّ فى سورة البقرة وقوله وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وذلك لأجل تشطير الصداق وانما أعاد ذكرهن ههنا لبيان عدم وجوب العدّة عليهن وتخصيص المؤمنات بالذكر دون الكتابيات ايذان بأنهن أولى بتخيرهن للنطفة وفى قوله (ثم طلقتموهن) تنبيه على

أنه لا تفاوت فى هذا الحكم بين قريبة العهد من النكاح وبين بعيدة العهد منه فاذا لم تجب العدّة على البعيدة العهد فلأن لا تجب على القريبة العهد أولى وقد يستدل بكلمة ثم على أن تعليق الطلاق بالنكاح لا يصح لان المعية تنافى التراخى وفى قوله (فما لكم عليهن) دليل على أن العدة

حق واجب للرجال على النساء وان كان لا يسقط باسقاطه لما فيها من حق الله تعالى أيضا ومعنى تعتدونها تستوفون عددها تقول عددت الدراهم فاعتدها نحو كلته فاكتاله ثم عاد

الى تعليم النبي صلى الله عليه وسلم وفائدة قوله اللاتي آتيت أجورهن وقوله

منه بل أحل الله ذلك له على ما بين في كتابه وقد روى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبض حتى أحل الله له نساء أهل الارض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن عائشة قالت مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء تعني أهل الأرض حدثني عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن عائشة قالت مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء حدثني العباس بن أبي طالب قال ثنا معلى قال ثنا وهيب عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير الليثي عن عائشة قالت ماتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ماشاء حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء قال أحسب عبيد بن عمير حدثني قال أبو زيد وقال أبو عاصم مرة عن عائشة قالت مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء قال وقال أبو الزبير شهدت رجلا يحدثه عطاء حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا همام عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حل له النساء فان قال قائل فان كان الامر على ماوصفت من أن الله حرم على نبيه بهذه الآية طلاق نسائه اللواتي خيرهن فاخترنه فما وجه الخبر الذي روى عنه أنه طلق حفصة ثم راجعها وأنه أراد طلاق سودة حتى صالحته على ترك طلاقه اياها ووهبت يومها لعائشة قيل كان ذلك قبل نزول هذه الآية والدليل على صحة ماقلنا من أن ذلك كان قبل تحريم الله على نبيه طلاقهن الرواية الواردة أن عمر دخل على حفصة معاقبها حين اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه كان من قيله لها قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فكلمته فراجعك فوالله لئن طلقك أولو كان طلقك لا كلمته فيك وذلك لاشك قبل نزول آية التخيير لأن آية التخيير انما نزلت حين انقضى وقت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعتزالهن وأما أمر الدلالة على أن أمر سودة كان قبل نزول هذه الآية ان الله انما أمر نبيه بتخيير نسائه بين فراقه والمقام معه على الرضا بأن لا قسم لهن وأنه يرجي من يشاء منهن ويؤوي منهن من يشاء ويؤثر من شاء منهن على من شاء ولذلك قال له تعالى ذكره ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ومن المحال أن يكون الصلح بينها و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى على تركها يومها لعائشة في حال لا يوم لها منه وغير جائز أن يكون كان ذلك منها الا في حال كان لها منه يوم هو لها حق كان واجبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أداؤه اليها ولم يكن ذلك لهن بعد التخيير لما قد وصفت قبل فيما مضى من كتابنا هذا فتأويل الكلام لا يحل لك يا محمد النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك في الآية قبل ولا أن تطلق نساءك اللواتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فتبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسن من أردت أن تبدل به منهن إلا ما ملكت يمينك وأن في قوله أن تبدل بهن رفع لأن معناها لا يحل لك النساء من بعد ولا الاستبدال بأزواجك والا في قوله الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء ومعنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك الا ما ملكت يمينك من الاماء فان لك أن تملك من أي أجناس الناس شئت من الاماء وقوله وكان الله على كل شئ رقيبا يقول وكان الله على كل شئ

مما أفاء الله عليك وقوله اللاتي هاجرن معك هي أن الله تعالى اختار لرسوله الافضل الاولى وذلك أن سوق المهر اليها عاجلا أفضل من أن تسميه وتؤجله وكان التعجيل ديدن السلف ومن الناس من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه اعطاء المهر لان المراة لها الامتناع الى أن تأخذ مهرها والنبي عليه السلام لم يكن يستوفي مالا يجب له كيف وانه اذا طلب شيأ حرم الامتناع على المطلوب منه والظاهر أن طالب الوطء ولاسيما في المرة الاولى يكون هو الرجل لحياء المرأة ولو طلب النبي صلى الله عليه وسلم من المرأة التمكين قبل المهر لزم أن يجب وأن لا يجب ولا كذلك أحدنا ومما يؤكد هذا قوله (وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) صلى الله عليه وسلم يعني حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية مهرها والجارية اذا كانت سبية مالكها ومخطوبة سيفه ورمحه فانها أحل وأطيب من المشتراة لكونها غير معلومة الحال قال جار الله السبي على ضربين سبي طيبة وهي ماسبي من أهل الحرب وسبي خبثة وهي ماسبي ممن له عهد فلا جرم قال سبحانه مما أفاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاربه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وانما لم يجمع العم والخال اكتفاء بجنسيتهما مع أن لجمع البنات دلالة على ذلك لامتناع اجتماع أختين تحت واحد ولم يحسن هذا الاقتصار في العمة والخالة لامكان سبق الوهم الى أن التاء فيهما للوحدة وشرط في استحلال الواهبة نفسها ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ما

كأنه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها وفيه أنه لابد من قبول الهبة حتى يتم النكاح و به استدل أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة وحملها الشافعي على خصائص النبي صلى الله عليه وسلم (٣٥) وعن أبي الحسن الكرخي أن عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتي آتيت أجورهن قال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد والظاهر أن خالصة حال من امرأة وقال جار الله هي مصدر مؤكد كوعد الله أي خلص لك الاحلال خلوصا وفائدة هذا الحال على مذهب الشافعي ظاهرة وقال أبو حنيفة أراد بها أنها زوجته وهي من أمهات المؤمنين فأورد عليه أن أزواجه كلهن خالصات له فلا يبقى لتخصيص الواهبة فائدة وقوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم) جملة اعتراضية معناها أن الله قد علم ما يجب على المؤمنين في حق الأزواج وفي الاماء على أي حدّ وصفة ينبغي أن يكون ثم بين غاية الاحلال بقوله (لكيلا يكون عليك حرج) أي لئلا يكون عليك ضيق في دينك ولا في دنياك حيث أحللنا لك أصناف المنكوحات (وكان الله غفورا) للذي وقع في الحرج (رحيما) بالتوسعة والتيسير على عباده ثم بين أنه أحل له وجوه المعاشرة بهن من غير ايجاب قسم بينهن لانه صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى أمته كالسيد المطاع فزوجاته كالمملوكات فلا قسم لهن والارجاء التأخير والايواء الضم وهما خبران في معنى الامر (ومن ابتغيت ممن عزلت) يعني اذا طلبت من كنت تركتها (فلا جناح عليك) في شيء من ذلك وهذه قسمة جامعة للغرض لانه اما أن يطلق واما أن يمسك واذا أمسك ضاجع أو ترك

ما أحل لك وحرم عليك وغير ذلك من الاشياء كلها حفيظا لا يعزب عنه علم شيء من ذلك ولا يؤده حفظ ذلك كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكان الله على كل شيء رقيبا أي حفيظا في قول الحسن وقتادة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تدخلوا بيوت نبي الله الا أن تدعوا الى طعام تطعمونه غير ناظرين إناه يعني غير منتظرين ادراكه وبلوغه وهو مصدر من قولهم قد أنى هذا الشيء يأني أنيا وإناء قال الحطيئة

وآنيت العشاء الى سهيل * أو الشعرى فطال بي الاناء

وفيه لغة أخرى يقال قد آن لك أي تبين لك أينا ونال لك وأنال لك ومنه قول رؤبة بن العجاج

هاجت ومثلي نوله أن يربعا * حمامة ناحت حماما سجعا

و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الى طعام غير ناظرين إناه قال متحينين نضجه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس غير ناظرين إناه يقول غير ناظرين الطعام أن يصنع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة غير ناظرين إناه قال غير متحينين طعامه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله ونصب غير في قوله غير ناظرين إناه على الحال من الكاف والميم في قوله الا أن يؤذن لكم لأن الكاف والميم معرفة وغير نكرة وهي من صفة الكاف والميم وكان بعض نحويي البصرة يقول لا يجوز في غير الجر على الطعام الا أن تقول أنتم و يقول ألا ترى أنك لو قلت أبدى لعبد الله على امرأة مبغضا لها لم يكن فيه الا النصب الا أن تقول مبغض لها هو لأنك اذا أجريت صفته عليها ولم تظهر الضمير الذي يدل على أن الصفة له لم يكن كلاما لو قلت هذا رجل مع امرأة ملازمها كان لحنا حتى ترفع فتقول ملازمها أو تقول ملازمها هو فتجرّ وكان بعض نحويي الكوفة يقول لو جعلت غير في قوله غير ناظرين إناه خفضا كان صوابا لأن قبلها الطعام وهو نكرة فيجعل فعلهم تابعا للطعام لرجوع ذكر الطعام في إناه كما تقول العرب رأيت زيدا مع امرأة محسنا اليها ومحسن اليها فمن قال محسنا جعله من صفة زيد ومن خفضه فكأنه قال رأيته مع التي يحسن اليها فاذا صارت الصلة للنكرة أتبعتها وان كانت فعلا لغير النكرة كما قال الأعشى

فقلت له هذه هاتها * الينا بأدماء مقتادها

فجعل المقتاد تابعا لاعراب بأدماء لانه بمنزلة قولك بأدماء تقتادها فخفضه لانه صلة لها قال وينشد * بأدماء مقتادها * بخفض الادماء لاضافتها الى المقتاد قال ومعناه هاتها

واذا ضاجع قسم أو لم يقسم واذا طلق أو عزل فاما أن يترك المعزولة أو يبتغيها يروى أنه أرجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه

على يدى من اقتادها   وأنشد أيضا

وان امرأ أهدى اليك ودونه * من الارض موماة و بيداء فيهق
لمحقوقة أن تستجيبى لصوته * وأن تعلمى أن المعان موفق

وحكى عن بعض العرب سماعا ينشد

أرأيت اذ أعطيتك الودّ كله * ولم يك عندى ان أبيت إباء
أمسلمتى للموت أنت فميت * وهل للنفوس المسلمات بقاء

ولم يقل فميت أنا وقال الكسائى سمعت العرب تقول يدك باسطها يريدون أنت وهو كثير فى الكلام قال فعلى هذا يجوز خفض غير * والصواب من القول فى ذلك عندنا القول باجازة جر غير فى غير ناظرين فى الكلام لا فى القراءة لما ذكرنا من الابيات التى حكيناها فأما فى القراءة فغير جائز فى غير غير النصب لاجماع الحجة من القراء على نصبها وقوله ولكن اذا دعيتم فادخلوا يقول ولكن اذا دعاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فادخلوا البيت الذى أذن لكم بدخوله فاذا طعمتم فانتشروا يقول فاذا أكلتم الطعام الذى دعيتم لأكله فانتشروا يعنى فتفرقوا واخرجوا من منزله ولا مستأنسين لحديث فقوله ولا مستأنسين لحديث فى موضع خفض عطفا به على ناظرين كما يقال فى الكلام أنت غير ساكت ولا ناطق وقد يحتمل أن يقال مستأنسين فى موضع نصب عطفا على معنى ناظرين لان معناه الا أن يؤذن لكم الى طعام لا ناظرين إناه فيكون قوله ولا مستأنسين نصبا حينئذ والعرب تفعل ذلك اذا حالت بين الاول والثانى فتردّ أحيانا على لفظ الاول وأحيانا على معناه وقد ذكر الفراء أن أبا القمقام أنشده

أجدك لست الدهر رائى رامة * ولا عاقل الا وأنت حبيب
ولا مصعد فى المصعدين لمنعج * ولا هابطا ما عشت هضب شطيب

فردّ مصعد على أن رائى فيه باء خافضة اذ حال بينه و بين المصعد بما حال بينهما من الكلام ومعنى قوله ولا مستأنسين لحديث ولا متحدّثين بعد فراغكم من أكل الطعام ايناسا من بعضكم لبعض به كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا مستأنسين لحديث بعد أن تأكلوا واختلف أهل العلم فى السبب الذى نزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم نزلت بسبب قوم طعموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وليمة زينب بنت جحش ثم جلسوا يتحدّثون فى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم و برسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حاجة فمنعه الحياء من أمرهم بالخروج من منزله ذكر من قال ذلك حدثنى عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش فبعثت داعيا الى الطعام فدعوت فيجىء القوم يأكلون و يخرجون ثم يجىء القوم يأكلون و يخرجون فقلت يا نبىّ الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه قال ارفعوا طعامكم وان زينب لجالسة فى ناحية البيت وكانت قد أعطيت جمالا و بقى ثلاثة نفر يتحدّثون فى البيت وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل

عائشة وحفصة وأم سلمة و زينب وروى أنه كان يسوّى مع ماخير فيه الاسودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك وقيل أراد تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد أن يخطبها حتى يدعها ومن قال ان القسم كان واجبا مع أنه ضعيف بالنسبة الى مفهوم الآية قال المراد تؤخرهن ان شئت اذ لا يجب القسم فى الاول وللزوج أن لا ينام عند أحد منهن (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) فى ذلك فابدأ بمن شئت وتمم الدور والاول أقوى ثم قال (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى) الى قرّة عيونهن وقلة حزنهن والى رضاهنّ جميعا لانه اذا لم يجب عليه القسم ثم انه يقسم بينهن حملهن ذلك على تلطفه وتخلصه وفى قوله (والله يعلم ما فى قلوبكم) وعيد لمن لم يرض منهنّ بما دبر الله له (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) مع ذلك لا يعاجل بالعقوبة فتحا لباب التوبة وقوله (كلهن) بالرفع تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لضمير المفعول فى آتيتهن ثم انه سبحانه شكر لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اختيارهن الله ورسوله فأنزل (لا يحل لك النساء من بعد) قال أكثر المفسرين أى من بعد التسع المذكورة فالتسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما أن الاربع نصاب أمته منهن وانه تعالى زاد فى اكرامهن بقوله (ولا أن تبدّل بهن) أى ولا يحل لك أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن وأكد النفى بقوله (من أزواج) وفائدته استغراق جنس جماعات الازواج بالتحريم وذهب بعضهم الى أن الآية ليس فيها تحريم غيرهن ولا المنع من طلاقهنّ والمعنى لا يحل لك النساء من بعد اللواتى نص على احلالهن من الأجناس الاربعة وأما غيرهنّ من الكتابيات والاماء بالنكاح والأعرابيات والغرائب فلا يحل لك التزوج بهنّ   البيت

البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فأتى حجر نسائه فقالوا مثل ماقالت عائشة فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الثلاثة يتحدّثون فى البيت وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج النبي صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة فلا أدرى أخبرته أوخبر أن الرهط قد خرجوا فرجع حتى وضع رجله فى أسكفة داخل البيت والاخرى خارجه اذ أرخى الستر بيني و بينه وأنزلت آية الحجاب حدثني أبو معاوية بشر بن دحية قال ثنا سفيان عن الزهرى عن أنس بن مالك قال سألنى أبيّ بن كعب عن الحجاب فقلت أنا أعلم الناس به نزلت فى شأن زينب أولم النبيّ صلى الله عليه وسلم عليها بتمر وسويق فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيّ الا أن يؤذن لكم الى قوله ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن حدثني أحمد بن عبد الرحمن ابن وهب قال ثنى عمى قال أخبرنى يونس عن الزهرى قال أخبرنى أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل فى مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام حتى خرجوا و بقى منهم رهط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج وخرجت معه لكى يخرجوا فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب بيني و بينه سترا وأنزل الحجاب حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عديّ عن حميد عن أنس قال دعوت المسلمين الى وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة بنى بزينب بنت جحش فأوسعهم خبزا ولحما ثم رجع كما كان يصنع فأتى حجر نسائه فسلم عليهن فدعون له ورجع الى بيته وأنا معه فلما انتهينا الى الباب اذا رجلان قد جرى بهما الحديث فى ناحية البيت فلما أبصرهما ولى راجعا فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم ولى عن بيته وليا مسرعين فلا أدرى أنا أخبرته أو أخبر فرجع الى بيته فأرخى الستر بيني و بينه ونزلت آية الحجاب حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عديّ عن حميد عن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حجبت عن أمهات المؤمنين فانه يدخل عليك البر والفاجر فنزلت آية الحجاب حدثني القاسم بن بشر بن معروف قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا حماد ابن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس بن مالك قال أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب لما أهديت زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاما ودعا القوم فجاؤا فدخلوا وزينب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيت وجعلوا يتحدّثون وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يدخل وهم قعود قال فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الى فاسألوهن من وراء حجاب قال فقام القوم وضرب الحجاب حدثني عمر بن اسمعيل بن مجالد قال ثنا أبى عن بيان عن أنس بن مالك قال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من نسائه فأرسلنى فدعوت قوما الى الطعام فلما أكلوا وخرجوا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا قبل بيت

وقوله ولا أن تبدل بهن منع من فعل الجاهلية وهو قولهم بادلنى بامرأتك وأبادلك بامرأتى فكان ينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه يحكى أن عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير (٣٧) استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة أين الاستئذان فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال عليه السلام ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال أحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وقوله (ولو أعجبك حسنهنّ) فى موضع الحال أى مفروضا اعجابك بهن قال جار الله والأظهر أن جوابه محذوف يدل عليه ما قبله وهو لا يحل وفائدة هذه الشرطية التأكيد والمبالغة واستثنى ممن حرم عليه الاماء وفى قوله (وكان الله على كل شئ رقيبا) تحذير من مجاوزة حدوده واعلم أن ظاهر هذه الآية ناسخ لما كان قد ثبت له صلى الله عليه وسلم من تحريم مرغوبته على زوجها وفيه حكمة خفية وذلك أن الانبياء يشتدّ عليهم برحاء الوحى فى أوّل الامر ثم يستأنسون به فينزل عليهم وهم يتحدّثون مع أصحابهم فكان الحاجة الى تفريغ بال النبي تكون فى أوّل الامر أكثر لوهى القوّة ولعدم إلفه بالوحى فاذا تكاملت قوّته وحصل إلفه بتعاقب الوحى لم يبق له الالتفات الى غير الله فلم يحتج الى احلال التزوّج بمن وقع بصره عليها وعن عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء تعنى أن الآية نسخت ونسخها إمّا بالسنة عند من يجوّز نسخ القرآن بخبر الواحد وإمّا بقوله انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ثم عاد الى ارشاد الأمّة وحالهم مع النبيّ إما حال الخلوة فالواجب هنالك احترام أهله وأشار اليه بقوله لا تدخلوا وإما حال الملأ فالواجب وقتئذ التعظيم بكل ما أمكن وذلك قوله ان الله وملائكته

عائشة فرأى رجلين جالسين فانصرف راجعا فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو داود قال ثنا المسعودى قال ثنا ابن نهشل عن أبى وائل عن عبد الله قال أمر عمر نساء النبى صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا فأنزل الله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب حدثنى محمد بن مرزوق قال ثنا أشهل بن حاتم قال ثنا ابن عون عن عمرو بن سعيد عن أنس قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وكان يمر على نسائه قال فأتى بامرأة عروس ثم جاء وعندها قوم فانطلق فقضى حاجته واحتبس وعاد وقد خرجوا قال فدخل فأرخى بينى و بينه سترا قال فحدثت أبا طلحة فقال ان كان كما تقول لينزلن فى هذا شئ قال ونزلت آية الحجاب * وقال آخرون كان ذلك فى بيت أم سلمة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث قال كان هذا فى بيت أم سلمة قال أكلوا ثم أطالوا الحديث فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يدخل ويخرج ويستحيى منهم والله لا يستحيى من الحق * قال ثنا سعيد عن قتادة واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب قال بلغنا أنهن أمرن بالحجاب عند ذلك وقوله ان ذلكم كان يؤذى النبى يقول ان دخولكم بيوت النبى من غير أن يؤذن لكم وجلوسكم فيها مستأنسين للحديث بعد فراغكم من أكل الطعام الذى دعيتم له كان يؤذى النبى فيستحيى منكم أن يخرجكم منها اذا قعدتم فيها للحديث بعد الفراغ من الطعام أو يمنعكم من الدخول اذا دخلتم بغير اذن مع كراهيته لذلك منكم والله لا يستحيى من الحق أن يتبين لكم وان استحيا نبيكم فلم يبين لكم كراهية ذلك حياء منكم واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب يقول واذا سألتم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين اللواتى لسن لكم بأزواج متاعا فاسألوهن من وراء حجاب يقول من وراء ستر بينكم و بينهن ولا تدخلوا عليهن بيوتهن ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن يقول تعالى ذكره سؤالكم اياهن المتاع اذا سألتموهن ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين فيها التى تعرض فى صدور الرجال من أمر النساء وفى صدور النساء من أمر الرجال وأحرى من أن لا يكون للشيطان عليكم وعليهن سبيل * وقد قيل ان سبب أمر الله النساء بالحجاب انما كان من أجل أن رجلا كان يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة معهما فأصابت يدها يد الرجل فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن ليث عن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت آية الحجاب * وقيل نزلت من أجل مسألة عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب و يعقوب قالا ثنا هشيم قال ثنا حميد الطويل عن أنس قال قال عمر بن الخطاب قلت يارسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن قال فنزلت آية الحجاب حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا حميد عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنى عمرو بن عبد الله بن وهب قال ثنى
يونس

كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون و يقعدون منتظرين لادراكه فقيل لاتدخلوا ياهؤلاء المتحينون للطعام الا وقت الاذن أى مأذونين والا غير ناظرين اناه وانى الطعام ادراكه أى الطعام انى نحو قلاه قلى وقيل اناه وقته فقد تلخص أن الاذن مشروط بكونه الى الطعام فلزم منه أن لا يجوز الدخول اذا لم يكن الاذن الى طعام كالدخول بالاذن لاستماع كلام مثلا فأجيب بأن الخطاب مع قوم كانوا موصوفين بالتحين للطعام فمنعوا من الدخول فى وقته من غير اذن وجوز بعضهم أن يكون فى الكلام تقديم وتأخير أى لاتدخلوا الى طعام الا أن يؤذن لكم فلا يكون منعا من الدخول فى غير وقت الطعام بغير الاذن والاول أولى ولا يشترط فى الاذن التصريح به اذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قيل الا أن يؤذن على البناء للمفعول ليشمل اذن الله واذن الرسول أو العقل المؤيد بالدليل وقوله (فانتشروا) للوجوب وليس كقوله فاذا قضيت الصلاة فانتشروا وذلك للدليل العقلى على أن بيوت الناس لاتصلح للمكث بعد الفراغ مما دعى لأجله وللدليل النقلى وذلك قوله (ولا مستأنسين لحديث) وهو مجرور معطوف على ناظرين أو منصوب على الحال أى لاتدخلوها هاجمين ولا مستأنسين يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا الى أن قال يارسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يارسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له و رجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء وذلك قوله (ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم) أى من اخراجكم فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع

يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كنّ يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر يقول يارسول الله احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى قد عرفناك ياسودة حرصا أن ينزل الحجاب قال فأنزل الله الحجاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت خرجت سودة لحاجتها بعدما ضرب علينا الحجاب وكانت امرأة تفرع النساء طولا فأبصرها عمر فناداها ياسودة انك والله ماتخفين علينا فانظري كيف تخرجين أوكيف تصنعين فانكفأت فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ليتعشى فأخبرته بما كان وماقال لها وان في يده لعرقا فأوحى اليه ثم رفع عنه وان العرق لفي يده فقال لقد أذن لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا همام قال ثنا عطاء بن السائب عن أبي وائل عن ابن مسعود قال أمر عمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فأنزل الله واذا سألتموهنّ متاعا فاسألوهنّ من وراء حجاب حدثني أبو أيوب النهراني سليمن بن عبد الحميد قال ثنا يزيد ابن عبد ربه قال ثني ابن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن عروة عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كنّ يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى قد عرفناك ياسودة حرصا على أن ينزل الحجاب قالت عائشة فأنزل الله الحجاب قال الله يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا الآية وقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله يقول تعالى ذكره وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله وما يصلح ذلك لكم ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا يقول وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا لأنهن أمهاتكم ، لايحل للرجل أن يتزوج أمه وذكر أن ذلك نزل في رجل كان يدخل قبل الحجاب قال لئن مات محمد لأتزوجن امرأة من نسائه سماها فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما قال ربما بلغ النبيّ صلى الله عليه وسلم أن الرجل يقول لو أن النبيّ صلى الله عليه وسلم توفي تزوجت فلانة من بعده قال فكان ذلك يؤذي النبيّ صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم مات وقد ملك قيلة بنت الأشعث فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك فشق على أبي بكر مشقة شديدة فقال له عمر ياخليفة رسول الله انها ليست من نسائه انها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها وقد برأها منه بالردة التي ارتدت مع قومها فاطمأن أبو بكر وسكن حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى

كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يقول يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت والمتاع الماعون ومايحتاج اليه وثاني مفعولي فاسألوهن محذوف وهو المتاع المدلول عليه بما قبله (ذلكم) الذي ذكر من السؤال من وراء الحجاب (أطهر) لاجل قلوبكم لأن العين رو زنة القلب ومنها تنشأ الفتنة غالبا وروي أن بعضهم قال نهينا أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن فلانة عني عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم بقوله (وما كان) أي وماصح (لكم أن تؤذوا رسول الله) بوجه من الوجوه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم) الايذاء والنكاح (كان عند الله ذنبا (عظيما) لأن حرمة الرسول ميتا كحرمته حيا ثم بين بقوله (ان تبدوا شيئا) الآية أنهم ان لم يؤذوه في الحال ولكن عزموا على ايذائه أو نكاح أزواجه بعده فالله عالم بكل شئ فيجازيهم بحسب ذلك ثم انه لما أنزل الحجاب استثنى المحارم بقوله لاجناح عليهن أي لا اثم عليهن في ترك الاحتجاب من هؤلاء قال في التفسير الكبير عند الحجاب لما امر الله الرجل بالسؤال من وراء الحجاب فيفهم كون المرأة محجوبة عن الرجل بالطريق الأولى وعند الاستثناء قال لاجناح عليهن فرفع الحجاب عنهن فالرجال أولى بذلك وقدم الآباء لان اطلاعهم على بناتهم أكثر فقد رأوهن في حالة

الصغر ثم الابناء ثم الاخوة وقدم بني الاخوة لان بني الاخوات آباؤهم ليسوا بمحارم انما هم أزواج خالات أبنائهم فقد يصف الابن خالته عند أبيه ففي ذلك نوع مفسدة فأوجبت التأخر عن رتبة المحرمية ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين أو لأنهما قد يصفان لابنائهما

وأبناؤهما غير محارم وقد يستدل بقوله (ولانسائهن) مضافة الى المؤمنات انه لايجوز التكشف للكافرات فى وجه وانحر المماليك لان محرميتهم
كالأمر الضرورى والا فالمفسدة (٢٠) فى التكشف لهم ظاهرة ولهذا اعقبه بقوله (واتقين) فان التكشف لهم مشروط
بشرط سلامة العاقبة والأمن من الفتنة ومنهم من قال المراد من كان منهم دون البلوغ قال جار الله فى نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب فى قوله واتقين فضل تشديد وبعث على سلوك طريقة التقوى فيما أمرن به من الاحتجاب كأنه قيل وليكن عملكن فى الحجب أحسن مما كان وأتقن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن ثم أكد الكل بقوله (ان الله كان على كل شئ شهيدا) وفيه أنه لايتفاوت فى علمه ظاهر الحجاب وباطنه ثم كمل بيان حرمة النبى بأنه محترم فى الملا الأعلى فليكن واجب الاحترام فى الملا الأدنى وقد مر معنى الصلاة فى السورة وانما قال هناك هو الذى يصلى عليكم وملائكته وقال ههنا (ان الله وملائكته يصلون) ليلزم منه تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم وذلك لأن افراد الواحد بالذكر وعطف الغير عليه يوجب تفضيلا للمذكور على المعطوف فكأنه سبحانه شرف الملائكة بضمهم مع نفسه بواسطة صلاتهم على النبى صلى الله عليه وسلم استدل الشافعى بقوله (صلوا عليه وسلموا) وظاهر الامر للوجوب أن الصلاة فى التشهد واجبة وكذا التسليم لانه لايجب بالاتفاق فى غير الصلاة فيجب فيها وذكر المصدر للتأكيد ليكمل السلام عليه وهو قول المصلى السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ولم يؤكد الصلاة هذا التأكيد لأنها كانت مؤكدة بقوله ان الله
وملائكته يصلون وسئل النبى كيف نصلى عليك يارسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد
كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وعنه صلى الله عليه وسلم

قال ثنا داود عن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وقد ملك بنت الأشعث بن قيس ولم يجامعها فذكر نحوه وقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما يقول ان أذاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الاثم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما ﴾ يقول تعالى ذكره ان تظهروا بألسنتكم شيأ أيها الناس من مراقبة النساء أو غير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقول لأتزوجن زوجته بعد وفاته أو تخفوه يقول أو تخفوا ذلك فى أنفسكم فان الله كان بكل شئ عليما يقول فان الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم عليم لايخفى عليه شئ وهو يجازيكم على جميع ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لاجناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا ﴾ يقول تعالى ذكره لاحرج على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آبائهن ولا اثم ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وضع عنهن الجناح فى هؤلاء فقال بعضهم وضع عنهن الجناح فى وضع جلابيبهن عندهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبى ليلى عن عبد الكريم عن مجاهد فى قوله لاجناح عليهن فى آبائهن الآية كلها قال أن تضع الجلباب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لاجناح عليهن فى آبائهن ومن ذكر معه أن يروهن * وقال آخرون وضع عنهن الجناح فيهن فى ترك الاحتجاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله لاجناح عليهن الى شهيدا فرخص لهؤلاء أن لايحتجبن منهم * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال ذلك وضع الجناح عنهن فى هؤلاء المسمين أن لايحتجبن منهم وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب وبعد قول الله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب فلأن يكون قوله لاجناح عليهن فى آبائهن استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهن المتاع من وراء الحجاب اذا سألوهن ذلك أولى وأشبه من أن يكون خبرا مبتدأ عن غير ذلك المعنى فتأويل الكلام اذا لا اثم على نساء النبى صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين فى اذنهن لآبائهن وترك الحجاب منهن ولا لأبنائهن ولا لاخوانهن ولا لأبناء اخوانهن وعنى باخوانهن وأبناء اخوانهن اخوتهن وأبناء اخوتهن وخرج معهم جمع ذلك مخرج جمع فتى اذا جمع فتيان فكذلك جمع أخ اذا جمع اخوان وأما اذا جمع اخوة فذلك نظير جمع فتى اذا جمع فتية ولا أبناء اخوانهن ولم يذكر فى ذلك العم على ما قال الشعبى حذارا من أن يصفهن لأبنائه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن داود عن الشعبى وعكرمة فى قوله لاجناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن قلت ما شأن العم والخال لم يذكرا قال لأنهما ينعتانها لأبنائهما وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن داود عن عكرمة والشعبى نحوه غير أنه لم يذكر ينعتانها وقوله ولا نسائهن يقول ولا جناح عليهن أيضا فى أن لايحتجبن من نساء المؤمنين كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب

قال

من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ومن العلماء من أوجب الصلاة كلما جرى ذكره لما روى في الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله ومنهم من أوجبها في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس

قال قال ابن زيد في قوله ولا نسائهن قال نساء المؤمنات الحرائر ليس عليهن جناح أن يرين تلك الزينة قال وانما هذا كله في الزينة قال ولا يجوز للمرأة أن تنظر الى شئ من عورة المرأة قال ولو نظر الرجل الى فخذ الرجل لم أر به بأسا قال ولا ما ملكت أيمانهن فليس ينبغي لها أن تكشف قرطها للرجل قال وأما الكحل والخاتم والخضاب فلا بأس به قال والزوج له فضل والآباء من وراء الرجل لهم فضل قال والآخرون يتفاضلون قال وهذا كله يجمعه ما ظهر من الزينة قال وكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا يحتجبن من المماليك وقوله ولا ما ملكت أيمانهن من الرجال والنساء وقال آخرون من النساء وقوله واتقين الله يقول وخفن الله أيها النساء أن تتعدين ما حد الله لكن فتبدين من زينتكن ما ليس لكن أن تبدينه أو تتركن الحجاب الذي أمركن الله بلزومه الا فيما أباح لكن تركه والزمن طاعته ان الله كان على كل شئ شهيدا يقول تعالى ذكره ان الله شاهد على ما تفعلنه من احتجابكن وترككن الحجاب لمن أبحت لكن ترك ذلك له وغير ذلك من أموركن يقول فاتقين الله في أنفسكن لا تلقين الله وهو شاهد عليكم بمعصيته وخلاف أمره ونهيه فتهلكن فانه شاهد على كل شئ * القول في تأويل قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) يقول تعالى ذكره ان الله وملائكته يبركون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه يقول يباركون على النبي وقد يحتمل أن يقال ان معنى ذلك أن الله يرحم النبي وتدعو له ملائكته ويستغفرون وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله انما هو دعاء وقد بينا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه تسليما يقول وحيوه تحية الاسلام * وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عنبسة عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبيه قال أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال سمعت الله يقول ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية فكيف الصلاة عليك فقال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد حدثني جعفر بن محمد الكوفي قال ثنا يعلى بن الأجلح عن الحكم بن عتيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قمت اليه فقلت السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك يا رسول الله قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا أبو اسرائيل عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال ان الله وملائكته الآية فقال أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فقلنا أو قالوا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك فقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن زياد

وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والأحوط هو الأول وهو الصلاة عليه عند كل ذكر وأما الصلاة على غيره فقد مر الخلاف فيها في سورة التوبة في قوله وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ثم رتب الوعيد على ايذاء الله ورسوله فيجوز أن يكون ذكر الله توطئة وتشريفا واعلاما بأن ايذاء رسول الله هو ايذاء الله كقوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله ويجوز أن يراد بايذاء الله الشرك به ونسبته الى ما لا يجوز عليه وعن عكرمة هو فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق كخلق الله وقيل أذى رسول الله قولهم انه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي والأظهر التعميم وعن بعضهم أن اللعن في الدارين هو جزاء من يؤذي الله واعداد العذاب المهين هو جزاء من يؤذي رسول الله ولعل الفرق لاغ ثم رتب وعيدا آخر على ايذاء المؤمنين والمؤمنات ولكن قيده بقوله بغير ما اكتسبوا الا انه اذا صدر عن أحدهم ذنب جاز ايذاؤه على الوجه المحدود في الشرع ولعل المراد هو الايذاء القولي لقوله (فقد احتملوا بهتانا) ويحتمل أن يقال احتمال البهتان سببه الايذاء القولي واحتمال الاثم المبين سببه الايذاء الفعلي ويحتمل أن يكون كلاهما وعيد الايذاء القولي وانما وقع الاكتفاء به لأنه أجرح للقلب ولامكان الاستدلال به على الفعلي ولأن ايذاء الله لا يكون الا بالقول الا اذا جعل السجود للصنم ايذاء قيل نزلت في ناس من المنافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في إفك عائشة وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات ثم أراد أن يدفع عن أهل بيت نبيه

عن ابراهيم فى قوله ان الله وملائكته الآية قالوا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فكيف الصلاة عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد حدثنى يعقوب الدورقى قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن بشر بن مسعود الانصارى قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قالوا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فكيف الصلاة وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال قولوا اللهم صل على محمد كما صليت على آل ابراهيم اللهم بارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم و بارك على محمد كما باركت على ابراهيم وقال الحسن اللهم اجعل صلواتك و بركاتك على آل محمد كما جعلتها على ابراهيم انك حميد مجيد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره ان الذين يؤذون الله ان الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم اياه وركوبهم ما حرم عليهم وقد قيل انه عنى بذلك أصحاب التصاوير وذلك أنهم يرومون تكوين خلق مثل خلق الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد القرشى قال ثنا يحيى بن سعيد عن سلمة بن الحجاج عن عكرمة قال الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذابا مهينا قال يا سبحان الله ما زال أناس من جهلة بنى آدم حتى تعاطوا أذى ربهم وأما أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو طعنهم عليه فى نكاحه صفية بنت حيى فيما ذكر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذابا مهينا قال نزلت فى الذين طعنوا على النبى صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حيى بن أخطب وقوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة يقول تعالى ذكره أبعدهم الله من رحمته فى الدنيا والآخرة وأعدّ لهم فى الآخرة عذابا يهينهم فيه بالخلود فيه وقوله والذين يؤذون المؤمنين كان مجاهد يوجه معنى قوله يؤذون الى يقفون ذكر الرواية بذلك عنه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والذين يؤذون قال يقفون فمعنى الكلام على ما قال مجاهد والذين يقفون المؤمنين والمؤمنات و يعيبونهم طلبا لشينهم بغير ما اكتسبوا يقول بغير ما عملوا كما حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بغير ما اكتسبوا قال عملوا حدثنا نصر ابن على قال ثنا عثام بن على عن الأعمش عن مجاهد قال قرأ ابن عمر والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات

ومن أمتعه المثالب التى هى مظان لصوق العار فقال (يا أيها النبى) الآية ومعنى (يدنين عليهن) يرخين عليهن يقال للمرأة اذا زل الثوب عن وجهها أدنى ثوبك على وجهك ومعنى التبعيض فى (من جلابيبهن) أن يكون للمرأة جلابيب فتقتصر على واحد منها أو أريد طرف من الجلباب الذى لها وكانت النساء فى أول الاسلام على عادتهن فى الجاهلية متبذلات يبرزن فى درع وخمار من غير فصل بين الحرة والامة فأمرن بلبس الأردية والملاحف وستر الرأس والوجوه (ذلك) الادناء (أدنى) وأقرب الى (أن يعرفن) أنهن حرائر أو أنهن لسن بزانيات فان التى سترت وجهها أولى بأن تستر عورتها (فلا يؤذين) لاهن ولا رجالهن أقاربهن لان أكثر الايذاء والطعن انما يتفق من جهة نساء العشيرة اذا كن مرئيات فضلا عن كونهن مزينات (وكان الله غفورا) لما قد سلف (رحيما) حين أرشدكم الى هذا الأدب الجميل ولما أوعدهم بعذاب الآخرة خوفهم بعقاب الدنيا قائلا (لئن لم ينته المنافقون) عن الايذاء (والذين فى قلوبهم مرض) وهم الضعفة الايمان أو الزناة وأهل الفجور (والمرجفون) فى مدينة الرسول وهم الخائضون فى أخبار السوء من غير حقيقة سمى بذلك لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهى الزلزلة روى أن ناسا كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله يوقعون فى الناس أنهم قتلوا أو هزموا وكانوا يقولون قد أتاكم العدو ونحو ذلك ومعنى (لنغرينك بهم) لنسلطنك عليهم وهو مجاز من قولهم أغريت الجارحة بالصيد والمراد لنأمرنك بأن تفعل ما يضطرهم الى الجلاء ثم لا يساكنونك فى المدينة الا زمنا قليلا ريثما يتأهبون فيرتحلون بأنفسهم وعيالهم ومعنى ثم تراخى الرتبة كأنه يفعل بهم أفاعيل تسوءهم الى أن يبلغ حد الاضطرار فيزعجهم و يجوز أن يكون قليلا منصوبا على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك الا أقلاء أذلاء ملعونين وفى قوله لا يجاورونك عطف على جواب

القسم كأنه قيل ان لم ينتهوا الا يجاورونك (سنة الله) أى سنة الله فى الذين ينافقون فى الانبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وقال مقاتل أراد كما قتل وأسر أهل بدر (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى ليست هذه السنة مثل الحكم الذى يتبدل وينسخ فان النسخ يكون فى الأحكام

والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا قال فكيف اذا أوذى بالمعروف فذلك يضاعف له العذاب حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن على عن الأعمش عن ثور عن ابن عمر والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا قال كيف بالذى يأتى اليهم المعروف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا فاياكم وأذى المؤمن فان الله يحوطه ويغضب له وقوله فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا يقول فقد احتملوا زورا وكذبا وفرية شنيعة وبهتان أفحش الكذب وإثما مبينا يقول وإثما يبين لسامعه أنه إثم وزور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين لا تتشبهن بالاماء فى لباسهن اذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن فكشفن شعورهن ووجوههن ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهن لئلا يعرض لهن فاسق اذا علم أنهن حرائر بأذى من قول ثم اختلف أهل التأويل فى صفة الادناء الذى أمرهن الله به فقال بعضهم هو أن يغطين وجوههن ورؤسهن فلا يبدين منهن الا عينا واحدة ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد عن عبيدة فى قوله يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن فلبسها عندنا ابن عون قال ولبسها عندنا محمد قال محمد ولبسها عندى عبيدة قال ابن عون بردائه فتقنع به فغطى أنفه وعينه اليسرى وأخرج عينه اليمنى وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن قوله قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن قال فقال بثوبه فغطى رأسه ووجهه وأبرز ثوبه عن احدى عينيه * وقال آخرون بل أمرن أن يشددن جلابيبهن على جباههن ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الى قوله وكان الله غفورا رحيما قال كانت الحرة تلبس لباس الأمة فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن وإدناء الجلباب أن تقنع وتشد على جبينها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين أخذ الله عليهن اذا خرجن أن يقنعن على الحواجب ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وقد كانت المملوكة اذا مرت تناولوها بالايذاء فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالاماء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يدنين عليهن من جلابيبهن يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة

لا فى الأفعال والأخبار ثم ان المشركين واليهود كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استهزاء وامتحانا فأمر نبيه أن يقول ان ذلك العلم مما استأثر الله ولكنها قريبة الوقوع ومعنى قريبا شيأ قريبا أو يوما أو زمانا ثم أوعدهم بما أعد لهم من عذاب السعير ومعنى تقليب وجوههم تصريفها فى الجهات كاللحم يدار على النار حين يشوى أو تغييرها عن أحوالها أو تحويلها عن هيآتها أو نكسها على رؤسها والوجه عبارة عن الجملة وخص بالذكر لأنه أشرف وأكرم واذا كان الأشرف معرضا للعذاب فالأخس أولى ثم حكى أنهم يعترفون ويتمنون ولا ينفعهم شئ من ذلك ثم يطلبون بعض التشفى بالدعاء على من أضلهم قوله (ضعفين) أى ضعف الضلالهم وضعف الاضلالهم من قرأ (لعنا كبيرا) بالباء الموحدة فالمراد أشد اللعن وأفظعه ومن قرأ بالثاء المثلثة أراد تكثير عدد اللعن وقد علموا أن العذاب حاصل فطلبوا ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب وكثرة اللعن أو عظمه قوله (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قال المفسرون نزلت فى شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وإيذاء موسى هو حديث المومسة التى أرادها قارون على قذف موسى أو حديث الادرة أو البرص الذى قرفوه بذلك ففر الحجر بثوبه حتى رأوه عريانا وقدمر فى البقرة وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا حتى أبصروه فعرفوا أنه غير مقتول أو أحياه الله عز وجل فأخبرهم ببراءة موسى

ومعنى (مما قالوا) من مؤدّى قولهم أو من مضمون مقولهم (وكان عند الله وجيها) ذا جاه ومنزلة فلذلك كان يذب ويدفع عنه المثالب والمطاعن كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وروى عن شنبوذ وكان عبد الله ثم أشار الى ما ينبغى أن يكون المؤمن عليه فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) والمعنى راقبوا الله فى حفظ ألسنتكم وتقويم أمركم بسداد قولكم فبتقوى الله يصلح العمل و بصلاح العمل تكفر السيئات وترفع الدرجات أمرهم أولا بالتخلية وهى ترك الايذاء وثانيا بالتحلية وهى التقوى الموجبة لتحصيل الاخلاق الفاضلة ثم علق الفوز العظيم بالطاعة المسماة بالأمانة فى قوله (انا عرضنا الأمانة) فقيل العرض حقيقة وقيل أراد المقابلة أى قابلنا الأمانة بالسموات فرجحت الأمانة والعرض أسهل من الفرض ولهذا كفر ابليس بالاباء ولم يكفر هؤلاء بالاباء لأن هناك استكبارا وههنا استصغارا بدليل قوله (وأشفقن منها) وقد يقال المضاف محذوف أى عرضناها على أهل السموات والأرض والجبال وانما صير الى هذا التكلف لاستبعاد طلب الطاعة من الجمادات ولم يستبعده أهل البيان لأن المراد تصوير عظم الامانة وثقل حملها فمثلت حال التكليف فى صعوبته وثقل محمله بحالة المتحملة المفروضة لو عرضت على هذه الاجرام العظام واعلم أن التكليف هو الأمر بخلاف ما فى الطبيعة فهذا النوع من التكليف ليس فى السموات والارض والجبال لان السماء لا يطلب منها الهبوط والارض لا يطلب منها الصعود ولا الحركة والجبال لا يطلب منها السير وكذا الملائكة ملهمون بالتسبيح والتقديس وسمى التكليف أمانة لان من قصر فيه فعليه الغرامة ومن أداه فله الكرامة فعرض الأمانة بهذا المعنى والاجل على هذه الاجرام و إباؤها من حملها هو عدم صلوحها لهذا الامر أو المراد هو التصوير المذكور وقد خص بعضهم التكليف بقول لا اله الا الله

عمن حدثه عن أبى صالح قال قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة على غير منزل فكان نساء النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهن اذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل فأنزل الله يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يقنعن بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرة وقوله ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين يقول تعالى ذكره إدناؤهن جلابيبهن اذا أدنينها عليهن أقرب وأحرى أن يعرفن ممن مررن به ويعلموا أنهن لسن بإماء فيتنكبوا عن أذاهن بقول مكروه أو تعرض بريبة وكان الله غفورا لما سلف منهن من تركهن إدناءهن الجلابيب عليهن رحيما بهن أن يعاقبهن بعد توبتهن بادناء الجلابيب عليهن

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) يقول تعالى ذكره لئن لم ينته أهل النفاق الذين يستسرون الكفر و يظهرون الايمان والذين فى قلوبهم مرض يعنى ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو بن على قال ثنا أبو عبد الصمد قال ثنا مالك بن دينار عن عكرمة فى قوله لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال هم الزناة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة والذين فى قلوبهم مرض قال شهوة الزنا * قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا أبو صالح التمار قال سمعت عكرمة فى قوله فى قلوبهم مرض قال شهوة الزنا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن حدثه عن أبى صالح والذين فى قلوبهم مرض قال الزناة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الآية قال هؤلاء صنف من المنافقين والذين فى قلوبهم مرض أصحاب الزنا قال أهل الزنا من أهل النفاق الذين يطلبون النساء فيبتغون الزنا وقرأ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض قال والمنافقون أصناف عشرة فى براءة قال فالذين فى قلوبهم مرض صنف منهم مرض من أمر النساء وقوله والمرجفون فى المدينة يقول وأهل الارجاف فى المدينة بالكذب والباطل وكان ارجافهم فيما ذكر كالذى حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة الآية الارجاف الكذب الذى كان نافقه أهل النفاق وكانوا يقولون أتاكم عدد وعدّة وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما فى قلوبهم من النفاق فأوعدهم الله بهذه الآية قوله لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الآية فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسروه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والمرجفون فى المدينة هم أهل النفاق أيضا الذين يرجفون برسول الله صلى الله عليه وسلم و بالمؤمنين وقوله لنغرينك بهم يقول لنسلطنك عليهم ولنحرشنك بهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لنغرينك بهم يقول لنسلطنك عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لنغرينك بهم أى لنحملنك عليهم لنحرشنك بهم قوله ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا يقول ثم لننفينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها الا قليلا من المدّة

والأجل حتى ننفيهم عنها فنخرجهم منها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا أى بالمدينة وقوله ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا يقول تعالى ذكره مطرودين منفيين أينما ثقفوا يقول حيثما لقوا من الأرض أخذوا وقتلوا لكفرهم بالله تقتيلا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ملعونين على كل حال أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا اذا هم أظهروا النفاق ونصب قوله ملعونين على الشتم وقد يجوز أن يكون القليل من صفة الملعونين فيكون قوله ملعونين مردودا على القليل فيكون معناه ثم لا يجاورونك فيها الا أقلاء ملعونين يقتلون حيث أصيبوا

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ يقول تعالى ذكره سنة الله فى الذين خلوا من قبل هؤلاء المنافقين الذين فى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم معه من ضرباء هؤلاء المنافقين اذا هم أظهروا نفاقهم أن يقتلهم تقتيلا ويلعنهم لعنا كثيرا * وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سنة الله فى الذين خلوا من قبل الآية يقول هكذا سنة الله فيهم اذا أظهروا النفاق وقوله ولن تجد لسنة الله تبديلا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولن تجد يا محمد لسنة الله التى سنها فى خلقه تغييرا فأيقن أنه غير مغير فى هؤلاء المنافقين سنته

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا﴾ يقول تعالى ذكره يسألك الناس يا محمد عن الساعة متى هى قائمة قل لهم انما علم الساعة عند الله لا يعلم وقت قيامها غيره وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا يقول وما أشعرك يا محمد لعل قيام الساعة يكون منك قريبا قد قرب وقت قيامها ودنا حين مجيئها

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾ يقول تعالى ذكره ان الله أبعد الكافرين به من كل خير وأقصاهم عنه وأعد لهم سعيرا يقول وأعد لهم فى الآخرة نارا تتقد وتتسعر ليصليهموها خالدين فيها أبدا يقول ماكثين فى السعير أبدا الى غير نهاية لا يجدون وليا يتولاهم فيستنقذهم من السعير التى أصلاهموها الله ولا نصيرا ينصرهم فينجيهم من عقاب الله اياهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ يقول تعالى ذكره لا يجد هؤلاء الكافرون وليا ولا نصيرا فى يوم تقلب وجوههم فى النار حالا بعد حال يقولون وتلك حالهم فى النار ياليتنا أطعنا الله فى الدنيا وأطعنا رسوله فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه فكنا مع أهل الجنة فى الجنة يالها حسرة وندامة ما أعظمها وأجلها

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾ يقول تعالى ذكره وقال الكافرون يوم القيامة فى جهنم ربنا انا أطعنا أئمتنا فى الضلالة وكبراءنا فى الشرك فأضلونا السبيل يقول فأزالونا عن محجة الحق وطريق الهدى والايمان بك والاقرار بوحدانيتك واخلاص طاعتك فى الدنيا ربنا آتهم ضعفين من العذاب يقول عذبهم من العذاب مثلى عذابنا الذى تعذبنا والعنهم لعنا كبيرا يقول واخزهم خزيا كبيرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا أى رؤسنا فى الشر والشرك حدثنى

والاظهر عندى ان الامانة هى الاستعداد الذى جبل كل نوع من المخلوقات عليه وحمل الأمانة عبارة عن عدم اداء حقها كما يقال فلان ركب عليه الدين فكل من أخرج ما فى قوته الى الفعل فهو مؤد للأمانة وقاض حقها والا فهو حامل لها ولا ريب أن السموات مسخرات بأمر الله كل يجرى لأجل مسمى والأرض ثابتة فى مستقرها والجبال راسخة فى أمكنتها وهكذا كل نوع من الأنواع مما يطول تعدادها واليه الاشارة بقوله سبحانه وما منا الا له مقام معلوم الا الانسان فان كثيرا من الأشخاص بل أكثرها مائلة الى أسفل السافلين الطبع فلا جرم لم يقض حق الأمانة وانحط الى رتبة الأنعام فوصف بالظلومية لانه صرف الاستعداد فى غير ما خلق لأجله وبالجهولية لأنه جهل خاصة عاقبة افساد الاستعداد أو علم ولم يعمل بعلمه فنفى عنه العلم لانتفاء ثمرته فاللام فى الانسان للجنس وحمل الشئ على بعض الجنس يكفى فى صدقه على الجنس وفيه لطيفة أخرى مذكورة فى تأويل آخر سورة البقرة وذكروا فى سبب الاشفاق أن الامانة لا تقبل اما لعزتها ونفاستها كالجواهر الثمينة أو لصعوبة حفظها كالزجاج مثلا وكلا المحذورين موجود فى التكليف وأيضا كان الزمان زمان نهب وغارة اذ العرض كان بعد خروج آدم من الجنة والشيطان وجنوده كانوا فى قصد المكلفين والعاقل لا يقبل الوديعة فى مثل ذلك الوقت وأيضا قد لا يقبل الأمانة لعسر مراعاتها ولاحتياجها الى تعهد ومؤنة كالحيوان المحتاج الى العلف والسقى والتكليف كذلك فانه يحتاج الى تربية وتنمية بخلاف متاع يوضع فى صندوق أو بيت فهذه الاشياء علمن ما فى التكليف من التبعات وجهلها الانسان فقبله فكان جهولا وقد ظلم آدم نفسه بالمخالفة فكان ظلوما وكذا أولاده الذين ظلموا أنفسهم بالعصيان وجهلوا ما عليهم من العقاب واعتذر بعضهم عن الانسان أنه نظر الى جانب من كلفه وقال المودع

عالم قادر لا يعرض الامانة الا على أهلها واذا أودع لا يتركها بل يحفظها بعينه وعونه فقبلها وقال اياك نعبد واياك نستعين وقيل انه كان ظلوما جهولا فى ظن الملائكة حيث قالوا أتجعل فيها (٣٦) من يفسد فيها وقال الحكيم المخلوقات على قسمين مدرك وغير مدرك والمدرك منه من يدرك الجزئى فقط كالبهائم تدرك الشعير وتأكله ولا تتفكر فى عواقب الامور ولا تنظر فى الدلائل ومنه من يدرك الكلى دون الجزئى كالملك يدرك الكليات ولا يدرك لذة الجماع والأكل ولهذا قالوا سبحانك لا علم لنا فاعترفوا بعدم علمهم بتلك الجزئيات ومنه من يدرك الامرين وهو الانسان له لذات بأمور جزئية فمنع منها لتحصيل لذات حقيقية كلذة الملائكة بعبادة الله ومعرفته فغير الانسان ان كان مكلفا كان بمعنى كونه مخاطبا لا بمعنى الامر بما فيه كلفة ومشقة وفى قوله (وحملها الانسان) دون أن يقول وقبلها اشارة الى ما فى التكليف من الثقل والى ما يستحقه عليه من الاجر لو حمله كما أمر والى حيث أمروا لا غرم وجرم * (لطيفة) * الامانة عرضت على آدم فقبلها وكان أمينا عليها والقول قول الامين فهو فائز وأما أولاده فأخذوا الامانة منه والآخذ من الامين ليس بمؤتمن بل ضامن ولهذا لا يكون وارث المودع مقبول القول فلم يكن له بد من تجديد عهد وايمان حتى يصير أمينا عند الله و يصير القول قوله فيكون له ما كان لآدم من الفوز ولهذا ذكر ما فيه عاقبة حمل الامانة قائلا (ليعذب) الى قوله ويتوب اشارة الى الفريقين ثم وصف نفسه بكونه غفورا رحيما بازاء كون الانسان ظلوما جهولا ولا يخفى ما فى هذه الاشارة من البشارة ۞ التأويل اذكروا الله ذكرا كثيرا فمن أحب شيأ أكثر ذكره وأهل المحبة هم الأحرار عن رق الكونين والحر يكفيه الاشارة هو الذى يصلى عن أى لولا صلاتى عليكم لما وفقتم لذكرى كما أنه لولا سابقة محبتى لما هديتم الى محبتى فكان فى الازل بالمؤمنين رحيما فلهذا أخرجهم فى الأبد

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا أطعنا سادتنا وكبراءنا قال هم رؤس الأمم الذين أضلوهم قال سادتنا وكبراءنا واحد وقرأت عامة قراء الأمصار سادتنا وروى عن الحسن البصرى ساداتنا على الجماع والتوحيد فى ذلك هى القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه واختلفوا فى قراءة قوله لعنا كبيرا فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار بالثاء كثيرا من الكثرة سوى عاصم فانه قرأه لعنا كبيرا من الكبر والقراءة فى ذلك عندنا بالثاء لاجماع الحجة من القراء عليها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم ولا بفعل لا يحبه منكم ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبى الله فرموه بعيب كذبا وباطلا فبرأه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم وكان عند الله وجيها يقول وكان موسى عند الله مشفعا فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته اياه ثم اختلف أهل التأويل فى الأذى الذى أوذى به موسى الذى ذكره الله فى هذا الموضع فقال بعضهم رموه بأنه آدر وروى بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا ذكر الرواية التى رويت عنه ومن قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحرث عن ابن عباس فى قوله لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال قال له قومه انك آدر قال فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به مجالس بنى اسرائيل قال فرأوه ليس بآدر قال فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا حدثنى يحيى بن داود الواسطى قال ثنا اسحق بن يوسف الأزرق عن سفيان عن جابر عن عكرمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال قالوا هو آدر قال فذهب موسى يغتسل فوضع ثيابه على حجر فمر الحجر بثيابه فتبع موسى قفاه فقال ثيابى حجر فمر بمجلس بنى اسرائيل فرأوه فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الى وجيها قال كان أذاهم موسى أنهم قالوا والله ما يمنع موسى أن يضع ثيابه عندنا إلا أنه آدر فآذى ذلك موسى فبينما هو ذات يوم يغتسل وثوبه على صخرة فلما قضى موسى غسله ذهب الى ثوبه ليأخذه انطلقت الصخرة تسعى بثوبه وانطلق يسعى فى أثرها حتى مرت على مجلس بنى اسرائيل وهو يطلبها فلما رأوا موسى صلى الله عليه وسلم متجردا لا ثوب عليه قالوا والله ما نرى بموسى بأسا وانه لبرىء مما كنا نقول له فقال الله فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال كان موسى رجلا شديد المحافظة على فرجه وثيابه قال فكانوا يقولون ما يحمله على ذلك إلا عيب فى فرجه يكره أن يرى فقام يوما يغتسل فى الصحراء فوضع ثيابه على صخرة فاشتدت بثيابه قال وجاء يطلبها عريانا حتى اطلع عليهم عريانا فرأوه بريئا مما قالوا وكان عند الله وجيها قال والوجيه فى كلام العرب المحب المقبول * وقال آخرون بل وصفوه بأنه أبرص ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر

من ظلمة الوجود المجازى الى نور الوجود الحقيق انا أرسلناك شاهدا لنا بنعت المحبوبية ومبشرا للطالبين برؤية جمالنا ونذيرا للبطالين عن كمال حسننا وحسن كمالنا وداعيا الى الله باذنه لا بطبعك وهواك وسراجا منيرا (٣٧) فى أوقات عدم الدعوة وذلك أن النظر الى وجه النبى صلى الله عليه وسلم كاف لمن كان له قلب مستنير فاذا انضمت الدعوة الى ذلك كان فى الهداية غاية وفضلا كبيرا هو القلب المستنير انا أحللنا لك أزواجك لما اتصفت نفسه بصفات القلب وزال عنها الهوى اتصفت دنياه بصفات الآخرة فحل له فى الدنيا ما يحل لغيره فى الآخرة ان الله وملائكته يصلون صلاة تليق بتلك الحضرة المقدسة مناسبة لحضرة النبوة بحيث لا يفهم معناها غيرهما منها الرحمة ومنها المغفرة الواردة ومنها الشواهد ومنها الكشوف ومنها المشاهدة ومنها الجذبة ومنها القربة ومنها الشرب ومنها الرى ومنها السكون ومنها التجلى ومنها الفناء فى الله ومنها البقاء به وهكذا لأمته بحسب مراتبهم كقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم انا عرضنا الامانة هى قبول الفيض الالهى بلا واسطة ولهذا سمى أمانة لان الفيض من صفات الحق فلا يتملكه أحد وقد اختص الانسان به باصابة رشاش النور الالهى فكان عرض الفيض عاما على قلب المخلوقات ولكن كان حمله خاصا بالانسان لان نسبة الانسان الى سائر المخلوقات نسبة القلب الى الشخص فالروح يتعلق بالقلب ثم يصل فيضه بواسطة العروق والشرايين الى سائر البدن فيتحرك به وهذا سر الخلافة انه كان ظلوما لانه خلق ضعيفا وحمل قويا جهولا لأنه ظن أنه خلق للمطعم والمشرب والمنكح ولم يعلم أن هذه الصورة قشر وله لب وللبه لب هو محبوب الله فبقوة الظلومية والجهولية حمل الامانة ثم بروحه المنور برشاش الله أدى الامانة فصارت الصفتان فى حق حامل الامانة ومؤدى حقها مدحا وفى حق الخائنين فيها ذما ولما لم يكن لروح الملائكة ولغيرهم من المخلوقات راحلة تحملها بالعزة أبين منها وأشفقن

عن سعيد قال قال بنو اسرائيل ان موسى آدر وقالت طائفة هو أبرص من شدة تستره وكان يأتى كل يوم عينا فيغتسل ويضع ثيابه على صخرة عندها فعدت الصخرة بثيابه حتى انتهت الى مجلس بنى اسرائيل وجاء موسى يطلبها فلما رأوه عريانا ليس به شئ مما قالوا لبس ثيابه ثم أقبل على الصخرة يضربها بعصاه فأثرت العصا فى الصخرة حدثنا بحر بن حبيب بن عربى قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا عوف عن محمد عن أبى هريرة فى هذه الآية لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شئ استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل وقالوا ما تستر هذا التستر الا من عيب فى جلده إما برص وإما أدرة وإما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا وان موسى خلا يوما وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ من غسله أقبل على ثوبه ليأخذه وان الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبى حجر حتى انتهى الى ملا من بنى اسرائيل فرأوه عريانا كأحسن الناس خلقا وبرأه الله مما قالوا وان الحجر قام فأخذ ثوبه ولبسه فطفق بالحجر ضربا بذلك فوالله ان فى الحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان موسى رجلا حييا ستيرا ثم ذكر نحوا منه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال حدث الحسن عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بنى اسرائيل كانوا يغتسلون وهم عراة وكان نبى الله موسى حييا فكان يتستر اذا اغتسل فطعنوا فيه بعورة قال فبينا نبى الله يغتسل يوما اذ وضع ثيابه على صخرة فانطلقت الصخرة واتبعها نبى الله ضربا بعصاه ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر حتى انتهت الى ملا من بنى اسرائيل أو توسطهم فقامت فأخذ نبى الله ثيابه فنظروا الى أحسن الناس خلقا وأعدله مروءة فقال الملا قاتل الله أفاكى بنى اسرائيل فكانت براءته التى برأه الله منها * وقال آخرون بل كان أذاهم اياه ادعاءهم عليه قتل هرون أخيه ذكر من قال ذلك حدثنى على بن مسلم الطوسى قال ثنا عباد قال ثنا سفيان بن حبيب عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قول الله لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال صعد موسى وهرون الجبل فمات هرون فقالت بنو اسرائيل أنت قتلته وكان أشد حبا لنا منك وألين لنا منك فآذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو اسرائيل أنه قد مات فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله الا الرخم فجعله الله أصم أبكم * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان بنى اسرائيل آذوا نبى الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به فبرأه الله مما آذوه به وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم انه أبرص وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هرون وجائز أن يكون كل ذلك لانه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به ولا قول فى ذلك أولى بالحق مما قال الله انهم آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله

فالمخاطبون اذن على ثلاث طبقات طبقـة يظهر فيها جمـال صفة عدله وهم الملك والأجسام العلوية والسفلية سوى الثقلين لم يحملوا الأمانة وتركوا نفعها لضرهـا وطبقة يظهر فيها جمال قهره وهم المشركون والمنافقون حملوهـا طمعا فى نفعها ثم لم يؤدّوا حقها بأن باعوها بالأعراض الفانيـة والطبقة الثالثة المؤمنون وهم الذين حملوها طوعا ورغبة وشوقا ومحبة وأدّوا حقها بقـدر وسعهم ولكن الحكم لكل جواد كبوة يقع قدم صـدقهم فى حجر بلاء وابتـلاء فيتوب الله عليهـم بجذبات العناية وهم مرآة جمـال فضله ولطفه الله حسبى ونعم الوكيل وبالله التوفيق

* (سورة سبأ وهى مكية حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة واثناعشر كلمها ثمانمائة وثلاث وثمانون آياتها أربع وخمسون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبـير يعـلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكـم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرّة فى السـموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحـات أولئـك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهـم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العـلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميـد وقال الذين كفروا هـل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضـلال البعيد أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبـد منيب ولقد آتينا داود منا فضلا

اتقوا الله أن تعصوه فتسـتحقوا بذلك عقوبتـه وقولوا قولا سـديدا يقول قولوا فى رسول الله والمؤمنين قولا قاصدا غير جائر حقا غير باطل كما حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقولوا قولا سديدا يقول سدادا حدثنا ابن حميد قال ثنا عنبسة عن الكلبى وقولوا قولا سديدا قال صدقا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اتقوا الله وقولوا قولا سـديدا أى عدلا قال قتادة يعنى به فى منطقه وفى عمله كله والسديد الصدق حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم ابن أبان عن عكرمة فى قول الله وقولوا قولا سـديدا قولوا لا اله الا الله وقوله يصلح لكم أعمـالكم يقول تعالى ذكره للمؤمـنين اتقوا الله وقولوا السـداد من القول يوفقكم لصالح الأعمال فيصلح أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم يقول ويعف لكم عن ذنوبكم فلا يعاقبكم عليها ومن يطع الله ورسوله فيعمل بمـا أمره به وينتهى عما نهاه ويقل السـديد فقد فاز فوزا عظيما يقول فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا﴾ اختلف أهـل التأويل فى معنى ذلك فقـال بعضهم معنـاه ان الله عرض طاعتـه وفرائضـه على السموات والأرض والجبـال على أنها ان أحسنت أثيبت وجوزيت وان ضيعت عوقبت فأبت حملها شـفقا منها أن لا تقوم بالواجب عليها وحملها آدم انه كان ظلوما لنفسه جهولا بالذى فيـه الحظ له ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله انا عرضـنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منهـا قال الأمانة الفرائض التى افترضها الله على العباد * قال ثنا هشيم عن العوام عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس فى قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها قال الأمانة الفرائض التى افترضها الله على عبـاده * قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب وجبير كلاهمـا عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله انا عرضـنا الأمانة الى قوله جهولا قال الأمانة الفرائض قال جويبر فى حديثه قال فلما عرضت على آدم قال أى رب وما الامانة قال قيل ان أدّيتها جزيت وان ضيعتها عوقبت قال أى رب حملتها بمـا فيهـا قال فمـا مكث فى الجنـة الا قدر ما بين العصر الى غروب الشمس حتى عمـل بالمعصية فأخرج منها حدثنا ابن بشار قال ثنا محمـد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سـعيد عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية انا عرضـنا الأمانة قال عرضت على آدم فقال خذها بمـا فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قد قبلت فمـا كان الا قدر ما بين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انا عرضنا الأمانة على السـموات والأرض والجبـال ان أدّوها أثابهـم وان ضيعوها عذبهـم فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بمـا فيها وهو قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا غرا بأمر الله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عبـاس قوله انا عرضـنا الأمانة الطاعة عرضها

ياجبال أوّبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدّر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ولسليمن الريح غدوّها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الادابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الافريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شئ حفيظ ﴾

﴿ القراآت عالم الغيب بالرفع أبو جعفر ونافع وابن عامر ورويس علام بالجر وبناء المبالغة حمزة وعلى الباقون عالم بالجر وبدون المبالغة معاجزين بالألف وقد روى عن ابن كثير وأبي عمرو معجزين بالتشديد رجز أليم بالرفع صفة العذاب وكذلك في الجاثية ابن كثير وحفص ويعقوب وجبلة الآخرون بالجر ان يشأ يخسف أو يسقط على الغيبة فيهما حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون نخسف بهم بادغام الفاء في الباء على كسفا بفتح السين حفص غير الخزاز والطير بالرفع حملا على لفظ المنادى يعقوب غير رويس

عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم فلم تطقها فقال لآدم يا آدم اني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها فقال يارب وما فيها قال ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن رجل عن الضحاك بن مزاحم في قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال آدم قيل له خذها بحقها قال وما حقها قيل ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فما لبث ما بين الظهر والعصر حتى أخرج منها **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقن حملها فهل أنت يا آدم آخذها بما فيها قال آدم وما فيها يارب قال ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فقال تحملتها فقال الله تبارك وتعالى قد حملتكها فما مكث آدم الا مقدار ما بين الاولى الى العصر حتى أخرجه ابليس لعنه الله من الجنة والأمانة الطاعة **حدثني** سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية قال ثني عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمرو وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الأمانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الانبياء فأرسلوا به فمنهم رسول الله ومنهم نبيّ ومنهم نبيّ رسول نزل القرآن وهو كلام الله ونزلت العربية والعجمية فعلموا أمر القرآن وعلموا أمر السنن بألسنتهم ولم يدع الله شيأ من أمره مما يأتون ومما يجتنبون وهي الحجج عليهم الا بينه لهم فليس أهل لسان الا وهم يعرفون الحسن من القبيح ثم الأمانة أول شئ يرفع ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم وتبقى الكتب فعالم يعمل وجاهل يعرفها وينكرها حتى وصل اليّ والى أمتي فلا يهلك على الله الا هالك ولا يغفله الا تارك والحذر أيها الناس واياكم والوسواس الخناس وانما يبلوكم أيكم أحسن عملا **حدثني** محمد بن خلف العسقلاني قال ثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي قال ثنا العوّام العطار قال ثنا قتادة وأبان بن أبي عياش عن خليد العصري عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها وكان يقول وآيم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن وصام رمضان وحج البيت ان استطاع الى ذلك سبيلا وأدّى الأمانة قالوا يا أبا الدرداء وما الأمانة قال الغسل من الجنابة فان الله لم يأمن ابن آدم على شئ من دينه غيره **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن أبيّ بن كعب قال من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها قال ان الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين ويجعل لهن ثوابا وعقابا ويستأمنهن على الدين فقلن لا نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضها الله على آدم فقال بين اذني وعاتقي قال ابن زيد فقال الله له أما اذا تحملت

الآخرون بالنصب حملا على المحل أو لأنه مفعول معه أو معطوف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير الريح بالرفع أبو بكر وحماد والمفضل
بتقدير ولسليمن الريح مسخرة أو سخرت الريح له الرياح بالرفع أيضا ولكن مجموعا يزيد الباقون موحدا منصوبا

هذا فسأعينك أجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت أن تنظر الى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابه وأجعل للسانك بابا وغلقا فاذا خشيت فأغلق وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه الا على ما أحللت لك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال يعني به الدين والفرائض والحدود فأبين أن يحملنها وأشفقن منها قيل لهن احملنها تؤدين حقها فقلن لا نطيق ذلك وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قيل له أتحملها قال نعم قيل أتؤدي حقها قال نعم قال الله انه كان ظلوما جهولا عن حقها * وقال آخرون بل عنى بالأمانة في هذا الموضع أمانات الناس ذكر من قال ذلك حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق عن شريك عن الأعمش عن عبدالله بن السائب عن زاذان عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها أو قال يكفر كل شئ الا الأمانة يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له أد أمانتك فيقول أي رب وقد ذهبت الدنيا ثلاثا فيقال اذهبوا به الى الهاوية فيذهب به اليها فيهوي فيها حتى ينتهي الى قعرها فيجدها هناك كهيئتها فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها الى شفير جهنم حتى اذا رأى أنه قد خرج زلت فهوى في أثرها أبد الآبدين قالوا والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الحديث وأشد ذلك الودائع فلقيت البراء فقلت ألا تسمع الى ما يقول أخوك عبدالله فقال صدق * قال شريك وثني عياش العامري عن زاذان عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يذكر الأمانة في الصلاة وفي كل شئ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرني عمرو بن الحرث عن ابن أبي هلال عن أبي حازم قال ان الله عرض الأمانة على سماء الدنيا فأبت ثم التي تليها حتى فرغ منها ثم الأرضين ثم الجبال ثم عرضها على آدم فقال نعم بين أذني وعاتقي فثلاث آمرك بهن فانهن لك عون (١) اني جعلت لك لسانا بين لحيين فكفه عن كل شئ نهيتك عنه وجعلت لك فرجا وواريته فلا تكشفه الى ما حرمت عليك * وقال آخرون بل ذلك انما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه ذكر من قال ذلك حدثني موسى ابن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كان لا يولد لآدم مولود الا ولد معه جارية فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر حتى ولد له اثنان يقال لهما قابيل وهابيل وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب ضرع وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل وان هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل فأبى عليه وقال هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوجها فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى وانهما قربا قربانا الى الله أيهما أحق بالجارية وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما أتى بمكة ينظر اليها قال الله لآدم يا آدم هل تعلم أن لي بيتا في الأرض قال اللهم لا قال ان لي بيتا بمكة فأته فقال آدم

(١) ترك الثالث والذي في الدر اني جعلت لك بصرا وجعلت لك شفرتين فغضهما عن كل شئ نهيتك عنه وجعلت لك لسانا الخ فتنبه كتبه مصححه

كالجوابي بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو عمرو وورش في الوصل عبادي الشكور بسكون الياء حمزة والوقف بالياء لا غير منساته بالألف أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن فليح وزيد عن يعقوب وقرأ ابن ذكوان ساكنة الهمزة الآخرون بفتح الهمزة تبينت الجن على البناء للمفعول يعقوب غير زيد سبأ غير مصروف أبو عمرو والبزي سبأ بهمزة ساكنة ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل سبا بالالف ابن فليح وزمعة والقواس غير ابن مجاهد وأبي عون مسكنهم بفتح الكاف حمزة وحفص وبكسرها علي وخلف الباقون مساكنهم مجموعة بجنتيهم بضم الهاء سهل ويعقوب أكل خمط بضم الكاف والاضافة أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون بالسكون والتنوين نجازي بضم النون وكسر الزاي الا الكفور بالنصب حمزة وعلي وخلف وحفص ويعقوب الآخرون بضم الياء وفتح الزاي وبرفع الكفور ربنا بالرفع باعد بلفظ الماضي من المفاعلة سهل الآخرون ربنا بالنصب على النداء باعد على الامر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد أمرا من التبعيد صدق بالتشديد عاصم وعلي وخلف الباقون بالتخفيف أي صدق في ظنه أو صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك ۞ الوقوف في الآخرة ط الخبير ٥ فيها ط الغفور ٥

الساعة ط لتأتينكم ٥ لمن قرأ عالم بالرفع أي هو عالم ومن خفض جعله نعتا لربي فلم يقف بالغيب ج لأن قوله للسماء
لا يعزب يصلح حالا واستئنافا مبين ٥ لا لتعلق اللام أبو حاتم يقف الصالحات ط كريم ٥ أليم ٥ الحق ج لأن قوله

ويهدى عطف على المعنى أى يحق قبوله ويهدى الحميد ه ممزق ط لأن مابعده فى حكم المفعول لانه مفعول ثان لينبئكم وانما كسرت لدخول اللام فى خبرها جديد ه ج للآية ولاتحاد المقول جنة ط البعيد ه (٤١) الارض ط السماء ط منيب ه

للسماء احفظى ولدى بالأمانة فأبت وقال للارض فأبت فقال للجبال فأبت فقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك فلما انطلق آدم وقربا قربانا وكان قابيل يفخر عليه فيقول أنا أحق بها منك هى أختى وأنا أكبر منك وأنا وصى والدى فلما قربا قرب هابيل جذعة سمينة وقرب قابيل حزمة سنبل فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لأقتلنك حتى لاتنكح أختى فقال هابيل انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين الى قوله فطوعت له نفسه قتل أخيه فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه فى رؤس الجبال وأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنمه فى جبل وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وتركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثا عليه فلما رآه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فهو قول الله تبارك وتعالى فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه فذلك حين يقول انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال الى آخر الآية * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ماقاله الذين قالوا انه عنى بالأمانة فى هذا الموضع جميع معانى الامانات فى الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله عرضنا الأمانة بعض معانى الأمانات لما وصفنا * وبنحو قولنا قال أهل التأويل فى معنى قول الله انه كان ظلوما جهولا ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى انه كان ظلوما جهولا يعنى قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن رجل عن الضحاك فى قوله وحملها الانسان قال آدم انه كان ظلوما جهولا قال ظلوما لنفسه جهولا فيما احتمل فيما بينه وبين ربه حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس انه كان ظلوما جهولا غرا بأمر الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه كان ظلوما جهولا قال ظلوما لها يعنى للأمانة جهولا عن حقها

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ يقول تعالى ذكره وحمل الانسان الأمانة كيما يعذب الله المنافقين فيها الذين يظهرون أنهم يؤدون فرائض الله مؤمنين بها وهم مستسرون الكفر بها والمنافقات والمشركين بالله فى عبادتهم اياه الآلهة والأوثان والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات يرجع بهم الى طاعته وأداء الأمانات التى ألزمهم اياها حتى يؤدوها وكان الله غفورا لذنوب المؤمنين والمؤمنات بستره عليها وتركه عقابهم عليها رحيما أن يعذبهم عليها بعد توبتهم منها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سوار ابن عبد الله العنبرى قال ثنى أبى قال ثنا أبو الأشهب عن الحسن أنه كان يقرأ هذه الآية انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال حتى ينتهى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات فيقول اللذان خاناها اللذان ظلماها المنافق والمشرك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين

فضلا ط والطير ج لأن مايتلوه يصلح حالا واستئنافا الحديد ه لا لتعلق أن صالحا ط بصير ه ورواحها شهر ط لأن قوله وأسلنا عطف على محذوف أى وسخرنا لسليمن الريح القطر ط ربه ط السعير ه راسيات ط شكرا ط الشكور ه منسأته ه المهين ه آية ج لاحتمال أن يكون التقدير هى جنتان وأن يكون بدلا من آية وشمال ط له ط أى لكم بلدة غفور ه قليل ه كفروا ط الكفور ه السير ط آمنين ه ممزق ط شكور ه المؤمنين ه شك ط حفيظ ه

التفسير قال فى التفسير الكبير السور المفتتحة بالحمد خمس ثنتان فى النصف الاول الأنعام والكهف وثنتان فى النصف الاخير هذه والملائكة والخامسة وهى الفاتحة تقرأ مع النصف الاول ومع النصف الاخير وذلك لان المكلف له حالتان الابداء والاعادة وفى كل حالة لله علينا نعمتان نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فأشار فى أول الانعام الى نعمة الايجاد الاول بدليل قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين وأشار فى أول الكهف الى انزال الكتاب الذى به يتم نظام العالم ويحصل قوام معاش بنى آدم وأشار فى أول هذه السورة الى نعمة الايجاد الثانى بدليل قوله تعالى وله الحمد فى الآخرة وأشار فى أول سورة الملائكة الى الابقاء الابدى بدليل قوله جاعل الملائكة رسلا

والملائكة بأجمعهم لايكونون رسلا الا يوم القيامة يرسلهم الله مسلمين على المسلمين كقوله وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى فى تحيتهم سلام عليكم طبتم وفاتحة الكتاب حيث تشتمل على نعمة الدنيا

بقوله الحمد لله رب العالمين وعلى نعمة الآخرة بقوله مالك يوم الدين تقرأ في الافتتاح وفي الاختتام واعلم أنه تعالى وصف نفسه في أول هذه السورة بأن له ما في السموات وما في الارض (٤٣) ايذانا بأن كونه مالكا لكل الاشياء يوجب كونه محمودا على كل لسان

والمشركات هذان اللذان خاناها ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات هذان اللذان أدياها وكان الله غفورا رحيما

آخر سورة الاحزاب ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة سبأ ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير﴾ يقول تعالى ذكره الشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السموات السبع وما في الارضين السبع دون كل ما يعبدونه ودون كل شيء سواه لا مالك لشيء من ذلك غيره فالمعنى الذي هو مالك جميعه وله الحمد في الآخرة يقول وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة لأن منه النعم كلها على كل من في السموات والارض في الدنيا ومنه يكون ذلك في الآخرة فالحمد لله خالصا دون ما سواه في عاجل الدنيا وآجل الآخرة لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه اياهم في تقديره خبير بهم وبما يصلحهم وبما عملوا وما هم عاملون محيط بجميع ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهو الحكيم الخبير حكيم في أمره خبير بخلقه القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ﴾ يقول تعالى ذكره يعلم ما يدخل الارض وما يغيب فيها من شيء من قولهم ولجت في كذا اذا دخلت فيه كما قال الشاعر

رأيت القوافي يتلجن موالجا * تضايق عنها أن تولجها الابر

يعني بقوله يتلجن موالجا يدخلن مداخل وما يخرج منها يقول وما يخرج من الارض وما ينزل من السماء وما يعرج فيها يعني وما يصعد في السماء وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السموات والارض مما ظهر فيها وما بطن وهو الرحيم الغفور وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم الغفور لذنوبهم اذا تابوا منها القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ﴾ يقول تعالى ذكره ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على اعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة استهزاء بوعدك اياهم وتكذيبا لخبرك قل لهم بلى تأتينكم وربي قسما به لتأتينكم الساعة ثم عاد جل جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه وتمجيدها فقال عالم الغيب واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة عالم الغيب على مثال فاعل بالرفع على الاستئناف اذ دخل بين قوله وربي وبين قوله عالم الغيب كلام حائل بينه وبينه وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة عالم على مثال فاعل غير أنهم خفضوا عالم ردا منهم له على قوله وربي اذ كان من صفته وقرأ ذلك بقية عامة

لأن الكل اذا كان له فكل من ينتفع بشيء من ذلك كان مستنفعا بنعمه ثم صرح بأن له الحمد في الآخرة تفضيلا لنعم الآخرة على نعم الدنيا وايذانا بأنها هي النعمة الحقيقية التي يحق أن يحمد عليها ويثني عليه من أجلها مع افادة الاختصاص بتقديم الظرف (وهو الحكيم) في الابتداء (الخبير) بالانتهاء ثم أكد علمه بقوله (يعلم ما يلج في الارض) أي يدخل فيها من المياه والحبات والكنوز والاموات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات ومياه الآبار والجواهر والمعدنيات (وما ينزل من السماء) من الامطار والارزاق وأنواع البركات والوحي (وما يعرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد وقد أشار بقوله فيها دون أن يقول اليها الى أن الاعمال الصالحة مقبولة والنفوس الزكية واصلة فقد ينتهي الشيء الى الشيء ولا ينفذ فيه ولا يتصل به (وهو الرحيم) حين الانزال (الغفور) وقت عروج الاعمال للمفرطين في الاقوال والافعال ثم بين أن نعمة الآخرة باتيان الساعة الآخرة قد ينكرها قوم ثم رد عليهم بقوله (بلى) وأكد ذلك بقوله (وربي) ثم برهن على ذلك بقوله (عالم الغيب) لأن العالم بجميع الاشياء عالم بأجزاء الاحياء قادر على جمعها كما بدأها وفي قوله (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) اشارة الى أن الانسان له جسم أرضي وروح سماوي فالعالم بما في العالمين القادر على تأليفهما قادر على اعادتهما على ما كانا عليه وانما ذكر الاكبر مع أن الاصغر هو اللائق بالمبالغة لئلا يتوهم متوهم أن الصغار تثبت لكونها تنسى أما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته بل المراد أن الصغير والكبير مثبت في الكتاب وقدمر نظيره في يونس قراء

قراء الكوفة علام الغيب على مثال فعال و بالخفض ردًّا لاعرابه على اعراب قوله وربى اذ كان من نعته * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن كل هذه القراآت الثلاث قراآت مشهورات فى قراء الامصار متقاربات المعانى فبأيتهن قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراآت فى ذلك الىّ أن أقرأ بها علام الغيب على القراءة التى ذكرتها عن عامة قراء أهل الكوفة فأما اختيارى علام على عالم فلانها أبلغ فى المدح وأما الخفض فيها فلانها من نعت الرب وهو فى موضع الجر وعنى بقوله علام الغيب علام ما يغيب عن أبصار الخلق فلا يراه أحد إما ما لم يكونه مما سيكونه أو ما قد كوّنه فلم يطلع عليه أحدا غيره وانما وصف جل ثناؤه فى هذا الموضع نفسه بعلمه الغيب إعلاما منه خلقه أن الساعة لا يعلم وقت مجيئها أحد سواه وان كانت جائية فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للذين كفروا بربهم بلى وربكم لتأتينكم الساعة ولكنه لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب الذى لا يعزب عنه مثقال ذرّة يعنى جل ثناؤه بقوله لا يعزب عنه لا يغيب عنه ولكنه ظاهر له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله لا يعزب عنه يقول لا يغيب عنه حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لا يعزب عنه قال لا يغيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا يعزب عنه مثقال ذرة أى لا يغيب عنه وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله مثقال ذرة يعنى زنة ذرّة فى السموات ولا فى الارض يقول تعالى ذكره لا يغيب عنه شئ من زنة ذرة فما فوقها فما دونها أين كان فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك يقول ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة ولا أكبر منه الا فى كتاب مبين يقول هو مثبت فى كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه فلم يعزب عن علمه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم﴾ يقول تعالى ذكره أثبت ذلك فى الكتاب المبين كى يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم أولئك لهم مغفرة يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة من ربهم لذنوبهم ورزق كريم يقول وعيش هنئ يوم القيامة فى الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولئك لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم فى الجنة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ يقول تعالى ذكره أثبت ذلك فى الكتاب ليجزى المؤمنين ما وصف وليجزى الذين سعوا فى آياتنا معاجزين يقول وكى يثيب الذين عملوا فى ابطال أدلتنا وحججنا (١) معاونين يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم أولئك لهم عذاب يقول هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم ويعنى بالأليم الموجع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سعوا فى آياتنا معاجزين أى لا يعجزون أولئك لهم عذاب من رجز أليم قال الرجز سوء العذاب الأليم الموجع حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله

(١) لعله معاندين أو مفاوتين تأمل كتبه مصححه

وقدم السموات على الارض موافقة لقوله له ما فى السموات وما فى الارض بخلاف يونس فان المخاطبين فى الارض فقدمت ثم ذكر غاية الاعادة بقوله ليجزى الى قوله (من رجز أليم) ومعنى سعوا فى آياتنا أى (٤٣) فى ابطال آياتنا معاجزين مريدين تعجيز النبى فى التقرير والتبليغ أو يعجزون من آمن بنا وقيل أى مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا وقال ابن زيد جاهدين وهو قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعن قتادة الرجز سوء العذاب وحين بين جزاء المؤمن الصالح عمله والمكذب الساعى المعجز علم منه حال غيرهما فالمؤمن الذى لم يعمل صالحا يكون له مغفرة من غير رزق كريم والكافر غير المعاند يكون له عذاب وان لم يكن من أسوأ أنواعه ثم بين أن الذين أوتوا العلم لا يغترون بشبهات أهل العناد ويرون ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق ليس الحق الا هو والنزاع غير لفظى حتى يمكن تصحيح قول المعاند بوجه وأولو العلم هم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم وقيل هم علماء أهل الكتابين الذين أسلموا ويرى من فعل القلب مفعولاه الذى مع صلته والحق وهو فصل وقيل ان يرى معطوف على ليجزى فلا وقف على أليم أى وليعلم أولو العلم عند مجئ الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه فى الايقان ويحتجوا به على المعاند أو وليعلم من لم يؤمن من الاحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة والعزيز اشارة الى كونه منتقما من الساعين فى التكذيب والحميد اشارة الى أنه يشكر سعى من يصدق ويعمل صالحا وقدم صفة الهيبة لان الكلام مع منكرى البعث ثم قص عناد أهل قريش وخصهم بالتعجيب من حالهم لانهم تجاهلوا حين قالوا على رجل مع أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عندهم أظهر من الشمس قصدوا بذلك الطعن والسخرية فأخرجوا الكلام مخرج الحكاية ببعض الاضاحيك والاعاجيب كأن لم يكونوا قد عرفوا منه الا أنه رجل مّا ومعنى (مزقتم كل ممزق) فرقتم أوصالكم كل تفريق

وجوّز جارالله أن يكون اسم مكان فمن الاموات ماحصل أجزاؤه فى بطون الطير والسباع ومنها مامرت به السيول فذهبت به كل مذهب أوسفته الرياح فطرحته كل مطرح والعامل فى اذا مادل عليه قوله انكم لفى خلق جديد وهو تبعثون أو تخلقون ثم ازدادوا

فى التجاهل قائلين (أفترى على الله كذبا) ان كان يعتقد خلافه أم به جنة ان كان لا يعتقد خلافه وفيه أن الكافر لا يرضى بالكذب البحت فيردد كلامه بين الامرين ولكن أخطأ ابن أخت خالته حين ترك قسما ثالثا وهو أنه عاقل صادق فلذلك ردّ الله عليهم بقوله (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) جعل وقوعهم فى العذاب رسلا لوقوعهم فى الضلال اذ العذاب من لوازم الضلال وموجباته قابل قولهم أفترى بالعذاب وقولهم به جنة بالضلال البعيد لان نسبة الجنون الى العاقل أقل فى باب الايذاء من نسبة الافتراء اليه وقد أسقطت همزة الوصل فى قوله أفترى استثقالا لاجتماع همزتين همزة الاستفهام المفتوحة وهمزة الوصل المكسورة وهو على القياس وجوز بعضهم أن يكون هذا الاستفهام من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم وحين قرر دليل الحشر من جهة كونه علام الغيوب أراد أن يذكر دليلا آخر على ذلك من قبل كمال قدرته فقال (أفلم يروا) معناه أعموا فلم ينظروا خصت بالفاء وليس غيره فى القرآن تعجيلا للجواب وتعقيبا لحل الشبهة نظيره قوله أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ثم هدّدهم بأنه قادر على أن يجعل عين النافع ضارا بالخسف واسقاط الكسف وقال جارالله

والذين سعوا فى آياتنا معاجزين قال جاهدين ليهبطوها أو يبطلوها قال وهم المشركون وقرأ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد﴾ يقول تعالى ذكره أثبت ذلك فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا والذين سعوا فى آياتنا ماقدبين لهم وليرى الذين أوتوا العلم فيرى فى موضع نصب عطفا به على قوله يجزى فى قوله ليجزى الذين آمنوا وعنى بالذين أوتوا العلم مسلمة أهل الكتاب كعبدالله بن سلام ونظرائه الذين قد قرؤا كتب الله التى أنزلت قبل الفرقان فقال تعالى ذكره وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذى هو التوراة الكتاب الذى أنزل اليك يا محمد من ربك هو الحق * وقيل عنى بالذين أوتوا العلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق قال أصحاب محمد وقوله ويهدى الى صراط العزيز الحميد يقول ويرشد من اتبعه وعمل بما فيه الى سبيل الله العزيز فى انتقامه من أعدائه الحميد عند خلقه فأياديه عندهم ونعمه لديهم وانما يعنى أن الكتاب الذى أنزل على محمد يهدى الى الاسلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم متعجبين من وعده اياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض هل ندلكم أيها الناس على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد يقول يخبركم أنكم بعد تقطعكم فى الارض بلاء وبعد مصيركم فى التراب رفاتا عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقا جديدا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق قال ذلك مشركو قريش والمشركون من الناس ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق اذا أكلتكم الارض وصرتم رفاتا وعظاما وقطعتكم السباع والطير انكم لفى خلق جديد ستحيون وتبعثون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هل ندلكم على رجل الى خلق جديد قال يقول اذا مزقتم واذا بليتم وكنتم عظاما وترابا ورفاتا ذلك كل ممزق انكم لفى خلق جديد قال ينبئكم أنكم فكسر ان ولم يعمل ينبئكم فيها ولكن ابتدأ بها ابتداء لأن النبأ خبر وقول فالكسر فى ان لمعنى الحكاية فى قوله ينبئكم دون لفظه كأنه قيل يقول لكم انكم لفى خلق جديد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين كفروا به وأنكروا البعث بعد الممات بعضهم لبعض معجبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وعده اياهم ذلك أفترى هذا الذى يعدنا أنا بعد أن نمزق كل ممزق فى خلق جديد على الله كذبا فتخلق عليه بذلك باطلا من القول وتخرص عليه قول الزور أم به جنة يقول أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة قال قالوا تكذيبا أفترى على الله كذبا قال قالوا اما أن يكون يكذب على الله أم به جنة واما أن يكون مجنونا بل الذين لا يؤمنون الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم قال بعضهم لبعض أفترى على الله كذبا أم به جنة الرجل مجنون فيتكلم

أراد فلم ينظروا الى السماء والارض وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن يخرجوا من أقطارهما فلم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول كما فعل بقارون وأصحاب الايكة بما

بما لا يعقل فقال الله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد وقوله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد يقول تعالى ذكره ما الامر كما قال هؤلاء المشركون في محمد صلى الله عليه وسلم وظنوا به من أنه افترى على الله كذبا أو أن به جنة لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين في عذاب الله في الآخرة وفي الذهاب البعيد عن طريق الحق وقصد السبيل فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال الله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد وأمره أن يحلف لهم ليعتبروا وقرأ قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم الآية كلها وقرأ قل بلى وربي لتأتينكم وقطعت الألف من قوله أفترى على الله في القطع والوصل ففتحت لأنها ألف استفهام فأما الالف التي بعدها التي هي ألف افتعل فانها ذهبت لانها خفيفة زائدة تسقط في اتصال الكلام ونظيرها سواء عليهم أستغفرت لهم وبيدي أستكبرت وأصطفى البنات وما أشبه ذلك وأما ألف آلآن وآلذكرين فطولت هذه ولم تطول تلك لأن آلآن وآلذكرين كانت مفتوحة فلو أسقطت لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق فجعل التطويل فيها فرقا بين الاستفهام والخبر وألف الاستفهام مفتوحة فكانتا مفترقتين بذلك فأغنى ذلك دلالة على الفرق من التطويل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب﴾ يقول تعالى ذكره أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالمعاد الجاحدون البعث بعد الممات القائلون لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أفترى على الله كذبا أم به جنة الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض فيعلموا أنهم حيث كانوا فان أرضي وسمائي محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فيرتدعوا عن جهلهم وينزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذرا أن نأمر الارض فتخسف بهم أو السماء فتسقط عليهم قطعا فانا ان نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم قال ينظرون عن أيمانهم وعن شمائلهم كيف السماء قد أحاطت بهم ان نشأ نخسف بهم الأرض كما خسفنا بمن كان قبلهم أو نسقط عليهم كسفا من السماء أي قطعا من السماء وقوله ان في ذلك لآية لكل عبد منيب يقول تعالى ذكره ان في احاطة السماء والارض بعباد الله لآية يقول لدلالة لكل عبد منيب يقول لكل عبد أناب الى ربه بالتوبة ورجع الى معرفة توحيده والاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته والاذعان لطاعته على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شئ أراد فعله ولا يتعذر عليه فعل شئ شاءه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة ان في ذلك لآية لكل عبد منيب والمنيب المقبل التائب

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أعطينا داود منا فضلا وقلنا للجبال أوبي معه سبحي معه اذا سبح والتأويب عند العرب الرجوع ومبيت الرجل في منزله وأهله ومنه قول الشاعر

(ان في ذلك) النظر والاعتبار (لآية لكل عبد منيب) لان الراجع الى ربه قلما يخلو من الاعتبار والاستبصار ثم ذكر من عباده المنيبين اليه داود وسليمن كما قال في ص فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وقال في سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وفي قوله منا تنويه بالفضل وشأنه ثم بين الفضل بقوله (يا جبال أوبي) لأن هذا القول نوع من ايتاء الفضل ويجوز أن يكون التقدير قلنا يا جبال أوبي أي رجعي معه التسبيح قيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها وقد مر تحقيقه في سورة الانبياء والتأويب السير طول النهار والنزول ليلا فكأنه قال أوبي النهار كله بالتسبيح معه وفي خطاب الجماد اشعار بأنه ما من صامت ولا ناطق الا وهو منقاد لمشيئته وقد كان الله الحديد كالشمع أو لان الحديد في يده لما أوتي من شدة القوة وأن في قوله (أن اعمل) مفسرة لأن إلانة الحديد له في معنى الامر بأن يستعمل سابغات أي دروعا واسعة وهي من الصفات التي غلبت عليها الاسمية حتى ترك ذكر موصوفها والسرد نسج الدروع ومعنى التقدير فيه أن لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق يروى أنه كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فخاف داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فطلب عند ذلك من الله أن يغنيه عن أكل بيت المال فعلمه صنعة اللبوس وانما اختار له ذلك لانه وقاية للروح ويحفظ الآدمي المكرم عند الله من القتل فالزراد خير من القواس والسياف وقيل ان التقدير في السرد اشارة الى أنه غير مأمور به أمر ايجاب انما هو اكتساب يكون بقدر الحاجة الى القوت وباقي اليوم والليلة للعبادة بدليل قوله (واعملوا صالحا)

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأويب

أى رجوع وقد كان بعضهم يقرؤه أو بى معه من آب يؤوب بمعنى تصرف معه وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنى محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة وحدثنا محمد ابن سنان القزاز قال ثنا الحسن بن الحسن الأشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أو بى معه قال سبحى معه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ياجبال أو بى معه يقول سبحى معه حدثنا أبو عبد الرحمن العلائى قال ثنا عن مسعر عن أبى حصين عن أبى عبد الرحمن ياجبال أو بى معه يقول سبحى حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق عن أبى ميسرة ياجبال أو بى معه قال سبحى بلسان الحبشة حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل عن منصور عن مجاهد فى قوله ياجبال أو بى معه قال سبحى معه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ياجبال أو بى معه قال سبحى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ياجبال أو بى معه أى سبحى معه اذا سبح وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ياجبال أو بى معه قال سبحى معه قال والطير أيضا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ياجبال أو بى معه قال سبحى حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك قوله ياجبال أو بى معه سبحى معه وقوله والطير وفى نصب الطير وجهان أحدهما على ما قاله ابن زيد من أن الطير نوديت كما نوديت الجبال فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع بما لا يحسن اعادة رافعه عليه فيكون (١) كالمصدر عن جهته والآخر فعل ضمير متروك استغنى بدلالة الكلام عليه فيكون معنى الكلام فقلنا ياجبال أو بى معه وسخرنا له الطير وان رفع ردا على ما فى قوله سبحى من ذكر الجبال كان جائزا وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال وان لم يحسن نداؤها بالذى نوديت به الجبال فيكون ذلك كما قال الشاعر

ألا ياعمرو والضحاك سيرا * فقد جاوزتما خمر الطريق

وقوله وألناله الحديد ذكر أن الحديد كان فى يده كالطين المبلول يصرفه فى يده كيف يشاء بغير ادخال نار ولا ضرب بحديد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وألناله الحديد سخر الله له الحديد بغير نار حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة فى قوله وألناله الحديد كان يسويها بيده ولا يدخلها نارا ولا يضربها بحديدة وقوله أن اعمل سابغات يقول وعهدنا اليه أن اعمل سابغات وهى التوام الكوامل من الدروع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن اعمل سابغات دروع وكان أول من صنعها داود انما كان قبل ذلك صفائح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أن اعمل سابغات

اى استمروا يا آل داود مخلوقين الا للعمل الصالح فأكثروا منه واما كسب القوت فاقتصدوا فيه ثم أكد الفعل الصالح بقوله انى بما تعملون بصير فان من يعلم أنه برأى من الملك اجتهد فى حسن العمل وتزكية الباطن ثم ذكر المنيب الآخر وهو سليمن وحكى ما استفاد هو بالانابة وهو تسخير الريح له كالمملوك المنقاد لأمره (غدوها شهر) أى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك يروى أن بعض أصحاب سليمن كتب فى منزل بناحية دجلة نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه وبائتون بالشام ان شاء الله ومن جملة معجزاته اسالة عين القطر والقطر النحاس أساله لاجله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر روى أنه كان يسيل فى شهر ثلاثة أيام زعم بعض المتحذلقين أن المراد من تسخير الجبال وتسبيحها مع داود أنها كانت تسبح كما يسبح كل شئ بحمده وكان هو عليه السلام يفقه تسبيحهم فيسبح والمراد من تسخير الريح أنه راض الخيل وهى كالريح وقوله غدوها شهر أى ثلاثون فرسخا لأن الذى يخرج للتفرج لا يسير فى العادة أكثر من فرسخ ثم يرجع والمراد بالالانة الحديد واسالة القطر أنهم استخرجوا الحديد والنحاس بالنار واستعمال آلاتها والمراد بالشياطين ناس أقوياء ولا يخفى ضعف هذه التأويلات فان قدرة الله فى باب خوارق العادات أكثر وأكمل من أن تحتاج الى هذه التكلفات وقال فى التفسير الكبير الجبال لما سبحت تشرفت بذكر الله فلم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب والريح لم يذكر فيها أنها سبحت فجعلها كالمملوكة أو نقول الجبل فى السير ليس أصلا بل هو يتحرك معه تبعا والريح لا تتحرك مع سليمن بل تحرك مع نفسها فلم يقل الريح مع سليمن بل لسليمن كان مع الريح وههنا نكتة وهى أن الله تعالى ذكر ثلاثة أشياء فى حق داود وثلاثة فى حق سليمن قال

(١) لعله كالمصروف عن جهته تأمل

قال السابغات دروع الحديد وقوله وقدّر في السرد اختلف أهل التأويل في السرد فقال بعضهم السرد هو مسمار حلق الدرع ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقدّر في السرد قال كان يجعلها بغير نار ولا يقرعها بحديد ثم يسردها والسرد المسامير التي في الحلق * وقال آخرون هو الحلق بعينها ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقدّر في السرد قال السرد حلقه أي قدّر تلك الحلق قال وقال الشاعر * أجاد المسدّى سردها وأذالها * قال يقول وسعها وأجاد حلقها حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقدّر في السرد يعني بالسرد ثقب الدروع فيسد قتيرها وقال بعض أهل العلم بكلام العرب يقال درع مسرودة اذا كانت مسمورة الحلق واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع

وقيل انما قال الله لداود وقدّر في السرد لانها كانت قبل صفائح ذكر من قال ذلك حدثنا نصر ابن علي قال ثنا أبي قال ثنا خالد بن قيس عن قتادة وقدّر في السرد قال كانت صفائح فأمر أن يسردها حلقا وعني بقوله وقدّر في السرد وقدّر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا تغلظ المسمار وتضيق الحلقة فتفصم الحلقة ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتدقها فتسلس في الحلقة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وقدّر في السرد قال قدّر المسامير والحلق لا تدق المسامير فتسلس ولا تجلها قال محمد بن عمرو وقال الحرث فتفصم حدثني علي بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله وقدر في السرد قال لا تصغر المسمار وتعظم الحلقة فتسلس ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فيفصم المسمار حدثني يعقوب قال ثنا ابن عيينة قال ثنا أبي عن الحكم في قوله وقدّر في السرد قال لا تغلظ المسمار فيفصم الحلقة ولا تدقه فيقلق وقوله واعملوا صالحا يقول تعالى ذكره واعمل يا داود أنت وآلك بطاعة الله اني بما تعملون بصير يقول جل ثناؤه اني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر لا يخفى علي منه شيء وأنا مجازيك واياهم على جميع ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولسليمن الريح غدوّها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله ولسليمن الريح فقرأته عامة قراء الأمصار ولسليمن الريح بنصب الريح بمعنى ولقد آتينا داود منا فضلا وسخرنا لسليمن الريح وقرأ ذلك عاصم ولسليمن الريح رفعا بحرف الصفة اذ لم يظهر الناصب * والصواب من القراءة في ذلك عندنا النصب لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله غدوّها شهر يقول تعالى ذكره وسخرنا لسليمن الريح غدوّها الى انتصاف النهار مسيرة شهر ورواحها من انتصاف النهار الى الليل مسيرة شهر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولسليمن الريح غدوّها شهر ورواحها شهر قال تغدو

والانسان يطلب اصطياد الطير والالانة الحديد شبيهة باسالة القطر وفي قوله (باذن ربه) اشارة الى أن حضور الجن بين يديه كان مصلحة له لا مفسدة وفي قوله (عن أمرنا) دون أن يقول عن أمر ربه اشارة الى أن الجن كانوا بصدد التعذيب عند زيغهم عن أمر الله فان لفظ الرب ينبئ عن الرحمة وصيغة جمع المتكلم في مقام الوحدة ينبئ عن الهيبة قال ابن عباس عذاب السعير عذاب الآخرة وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من النار كلما استعصى عليه الجني ضربه من حيث لا يراه الجني ثم فصل عمل الجن بقوله (يعملون له ما يشاء من محاريب) وهي المساجد والمجالس الرفيعة الشريفة المصونة عن الابتذال وقد مر في آل عمران والتماثيل صور الملائكة والنبيين كان يأمر بأن تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم عن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور في تلك الشرائع محرما ولعلها صور غير الحيوان من الاشجار ونحوها وروى أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما وحين فرغ من تقرير مسكنه ونقوشه شرع في تقرير آلات مجلسه فقدم ذكر الجفان التي بها تظهر عظمة السماط الممدود منه

مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر قال مسيرة شهرين في يوم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ولسليمن الريح غدوّها شهر ورواحها شهر قال ذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمن إما من الجن وإما من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فبائتون بالشام حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولسليمن الريح غدوّها شهر ورواحها شهر قال كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت تركب فيه الجن والانس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب هم والعصار فاذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وساروا معه يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر ولا يدري القوم إلا وقد أظلهم معه الجيوش والجنود حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن في قوله غدوّها شهر ورواحها شهر قال كان يغدو فيقيل في اصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل حدثنا ابن بشار قال ثنا حماد قال ثنا قرة عن الحسن بمثله وقوله وأسلنا له عين القطر يقول وأذبنا له عين النحاس وأجريناها له * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأسلنا له عين القطر عين النحاس كانت بأرض اليمن وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأسلنا له عين القطر قال الصفر سال كما يسيل الماء يعمل به كما كان يعمل العجين في اللبن حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأسلنا له عين القطر يقول النحاس حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأسلنا له عين القطر يعني عين النحاس أسيلت وقوله ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه يقول تعالى ذكره ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره وينتهي لنهيه فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له باذن ربه يقول بأمر الله بذلك وتسخيره إياه له ومن يزغ منهم عن أمرنا يقول ومن يزل ويعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمن نذقه من عذاب السعير في الآخرة وذلك عذاب نار جهنم الموقدة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يزغ منهم عن أمرنا أي يعدل منهم عن أمرنا عما أمره به سليمن نذقه من عذاب السعير ۞ القول في تأويل قوله تعالى

﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾ يعني تعالى ذكره يعمل الجن لسليمن ما يشاء من محاريب وهي جمع محراب والمحراب مقدم كل مسجد وبيت ومصلى ومنه قول عدي بن زيد

كدمى العاج في المحاريب أو كالـ * بيض في الروض زهره مستنير

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ما يشاء من محاريب قال بنيان دون القصور حدثنا بشر قال ثنا

يزيد

تابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها ويعلم من تقرير قصتي داود وسليمن أن اشتغال داود بآلة الحرب أكثر لأنه قتل جالوت ثم أراد تسوية الملك والغلبة على الجبابرة وأما في زمن سليمن فالملك قد استوى ولم يكن على وجه الارض أحد يقاومه وكان يفرق الاموال في الاطعام والانعام ثم بين بقوله (اعملوا آل داود شكرا) أن الدنيا عرض زائل وإن كان ملك سليمن فعلى العاقل أن يصرف همته في طلب الآخرة وانتصب شكرا على أنه مفعول له أو حال أي شاكرين أو مصدرا لأن اعملوا في معنى الشكر أو مفعول به لأن الشكر عمل صالح وقال جار الله انه على طريق المشاكلة ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا قلت وفي لفظ العمل اشارة الى أن الشكر اللساني غير كاف وإنما المعتبر الشكر الفعلي أو هو مع القولي يروى أن داود عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وإنسان من آل داود قائم يصلي والشكور هو المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه بالقلب واللسان والجوارح في أكثر الاوقات والاحوال وانهم لقليل فلذلك قال بعضهم اللهم اجعلني من الأقلين وهذا الشكر القليل انما هو بقدر الطاقة البشرية وأما الذي يناسب نعم الله فلن يقدر الانسان عليه الا أن يقول الله عبدي ما أتيت به من الشكر قبلته منك مع قلته وكتبتك شاكرا لأنعمي بأسرها وهذا القول نعمة عظيمة لا أكلفك شكرها وحين بين عظمة سليمن وتسخير الريح والجن له بين أنه لم ينج من الموت وأنه قضى عليه الموت ولو نجا أحد منه لكان نبي الله أولى بذلك يروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمن فأمر الشياطين باتمامه وكان من عادته أن يعتكف فيه أحيانا فلما دنا أجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله عز وجل فيسألها لأي شيء أنت فتقول لكذا

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يعملون له مايشاء من محاريب وقصور ومساجد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يعملون له ما يشاء من محاريب قال المحاريب المساكن وقرأ قول الله فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك يعملون له مايشاء من محاريب قال المحاريب المساجد وقوله وتماثيل يعنى أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج كما حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتماثيل قال من نحاس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتماثيل قال من زجاج وشبه حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قول الله وتماثيل قال الصور قوله وجفان كالجواب يقول وينحتون له مايشاء من جفان كالجواب وهى جمع جابية والجابية الحوض الذى يجبى فيه الماء كما قال الاعشى ميمون بن قيس

تروح على نادى المحلق جفنة * بجابية الشيخ العراقى تفهق

وكما قال الآخر

فصبحت جابية صهارجا * كأنها جلد السماء خارجا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجفان كالجواب يقول كالجوبة من الارض حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجفان كالجواب يعنى بالجواب الحياض وحدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن وجفان كالجواب قال كالحياض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وجفان كالجواب قال حياض الابل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجفان كالجواب قال جفان كجوبة الارض من العظم والجوبة من الارض يستنقع فيها الماء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجفان كالجواب كالحياض حدثنا عمرو قال ثنا مروان بن معاوية قال ثنا جويبر عن الضحاك وجفان كالجواب قال كحياض الابل من العظم وقوله وقدور راسيات يقول وقدور ثابتات لايحركن عن أماكنهن ولاتحول لعظمهن وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقدور راسيات قال عظام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقدور راسيات قال عظام ثابتات فى الارض لايزلن عن أمكنتهن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقدور راسيات قال مثال الجبال من عظمها

حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها لاى شئ انت فقالت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حى فقال اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الناس أنهم لايعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا أمرت بى فأعلمنى فقال أمرت بك وقد بقيت فى عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه فبقى كذلك وظن جنوده أنه فى العبادة فكانوا يواظبون على الأعمال الشاقة الى أن أكلت الأرضة عصاه فخر ميتا وذلك بعد سنة والارض مصدر أرضت الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة والمنسأة العصا لأنه ينسأبها أى يطرد و يؤخر وقد يترك همزها وقرئ من سأته أى طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وتبينت بمعنى ظهرت وأن مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال على نحو قولك تبين زيد جهله أو هو بمعنى علمت أى علم الجن كلهم بعد التباس الأمر على عامتهم أن كبارهم لايعلمون الغيب وكان ادعاؤهم ذلك من قبل زورا أو المراد التهكم بهم وأن الذين ادّعوا منهم علم الغيب اعترفوا بعجزهم مع أنهم كانوا من قبل عارفين عجزهم كما لو قلت لمدعى الباطل اذا دحضت حجته هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل متبينا لذلك وكان عمر سليمن ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة وبقى فى ملكه الى أن مات وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه ولما بين حال الشاكرين لأنعمه ذكر حال من كفر النعمة وسبأ يصرف بناء على أنه اسم للحى أو الاب الاكبر ولا يصرف بتأويل القبيلة وهو سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مأرب بسبا و بينها و بين صنعاء مسيرة ثلاث من قرأ مساكنهم فظاهر ومن قرأ على التوحيد فالمراد مسكن كل واحد منهم أو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم عن الضحاك

يعمل فيها الطعام من الكبر والعظم لاتحرك ولاتنقل كما قال للجبال راسيات وقوله اعملوا آل داود شكرا يقول تعالى ذكره وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما أنعم عليكم من النعم التى خصكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التى عمكم بها مع سائر خلقه وترك ذكر وقلنا لهم اكتفاء بدلالة الكلام على ماترك منه وأخرج قوله شكرا مصدرا من قوله اعملوا آل داود لأن معنى قوله اعملوا اشكروا ربكم بطاعتكم اياه وأن العمل بالذى رضى الله لله شكر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبادة عن محمد بن كعب قوله اعملوا آل داود شكرا قال الشكر تقوى الله والعمل بطاعته حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرنى حيوة عن زهرة ابن معبد أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلى يقول اعملوا آل داود شكرا وأفضل الشكر الحمد * قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اعملوا آل داود شكرا قال أعطاكم وعلمكم وسخر لكم مالم يسخر لغيركم وعلمكم منطق الطير اشكروا له يا آل داود قال الحمد طرف من الشكر وقوله وقليل من عبادى الشكور يقول تعالى ذكره وقليل من عبادى المخلصو توحيدى والمفردو طاعتى وشكرى على نعمتى عليهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقليل من عبادى الشكور يقول قليل من عبادى الموحدون توحيدهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين ﴾ يقول تعالى ذكره فلما أمضينا قضاءنا على سليمن بالموت فمات مادلهم على موته يقول لم يدل الجنّ على موت سليمن إلا دابة الارض وهى الأرضة وقعت فى عصاه التى كان متكئا عليها فأكلتها فذلك قول الله عز وجل تأكل منسأته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى ابن المثنى وعلى قالا ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس. قوله إلا دابة الارض تأكل منسأته يقول الأرضة تأكل عصاه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله تأكل منسأته قال عصاه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله إلا دابة الأرض قال الأرضة تأكل منسأته قال عصاه حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبدالله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد تأكل منسأته قال عصاه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة فى قوله تأكل منسأته أكلت عصاه حتى خرّ حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدّى المنسأة العصا بلسان الحبشة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المنسأة العصا واختلفت القراء فى قراءة قوله منساته فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة منساته غير مهموزة وزعم من اعتل لقارئ ذلك كذلك من أهل البصرة أن المنساة العصا وأن أصلها من نسأت بها الغنم قال وهى من الهمز الذى تركته العرب كما تركوا همز النبى والبرية

كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام ومعنى كون الجنتين آية أنه جعل قصتهما عبرة لأهل الكفران أو علامة دالة على الصانع وكمال اقتداره ووجوب شكره قال جار الله لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها كأن كل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامها جنة واحدة أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كقوله جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وقوله (كلوا من رزق) حكاية لسان الحال أو لسان الانبياء المبعوثين اليهم وهم ثلاثة عشر نبيا على ماروى وفيه اشارة الى كمال النعمة حيث لم يمنعهم من أكل ثمارها خوف ولامرض وكذا قوله واشكروا له لأن الشكر لا يطلب الا على النعمة المعتبرة وكذا قوله (بلدة طيبة) أى عن المؤذيات من العقارب والحيات وسائر الهوام والحشرات أو المراد أنها ليست بسبخة كقوله والبلد الطيب (ورب غفور) أى ربكم الذى رزقكم فطلب شكركم غفور لمن يشكره بقدر طاقته لايؤاخذه بالتقصير فى أداء حق الشكر اذا توجه عليه الشكر وبذل وسعه فيه أو أراد غفران سائر الذنوب فكأنه وعدهم سعادة الدارين وعن ثعلب معناه اسكن واعبد وحين بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم وهو قوله (فأعرضوا) أى عن الشكر ثم ذكر جزاءهم بقوله (فأرسلنا عليهم سيل العرم) وهو الجرذ يروى أن بلقيس الملكة عمدت الى جبال هناك فسدّت ما بينها من الشعب بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا لها أبواب مترتبة بعضها فوق بعض على مقدار ما يحتاجون اليه فى سق أراضيهم فلما طغوا سلط الله على سدّهم الخلد فثقبه من أسفله وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركوزة والخابية والمراد بها المسناة التى عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادى وقيل المطر الشديد والتركيب يدل على الشكاسة وسوء الخلق ومنه قولهم

والخابية وأنشد لترك الهمز في ذلك بيتا لبعض الشعراء

اذا دببت على المنساة من هرم * فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وذكر الفراء عن أبي جعفر الرواسي أنه سأل عنها أبا عمرو فقال منساته بغير همز وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة منسأته بالهمز وكأنهم وجهوا ذلك الى أنها مفعلة من نسأت البعير اذا زجرته ليزداد سيره كما يقال نسأت اللبن (١) اذا صدرت عليه الماء وهو النسيء وكما يقال نسأ الله في أجلك أي أدام الله في أيام حياتك «قال أبو جعفر» وهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وان كنت أختار الهمز فيها لأنه الأصل وقوله فلما خرّ تبينت الجنّ يقول عز وجل فلما خرّ سليمن ساقطا بانكسار منسأته تبينت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب الذي يدّعون علمه ما لبثوا في العذاب المهين المذل حولا كاملا بعد موت سليمن وهم يحسبون أن سليمن حيّ * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة قال ثنا ابراهيم بن طهمان عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان سليمن نبيّ الله اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لأيّ شيء أنت فان كانت تغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لأيّ شيء أنت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمن اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس أن الجنّ لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا والجن تعمل فأكلتها الأرضة فسقط فتبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدّي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان سليمن يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله في المرة التي مات فيها وذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه الا نبتت فيه شجرة فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لها لأيّ شيء نبتّ فتقول نبتّ لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت نبتت لغرس غرسها وان كانت نبتت لدواء قالت نبتّ دواء لكذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخرّوبة فسألها ما اسمك فقالت له أنا الخرّوبة فقال لأيّ شيء نبتّ قالت لخراب هذا المسجد قال سليمن ما كان الله ليخربه وأنا حيّ أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ولا تعلم به الشياطين في ذلك وهم يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه وكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول ألست جلدا ان دخلت فخرجت من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمرّ ولم يكن شيطان ينظر الى سليمن في المحراب الا احترق فمرّ ولم يسمع صوت سليمن عليه السلام ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع

(١) لعله اذا صببت تأمل كتبه مصححه

صبي عارم من العرام بالضم أي شرس ومن ذلك عرمت العظم عرقته وعرمت الابل الشجر نالت منه (ذواتي أكل) صاحبتي ثمر والقياس ذاتي الا أن المستعمل في التثنية هو الجمع والخمط شجر الاراك أبو عبيدة (٥١) كل شجر ذي شوك الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله والأثل نوع من الطرفاء لا يكون عليه ثمرة الا نادرا كالعفص في الطعم والطبع ولكن أصغر والسدر معروف وهو من أحسن أشجار البادية فلذلك وصفه ههنا بالقلة عن الحسن قلل السدر لانه أكرم ما بدّلوا والتحقيق فيه أن البساتين اذا عمرت كل سنة ونقيت من الحشائش كانت ثمارها زاكية وأشجارها عالية فاذا تركت سنين صارت كالغيضة والأجمة والتفت الاشجار بعضها ببعض فيقل الثمر وتكثر الحشائش والاشجار ذوات الشوك على أنه لا يبعد التبديل تحقيقا فيكون شبه المسخ من قرأ أكل خمط بالاضافة فظاهر ومن قرأ بالتنوين فعلى حذف المضاف أي أكل أكل خمط أو وصف الاكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع وتسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة أو التهكم قال في الكشاف الأثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لان الأثل لا أكل له (ذلك) الارسال والتبديل (جزيناهم بما كفروا) النعمة وغمطوها (وهل نجازي) مثل هذا الجزاء وهو العقاب العاجل (الا الكفور) قال بعضهم المجازاة في النقمة والجزاء في النعمة الا اذا قيد كقوله سبحانه جزيناهم بما كفروا وقال جار الله الجزاء عام لكل مكافأة تستعمل في المعاقبة تارة وفي الاثابة أخرى فلما استعمل أوّلا في معنى المعاقبة استعمل ثانيا على نحو ذلك وقيل ان المجازاة مفاعلة وهي في الاكثر تكون بين اثنين يوجد من كل واحد جزاء في حق الآخر ففي النعمة لا يكون مجازاة لان الله مبتدئ بالنعم وحين ذكر حال مسكنهم وجنتيهم وحكى تبديل الجنتين بما لا نفع فيه أراد أن يذكر حال خارج بلدهم وما يؤل اليه أمره فقال (وجعلنا بينهم وبين القرى

التي باركنا فيها) وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى من كل منها ما يتلوها لتقاربها أو ظاهرة للسابلة لكونها على متن الطريق
(وقدرنا فيها السير سيروا) فيقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في أخرى فمنازل ما بين تلك القرى مقدرة ومعلومة لا يجاوزها

في البيت فلم يحترق ونظر الى سليمن قد سقط فخرج فأخبر الناس أن سليمن قد مات ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهي في قراءة ابن مسعود فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمن ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكنا سننقل اليك الماء والطين فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت الجن تخبر الانس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء وأنهم يعلمون ما في غد فابتلوا بموت سليمن فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين فلما خر تبينت الانس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ولقد لبثوا يدأبون ويعملون له حولا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته قال قال سليمن لملك الموت يا ملك الموت اذا أمرت بي فأعلمني قال فأتاه فقال يا سليمن قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون أنه حي قال فبعث الله دابة الأرض قال دابة تأكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فأكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتا قال فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته قال والمنسأة العصا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال كان سليمن بن داود يصلي فمات وهو قائم يصلي والجن يعملون لا يعلمون بموته حتى أكلت الارضة عصاه فخر وأن في قوله أن لو كانوا في موضع رفع بتبين لان معنى الكلام فلما خر تبين وانكشف أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وأما على التأويل الذي تأوله ابن عباس من أن معناه تبينت الانس الجن فانه ينبغي أن يكون في موضع نصب بتكريرها على الجن وكذلك يجب على هذه القراءة أن تكون الجن منصوبة غير أني لا أعلم أحدا من قراء الأمصار يقرأ ذلك بنصب الجن ولو نصب كان في قوله تبينت ضمير من ذكر الانس ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) يقول تعالى ذكره لقد كان لولد سبا في مسكنهم علامة بينة وحجة واضحة على أنه لا رب لهم الا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها وسبأ عن رسول الله اسم أبي اليمن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي حيان الكلبي عن يحيى بن هانئ عن عروة المرادي

المسافر عرفا بخلاف المفاوز فان السائر يسير فيها بقدر طاقته حتى يقطعها ثم بين أمن تلك الطريق بقوله سيروا أي قلنا لهم سيروا ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار قال أهل البيان لا قول ثمة ولكنهم مكنوا من السير بتهيئة أسبابه من وجدان الزاد والراحلة وعدم المخاوف والمضار فكأنهم أمروا بذلك والمقصود من ذكر الليالي والأيام تقرير كمال الامن ولذلك قدمت الليالي فانها مظنة الآفات ويمكن تقرير الأمن بوجه آخر وهو أن يقال سيروا فيها وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما وليالي أو يراد بالليالي والأيام مدة أعمارهم أي سيروا فيها مدة عمركم فانكم لا تلقون الا الامن ثم حكى أنهم سئموا العيش الهنيء وملوا الدعة والراحة كما طلب بنو اسرائيل البصل والفوم مكان المن والسلوى (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أرادوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد قائلين لو كان جنى جناتنا أبعد كان أشهى وأرغد ويحتمل أن يكون ذلك لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره اضربني مشيرا بذلك الى أنه لا يقدر عليه ومن قرأ على الابتداء والخبر فالمراد استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم (وظلموا أنفسهم) بوضع الكفر موضع الشكر (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) فرقناهم كل تفريق فلا جرم
اتخذ الناس حالهم مثلا قائلين ذهبوا أيدي سبأ أي في طرق شتى واليد في كلام العرب الطريق يقال سلك بهم يد البحر وقيل الأيادي الأولاد لأنه يعضد بهم كما بالأيدي والمعنى ذهبوا تفرق أولاد سبأ فلحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة

عن

والازدبعان (ان فى ذلك) الجعل والتمزيق (لآيات لكل صبار) عن المعاصى (شكور) للنعم او صبار على النعم حتى لا يلحقه البطر شكور لها برعاية حق الله فيها ثم أخبر عن ضعف عزم الانسان بقوله (٥٣) (ولقد صدّق عليهم) أى على بنى آدم لقرينة الحال

عن رجل منهم يقال له فروة بن مسيك قال قلت يارسول الله أخبرنى عن سبا ما كان رجلا كان أوامرأة أوجبلا أودواب فقال لا كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد فتيمن منهم ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تيمنوا منهم فكندة وحمير والازد والاشعريون ومذحج وأنمار الذين منها خثعم وبجيلة وأما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان حدثنا أبوكريب قال ثنا أبوأسامة قال ثنى الحسن بن الحكم قال ثنا أبوسبرة النخعى عن فروة بن مسيك القطيعى قال قال رجل يارسول الله أخبرنى عن سبأ ماهو أرض أوامرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من الولد فتيامن ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان وأما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وحمير وأنمار فقال رجل ما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة حدثنا أبوكريب قال ثنا العنقزى قال أخبرنى أسباط بن نصر عن يحيى بن هانئ المرادى عن أبيه أوعن عمه «أسباط شك» قال قدم فروة ابن مسيك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أخبرنى عن سبا أجبلا كان أوأرضا فقال لم يكن جبلا ولا أرضا ولكنه كان رجلا من العرب ولد عشرة قبائل ثم ذكر نحوه الا أنه قال وأنمار الذين يقولون منهم بجيلة وخثعم فان كان الامر كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن سبأ رجل كان الاجراء فيه وغير الاجراء معتدلين أما الاجراء فعلى أنه اسم رجل معروف وأما ترك الاجراء فعلى أنه اسم قبيلة أوأرض وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء واختلفت القراء فى قراءة قوله فى مساكنهم فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين فى مساكنهم على الجماع بمعنى منازل آل سبا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين فى مسكنهم على التوحيد وبكسر الكاف وهى لغة لأهل اليمن فيما ذكر لى وقرأ حمزة مسكنهم على التوحيد وفتح الكاف * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن كل ذلك قراآت متقاربات المعنى فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب وقوله آية قد بينا معناها قبل وأما قوله جنتان عن يمين وشمال فانه يعنى بستانان كانا بين جبلين عن يمين من أتاهما وشماله وكان من صفتهما فيما ذكر لنا ما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبوهلال قال سمعت قتادة فى قوله لقد كان لسبا فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال قال كانت جنتان بين جبلين فكانت المرأة تخرج مكتلها على رأسها فتمشى بين جبلين فيمتلئ مكتلها وما مست بيدها فلما طغوا بعث الله عليهم دابة يقال لها جرذ فنقبت عليهم فغرقتهم فما بقى لهم إلا أثل وشئ من سدر قليل حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقد كان لسبا فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال الى قوله فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم قال ولم يكن يرى فى قريتهم بعوضة قط ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وان كان الركب ليأتون وفى ثيابهم القمل والدواب فما هم الا أن ينظروا الى بيوتهم فتموت الدواب قال وان كان الانسان ليدخل الجنتين فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيأ بيده قال والسد يسقيها ورفعت الجنتان فى قوله جنتان عن يمين وشمال ترجمة عن الآية لأن معنى الكلام لقد كان لسبا فى مسكنهم آية هى جنتان عن أيمانهم وشمائلهم وقوله كلوا من رزق ربكم الذى يرزقكم من هاتين

وقيل على أهل سبا وظن ابليس هو قوله لأغوينهم أوقوله أنا خير منه بدليل قوله (فاتبعوه) والمتبوع خير من التابع ولا ريب أن الكافر أدون حالا من ابليس لانه خالف أمر الله فى سجدة آدم والكافر يجحد الصانع أويشرك به ثم بين بقوله (وما كان له) أن الشيطان ليس بملجئ ولكنه آية وعلامة يتميز به ماهو السابق فى علمه من المقر والشاك والحفيظ المحافظ ويدخل فى مفهوم الحفظ العلم والقدرة اذ الجاهل بالشئ لا يمكنه حفظه وكذا العاجز ﴿التأويل﴾ يعلم ما يلج فى أرض البشرية بواسطة الحواس والاغذية الحلال والحرام وما يخرج منها من الصفات المتولدة منها وما ينزل من سماء القلب من الفيوض والالهامات وما يعرج فيها من آثار الفجور والتقوى وظلمة الضلالة ونور الهدى الى ما بين أيديهم وما خلفهم من سماء القلب وأرض النفس نخسف بهم أرض البشرية بغلبات صفاتها أويغلب عليهم صفة من صفات القلب بالميل الى الافراط فنهلكهم بها كالسخاوة فانها صفة حميدة ولكنها اذا جاوزت حد الاعتدال صارت ذميمة ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ياجبال أوّبى قد مر تأويله فى سورة الانبياء وقدّر فى السرد وهو التكلم بالحكمة على قدر عقول الناس ولسليمن القلب سخرت ريح العناية وذلك أن مركب القلوب فى السير هو الجذبة

الالهية كما أن مركب البدن فى المسير البدن يروى أن سليمن فى سيره لاحظ ملكه يوما فمال الريح ببساطه فقال سليمن للريح استوفقالت الريح استوأنت فانى لا أكون مستوية حتى تستوى أنت كذلك حال السر مع القلب وريح العناية اذا زاغ القلب أزاغ الله بريح الخذلان

الجنتين من زروعهما وأثمارهما واشكروا له على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك والى هذا منتهى الخبر ثم ابتدأ الخبر عن البلدة فقيل هذه بلدة طيبة أي ليست بسبخة ولكنها كما ذكرنا من صفتها عن عبد الرحمن بن زيد ان كانت كما وصفها به ابن زيد من أنه لم يكن فيها شيء مؤذ الهمج والدبيب والهوام ورب غفور يقول ورب غفور لذنوبكم ان أنتم أطعتموه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بلدة طيبة ورب غفور وربكم غفور لذنوبكم قوم أعطاهم الله نعمة وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور ﴾ يقول تعالى ذكره فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدت عن اتباع ما دعتها اليه رسلها من أنه خالقها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن وهب بن منبه اليماني قال لقد بعث الله الى سبا ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم فأرسلنا عليهم سيل العرم يقول تعالى ذكره فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سدهم الذي كان يحبس عنهم السيول والعرم المسناة التي تحبس الماء واحدها عرمة وإياها عنى الاعشى بقوله

ففي ذاك للمؤتسي إسوة * ومأرب عفى عليه العرم

رخام بنته لهم حمير * (١) اذا جاء ماؤهم لم يرم

وكان العرم فيما ذكر مما بنته بلقيس ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا أبي قال سمعت المغيرة بن حكيم قال لما ملكت بلقيس جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم قال فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها فتركت ملكها وانطلقت الى قصر لها وتركتهم فلما كثر الشر بينهم وندموا أتوها فأرادوها على أن ترجع الى ملكها فأبت فقالوا لترجعن أو لنقتلنك فقالت انكم لا تطيعوني وليست لكم عقول ولا تطيعوني قالوا فانا نطيعك وانا لم نجد فينا خيرا بعدك فجاءت فأمرت بواديهم فسد بالعرم * قال أحمد قال وهب قال أبي فسألت المغيرة ابن حكيم عن العرم فقال هو بكلام حمير المسناة فسدت ما بين الجبلين فحبست الماء من وراء السد وجعلت له أبوابا بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة فجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة أنهارهم فلما جاء المطر احتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة وأمرت بالبعر فألقي فيها فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض فلم تزل تضيق تلك الانهار وترسل البعر في الماء حتى خرج جميعا معا فكانت تقسمه بينهم على ذلك حتى كان من شأنها وشأن سليمن ما كان حدثنا أحمد بن عمر البصري قال ثنا أبو صالح بن زريق قال أخبرنا شريك عن أبي اسحق عن أبي ميسرة في قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم قال المسناة بلحن اليمن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله سيل العرم قال شديد وقيل ان العرم اسم واد كان لهؤلاء القوم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي

(١) رواية الديوان * اذا جاء مواره لم يرم * وحرر كتبه مصححه

بساط السر إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأسلنا له عين القطر الحقائق والمعاني وسخرنا له صفات الشيطنة لتعمل بين يديه على وفق أوامر الله ونواهيه كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم شيطاني أسلم على يدي فلا يأمرني الا بالخير من محاريب وهو كل ما يتوجه الى الله به بخاصية الاباء والاستكبار وأنفة السجود لغير الله ولو وكل القلب والروح الى خاصية الروحانية التي جبل الروح عليها ما كان يرغب في العبور عن مقام الروحانية كالملائكة قال جبرائيل عليه السلام لو دنوت أنملة لاحترقت وجفان كالجواب فيه اشارة الى مأدبة الله التي يأكل منها الانبياء والاولياء اذ يبيتون عنده اعملوا آل داود وهم متولدات الروح فشكر البدن استعمال الشريعة بجميع الأعضاء والحواس وشكر النفس باقامة شرائط التقوى والورع وشكر القلب بمحبة الله وحده وشكر السر المراقبة وشكر الروح بذل الوجود على نار المحبة كالفراش على شعلة الشمعة وشكر الخفي قبول الفيض بلا واسطة في مقام الوحدة مخفيا بنور الوحدة عن نفسه فالعوام شكرهم بالأقوال والخواص شكرهم بالأعمال وخواص الخواص شكرهم بالاحوال من الاتصاف بصفة الشكورية التي تعطي على عمل فان عشرة ثواب باق ولذلك وصفهم بالقلة تأكل منسأته اتكأ سليمن على عصاه فبعث الله أخس دابة لابطال متكئه وجعله سببا لزوال ملكه وفوات روحه وكان قبل متكئا على فضل الله فآتاه مالم يؤت أحدا من خلقه لقد كان لسبا السر جنتان جنة الروح عن يمين السر وجنة القلب عن شمال السر بلدة طيبة هي بلدة الانسانية القابلة لبذر التوحيد ورب غفور يستر العيوب فأعرضوا عن الوفاء وأقبلوا على الجفاء فأرسلنا عليهم سيل سطوات العرم وقهرنا قال وبدلناهم بجنتيهم الشجرتين بأشجار الاخلاق الحميدة جنتين من الاوصاف الذميمة وهل نجازي وهل يكون للاشجار الخبيثة الا الأثمار الخبيثة

قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم قال واد كان باليمن كان يسيل الى مكة وكانوا يسقون وينتهى سيلهم اليه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأرسلنا عليهم سيل العرم ذكرلنا أن سيل العرم واد كانت تجتمع اليه مسايل من أودية شتى فعمدوا فسدّوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة وجعلوا عليه أبوابا وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا اليه ويسدّون عنهم مالم يعنوا به من مائه شيأ حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم واد يدعى العرم وكان اذا مطر سالت أودية اليمن الى العرم واجتمع اليه الماء فعمدت سبأ الى العرم فسدّوا ما بين الجبلين فحجزوه بالصخر والقار فانسدّ زمانا من الدهر لا يرجون الماء يقول لا يخافون * وقال آخرون العرم صفة للمسناة التى كانت لهم وليس باسم لها ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سيل العرم يقول الشديد وكان السبب الذى سبب الله لارسال ذلك السيل عليهم فيما ذكر لى جرذا ابتعثه الله على سدّهم فثقب فيه ثقبا ثم اختلف أهل العلم فى صفة ما حدث عن ذلك الثقب مما كان فيه خراب جنتيهم فقال بعضهم كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملا فى السدّ عمل فيه ثم فاض الماء على جناتهم فغرّقها وخرب أرضهم وديارهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن وهب بن منبه اليمانى قال كان لهم يعنى لسبا سدّ قد كانوا ابنوه بنيانا أبدا وهو الذى كان يردّ عنهم السيل اذا جاء أن يغشى أموالهم وكان فيما يزعمون فى علمهم من كهانتهم أنه انما يخرّب عليهم سدّهم ذلك فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرّة فلما جاء زمانه وما أراد الله بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء الى هرّة من تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت عنها أى الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فغلغلت فى السدّ فحفرت فيه حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السدّ وفاض على الاموال فاحتملها فلم يبق منها الا ما ذكر الله فلما تفرقوا نزلوا على كهانة عمران بن عامر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما ترك القوم أمر الله بعث الله عليهم جرذا يسمى الخلد فثقبه من أسفله حتى غرق به جناتهم وخرب به أرضهم عقوبة بأعمالهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول لما طغوا وبغوا يعنى سبأ بعث الله عليهم جرذا فخرق عليهم السدّ فأغرقهم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد بعث الله عليهم جرذا وسلطه على الذى كان يحبس الماء الذى يسقيها فأخرب فى أفواه تلك الحجارة وكل شئ منها من رصاص وغيره حتى تركها حجارة ثم بعث الله سيل العرم فاقتلع ذلك السدّ وما كان يحبس واقتلع تلك الجنتين فذهب بهما وقرأ فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنتيهم جنتين قال ذهب بتلك القرى والجنتين * وقال آخرون كانت صفة ذلك أن الماء الذى كانوا يعمرون به جناتهم سال الى موضع غير الموضع الذى كانوا ينتفعون به فبذلك خربت جناتهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال بعث الله عليهم يعنى على العرم دابة من الارض

وما كان له عليهم من سلطان فيه أن الشيطان انما سلط على بنى آدم لاستخراج جواهر النفوس من معادنها ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر

ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين (٥٦) يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجري الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحى الى ربي انه سميع قريب ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب

فثقبت فيه ثقبا فسال ذلك الماء الى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به وأبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وذلك حين عصوا وبطروا المعيشة والقول الأول أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم ولا يكون ارسال ذلك عليهم الا بإسالته عليهم أو على جناتهم وأرضهم لا بصرفه عنهم وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط يقول تعالى ذكره وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جنى ثمر الأراك والأراك هو الخمط * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال أبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط والخمط الأراك حدثني يعقوب قال ثني ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول في قوله ذواتى أكل خمط قال أراه قال الخمط الأراك حدثني محمد بن عمارة قال ثني عبد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد أكل خمط قال الخمط الأراك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ذواتى أكل خمط قال الأراك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذواتى أكل خمط والخمط الأراك وأكله بريره حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط قال بدلهم الله بجنان الفواكه والأعناب اذ أصبحت جناتهم خمطا وهو الأراك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين قال أذهب تلك القرى والجنتين وأبدلهم الذي أخبرك ذواتى أكل خمط قال فالخمط الأراك قال جعل مكان العنب أراكا والفاكهة أثلا وشئ من سدر قليل واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار بتنوين أكل غير أبي عمرو فانه يضيفها الى الخمط بمعنى ذواتى ثمر خمط وأما الذين لم يضيفوا ذلك الى الخمط وينونون الأكل فانهم جعلوا الخمط هو الأكل فردوه عليه في اعرابه وبضم الالف والكاف من الاكل قرأت قراء الأمصار غير نافع فانه كان يخفف منها * والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه ذواتى أكل بضم الألف والكاف لاجماع الحجة من القراء عليه وبتنوين أكل لاستفاضة القراءة بذلك في قراء الامصار من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك باضافته الى الخمط وذلك في اضافته وترك اضافته نظير قول العرب في بستان فلان أعناب كرم وأعناب كرم فتضيف أحيانا الأعناب الى الكرم لأنها منه وتنون أحيانا ثم تترجم بالكرم عنها اذ كانت الأعناب ثمر الكرم وأما الأثل فانه يقال له الطرفاء وقيل شجر شبيه بالطرفاء غير أنه أعظم منها وقيل انها السمر ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وأثل قال الأثل الطرفاء وقوله وشئ من سدر قليل يقول ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثني سعيد عن قتادة ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل قال بينما شجر القوم خير الشجر اذ صيره الله من شر الشجر

﴿ القراآت اذن له على البناء للمفعول أبو عمرو وعلي وخلف والأعشى والبرجمي فزع على البناء للفاعل ابن عامر ويعقوب جزاء بالنصب الضعف مرفوعا يعقوب في الغرفة على التوحيد حمزة ﴾ بأعمالهم

بأعمالهم وقوله ذلك جزيناهم بما كفروا يقول تعالى ذكره هذا الذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم حتى هلكت أموالهم وخربت جناتهم جزاء منا على كفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا وذلك من قوله ذلك جزيناهم في موضع نصب بوقوع جزيناهم عليه ومعنى الكلام جزيناهم ذلك بما كفروا وقوله وهل نجازي إلا الكفور اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وهل يجازى بالياء وبفتح الزاي على وجه ما لم يسم فاعله إلا الكفور رفعا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وهل نجازي بالنون وبكسر الزاي إلا الكفور بالنصب * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ومعنى الكلام كذلك كافأناهم على كفرهم بالله وهل يجازى إلا الكفور لنعمة الله فإن قال قائل أو ما يجزي الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصالحة فيخص أهل الكفر بالجزاء فيقال وهل يجازى إلا الكفور قيل إن المجازاة في هذا الموضع المكافأة والله تعالى ذكره وعد أهل الإيمان به التفضل عليهم وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشر أمثالها إلى ما لا نهاية له من التضعيف ووعد المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته مثلها مكافأة له على جرمه والمكافأة لأهل الكبائر والكفر والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل فلذلك قال جل ثناؤه في هذا الموضع وهل يجازى إلا الكفور كأنه قال جل ثناؤه لا يجازى لا يكافأ على عمله إلا الكفور إذا كانت المكافأة مثل المكافأ عليه والله لا يغفر له من ذنوبه شيئا ولا يمحص شيء منها في الدنيا وأما المؤمن فإنه يتفضل عليه على ما وصفت * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهل نجازي نعاقب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور إن الله تعالى إذا أراد بعبده كرامة تقبل حسناته وإذا أراد بعبده هوانا أمسك عليه ذنوبه حتى يوافي به يوم القيامة قال وذكر لنا أن رجلا بينما هو في طريق من طرق المدينة إذ مرت به امرأة فأتبعها بصره حتى أتى على حائط فشج وجهه فأتى نبي الله ووجهه يسيل دما فقال يا نبي الله فعلت كذا وكذا فقال له نبي الله إن الله إذا أراد بعبد كرامة عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا وإذا أراد الله بعبد هوانا أمسك عليه ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة كأنه عير أبتر ۞ القول في تأويل قوله تعالى

﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن نعمته التي كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم وجعلنا بين بلدهم وبين القرى التي باركنا فيها وهي الشام قرى ظاهرة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله القرى التي باركنا فيها قال الشام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها يعني الشام حدثني علي بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد القرى

يحشرهم ثم يقول على الغيبة فيهما حفص ويعقوب الباقون بالنون ثم تفكروا بتشديد التاء رويس أجري إلا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص ربي إنه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو التناؤش (٥٧) مهموزا أبو عمرو وحمزة وخلف وعاصم سوى حفص والشموني والبرجمي حيل بضم الحاء وكسر الياء ابن عامر وعلي ورويس ۞ الوقوف من دون الله ج لاحتمال الجملة بعده حالا واستئنافا ظهير ه أذن له ط الحق ط الكبير ه والأرض ط قل الله لا لاتصال المقول مبين ه تعملون ه بالحق ط العليم ه كلا ط الحكيم ه لا يعلمون ه صادقين ه ولا تستقدمون ه بين يديه ط عند ربهم ج لأن ما بعده يصلح استئنافا وحالا وهذا أوجه القول ج لمثل ذلك مؤمنين ه مجرمين ه أندادا ط العذاب ط كفروا ط يعملون ه كافرون ه بمعذبين ه لا يعلمون ه صالحا ز أن أولئك مبتدأ مع الفاء آمنون ه محضرون ه ويقدر له ط يخلفه ج لعطف الجملتين المختلفتين الرازقين ه يعبدون ه من دونهم ج لتنويع الكلام مع اتحاد المقول الجن ج لذلك مؤمنون ه ضرا ط تكذبون ه آباؤكم ج للعطف مع طول الكلام والتكرار مفترى ط مبين ه من نذير ه نكير ه بواحدة ج لأن ما بعده بدل أو خبر أي هي أن تقوموا من جنة ط شديد ه لكم ط الله ج شهيد ه بالحق ج لاحتمال أن ما بعده بدل من الضمير في يقذف أو خبر أي هو علام الغيوب ه بعيد ه على نفسي ج لعطف جملتي الشرط ربي ط قريب ه قريب لا لأن ما بعده معطوف على أخذوا آمنا به ط لاحتمال كون الجملة الاستفهامية مبتدأ بها أو حالا بعيد ه لا للآية ولاحتمال الاستئناف والحال بعده والعامل معنى الفعل في التناوش من قبل ج للعطف

على كفروا بناءعلى انه حال ماضية اوللاستئناف اى وهم يقذفون بعيد ٥ من قبل ط مريب ٥ ۞ التفسير لما فرغ من حكاية اهل الشكر وأهل الكفران تمثيلا عاد الى مخاطبة (٥٨) كفار قريش وتقريعهم ومفعولا زعم محذوف أى زعمتموهم آلهة وسبب حذف الاول استحقاق عوده الى الموصول وسبب حذف الثانى اقامة الصفة وهى من دون الله مقام الموصوف وتفسير الآية مبنى على تفصيل وهو أن مذاهب أهل الشرك أربعة أحدها قولهم انا نعبد الملائكة والكواكب التى فى السماء فهم آلهتنا والله الههم فالله تعالى قال فى ابطال قولهم انهم لا يملكون فى السموات شيأ كما اعترفتم ولا فى الارض على خلاف ما زعمتم أن الارض والارضيات فى حكمهم وثانيها قول بعضهم ان السموات من الله على سبيل الاستقلال وان الارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب واتصالاتها وانصرافاتها فأبطل معتمد هؤلاء بقوله (وما لهم فيهما من شرك) أى الارض كالسماء لله ليس لغيره فيها نصيب وثالثها قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله لكن فوض ذلك الى الكواكب واعانتها فأشار الى ابطال معتقد هؤلاء بقوله (وماله منهم من ظهير) ورابعها مذهب من زعم أنا نعبد الاصنام التى هى صور الملائكة ليشفعوا لنا فبين بطلان مذهبهم بقوله (ولا تنفع الشفاعة) قال جار الله تقول الشفاعة لزيد على أنه الشافع وعلى معنى أنه المشفوع له أى لا تنفع الشفاعة (الا) كائنة (لمن أذن له) من الشافعين أو الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وحتى غاية لمضمون الكلام الدال على انتظار الاذن كأنه قيل يتربصون ويقفون مليا فزعين (حتى اذا فزع) أى كشف الفزع فى القيامة عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى يؤيد هذا التفسير

التى باركنا فيها قال الشأم * وقيل عنى بالقرى التى بورك فيها بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قال الارض التى باركنا فيها هى الارض المقدسة وقوله قرى ظاهرة يعنى قرى متصلة وهى قرى عربية * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سمعت الحسن فى قوله وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قال قرى متواصلة قال كان أحدهم يغدو فيقيل فى قرية ويروح فيأوى الى قرية أخرى قال وكانت المرأة تضع زنبيلها على رأسها ثم تمتهن بمغزلها فلا تأتى بيتها حتى يمتلئ من كل الثمار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قرى ظاهرة أى متواصلة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قرى ظاهرة يعنى قرى عربية بين المدينة والشام حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قرى ظاهرة قال السروات حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قرى ظاهرة يعنى قرى عربية وهى بين المدينة والشأم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قال كان بين قريتهم وبين الشأم قرى ظاهرة قال ان كانت المرأة لتخرج معها مغزلها ومكتلها على رأسها تروح من قرية وتغدوها وتبيت فى قرية لا تحمل زادا ولا ماء لما بينها وبين الشأم وقوله وقدرنا فيها السير يقول تعالى ذكره وجعلنا بين قراهم والقرى التى باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل الى منزل وقرية الى قرية لا ينزلون الا فى قرية ولا يغدون الا من قرية وقوله سيروا فيها ليالى وأياما آمنين يقول وقلنا لهم سيروا فى هذه القرى ما بين قراكم والقرى التى باركنا فيها ليالى وأياما آمنين لا تخافون جوعا ولا عطشا ولا من أحد ظلما وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سيروا فيها ليالى وأياما آمنين لا يخافون ظلما ولا جوعا وانما يغدون فيقيلون ويروحون فيبيتون فى قرية أهل جنة ونهر حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها وتمتهن بيدها فيمتلئ مكتلها من الثمر قبل أن ترجع الى أهلها من غير أن تخترف شيأ وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادا ولا سقاء مما بسط للقوم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأياما آمنين قال ليس فيها خوف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ اختلف القراء فى قراءة قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ربنا باعد بين أسفارنا على وجه الدعاء والمسئلة بالألف وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة بعد بتشديد العين على الدعاء أيضا وذكر عن بعض المتقدمين أنه كان يقرؤه ربنا باعد بين أسفارنا على وجه الخبر عن الله أن الله فعل ذلك بهم وحكى عن آخر أنه قرأه ربنا بعد على وجه الخبر أيضا

غير

قول ابن عباس عن النبي فاذا أذن لمن أذن ان يشفع فزعته الشفاعة والتشديد للسلب والازالة على نحو قردته وجلدته أي ازلت قراده وسلخت جلده وقيل ان حتى على هذا التفسير متعلق بقوله زعمتم أي زعمتم الكفر (٥٩) الى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق

غير أن الرب منادى * والصواب من القراءة في ذلك عندنا ربنا باعد وبعد لانهما القراءتان المعروفتان في قرأة الامصار وما عداهما فغير معروف فيهم على أن التأويل من أهل التأويل أيضا يحقق قراءة من قرأه على وجه الدعاء والمسئلة وذلك أيضا مما يزيد القراءة الاخرى بعدا من الصواب فاذا كان هو الصواب من القراءة فتأويل الكلام فقالوا يا ربنا باعد بين أسفارنا فاجعل بيننا وبين الشأم فلوات ومفاوز لتركب فيها الرواحل ونتزود معنا فيها الأزواد وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم واحسانه اليهم وجهلهم بمقدار العافية ولقد عجل لهم ربهم الاجابة كما عجل للقائلين ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم أعطاهم ما رغبوا اليه فيه وطلبوا من المسئلة ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبي مالك في هذه الآية فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قال كانت لهم قرى متصلة باليمن كان بعضها ينظر الى بعض فبطروا ذلك وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قال فأرسل الله عليهم سيل العرم وجعل طعامهم أثلا وخمطا وشيأ من سدر قليل حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم قال فانهم بطروا عيشهم وقالوا لو كان جنى جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهيه فمزقوا بين الشأم وسبا وبدلوا بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا بطر القوم نعمة الله وغمطوا كرامة الله قال الله وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا حتى نبيت في الفلوات والصحاري فظلموا أنفسهم وقوله فظلموا أنفسهم وكان ظلمهم اياها عملهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه مما يوجب لهم عقاب الله فجعلناهم أحاديث يقول صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل في السب فيقال تفرق القوم أيادي سبا وأيدي سبا اذا تفرقوا وتقطعوا وقوله ومزقناهم كل ممزق يقول وقطعناهم في البلاد كل مقطع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق قال قتادة قال عامر الشعبي أما غسان فقد لحقوا بالشأم وأما الانصار فلحقوا بيثرب وأما خزاعة فلحقوا بتهامة وأما الأزد فلحقوا بعمان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال يزعمون أن عمران بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا فرأى في كهانته أن قومه سيمزقون ويتباعدون فقال لهم انى قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذاهم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بكأس أو كرود قال فكانت وادعة بن عمرو ومن كان منكم ذاهم مدن وأمر دعن فليلحق بأرض شن فكانت عوف بن عمرو وهم الذين يقال لهم بارق ومن كان منكم يريد عيشا آنيا وحرما آمنا فليلحق بالارزين فكانت خزاعة ومن كان يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الاوس والخزرج فهما هذان الحيان من الانصار ومن كان يريد خمرا وخميرا وذهبا وحريرا وملكا وتأميرا فليلحق بكوثى وبصرى فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشأم ومن كان منهم بالعراق قال

ومنهم من ذهب الى أن التفزيع غاية الوحي المستفاد من قل فانه عند الوحي يفزع من في السموات كما جاء في حديث اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبرائيل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبرائيل ماذا قال ربكم فيقول الحق أي يقول الحق الحق وقيل أراد بالفزع أنه تعالى لما أوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم فزع من في السموات من القيامة لأن ارسال محمد صلى الله عليه وسلم من أشراطها فلما زال عنهم ذلك قالوا ماذا قال الله قال جبرائيل وأتباعه الحق وقيل انه الفزع عند الموت يزيله الله عن القلوب فيعرف كل أحد أن ما قال الله هو الحق فينتفع بتلك المعرفة أهل الايمان ولا ينتفع بها أهل الكفر وحين بين بقوله قل ادعوا أنه لا يدفع الضر الا هو أشار بقوله (قل من يرزقكم) الى أن جلب النفع لا يكمل إلا به وههنا نكتة هي أنه قال في دفع الضر قالوا الحق وفي طلب النفع قال قل الله تنبيها على أنهم في الضراء مقبلون على الله معترفون به وفي السراء معرضون عنه غافلون لا يتنبهون الا بمسه وقوله (وانا أو اياكم) من الكلام المنصف الذي يتضمن قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا وفي تخالف حرفي الجر في قوله (لعلى هدى أو في ضلال) اشارة الى أن أهل الحق راكبون مطية الهدى مستعلون على متنها وأن أهل

الباطل منغمسون في ظلمة الضلال لا يدرون أين يتوجهون وانما وصف الضلال بالمبين وأطلق الهدى لأن الحق كالخط المستقيم واحد والباطل كالخطوط المنحنية لا حصر لها فبعضها أدخل في الضلالة من بعض وأبين وقوله (عما أجرمنا) الى قوله (عما تعملون) أبلغ في سلوك

لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع فى الفهم فيفوت الغرض ومعنى الفتح الحكم والفصل بين الفريقين بادخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وحين حث فى الآية الاولى على وجوب النظر من حيث ان كل أحد يؤاخذ بجرمه ولو كان البرىء أخذ بالمجرم لم يكن كذلك أكد ذلك المعنى بالآية الثانية فان مجرد الخطا والضلال واجب الاجتناب فكيف اذا كان يوم عرض وحساب وفى قوله (العليم) اشارة الى أن حكمه يكون مع العلم لا كحكم من يحكم بمجرد الغلبة والهوى ولما بين أن غير الله لا يعبد لدفع الضر ولا لجلب النفع أراد أن يبين أن غير الله لا ينبغى أن يعبد لأجل استحقاق العبادة فانه لا مستحق للعبادة الا هو ومعنى (أرونى) وكان يعرفهم ويراهم الاستخفاف بهم والتنبيه على الخطا العظيم فى إلحاق الشركاء بالله أو أراد أعلمونى بأى صفة ألحقتموهم بالله وجعلتموهم شركاء فشركاء نصب على الحال والعائد محذوف و (كلا) ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بابطال المقايسة ورد الالحاق ثم زاد فى توبيخهم بقوله (بل هو الله العزيز الحكيم) كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات فان الاله لا يمكن أن يخلو عن القدرة الكاملة والحكمة الشاملة وهو يحتمل أن يكون ضمير الشأن وحين فرغ من التوحيد شرع فى الرسالة ومعنى (كافة) عامة لان الرسالة اذا شملتهم فقد منعتهم أن يخرج أحد منهم

ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقول انما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمران بن عامر وكانت كاهنة فرأت فى كهانتها ذلك والله أعلم أى ذلك كان قال فلما تفرقوا نزلوا على كهانة عمران ابن عامر وقوله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور يقول تعالى ذكره ان فى تمزيقناهم كل ممزق لآيات يقول لعظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه اذا أنعم عليه وحقه من الصبر على محنته اذا امتحنه ببلاء لكل صبار شكور على نعمه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور كان مطرف يقول نعم العبد الصبار الشكور الذى اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ولقد صدّق بتشديد الدال من صدق بمعنى أنه قال ظنا منه ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم صدّق ظنه ذلك فيهم فحقق ذلك بهم وباتباعهم اياه وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشأم والبصرة ولقد صدق بتخفيف الدال بمعنى ولقد صدق عليهم ظنه * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى وذلك أن ابليس قد صدق على كفره بنى آدم فى ظنه وصدق عليهم ظنه الذى ظن حين قال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين وحين قال ولأضلنهم ولأمنينهم الآية قال ذلك عدوّ الله ظنا منه أنه يفعل ذلك لا علما فصار ذلك حقا باتباعهم اياه فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام على قراءة من قرأ بتشديد الدال ولقد ظن ابليس بهؤلاء الذين بدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط عقوبة منا لهم ظنا غير يقين علم أنهم يتبعونه ويطيعونه فى معصية الله فصدّق ظنه عليهم باغوائه اياهم حتى أطاعوه وعصوا ربهم الا فريقا من المؤمنين بالله فانهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية ابليس وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال أخبرنى عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس أنه قرأ ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه مشددة وقال ظن ظنا فصدّق ظنه حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه قال ظن ظنا فاتبعوا ظنه * قال ثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قال الله ما كان الا ظنا ظنه والله لا يصدّق كاذبا ولا يكذب صادقا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه قال أرأيت هؤلاء الذين كرمتهم علىّ وفضلتهم وشرفتهم لا تجد أكثرهم شاكرين وكان ذلك ظنا منه بغير علم فقال الله فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شئ حفيظ ﴾ يقول تعالى ذكره وما كان لابليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها الا بتسليطناه عليهم ليعلم حزبنا وأولياؤنا من يؤمن بالآخرة يقول من يصدّق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو منها

فى

والكف المنع وكافة صفة لرسالة وقال الزجاج التاء للمبالغة كتاء الراوية والعلامة وانه حال من الكاف أى أرسلناك جامعا للناس فى الابلاغ والتبشير والانذار أو مانعا للناس من الكفر والمعاصى وبعض النحويين جعله حالا من الناس

وزيف بأن حال المجرور لا يتقدم عليه ومن هؤلاء من جعل اللام بمعنى الى لان أرسل يتعدى بالى فضوعفت تخطئته بأن استعمال اللام بمعنى الى ضعيف ولا يخفى أن ثانى مفعولى أرسلنا على غير هذا التفسير محذوف والتقدير وما أرسلناك الى الناس الا كافة (ولكن أكثر

فى شك فلا يوقن بالمعاد ولا يصدّق بثواب ولا عقاب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان له عليهم من سلطان قال قال الحسن والله ما ضربهم بعصا ولا بسيف ولا سوط الا أمانىّ وغرورا دعاهم اليها * قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك قال وانما كان بلاء ليعلم الله الكافر من المؤمن وقيل عنى بقوله الا لنعلم من يؤمن بالآخرة الا لنعلم ذلك موجودا ظاهرا ليستحق به الثواب أو العقاب وقوله وربك على كل شئ حفيظ يقول تعالى ذكره وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به وغير ذلك من الاشياء كلها حفيظ لا يعزب عنه علم شئ منه وهو مجاز جميعهم يوم القيامة بما كسبوا فى الدنيا من خير وشر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرّة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴾ يقول تعالى ذكره فهذا فعلنا بولينا ومن أطاعنا داود وسليمن الذى فعلنا بهما من انعامنا عليهما النعم التى لا كفاء لها اذ شكرانا وذلك فعلنا بسبا الذين فعلنا بهم اذ بطروا نعمتنا وكذبوا رسلنا وكفروا أيادينا فقل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك الجاحدين نعمنا عندهم ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شريك من دونه فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا بالذين وصفنا أمرهم من انعام أو إيآس فان لم يقدروا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون لأن الشركة فى الربوبية لا تصلح ولا تجوز ثم وصف الذين يدعون من دون الله فقال انهم لا يملكون مثقال ذرّة فى السموات ولا فى الارض من خير ولا شر ولا ضر ولا نفع فكيف يكون الها من كان كذلك وقوله وما لهم فيهما من شرك يقول تعالى ذكره ولا هم اذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرّة فى السموات ولا فى الارض منفردين بملكه من دون الله يملكونه على وجه الشركة لأن الاملاك فى المملوكات لا تكون لمالكها الا على أحد وجهين اما مقسوما واما مشاعا يقول وآلهتهم التى يدعون من دون الله لا يملكون وزن ذرة فى السموات ولا فى الارض لا مشاعا ولا مقسوما فكيف يكون من كان هكذا شريكا لمن له ملك جميع ذلك وقوله وما له منهم من ظهير يقول وما لله من الآلهة التى يدعون من دونه معين على خلق شئ من ذلك ولا على حفظه اذ لم يكن لها ملك شئ منه مشاعا ولا مقسوما فيقال هو لك شريك من أجل أنه أعان وان لم يكن له ملك شئ منه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرّة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك يقول ما لله من شريك فى السماء ولا فى الارض وما له منهم من الذين يدعون من دون الله من ظهير من عون بشئ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير ﴾ يقول تعالى ذكره ولا تنفع شفاعة شافع كائنا من كان الشافع لمن شفع له الا أن يشفع لمن أذن الله فى الشفاعة يقول تعالى فاذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدا الا لمن أذن الله فى الشفاعة له والله لا يأذن لأحد من أوليائه فى الشفاعة لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعما منكم أنكم تعبدونه

الناس لا يعلمون) وذلك لا لخفائه ولكن لغفلتهم وحين ذكر الرسالة بين الحشر وذكر أنهم استعجلوه تعنتا منهم فبين على طريق التهديد أنه لا استعجال فيه كما لا إمهال وهذا شأن كل أمر ذى بال قال جار الله (ميعاد يوم) كقولك سحق عمامة فى أن الاضافة للتبيين يؤيده قراءة من قرأ ميعاد يوم بالرفع فيهما فأبدل منه اليوم وفى اسناد الفعل اليهم بقوله (لا تستأخرون عنه) دون ان يقول لا يؤخر عنكم زيادة تأكيد لوقوع اليوم ولما بين الأصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحشر ذكر أنهم كافرون بالكل قائلين (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) من الكتب السماوية كالتوراة والانجيل يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع الكتب وقيل الذين كفروا عام والذى بين يديه يوم القيامة وما جاء ذكره فى القرآن من تفاصيل الحشر وغيرها وأن أهل الكتاب لو صدّقوا بشئ من ذلك فليس لاجل مجيئه فى القرآن ولكن لمجيئه فى كتبهم وحين وقع اليأس من ايمانهم بقولهم لن نؤمن وعد نبيه بأنه سيراهم على أذل حال موقوفين للسؤال متجاذبين أهداب المراجعة كما يكون حال جماعة أخطؤا فى تدبير أمر وجواب لو محذوف أى لقضيت العجب وبدأ بالأتباع

لان المضل أولى بالتوبيخ وفى قوله (لولا أنتم) اشارة الى أن كفرهم كان لمانع لا لعدم المقتضى فان الرسول قد جاء ولم يقصر فى الابلاغ ثم ذكر جواب المستكبرين وهم الرؤس والمتبوعون على طريقة الاستئناف وفى ايلاء الاسم وهو نحن حرف الانكار اثبات أنهم هم الذين

صدّوا بأنفسهم عن الهدى بكسب منهم واختيار وان المانع لم يكن راجحا على المقتضى ولا مساويا له وأكدوا ذلك بقولهم (بل كنتم مجرمين) أى انكم أنتم الذين أطعتم أمر الشهوة فكنتم (٣٢) كافرين ولم يكن منا الا التسويل والتزيين ثم عطف قولا آخر للمستضعفين على قولهم الاول والاضافة فى (مكر الليل والنهار) من باب الاتساع باجراء الظرف مجرى المفعول به وأصل الكلام بل مكرهم فى الليل والنهار أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى فالاول اتساع لفظى والثانى معنوى أبطلوا اضرابهم باضرابهم قائلين ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا مستمرا دائما دائبا ليلا ونهارا وقدم الليل لانه أخفى للمكر والويل وقرئ مكر الليل بالتشديد أى سبب ذلك أنكم تكرون الاغواء مكرا دائبا والمعنى ما أنتم بالصارف القطعى والمانع القوى ولكن انضم الى ذلك طول المدة فصار قولكم جزء السبب وفى قولهم (أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) اشارة الى أن المشرك وان كان مثبتا لله فى الظاهر ولكنه ناف له على الحقيقة لانه جعله مساويا للصنم ويجوز أن يكون كل منهما قول طائفة فبعضهم كانوا مأمورين بجحد الصانع وبعضهم بالاشراك به وتفسير قوله (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) مذكور فى سورة يونس والضمير يعود الى جنس الظالمين الشامل للمستضعفين والمستكبرين وقوله (فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم من وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما استحقوا به الأغلال وهى محمولة على الظاهر وان جاز أن يراد بها العلائق وفى قوله (هل تجزون) اشارة الى أنهم استحقوها عدلا ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن ايذاء الكفار الانبياء ليس بدعا وانما ذلك هجيراهم قدما وانما خص المترفين بالذكر لأنهم أصل فى الجحود والانكار وغيرهم تبع ثم استدلوا على كونهم مصيبين فى ذلك بكثرة الأموال والأولاد لأنهم اعتقدوا

ليقربكم الى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم فمن اذ كان هذا معنى الكلام التى فى قوله الا لمن أذن له المشفوع له * واختلفت القراء فى قراءة قوله أذن له فقرأ ذلك عامة القراء بضم الالف من أذن له على وجه ما لم يسم فاعله وقرأه بعض الكوفيين أذن له على اختلاف أيضا عنه فيه بمعنى أذن الله وقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم يقول حتى اذا جلى عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم يعنى جلى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى اذا فزع عن قلوبهم قال كشف عنها الغطاء يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال اذا جلى عن قلوبهم واختلف أهل التأويل فى الموصوفين بهذه الصفة من هم وما السبب الذى من أجله فزع عن قلوبهم فقال بعضهم الذى فزع عن قلوبهم الملائكة قالوا وانما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم الله بالوحى ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى قال قال ابن مسعود فى هذه الآية حتى اذا فزع عن قلوبهم قال اذا حدث أمر عند ذى العرش سمع من دونه من الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا فيغشى عليهم فاذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادوا ماذا قال ربكم قال فيقول من شاء قال الحق وهو العلى الكبير حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود عن عامر عن مسروق قال اذا حدث عند ذى العرش أمر سمعت الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا قال فيغشى عليهم فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قال فيقول من شاء الله الحق وهو العلى الكبير حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود أنه قال اذا حدث أمر عند ذى العرش ثم ذكر نحوه معناه الا أنه قال فيغشى عليهم من الفزع حتى اذا ذهب ذلك عنهم تنادوا ماذا قال ربكم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم عن عبد الله بن مسعود فى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ان الوحى اذا ألقى سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان قال فيتنادون فى السموات ماذا قال ربكم قال فيتنادون الحق وهو العلى الكبير * وبه عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال ينزل الأمر من عند رب العزة الى السماء الدنيا فتفزع أهل السماء الدنيا حتى يستبين لهم الأمر الذى نزل فيه فيقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق وهو العلى الكبير فذلك قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن عكرمة قال ثنا أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا قضى أمرا فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها جميعا ولقوله صوت كصوت السلسلة على الصفا الصفوان فذلك قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن هشام بن عروة قال قال الحرث بن هشام لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى قال يأتينى فى صلصلة كصلصلة الجرس فيفصم عنى حين

يفصم

يفصم وقد وعيته ويأتى أحيانا فى مثل صورة الرجل فيكلمنى به كلاما وهو أهون علىّ حدثنى زكريا بن أبان المصرى قال ثنا نعيم قال ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابن أبى زكريا عن جابر بن حيوة عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يوحى بالامر تكلم بالوحى أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوف أمر الله فاذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبرائيل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرائيل فيقول جبرائيل قال الحق وهو العلى الكبير قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل فينتهى جبرائيل بالوحى حيث أمره الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية قال كان ابن عباس يقول ان الله لما أراد أن يوحى الى محمد دعا جبريل فلما تكلم ربنا بالوحى كان صوته كصوت الحديد على الصفا فلما سمع أهل السموات صوت الحديد خروا سجدا فلما أتى عليهم جبرائيل بالرسالة رفعوا رؤسهم فقالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير وهذا قول الملائكة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الى وهو العلى الكبير قال لما أوحى الله تعالى ذكره الى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول من الملائكة فبعث بالوحى سمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحى فلما كشف عن قلوبهم سألوا عما قال الله فقالوا الحق وعلموا أن الله لا يقول الا حقا وأنه منجز ما وعد قال ابن عباس وصوت الوحى كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوه خروا سجدا فلما رفعوا رؤسهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير ثم أمر الله نبيه أن يسأل الناس قل من يرزقكم من السموات الى قوله فى ضلال مبين حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عبد الله بن القاسم فى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية قال الوحى ينزل من السماء فاذا قضاه قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله فى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ان الوحى اذا قضى فى زوايا السماء قال مثل وقع الفولاذ على الصخرة قال فيشفقون لا يدرون ما حدث فيفزعون فاذا مرت بهم الرسل قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير * وقال آخرون ممن قال الموصوفون بذلك الملائكة انما يفزع عن قلوبهم فزعهم من قضاء الله الذى يقضيه حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم الآية قال يوحى الله الى جبرائيل فتفرق الملائكة أو تفزع مخافة أن يكون شئ من أمر الساعة فاذا جلى عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير * وقال آخرون بل ذلك من فعل ملائكة السموات اذا مرت بها المعقبات فزعا أن يكون حدث أمر الساعة ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية زعم ابن مسعود أن الملائكة المعقبات الذين يختلفون الى الارض يكتبون أعمالهم اذا أرسلهم الرب فانحدروا

موسر وتقى معسر ثم زاد فى البيان بقوله (وما أموالكم) أى وما جماعة أموالكم (ولا) جماعة (أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) أى قربى اسم بمعنى القربة وقع موقع المصدر كقوله والله أنبتكم من الارض نباتا ثم استثنى من ضمير المفعول فى تقربكم بقوله (الا من آمن) والمراد أن الاموال والاولاد لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح ينفق الاموال فى سبيل الله ويعلم أولاده الخير والفقه فى الدين ويحتمل أن يكون الاستثناء من الفاعل والمعنى أن شيأ من الاشياء لا يقرب الا عمل المؤمن الصالح لأن ماسوى ذلك شاغل عن الله والعمل الصالح اقبال على العبودية ومن توجه الى الله وصل ومن طلب شيأ من الله حصل وجزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول تقديره فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ومعنى قراءة يعقوب أولئك لهم الضعف جزاء والتضعيف يكون الى العشر والى سبعمائة وأكثر كما عرفت والباقى الى قوله محضرون قد سبق وحين بين أن حصول الترف لا يدل على الشرف ذكر أن بسط الرزق لا يختص بهم ولكنه سبحانه قد يبسط الرزق لمن يشاء من عباده المؤمنين ثم رتب وعد الاخلاف على الانفاق وذلك اما فى العاجل بالمال أو بالقنوع واما فى الآخرة بالثواب الذى لا خلف فوقه ولا مثله ومما يؤكد الآية قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا الحديث

وقول الفقهاء ألق متاعك فى البحر وعلىّ ضمانه وأن التاجر اذا علم أن ما لا أمن الاموال فى معرض الفناء يبيعه نسيئة وان كان من الفقراء والا نسب الى الخطا وسخافة الرأى ولا ريب أن مال الدنيا فى معرض الزوال وأن أغنى الأغنياء قد طلب منا الاقراض ووعد الاضعاف

والاخلاف فأى تجارة عند العاقل اربح من هذا (وهو خير الرازقين) لان سلسلة الارزاق والرزق تنتهى اليه وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته (٦٤) لا يجد وواجد لا يشتهى ثم حكى عاقبة حال الكفار بقوله (ويوم يحشرهم) وفى خطاب الملائكة تقريع الكفار وتقريرلما يعروهم من الخجل والوجل عند اقتصاص ذلك كما مر فى قوله لعيسى أءنت قلت للناس (قالوا سبحانك) ننزهك عن أن نعبد غيرك أنت الذى نواليك ونعادى غيرك فى شأن العبادة (بل كانوا يعبدون الجن) حيث أطاعوهم فى عبادة غيرك فهم كانوا يطيعونهم وكنا نحن كالقبلة أو صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها أو كانوا يدخلون فى أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها وانما قالوا (أكثرهم بهم مؤمنون) وما ادّعوا الاحاطة لأن الذين رأوهم وأطلعهم الله على أحوالهم كانوا كذلك ولعل فى الوجود من لا يطلع الله الملائكة عليه من الكفار وأيضا أن العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن والاطلاع على عمل القلب كما هو ليس الا لله وحده فراعوا الادب الجميل والحكم على الظاهر أكثرى ثم ذكر أن الامر فى ذلك اليوم لله وحده والخطاب فى قوله (لا يملك بعضكم) للملائكة والكفار وان كان الكفار غائبين كما تقول لمن حضر عندك ولمن شاركه فى أمر بسببه أنتم قلتم كذا على معنى أنت قلت وهم قالوا ويحتمل أن يكون الخطاب للكفار لأن ذكر اليوم يدل على حضورهم أولهم وللملائكة أيضا بهذا التأويل وعلى الاول يكون قوله (ونقول للذين ظلموا) افرادا للكفرة بالذكر وعلى الوجه الآخر يكون تأكيدا لبيان حالهم فى الظلم وذكر الضر تأكيد لعدم تملكهم شيأ والا فهو غير متصور فى ذلك ذكر اليوم وانما قال ههنا (عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) وفى السجدة عذاب النار الذى كنتم به لانهم هناك قدر أوا النار بدليل قوله كلما

سمع لهم صوت شديد فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة فيخرّوا سجدا وهكذا كلما مروا عليهم يفعلون ذلك من خوف ربهم * وقال آخرون بل الموصوفون بذلك المشركون قالوا وانما يفزع الشيطان عن قلوبهم قال وانما يقولون ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قال فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم وما كان يضلهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قال وهذا فى بنى آدم وهذا عند الموت أقروا به حين لم ينفعهم الاقرار * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب القول الذى ذكره الشعبى عن ابن مسعود لصحة الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييده واذ كان ذلك كذلك فمعنى الكلام لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له أن يشفع عنده فاذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع فزع لسماعه اذنه حتى اذا فزع عن قلوبهم فجلى عنها وكشف الفزع عنهم قالوا ماذا قال ربكم قالت الملائكة الحق وهو العلى على كل شئ الكبير الذى لا شئ دونه والعرب تستعمل فزع فى معنيين فتقول للشجاع الذى به تنزل الامور التى يفزع منها هو مفزع وتقول للجبان الذى يفزع من كل شئ انه لمفزع وكذلك تقول للرجل الذى يقضى له الناس فى الامور بالغلبة على من نازله فيها هو مغلب واذا أريد به هذا المعنى كان غالبا وتقول للرجل أيضا الذى هو مغلوب أبدا مغلب وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار أجمعون فزع بالزاى والعين على التأويل الذى ذكرناه عن ابن مسعود ومن قال بقوله فى ذلك وروى عن الحسن أنه قرأ ذلك حتى اذا فرغ عن قلوبهم بالراء والغين على التأويل الذى ذكرناه عن ابن زيد وقد يحتمل توجيه معنى قراءة الحسن ذلك كذلك الى حتى اذا فرغ عن قلوبهم فصارت فارغة من الفزع الذى كان حل بها ذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك فزع بمعنى كشف الله الفزع عنها * والصواب من القراءة فى ذلك القراءة بالزاى والعين لاجماع الحجة من القراء وأهل التأويل عليها ولصحة الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييدها والدلالة على صحتها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الاوثان والاصنام من يرزقكم من السموات والارض بانزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم وصلاحا لمعايشكم وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم ومنافع أقواتكم والارض باخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه ثم ذكره وهو فان قالوا لا ندرى فقل الذى يرزقكم ذلك الله وانا أو اياكم أيها القوم لعلى هدى أو فى ضلال مبين يقول قل لهم انا لعلى هدى أو فى ضلال أو انكم على ضلال أو هدى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين قال قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين والله ما انا وأنتم على أمر واحد ان أحد الفريقين لمهتد وقد قال قوم معنى ذلك وانا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين

ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فقيل لهم ذوقوا العذاب المؤبد الذى كنتم به تكذبون في قولكم لن تمسنا النار الا أياما معدودة وههنا لم يروا النار وقيل لانه مذكور عقيب الحشر والسؤال فناسب التوبيخ

على تكذيبهم بالنار ثم حكى أكاذيبهم بقوله

ذكر من قال ذلك حدثني اسحق بن ابراهيم الشهيدى قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن عكرمة وزياد في قوله وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين قال انا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين واختلف أهل العربية في وجه دخول أو في هذا الموضع فقال بعض نحويي البصرة ليس ذلك لأنه شك ولكن هذا في كلام العرب على أنه هو المهتدى قال وقد يقول الرجل لعبده أحدنا ضارب صاحبه ولا يكون فيه اشكال على السامع أن المولى هو الضارب * وقال آخر منهم معنى ذلك انا لعلى هدى وانكم اياكم في ضلال مبين لأن العرب تضع أو في موضع واو الموالاة قال جرير

أثعلبة الفوارس أو رياحا * عدلت بهم طهية والخشابا

قال يعنى أثعلبة ورياحا قال وقد تكلم بهذا من لا يشك في دينه وقد علموا أنهم على هدى وأولئك في ضلال فيقال هذا وان كان كلاما واحدا على جهة الاستهزاء فقال هذا لهم وقال

فان يك حبهم رشدا أصبه * ولست بمخطئ ان كان غيا

وقال بعض نحويي الكوفة معنى أو معنى الواو في هذا الموضع في المعنى غير أن القرينة على غير ذلك لا تكون أو بمنزلة الواو ولكنها تكون في الأمر المفوض كما تقول ان شئت فخذ درهما أو اثنين فله أن يأخذ اثنين أو واحدا وليس له أن يأخذ ثلاثة قال وهو في قول من لا يبصر العربية ويجعل أو بمنزلة الواو ويجوز له أن يأخذ ثلاثة لانه في قولهم بمنزلة قولك خذ درهما واثنين قال والمعنى في إنا أو اياكم انا لضالون أو مهتدون وانكم أيضا الضالون وهو يعلم أن رسوله المهتدى وأن غيره الضال قال وأنت تقول في الكلام للرجل يكذبك والله ان أحدنا لكاذب وأنت تعنيه وكذبته تكذيبا غير مكشوف وهو في القرآن وكلام العرب كثير أن يوجه الكلام الى أحسن مذاهبه اذا عرف كقول القائل لمن قال والله لقد قدم فلان وهو كاذب فيقول قل ان شاء الله أو قل فيما أظن فيكذبه بأحسن تصريح التكذيب قال ومن كلام العرب أن يقولوا قاتله الله ثم يستقبح فيقولون قاتله الله وكاتعه الله قال ومن ذلك ويحك وويسك انما هي في معنى ويلك الا أنها دونها * والصواب من القول في ذلك عندى أن ذلك أمر من الله نبيه بتكذيب من أمره بخطابه بهذا القول بأجمل التكذيب كما يقول الرجل لصاحب له يخاطبه وهو يريد تكذيبه في خبر له أحدنا كاذب وقائل ذلك يعنى صاحبه لا نفسه فلهذا المعنى صير الكلام بأو ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين أحد فريقينا على هدى والآخر على ضلال لا تسئلون أنتم عما أجرمنا نحن من جرم وركبنا من اثم ولا نسئل نحن عما تعملون أنتم من عمل قل لهم يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ثم يفتح بيننا بالحق يقول ثم يقضى بيننا بالعدل فيتبين عند ذلك المهتدى منا من الضال وهو الفتاح العليم يقول والله القاضى العليم بالقضاء بين خلقه لأنه لا تخفى عنه خافية ولا يحتاج الى شهود تعرفه المحق من المبطل * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا أى يقضى بيننا حدثني على قال ثنا

(واذا تتلى) الآية ولا يخفى ما فيه من المبالغات ثم بين أن أقوالهم هذه لا تستند الا الى محض التقليد فقال (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فالآيات البينات لا تعارض الا بالبراهين العقلية وما لهم من دليل أو بالنقليات وما عندهم من كتاب ولا رسول غيرك (وكذب الذين من قبلهم) كعاد وثمود (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع قال الاكثرون معناه وما بلغ هؤلاء المشركون عشر ما آتينا المتقدمين من القوة والنعمة وطول العمر ثم ان الله أخذهم وما نفعهم محصولهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء وقال بعضهم أراد وما بلغ الذين من قبلهم معشار ما آتينا قوم محمد صلى الله عليه وسلم من البيان والبرهان لان محمدا صلى الله عليه وسلم أفصح الرسل وكتابه أوضح الكتب ثم ان المتقدمين أنكر عليهم تكذيبهم فكيف لا ينكر على هؤلاء قال جار الله قوله (فكذبوا رسلى) بعد قوله وكذب الذين من قبلهم تخصيص بعد تعميم كأنه قيل وفعل الذين من قبلهم التكذيب فكذبوا رسلى نظيره قول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا معشار ما كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل عليه قلت فعلى هذا تكون الفاء للسببية والمعنى أنه اذا لم يبلغ معشار فضله فكيف يفضل عليه وكذا في الآية فيصير المعنى انهم اذا لم يبلغوا معشار الأقدمين فكيف كذبوا (فكيف كان نكير) للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله ويجوز عندى أن يكون الثاني تكريرا للاول لاجل ترتب النكير عليه كأنه قيل

فاذقدصح أنهم فعلوا ماذكرنا فلا جرم ذاقوا وبال أمرهم نظيره قولك لمن بحضرتك فعلت كذا وكذا فاذا فعلت ذلك فتربص و بعد تقرير الاصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحشر (٦٦) كررها مجموعة بقوله (قل انما أعظكم بواحدة) أى بخصلة أو حسنة أو كلمة واحدة وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها والقيام اما حقيقة وهو قيامهم عن مجلس النبىّ متفرقين الى أوطانهم واما مجاز وهو الاهتمام بالامر والنهوض له بالعزم والجد فقوله (مثنى وفرادى) اشارة الى جميع الاحوال لان الانسان اما أن يكون مع غيره أولا فكأنه قال أن تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا تمنعكم الجمعية عن ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله وقوله (ثم تتفكروا) يعنى اعترفوا بما هو الاصل وهو التوحيد ولا حاجة فيه الى تفكر ونظر بعد ما بان وظهر ثم تتفكروا فيما أقول بعده وهو الرسالة المشار اليها بقوله (ما بصاحبكم من جنة) والحشر المشار اليه بقوله (بين يدى عذاب شديد) قيل وفيه اشارة الى عذاب قريب كأنه قال ينذركم بعذاب يمسكم قبل الشديد فمجموع الامور الثلاثة شئ واحد أو المراد أنه لا يأمرهم فى أول الامر بغير التوحيد لأنه سابق على الكل لأنه لا يأمرهم فى جميع العمر الا بشئ واحد وعند جار الله الخصلة الواحدة هى الفكر فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وهو أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان ما فوق الاثنين والواحد يوجب التشويش واختلاف الرأى فيعرض كل من الاثنين محصول فكره على صاحبه من غير عصبية ولا اتباع هوى وكذلك الفرد يفكر فى نفسه بعدل ونصفة حتى يجذب الفكر بصنعه الى أن هذا الامر المستتبع لسعادة الدارين لا يتصدى لادعائه الا رجلان مجنون لا يبالى بافتضاحه اذا طولب بالبرهان وعاقل اجتباه الله بسوابق الفضل

يبين

أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وهو الفتاح العليم يقول القاضى
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم﴾
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام أرونى
أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء فى عبادتكم اياه ماذا خلقوا من الارض
أم لهم شرك فى السموات كلا يقول تعالى ذكره كذبوا ليس الأمر كما وصفوا ولا كما جعلوا
وقالوا من أن لله شريكا بل هو المعبود الذى لا شريك له ولا يصلح أن يكون له شريك فى ملكه
العزيز فى انتقامه ممن أشرك به من خلقه الحكيم فى تدبيره خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره
وما أرسلناك يا محمد الى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين
العرب منهم والعجم والأحمر والأسود بشيرا من أطاعك ونذيرا من كذبك ولكن أكثر
الناس لا يعلمون أن الله أرسلك كذلك الى جميع البشر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما
أرسلناك إلا كافة للناس قال أرسل الله محمدا الى العرب والعجم فأكرمهم على الله أطوعهم له ذكر
لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة
وسلمان سابق فارس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ يقول تعالى ذكره ويقول
هؤلاء المشركون بالله اذا سمعوا وعيد الله الكفار وما هو فاعل بهم فى معادهم مما أنزل الله فى كتابه
متى هذا الوعد جائيا وفى أىّ وقت هو كائن ان كنتم فيما تعدوننا من ذلك صادقين أنه كائن
قال الله لنبيه قل لهم يا محمد لكم أيها القوم ميعاد يوم هو آتيكم لا تستأخرون عنه اذا جاءكم ساعة
فتنظروا للتوبة والانابة ولا تستقدمون قبله بالعذاب لان الله جعل لكم ذلك أجلا ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى
اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين
استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا من مشركى العرب لن
نؤمن بهذا القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا بالكتاب الذى جاء به غيره من بين يديه
كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى
بين يديه قال قال المشركون لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه من الكتب والانبياء وقوله
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يتلاومون يحاور بعضهم بعضا يقول المستضعفون كانوا
فى الدنيا للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء فى الدنيا لكنا مؤمنين بالله
وآياته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره قال الذين استكبروا فى الدنيا فرأسوا
فى الضلالة والكفر بالله للذين استضعفوا فيها فكانوا أتباعا لأهل الضلالة منهم اذ قالوا لهم لولا
أنتم لكنا مؤمنين أنحن صددناكم عن الهدى ومنعناكم من اتباع الحق بعد اذ جاءكم من عند الله

والامتنان لتكميل نوع الانسان لكن محمدا صلى الله عليه وسلم بالاتفاق ارجح الناس عقلا وأصدقهم قولا واوفرهم حياء وأمانة فما هو الا النبيّ المنتظر في آخر الزمان المبعوث بين يدى عذاب شديد هو القيامة وأهوالها (٦٧) وقوله ما بصاحبكم إما أن يكون كلاما

يبين لكم بل كنتم مجرمين فمنعكم ايثاركم الكفر بالله على الايمان من اتباع الهدى والايمان بالله ورسوله ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين استضعفوا من الكفرة بالله فى الدنيا فكانوا أتباعا لرؤسائهم فى الضلالة للذين استكبروا فيها فكانوا لهم رؤساء بل مكركم لنا بالليل والنهار صدّنا عن الهدى اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أمثالا وأشباها فى العبادة والألوهة فأضيف المكر الى الليل والنهار والمعنى ما ذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين فى الليل والنهار على اتساع العرب فى الذى قد عرف معناها فيه من منطقها من نقل صفة الشئ الى غيره فتقول للرجل يا فلان نهارك صائم وليلك قائم وكما قال الشاعر

* ونمت وما ليل المطيّ بنائم * وما أشبه ذلك مما قد مضى بياننا له فى غير هذا الموضع من كتابنا هذا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا يقول بل مكركم بنا فى الليل والنهار أيها العظماء الرؤساء حتى أزلتمونا عن عبادة الله وقد ذكر فى تأويله عن سعيد بن جبير ما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير بل مكر الليل والنهار قال مرّ الليل والنهار وقوله اذ تأمروننا أن نكفر بالله يقول حين تأمروننا أن نكفر بالله وقوله ونجعل له أندادا يقول شركاء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونجعل له أندادا شركاء قوله وأسروا الندامة لما رأوا العذاب يقول وندموا على ما فرطوا من طاعة الله فى الدنيا حين عاينوا عذاب الله الذى أعدّه لهم كما حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة وأسروا الندامة بينهم لما رأوا العذاب قوله وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا وغلت أيدى الكافرين بالله فى جهنم الى أعناقهم فى جوامع من نار جهنم جزاء بما كانوا بالله فى الدنيا يكفرون يقول الله جل ثناؤه ما يفعل الله ذلك بهم الا ثوابا لأعمالهم الخبيثة التى كانوا فى الدنيا يعملونها ومكافأة لهم عليها ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون﴾ يقول تعالى ذكره وما بعثنا الى أهل قرية نذيرا ينذرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا الا قال كبراؤها ورؤساؤها فى الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين له انا بما أرسلتم به من النذارة وبعثتم به من توحيد الله والبراءة من الآلهة والأنداد كافرون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون قال هم رؤسهم وقادتهم فى الشر ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيرا لأنبيائنا ورسلنا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن فى الآخرة بمعذبين لأن الله لو لم يكن راضيا ما نحن عليه من الملة والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد ولم يبسط لنا فى الرزق وانما أعطانا

مستأنفا فيه تنبيه على كيفية النظر فى أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم والمراد ثم تتفكروا فتعلموا ذلك وجوز بعضهم أن تكون ما استفهامية وحين ذكر أنه ما به جنة ليلزم منه كونه نبيا ذكر وجها آخر يلزم منه صحة نبوته وهو قوله (ما سألتكم من أجر) الآية وتقريره أن العاقل لا يركب العناء الشديد الا لغرض عاجل وهو غير موجود ههنا بل كل أحد يعاديه ويقصده بالسوء أو لغرض آجل ولا يثبت الا على تقدير الصدق فان الكاذب معذب فى الآخرة لا مثاب هذا اذا أريد بقوله (فهو لكم) نفى سؤال الآخر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان أعطيتنى شيأ فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيأ ويحتمل أن يراد بالأجر قوله لا أسألكم عليه أجرا الا المودّة فى القربى وقوله ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا لأن المودة فى القربى قد انتظمته وإياهم وكذا اتخاذ السبيل الى الله عز وجل فيه نصيبهم ونفعهم (وهو على كل شئ شهيد) يعلم أنى لا أطلب الأجر على نصحكم أو يعلم أن فائدة النصح تعود عليكم قوله (يقذف بالحق) أى فى قلوب المحقين وفيه ازالة استبعاد الكفرة تخصيص واحد منهم بانزال الذكر عليه فان الأمر بيد الله والفضل له يؤتيه من يشاء وانه (علام الغيوب) يعلم عواقب الأمور ومراتب الاستحقاق فيعطى على حسب ذلك لا كما يفعل الهاجم الغافل

أو أراد يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وذلك أن براهين التوحيد قد ظهرت وشبه المبطلين قد دحضت وفى قوله علام الغيوب اشارة الى أن البرهان الباهر لم يقم الا على التوحيد والرسالة وأما الحشر فالدليل عليه اخبار علام الغيوب عنه وحين ذكر أنه يقذف بالحق

وكان ذلك بصيغة الاستقبال أخبر أن ذلك الحق قد جاء وهو القرآن والاسلام وكل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يده وقيل السيف وقوله (وما يبدئ الباطل وما يعيد) (٦٨) مثل في الهلاك لان الحي اما أن يبدي فعلا أو يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة والتحقيق فيه أن الحق هو الموجود الثابت ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من بيان التوحيد والرسالة والحشر ثابتا في نفسه بينا لمن نظر اليه كان جائيا وحين كان ما أتوا به من الاصرار والتكذيب مما لا أصل له قيل انه لا يبدئ ولا يعيد أي لا يعيد شيأ لا في الاول ولا في الآخر وقيل الباطل ابليس لانه صاحب الباطل ولأنه هالك والمراد أنه لا ينشئ خلقا ولا يعيد وانما المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لأهله خيرا ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج ما استفهامية والمعنى أي شئ ينشئ ابليس ويعيده ثم قرر أمر الرسالة بوجه آخر وهو قوله (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) يعني كضلالكم وأما اهتدائي فليس بالنظر والاستدلال كاهتدائكم وانما هو بالوحي المبين قال جار الله هذا حكم عام لكل مكلف والتقابل مرعي من حيث المعنى والمراد أن كل ما هو وبال على النفس وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وانما أمر رسوله أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يعزب عنه منهما شئ وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا دعاه على من يكذبه أجابه ليس كمن يسمع من بعيد ولا يلحق الداعي ثم عجب نبيه أو كل راء من مآل حال أهل العناد بقوله (ولو ترى) وجوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما والأفعال في الماضية التي هي فزعوا وأخذوا وقالوا وحيل كلها من قبيل ونادى وسيق ووقت الفزع وقت البعث أو الموت أو يوم بدر وعن ابن

ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا وزلفة لنا عنده يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد ان ربي يبسط الرزق من المعاش والرياش في الدنيا لمن يشاء من خلقه ويقدر فيضيق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زلفة له استحق بها منه ولا لبغض منه لمن قدر عليه ذلك ولا مقت ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارا لعباده ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ومقت منه لمن قدر عليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الآية قال قالوا نحن أكثر أموالا وأولادا فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا قال وهذا قول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قالوا لو لم يكن الله عنا راضيا لم يعطنا هذا كما قال قارون لولا أن الله رضي بي وبحالي ما أعطاني هذا قال أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون الى آخر الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾ يقول جل ثناؤه وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم بالتي تقربكم منا قربة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عندنا زلفى قال قربى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد وان الكافر قد يعطى المال وربما حبس عن المؤمن وقال جل ثناؤه وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولم يقل باللتين وقد ذكر الأموال والاولاد وهما نوعان مختلفان لأنه ذكر من كل نوع منهما جمع يصلح فيه التي ولو قال قائل أراد بذلك أحد النوعين لم يبعد قوله وكان ذلك كقول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأي مختلف

ولم يقل راضيان وقوله الا من آمن وعمل صالحا اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فانه تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه الى الله زلفى دون أهل الكفر بالله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله إلا من آمن وعمل صالحا قال لم تضرهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين وقرأ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به كما حاسب الآخرين فمن حملا على هذا التأويل نصب بوقوع تقرب عليه وقد يحتمل أن يكون من في موضع رفع فيكون كأنه قيل وما هو إلا من آمن وعمل صالحا وقوله فأولئك لهم جزاء الضعف يقول فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب بالواحدة عشر * وبنحو الذي قلنا

عباس نزلت فى خسف البيداء وهم ثمانون ألفا أرادوا غزو الكعبة وتخريبها فخسف بهم حين دخلوا البيداء (فلا فوت) أى فلا يفوتون الله ولا يسبقونه والأخذ من مكان قريب هو من الموقف الى النار أو من ظهر الأرض الى بطنها أو من صحراء بدر الى القليب أو من تحت أقدامهم الى الأرض وجوز جار الله أن يعطف وأخذوا على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ثم بين أنهم سيؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالقرآن أو بالحق حين لا ينفع الايمان وذلك قوله (وأنى لهم التناوش) وهو تناول سهل لشئ قريب مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشئ من بعيد كما يتناوله الآخر من قريب تناولا سهلا لا تعب فيه أو أراد أن تناولهم التوبة وايمانهم فى الآخرة بعيد عن الدنيا فان أمس الدابر لا يعود وان كانت الآخرة قريبة من الدنيا ولهذا سماها الله الساعة وكل ما هو آت قريب وعن أبى عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم تأشت بالهمزة أى أبطأت وتأخرت والأصح أنه من النوش كما مر همزت الواو المضمومة كما همزت فى أجوه وقيل التناوش بلغة اليمن التذكرة قاله أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب فى كتاب المدخل فى تفسير القرآن والضمير فى قوله (وقد كفروا) عائد الى ما يعود اليه فى قوله آمنا به قوله (ويقذفون بالغيب) فيه وجوه أحدها أنه قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر وهذا تكلم بالأمر الخفى وقد أتوا به من جهة بعيدة عن حاله لأنهم قد عرفوا منه الأمانة والصدق لا الكذب والزور وثانيها أخذوا الشريك من حالهم فى العجز فانهم يحتاجون فى الأمور العظام الى التعاون

فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا قال بأعمالهم الواحد عشر وفى سبيل الله بالواحد سبعمائة وقوله فى الغرفات آمنون يقول وهم فى غرفات الجنات آمنون من عذاب الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين يسعون فى آياتنا معاجزين أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ يقول تعالى ذكره والذين يعملون فى آياتنا يعنى فى حججنا وآى كتابنا يبتغون ابطاله ويريدون اطفاء نوره معاونين يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا أولئك فى العذاب محضرون يعنى فى عذاب جهنم محضرون يوم القيامة قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده يقول تعالى ذكره قل يا محمد ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة ويقدر على من يشاء منهم فيضيقه ويقتره اهانة له وغير اهانة بل محنة واختبارا وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه يقول وما أنفقتم أيها الناس من نفقة فى طاعة الله فان الله يخلفها عليكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه قال ما كان فى غير اسراف ولا تقتير وقوله وهو خير الرازقين يقول وهو خير من قيل انه يرزق ووصف به وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال فلان يرزق أهله وعياله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعا ثم تقول للملائكة أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا فتتبرأ منهم الملائكة قالوا سبحانك ربنا تنزيها لك وتبرئة مما أضاف اليك هؤلاء من الشركاء والأنداد أنت ولينا من دونهم لا نتخذ وليا دونك بل كانوا يعبدون الجن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون استفهام كقوله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقوله أكثرهم بهم مؤمنون يقول أكثرهم بالجن مصدقون يزعمون أنهم بنات الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون﴾ يقول تعالى ذكره فاليوم لا يملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا فى الدنيا يعبدونكم نفعا ينفعونكم به ولا ضرا ينالونكم به أو تنالونهم به ونقول للذين ظلموا يقول ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة فى غير موضعها وجعلوها لغير من تنبغى أن تكون له ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها فى الدنيا تكذبون فقد وردتموها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بينات يقول واضحات أنهن حق من عندنا قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يقول قالوا عند ذلك لا تتبعوا محمدا

فقاسوا الأمر الالهى عليه وثالثها أنهم قاسوا اقدرة الله على قدرتهم عجزوا عن احياء الموتى فظنوا أن الله لا يقدر على البعث وقياس الخالق على المخلوق بعيد المأخذ ورابعها قاسوا أمر الآخرة على الدنيا قائلين ان كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة وحصول الثواب والعقاب

الأمم لم ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأس الله و (مريب) موقع فى الريب منقول من الاعيان الى المعنى أو ذو ريبة وذلك باعتبار صاحبه وكلاهما مجاز بوجهين وقد مر فى هود ﴿التأويل﴾ مثقال ذرة فى السموات القلوب ولا فى الارض النفوس من سعادة أو شقاوة قالوا الحق يعنى ما فهموا من الهيبة كلامه ولكن يعلمون أنه لا يقول الا الحق قل من يرزقكم من سموات القلوب وأرض النفوس اذا نزل من سماء القلب ماء الفيض على أرض النفس وفيها بذر المعاملات الشرعية ألحقتم به شركاء من الدنيا والهوى والشيطان كافة للناس من أهل الأولين والآخرين فى عالم الأجساد وهو ظاهر وفى عالم الأرواح تبشرها بأن لها كمالا عند الاتصال بالأشباح وتنذرها بالحرمان ان لم تتعلق بالأجسام وذلك أن الأرواح علوية نورانية والأشباح سفلية مظلمة لا يحصل بينهما التعلق الا بالتبشير والانذار فالروح بمثابة البذر والقالب كالأرض وشخص الانسان بمثابة الشجرة والتوحيد والمعرفة ثمرتها والشريعة كالماء والبشير والنذير كالاكار واذا أمعنت النظر وجدت شجرة الموجودات نابتة من بذر روحه صلى الله عليه وسلم وهو ثمرة هذه الشجرة مع جميع الأنبياء والمرسلين ولكن بتبعية محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا حصلت له رتبة الشفاعة دونهم يقولون يعنى أرباب الطلب يستعجلون متى نصل الى الكمال الذى بشرتمونا به ثم بين أن لثمرة كل شجرة وقتا معلوما لا تجاوزه أكثرهم بهم قلنا مؤمنون أى أكثر مدعى الاسلام بأهل الأهواء مؤمنون و يقذفون بالغيب فيه أن معارف الأسرار ومراتب الأحرار لا تصلح لمن هو

فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان و يغير دينكم ودين آبائكم وقالوا ماهذا الا إفك مفترى يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون ماهذا الذى تتلو علينا يا محمد يعنون القرآن إلا إفك يقول إلا كذب مفترى يقول مختلق متخرص وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا إلا سحر مبين يقول جل ثناؤه وقال الكفار للحق يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لما جاءهم يعنى لما بعثه الله نبيا هذا سحر مبين يقول ماهذا الا سحر مبين يبين لمن رآه وتأمله أنه سحر ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير﴾ يقول تعالى ذكره وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم لما جاءهم بآياتنا هذا سحر مبين بما يقولون من ذلك كتبا يدرسونها يقول يقرؤنها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما آتيناهم من كتب يدرسونها أى يقرؤنها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير يقول وما أرسلنا الى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون و يعملون قبلك من نبى ينذرهم بأسنا عليه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن ولا بعث اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وكذب الذين من قبلهم يقول وكذب الذين من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزيلنا وما بلغوا معشار ما آتيناهم يقول ولم يبلغ قومك يا محمد عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدى والبطش وغير ذلك من النعم * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما بلغوا معشار ما آتيناهم من القوة فى الدنيا حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما بلغوا معشار ما آتيناهم يقول ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم من القوة وغير ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما بلغوا معشار ما آتيناهم قال ما بلغ هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم معشار ما آتينا الذين من قبلهم وما أعطيناهم من الدنيا و بسطنا عليهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير يقول فكذبوا رسلى فيما أتوهم به من رسالتى فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم فانظر يا محمد كيف كان نكير يقول كيف كان تغييرى بهم وعقوبتى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك انما أعظكم أيها القوم بواحدة وهى طاعة الله كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله انما أعظكم بواحدة قال بطاعة الله وقوله أن تقوموا لله مثنى وفرادى يقول وتلك الواحدة التى أعظكم بها هى أن تقوموا لله اثنين اثنين (١) وفرادى فرادى فأن فى موضع خفض ترجمة عن الواحدة * و بنحو الذى

(١) لعله وفرادى فرادى أى أن تقوموا اثنين اثنين و واحدا واحدا فتنبه كتبه مصححه

أسير فى أيدى صفات النفس وحيل بينهم لأن الدين ليس بالتمنى والله أعلم بحقائق الأشياء والله الموفق

﴿سورة فاطر مكية حروفها ثلاثة آلاف ومائة وثلاثون كلمها سبعمائة (٧١) وسبع وسبعون آياتها خمس وأربعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الأمور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل

قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن تقوموا لله مثنى وفرادى قال واحدا واثنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى رجلا ورجلين وقيل انما قيل انما أعظكم بواحدة وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى مثنى يقول يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة هل علمتم بمحمد صلى الله عليه وسلم جنونا قط ثم ينفرد كل واحد منكم فيتفكر ويعتبر فردا هل كان ذلك به فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم وقوله ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة يقول لانه ليس بمجنون وقوله ان هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد يقول ما محمد إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها وقوله هو كناية اسم محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شئ شهيد﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لقومك المكذبيك الرادين عليك ما أتيتهم به من عند ربك ما أسألكم من جعل على انذاريكم عذاب الله وتخويفكم به بأسه ونصيحتى لكم فى أمرى اياكم بالايمان بالله والعمل بطاعته فهو لكم لا حاجة لى به وانما معنى الكلام قل لهم انى لم أسألكم على ذلك جعلا فتتهمونى وتظنوا أنى انما دعوتكم الى اتباعى لمال آخذه منكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ما سألتكم من أجر أى جعل فهو لكم يقول لم أسألكم على الاسلام جعلا وقوله ان أجرى الا على الله يقول ما ثوابى على دعائكم الى الايمان بالله والعمل بطاعته وتبليغكم رسالته الا على الله وهو على كل شئ شهيد يقول والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لى به وعلى غير ذلك من الأشياء كلها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك إن ربى يقذف بالحق وهو الوحى يقول ينزله من السماء فيقذفه الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علام الغيوب يقول علام ما يغيب عن الأبصار ولا مظهر لها وما لم يكن مما هو كائن وذلك من صفة الرب غير أنه رفع لمجيئه بعد الخبر وكذلك تفعل العرب اذا وقع النعت بعد الخبر فى أن أتبعوا النعت اعراب ما فى الخبر فقالوا ان أباك يقوم الكريم فرفع الكريم على ما وصفت والنصب فيه جائز لانه نعت للأب فيتبع اعرابه قل جاء الحق يقول قل لهم يا محمد جاء القرآن ووحى الله وما يبدئ الباطل يقول وما ينشئ الباطل خلقا والباطل هو فيما فسره أهل التأويل ابليس وما يعيد يقول ولا يعيده حيا بعد فنائه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان ربى يقذف بالحق أى بالوحى علام الغيوب قل جاء الحق أى القرآن وما يبدئ الباطل وما يعيد والباطل ابليس أى ما يخلق ابليس أحدا ولا يبعثه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب فقرأ بل نقذف بالحق على الباطل الى قوله ولكم الويل مما تصفون قال يزهق الله الباطل ويثبت الله

فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعـون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم (٧٣) ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير

يـأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغـنى الحميـد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعـــزيز ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقـــلة الى حملها لا يحمل منـه شئ ولو كان ذا قربى انمـا تنذر الذين يخشون ربهـم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانمـا يتزكى لنفســه والى المصـير وما يستوى الأعمى والبصـير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشـاء وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت إلا نذير انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة إلا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهـم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفـروا فكيف كان نكير ﴾ ۞ القـرا آت غير الله بالجر يزيد وحمزة وعلى الآخرون بالرفع حملا على المحل فلا تذهب من الاذهاب نفسـك منصوبا يزيد الآخرون بفتح التاء والهاء من الذهاب نفسك مرفوعا الريح على التوحيـد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف ولا ينقص بفتح الياء وضم القاف روح وزيد الباقون بالعكس من عمره باختـلاس الضمة عباس والذين يدعون على الغيبـة قتيبة ۞ الوقوف ورباع ط يشاء ط قدير ه لها ج بعده ط الحكيم ه عليكم ط والأرض ط الاهو ز للاستفهام ولفاء التعقيب

الحق الذى دمغ به الباطل يدمغ بالحق على الباطل فيهلك الباطل ويثبت الحق فذلك قوله قل إن ربى يقـذف بالحق علام الغيوب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ان ضللت فانمـا أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى إنه سميع قريب﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لقومك ان ضللت عن الهدى فسلكت غير طريق الحق فانمـا ضلالى عن الصواب على نفسى يقول فان ضلالى عن الهدى على نفسى ضره وان اهتديت يقول وان استقمت على الحق فبما يوحى الى ربى يقول فبوحى الله الذى يوحى الى وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى وقوله انه سميع قريب يقول ان ربى سميع لمـا أقول لكم حافظ له وهو المجازى لى على صـدقى فى ذلك وذلك منى غير بعيد فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم وما تقولون وما يقوله غيرنا ولكنه قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به أقرب اليه من حبل الوريد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صـلى الله عليه وسلم ولو ترى يا محمد اذ فزعوا واختلف أهل التأويل فى المعنيين بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها هؤلاء المشركون الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصـدكم عمـا كان يعبد آباؤكم قال وعنى بقوله اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب عند نزول نقمة الله بهم فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الى آخر الآية قال هذا من عذاب الدنيا حدثت عن الحسـين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأخذوا من مكان قريب قال هـذا عذاب الدنيا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الى آخر السورة قال هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر نزلت فيهم هذه الآية قال وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم أهـل بدر من المشركين * وقال آخرون عنى بذلك جيش يخسف بهم ببيداء من الارض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد فى قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قال هم الجيش الذى يخسف بهم بالبيداء يبقى منهـم رجل يخبر الناس بمـا لقى أصحابه حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبى قال ثنا سفيان بن سعيد قال ثنى منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمـان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال فبينماهـم كذلك اذ خرج عليهـم السفيانى من الوادى اليابس فى فوره ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشـين جيشا الى المشرق وجيشا الى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل فى المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة ويقتـلون بها ثلثمائة كبش من بنى العبـاس ثم ينحدرون الى الكوفة فيخربون ما حولهـا ثم يخرجون متوجهين الى الشام فتخرج راية هـدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهـم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما فى أيديهم من السبى والغنائم ويخلى جيشـه التالى بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيـداء بعث الله جبريل فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربة

واتحاد المعنى تؤفكون ه قبلك ط الامور ه الغرور ه عدوا ط السعير ه ط لان الذين مبتدأ شديد ه كبير ه حسنا ط لحذف الجواب حسرات ط يصنعون ه موتها ط النشور ه جميعا ط يرفعه ط شديد ه

ضربة يخسف الله بهم فذلك قوله فى سورة سبأ ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الآية ولا ينفلت منهم الا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة فلذلك جاء القول * وعند جهينة الخبر اليقين * حدثنا محمد بن خلف العسقلانى قال سألت روّاد بن الجراح عن الحديث الذى حدّث به عنه عن سفيان الثورى عن منصور عن ربعى عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم عن قصة ذكرها فى الفتن قال فقلت له أخبرنى عن هذا الحديث سمعته من سفيان الثورى قال لا قلت فقرأته عليه قال لا قلت فقرئ عليه وأنت حاضر قال لا قلت فما قصته فما خبره قال جاءنى قوم فقالوا معنا حديث عجيب أوكلام هذا معناه نقرؤه وتسمعه قلت لهم هاتوه فقرؤه علىّ ثم ذهبوا فحدّثوا به عنى أوكلام هذا معناه «قال أبو جعفر» وقد حدثنى ببعض هذا الحديث محمد بن خلف قال ثنا عبد العزيز بن أبان عن سفيان الثورى عن منصور عن ربعى عن حذيفة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم حديث طويل قال رأيته فى كتاب الحسين بن على الصدائى عن شيخ عن روّاد عن سفيان بطوله * وقال آخرون بل عنى بذلك المشركون اذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قوله ولو ترى اذ فزعوا قال فزعوا يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم * وقال قتادة ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب حين عاينوا عذاب الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ابن معقل ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قال أفزعهم يوم القيامة فلم يفوتوا * والذى هو أولى بالصواب فى تأويل ذلك وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه لأن الآيات قبل هذه الآية بالاخبار عنهم وعن أسبابهم وبوعيد الله اياهم مغبته وهذه الآية فى سياق تلك الآيات فلأن يكون ذلك خبرا عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبرا لما لم يجر له ذكر واذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك فتعاينهم حين فزعوا من معاينتهم عذاب الله فلا فوت يقول فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم أو يعجزونا هربا أو ينجوا من عذابنا كما حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت يقول فلا نجاة حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قال لا هرب وقوله وأخذوا من مكان قريب يقول وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب لأنهم حيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون حين عاينوا عذاب الله آمنا به يعنى آمنا بالله وبكتابه ورسوله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقالوا آمنا به قالوا آمنا بالله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا آمنا به عند ذلك يعنى حين عاينوا عذاب الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقالوا آمنا به بعد القتل وقوله وأنى لهم التناوش يقول ومن أىّ وجه لهم التناوش * واختلفت قراء الامصار فى ذلك فقرأته عامة قراء المدينة التناوش بغير همز بمعنى التناول وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة التناؤش بالهمز بمعنى التنؤش وهو الابطاء يقال منه تناءشت الشئ أخذته من بعيد ونشته أخذته من قريب ومن التنؤش قول الشاعر

يبور ٥ أزواجا ط بعلمه ط فى كتاب ط يسير ٥ أجاج ط تلبسونها ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى تشكرون ٥ مسمى ط الملك ط قطمير ٥ دعاءكم ج للشرط مع العطف لكم ط بشرككم ط خبير ٥ الى الله ط لاتفاق الجملتين مع حسن الفصل بين وصفى الخالق والمخلوق الحميد ٥ جديد ٥ ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال بعزيز ٥ أخرى ط لاستئناف الشرط قربى ط الصلاة ط لنفسه ط المصير ٥ والبصير ٥لا ولا النور ٥لا ولا الحرور ٥ ج للطول والتكرار الاموات ط يشاء ج للعطف من الاثبات الى النفى مع اتفاق الجملتين القبور ٥ الانذير ٥ ونذيرا ط نذير ٥ من قبلهم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف المنير ٥ نكير ٥ ۞ التفسير لما بين فى آخر السورة المتقدمة انقطاع رجاء الشاك وعدم قبول توبته فى الآخرة ذكر فى أول هذه السورة حال الموفق المؤمن وبشر بارسال الملائكة اليهم مبشرين وبين أنه يفتح لهم أبواب الرحمة و(فاطر السموات والارض) مبدعهما أوشاقهما لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض يؤيد التفسير الثانى قوله (جاعل الملائكة رسلا) وقوله وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون و(أولى أجنحة) أى أصحاب أجنحة أراد أن طائفة منهم أجنحة كل منهم اثنان اثنان وبعضهم أجنحة كل ثلاثة ثلاثة وبعضهم أجنحة كل أربعة أربعة قال جار الله الذين أجنحتهم ثلاثة ثلاثة

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى * وقد حدثت بعد الأمور أمور

ومن النوش قول الراجز

فهى تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع أجواز الفلا

ويقال للقوم فى الحرب اذا دنا بعضهم الى بعض بالرماح ولم يتلاقوا قد تناوش القوم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان معروفتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى وذلك أن معنى ذلك وقالوا آمنا بالله فى حين لا ينفعهم قيل ذلك فقال الله وأنى لهم التناوش أى وأين لهم التوبة والرجعة أى قد بعدت عنهم فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها وانما وصف ذلك الموضع بالبعيد لأنهم قالوا ذلك فى القيامة فقال الله أنى لهم بالتوبة المقبولة والتوبة المقبولة انما كانت فى الدنيا وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيدا من الآخرة فبأية القراءتين اللتين ذكرت قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك وقد يجوز أن يكون الذين قرؤا ذلك بالهمز همزوا وهم يريدون معنى من لم يهمز ولكنهم همزوه لانضمام الواو فقلبوها كما قيل واذا الرسل أقتت فجعلت الواو من وقتت اذ كانت مضمومة همزة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التميمى قال قلت لابن عباس أرأيت قول الله وأنى لهم التناوش قال يسألون الرد وليس بحين رد حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس نحوه حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنى لهم التناوش يقول فكيف لهم بالرد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنى لهم التناوش قال الرد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد وأنى لهم التناوش قال التناول من مكان بعيد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد قال هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم وقرأ ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به الآية قال التناوش التناول أنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد وقد تركوها فى الدنيا قال وهذا بعد الموت فى الآخرة * قال وقال ابن زيد فى قوله وقالوا آمنا به بعد القتل وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقرأ ولا الذين يموتون وهم كفار قال ليس لهم توبة وقال عرض الله عليهم أن يتوبوا مرة واحدة فيقبلها الله منهم فأبوا ويعرضون التوبة بعد الموت قال فهم يعرضونها فى الآخرة خمس عرضات فيأبى الله أن يقبلها منهم قال والتائب عند الموت ليست له توبة ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الآية وقرأ ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قوله وأنى لهم التناوش قال وأنى لهم الرجعة وقوله من مكان بعيد يقول من آخرتهم الى الدنيا كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من مكان بعيد من الآخرة الى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) يقول تعالى ذكره وقد كفروا به يقول وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم ومعاينتهم اياه من الاقالة له وذلك الايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقد كفروا به من قبل أى

لعل الثالث منها فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله لغير الطيران فلقد رأيت فى بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما فى الامر من أمور الله عز وجل وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبرائيل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى أن اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل لعظمة الله سبحانه وتعالى حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير ويجوز أن يخالف حال الملائكة حال الطيور فى الطيران كالحيوان الذى يدب بأرجل كثيرة ويجوز أن يكون البعض للزينة ويجوز أن يكون كل جناح ذا شعب وقال الحكيم الجناحان اشارة الى جهتين جهة الأخذ من الله وجهة الاعطاء لمن دونهم باذن الله كقوله نزل به الروح الأمين على قلبك علمه شديد القوى فالمدبرات أمرا ومنهم من يفعل بواسطة فلهم ثلاث جهات أو أكثر على حسب الوسائط ثم بين كمال قدرته بقوله (يزيد فى الخلق ما يشاء) والظاهر أنه عام يتناول كل زيادة فى كل أمر يعتبر فى الصورة كحسن الوجه والخط والصوت ونحوهما أو فى المعنى كحصافة العقل وجزالة الرأى وسماحة النفس وذلاقة اللسان وغير ذلك من الاخلاق الفاضلة ثم أكد نفاذ امره وجريان الامور على وفق

بالايمان فى الدنيا وقوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد يقول وهم اليوم يقذفون بالغيب مجدا من مكان بعيد يعنى أنهم يرجمونه وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والاوهام فيقول بعضهم هو ساحر وبعضهم شاعر وغير ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال قولهم ساحر بل هو كاهن بل هو شاعر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويقذفون بالغيب من مكان بعيد أى يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال بالقرآن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب﴾ يقول تعالى ذكره وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب فقالوا آمنا به وبين ما يشتهون حينئذ من الايمان بما كانوا به فى الدنيا قبل ذلك يكفرون ولا سبيل لهم اليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى اسمعيل بن حفص الأبلى قال ثنا المعتمر عن أبى الأشهب عن الحسن فى قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان بالله حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عبد الصمد قال سمعت الحسن وسئل عن هذه الآية وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان حدثنى ابن أبى زياد قال ثنا يزيد قال ثنا أبو الأشهب عن الحسن وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان حدثنا أحمد بن عبد الصمد الانصارى قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال من الرجوع الى الدنيا ليتوبوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحيل بينهم وبين ما يشتهون كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها فى الدنيا حين عاينوا ما عاينوا حدثنا الحسن بن واضح قال ثنا الحسن بن حبيب قال ثنا أبو الأشهب عن الحسن فى قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان * وقال آخرون معنى ذلك وحيل بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد وزهرة الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى * قال ثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال من مال أو ولد أو زهرة حدثنى يونس قال قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال فى الدنيا التى كانوا فيها والحياة وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لأن القوم انما تمنوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا ما أخبر الله عنهم أنهم تمنوه وقالوا آمنا به فقال الله وأنى لهم التناوش ذلك من مكان بعيد وقد كفروا من قبل ذلك فى الدنيا فاذا كان ذلك كذلك فلأن يكون قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون خبرا عن أنه لا سبيل لهم الى ما تمنوه أولى من أن يكون خبرا عن غيره وقوله كما فعل بأشياعهم من قبل يقول فعلنا بهؤلاء المشركين فحلنا بينهم وبين ما يشتهون من الايمان بالله عند نزول سخط الله بهم ومعاينتهم بأسه كما فعلنا بأشياعهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفار الأمم فلم نقبل منهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما لم تقبل فى مثل ذلك الوقت من ضربائهم والأشياع جمع شيع وشيع جمع شيعة فأشياع جمع الجمع وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

مشيئته بقوله (ما يفتح الله للناس) الآية وفيها دلالة على أن رحمته سبقت غضبه من جهة تقديم الرحمة ومن جهة بيان الضمير فى القرينة الأولى بقوله (من رحمة) والاطلاق فى قوله (وما يمسك) فيشمل امساك الغضب وامساك الرحمة ومن جهة قوله (من بعده) أى من بعد امساكه فيفيد أن الرحمة اذا جاءته لم يكن لها انقطاع وان ضدها قد ينقطع وان كان لا يقطعه الا الله ولهذا لا يخرج أهل الجنة من الجنة وقد يخرج أهل النار من النار (وهو العزيز) الغالب على ارسال الرحمة وامساكها (الحكيم) الذى لا يمسك ولا يرسل الا عن علم كامل وصلاح شامل وحيث بين أن الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة المستدعية للحمد على التفصيل أمر المكلفين بتذكر النعمة على الاجمال لسانا وقلبا وعملا ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيادى عندك يريد حفظها وشكرها والعمل بموجبها وعن ابن عباس أن الناس أهل مكة أسكنهم حرمه ويتخطف الناس من حولهم وعنه أيضا أنه أراد بالنعمة العافية والظاهر تعميم النعمة والمنعم عليهم ثم أشار الى نعمة الايجاد بقوله (هل من خالق غير الله) والى نعمة الابقاء بقوله (يرزقكم) وهو نعت خالق أو مستأنف أو تفسير لمضمر والتقدير هل يرزقكم خالق يرزقكم قال جار الله ان جعلت يرزقكم كلاما مستأنفا ففيه دليل على أن الخالق لا يطلق الا على الله عز وجل وأما على الوجهين الآخرين فلا اذ لا يلزم من نفى خالق رازق غيره نفى خالق غيره مطلقا وقوله (لا اله

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح كما فعل باشياعهم من قبل قال الكفار من قبلهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كما فعل باشياعهم من قبل أي في الدنيا كانوا اذا عاينوا العذاب لم يقبل منهم ايمان وقوله انهم كانوا في شك مريب يقول تعالى ذكره وحيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله وبين الايمان انهم كانوا قبل في الدنيا في شك من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاينوه وقد أخبرهم نبيهم أنهم ان لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون من الكفر بالله وعبادة الاوثان أن الله مهلكهم ومحل بهم عقوبته في عاجل الدنيا وآجل الآخرة قبل نزوله بهم مريب يقول موجب لصاحبه الذي هو به ما يريبه من مكروه من قولهم قد أراب الرجل اذا أتى ريبة وركب فاحشة كما قال الراجز

ياقوم مالي وأبا ذؤيب * كنت اذا أتوته من غيب
يشم عطفي ويبز ثوبي * كأنما أربته بريب

يقول كأنما أتيت اليه ريبة

آخر تفسير سورة سبأ

(تفسير سورة فاطر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله تعالى (الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير) يقول تعالى ذكره الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة الا له ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السموات السبع والارض جاعل الملائكة رسلا الى من يشاء من عباده وفيما شاء من أمره ونهيه أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يقول أصحاب أجنحة يعني ملائكة فمنهم من له اثنان من الأجنحة ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع قال بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة

واختلف أهل العربية في علة ترك اجراء مثنى وثلاث ورباع وهي ترجمة عن أجنحة وأجنحة نكرة فقال بعض نحويي البصرة ترك اجراؤهن لأنهن مصروفات عن وجوههن وذلك أن مثنى مصروف عن اثنين وثلاث عن ثلاثة ورباع عن أربعة فصرف نظير عمر وزفر اذ صرف هذا عن عامر الى عمر وهذا عن زافر الى زفر وأنشد بعضهم في ذلك

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس المدبر

وقال آخر منهم لم يصرف ذلك لانه يوهم به الثلاثة والاربعة قال وهذا لا يستعمل الا في حال العدد وقال بعض نحويي الكوفة هن مصروفات عن المعارف لان الالف واللام لا تدخلها والاضافة لا تدخلها قال ولو دخلتها الاضافة والالف واللام لكانت نكرة وهي ترجمة عن النكرة قال وكذلك ما كان في القرآن مثل أن تقوموا لله مثنى وفرادى. وكذلك وحاد وأحاد وما أشبهه من مصروف العدد وقوله يزيد في الخلق ما يشاء وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك

من

الاهو) جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في غير وجه الوصف اذ لو جعلت وصفا لزم التناقض لان قولك هل من خالق آخر سوى الله اثبات لله ولو جعلت المنفية وصفا صار تقدير الكلام هل من خالق آخر سوى الله لا إله الا ذلك الخالق فلزم نقض الاثبات المذكور مع أن الكلام في نفسه يكون غير مستقيم (فأنى تؤفكون) أي كيف تصرفون عن هذا الظاهر فتشركون المنعوت بمالك الملك والملكوت وحين بين الأصل الاول وهو التوحيد ذكر الأصل الثاني وهو الرسالة بقوله (وان يكذبوك) الآية والمراد إن يكذبوك فتسل بهذا المعنى ثم بين الأصل الثالث وهو الحشر بقوله (يا أيها الناس) وقد مر مثل الآية في آخر سورة لقمان وقد يسبق الى الظن ههنا أن الغرور هو الشيطان لانه عقبه بقوله (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) لان الحازم لا يقبل قول العدو ولا يعتمد عليه ثم صرح بوجه اتخاذه وبعاقبة دعوته فقال (انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) ثم فصل مآل حال حزبه وحزب الله بقوله (الذين كفروا) الى قوله (وأجر كبير) عرض على العقول انه لا سواء بين الحزبين والمعنى (أفمن زين له سوء عمله) من الفريقين كمن لم يزين له ولا ريب أن المزين لهم عملهم هم أهل الاهواء والبدع الذين لا مستند لهم في مأخذهم سوى التقليد واتباع الهوى ثم أنتج من ذلك قوله (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وذلك أن الناس متساوية الاقدام في الانسانية ومتفاوتة الأحوال في الأعمال فتبين أنه

من الأجنحة على الآخر ما يشاء ونقصانه عن الآخر ما أحب وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه وينقص ما شاء من خلق ما شاء له الخلق والامر وله القدرة والسلطان ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء ونقصان ما شاء منه ممن شاء وغير ذلك من الاشياء كلها لا يمتنع عليه فعل شئ أراده سبحانه وتعالى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده فما يفتح الله للناس من خير فلا مغلق له ولا ممسك عنهم لان ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم فلا فاتح له سواه لأن الامور كلها اليه وله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما يفتح الله للناس من رحمة أي من خير فلا ممسك لها فلا يستطيع أحد حبسها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقال تعالى ذكره فلا ممسك لها فأنث ما لذكر الرحمة من بعده وقال وما يمسك فلا مرسل له من بعده فذكر للفظ ما لأن لفظه لفظ مذكر ولو أنث في موضع التذكير للمعنى وذكر في موضع التأنيث للفظ جاز ولكن الأفصح من الكلام التأنيث اذا ظهر بعد ما يدل على تأنيثها والتذكير اذا لم يظهر ذلك وقوله وهو العزيز الحكيم يقول وهو العزيز في نقمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته الحكيم في تدبير خلقه وفتحه لهم الرحمة اذا كان فتح ذلك صلاحا وامساكه اياه عنهم اذا كان امساكه حكمة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش يا أيها الناس اذكروا نعمة الله التي أنعمها عليكم بفتحه لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السموات والارض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها يرزقكم من السماء والارض فتعبدوه دونه لا اله الا هو يقول لا معبود تنبغي له العبادة الا الذي فطر السموات والارض القادر على كل شئ الذي بيده مفاتح الاشياء وخزائنها ومغالق ذلك كله فلا تعبدوا أيها الناس شيأ سواه فانه لا يقدر على نفعكم وضركم سواه فله فأخلصوا العبادة واياه فأفردوا بالألوهة فأنى تؤفكون يقول فأى وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضركم تصرفون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأنى تؤفكون يقول الرجل انه ليؤفك عني كذا وكذا وقد بينت معنى الأفك وتأويل قوله تؤفكون فيما مضى بشواهده المغنية عن تكريره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الأمور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزننك ذلك ولا يعظم عليك فان ذلك سنة أمثالهم من كفرة الأمم بالله من قبلهم وتكذيبهم رسل الله التي أرسلها اليهم من قبلك ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا امثالهم فيتبعوا في تكذيبك منهاجهم ويسلكوا سبيلهم والى الله ترجع الامور يقول تعالى ذكره والى الله مرجع أمرك وأمرهم فمحل بهم العقوبة ان هم لم ينيبوا الى طاعتنا في اتباعك والاقرار بنبوتك وقبول ما دعوتهم اليه من النصيحة نظير ما أحللنا بنظرائهم من الأمم المكذبة رسلها قبلك ومنجيك وأتباعك من ذلك سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

لااستقلال وأن أفعال العباد مستندة الى إرادة مصرف القلوب والأحوال ثم رتب على عدم الاستقلال قوله (فلا تذهب) أي فلا تهلك (نفسك) و(عليهم) صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا أو هو بيان للتحسر عليه ولا يتعلق بحسرات المفعول لأجله لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته وجوز جار الله أن يكون حالا كأن كل نفسه صارت حسرات لفرط التحسر وعن الزجاج أن تقدير الآية أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم فحذف لدلالة المذكور وهو فلا تذهب عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لأن قوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء يدل عليه ثم بين أن حزنه ان كان لما بهم من الضلال فالله عالم بهم وبما يصنعون لو أراد منهم الايمان لآمنوا وان كان لما بهم من الايذاء فالله عليم بفعلهم فيجازيهم ذلك ثم أكد كونه فاعلا مختارا قادرا قهارا مبدئا معيدا بقوله (والله الذي أرسل) وهو من الالتفات الموجب للتهويل والتعظيم وقوله (فتثير) بلفظ المستقبل تصويرا لتلك الحالة العجيبة الشأن عرف نفسه بفعل الارسال ثم قال فسقناه كأنه قال أنا الذي عرفتني بمثل هذه السياقة والصناعة وأنعمت عليك بهذه النعمة الشاملة ثم شبه البعث والنشور بالصنع المذكور ووجهه ظاهر وحين بين برهان الايمان أشار الى ما كان يمنع الكفار منه وهو العزة الظاهرة التي كانوا يتوهمونها من حيث ان معبوديهم كانت تحت تسخيرهم والرسول كان يدعوهم الى الايمان

ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك يعزى نبيه كما تسمعون وقوله يا أيها الناس ان وعد الله حق يقول تعالى ذكره لمشركي قريش المكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان وعد الله اياكم بأسه على اصراركم على الكفر به وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حق فأيقنوا بذلك وبادروا حلول عقوبته بكم بالتوبة والانابة الى طاعة الله والايمان به وبرسوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا يقول فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا ورياستكم التي تترأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والايمان ولا يغرنكم بالله الغرور يقول ولا يخدعنكم بالله الشيطان فيمنيكم الأماني ويعدكم من الله العدات الكاذبة ويحملكم على الاصرار على كفركم بالله كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ولا يغرنكم بالله الغرور يقول الشيطان ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ يقول تعالى ذكره ان الشيطان الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره اياكم بالله لكم عدو فاتخذوه عدوا يقول فأنزلوه من أنفسكم منزل العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم اياه حذركم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته فانه انما يدعو حزبه يعني شيعته ومن أطاعه الى طاعته والقبول منه والكفر بالله ليكونوا من أصحاب السعير يقول ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فانه لحق على كل مسلم عداوته وعداوته أن يعاديه بطاعة الله انما يدعو حزبه وحزبه أولياؤه ليكونوا من أصحاب السعير أي ليسوقهم الى النار فهذه عداوته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقال هؤلاء حزبه من الانس يقول أولئك حزب الشيطان والحزب ولاته الذين يتولاهم ويتولونه وقرأ ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾ يقول تعالى ذكره الذين كفروا بالله ورسوله لهم عذاب من الله شديد وذلك عذاب النار وقوله والذين آمنوا يقول والذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه لهم مغفرة من الله لذنوبهم وأجر كبير وذلك الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لهم مغفرة وأجر كبير وهي الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون﴾ يقول تعالى ذكره أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان فرآه حسنا فحسب سيئ ذلك حسنا وظن أن قبحه جميل لتزيين الشيطان ذلك له ذهبت نفسك عليهم حسرات وحذف من الكلام ذهبت نفسك عليهم حسرات اكتفاء بدلالة قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات منه وقوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء يقول فان الله يخذل من يشاء عن الايمان به واتباعك وتصديقك فيضله عن الرشاد الى الحق في ذلك ويهدي من يشاء يقول ويوفق من يشاء للايمان به واتباعك والقبول منك فتهديه الى سبيل الرشاد فلا تذهب نفسك عليهم حسرات يقول فلا تهلك نفسك حزنا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك

وبنحو

لطاعة الله وطاعة أنبيائه فكأنه قال ان كنتم تطلبون حقيقة العزة (فلله العزة) خاصة كلها فلتطلبوها من عنده ومن عند أوليائه نظيره قولك من أراد النصيحة فهي عند الأبرار يريد فليطلبها عندهم فاعتبر في هذه الآية حرف النهاية وأما في قوله فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين فاعتبر الوسائط فالعزة للمؤمنين بواسطة الرسول وله من رب العزة ثم ان الكفار كأنهم قالوا نحن لا نعبد من لا نراه ولا نحضر عنده فان البعد من الملك ذلة فقال (اليه يصعد) أي ان كنتم لا تصلون اليه فهو يسمع كلامكم ويقبل الطيب منها وذلك آية العزة وأما هذه الأصنام فلا يتبين عندها الذليل من العزيز اذ لا حياة لها ولا شعور وهكذا العمل الصالح لا تراه هذه الأصنام فلا يمكن لها مجازاة الأنام وفاعل قوله (يرفعه) ان كان هو الله فظاهر وان كان الكلم أعني قوله لا اله الا الله فمعناه أنه لا يقبل عمل الا من موحد وان كان هو العمل فالمعنى أن الكلم وهو كل كلام فيه ذكر الله أو رضاه يريد الصعود الى الله الا أنه لا يستطيع الصعود ولا يقع موقع القبول الا اذا كان مقرونا بالعمل الصالح عن النبي صلى الله عليه وسلم الكلم الطيب هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل منه وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر ولا يخفى أن القول هو الاصل والعمل مؤكده فلهذا قدم القول وحين بين

و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء و يهدي من يشاء قال قتادة والحسن الشيطان زين لهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أي لا يحزنك ذلك عليهم فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات قال الحسرات الحزن وقرأ قول الله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ووقع قوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء موضع الجواب وانما هو منبع الجواب لأن الجواب هو المتروك الذي ذكرت فاكتفي به من الجواب لدلالته على الجواب ومعنى الكلام واختلفت القراء في قراءة قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فقرأته قراء الأمصار سوى أبي جعفر المدني فلا تذهب نفسك بفتح التاء من تذهب ونفسك برفعها وقرأ ذلك أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء من تذهب ونفسك بنصبها بمعنى لا تذهب أنت يا محمد نفسك والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان الله عليم بما يصنعون يقول تعالى ذكره ان الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم وهو محصيه عليهم ومجازيهم به جزاءهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) يقول تعالى ذكره والله الذي أرسل الرياح فتثير السحاب للحيا والغيث فسقناه الى بلد ميت يقول فسقناه الى بلد مجدب الأهل محل الارض داثر لا نبت فيه ولا زرع فأحيينا به الارض بعد موتها يقول فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الارض التي سقناه اليها بعد جدوبها وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل كذلك النشور يقول تعالى ذكره هكذا ينشر الله الموتى بعد بلائهم في قبورهم فيحييهم بعد فنائهم كما أحيينا هذه الارض بالغيث بعد مماتها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله قال يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون فليس من بني آدم إلا وفي الارض منه شيء قال فيرسل الله ماء من تحت العرش منيا كمني الرجل فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك كما تنبت الارض من الثرى ثم قرأ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت الى قوله كذلك النشور قال ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والارض فينفخ فيه فتنطلق كل نفس الى جسدها فتدخل فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا قال يرسل الرياح فتسوق السحاب فأحيا الله به هذه الارض الميتة بهذا الماء فكذلك يبعثه يوم القيامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) اختلف أهل التأويل في معنى قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا فقال بعضهم معنى ذلك من كان يريد العزة بعبادة الآلهة والأوثان فان العزة لله جميعا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله من كان يريد العزة يقول من كان يريد العزة بعبادته الآلهة فان العزة لله جميعا * وقال آخرون معنى ذلك من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا يقول فليتعزز

حال العمل الصالح ذكر ان المكرات السيئات بائرة كاسدة لا حقيقة لها ولعله أشار بها الى مكرات قريش المذكورات في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك أو يخرجوك جمع الله مكراتهم فقلبها عليهم حين أوقعهم في قليب بدر ولما ذكر دليل الآفاق أكده بدليل الأنفس قائلا (والله خلقكم من تراب) وفيه اشارة الى خلق آدم (ثم من نطفة) وفيه اشارة الى خلق أولاده ومعنى (أزواجا) أصنافا أو ذكرانا واناثا ثم أشار الى كمال علمه بقوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) ثم بين نفوذ ارادته بقوله (وما يعمر من معمر) قال جار الله معناه من أحد ولكنه سماه معمرا باعتبار ما يؤول اليه وليس المراد تعاقب التعمير وخلافه على شخص واحد وانما المراد تعاقبهما على شخصين فتسومح في اللفظ تعويلا على فهم السامع كقول القائل ما تنعمت بكذا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وتأويل آخر وهو أن يراد لا يطول عمر انسان ولا ينقص من عمر ذلك الانسان بعينه (الا في كتاب) وصورته أن يكتب في اللوح ان حج أو وصل الرحم فعمره أربعون سنة وان جمع بين الامرين فعمره ستون فاذا جمع بينهما فعمره ستين كان الغاية واذا أفرد فعمر أربعين فقد نقص من تلك الغاية وبهذا التأويل يستبين معنى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار ويصح ما استفاض على الألسن أطال الله بقاءك وعن سعيد بن جبير

بطاعة الله * وقال آخرون بل معنى ذلك من كان يريد علم العزة لمن هى فانها لله جميعا كلها أى كل وجه من العزة لله * والذى هو أولى الأقوال بالصواب عندى قول من قال من كان يريد العزة فبالله فليتعزز فلله العزة جميعا دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان وانما قلت ذلك أولى بالصواب لان الآيات التى قبل هذه الآية جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان وتوبيخه اياهم ووعيده لهم عليها فأولى بهذه أيضا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك فكانت قصتها شبيهة بقصتها وكانت فى سياقها وقوله اليه يصعد الكلم الطيب يقول تعالى ذكره الى الله يصعد ذكر العبد اياه وثناؤه عليه والعمل الصالح يرفعه يقول ويرفع ذكر العبد ربه اليه عمله الصالح وهو العمل بطاعته وأداء فرائضه والانتهاء الى ما أمره به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن اسمعيل الأحمسى قال أخبرنى جعفر بن عون عن عبد الرحمن ابن عبد الله المسعودى عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال قال لنا عبد الله اذا حدثنا كم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله ان العبد المسلم اذا قال سبحان الله وبحمده الحمد لله لا اله الا الله والله أكبر تبارك الله أخذهن ملك يجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن الى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه الرحمن ثم قرأ عبد الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا سعيد الجريرى عن عبد الله بن شقيق قال قال كعب ان لسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر لدويا حول العرش كدوى النحل يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح فى الخزائن حدثنى يونس قال ثنا سفيان عن ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب الأشعرى قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال العمل الصالح يرفع الكلم الطيب حدثنى على ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال الكلام الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه فمن ذكر الله سبحانه فى أداء فرائضه حمل عليه ذكر الله فصعد به الى الله ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال العمل الصالح يرفع الكلام الطيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال قال الحسن وقتادة لا يقبل الله قولا الا بعمل من قال وأحسن العمل قبل الله منه وقوله والذين يمكرون السيئات يقول تعالى ذكره والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنى سعيد عن قتادة قوله والذين يمكرون السيآت لهم عذاب شديد قال هؤلاء أهل الشرك وقوله ومكر أولئك هو يبور يقول وعمل هؤلاء المشركين يبور فيبطل فيذهب لأنه لم يكن لله فلم ينفع عامله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومكر أولئك هو يبور أى يفسد حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب ومكر أولئك هو يبور قال هم أصحاب الرياء حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن أبى عامر قال ثنا جعفر الاحمر عن شهر بن حوشب فى قوله ومكر أولئك هو يبور

يكتب فى الصحيفة ان عمره كذا سنة ثم يكتب بعد ذلك فى آخرها ذهب يوم ذهب يومان حتى تنقضى المدة وعن قتادة المعمر من بلغ ستين والمنقوص من عمره من يموت قبل الستين وذلك فى علم الله (ان ذلك) الذى ذكر من خلق الانسان من المادة المذكورة أو الزيادة فى الأعمار أو النقصان منها (على الله يسير) ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر وذكر دليلا آخر على عظم قدرته فقال (وما يستوى البحران) الاية على الأول يكون قوله ومن كل تأكلون الى آخر الآية تقريرا للنعمة على سبيل الاستطراد أو هو من تمام التشبيه كأنه شبه الجنسين بالبحرين ثم فضل البحر الأجاج على الكافر لانه شارك العذب فى استخراج السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه وأما الكافر فلا نفع فيه البتة فيكون كقوله فى البقرة ثم قست قلوبكم الى آخر قوله وان منها لما يهبط من خشية الله والأشبه أن الآية تقرير دليل مستأنف كما مر فى أول النحل يؤيده تعقيبه بدليل آخر وهو قوله (يولج الليل) الى قوله (أجل مسمى) قد مر فى آخر لقمان مثله وفيه رد على عبدة الكواكب الذين ينسبون حوادث هذا العالم الى الكواكب بالذات لا الى تسخير مبدعها قوله (ذلكم الله) أى الذى فعل الأشياء المذكورة من فطر السموات والأرض وارسال الرياح وخلق الانسان من التراب وغير ذلك هو المعبود الحق وقوله (ربكم له الملك) خبران آخران ويجوز أن يكون الله ربكم خبرين وله الملك جملة مبتدأة واقعة

قال هم أصحاب الرياء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومكر أولئك هو يبور قال بار فلم ينفعهم ولم ينتفعوا به وضرهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير﴾ يقول تعالى ذكره والله خلقكم أيها الناس من تراب يعنى بذلك أنه خلق أباهم آدم من تراب فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقا ثم من نطفة يقول ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة ثم جعلكم أزواجا يعنى أنه زوج منهم الأنثى من الذكر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله خلقكم من تراب يعنى آدم ثم من نطفة يعنى ذريته ثم جعلكم أزواجا فزوج بعضكم بعضا وقوله وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه يقول تعالى ذكره وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة الا وهو عالم بحملها اياه ووضعها وما هو ذكر أو أنثى لا يخفى عليه شئ من ذلك وقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه وما يعمر من معمر فيطول عمره ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذى عمر عمرا طويلا الا فى كتاب عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه وقبل أن تضعه قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه لا يزاد فيما كتب له ولا ينقص ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما يعمر من معمر الى يسير يقول ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له وانما ينتهى الى الكتاب الذى قدرت له لا يزاد عليه وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر ولكن ينتهى الى الكتاب الذى قدرت له لا يزاد عليه فذلك قوله ولا ينقص من عمره الا فى كتاب يقول كل ذلك فى كتاب عنده حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول من قضيت له أن يعمر حتى يدركه الكبر أو يعمر أنقص من ذلك فكل بالغ أجله الذى قد قضى له كل ذلك فى كتاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب قال ألا ترى الناس الانسان يعيش مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا. فالهاء التى فى قوله ولا ينقص من عمره على هذا التأويل وان كانت فى الظاهر أنها كناية عن اسم المعمر الأول فهى كناية اسم آخر غيره وانما حسن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأول وذلك كقولهم عندى ثوب ونصفه والمعنى ونصف الآخر * وقال آخرون بل معنى ذلك وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره بفناء ما فنى من أيام حياته فذلك هو نقصان عمره والهاء على هذا التأويل للعمر الأول لأن معنى الكلام ما يطول عمر أحد ولا يذهب من عمره شئ فينقص إلا وهو فى كتاب عند الله مكتوب قد أحصاه وعلمه ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب قال ما يقضى من أيامه التى عددت له الا فى كتاب * وأولى التأويلين فى ذلك عندى بالصواب التأويل الأول وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه وأشبههما بظاهر التنزيل وقوله إن ذلك على الله يسير يقول تعالى ذكره ان احصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل طويل ذلك وقصيره لا يتعذر عليه شئ منه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا

فى طبقات قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) وذلك أن المشركين كانوا معترفين بأن الأصنام ليسوا خالقين وانما كانوا يقولون انه تعالى فوض أمور الأرضيات الى الكواكب التى هذه الاصنام صورها وطوالعها فأخبر الله تعالى أنهم لا يملكون قطميرا وهو القشرة الرقيقة للنواة فضلا عما فوقها قال جار الله يجوز فى حكم الاعراب ايقاع اسم الله تعالى صفة لاسم الاشارة أو عطف بيان وربكم خبرا لولا أن المعنى يأباه فقيل لأن ذلك اشارة الى معلوم سبق ذكره وكونه صفة أو عطف بيان يقتضى أن يكون فيما سبق ضرب ابهام قلت وفيه نظر أما أولا فلأن اسم الله من قبيل الأعلام لا من قبيل أسماء الأجناس فكيف يجوز جعله صفة وأما ثانيا فلأنه على تقدير التجويز يكون صفة مدح فلا ينافى كون المشار اليه معلوما والوجه الصحيح فى إباء المعنى هو أن الوصف اذا كان معرفة كان أمرا متحققا فى الخارج مسلما عند السامع مثلا اذا قلت الرجل الكاتب جاءنى تريد الرجل الذى تعرفه أيها السامع أنه كاتب جاءنى لكن الخطاب ههنا مع الكفار وهم يجحدون المعبود الحق أو يجحدون أن العبادة لا تصلح الا له فلا يصح ايقاع اسم الله وصفا لذلكم والخطاب معهم ثم زاد فى توبيخ الكفرة بقوله (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) لأنهم جماد

من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره وما يعتدل البحران فيستويان أحدهما عذب فرات والفرات هو أعذب العذب وهذا ملح أجاج يقول والآخر منهما ملح أجاج وذلك هو ماء البحر الأخضر والأجاج المرّ وهو أشدّ المياه ملوحة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهذا ملح أجاج والأجاج المرّ وقوله ومن كل تأكلون لحما طريا يقول ومن كل البحار تأكلون لحما طريا وذلك السمك من عذبهما الفرات وملحهما الأجاج وتستخرجون حلية تلبسونها يعني الدر والمرجان تستخرجونها من الملح الأجاج وقد بينا قبل وجه تستخرجون حلية وإنما يستخرج من الملح فيما مضى بما أغنى عن اعادته وترى الفلك فيه مواخر يقول تعالى ذكره وترى السفن في كل تلك البحار مواخر تمخر الماء بصدورها وذلك خرقها إياه اذا مرت واحدتها ماخرة يقال منه مخرت تمخر وتمخر مخرا وذلك اذا شقت الماء بصدورها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن كل تأكلون لحما طريا أي منهما جميعا وتستخرجون حلية تلبسونها هذا اللؤلؤ وترى الفلك فيه مواخر فيه السفن مقبلة ومدبرة بريح واحدة حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وترى الفلك فيه مواخر يقول جوارى وقوله لتبتغوا من فضله يقول لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معايشكم ولتتصرفوا فيها في تجاراتكم وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم وما رزقكم منه من طيبات الرزق وفاخر الحلى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾ يقول تعالى ذكره يدخل الليل في النهار وذلك ما نقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه ويولج النهار في الليل وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد في أجزاء الليل فأدخله فيها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل زيادة هذا في نقصان هذا ونقصان هذا في زيادة هذا حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يقول هو انتقاص أحدهما من الآخر وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يقول وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم ورحمة منه بكم لتعلموا عدد السنين والحساب وتعرفوا الليل من النهار وقوله كل يجرى لأجل مسمى يقول كل ذلك يجرى لوقت معلوم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى أجل معلوم وحدّ لا يقصر دونه ولا يتعدّاه وقوله ذلكم الله ربكم يقول الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لا تصلح العبادة إلا له وهو الله ربكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلكم الله ربكم له الملك أي هو الذي يفعل هذا وقوله له الملك يقول تعالى ذكره له الملك التام الذي لا شئ إلا وهو في ملكه وسلطانه وقوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير يقول تعالى ذكره والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات الذي له الملك الكامل الذي لا يشبهه ملك صفته ما يملكون من قطمير يقول ما يملكون قشر نواة فما فوقها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عمن حدثه عن ابن عباس

ولو فرض سماعهم (ما استجابوا لكم) لما مرّ من أنهم لا يملكون شيأ (ويوم القيامة) أيضا (يكفرون بشرككم) قائلين ما كنتم إيانا تعبدون (ولا ينبئك) أي لا يطلعك على حقيقة الحال أيها النبي أو أيها السامع (مثل خبير) ببواطن الأمور والمعنى أن هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأني خبير بما أخبرت به ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل عالم به وفيه أنه الخبير بالأمر وحده وفيه أن هذا الخبر مما لا يعرف بمجرد المعقول لولا اخبار الله سبحانه ثم بين أن نفع العبادة انما يعود على المكلفين فقال (يأيها الناس أنتم الفقراء) ومعنى تعريف الخبر القصد الى أنهم جلس الفقراء مبالغة وذلك أن افتقار الانسان الى الله عاجلا لأمور المعاش وآجلا لنعيم الآخرة أبين من افتقار سائر المخلوقين اليه وقيل ان كون الناس فقراء أمر ظاهر لا يخفى على أحد فلهذا عرف كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا ثم بين أن فقرهم ليس الا الى الله فقابل الفقراء بقوله (والله هو الغنيّ) وقابل قوله الى الله بقوله (الحميد) لأنه اذا أنعم عليهم استحق الحمد منهم ثم ذكر أنه غنى عن وجودهم أيضا لا يفتقر في ظهور أثر قدرته اليهم فقال (ان يشأ يذهبكم) وقد مرّ في النساء وفي ابراهيم وحين بين الحق بالدلائل الباهرة أراد أن يذكر ما يدعوهم الى النظر فيه فقال (ولا تزر وازرة) يعني أن النفوس الوازرات لا ترى واحدة

فى قوله ما يملكون من قطمير قال هو جلد النـواة حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من قطمير يقول الجلد الذى يكون على ظهر النواة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ما يملكون من قطمير يعنى قشر النواة حدثنى محمـد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنـا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله من قطمير قال لفافة النواة كسحاة البيضة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ما يملكون من قطمير والقطمير القشرة التى على رأس النواة حدثنا عمرو بن عبد الحميـد قال ثنـا مروان بن معاوية عن جويبر عن بعض أصحابه فى قوله ما يملكون من قطمير قال هو القمع الذى يكون على التمرة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا مرة عن عطية قال القطمير قشر النواة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما اسـتجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ قوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما اسـتجابوا لكم يقول تعالى ذكره ان تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهـة التى تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم لأنها جمـاد لا تفهم عنكم ما تقولون ولو سمعوا ما استجابوا لكم يقول ولو سمعوا دعاءكم اياهم وفهموا عنكم أنها قولكم بأن جعل لهم سمع يسمعون به ما استجابوا لكم لأنها ليست ناطقة وليس كل سامع قولا متيسرا له الجواب عنه يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهـة والأوثان فكيف تعبـدون من دون الله من هـذه صفته وهو لا نفع لكم عنـده ولا قدرة له على ضرّكم وتدعون عبـادة الذى بيـده نفعكم وضرّكم وهو الذى خلقكم وأنعم عليكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم أى ما قبلوا ذلك عنكم ولا نفعوكم فيه وقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التى تعبـدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكا فى الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويوم القيامة يكفرون بشرككم اياهم ولا يرضون ولا يقرّون به وقوله ولا ينبئك مثل خبير يقول تعالى ذكره ولا يخـبرك يا محمد عن آلهـة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عبدتها يوم القيامة من تبرئها منهم وكفرها بهـم مثل ذى خبرة بأمرها وأمرهم وذلك الخبـير هو الله الذى لا يخفى عليـه شئ كان أو يكون سبحانه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا ينبئك مثل خبير والله هو الخبير انه سيكون هذا منهـم يوم القيامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يـأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنىّ الحميد﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر الى ربكم فاياه فاعبـدوا وفى رضاه فسارعوا يغنكم من فقـركم وتنجح لديه حوائجكم والله هو الغنىّ عن عبادتكم اياه وعن خدمتكم وعن غير ذلك من الأشـياء منكم ومن غيركم الحميد يعنى المحمود على نعمه فان كل نعمة بكم وبغيركم فمنـه فله الحمـد والشكر بكل حال ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى انمـا تنذر الذين يخشون ربهـم بالغيب وأقاموا الصـلوة ومن تزكى فانمـا يتزكى لنفسـه والى الله المصير﴾ يقول تعالى ذكره ان يشأ يهلككم أيهـا الناس ربكم لأنه أنشأكم من غير

منهن الا حاملة وزرها الا وزر غيرها ولا ينافى هذا قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم لان وزر الاضلال هو وزر النفس الوازرة أيضا وفيـه أن كل نفس وازرة مهمومة بهمّ وزرهـا متحيرة فى أمرها ثم زاد فى التهويل بقوله (وان تدع مثقلة) أى نفس ذات حمـل (لا يحمل منه شئ) فان عدم قضاء الحاجة بعـد السؤال أفظع ثم زاد التأكيد بقوله (ولو كان) أى المدعو (ذا قربى) فان عدم القضاء بعـد السؤال من القريب من أب وولد أدل على شـدّة الأمر فيعلم منه أن لا غياث يومئذ أصـلا ثم بين أن هذه الانذارات انمـا تفيد أهل الخشية والطاعة حال كونهـم غائبين عن العذاب أو حال كون العذاب غائبا عنهم ثم لما بين أن الوزر لا يتعدى الى الغـير بين أن التطهر عن الذنوب لا يفيـد الا النفس المتزكى (والى الله المصير) لكل فيجزيهم على حسب ذلك ثم ضرب للكافر والمؤمن مثلا فقـال (وما يسـتوى الأعمى والبصير) وقيـل انه مثل للصنم وللمعبود الحق ثم ذكر للكفر والايمان مثلا قائلا (ولا الظلمات ولا النور) واذا كان الايمـان نورا والمؤمن بصيرا فلا يخفى عليه النور واذا كان الكفر ظلمة والكافر أعمى فله صادّ فوق صادّ ثم بين لمآلهما ومرجعهما مثـلا وهو الظل والحرور وقال أهل اللغة السموم يكون بالنهار والحرور أعم وقال بعضهم الحرور يكون بالليـل فالمؤمن بايمـانه كمن هو

ماحاجة به اليكم ويأت بخلق جديد يقول ويأت بخلق سواكم يطيعونه ويأتمرون لأمره وينتهون عمانهاهم عنه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد أى ويأت بغيركم وقوله وماذلك على الله بعزيز يقول وما إذهابكم والاتيان بخلق سواكم على الله بشديد بل ذلك عليه يسير سهل يقول فاتقوا الله أيها الناس وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك وقوله ولاتزر وازرة وزر أخرى يقول تعالى ذكره ولاتحمل آثمة إثم أخرى غيرها وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ ولو كان ذاقربى يقول تعالى وان تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيأ منها ولو كان الذى سألته ذاقرابة من أب أو أخ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولاتزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ ولو كان ذاقربى يقول يكون عليه وزر لايجد أحدا يحمل عنه من وزره شيأ حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ كنحو لاتزر وازرة وزر أخرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تدع مثقلة الى حملها الى ذنوبها لايحمل منه شئ ولو كان ذاقربى أى قريب القرابة منها لايحمل من ذنوبها شيأ ولاتحمل على غيرها من ذنوبها شيأ ولاتزر وازرة وزر أخرى ونصب ذاقربى على تمام كان لأن معنى الكلام ولو كان الذى تسأله أن يحمل عنها ذنوبها ذاقربى لها وأنثت مثقلة لأنه ذهب بالكلام الى النفس كأنه قيل وان تدع نفس مثقلة من الذنوب الى حمل ذنوبها وانما قيل كذلك لأن النفس تؤدى عن الذكر والأنثى كما قيل كل نفس ذائقة الموت يعنى بذلك كل ذكر وأنثى وقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انما تنذر يامحمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله فهؤلاء الذين ينفعهم انذارك ويتعظون بمواعظك لاالذين طبع الله على قلوبهم فهم لايفقهون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب أى يخشون النار وقوله وأقاموا الصلاة يقول وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على مافرضها الله عليهم وقوله ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه يقول تعالى ذكره ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة الى الله والايمان به والعمل بطاعته فانما يتطهر لنفسه وذلك أنه يثيبها به رضا الله والفوز بجنانه والنجاة من عقابه الذى أعده لأهل الكفر به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه أى من يعمل صالحا فانما يعمله لنفسه وقوله والى الله المصير يقول والى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس مؤمنكم وكافركم وبركم وفاجركم وهو مجاز جميعكم بما قدم من خير أوشر على ما أهل منه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومايستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ومايستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وماأنت بمسمع من فى القبور ان أنت الانذير﴾ يقول تعالى ذكره ومايستوى الأعمى عن دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والبصير الذى قد أبصر فيه رشده فاتبع محمدا وصدقه وقبل عن الله ماابتعثه به ولا الظلمات يقول وماتستوى ظلمات الكفر ونور الايمان ولا الظل قيل ولا الجنة

فى ظل وراحة والكافر فى كفره كمن هو فى حر وتعب * وههنا مسائل الأولى ضرب أولا مثلا للكافر والمؤمن ثم أعاد مثلهما بقوله (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) وهذا أبلغ لأن الأعمى والبصير قد يشتركان فى ادراك أشياء ولا كذلك الحى والميت ولمكان هذه المبالغة أعاد الفعل * الثانية كرر لا النافية فى الأمثال الأخيرة دون الأول لأن المنافاة بين العمى والبصر ليست ذاتية كما فى سائرها وقد يكون شخص واحد بصيرا باحدى العينين أعمى بالأخرى * الثالثة قدم الأشرف فى مثلين وهو الظل والحى وأخره فى الآخرين فهم أهل الظاهر أن ذلك لرعاية الفواصل والمحققون قالوا انهم كانوا قبل البعث فى ظلمة الضلال فصاروا الى نور الايمان فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلهذا الترتيب قدم مثل الكافر وكفره على مثل المؤمن وايمانه ولما ذكر المآل والمرجع قدم مايتعلق بالرحمة على مايتعلق بالغضب لأن رحمته سبقت غضبه ثم ان الكافر المصر بعد البعثة صار أضل من الأعمى وشابه الأموات فى عدم ادراك الحق فقال ومايستوى الأحياء أى المؤمن الذى آمن بما أنزل الله والأموات الذين تليت عليهم الآيات ولم تنجع فيهم البينات فأخرهم عن المؤمنين لوجود حياتهم قبل ممات الكافرين المعاندين * الرابعة انما وحد الأعمى والبصير لأن المراد أن أحد الجنسين

ولا الحرور قيل النار كأن معناه عندهم وما تستوى الجنة والنار والحرور بمنزلة السموم وهى الرياح الحارة وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى عن رؤبة بن العجاج أنه كان يقول الحرور بالليل والسموم بالنهار وأما أبو عبيدة فانه قال الحرور فى هذا الموضع بالنهار مع الشمس وأما الفراء فانه كان يقول الحرور يكون بالليل والنهار والسموم لا يكون بالليل انما يكون بالنهار والقول فى ذلك عندى أن الحرور يكون بالليل والنهار غير أنه فى هذا الموضع بأن يكون كما قال أبو عبيدة أشبه مع الشمس لأن الظل انما يكون فى يوم شمس فذلك يدل على أنه أريد بالحرور الذى يوجد فى حال وجود الظل وقوله وما يستوى الأحياء ولا الأموات يقول وما يستوى الأحياء القلوب بالايمان بالله ورسوله ومعرفة تنزيل الله والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه ولا تعرف الهدى من الضلال وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والايمان والكافر والكفر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما يستوى الأعمى والبصير الآية قال هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية يقول وما يستوى الأعمى والظلمات والحرور ولا الأموات فهو مثل أهل المعصية ولا يستوى البصير ولا النور ولا الظل والأحياء فهو مثل أهل الطاعة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما يستوى الأعمى الآية خلقا فضل بعضه على بعض فأما المؤمن فعبد حى حى الأثر حى البصر حى النية حى العمل وأما الكافر فعبد ميت ميت البصر ميت القلب ميت العمل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات قال هذا مثل ضربه الله فالمؤمن بصير فى دين الله والكافر أعمى كما لا يستوى الظل ولا الحرور ولا الأحياء ولا الأموات فكذلك لا يستوى هذا المؤمن الذى يبصر دينه ولا هذا الأعمى وقرأ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال الهدى الذى هداه الله به ونور له هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذى يبصر دينه وهذا الكافر الأعمى فجعل المؤمن حيا وجعل الكافر ميتا ميت القلب أومن كان ميتا فأحييناه قال هديناه الى الاسلام كمن مثله فى الظلمات أعمى القلب وهو فى الظلمات أهذا وهذا سواء * واختلف أهل العربية فى وجه دخول لا مع حرف العطف فى قوله ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور فقال بعض نحويى البصرة قال ولا الظل ولا الحرور فيشبه أن تكون لا زائدة لأنك لو قلت لا يستوى عمرو ولا زيد فى هذا المعنى لم يجز إلا أن تكون لا زائدة وكان غيره يقول اذا لم تدخل لا مع الواو فانما لم تدخل اكتفاء بدخولها فى أول الكلام فاذا أدخلت فانه يراد بالكلام أن كل واحد منهما لا يساوى صاحبه فكان معنى الكلام اذا أعيدت لا مع الواو عند صاحب هذا القول لا يساوى الأعمى البصير ولا يساوى البصير الأعمى فكل واحد منهما لا يساوى صاحبه وقوله ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور يقول تعالى ذكره كما لا يقدر أن يسمع من فى القبور كتاب الله فيهديهم به الى سبيل الرشاد فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده عن معرفة الله وفهم كتابه وتنزيله وواضح حججه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع وقوله ان أنت الا نذير يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

لا يساوى جنس الآخر من جهة العمى والبصر ولعل فردا من أحدهما قد يساوى الفرد الآخر من جهة أخرى وكذا الكلام فى إفراد الظل والحرور وانما جمع الظلمات ووحد النور لما مر فى أول الأنعام من تحقيق أن الحق واحد والشبهات كثيرة وانما جمع الأحياء والاموات لان المراد أن أحد الصنفين لا يساوى الآخر سواء قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد * الخامسة لا يخفى أن هذه الواوات بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها ضمت وترا الى وتر ثم سلى رسوله بقوله (ان الله يسمع) الآية فقد مر نظيره فى قوله انك لا تسمع الموتى وانما اقتصر على قوله (ان أنت الا نذير) وكذا فى قوله (الا خلا فيها نذير) لأن الكلام فى معرض التهديد مع أن ذكر البشير يدل عليه بل ذكر النذير يدل على مقابله والمراد بالنذارة آثارها لثبوت زمان الفترة ثم زاد فى التسلية بقوله (وان يكذبوك) وقد مر مثله فى آخر آل عمران وانما حذف الفاعل هنالك لبناء الكلام هنالك على الاقتصار دليله أنه قال وان يكذبوك فقد كذب فاقتصر على لفظ المضى ولم يسم الفاعل ويحتمل أن يكون لفظ الماضى اشارة الى وقوع التكذيب منهم فان تلك السورة مدنية والله أعلم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود

ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم ولم يرسلك ربك إليهم إلا لتبلغهم رسالته ولم يكلفك من الامر ما لا سبيل لك اليه فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به فان ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد غيرك من الناس فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان هم لم يستجيبوا لك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة إلا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إنا أرسلناك يا محمد بالحق وهو الايمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده بشيرا يقول مبشرا بالجنة من صدّقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة ونذيرا تنذر الناس من كذبك وردّ عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة وان من أمة إلا خلا فيها نذير يقول وما من أمة من الأمم الدائنة بملة إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان من أمة إلا خلا فيها نذير كل أمة كان لها رسول

وقوله وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم يقول تعالى ذكره مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يلقى من مشركي قومه من التكذيب وان يكذبك يا محمد مشركو قومك فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم الذين جاءتهم رسلهم بالبينات يقول بحجج من الله واضحة وبالزبر يقول وجاءتهم بالكتب من عند الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بالبينات والزبر أي الكتب وقوله وبالكتاب المنير يقول وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله وتدبره أنه الحق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وبالكتاب المنير يضعف الشيء وهو واحد وقوله ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير يقول تعالى ذكره ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا وحقيقة ما دعوهم اليه من آياتنا وأصرّوا على جحودهم فكيف كان نكير يقول فانظر يا محمد كيف كان تغييري بهم وحلول عقوبتي بهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثا فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها يقول فسقيناه أشجارا في الأرض فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفا ألوانها منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك من ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر يقول تعالى ذكره ومن الجبال طرائق وهي الجدد وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود كالطرق واحدتها جدّة ومنه قول امرئ القيس في صفة حمار

كأن سراته وجدّة متنه * كنائن يجري فوقهن دليص

يعني بالجدة الخطة السوداء تكون في متن الحمار وقوله مختلف ألوانها يعني مختلف ألوان الجدد وغرابيب سود وذلك من المقدم الذي هو بمعنى التأخير وذلك أن العرب تقول هو أسود غربيب اذا وصفوه بشدّة السواد وجعل السواد ههنا صفة للغرابيب وقوله ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة وغير ذلك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أحمر وأخضر وأصفر ومن الجبال جدد بيض أي طرائق بيض وحمر مختلف

ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والأرض انه عليم بذات الصدور هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني

ألوانها أي جبال حمر وبيض وغرابيب سود هو الأسود يعني لونه كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومن الجبال جدد بيض طرائق بيض وحمر وسود وكذلك الناس مختلف ألوانهم حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك قوله ومن الجبال جدد بيض قال هي طرائق حمر وسود وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء يقول تعالى ذكره انما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء بقدرته على ما يشاء من شئ وأنه يفعل ما يريد لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما يخشى الله من عباده العلماء قال الذين يعلمون أن الله على كل شئ قدير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما يخشى الله من عباده العلماء قال كان يقال كفى بالرهبة علما وقوله ان الله عزيز غفور يقول تعالى ذكره ان الله عزيز في انتقامه ممن كفر به غفور لذنوب من آمن به وأطاعه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يقرؤن كتاب الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم وأقاموا الصلاة يقول وأدوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها وقال وأقاموا الصلاة بمعنى ويقيموا الصلاة وقوله وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية يقول وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سرًّا في خفاء وعلانية جهارا وانما معنى ذلك أنهم يؤدون زكاة ذلك المفروضة ويتطوعون أيضا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه وقوله يرجون تجارة لن تبور يقول تعالى ذكره يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور لن تكسد ولن تهلك من قولهم بارت السوق اذا كسدت وبار الطعام وقوله تجارة جواب لأول الكلام وقوله ليوفيهم أجورهم يقول يوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا ويزيدهم من فضله يقول وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل وكان مطرف بن عبد الله يقول هذه آية القراء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عمرو بن عاصم قال ثنا معتمر عن أبيه عن قتادة قال كان مطرف اذا مر بهذه الآية ان الذين يتلون كتاب الله يقول هذه آية القراء حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يزيد عن مطرف بن عبد الله أنه قال في هذه الآية ان الذين يتلون كتاب الله الى آخر الآية قال هذه آية القراء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان مطرف بن عبد الله يقول هذه آية القراء ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وقوله انه غفور شكور يقول ان الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم شكور لحسناتهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه غفور شكور انه غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير﴾ يقول تعالى ذكره والذي أوحينا اليك من الكتاب يا محمد وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه هو الحق يقول هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت الى غيرك مصدقا لما بين يديه يقول هو يصدق ما مضى بين يديه فصار أمامه من الكتب التي أنزلتها الى من قبلك من الرسل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله فهل ينظرون الا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الأرض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا﴾

۞ القراآت يدخلونها مجهولا أبو عمرو ويجزى مجهولا غائبا كل بالرفع أبو عمرو الباقون بالنون مبينا للفاعل كل بالنصب ومكر السيئ بهمزة ساكنة حمزة استثقالا للحركات وحمله النحويون على الاختلاس واذا وقف يبدل من الهمزة ياء ساكنة ۞ الوقوف ماء ج للعدول ألوانها الأولى ج سود ٥ كذلك ط العلماء ط غفور ٥ لن تبور ٥ فضله ط شكور ٥ يديه ط بصير ٥ عبادنا ج

عن قتادة قوله والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه للكتب التى خلت قبله وقوله ان الله بعباده لخبير بصير يقول تعالى ذكره ان الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الكتاب الذى ذكر الله فى هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده ومن المصطفون من عباده والظالم لنفسه فقال بعضهم الكتاب هو الكتب التى أنزلها الله من قبل الفرقان والمصطفون من عباده أمة محمد صلى الله عليه وسلم والظالم لنفسه أهل الاجرام منهم ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم أورثنا الكتاب الى قوله الفضل الكبير هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى عن يزيد بن الحرث عن شقيق عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود أنه قال هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول ماهؤلاء وهو أعلم تبارك وتعالى فتقول الملائكة هؤلاء جاؤا بذنوب عظام الا أنهم لم يشركوا بك فيقول الرب أدخلوا هؤلاء فى سعة رحمتى وتلا عبد الله هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا عون قال ثنا عبد الله بن الحرث بن نوفل قال ثنا كعب الأحبار أن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم فى الجنة ألم تر أن الله قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله كل كفور حدثنى على بن سعيد الكندى قال ثنا عبد الله بن المبارك عن عوف عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال سمعت كعبا يقول فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال كلهم فى الجنة وتلا هذه الآية جنات عدن يدخلونها حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية الفزارى عن عوف بن أبى جبلة قال ثنا عبد الله بن الحرث بن نوفل قال ثنا كعب أن الظالم من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم فى الجنة ألم تر أن الله قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم قال قال كعب فهؤلاء أهل النار حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن عوف قال سمعت عبد الله بن الحرث يقول قال كعب أن الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات من هذه الأمة كلهم فى الجنة ألم تر أن الله يقول ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا حتى بلغ قوله جنات عدن يدخلونها حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا حميد عن اسحق بن عبد الله بن الحرث عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله باذن الله فقال تماست مناكبهم ورب الكعبة ثم أعطوا الفضل بأعمالهم حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن أبى اسحق السبيعى فى هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا قال قال أبو اسحق أما ما سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج * قال ثنا عمرو عن محمد بن الحنفية قال انها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد فى الجنات عند الله والسابق بالخيرات فى الدرجات عند الله * وقال آخرون الكتاب الذى أورث هؤلاء القوم هو

لنفسه ج مقتصد ج تفصيلا بين الجمل مع النسق باذن الله ط الكبير ه ط لأن ما بعده مبتدأ لا بدل ولؤلؤا ج لاختلاف الجملتين حرير ه الحزن ط شكور ه فضله ج لاحتمال الاستئناف والحال لغوب ه جهنم ج لمثل ماقلنا عذابها ط كفور ه ج لاحتمال الواو والحال فيها ج للقول المحذوف كأنه نعمل ط النذير ه نصير ه والأرض ط الصدور ه فى الأرض ط كفره ط مقتا ج وان اتفقت الجملتان ولكن لتكرار الفعل وتصريح الفاعل والمفعول فى الثانية خسارا ه دون الله ط السموات ج لاحتمال أن أم منقطعة منه ج غرورا ه تزولا ج لابتداء ما فى معنى القسم مع الواو من بعده ط غفورا ه الأمم ج نفورا ه لا ومكر السيئ ط بأهله ط الأولين ج لانتهاء الاستفهام مع اتصال الفاء تبديلا ه ج تحويلا ه قوة ط فى الأرض ط قديرا ه مسمى ج بصيرا ه ﴿ التفسير لما بين دلائل الوحدانية بطريق الاخبار ذكر دليلا آخر بطريق الاستخبار لأن الشئ اذا كان خفيا ولا يراه من بحضرتك كان معذورا أما اذا كان بارزا مكشوفا فانك تقول أماتراه والمخاطب إما كل أحد أو النبى صلى الله عليه وسلم لأن السيد اذا نصح بعض العباد ولم ينفعهم الارشاد قال لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا ويكرر معه ماذكره مع الأول والالتفات

شهادة أن لا اله الا الله والمصطفون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم والظالم لنفسه منهم هو المنافق وهو في النار والمقتصد والسابق بالخيرات في الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو عمار الحسين ابن حريث المروزى قال ثنا الفضل بن موسى عن حسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة عن عبد الله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال اثنان في الجنة وواحد في النار حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى آخر الآية قال جعل أهل الايمان على ثلاثة منازل كقوله أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين والسابقون السابقون أولئك المقربون فهم على هذا المثال حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد الآية قال الاثنان في الجنة وواحد في النار وهى بمنزلة التى في الواقعة وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال والسابقون السابقون حدثنا سهل بن موسى قال ثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال هم أصحاب المشأمة ومنهم مقتصد قال هم أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات قال هم السابقون من الناس كلهم حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية قال قال عوف قال الحسن أما الظالم لنفسه فانه هو المنافق سقط هذا وأما المقتصد والسابق بالخيرات فهما صاحبا الجنة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن عوف قال قال الحسن الظالم لنفسه المنافق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا شهادة أن لا اله الا الله فمنهم ظالم لنفسه هذا المنافق في قول قتادة والحسن ومنهم مقتصد قال هذا صاحب اليمين ومنهم سابق بالخيرات قال هذا المقرب قال قتادة كان الناس ثلاث منازل في الدنيا وثلاث منازل عند الموت وثلاث منازل في الآخرة أما الدنيا فكانوا (١) مؤمن ومنافق ومشرك وأما عند الموت فان الله قال فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وأما في الآخرة فكانوا أزواجا ثلاثة وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال هم أصحاب المشأمة ومنهم مقتصد قال أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات قال فهم السابقون من الناس كلهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال سقط هذا ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال سبق هذا بالخيرات وهذا مقتصد على أثره * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال عنى بقوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الكتب التى أنزلت من قبل الفرقان فان قال قائل وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتلون غير كتابهم ولا يعملون الا بما فيه من الأحكام والشرائع قيل ان معنى ذلك على غير الذى ذهبت اليه وانما معناه ثم أورثنا الايمان بالكتاب الذين اصطفينا فمنهم مؤمنون

في (فأخرجنا) لان نزول الماء يمكن أن يقال انه بالطبع ولكن الاخراج لا يمكن الا بارادة الله وأيضا الاخراج أتم نعمة من الانزال لأن انزال المطر لفائدة الاخراج واختلاف ألوان الثمرات اختلاف أصنافها أو هيآتها والجدد الخطط والطرائق فعلة بمعنى مفعولة والجد القطع قال جار الله لا بد من تقدير مضاف أى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر مختلف ألوانها في البياض والحمرة لأن الأبيض قد يكون على لون الجص وقد يكون أدنى من ذلك وكذلك الحمرة والغرابيب تأكيد للسود الا أنه أضمر المؤكد أولا ثم أظهر ثانيا على طريقة قوله * والمؤمن العائذات الطير * وانما لم يتصور اختلاف الألوان ههنا لأن السواد اذا كان في الغاية لم يكن بعدها لون يقال أسود غربيب للذى أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ويمكن أن يقال ان المختلف صفة الحمر فقط وحين فرغ من دلائل النبات وما يشبه المعادن شرع في الاستدلال بالحيوان وقدم الانسان لشرفه ثم ذكر الدواب على العموم ثم خصص الأنعام أو أراد بالدابة الفرس فجعله لشرفه رديف الانسان وقوله (مختلف) أى بعض مختلف (ألوانه) وذكر الضمير تغليبا للانسان أو نظرا الى البعض وقوله (كذلك) أى كاختلاف الجبال والثمرات وفيه أن هذه الأجناس كما أنها في أنفسها دلائل

(١) كذا في الدر أيضا مؤمن الخ بالرفع والخطب سهل كتبه مصححه

بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان فانه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله و باتباع من جاء به وذلك عمل من اقر بمحمد صلى الله عليه وسلم و بما جاء به وعمل بما دعاه اليه بما فى القرآن و بما فى غيره من الكتب التى أنزلت قبله وانما قيل عنى بقوله ثم أورثنا الكتاب الكتب التى ذكرنا لأن الله جل ثناؤه قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ثم أتبع ذلك قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا فكان معلوما اذ كان معنى الميراث انما هو انتقال معنى من قوم الى آخرين ولم تكن أمة على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم انتقل اليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته أن ذلك معناه واذ كان ذلك كذلك فبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته وأما الظالم لنفسه فانه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصى التى هى دون النفاق والشرك عندى أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله جنات عدن يدخلونها فعم بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة فان قال قائل فان قوله يدخلونها انما عنى به المقتصد والسابق قيل له وما برهانك على أن ذلك كذلك من خبر أو عقل فان قال قيام الحجة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار ولو لم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد وجب أن لا يكون لأهل الايمان وعيد قيل انه ليس فى الآية خبر أنهم لا يدخلون النار وانما فيها اخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عدن وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله اياه على ذنوبه التى أصابها فى الدنيا وظلمه نفسه فيها بالنار أو بما شاء من عقابه ثم يدخله الجنة فيكون ممن عمه خبر الله جل ثناؤه بقوله جنات عدن يدخلونها وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك أخبار وان كان فى أسانيدها نظر مع دليل الكتاب على صحته على النحو الذى بينت ذكر الرواية الواردة بذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن الأعمش قال ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد فجلس الى جنب أبى الدرداء فقال اللهم آنس وحشتى وارحم غربتى و يسر لى جليسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لأنا أسعد به منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته ذكر هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيصيبه فى ذلك المكان من الغم والحزن فذلك قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الوليد بن المغيرة أنه سمع رجلا من ثقيف حدث عن رجل من كنانة عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم فى الجنة وعنى بقوله الذين اصطفينا من عبادنا الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبيناهم وقوله فمنهم ظالم لنفسه يقول فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا من يظلم نفسه بركوبه المآثم واجترامه المعاصى واقترافه الفواحش ومنهم مقتصد وهو غير المبالغ فى طاعة ربه وغير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه حتى يكون عمله فى ذلك قصدا ومنهم سابق بالخيرات وهو المبرز الذى قد تقدم المجتهدين فى خدمة ربه وأداء ما لزمه من فرائضه فسبقهم بصالح الأعمال وهى الخيرات التى قال الله جل ثناؤه باذن الله يقول بتوفيق الله اياه لذلك وقوله ذلك هو الفضل الكبير يقول

فهى باختلافها أيضا دلائل وحين خاطب نبيه بقوله ألم تر بمعنى ألم تعلم أتبعه قوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) كأنه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن نظر فى دلائله فعرفه حق معرفته أو أراد أن يعرفه كنه معرفته لأن الخشية على حسب العلم بنعوت كماله وصفات جلاله وفى الحديث أعلمكم بالله أشدكم خشية له وفائدة تقديم المفعول أن يعلم أن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم ولو أخر المفعول كان معنى صحيحا وهو أنهم لا يخشون أحدا الا الله الا أن ذلك غير مراد ههنا وعن عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبى حنيفة أنهما قرآ برفع الله ونصب العلماء فتكون الخشية مستعارة للتعظيم أى لا يعظم الله ولا يجل من الرجال الا العلماء به ثم بين السبب الباعث على الخشية بقوله (ان الله عزيز غفور) فالعزة توجب الخوف من أليم عقابه والمغفرة توجب الطمع فى نعيمه وثوابه وفيه أن خوف المؤمن ينبغى أن يكون مخلوطا برجائه ثم مدح العالمين العاملين بقوله (ان الذين يتلون) الآية قال اهل التحقيق قوله انما يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله ان الذين يتلون أى يداومون على التلاوة اشارة الى عمل اللسان وقوله (وأقاموا الصلاة) اشارة الى عمل الجوارح والكل أقسام التعظيم لأمر الله ثم أشار الى الشفقة على خلق الله بقوله

تعالى ذكره سبوق هذا السابق من سبقه بالخيرات باذن الله هو الفضل الكبير الذى فضل به من كان مقصرا عن منزلته فى طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ جنات يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ﴾ يقول تعالى ذكره بساتين اقامة يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة يحلون فيها من أساور من ذهب يلبسون فى جنات عدن أسورة من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير يقول ولباسهم فى الجنة حرير وقوله وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن اختلف أهل التأويل فى الحزن الذى حمد الله على اذهابه عنهم هؤلاء القوم فقال بعضهم ذلك الحزن الذى كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار اذ كانوا خائفين ان يدخلوها ذكر من قال ذلك حدثنى قتادة بن سعيد بن قتادة السدوسى قال ثنا معاذ بن هشام صاحب الدستوائى قال ثنا أبى عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال حزن النار حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال ان المؤمنين قوم ذلل ذلت والله الأسماع والأبصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم مرض وانهم لأصحة القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والحزن والله ما حزنهم حزن الدنيا ولا تعاظم فى أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار وانه من لا يتعز بعزاء الله يقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله عليه نعمة الا فى مطعم أو مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه * وقال آخرون عنى به الموت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية فى قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال الموت * وقال آخرون عنى به حزن الخبز ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص يعنى ابن حميد عن شمر قال لما أدخل الله أهل الجنة الجنة قالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال حزن الخبز * وقال آخرون عنى بذلك الحزن من التعب الذى كانوا فيه فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال كانوا فى الدنيا يعملون وينصبون وهم فى خوف أو يحزنون * وقال آخرون بل عنى بذلك الحزن الذى ينال الظالم لنفسه فى موقف القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش قال ذكر أبو ثابت أن أبا الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أما الظالم لنفسه فيصيبه فى ذلك المكان من الغم والحزن فذلك قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وخوف دخول النار من الحزن والجزع من الموت من الحزن والجزع من الحاجة الى المطعم من الحزن ولم يخصص الله اذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على اذهابه الحزن عنهم نوعا دون نوع بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك وكذلك ذلك لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك فحمدهم على اذهابه عنهم جميع معانى الحزن وقوله ان ربنا لغفور شكور يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة ان ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم فساترها عليهم بعفوه لهم عنها شكور لهم على طاعتهم

(وأنفقوا مما رزقناهم) وقوله (يرجون) وهو خبر إن اشارة الى الاخلاص فى العقائد والأعمال أى ينفقون من الأموال لا ليقال انه كريم أو لغرض آخر بل لتجارة لا كساد فيها ولا بوار وهى طلب مرضاة الله وقوله (ليوفيهم) متعلق بلن تبور أى تنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده أجورهم وجوز جار الله أن يجعل يرجون فى موضع الحال واللام متعلق بالافعال المتقدمة أى فعلوا جميع ما ذكر من التلاوة والاقامة والانفاق لغرض التوفية وخبر إن قوله (انه غفور) لهم (شكور) لأعمالهم وحين ذكر دلائل الوحدانية أتبعه بيان الرسالة وذكر حقيقة الكتاب المتلو والكتاب للجنس فمن للتبعيض أو هو القرآن ومن للتبيين أو هو اللوح المحفوظ ومن للابتداء وقد مر فى البقرة أن قوله مصدقا حال مؤكدة وفى قوله (ان الله بعباده لخبير بصير) تقرير لكونه حقا لأن الذى يكون عالما بالبواطن والظواهر لم يمكن أن يكون فى كلامه شوب باطل وفيه لم يختر محمدا للرسالة جزافا وعلى سبيل الاتفاق ولكنه أعلم حيث يجعل رسالته قوله (ثم أورثنا الكتاب) زعم جمع من المفسرين أن الكتاب للجنس بدليل قوله فيما قبل جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر والايراث الاعطاء والمصطفون من عبيده هم الأنبياء كأنه قال علمنا البواطن وأبصرنا الظواهر فاصطفينا عبادا ثم أورثناهم الكتاب وعلى هذا

اياه وصالح ماقدّموا فى الدنيا من الأعمال وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان ربنا الغفور شكور لحسناتهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر إن ربنا الغفور شكور غفر لهم ما كان من ذنب وشكر لهم ما كان منهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين أدخلوا الجنة ان ربنا الغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة أى ربنا الذى أنزلنا هذه الدار يعنون الجنة فدار المقامة دار الاقامة التى لا نقلة معها عنها ولا تحوّل والميم اذا ضمت من المقامة فهى من الاقامة فاذا فتحت فهى من المجلس والمكان الذى يقام فيه قال الشاعر

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الأعداء تأويب

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الذى أحلنا دار المقامة من فضله أقاموا فلا يتحوّلون وقوله لا يمسنا فيها نصب يقول لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع ولا يمسنا فيها لغوب يعنى باللغوب العناء والاعياء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبيد قال ثنا موسى بن عمير عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب قال اللغوب العناء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يمسنا فيها نصب أى وجع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله ورسوله لهم نار جهنم يقول لهم نار جهنم مخلدين فيها لاحظ لهم فى الجنة ولا نعيمها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لهم نار جهنم لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا لأنهم لو ماتوا لاستراحوا ولا يخفف عنهم من عذابها يقول ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم باماتتهم فيخفف ذلك عنهم كما حدثنى مطرف بن عبد الله الضبى قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا أبو هلال الراسبى عن قتادة عن أبى السوداء قال مساكين أهل النار لا يموتون لو ماتوا لاستراحوا حدثنى عقبة بن سنان القزاز قال ثنا غسان بن مضر قال ثنا سعيد ابن يزيد وحدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن يزيد وحدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا بشر بن المفضل ثنا أبو سلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون لكن ناسا أو كما قال تصيبهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فيميتهم اماتة حتى اذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة فجىء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أهل الجنة فقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية فان قال قائل وكيف قيل ولا يخفف عنهم من عذابها وقد قيل فى موضع آخر كلما خبت زدناهم سعيرا قيل معنى ذلك ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب وقوله كذلك نجزى كل كفور يقول تعالى ذكره هكذا يكافئ كل جحود لنعم ربه يوم القيامة بأن يدخلهم نار جهنم بسيآتهم التى قدّموها فى الدنيا وقوله وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل يقول تعالى ذكره هؤلاء الكفار يستغيثون ويضجون فى النار يقولون يا ربنا أخرجنا نعمل

فالمراد بالظلم على النفس وضع الشئ فى غير موضعه وان كان بترك الاولى ومنه قول أبينا آدم ربنا ظلمنا أنفسنا وقول يونس انى كنت من الظالمين واذا كان الظلم بهذا المعنى جائزا عليهم فالاقتصاد أولى ويجوز أن يعود الضمير فى قوله فمنهم الى الأمة كأنه قيل ان الذى أوحينا اليك هو الحق وأنت المصطفى كما اصطفينا رسلنا وآتيناهم كتبا فمن قومك ظالم كفر بك وبما أنزل اليك ومقتصد آمن به ولم يأت بجميع ما أمر به وسابق آمن وعمل صالحا وقال أكثرهم انه القرآن والايراث الحكم بالتوريث أو هو على عادة اخبار الله فى التعبير عن المستقبل بالماضى لتحققه أى نريد أن نورثه والمصطفون هم الصحابة والتابعون ومن بعدهم الى يوم القيامة كقوله كنتم خير أمة وكذلك جعلناكم أمة وسطا وعلى هذا ففى تفسير المراتب الثلاثة أقوال أحدها الظالم الراجح السيئات والمقتصد المتساوى الحسنات والسيئات والسابق راجح الحسنات ثانيها الظالم من ظاهره خير من باطنه والمقتصد المتساوى والسابق من باطنه خير ثالثها الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المعصوم رابعها عن على رضى الله عنه الظالم أنا والمقتصد أنا والسابق أنا فقيل له وكيف ذاك قال أنا ظالم بمعصيتى ومقتصد بتوبتى وسابق بمحبتى خامسها الظالم التالى للقرآن غير العالم به ولا العامل بموجبه والمقتصد

صالحا أى نعمل بطاعتك غير الذى كنا نعمل قبل من معاصيك وقوله يصطرخون يفتعلون من الصراخ حولت تاؤها طاء لقرب مخرجها من الصاد لما ثقلت وقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اختلف أهل التأويل فى مبلغ ذلك فقال بعضهم ذلك أربعون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد قال سمعت ابن عباس يقول العمر الذى أعذر الله الى ابن آدم أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أربعون سنة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى عن مسروق أنه كان يقول اذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله * وقال آخرون بل ذلك ستون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قال ستون سنة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس قال العمر الذى أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة حدثنا على بن شعيب قال ثنا محمد بن اسمعيل بن أبى فديك عن ابراهيم بن الفضل عن ابن أبى حسين المكى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نودى أين أبناء الستين وهو العمر الذى قال الله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير حدثنى أحمد بن الفرج الحمصى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا مطرف بن مازن الكنانى قال ثنى معمر بن راشد قال سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفارى يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعذر الله الى صاحب الستين سنة والسبعين حدثنا أبو صالح الفزارى قال ثنا محمد بن سوار قال ثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القارى الاسكندرى قال ثنا أبو حازم عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة فقد أعذر اليه فى العمر حدثنا محمد بن سوار قال ثنا أسد بن حميد عن سعيد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن على رضى الله عنه فى قوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير قال العمر الذى عمركم الله به ستون سنة * وأشبه القولين بتأويل الآية اذ كان الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا فى اسناده بعض من يجب التثبت فى نقله قول من قال ذلك أربعون سنة لأن فى الأربعين يتناهى عقل الانسان وفهمه وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله فى حال الأربعين وقوله وجاءكم النذير اختلف أهل التأويل فى معنى النذير فقال بعضهم عنى به محمدا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجاءكم النذير قال النذير النبى وقرأ هذا نذير من النذر الأولى وقيل عنى به الشيب فتأويل الكلام اذا أولم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قريش من السنين ما يتذكر فيه من تذكر من ذوى الألباب والعقول واتعظ منهم من اتعظ وتاب من تاب وجاءكم من الله منذر ينذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله فلم تتذكروا مواعظ الله ولم تقبلوا من نذير الله الذى جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور﴾ يقول تعالى ذكره فذوقوا نار عذاب جهنم الذى قد صليتموه أيها الكافرون بالله فما للظالمين من نصير يقول فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها غضب الله بكفرهم بالله فى الدنيا من نصير ينصرهم من الله ليستنقذهم من عقابه.

التالى العالم غير العامل والسابق التالى العامل سادسها الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم سابعها الظالم من يحاسب فيدخل النار وهو أصحاب المشأمة والمقتصد من يحاسب فيدخل الجنة وهو أصحاب الميمنة والسابق من يدخل الجنة بغير حساب ثامنها الظالم من خالف أوامر الله وارتكب مناهيه فانه واضع للتكليف فى غير موضعه والمقتصد هو المجتهد فى أداء التكاليف وان لم يوفق لذلك فانه قصد الحق واجتهد والسابق هو الذى لم يخالف تكاليف الله بتوفيقه دليله قوله فى الأخير باذن الله وذلك أنه اذا وقع الخير فى نفسه سبق اليه قبل تسويل النفس والمقتصد يقع فى قلبه فتردده النفس والظالم تغلبه النفس وبعبارة أخرى من غلبته النفس الأمارة وأمرته فأطاعها ظالم ومن جاهد نفسه فغلبته تارة وغلب أخرى فهو المقتصد صاحب النفس اللوامة ومن قهر نفسه فهو السابق وفى تقديم الظالم ثم المقتصد ايذان بأن المقتصدين أكثر من السابقين والظالمون أكثر الأقسام كما قال وقليل من عبادى الشكور (ذلك) الذى ذكر من التوفيق أو من السبق بالخيرات أو من الايراث (هو الفضل الكبير) قال جار الله أبدل قوله (جنات عدن) من الفضل لأنها مسببة عنه وكأنها هو قلت ويمكن أن يقال جنات عدن مبتدأ لانها معرفة بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن ولئن سلم أنها نكرة

وقوله ان الله عالم غيب السموات والارض يقول تعالى ذكره ان الله عالم ما تخفون أيها الناس فى أنفسكم وتضمرونه وما لم تضمروه ولم تنووه مما ستنوونه وما هو غائب عن أبصاركم فى السموات والأرض فاتقوه أن يطلع عليكم وأنتم تضمرون فى أنفسكم من الشك فى وحدانية الله أو فى نبوّة محمد غير الذى تبدونه بألسنتكم انه عليم بذات الصدور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى جعلكم أيها الناس خلائف فى الأرض من بعد عاد وثمود ومن مضى قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم فى ديارهم ومساكنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن وقوله فمن كفر فعليه كفره يقول تعالى ذكره فمن كفر بالله منكم أيها الناس فعلى نفسه ضرّ كفره لا يضرّ بذلك غير نفسه لأنه المعاقب عليه دون غيره وقوله ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا يقول تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بعدا من رحمة الله ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا يقول ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك أرأيتم أيها القوم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض يقول أرونى أىّ شئ خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات يقول أم لشركائكم شرك مع الله فى السموات ان لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئا أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه يقول أم آتينا هؤلاء المشركين كتابا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام فهم على بينة منه فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الاشراك بى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض لا شئ والله خلقوا منها أم لهم شرك فى السموات لا والله ما لهم فيها شرك أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه يقول أم آتيناهم كتابا فهو يأمرهم أن يشركوا وقوله بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا وذلك قول بعضهم لبعض ما نعبدهم إلا ليقرّبونا الى الله زلفى خداعا من بعضهم لبعض وغرورا وإنما تزلفهم آلهتهم الى النار وتقصيهم من الله ورحمته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا﴾ يقول تعالى ذكره إن الله يمسك السموات والأرض لئلا تزولا من أماكنهما ولئن زالتا يقول ولو زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده يقول ما أمسكهما أحد سواه ووضعت لئن فى قوله ولئن زالتا فى موضع لو لأنهما يجابان بجواب واحد فيتشابهان فى المعنى ونظير ذلك قوله ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرّا لظلوا من بعده يكفرون بمعنى ولو أرسلنا ريحا وكما قال ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بمعنى لو أتيت وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا من مكانهما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل قال جاء رجل الى عبد الله فقال من

فليكن (يدخلونها) صفة له وخبرها (يحلون) ثم ان ضمير يدخلون ان عاد الى التالين لكتاب الله أو الى السابقين فلا اشكال فالظالم يدخل النار والمقتصد يكون أمره موقوفا كقوله وآخرون مرجون لأمر الله أو كقوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وان عاد الى الفرق الثلاث فبشرط العفو أو بشرط التوبة وقد يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وفى تقديم جنات عدن وبناء الكلام عليها دون أن يقول يدخلون جنات عدن ايذان بأن الاهتمام بشأنها أكثر فان نظر السامع على المدخول فيه لا على نفس الدخول وقد مرت العبارة الاصلية فى سورة الحج فى قوله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات الى قوله حرير وتغيير العبارة فى هذا المقام لمزيد هذه الفائدة والله أعلم وفى قوله (يحلون فيها) اشارة الى سرعة الدخول فان فى تحليتهم خارج الجنة تأخيرا للدخول وفى تحليتهم بالسوار إشارة الى أمرين أحدهما الترفه والتنعم الثانى أنهم لا يحتاجون فيها الى عمل من الطبخ وتهيئة سائر الأسباب قال جار الله أى يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم والذهب واللؤلؤ اشارة الى النوعين اللذين منهما الحلىّ وقيل ان ذلك الذهب فى صفاء اللؤلؤ والحزن

أين جئت قال من الشأم قال من لقيت قال لقيت كعبا فقال ماحدثك كعب قال حدثني أن السموات تدور على منكب ملك قال فصدقته أو كذبته قال ماصدقته ولا كذبته قال لوددت أنك افتديت من رحلتك اليه براحلتك ورحلها كذب كعب ان الله يقول إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن امسكهما من أحد من بعده حدثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال ذهب جندب البجلي الى كعب الأحبار فقدم عليه ثم رجع فقال له عبدالله حدثنا ماحدثك فقال حدثني أن السماء في قطب كقطب الرحا والقطب عمود على منكب ملك قال عبدالله لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل راحلتك ثم قال ماتنتكت اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه ثم قال إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا كفى بها زوالا أن تدور وقوله انه كان حليما غفورا يقول تعالى ذكره ان الله كان حليما عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له غفورا لذنوب من تاب منهم وأناب الى الايمان به والعمل بما يرضيه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا﴾ يقول تعالى ذكره وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم يقول أشد الأيمان فبالغوا فيها لئن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله ليكونن أهدى من احدى الأمم يقول ليكونن أسلك لطريق الحق وأشد قبولا لما يأتيهم به النذير من عند الله من إحدى الامم التي خلت من قبلهم فلما جاءهم نذير يعني بالنذير محمدا صلى الله عليه وسلم يقول فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مازادهم إلا نفورا يقول مازادهم مجيء النذير من الايمان بالله واتباع الحق وسلوك هدى الطريق إلا نفورا وهربا وقوله استكبارا في الأرض يقول نفروا استكبارا في الأرض وخدعة سيئة وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به والمكر ههنا هو الشرك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومكر السيئ وهو الشرك وأضيف المكر الى السيئ والسيئ من نعت المكر كما قيل ان هذا لهو حق اليقين وقيل ان ذلك في قراءة عبدالله ومكرا سيئا وفي ذلك تحقيق القول الذي قلناه من أن السيئ في المعنى من نعت المكر وقرأ ذلك قراء الأمصار غير الأعمش وحمزة بهمزة محركة بالخفض وقرأ ذلك الأعمش وحمزة بهمزة وتسكين الهمزة اعتلالا منهما بأن الحركات لما كثرت في ذلك ثقل فسكنا الهمزة كما قال الشاعر

* اذا اعوججن قلت صاحب قوّم *

فسكن الباء لكثرة الحركات * والصواب من القراءة ماعليه قراء الأمصار من تحريك الهمزة فيه الى الخفض وغير جائز في القرآن أن يقرأ بكل ماجاز في العربية لأن القراءة انما هي ماقرأت به الأئمة الماضية وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عمن قبلهم وقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله يقول ولا ينزل المكر السيئ إلا بأهله يعني بالذين يمكرونه وانما عني أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكره هؤلاء المشركون الا بهم وقال قتادة في ذلك ماحدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وهو الشرك وقوله فهل ينظرون إلا سنة الأولين يقول تعالى ذكره فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على

للجلس فيعم كل حزن من أحزان الدنيا والدين كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم وكأني بأهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وقد خصه جمع من المفسرين بخوف سوء العاقبة أو بحزن الآفات أو بحزن الموت أو بهم المعاش حتى قال بعضهم كراء الدار والتعميم أولى والمقامة بمعنى الاقامة والفضل التفضل وعند المعتزلة العطاء لان الثواب أجر مستحق واجب عندهم والنصب التعب والمشقة التي تصيب المزاول للامر المنتصب له واللغوب مايلحقه من الفتور والكلال بعد ذلك قاله جار الله وقال غيره ان الذي يباشر عملا من الأعمال لا يظهر عليه الاعياء الا بعد أن يستريح فالمراد أنهم لا يخرجون من الجنة الى موضع يتعبون بسبب ذلك ثم يلحقهم الاعياء بعد الرجوع ثم عطف قوله (والذين كفروا) على قوله ان الذين يتلون وقوله (فيموتوا) جواب للنفي والتقدير لا يقضى عليهم بالموت فيستريحوا و (يصطرخون) يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة كشأن المستغيث وفائدة قوله (غير الذي كنا نعمل) زيادة التحسر على ماعملوه من غير الصالح أو المراد نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا لأنهم كانوا يحسبون أنهم يحسنون وفيه اشارة

كفرهم به أليم العقاب يقول فهل ينتظر هؤلاء الا أن أحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهل ينظرون الا سنة الأولين أي عقوبة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا يقول فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييرا وقوله ولن تجد لسنة الله تحويلا يقول ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلا يقول لن يغير ذلك ولا يبدله لانه لا مرد لقضائه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الأرض انه كان عليما قديرا﴾ يقول تعالى ذكره أولم يسر يا محمد هؤلاء المشركون بالله في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا فانهم تجار يسلكون طريق الشأم فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم التي كانوا بها ألم نهلكهم ونخرب مساكنهم ونجعلهم مثلا لمن بعدهم فيتعظوا بهم وينزجروا عما هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل وكانوا أشد منهم قوة وبطشا لن يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة والعذاب لهم وبنحو الذي قلنا في قوله وكانوا أشد منهم قوة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكانوا أشد منهم قوة يخبركم أنه أعطى القوم مالم يعطكم وقوله وما كان الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الأرض يقول تعالى ذكره ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة المكذبون محمدا فيسبقونا هربا في الارض اذا نحن أردنا هلاكهم لأن الله لم يكن ليعجزه شئ يريده في السموات ولا في الارض ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا أقطار السموات والأرض وقوله انه كان عليما قديرا يقول تعالى ذكره ان الله كان عليما بخلقه وما هو كائن ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة ومن هو عن ضلالته منهم راجع الى الهدى آئب قدير على الانتقام ممن شاء منهم وتوفيق من أراد منهم للايمان

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره ولو يؤاخذ الله الناس يقول ولو يعاقب الله الناس ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي واجترحوا من الآثام ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى يقول ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا الى أجل معلوم عنده محدود لا يقصرون دونه ولا يجاوزونه اذا بلغوه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة الا ما حمل نوح في السفينة وقوله فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا يقول تعالى ذكره فاذا جاء أجل عقابهم فان الله كان بعباده بصيرا من الذي يستحق أن يعاقب منهم ومن الذي يستوجب الكرامة ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعا ومن كان فيها به مشركا لا يخفى عليه أحد منهم ولا يعزب عنه علم شئ من أمرهم

آخر تفسير سورة فاطر

الى أنهم في الآخرة أيضا ضالون لم يهدهم الله في الآخرة كما لم يهدهم في الدنيا ولو كانوا مهتدين لقالوا ربنا زدت للمحسنين حسنات بفضلك لا بعملهم ونحن أحوج الى تخفيف العذاب منهم الى تضعيف الثواب فافعل بنا ما أنت أهله نظرا الى فضلك ولا تفعل بنا ما نحن أهله نظرا الى عدلك وانظر الى مغفرتك الهاطلة ولا تنظر الى معذرتنا الباطلة وهذا بخلاف حال المؤمن هداه في العقبى كما هداه في الدنيا حتى دعاه بأقرب دعاء الى الاجابة وأثنى عليه بأطيب ثناء عند الانابة فقالوا الحمد لله وقالوا ان ربنا لغفور اعترافا بتقصيرهم شكور اقرارا بوصول ما لم يخطر ببالهم اليهم وأحالوا الكل الى فضله تصريحا بأنه لا عمل لهم بالنسبة الى بحار نعمه قوله (أولم نعمركم) استفهام فيه توبيخ وافحام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شأنه الا أن التوبيخ في العمر الطويل أعظم عن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وروي من جاوز الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة وقوله (وجاءكم) معطوف على المعنى كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم (النذير) وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب فبين بالجملتين أن القابل موجود والفاعل حاصل فالعذر غير مقبول

﴿ تفسير سورة يس ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله يس فقال بعضهم هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يس قال فانه قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله * وقال آخرون معناه يا رجل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله يس قال يا انسان بالحبشية حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن شرقي قال سمعت عكرمة يقول تفسير يس يا انسان * وقال آخرون هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال يس مفتاح كلام افتتح الله به كلامه * وقال آخرون بل هو اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يس قال كل هجاء في القرآن اسم من أسماء القرآن * قال أبو جعفر وقد بينا القول فيما مضى في نظائر ذلك من حروف الهجاء بما أغنى عن اعادته وتكريره في هذا الموضع وقوله والقرآن الحكيم يقول والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه وبينات حججه انك لمن المرسلين يقول تعالى ذكره مقسما بوحيه وتنزيله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لمن المرسلين بوحي الله الى عباده كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين قسم كما تسمعون انك لمن المرسلين على صراط مستقيم وقوله على صراط مستقيم يقول على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى وهو الاسلام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة على صراط مستقيم أي على الاسلام وفي قوله على صراط مستقيم وجهان أحدهما أن يكون معناه انك لمن المرسلين على استقامة من الحق فيكون حينئذ على من قوله على صراط مستقيم من صلة الارسال والآخر أن يكون خبرا مبتدأ كأنه قيل انك لمن المرسلين انك على صراط مستقيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ تنزيل العزيز الرحيم ﴾ اختلف القراء في قراءة قوله تنزيل العزيز الرحيم فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة تنزيل العزيز برفع تنزيل والرفع في ذلك يتجه من وجهين أحدهما بأن يجعل خبرا فيكون معنى الكلام انه تنزيل العزيز الرحيم والآخر بالابتداء فيكون معنى الكلام حينئذ انك لمن المرسلين هذا تنزيل العزيز الرحيم وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام تنزيل نصبا على المصدر من قوله انك لمن المرسلين لان الارسال انما هو عن التنزيل فكأنه قيل لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقا * والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ومعنى الكلام انك لمن المرسلين يا محمد ارسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به الرحيم بمن تاب اليه وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فقال بعضهم معناه لتنذر قوما ما أنذر الله من قبلهم من آبائهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر

(فذوقوا) العذاب (فما للظالمين) الذين وضعوا أعمالهم في غير موضعها وأتوا بالمعذرة في غير وقتها (من نصير) نفى الأنصار والناصرين في آخر آل عمران وفي الروم ووحد ههنا كأنهم في النار قد أيسوا من كثير ممن كانوا يتوقعون منهم النصرة الا من نصير واحد وهو الله سبحانه ثم كان لسائل أن يسأل ما بال الكافر يعذب أبدا وانه ما كفر الا أياما معدودة فلا جرم قال (ان الله عالم غيب السموات والارض) فكان يعلم من الكافر أن الكفر قد تمكن في قلبه بحيث لو دام الى الأبد لما أطاع الله ولا عبده وذات الصدور صواحباتها من الظنون والعقائد فذو موضوع لمعنى الصحبة فالصدور ذات العقائد والعقائد ذات الصدور باعتبار أنها تصحبها وحين ذكرهم بما مر من أنه سوف

قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة فى هذه الآية لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قال قد أنذروا
* وقال آخرون بل معنى ذلك لتنذر قوما(٣) ما أنذر آباؤهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قال قال بعضهم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم
من انذار الناس قبلهم وقال بعضهم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم أى هذه الأمة لم يأتهم نذير حتى
جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم * واختلف أهل العربية فى معنى ما التى فى قوله ما أنذر آباؤهم
اذا وجه معنى الكلام الى أن آباءهم قد كانوا أنذروا ولم يرد بها الجحد فقال بعض نحويى البصرة
معنى ذلك اذا أريد به غير الجحد لتنذرهم الذى أنذر آباؤهم فهم غافلون وقال فدخول الفاء
فى هذا المعنى لا يجوز والله أعلم قال وهو على الجحد أحسن فيكون معنى الكلام انك لمن المرسلين
الى قوم لم ينذر آباؤهم لأنهم كانوا فى الفترة * وقال بعض نحويى الكوفة اذا لم يرد بها الجحد فان معنى
الكلام لتنذرهم بما أنذر آباؤهم فتلقى الباء فتكون ما فى موضع نصب فهم غافلون يقول فهم غافلون
عما الله فاعل بأعدائه المشركين به من احلال نقمته وسطوته بهم وقوله لقد حق القول على أكثرهم
فهم لا يؤمنون يقول تعالى ذكره لقد وجب العقاب على أكثرهم لان الله قد حتم عليهم
فى أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله ولا يصدّقون رسوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انا جعلنا
فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا
فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره انا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة الى أعناقهم
بالأغلال فلا تبسط بشئ من الخيرات وهى فى قراءة عبدالله فيما ذكر انا جعلنا فى أيمانهم أغلالا
فهى الى الأذقان وقوله الى الأذقان يعنى فأيمانهم مجموعة بالأغلال فى أعناقهم فكنى عن الأيمان
ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام وأن الأغلال اذا كانت فى الأعناق لم تكن
الا وأيدى المغلولين مجموعة بها اليها فاستغنى بذكر كون الأغلال فى الأعناق من ذكر الأيمان
كما قال الشاعر

وما أدرى اذا يممت وجها * أريد الخير أيهما يلينى
أألخير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى لا يأتلينى

فكنى عن الشر وانما ذكر الخير وحده لعلم سامع ذلك بمعنى قائله اذ كان الشر مع الخير يذكر
والأذقان جمع ذقن والذقن مجمع اللحيين وقوله فهم مقمحون والمقمح هو المقنع وهو أن يحدر
الذقن حتى يصير فى الصدر ثم يرفع رأسه فى قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة
وفى قول بعض الكوفيين هو الغاض بصره بعد رفع رأسه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى
عن أبيه عن ابن عباس قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون قال هو
كقول الله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعنى بذلك أن أيديهم موثقة الى أعناقهم لا يستطيعون
أن يبسطوها بخير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فهم مقمحون قال
رافعو رؤسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون أى فهم مغلولون عن كل
خير وقوله وجعلنا من بين أيديهم سدّا يقول تعالى ذكره وجعلنا من بين أيدى هؤلاء المشركين سدّا
وهو الحاجز بين الشيئين اذا فتح كان من فعل بنى آدم واذا كان من فعل الله كان بالضم وبالضم

يوبخهم بالتعمير وايتاء العقول
وارسال من يؤيد المعقول بالمنقول
وعظهم بأنه (هو الذى جعلكم)
وفقد العاطف هنا خلاف ما فى آخر
الأنعام للعدول عن خطاب أهل
الآخرة الى خطاب أهل الدنيا
وقال ههنا (خلائف فى الارض)
بزيادة فى المفيدة لتمكن المظروف
فى الظرف لأجل المبالغة والترقى
من الأدنى الى الأعلى كأنه قيل
أمهلتم وعمرتم وأمرتم على لسان
الرسل بما أمرتم وجعلتم خلفاء
الهالكين الماضين فأصبحتم بحالهم
راضين (فمن كفر) بعد هذا كله
(فعليه) وبال (كفره ولا يزيد
الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا)
لأن الكافر السابق ممقوت واللاحق
الذى أنذره الرسول ولم ينتبه أمقت
لأنه رأى عذاب من تقدمه ولم
ينتبه (ولا يزيد الكافرين كفرهم

(٣) أى لم ينذر آباؤهم فتأمل
كتبه مصححه

قرا

قرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة و بعض الكوفيين وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين بفتح السين سدّا فى الحرفين كلاهما والضم أعجب القراءتين الىّ فى ذلك وان كانت الأخرى جائزة صحيحة وعنى بقوله وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا أنه زين لهم سوء أعمالهم فهم يعمهون ولا يبصرون رشدا ولا يتنبهون حقا * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا قال عن الحق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا عن الحق فهم يترددون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا قال ضلالات حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون قال جعل هذا سدّا بينهم و بين الاسلام والايمان فهم لا يخلصون اليه وقرأ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وقرأ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية كلها وقال من منعه الله لا يستطيع وقوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون يقول فأغشينا أبصار هؤلاء أى جعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأغشيناهم فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به وذكر أن هذه الآية نزلت فى أبى جهل بن هشام حين حلف أن يقتله أو يشدخ رأسه بصخرة ذكر الرواية بذلك حدثنى عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث ابن سعيد قال ثنا عمارة بن أبى حفصة عن عكرمة قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن فأنزلت انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون قال فكانوا يقولون هذا محمد فيقول أين هو أين هو لا يبصره وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك فأعشيناهم فهم لا يبصرون بالعين بمعنى أعشيناهم عنه وذلك أن العشا هو أن يمشى بالليل ولا يبصر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ يقول تعالى ذكره وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم القول أى الامرين كان منك اليهم الانذار أو ترك الانذار فانهم لا يؤمنون لأن الله قد حكم عليهم بذلك وقوله انما تنذر من اتبع الذكر يقول تعالى ذكره انما ينفع انذارك يا محمد من آمن بالقرآن واتبع ما فيه من أحكام الله وخشى الرحمن يقول وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين لا المنافق الذى يستخف بدين الله اذا خلا و يظهر الايمان فى الملا ولا المشرك الذى قد طبع الله على قلبه وقوله فبشره بمغفرة يقول فبشر يا محمد هذا الذى اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه وأجر كريم يقول وثواب منه له فى الآخرة كريم وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما تنذر من اتبع الذكر واتباع الذكر اتباع القرآن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه فى امام مبين﴾ يقول تعالى ذكره انا نحن نحيى الموتى من خلقنا ونكتب ما قدموا فى الدنيا من خير وشر وصالح الأعمال وسيئها و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا من عمل حدثنى يونس

الاخسارا) فان العمر كرأس مال من اشترى به رضا الله ربح ومن اشترى به سخطه خسر ثم وبخ أهل الشرك بقوله (قل أرأيتم) وأبدل منه (أرونى) كأنه قال أخبرونى عن هؤلاء الشركاء أرونى أى جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقه (أم لهم) مع الله (شرك فى) خلق (السموات) أم معهم أو مع عابديهم كتاب من عند الله فهم على برهان من ذلك الكتاب والاضافة فى شركائكم لملابسة العبادة أو المراد كونهم شركاءهم فى النار كقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (بل ان يعد الظالمون بعضهم) وهم الرؤساء (بعضا) وهم الأتباع (الاغرورا) وهو قولهم ان هؤلاء شفعاؤنا وحين بين عجز الأصنام أراد أن يبين كمال القدرة فقال (ان الله يمسك السموات والأرض)

قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونكتب ما قدّموا قال ما عملوا حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما قدّموا قال أعمالهم وقوله وآثارهم يعنى وآثار خطاهم بأرجلهم وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرب عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن على الجهضمى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا الى المسجد فنزلت ونكتب ما قدّموا وآثارهم فقالوا نثبت فى مكاننا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا قال فنزلت ونكتب ما قدّموا وآثارهم فثبتوا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا الجريرى عن أبى نضرة عن جابر قال أراد بنو سلمة قرب المسجد قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى سلمة دياركم أنها تكتب آثاركم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا معتمر قال سمعت كهمسا يحدّث عن أبى نضرة عن جابر قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا الى قرب المسجد قال والبقاع خالية فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا بنى سلمة دياركم انها تكتب آثاركم قال فأقاموا وقالوا ما يسرنا أنا كنا تحوّلنا حدثنا سليمن بن عمر بن خالد الرقى قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن طريف عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم فقال عليكم منازلكم تكتب آثاركم حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين عن ثابت قال مشيت مع أنس فأسرعت المشى فأخذ بيدى فمشينا رويدا فلما قضينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشى فقال يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن أن بنى سلمة كانت دورهم قاصية عن المسجد فهموا أن يتحولوا اقرب المسجد فيشهدون الصلاة مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ألا تحتسبون آثاركم يا بنى سلمة فمكثوا فى ديارهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم ابن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ما قدّموا وآثارهم قال خطاهم بأرجلهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآثارهم قال خطاهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآثارهم قال قال الحسن وآثارهم قال خطاهم وقال قتادة لو كان مغفلا شيأ من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفى الرياح من هذه الآثار وقوله وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين يقول تعالى ذكره وكل شئ كان أو هو كائن أحصيناه فأثبتناه فى أم الكتاب وهو الامام المبين وقيل مبين لأنه يبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى إمام مبين قال فى أم الكتاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين كل شئ محصى عند الله فى كتاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين قال أم الكتاب التى عند الله فيها الأشياء كلها هى الامام المبين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون

أى يمنعهما من (أن تزولا) أو كراهة زوالها عن مقرهما ومركزهما ولو فرض زوالها بأمر الله فلن يمسكهما أحد من بعد زوالها أو من بعد الله وقيل أراد أنهما كانتا جديرتين بأن تهدّ هذا لعظم كلمة الشرك كقوله تكاد السموات يتفطرن منه يؤيد هذا الوجه قوله (انه كان حليما) غير معاجل بالعقوبة (غفورا) لمن تاب من الشرك قال المفسرون بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم رسلهم فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى وزيف هذا النقل بأن المشركين كانوا منكرين للرسالة والحشر فكيف اعترفوا بأن اليهود والنصارى جاءهم رسل سلمنا لكنهم كيف عرفوا تكذيب اليهود وتحريفهم ولم يأتهم رسول

اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون ﴾ يقول تعالى ذكره ومثل يا محمد لمشركي قومك مثلا أصحاب القرية ذكر أنها انطاكية اذ جاءها المرسلون اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل وفيمن كان أرسلهم الى أصحاب القرية فقال بعضهم كانوا رسل عيسى بن مريم وعيسى الذي أرسلهم اليهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال ذكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريين الى انطاكية مدينة بالروم فكذبوهما فأعزهما بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان قال ثني السدي عن عكرمة واضرب لهم مثلا أصحاب القرية قال انطاكية * وقال آخرون بل كانوا رسلا أرسلهم الله اليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه قال كان بمدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يقال له ابطيحس بن ابطيحس يعبد الأصنام صاحب شرك فبعث الله المرسلين وهم ثلاثة صادق ومصدوق وسلوم فقدم اليه والى أهل مدينته منهم اثنان فكذبوهما ثم عزز الله بثالث فلما دعته الرسل ونادته بأمر الله وصدعت بالذي أمرت به وعابت دينه وما هم عليه قال لهم انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم وقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث يقول تعالى ذكره حين أرسلنا اليهم اثنين يدعوانهم الى الله فكذبوهما فشددناهما بثالث وقويناهما به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فعززنا بثالث قال شددنا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله فعززنا بثالث قال زدنا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فعززنا بثالث قال جعلناهم ثلاثة قال ذلك التعزز قال والتعزز القوة وقوله فقالوا انا اليكم مرسلون يقول فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية انا اليكم أيها القوم مرسلون بأن تخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له وتتبرؤا مما تعبدون من الآلهة والأصنام وبالتشديد في قوله فعززنا قرأت القراء سوى عاصم فانه قرأه بالتخفيف والقراءة عندنا بالتشديد لاجماع الحجة من القراء عليه وأن معناه اذا شدد فقوينا واذا خفف فغلبنا وليس لغلبنا في هذا الموضع كثير معنى

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين﴾ يقول تعالى ذكره قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا اليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا اليهم بما أرسلوا به ما أنتم أيها القوم الا أناس مثلنا ولو كنتم رسلا كما تقولون لكنتم ملائكة وما أنزل الرحمن من شئ يقول قالوا وما أنزل الرحمن اليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فينا بشئ ان أنتم الا تكذبون في قيلكم انكم الينا مرسلون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون يقول قال الرسل ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون فيما دعوناكم اليه وانا لصادقون وما علينا الا البلاغ المبين يقول وما علينا الا أن نبلغكم رسالة الله التي أرسلنا بها اليكم بلاغا يبين لكم أنا أبلغناكموها فان قبلتموها فحظ أنفسكم تصيبون وان لم تقبلوها فقد أدينا ما علينا والله ولي الحكم فيه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره قال أصحاب القرية للرسل انا تطيرنا بكم يعنون انا تشاءمنا بكم فان أصابنا بلاء فمن أجلكم كما حدثنا

ولا كتاب فالوجه الصحيح في سبب النزول أنهم كانوا يقولون لو جاءنا رسول لم ننكره وانما ينكرون كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا لأنه كاذب ولو صح كونه رسولا لآمنا وقوله (من احدى الأمم) ليس للتفضيل بل المراد أنا نكون أهدى مما نحن عليه ونكون من احدى الأمم كقولك زيد من المسلمين أو هو للتفضيل والأمم لتعريف العهد أي أمة محمد وموسى وعيسى عليهم السلام أو للعموم أي أهدى من أي أمة تفرض ويقال فيها احدى الأمم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة (فلما جاءهم نذير) هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي صح لهم نذارته بالمعجزات الباهرة (ما زادهم) هو أو مجيئه (الا نفورا) كانه صار سببا في نفارهم عن الحق عنادا وكبرا

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا انا تطيرنا بكم قالوا ان أصابنا شر فانما هو من أجلكم وقوله لئن لم تنتهوا لنرجمنكم يقول لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم الينا بالبراءة من آلهتنا والنهي عن عبادتنا لنرجمنكم قيل عني بذلك لنرجمنكم بالحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب أليم يقول ولينالنكم منا عذاب موجع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾ يقول تعالى ذكره قالت الرسل لأصحاب القرية طائركم معكم أئن ذكرتم يقولون أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم ذلك كله في أعناقكم وما ذلك من شؤمنا ان أصابكم سوء فيما كتب عليكم وسبق لكم من الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا طائركم معكم أي أعمالكم معكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب وعن وهب بن منبه قالت لهم الرسل طائركم معكم أي أعمالكم معكم وقوله أئن ذكرتم اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار أئن ذكرتم بكسر الألف من إن وفتح ألف الاستفهام بمعنى إن ذكرناكم فمعكم طائركم ثم أدخل على إن التي هي حرف جزاء ألف استفهام في قول بعض نحويي البصرة وفي قول بعض الكوفيين منوي به التكرير كأنه قيل قالوا طائركم معكم ان ذكرتم فمعكم طائركم فحذف الجواب اكتفاء بدلالة الكلام عليه وانما أنكر قائل هذا القول القول الأول لأن ألف الاستفهام قد حالت بين الجزاء وبين الشرط فلا تكون شرطا لما قبل حرف الاستفهام وذكر عن أبي رزين أنه قرأ ذلك أأن ذكرتم بمعنى ألأن ذكرتم طائركم معكم وذكر عن بعض قارئيه أنه قرأه قالوا طائركم معكم أين ذكرتم بمعنى حيث ذكرتم بتخفيف الكاف من ذكرتم والقراءة التي لا نجيز القراءة بغيرها القراءة التي عليها قراء الأمصار وهي دخول ألف الاستفهام على حرف الجزاء وتشديد الكاف على المعنى الذي ذكرناه عن قارئيه كذلك لاجماع الحجة من القراء عليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أئن ذكرتم أي ان ذكرناكم الله تطيرتم بنا بل أنتم قوم مسرفون وقوله بل أنتم قوم مسرفون يقول قالوا لهم ما بكم التطير بنا ولكنكم قوم أهل معاص لله وآثام قد غلبت عليكم الذنوب والآثام وقوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى يقول وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت اليهم هذه الرسل رجل يسعى اليهم وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذكر فبلغ ذلك هذا الرجل وكان منزله أقصى المدينة وكان مؤمنا وكان اسمه فيما ذكر حبيب بن مري وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار ذكر الأخبار الواردة بذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا سفيان عن عاصم الأحول عن أبي مجلز قال كان صاحب يس حبيب بن مري حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال كان من حديث صاحب يس فيما حدثنا محمد بن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه اليماني أنه كان رجلا من أهل انطاكية وكان اسمه حبيبا وكان يعمل الحرير وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصيا وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيما يذكرون فيقسمه نصفين فيطعم نصفا عياله ويتصدق بنصف فلم يهمه سقمه ولا عمله ولا ضعفه عن عمل ربه قال فلما أجمع قومه على قتل الرسل بلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الأقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم بالله

فانتصب (استكبارا) على أنه مفعول لأجله أو حال ويجوز أن يكون بدلا من نفورا وقوله (ومكر) من اضافة المصدر الى صفة معموله أصله وأن مكروا السيء أي المكر السيء والمكر هو مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم من الهم بالقتل والاخراج وقد حاق بهم يوم بدر أو هو عام وعاقبة الماكر وخيمة يصل اليه جزاؤه عاجلا أو آجلا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء الا بأهله وفي أمثالهم من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وفي قوله (بأهله) دون أن يقول الا بالماكر اشارة الى أن الرضا بالمكر والاعانة عليه كهو فيندرج مصاحبه في زمرة أهل المكر وقوله (سنة الأولين) من اضافة المصدر الى المفعول وقوله سنة الله من اضافته

ويدعوهم الى اتباع المرسلين فقال ياقوم اتبعوا المرسلين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبدالله بن عبد الرحمن بن معمر بن عمرو بن حزم أنه حدث عن كعب الأحبار قال ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول أتشهد أني رسول الله فيقول له لا أسمع فيقول مسيلمة أتسمع هذا ولا تسمع هذا فيقول نعم فجعل يقطعه عضوا عضوا كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه قال كعب حين قيل له اسمه حبيب وكان والله صاحب يس اسمه حبيب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم أبي القاسم مولى عبدالله بن الحرث ابن نوفل عن مجاهد عن عبدالله بن عباس أنه كان يقول كان اسم صاحب يس حبيبا وكان الجذام قد أسرع فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ذكر لنا أن اسمه حبيب وكان في غار يعبد ربه فلما سمع بهم أقبل اليهم وقوله قال ياقوم اتبعوا المرسلين يقول تعالى ذكره قال الرجل الذي جاء من أقصى المدينة لقومه ياقوم اتبعوا المرسلين الذين أرسلهم الله اليكم واقبلوا منهم ما أتوكم به وذكر أنه لما أتى الرسل سألهم هل يطلبون على ما جاؤا به أجرا فقالت الرسل لا فقال لقومه حينئذ اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجرا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما انتهى اليهم يعني الى الرسل قال هل تسألون على هذا من أجر قالوا لا فقال عند ذلك ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون أي لا يسألونكم أموالكم على ما جاءكم به من الهدى وهم لكم ناصحون فاتبعوهم تهتدوا بهداهم وقوله وهم مهتدون يقول وهم على استقامة من طريق الحق فاهتدوا أيها القوم بهداهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا الرجل المؤمن ومالي لا أعبد الذي فطرني أي وأي شيء لي لا أعبد الرب الذي خلقني واليه ترجعون يقول واليه تصيرون أنتم أيها القوم وتردون جميعا وهذا حين أبدى لقومه ايمانه بالله وتوحيده كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الاحبار وعن وهب بن منبه قال ناداهم يعني نادى قومه بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام وأظهر لهم دينه وعبادة ربه وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضره غيره فقال ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ثم عابها فقال ان يردني الرحمن بضر وشدة لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون وقوله أأتخذ من دونه آلهة يقول أأعبد من دون الله آلهة يعني معبودا سواه ان يردني الرحمن بضر يقول ان مسني الرحمن بضر وشدة لا تغن عني شفاعتهم شيأ يقول لا تغني عني شيأ بكونها لي شفعاء ولا تقدر على دفع ذلك الضر عني ولا ينقذون يقول ولا يخلصوني من ذلك الضر اذا مسني وقوله اني اذا لفي ضلال مبين يقول اني ان اتخذت من دون الله آلهة هذه صفتها اذا لفي ضلال مبين لمن تأمله جوره عن سبيل الحق وقوله اني آمنت بربكم فاسمعون فاختلف في معنى ذلك فقال بعضهم قال هذا القول هذا المؤمن لقومه يعلمهم ايمانه بالله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس

الى الفاعل والمراد بها إنزال العذاب على أمثالهم من مكذبي الرسل جعل استقبالهم لذلك واستعجالهم اياه انتظارا له منهم والتبديل تغيير الصورة مع بقاء المادة والتحويل نقل الشئ من مكان الى مكان آخر خص هذه السورة بالجمع بين الوصفين لأن كثيرا من أحوال الكفرة جاءت ههنا مثناة كقوله ولا يزيد الكافرين الى قوله الا خسارا وكقوله الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيئ ويحتمل أن يريد بسنة الأولين استمرارهم على الانكار كأنه قال أنتم تريدون الاتيان بسنة الأولين والله يأتي بسنة لا تبديل العذاب المعلوم بنوع آخر ولا تحوله عن مستحقيه الى من لا يستحقه ثم أمرهم بالسير وذكرهم

وعن كعب وعن وهب بن منبه انى آمنت بربكم فاسمعون انى آمنت بربكم الذى كفرتم به فاسمعوا قولى * وقال آخرون بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم اسمعوا قولى لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى وأنى قد آمنت بكم واتبعتكم فذكر أنه لما قال هذا القول ونصح لقومه النصيحة التى ذكرها الله فى كتابه وثبوا به فقتلوه ثم اختلف أهل التأويل فى صفة قتلهم اياه فقال بعضهم رجموه بالحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون هذا رجل دعا قومه الى الله وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك وذكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى اللهم اهد قومى اللهم اهد قومى حتى أقعصوه وهو كذلك * وقال آخرون بل وثبوا عليه فوطئوه بأقدامهم حتى مات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب وعن وهب بن منبه قال لما قال لهم ومالى لا أعبد الذى فطرنى الى قوله فاسمعون وثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه ولم يكن أحد يدفع عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾ يقول تعالى ذكره قال الله له اذ قتلوه كذلك فلقيه ادخل الجنة فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لايمانه وصبره فيه قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى يقول ياليتهم يعلمون أن السبب الذى من أجله غفر لى ربى ذنوبى وجعلنى من الذين أكرمهم الله بادخاله اياه جنته كان ايمانى بالله وصبرى فيه حتى قتلت فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول قال الله له ادخل الجنة فدخلها حيا يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها فلما أفضى الى رحمة الله وجنته وكرامته قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قيل ادخل الجنة فلما دخلها قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين قال فلا تلقى المؤمن الا ناصحا ولا تلقاه غاشا فلما عاين ما عاين من كرامة الله قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله وما هجم عليه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قيل ادخل الجنة قال قيل قد وجبت له الجنة قال ذاك حين رأى الثواب حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن مجاهد قيل ادخل الجنة قال وجبت لك الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قيل ادخل الجنة قال وجبت له الجنة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن عاصم الأحول عن أبى مجلز فى قوله بما غفر لى ربى قال ايمانى بربى وتصديق رسله

والله أعلم

* (تم الجزء الثانى والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثالث والعشرون أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه) *

مارأوه فى مسايرهم ومتاجرهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الهالكين الأقدمين مع وفور قوتهم وكثرة شوكتهم ثم بين كمال علمه ونهاية قدرته على اتصال أصناف الاستحقاقات بقوله (وما كان الله ليعجزه) أى ليسبقه ويفوته شئ ثم ختم السورة بما يدل على غاية حلمه وهو أنه لا يؤاخذ الناس بكل جرم (الى أجل مسمى) هو القيامة وهو يومئذ أعلم بأحوالهم علما عيانيا فيجزى كلا بحسب علمه وقد مر مثل الآية فى سورة النحل وقيل الاجل هو يوم لا يوجد فى الخلق من يؤمن أو حين يجتمع الناس على الضلال . والله أعلم